وزارة الثقافة

المختار من التراث العربي

(٧١)

من نثر الدر

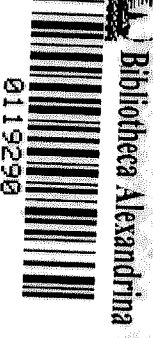
للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الأول

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الحجي



الإشراف الفني : زهير الحمد

وزارة الثقافة

المختار من التراث العربي

- ٧١ -

من نثر الدر

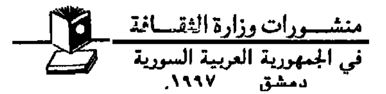
للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الأول

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الحجي



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧م

من نثر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الآبي ،
اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها مظهر الحجي . -
دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٧ . - ٤ ج ؛ ٢٠ سم . -
(المختار من التراث العربي ؛ ٧١ - ٧٤) .

١- ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢- العنوان
٣- أبو سعد الآبي ٤- الحجي ٥- السلسلة
مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

المقدمة

يعد كتاب «نثر الدر» واحداً من أمهات كتب الاختيارات في الأدب العربي القديم، ومصدراً قيّماً من مصادر الأدب والتاريخ العربيين، وهو وإن لم يحظ بشيوع الذكر كغيره من المصادر أمثال العقد الفريد أو أدب الكاتب إلا أنه لا يقل عنها أهمية، بل إنه يبذها مجتمعة بمنهجه المتميز الذي اعتمده الكاتب في ترتيب موضوعاته؛ كما أنه يلتقي معها بموضوعاته التي تضمنت الكثير من المأثورات الأدبية والإشارات التاريخية والأخبار والنوادر والتراجم وألوان الجدّ والهزل والخطب والرسائل والحكمة والمثل، وقد رتبت هذه الموضوعات وفق تسلسل زمني محكم وامتدت حتى أواخر العصر العباسي.

مؤلف الكتاب:

ولد الوزير الكاتب أبو سعد منصور بن الحسين الآبي في «آبة» وإليها نسب، وهي قرية من قرى أصفهان. ولا تذكر المصادر شيئاً عن زمن ولادته، شأنه في ذلك شأن الكثيرين من الأعلام الذين لا تهتم بهم كتب التراجم إلا بعد نبوغهم واشتهارهم بفن من الفنون أو علم من العلوم. وليس بين أيدينا الكثير لنتعْرف إلى أسرته، ويبدو أنها لم تكن بالأسرة المغمورة تماماً أو القليلة الشأن، وعلى الرغم من أن المصادر لا تذكر شيئاً

عن أبيه فإنها تذكر الكثير عن أخيه أبي منصور الذي كان من عظماء الكتّاب وكبار الوزراء وقد ولي الوزارة لملك طبرستان.

ومن الراجح عندي أن الآبي نشأ كغيره من الأدباء في رعاية المعلمين ثم صحون المساجد وتلقى علوم عصره على أيدي علماء أجلاء، فحصل ووعى.

وعندما انتقل في حياته الراشدة إلى التأليف والكتابة صرح في كتبه بأسماء عدد من العلماء الشيوخ الذين تأثر بهم ونقل عنهم، فذكر الجاحظ والمبرد والصولي وابن قتيبة، كما كان صديقاً للصاحب بن عباد وعنه روى الكثير.

لقد امتدت حياة الوزير الآبي بين القرنين الرابع والخامس الهجريين، وهذه المرحلة تعد من أهم المراحل في تاريخ أمتنا العربية الإسلامية، لأنها تمثل عصر القمة والتألق على صعيد الحضارة والفكر والعلوم والأدب. لقد استوعبت الأمة الإسلامية ثقافات الأمم القديمة ونقلتها ثم صهرتها في بوتقتها وطبعتها بطابعها العربي الإسلامي، وإن نظرة واحدة إلى أسماء الأعلام الذين عاشوا في تلك الفترة تؤكد ما ذهبنا إليه.

لقد كان الوزير الآبي واحداً من هؤلاء الأعلام، وإن آثاره تدل على إنه كان أديباً موسوعياً واسع الاطلاع متمثلاً

لعلوم عصره، ولكنه لا يتميز بآراء خاصة أو بحوث فكرية كالجاحظ في موازناته وتحليلاته أو ابن قتيبة في بحوثه ودراساته.

ولم يقف الأديب الوزير عند حدود التأليف بل اقتحم عالم الأدب المبدع فكان شاعراً حسن الشعر، وإن لم يكن ممتازاً، مع ميل ظاهر فيه للمجون، كما كان كاتباً ناثراً، وكان نثره جيداً بليغاً يميل فيه إلى السجع مع تزيينه ببعض المحسنات على نمط أسلوب النثر الشائع في عصره والذي يتمثل في مدرسة ابن العميد.

أما آثاره التي تركها للمكتبة العربية الإسلامية فليست بالكثيرة ولكنها تدل على تميّز وغزارة وشمول، وهي: «نثر الدر» و«الأنس والعرس» و«تاريخ الري».

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن بعد هذا الحديث عن الوزير الأديب هو: أين يقف الوزير السياسي في عالم السياسة؟

لم يذكر مترجمو الآبي أي أثر من آثاره وزيراً واكتفوا بذكر آثاره الأدبية أما المؤرخون كابن الأثير وابن كثير فإنهم يمرون على عهده دون إشارة إلى اسمه مما يدل على أنه لم يكن وزيراً قوياً أو سياسياً متميزاً. كان عصره عصر اضطراب وقلق

وصراعات وفتن بين الدويلات التي تنضوي اسمياً تحت راية الدولة العباسية. وكان هذا العصر يحتاج إلى شخصية سياسية متمرسة محنكة، ولم يكن الآبي هذه الشخصية، كما لم يكن سلطانه كذلك أيضاً.

لقد وزر الآبي للسلطان مجد الدولة في إقليم الريّ، ولكن السلطان الفعلي لم يكن مجد الدولة بل أمه التي قبضت عليه وسجنته حينما سولت له نفسه أن يشق عصا الطاعة عليها، ثم أعادته إلى الحكم شخصية ضعيفة لا حول لها ولا طول. وقد اختلّت أمور الريّ بعد وفاة أم مجد الدولة وتمرد عليه جنوده، ولكن السلطان الضعيف بقي منصرفاً إلى قراءة كتب الأدب وتأمل رقعة الشطرنج حتى انتهى ملكه على أيدي الغزنويين.

لقد تأثر السلطان بوزيره الأديب أو صادفت اهتماماته الأدبية هوى في نفسه ولو كان الوزير غير الآبي، من ذوي الكفايات، لكان له دور بارز في مثل هذه الظروف تحت ظل حكم يوائم مذهبه الشيعي، ولكن الأحداث مجتمعة تدل على أن ملكة الأدب غلبت على الآبي، فلم يكن بالوزير القوي.

وما قيل عن الآبي الوزير يقال عن الآبي الشيعي المذهب. فقد كان شيعياً مؤمناً بمذهبه ولكنه لم يكن متعصباً له

ولا داعياً من دعاته على الرغم من موقعه في عالم الأدب والسياسة. لقد أجمع الذين ترجموا له على مدحه، رغم اختلاف ميولهم السياسية والمذهبية، كما أغفلت كتب الشيعة ذكر اسمه في قائمة الدعاة العاملين في حقل الدعوة المذهبية. لقد كان أديباً معتدلاً في مذهبه منصفاً في آرائه وأحكامه وهو وإن كان يذكر آل البيت في كتابه بكثير من التعظبم والإجلال فإنه يذكر بقية الصحابة بكثير من الاحترام والتوقير.

منهج الكتاب:

ليس في الكتاب جديد من حيث نوع التأليف الأدبي، ولكن الجديد فيه والمنهج المميز له هو الشكل الذي اختاره المؤلف، وسنوجز منهجه بالملاحظات التالية:

آ- قصد الآبي -كما صرح في مقدمة كتابه- أن يخلو الكتاب من الخطب والقصائد الطوال وأن يكون مجموعة أقوال بليغة وطريفة وغير مترابطة بحيث يصدق عليه عنوان «نثر الدر».

ب- اتبع الآبي بعض من سبقه في التأليف الأدبي، كالجاحظ وابن قتيبة، في مزج الجد بالهزل ترويحاً عن النفس واستدراجاً للقارئ، ولكنه خصص للهزل والمحون أبواباً في كل فصل، وأخلى الفصل الأول منه رعاية للقرآن الكريم

والحديث الشريف، وآل البيت، ولكن هذا الفصل لم يخل من بعض الدعابة اللطيفة.

جـ- جعل المؤلف الشخصية محوراً للأقوال والأخبار، وقدم لكل فصل مقدمة اشتملت على أبوابه كلها. وعلى الرغم من أنه لا يوجد بين هذه الأقوال جامع يربطها إلا بلاغتها أو طرافتها، فإنها في مجموعها تفيد في فهم الشخصية والإحاطة بجوانبها المختلفة.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الكتاب ليس كتاب تراجم ككتب الطبقات المعروفة، لأن المؤرخين جعلوا للحوادث الأهمية الأولى وللأقوال الأهمية الثانية، أما الآبي فقد عكس هذا المنهج. فالأقوال هي الهدف الأول، والحوادث تابعة لها.

د- بدأ المؤلف خطوة جديدة في سرد الآيات القرآنية وأنشأ شبه فهرسة لموضوعاتها. ومع أنه لم يستوعب الموضوعات كلها ولا الآيات التي في الموضوع الواحد، فإن ما فعله كان خطوة جديدة تابعها بعض المستشرقين في عصرنا الراهن أمثال «لابوم» في كتابه «تفصيل آيات القرآن الكريم».

هـ- اختار الأحاديث النبوية الشريفة بذوق الأديب، لا بعقلية المحدّث، فاهتمامه بالطرافة أكثر من اهتمامه بالإسناد.

موضوعات الكتاب وأبوابه:

يقول ابن قتيبة: «من أراد أن يكون عالماً فليزم فناً واحداً، ومن أراد أن يكون أديباً فليتوسع.» وقد اختار الوزير الآبي أن يكون أديباً وجاء كتابه الموسوعي ليدل على سعة اطلاعه على المعارف الأدبية وما تستلزمه من روافد ثقافية ومعرفية. فأنت واجد في «نثر الدر» التاريخ والتراجم والأخبار والطرئف والخطب والأحاديث والتفسير وبعض الشعر.

يقول الوزير الآبي في مقدمة كتابه: «واقتصرت فيما أوردته فيه على الفِقر الفصيحة والنوادر المليحة، والمواعظ الرقيقة والألفاظ الرشيقة، وأخليته من الأشعار ومن الأخبار الطوال التي تجري مجرى الأسماء. وسميته «نثر الدر» فلا يُعثر فيه من النظم إلا بالبيت الشارد والمصراع الواحد الذي يرد في أدراج الكلام، يتم به مقطعه، وأثناء خطاب يحسن منه موقعه. وهو كتاب ينتفع به الأديب المتقدم كما ينتفع به الشادي المتعلم، ويأنس به الزاهد المتنسّك، كما يأنس به الخليع المتهتّك، ويحتاج إليه الملك في سياسة ممالكه كما يحتاج إليه المملوك في خدمة مالكه وهو نعم العون للكاتب في رسائله وكتبه وللخطيب في محاوراته وخطبه، وللواعظ في إنذاره وتحذيره وللقاضي في

إذكاره وتبصيره وللزاهد في قناعته وتسليته وللمتبتّل في نزاهته وتخليته. فأما النديم فغير مستغن عنه في مسامرة رئيسه، وأما المُلْهِي فمضطر إليه عند مضاحكته وتأنيسه. وقد جعلته سبعة فصول يشتمل كل فصل على أبواب يتشابه ما فيها وتتقارب معانيها وذكرت أبواب الفصول في أوائلها ليقرب الأمر فيه على متناولها.» اهـ.

وإليك أبواب الكتاب كما أوردها المؤلف وبإيجاز:

الجزء الأول: ويشتمل على خمسة أبواب هي: ١- آيات من القرآن الكريم بألفاظ متشابهة ونظائر متشاكله. ٢- ألفاظ من الحديث الشريف موجزة فصيحة. ٣- نكت من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ٤- نكت من كلام الأئمة من ولد عليّ رضي الله عنهم والأشراف من أهل بيته. ٥- نكت من كلام سادة بني هاشم.

الجزء الثاني: ويشتمل على عشرة أبواب هي:

١- كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ٢- كلام عمربن الخطاب رضي الله عنه. ٣- كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه. ٤- كلام سائر الصحابة رضي الله عنهم. ٥- كلام عمربن عبد العزيز رحمه الله. ٦- مزح الأشراف والأفاضل.

٧- الجـوابات المستـحـسنة جِداً وهزلاً ٨- نوادر المتنبـئين. ٩- نوادر المدينيين. ١٠- نوادر الطفيليين والأكلة.

الجزء الثالث: ويشتمل على ثلاثة عشر باباً هي:

١- كلام معاويةبن أبي سفيان وولده. ٢- كلام مروان بن الحكم وولده. ٣- كلام خلفاء بني العباس. ٤- كلام جماعة من بني أمية. ٥- نكت من كلام الزبيريين. ٦- نوادر أبي العيناء ومخاطباته. ٧- نوادر مُزَبِّد. ٨- نوادر أبي الحارث جُمَّين. ٩- نوادر الجماز. ١٠- نوادر المجانين. ١١- نوادر البخلاء. ١٢- كلام الشطّار. ١٣- العيّ ومخاطبات الحمقى.

الجزء الرابع: ويشتمل على أحد عشر باباً هي:

١- كلام شرائف النساء. ٢- نكت من كلام سائر نساء العرب وجواباتهن المستحسنة. ٣- الحيل والخدائع. ٤- نكت من كلام الحكماء. ٥- الحكم والآداب التي جاءت على لفظ الأمر والنهي. ٦- الحكم والأمثال. ٧- نكت من سياسة السلطان وأدب الرعية. ٨- نوادر الجواري والنساء المواجن. ٩- نوادر القُصَّاص. ١٠- نوادر القضاة. ١١- نوادر لأصحاب النساء والزُّناة والزَّواني.

الجزء الخامس : ويشتمل على اثنين وعشرين باباً هي :

١- كلام زياد وولده. ٢- كلام الحجّاج. ٣- كلام الأحنف بن قيس. ٤- كلام المهلب وولده. ٥- كلام أبي مسلم. ٦- كلام جماعة من أمراء الدولتين. ٧- توقيعات وفصول للوزراء والكتاب. ٨- كلام القضاة في الدولتين. ٩- كلام الحسن البصري. ١٠- نكت من كلام الشيعة. ١١- كلام الخوارج. ١٢- الغلط والتصحيف. ١٣- نوادر في اللحن والنحو. ١٤- نوادر للمخنثين. ١٥- نوادر اللاطة. ١٦- نوادر البغّائين. ١٧- نوادر جُحَا. ١٨- نوادر أشعب. ١٩- نوادر السؤّال. ٢٠- نوادر المعلمين. ٢١- نوادر الصبيان. ٢٢- نوادر العبيد والمماليك.

الجزء السادس : وقد جعله في قسمين واشتملا على ستة عشر بابا وهي :

آ- أبواب القسم الأول : ١- نكت من كلام فصيح الأعراب. ٢- فِقر وحكم للأعراب. ٣- أدعية وكلام لسؤّال الأعراب. ٤- أمثال العرب.

ب- أبواب القسم الثاني : ٥- النجوم وأنواعها على

مذهب العرب. ٦- أسجاع الكهان العرب. ٧- أوابد العرب. ٨- وصايا العرب. ٩- أسامي أفراس العرب. ١٠- أسامي سيوف العرب. ١١- نوادر الأعراب. ١٢- أمثال العامة والسِّفل. ١٣- نوادر أصحاب الشراب والسكارى. ١٤- أكاذيب العرب وغيرهم. ١٥- نوادر المجّان. ١٦- نوادر في الضراط والفساء.

طريقتي في هذه الاختيارات:

لقد أردت من ذكر أجزاء الكتاب وأبوابها أن أقدم للقارئ صورة الكتاب كاملة، كما توخيّت في اختياراتي المحافظة على روح الكتاب وأبوابه كما أوردها المؤلف، وأوردت النصوص المختارة كاملة غير منقطعة عن سياقها كي يفيد منها القارئ ويستأنس بها الباحث، وأضأت النصوص ببعض الشروح والضبط عندما كنت أجد أن النص قد يستغلق على قارئه. واعتمدت في اختياراتي هذه على نسخة صادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب- مركز تحقيق التراث وإن القارئ لهذه النسخة يكتشف الجهود الجليلة التي بذلها محققوا الكتاب في إخراجه من ظلام مكتبات المخطوطات إلى نور الطباعة، فكان عملهم منهجياً علمياً موثقاً يدل على سعة العلم وغزارة الاطلاع.

وبعد فإنني أقدم هذه الاختيارات إلى قراء العربية والناطقين بها والمحبين لنفائس الأدب العربي وذخائره آملاً أن يكون هذا العمل إسهاماً متواضعاً في شد أواصر القربى بين العرب الذين لم يبق لهم من أواصر سوى أصرة اللغة، كما آمل أن أنبه القراء على سفر أدبي جليل وكنز من كنوز الثقافة العربية.

إنني أتقدم بشكري الجزيل إلى كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلى النور. والله ولي التوفيق.

مظهر رشيد الحجّي

حمص ٢٢ ذي الحجة ١٤١٤ هـ

الموافق للأول من حزيران ١٩٩٤م

الباب الأول(*)

(*) الجزء الأول من نثر الدر.



فيه النظائر من القرآن الآيات التي ذكر فيها التقوى، وهي أول ما تفتتح بها العهود، ويصدر بالحث عليها المناشير والشروط:

﴿وَإِيَّيَ فَاتَّقُونِ﴾[1].

﴿واتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾[2].

﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

﴿واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾[5].

﴿وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَأُولِي الأَلْبَٰبِ﴾[6].

---

(1) سورة البقرة: ٤١.

(2) سورة البقرة: ٤٨، ١٢٣.

(3) سورة البقرة: ٦٣.

(4) سورة البقرة: ١٨٩.

(5) سورة البقرة: ١٩٦.

(6) سورة البقرة: ١٩٧. والألباب: العقول.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾[1].

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[2].

* * *

الآيات التي فيها ذكر الصلاة

﴿الذينَ يؤمنونَ بالغيب ويُقيمونَ الصَّلاة ومما رزقناهمْ ينفقون﴾[3].

﴿وأقيموا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاةَ واركعوا معَ الرَّاكعين﴾[4].

﴿واستعينوا بالصَّبرِ والصَّلَوٰةِ وإنَّها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٦. وأخذته العزة بالإثم: حملته على الإثم.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٣.

(٣) سورة البقرة: ٣.

(٤) سورة البقرة: ٤٣.

(٥) سورة البقرة: ٤٥.

﴿وأقيموا الصَّلاة وءاتُوا الزَّكَوٰةَ وما تقدِّموا لأنفسكم منْ خيرٍ تجدوه عندَ اللهِ إنَّ اللهَ بما تعملون بصيرٌ﴾[1].

﴿ياأيُّها الَّذينَ أمنوا استعينوا بالصَّبرِ والصَّلاةِ إنَّ اللهَ مع الصَّابرين﴾[2].

﴿إنَّ الصَّلاةَ كانتْ على المؤمنينَ كتاباً موقوتاً﴾[3].

﴿فويلٌ للمصلِّينَ، الذينَ همْ عن صلاتهمْ ساهونْ﴾[4].

﴿فصلِّ لربِّكَ وانحرْ﴾[5].

* * *

---

(١) سورة البقرة: ١١٠.

(٢) سورة البقرة: ١٥٣.

(٣) سورة النساء: ١٠٣– كتاباً موقوتاً: فرضاً محدود الأوقات.

(٤) سورة الماعون: ٤ – ٥.

(٥) سورة الكوثر: ٢.

التحميدات

﴿الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾[1].

﴿الحمدُ لله الَّذي خلقَ السموات والأرضَ وجعلَ الظلمات والنور ثُمَّ الَّذين كفروا بربهمْ يعدلون﴾[2].

﴿فقُطِعَ دابرُ القومِ الَّذين ظلموا والحمدُ لله ربِّ العالمين﴾[3].

﴿وقالوا الحمدُ لله الَّذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله﴾[4].

﴿وآخرُ دعواهمْ أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾[5].

* * *

---

(١) فاتحة الكتاب: ١.

(٢) سورة الأنعام: ١. ويعدلون: يسوون به غيره من المخلوقات.

(٣) سورة الأنعام: ٤٥. قطع دابر القوم: قطع آخره. كنايه عن فنائهم جميعاً.

(٤) سورة الأعراف: ٤٣.

(٥) سورة يونس: ١٠. دعواهم: دعاؤهم.

آيات فيها ذكر الله تعالى

﴿الَّذي جعلَ لكمْ الأرضَ فراشاً والسَّماءَ بناءً وأنزلَ منَ السماء ماءً فأخرجَ بهِ منَ الثَّمراتِ رزقاً لَّكمْ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[1].

﴿وهوَ الَّذي خلقَ السَّموات والأرضَ بالحقِّ ويومَ يقولُ كُنْ فيكُونُ قولهُ الحقُّ ولهُ الملكُ يومَ يَنْفُخُ في الصُّور علامُ الغيبِ والشَّهادةِ وهوَ الحكيمُ الخبيرُ﴾[2].

﴿وهوَ الَّذي أنزلَ منَ السماءِ ماءً فأخرجنا به نباتَ كلِّ شيءٍ فأخرجنا منه خَضِراً نُّخرجُ منهُ حبَّاً متراكباً ومنَ النَّخلِ من طلعهَا قنْوانٌ دانيةٌ وجنَّاتٍ منْ أعنابٍ والزَّيتونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وغيرَ مُتَشَابه انْظُرُوا إلى ثَمَرِه إذا أثمرَ ويَنْعِهِ، إنَّ في ذَلِكُمْ لأياتٍ لِّقَوْمٍ يؤمنون﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: ٢٢.

(٢) سورة الأنعام: ٧٣.

(٣) سورة الأنعام: ٩٩. القنوان جمع قنو وهو عنقود الثمر.

﴿وهـو الَّذي جعَلَكُمْ خلائـف الأرضِ ورَفَـع بَعْضَكُمْ فـوق بَعْضٍ درَجاتٍ ليَبْلُوَكُمْ في مـآءاتكم إنَّ ربَّك سـريعُ العِقَابِ وإنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحيمٌ﴾[1] .

﴿إنَّ ربَّكمُ اللهُ الَّذي خلَقَ السَّمـواتِ والأرضَ في سـتَّةِ أيَّـامٍ ثُمَّ اسـتـوى على العَرْشِ يُغْشِي الَّيلَ النَّهـار يَطْلُبُهُ حَثِيـثـاً والشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ مسخَّراتٍ بأمرِهِ ألا لهُ الخلقُ والأمرُ تَبارك اللهُ ربُّ العالمين﴾[2] .

﴿وهوَ الَّذي يُرسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بينَ يَديْ رَحْمَتِهِ حتَّى إذا أقلَّتْ سـحاباً ثقـالاً سُقْناهُ لبلدٍ ميِّتٍ فـأنزلنا بهِ مِن كُلِّ الثَّمـراتِ كذلكَ نُخْرِجُ الموتَى لعلَّكم تَذَكَّرون﴾[3] .

* * *

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٥ .

(٢) سورة الأعراف: ٥٤ .

(٣) سورة الأعراف: ٥٧ . «سحاباً ثقالاً»: أي ثقالاً بماء المطر.

الأمثال

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذي استوقدَ ناراً فلمَّا أَضاءتْ ما حَولَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وتَرَكَهُمْ في ظُلُماتٍ لا يُبصِرُونَ﴾[1].

﴿إنَّ اللهَ لا يَستَحيِي أَنْ يَضرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَما فَوْقَهَا﴾[2].

﴿مَثَلُ الَّذينَ يُنفِقُونَ أَموالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضاعِفُ لِمَن يَشَاءُ واللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عليهِ تُرابٌ فأَصابَهُ وابلٌ فتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرونَ عَلى شَيءٍ مِّمَّا كَسَبُوا واللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الكَافِرينَ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: ١٧، والحديث عن المنافقين.

(٢) سورة البقرة: ٢٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٦١، واسع أي يسع جوده كل شيء.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٤، الصفوان: الحجر الأملس. والوابل: المطر الغزير. والصلد: الصلب.

﴿إنَّ مثلَ عِيسَى عندَ اللهِ كَمَثَلِ أدمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لهُ كن فيكونُ﴾[1].

﴿مَثَلُ ما يُنفِقُونَ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا كَمَثَلِ ريحٍ فيها صِرٌّ أصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ فأَهْلَكَتْهُ وما ظَلَمَهُمُ اللهُ ولكنْ أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

﴿إنَّما مَثَلُ الحياةِ الدُّنيا كَمَاءٍ أنزلناهُ مِنَ السَّماءِ فاخْتَلَطَ بهِ نباتُ الأرضِ مِمَّا يأكلُ النَّاسُ والأنْعَامُ حتَّى إذا أخذتِ الأرضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنتْ وظنَّ أهلُهَا أنَّهمْ قادرونَ عليها أتاها أمْرُنا لَيْلاً أوْ نهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لقومٍ يَتَفَكَّرونَ﴾[3].



---

(١) سورة آل عمران: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ١١٧، الصر: البرد الشديد.

(٣) سورة يونس: ٢٤.

الأمرُ بالعدلِ والإحسان

﴿إنَّ اللهَ يأمرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتَاءِ ذِي الْقُرْبى وينْهى عنِ الْفَحْشَاء والمُنْكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تذكَّرون﴾[1].

﴿ياأيُّها الَّذين ءَامَنُوا كُونوا قوَّامينَ بالقِسْطِ شُهَداءَ للهِ ولوْ على أنْفُسكمْ أوِ الْوالِديْنِ والأقْرَبِين﴾[2].

﴿قُلْ أمَرَ ربِّي بالقِسْطِ﴾[3].

﴿ياأيُّها الَّذين آمنوا كُونوا قوَّامينَ للهِ شُهَدَاءَ بالقِسْطِ ولا يَجْرِمنَّكمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على ألا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أقْرَبُ للتَّقْوَى﴾[4].

---

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

(٣) سورة الأعراف: ٢٩. بالقسط: بالعدل.

(٤) سورة المائدة: ٨. «لا يجرمنكم شنآن قوم»: لا يحملكم بغض قوم على الاعتداء عليهم.

﴿وأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بينكمُ اللهُ ربُّنا وربُّكمْ لنا أَعْمَالُنَا ولَكُمْ أعمالُكُمْ لا حُجَّةَ بيننا وبينكُم﴾[1].

﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2].

﴿وأَقْسِطُوا إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِين﴾[3].

* * *

الحُكمُ

﴿إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأمانات إِلى أَهْلِهَا وإذا حَكَمْتُمْ بينَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بالعَدْلِ إنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بهِ إنَّ اللهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[4].

---

(١) سورة الشورى: ١٥.

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

(٣) سورة الحجرات: ٩. «وأقسطوا»: اعدلوا.

(٤) سورة النساء: ٥٨.

﴿وإنْ حَكَمْتَ فَاحكُمْ بينَهُمْ بالقِسْطِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾[1].

﴿ومَن لَّمْ يَحكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾[2].

﴿وَمَن لَّمْ يَحكُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ فأُولئكَ هُمُ الظَّالِمون﴾[3].

﴿وَمَن لَّمْ يَحكُمْ بما أنزلَ اللهُ فأولئكَ هُمُ الفَاسِقُون﴾[4].

﴿وأنِ احكُمْ بينَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ ولا تتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[5].

﴿أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[6].

﴿اللهُ يَحكُمُ بينكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة: ٤٢.

(٢) سورة المائدة: ٤٤.

(٣) سورة المائدة: ٤٥.

(٤) سورة المائدة: ٤٧.

(٥) سورة المائدة: ٤٩.

(٦) سورة المائدة: ٥٠.

(٧) سورة الحج: ٦٩.

﴿ياداوُودُ إنَّا جعَلْناكَ خلِيفَةً في الأرضِ فاحكُمْ بيْنَ النَّاسِ بالحَقِّ ولا تتَّبعِ الهوَى فيُضِلَّكَ عن سبِيلِ اللهِ﴾[1].

* * *

ذكر الموازين

﴿والوَزْنُ يومَئذٍ الحقُّ فمَنْ ثقُلَتْ موازينه فأولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ * ومَنْ خفَّتْ موازِينهُ فأولئكَ الَّذينَ خسِرُوا أنفُسَهُمْ بما كانُوا بآياتِنا يَظْلِمُونَ﴾[2].

﴿قدْ جاءَتكُمْ بيِّنةٌ من ربِّكمْ فأوفُوا الكيْلَ والميزانَ ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشياءَهُمْ ولا تُفسدوا في الأرضِ بعد إصلاحِها ذلكمْ خيرٌ لَّكمْ إن كنتم مؤْمنين﴾[3].

---

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) سورة الأعراف: ٨ - ٩.

(٣) سورة الأعراف: ٨٥.

﴿وياقَوْمِ أَوْفُوا المِكْيَالَ والميـــزانَ بالقِسْطِ ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ولا تَعْثَوْا في الأرضِ مُفْسِدين﴾[1].

﴿وأَوْفُوا الكَيْلَ إذا كِلْتُمْ وزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقِيمِ ذلكَ خيرٌ وأحسنُ تأويلاً﴾[2].

﴿ونَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظلمُ نفسٌ شيئاً وإنْ كانَ مِثْقَالَ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ أتينا بها وكَفَى بنا حَاسِبين﴾[3].

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينه فأولئكَ هُمُ المُفْلِحُون * وَمَنْ خَفَّتْ مَوازينه فأولئكَ الَّذينَ خَسِروا أنفسَهُمْ في جَهَنَّمَ خَالِدُون﴾[4].

* * *

(١) سورة هود: ٨٥. بالقسط: بالعدل.

(٢) سورة الإسراء: ٣٥.

(٣) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٤) سورة المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣.

التّكليف

﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وعلَيها ما اكْتَسَبَتْ﴾[1].

﴿لا نُكلِّفُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها وإذا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا﴾[2].

﴿ولا نُكلِّفُ نَفْساً إلا وُسْعَها ولَدَينا كِتابٌ يَنْطِقُ بالحقِّ وهمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[3].

﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ ما آتاها سيَجْعَلُ اللهُ بعدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾[4].

* * *

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٣) سورة المؤمنون: ٦٢.

(٤) سورة الطلاق: ٧.

التحذير من الظلم

﴿والله لا يُحب الظالمين﴾[1].

﴿فَمَنْ عفا وأصلح فأجره على الله إنَّه لا يُحب الظالمين﴾[2].

﴿وما للظالمين من أنصار﴾[3].

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾[4].

﴿وما للظالمين من نصير﴾[5].

﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: ٥٧، ١٤٠.

(٢) سورة الشورى: ٤٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٠، وآل عمران: ١٩٢، والمائدة: ٧٢.

(٤) سورة هود: ١١٣، والركون: هو الميل اليسير.

(٥) سورة الحج: ٧١.

(٦) سورة الروم: ٢٩.

﴿والظَّالمونَ مالهم مِنْ وَلِيٍّ ولا نَصيرٍ﴾[1].

﴿واللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الظَّالمين﴾[2].

﴿إنَّهُ لا يُفلِحُ الظَّالمون﴾[3].

﴿فانظرْ كيْفَ كانَ عاقبَةُ الظَّالمين﴾[4].

﴿وسيَعْلَمُ الَّذين ظَلَمُوا أيَّ مُنقلَبٍ ينْقَلبون﴾[5].

﴿فتلكَ بيوتهمْ خاوِيَةً بما ظَلَمُوا إنَّ في ذلكَ لآيةً لقومٍ يَعْلَمون﴾[6].

﴿فكانَ عاقِبَتَهُمَا أنَّهما في النَّارِ خَالدين فيها وذلكَ جزاؤُ الظَّالمين﴾[7].

* * *

---

(١) سورة الشورى: ٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٨، وآل عمران: ٨٦ والتوبة: ١٩ و١٠٩، والصف: ٧، والجمعة: ٥.

(٣) سورة الأنعام: ٢١ و١٣٥، ويوسف: ٢٣، والقصص: ٣٧.

(٤) سورة يونس: ٣٩، والقصص: ٤٠.

(٥) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٦) سورة النمل: ٥٢.

(٧) سورة الحشر: ١٧ - وعاقبتهما أي عاقبة الشيطان والإنسان الضال.

الجهاد

﴿فَقَاتِلْ في سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إلا نَفْسَكَ وحَرِّضِ المؤمنينَ عسى اللهُ أنْ يَكُفَّ بأسَ الَّذين كَفَرُوا واللهُ أشدُّ بأساً وأشَدُّ تنكيلاً﴾[1].

﴿ياأيُّها الذينَ آمنوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فاثْبتوا واذكروا اللهَ كثيراً لَعلَّكُمْ تفلحُونَ * وأَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ ولا تنَازَعُوا فتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحكُمْ واصبِروا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرين﴾[2].

﴿ولولا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأرضُ ولكنَّ اللهَ ذو فَضْلٍ على العالمين﴾[3].

﴿أُذِنَ للَّذين يُقَاتِلُونَ بأنَّهم ظُلِمُوا وإنَّ اللهَ على نَصْرِهِمْ لَقَدير﴾[4].

﴿ياأيُّها الَّذينَ ءَامَنُوا إذا لَقِيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زَحفاً فلا

---

(١) سورة النساء: ٨٤.

(٢) سورة الأنفال: ٤٥، ٤٦. «وتذهب ريحكم»: تذهب دولتكم.

(٣) سورة البقرة: ٢٥١.

(٤) سورة الحج: ٣٩.

تُوَلُّوهُمُ الأدْبارَ * ومن يُوَلِّهِمْ يومئذٍ دبره إلا متحرِّفاً لِّقتالٍ أو متحيِّزاً إلى فئةٍ فقد باءَ بغضبٍ من الله ومأواه جهنَّمُ وبئس المصير * فلمْ تقتلوهمْ ولكنَّ الله قتَلَهُمْ وما رَمَيْتَ إذْ رميتَ ولكنَّ الله رَمَى وليُبْلِيَ المؤمنينَ منه بلاءً حسناً إنَّ الله سميعٌ عليمٌ * ذلكُمْ وأنَّ الله موهنُ كيْدِ الكافرين﴾[1].

﴿وقاتلوهُمْ حتَّى لا تكونَ فتْنَةٌ ويكونَ الدِّينُ لله فإنِ انتهوا فلا عُدْوانَ إلا على الظَّالمين﴾[2].

﴿وقاتلوهُمْ حتَّى لا تكونَ فتْنَةٌ ويكونَ الدِّين كُلُّهُ لله فإنِ انتهوا فإنَّ الله بما يعملونَ بَصيرٌ * وإن تولَّوْا فاعْلَمُوا أنَّ الله مَوْلاكُمْ نِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصير﴾[3].

﴿فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ في الحَرْبِ فشرِّدْ بهم مَّنْ خَلْفَهِمْ لعلَّهمْ يذَّكَّرون﴾[4].

* * *

---

(١) سورة الأنفال: ١٥-١٨ والآيات في غزوة بدر. «فلا تولوهم الأدبار»: أي لا تفروا من القتال.

(٢) سورة البقرة: ١٩٣.

(٣) سورة الأنفال: ٣٩، ٤٠.

(٤) سورة الأنفال: ٥٧- وثقف: لقي.

الصبر

﴿استَعِينُوا بالصبرِ والصَّلاةِ إنَّ اللهَ معَ الصَّابرين﴾[1].

﴿وإنْ تَصبِروا وَتتَّقُوا لا يضركُم كَيْدُهُمْ شيئاً إنَّ اللهَ بما يعملونَ مُحيطٌ﴾[2].

﴿واللهُ يُحبُّ الصَّابرين﴾[3].

﴿ياأيُّها الَّذين آمنوا اصبِروا وصابِرُوا ورابِطُوا واتَّقوا اللهَ لعلَّكمْ تُفْلِحُون﴾[4].

﴿إنَّما يُوَفَّى الصَّابرونَ أجْرَهُمْ بغيرِ حِسَابٍ﴾[5].

﴿فاصبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ واستغفرْ لذَنْبِك﴾[6].

---

(١) سورة البقرة ١٥٣ .

(٢) سورة آل عمران: ١٢٠، محيط: عارف لكل أعمالهم.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٦ .

(٤) سورة آل عمران: ٢٠٠ .

(٥) سورة الزمر: ١٠ .

(٦) سورة غافر: ٥٥ .

﴿ومــا يُلقَّاها إلا الَّذين صَبَرُوا ومــا يُلقَّاهـا إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1].

﴿ولَمَنْ صبَرَ وغفر إنَّ ذلك لَمِنْ عَزْمِ الأمورِ﴾[2].

﴿فاصبرْ كما صبرَ أولوا العزمِ من الرُّسلِ ولا تَسْتَعْجِل لَهم﴾[3].

* * *

النصر

﴿حتَّى يقولَ الرَّسولُ والَّذينَ آمنوا معهُ متى نَصْرُ اللهِ ألا إنَّ نَصْرَ اللهِ قريبٌ﴾[4].

﴿وانْصُرْنا على القَومِ الكَافِرين﴾[5].

---

(١) سورة فصلت: ٣٥.

(٢) سورة الشورى: ٤٣ وعزم الأمور: الأمور المطلوبة شرعاً.

(٣) سورة الأحقاب: ٣٥.

(٤) سورة البقرة: ٢١٤.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٠، وآل عمران: ٤٧.

﴿والله يؤيِّدُ بنصره من يشاءُ﴾[1].

﴿لتُؤمِنُنَّ به ولَتَنصُرُنَّه﴾[2].

﴿ولقدْ نصركمُ اللهُ ببدرٍ وأنتمْ أذلَّةٌ﴾[3].

﴿وما النَّصرُ إلا منْ عندِ اللهِ العزيزِ الحكيمِ﴾[4].

﴿بلِ اللهُ مولاكمْ وهوَ خيرُ النَّاصرين﴾[5].

﴿إنْ ينصُرْكُمُ اللهُ فلا غالبَ لكمْ وإنْ يَخذُلْكُمْ فَمَنْ ذا الَّذي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بعدهِ وعلى اللهِ فليتوكَّلِ المؤمنون﴾[6].

﴿وما النَّصرُ إلا منْ عندِ اللهِ إنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ﴾[7].

* * *

---

(١) سورة آل عمران: ١٣.

(٢) سورة آل عمران: ٨١.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٢٦.

(٥) سورة آل عمران: ١٥٠.

(٦) سورة آل عمران: ١٦٠.

(٧) سورة الأنفال: ١٠.

الصَّدَقات

﴿خُذْ من أموالهم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتزكِّيهم بها وصَلِّ عليهم إنَّ صلَوٰتَكَ سكنٌ لَّهمْ واللهُ سميعٌ عليمٌ﴾[1].

﴿إنَّما الصَّدَقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملينَ عليها والمؤلَّفَةِ قلوبُهُمْ وفي الرِّقابِ والغارمينَ وفي سَبِيلِ اللهِ وابنِ السَّبيلِ فَرِيضَةً منَ اللهِ واللهُ عليمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

﴿إنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هي وإنْ تُخْفُوها وتُؤتوها الفقراءَ فهو خيرٌ لَّكمْ ويكفِّرُ عنكم مِنْ سيِّئاتكمْ﴾[3].

﴿إنَّ المُصَّدِّقِينَ والمُصَّدِّقاتِ وأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفُ لَهُمْ﴾[4].

* * *

---

(1) سورة التوبة: ١٠٣.

(2) سورة التوبة: ٦٠ وهي آية مصارف الزكاة.

(3) سورة البقرة: ٢٧١.

(4) سورة الحديد: ١٨.

النفقـات

﴿ياأيُّهـا الَّذين ءَامَنُوا أنفـقـوا ممَّا رزقناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يأتِيَ يومٌ لا بَيْعٌ فيهِ ولا خُلَّةٌ ولا شفَاعَةٌ﴾[1].

﴿وما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فهو يُخْلِفُهُ وهو خيْرُ الرَّازقين﴾[2].

﴿مَّثَلُ الَّذين يَنْفِقُونَ أمـوالَهُمْ في سـبـيلِ الله كَمَثَلِ حـبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابلَ في كلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائةُ حبَّةٍ﴾[3].

﴿وَمَثَلُ الَّذين يَنْفِقُونَ أموالَهُمُ ابْتغاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وتثـبيتـاً من أنفسهمْ كمثلِ جنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أصابَها وَابِلٌ﴾[4].

﴿الَّذين يُنْفِقُونَ أموالَهم باللَّيلِ والنَّهـارِ سراً وعـلانيةً فلهمْ أجْرُهُمْ عندَ ربِّهِمْ ولا خوفٌ عليهمْ ولا هَمْ يَحْزَنُونَ﴾[5].

* * *

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٤ الخلة: المودة.

(٢) سورة سبأ: ٣٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٦١.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٥. الوابل: المطر الشديد.

(٥) سورة البقرة: ٢٧٤.

العفـــو

﴿فاعفُوا واصفَحُوا حتَّى يأتيَ اللهُ بأمرهِ﴾[1].

﴿وأَن تَعفُوا أقربُ للتَّقوى ولا تَنسَوا الفَضلَ بينكم﴾[2].

﴿ثمَّ عفَونا عنكم مِن بعدِ ذلكَ لعلَّكم تشكرون﴾[3].

﴿فَمَن عُفيَ لهُ من أخيهِ شيءٌ فاتِّباعٌ بالمعروفِ وأداءٌ إليهِ بإحسانٍ﴾[4].

﴿والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحبُّ المُحسنين﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٧.

(٣) سورة البقرة: ٥٢.

(٤) سورة البقرة: ١٧٨، والعفو في الآية هو الرضا بالدية بدلاً من القصاص بالقتل.

(٥) سورة آل عمران: ١٣٤. كظم الرجل غيظه: أمسكه وحبسه صافحاً أو مغيظاً.

﴿ولقدْ عفا عنكمْ واللهُ ذو فَضْلٍ على المؤمنين﴾[1].

﴿ولقدْ عفَا اللهُ عنهمْ إنَّ اللهَ غفورٌ حليمٌ﴾[2].

﴿وجزاؤاْ سَيِّئَةٍ سيئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عفَا وأَصْلَحَ فأجرهُ على اللهِ﴾[3].

﴿إنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[4].

﴿وإنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِروا فإنَّ اللهَ غفورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

* * *

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٥ والحديث عمن فر من المسلمين في أحد.

(٣) سورة الشورى: ٤٠.

(٤) سورة الحج: ٦٠.

(٥) سورة التغابن: ١٤.

ذكر العهود والمواثيق والأيمان

﴿إنَّ الَّذين يُبايعونك إنَّما يُبايعُونَ اللهَ يدُ اللهِ فوقَ أيديهِمْ فَمَنْ نَكثَ فإنَّما ينكُثُ على نفْسهِ ومنْ أوْفَى بما عاهدَ عليهُ اللهَ فسيُؤتيهِ أجْراً عَظيماً﴾ (١).

﴿الَّذين ينقُضُونَ عهْدَ اللهِ من بعْدِ ميثاقهِ ويقطَعُونَ ما أمرَ اللهُ بهِ أنْ يُوصَلَ ويُفْسِدونَ في الأرضِ أولئكَ همُ الخاسرون﴾ (٢).

﴿اذكُروا نعْمَتِي الَّتي أنعمتُ عليكمْ وأوفُوا بِعَهْدِي أوفِ بِعَهْدِكُمْ وإيَّايَ فارْهَبُونِ﴾ (٣).

﴿أتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أمْ تقولونَ على اللهِ مالا تعلمون﴾ (٤).

﴿ومَنْ أوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ (٥).

---

(١) سورة الفتح: ١٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٧، وميثاقه: إحكامه وتقويته.

(٣) سورة البقرة: ٤٠.

(٤) سورة البقرة: ٨٠.

(٥) سورة التوبة: ١١١.

﴿أَوَكُلَّما عاهدوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ منهمْ بل أَكْثَرُهُمْ لا يُؤمنونَ﴾[1].

* * *

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿أتأمرونَ النَّاسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أنفسكمْ وأنتمْ تتلونَ الكتابَ أفلا تَعْقِلُونَ﴾[2].

﴿ولْتَكُنْ منكمْ أمةٌ يدعونَ إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينْهَوْنَ عنِ المنكرِ وأولئكَ همُ المفلحون﴾[3].

﴿كُنْتُمْ خيْرَ أمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تأمرونَ بالمعروفِ وتَنْهَوْنَ عن المنكَرِ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٤) سورة آل عمران: ١١٠.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1] .

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2] .

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[3] .

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾[4] .

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[5] .

* * *

---

(١) سورة المائدة: ٦٣– لولا: للحث. الربانيون: أئمة اليهود. السحت: الرشوة.

(٢) سورة المائدة: ٧٨– ٧٩.

(٣) سورة الأعراف: ١٦٥ .

(٤) سورة الطلاق: ٦ .

(٥) سورة الأعراف: ١٥٧ .

ذكر الفساد والمفسدين

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنَّما نحن مُصلحون * ألا إنَّهم هم المُفسدون ولكن لا يشعرون﴾[1].

﴿كُلوا واشربوا من رِزْقِ اللهِ ولا تَعْثَوْا في الأرضِ مُفسدين﴾[2].

﴿وإذا تولَّى سعى في الأرضِ ليُفسدَ فيها ويُهلكَ الحرثَ والنَّسلَ واللهُ لا يُحبُّ الفسادَ﴾[3].

﴿واللهُ يعلمُ المُفسدَ من المُصلحِ ولو شاءَ اللهُ لأعنتكم إنَّ اللهَ عزيزٌ حكيم﴾[4].

﴿فإن تولَّوا فإنَّ اللهَ عليمٌ بالمُفسدين﴾[5].

﴿ويسعونَ في الأرضِ فساداً واللهُ لا يُحبُّ المُفسدين﴾[6].

* * *

---

(١) سورة البقرة: ١١-١٢.

(٢) سورة البقرة: ٦٠، العيث: الفساد.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٠ - العنت: المشقة.

(٥) سورة آل عمران: ٦٣.

(٦) سورة المائدة: ٦٤.

ذِكْرُ الشُّكْرِ والشاكرين

﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانتاً لله حَنيفاً ولمْ يَكُ منَ المُشركينَ * شاكراً لأنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وهداهُ إلى صِراطٍ مُسْتقيمٍ﴾[1].

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مع نُوحٍ إنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً﴾[2].

﴿نِعْمَةً منْ عندنا كذلك نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾[3].

﴿إنَّ هذا كانَ لكمْ جزاءً وكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[4].

﴿أَوْزِعْنِي أنْ أشكرَ نِعْمَتَكَ الَّتي أَنْعَمْتَ عليَّ وعلى والِدَيَّ﴾[5].

﴿اعْمَلُوا آلَ داودَ شُكْراً وقليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾[6].

---

(١) سورة النحل: ١٢٠ - ١٢١. الحنيف: المائل عن العقائد الضالة.

(٢) سورة الإسراء: ٣.

(٣) سورة القمر: ٣٥.

(٤) سورة الإنسان: ٢٢.

(٥) سورة النمل: ٩١ والأحقاف: ١٥. «أوزعني»: الوزع: المنع. أي امنعني أن أشكر شيئاً إلا نعمتك.

(٦) سورة سبأ: ١٣.

﴿أليسَ اللهُ بأعلمَ بالشَّاكرين﴾[1] .

﴿والبلدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نباتهُ بإذنِ ربِّهِ والَّذي خبُثَ لا يخرجُ إلا نَكِداً كذلك نُصرِّفُ الأياتِ لقومٍ يشكرون﴾[2] .

﴿إنَّ في ذلك لأياتٍ لكلِّ صبَّارٍ شكُورٍ﴾[3] .

﴿إنَّا هديناهُ السَّبيلَ إمَّا شاكراً وإمَّا كفُورا﴾[4] .

* * *

ذكر الأمانة

﴿إنَّ الله يأمركمْ أن تُؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلها﴾[5] .

﴿فإنْ أمِنَ بعضكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ﴾[6] .

---

(١) سورة الأنعام: ٥٣ .

(٢) سورة الأعراف: ٥٨ .

(٣) سورة إبراهيم: ٥. ولقمان: ٣١. وسبأ: ٩١. والشورى: ٣٣.

(٤) سورة الإنسان: ٣.

(٥) سورة النساء: ٥٨ .

(٦) سورة البقرة: ٢٨٣ .

﴿والَّذينَ همْ لأماناتِهِمْ وعَهْدِهِمْ راعُونَ﴾[1].

﴿إنّا عرَضْنا الأمانةَ على السَّمواتِ والأرضِ والجبالِ فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ منها وحَمَلَها الإنسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهولاً﴾[2].

﴿ومِنْ أهْلِ الكِتابِ مَنْ إنْ تأمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤدِّهِ إليكَ ومنهم منْ إنْ تأمَنْهُ بدينارٍ لا يُؤدِّهِ إليكَ إلا ما دُمْتَ عليهِ قائماً﴾[3].

* * *

ذكر الخيانة

﴿لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونوا أمـــانـاتِكُمْ وأنتمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) سورة المؤمنون: ٨، والمعارج: ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٣) سورة آل عمران: ٧٥.

(٤) سورة الأنفال: ٢٧.

﴿إنَّا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ لتحكُمَ بينَ النَّاسِ بما أَراكَ اللهُ ولا تَكُنْ للخائنينَ خَصيماً﴾[1] .

﴿إنَّ اللهَ لا يُحبُّ مَنْ كانَ خوَّاناً أثيماً﴾[2] .

﴿وإمَّا تخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خيانَةً فانْبُذْ إليهمْ على سواءٍ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخائنين﴾[3] .

﴿ذلك لِيَعْلَمَ أنِّي لمْ أَخُنْهُ بالغيْبِ وأنَّ اللهَ لا يَهْدِي كيدَ الخائنين﴾[4] .

﴿إنَّ اللهَ يُدافعُ عنِ الَّذينَ آمنوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كلَّ خوَّانٍ كَفُورٍ﴾[5] .

* * *

---

(١) سورة النساء : ١٠٥ – خصيماً : مدافعاً عنهم .

(٢) سورة النساء : ١٠٧ .

(٣) سورة الأنفال : ٥٨ .

(٤) سورة يوسف : ٥٢ .

(٥) سورة الحج : ٣٨ .

ذكر الموالاة والأولياء

﴿الَّذينَ يَتَّخِذونَ الكَافِرينَ أَوليَاءَ مِن دُونِ المؤمنينَ أَيَبتَغُونَ عندهمُ العِزَّةَ فإنَّ العِزَّةَ لله جَميعاً﴾[1] .

﴿ياأيُّها الَّذينَ ءَامنُوا لا تَتَّخذُوا اليهودَ والنَّصارى أولياءَ بَعْضُهم أولياءُ بعضٍ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ منكمْ فإنَّهُ مِنهمْ إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالمين﴾[2] .

﴿إنَّما وليُّكمُ اللهُ وَرَسُولهُ والَّذينَ أمنوا الَّذينَ يقيمونَ الصَّلاةَ ويُؤتونَ الزَّكاةَ وهمْ راكِعُون * ومَنْ يَتَولَّ اللهَ ورسُولهُ والَّذينَ ءَامنُوا فإنَّ حِزْبَ اللهِ همُ الغالبونَ * ياأيُّها الَّذينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذينَ اتَّخَذُوا دينَكُمْ هزُواً ولَعِباً مِنَ الَّذينَ أوتوا الكتابَ من قَبْلِكُمْ والكُفَّارَ أولياءَ واتَّقوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمنين﴾[3] .

﴿تَرَى كثيراً منهمْ يتولَّونَ الَّذينَ كفَروا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ

---

(١) سورة النساء: ١٣٩ .

(٢) سورة المائدة: ٥١ .

(٣) سورة المائدة: ٥٥- ٥٧ . يتولى الله: يتخذه ولياً.

لهمْ أنفُسُهُمْ أنْ سَخِطَ اللهُ عليهمْ وفي العذابِ هُمْ خالدونَ * ولوْ كانوا يُؤْمِنُونَ باللهِ والنَّبيِّ وما أُنزلَ إليهِ ما اتَّخذوهمْ أولياءَ ولكنَّ كثيراً منهمْ فاسِقُونَ﴾[1].

﴿إنَّا جعَلْنا الشَّياطينَ أولياءَ للَّذينَ لا يُؤمنونَ﴾[2].

﴿إنَّ وليِّيَ اللهُ الَّذي نزَّلَ الكتابَ وهوَ يتولَّى الصَّالحين﴾[3].

* * *

ذكر التوبة

﴿إلا الَّذينَ تابوا من قبل أنْ تَقْدِرُوا عليهمْ فاعْلَمُوا أنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: ٨٠، ٨١.

(٢) سورة الأعراف: ٢٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٤) سورة المائدة: ٣٤.

﴿ليس لَكَ مِنَ الأمرِ شيءٌ أو يتوبَ عليهم أو يُعذِّبَهُم فإنَّهم ظالمون﴾[1] .

﴿إنَّما التَّوبةُ على الله للَّذين يَعمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالةٍ ثُمَّ يتوبونَ من قريبٍ فأولئك يتوبُ اللهُ عليهم وكان اللهُ عليماً حكيماً * ولَيْسَتِ التَّوبةُ للَّذين يَعمَلُونَ السيِّئاتِ حتَّى إذا حضرَ أحَدَهُمُ الموتُ قالَ إنِّي تُبتُ الآنَ ولا الذين يموتونَ وهم كفَّارٌ أولئكَ أعتَدْنا لَهُمْ عذاباً أليماً﴾[2] .

﴿فَإنْ تُبْتُمْ فهوَ خيرٌ لَكُمْ وإنْ تولَّيتُمْ فاعلَمُوا أنَّكُمْ غيرُ مُعْجِزِي اللهِ﴾[3] .

﴿فإنْ تابوا وأقاموا الصَّلاةَ وءاتَوُا الزَّكاةَ فخلُّوا سبيلهمْ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾[4] .

﴿ثُمَّ يتوبُ اللهُ مِنْ بعدِ ذلكَ على مَنْ يَشَاءُ واللهُ غفورٌ رَحِيمٌ﴾[5] .

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٨ .

(٢) سورة النساء: ١٧ ، ١٨ .

(٣) سورة التوبة: ٣ .

(٤) سورة التوبة: ٥ .

(٥) سورة التوبة: ٢٧ .

﴿ألم يَعْلَمُوا أنَّ الله هو يَقبلُ التَّوبةَ عنْ عِبَادهِ ويأخذُ الصَّدقاتِ وأنَّ الله هوَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ﴾[1].

* * *

ذكر الاستكبار

﴿ادْخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ خالدينَ فيها فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكبِّرين﴾[2].

﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادتهِ ويَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إليهِ جَمِيعاً﴾[3].

﴿إلاّ إبليسَ أبَى واسْتكبرَ وكانَ منَ الكافرين﴾[4].

﴿فاسْتَكْبَرُوا وكانوا قَوْماً عالِين﴾[5].

---

(١) سورة التوبة: ١٠٤.

(٢) سورة الزمر: ٧٢.

(٣) سورة النساء: ١٧٢.

(٤) سورة البقرة: ٣٤.

(٥) سورة المؤمنون: ٤٦.

﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون * مستكبرين به سامراً تهجرون﴾[1].

﴿فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾[2].

﴿وإذا تتلى عليه ءاياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم﴾[3].

﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[4].

﴿وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾[5].

﴿استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾[6].

* * *

(١) سورة المؤمنون: ٦٦- ٦٧ . وتهجرون: تفحشون في القول.

(٢) سورة العنكبوت: ٣٩ . سابقين: مفلتين من العذاب.

(٣) سورة لقمان: ٧ . الوقر: ثقل السمع.

(٤) سورة لقمان: ١٨ .

(٥) سورة السجدة: ١٥ .

(٦) سورة فاطر: ٤٣ . يحيق: يحيط وينزل.

ذِكْرُ البَغْي

﴿وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون﴾[1].

﴿والَّذينَ إذا أصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ ينتصرون﴾[2].

﴿ثُمَّ بُغِيَ عليهِ لينصرنَّهُ اللهُ إنَّ اللهَ لعفوٌّ غفورٌ﴾[3].

﴿فأتْبَعَهُمْ فِرْعَونُ وجنودُهُ بَغْياً وَعَدْواً﴾[4].

﴿إنَّ قارونَ كانَ من قومِ مُوسَى فَبَغَى عليهِمْ﴾[5].

﴿ولو بَسَطَ اللهُ الرزقَ لعبادِهِ لَبَغَوْا في الأرضِ﴾[6].

* * *

---

(١) سورة النحل: ٩٠. البغي: العدوان.

(٢) سورة الشورى: ٣٩.

(٣) سورة الحج: ٦٠.

(٤) سورة يونس: ٩٠.

(٥) سورة القصص: ٧٦.

(٦) سورة الشورى: ٢٧.

ذكر الوعد

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهلكنا المُسْرِفِين﴾[1].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعذابِ ولَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾[2].

﴿وَعْدَ اللهِ لا يُخلفُ اللهُ وَعْدَهُ ولكنَّ أكثرَ النَّاس لا يعلمون﴾[3].

﴿كان وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾[4].

﴿سُبحَانَ رَبِّنا إنْ كانَ وعدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً﴾[5].

﴿إنَّما تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾[6].

---

(١) سورة الأنبياء : ٩ .

(٢) سورة الحج : ٤٧ .

(٣) سورة الروم : ٦ .

(٤) سورة المزمل : ١٨ .

(٥) سورة الإسراء : ١٠٨ .

(٦) سورة الذاريات : ٥ .

﴿فاصبِرْ إنَّ وعدَ الله حَقٌّ ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذينَ لا يُوقنون﴾[1].

﴿فاصبِرْ إنَّ وعدَ الله حقٌّ واستَغْفِرْ لذنبك﴾[2].

﴿وَعْدَ الصِّدقِ الَّذي كانوا يوعدون﴾[3].

﴿ويْلَكَ ءامِنْ إنَّ وَعْدَ الله حقٌّ﴾[4].

﴿فإذا جاء وَعْدُ ربِّي جعله دكَّاءَ وكانَ وعدُ ربِّي حقّاً﴾[5].

﴿فَرَدَدْناهُ إلى أمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عينُها ولا تَحْزَنَ ولِتَعْلَمَ أنَّ وعدَ الله حقٌّ﴾[6].

* * *

---

(١) سورة الروم: ٦٠، لا يستخفنك: لا يبعثك على الهم والقلق.

(٢) سورة غافر: ٥٥.

(٣) سورة الأحقاف: ١٦.

(٤) سورة الأحقاف: ١٧.

(٥) سورة الكهف: ٩٨.

(٦) سورة القصص: ١٣.

ذكر التوكُّل

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عليهِ يتوكَّلُ المتوكِّلون﴾[1].

﴿ولا تُطِعِ الكافرين والمنافقينَ ودَعْ أذاهمْ وتوكَّلْ على اللهِ وكفى باللهِ وكيلاً﴾[2].

﴿إن كنتمْ ءامَنْتُمْ باللهِ فعَلَيْهِ تَوَكَّلوا إنْ كُنْتُمْ مُّسلمينَ * فقالوا على اللهِ توكَّلنا ربَّنا لا تجعلنا فتنةً للقومِ الظَّالمين﴾[3].

﴿ربَّنا عليكَ توكَّلنا وإليكَ أنبنا وإليكَ المصيرْ﴾[4].

﴿اللهُ لا إلهَ إلا هوَ وعلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون﴾[5].

﴿قلْ هوَ الرَّحمنُ ءامنَّا بهِ وعليهِ توكَّلنا فستعلمونَ منْ هوَ في ضلالٍ مُّبينٍ﴾[6].

---

(١) سورة الزمر: ٣٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٨.

(٣) سورة يونس: ٨٤، ٨٥. «لا تجعلنا فتنة» أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

(٤) سورة الممتحنة: ٤.

(٥) سورة التغابن: ١٣.

(٦) سورة الملك: ٢٩.

﴿ربُّ المشرقِ والمغربِ لا إلهَ إلا هوَ فاتَّخذْهُ وكيلاً﴾[1]

* * *

ذكر الشهادة والاستشهاد

﴿واستَشْهِدُوا شَهيدَيْنِ من رِّجالكمْ فإن لَّمْ يكونا رَجُلَين فَرَجُلٌ وامْرَأَتانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ من الشُّهَداءِ أنْ تَضِلَّ إحداهما فتذكِّرَ إحداهُما الأُخرى ولا يأبَ الشُّهداءُ إذا ما دُعُوا﴾[2].

﴿ولا تَكتُمُوا الشَّهادةَ ومَنْ يَكتُمُها فإنَّهُ ءَاثِمٌ قلبهُ﴾[3].

﴿وأقيموا الشَّهادةَ للهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ به مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ﴾[4].

﴿ياأيُّها الَّذينَ أمنوا شهادةُ بَيْنِكُمْ إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموتُ

---

(١) سورة المزمل: ٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٣.

(٤) سورة الطلاق: ٢.

حينَ الوصيةَّ اثنان ذوا عدلٍ منكمْ أو ءاَخرَانِ منْ غيركمْ إنْ أنتمْ ضرَبْتُمْ في الأرضِ فأصابتْكُمْ مُّصيبةُ الموت تَحْبِسُونَهُما من بعدِ الصلاة فيُقْسمان بالله إن ارتَبْتُمْ لا نَشْتَري به ثمناً ولو كان ذا قُربى ولا نَكْتُمُ شهَادَةَ الله إنَّا إذاً لَّمن الأثمينَ * فإنْ عثُرَ على أنَّهما استَحَقَّا إثماً فئَاخرَانِ يقومان مقَامَهُما منَ الَّذين استَحَقَّ عليهمُ الأوليانِ فيُقسمانِ بالله لَشَهادتُنا أحقُّ من شَهادتهما وما اعتَدَيْنا إنَّا إذاً لَّمنَ الظَّالمينَ * ذلك أدْنَى أنْ يأتوا بالشَّهادة على وجْهِها﴾[1].

* * *

ذكر الظَّن

﴿اجتَنبُوا كثيراً منَ الظَّنِ إنَّ بعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ﴾[2].

﴿وتظنُّونَ باللهِ الظُّنونا﴾[3].

---

(١) سورة المائدة: ١٠٦-١٠٨.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

(٣) سورة الأحزاب: ١٠. وردت في غزوة الخندق.

﴿وما خلقنا السَّماءَ والأرضَ وما بينهما باطلاً ذلكَ ظنُّ الَّذينَ كفروا﴾[1].

﴿إنْ يتَّبعونَ إلا الظَّنَّ وإنَّ الظَّنَّ لا يُغني مِنَ الحقِّ شَيئاً﴾[2].

* * *

ذكر التثبُّت

﴿ولولا أَنْ ثبَّتناكَ لقدْ كِدْتَّ تَرْكُنُ إليهمْ شيئاً قليلاً﴾[3].

﴿إذا ضَرَبْتُمْ في سبيلِ الله فَتَبَيَّنوا ولا تقولوا لِمَنْ أَلْقَى إليكمُ السَّلامَ لَسْتَ مؤْمناً تبْتَغُونَ عَرَضَ الحياةِ الدُّنيا فعندَ الله مَغانِمُ كثيرةٌ كذلكَ كنتم مِّن قبلُ فَمَنَّ اللهُ عليكمْ فتبيَّنوا إنَّ اللهَ كان بما تعملونَ خبيراً﴾[4].

---

(١) سورة ص: ٢٧.

(٢) سورة النجم: ٢٨.

(٣) سورة الإسراء: ٧٤.

(٤) سورة النساء: ٩٤.

﴿ليُثبِّتَ الَّذينَ ءامَنُوا وهُدىً وبُشرى للمُسْلِمين﴾[1].

* * *

ذكرُ السمع والطاعة

﴿ياأيُّها الَّذينَ ءامَنُوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسولَ وأُولي الأمْرِ منكُمْ﴾[2].

﴿واسْمَعُوا وأطِيعُوا وأنْفِقُوا خيْراً لأنفسكمْ﴾[3].

﴿إنَّما كانَ قولَ المؤمنينَ إذا دُعُوا إلى اللهِ ورسولِه ليحكمَ بينهمْ أنْ يقولوا سَمِعْنا وأطَعْنا وأولئكَ همُ المفلحون﴾[4].

﴿فاتَّقوا اللهَ ما استَطَعْتُمْ واسْمَعُوا وأطِيعُوا﴾[5].

---

(١) سورة النحل: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) سورة التغابن: ١٦.

(٤) سورة النور: ٥١.

(٥) سورة التغابن: ١٦.

﴿فاتَّقوا اللهَ وأَطِيعُونِ * ولا تُطيعوا أمرَ المُسْرِفين﴾[1].

﴿ولا تُطعْ كلَّ حلّافٍ مَّهين﴾[2].

* * *

ذكر الصلح

﴿فَمَنْ خافَ مِنْ مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فأَصْلَحَ بينهمْ فلا إِثْمَ عليهِ إِنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾[3].

﴿أَنْ تَبَرُّوا وتَتَّقُوا وتُصْلِحُوا بينَ النَّاسِ واللهُ سَمِيعٌ عليمٌ﴾[4].

﴿فاتَّقوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ﴾[5].

---

(١) سورة الشعراء: ١٥٠، ١٥١.

(٢) سورة القلم: ١٠.

(٣) سورة البقرة: ١٨٢. والجنف: الميل عن الحق.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٤.

(٥) سورة الأنفال: ١.

﴿وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً﴾[1].

﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾[2].

﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير﴾[3].

* * *

ذكر الاعتصام والعصمة

﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾[4].

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) سورة النساء: ٣٥.

(٣) سورة النساء: ١٢٨. النشوز: إساءة العشرة.

(٤) سورة آل عمران: ١٠١.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٣.

﴿إلا الَّذينَ تابوا وأَصْلَحُوا واعْتَصَمُوا باللهِ﴾[1].

﴿واعْتَصِمُوا باللهِ هوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصيرْ﴾[2].

﴿فأمَّا الَّذينَ ءَامَنُوا باللهِ واعْتَصِمُوا به فسيُدْخِلُهُمْ في رَحْمَةٍ مِّنه﴾[3].

﴿واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القومَ الكافرين﴾[4].

﴿يومَ تُولُّونَ مُدْبِرينَ ما لَكُمْ مِنَ الله منْ عاصمٍ﴾[5].

* * *

---

(١) سورة النساء: ١٤٦.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

(٣) سورة النساء: ١٧٥.

(٤) سورة المائدة: ٦٧.

(٥) سورة غافر: ٣٣.

ذِكْرُ بيت الله الحرام والحجّ

﴿فولِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ وحيثُ ما كنتمْ فولُّوا وجوهَكُمْ شطره﴾[1].

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فولِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحرامِ﴾[2].

﴿إنَّ الصفَا والمَرْوَةَ مِنْ شَعَائرِ الله فَمَنْ حجَّ البيتَ أَوِ اعتَمرَ فلا جُناحَ عليه أن يطَّوَّفَ بهما ومن تطوَّعَ خيراً فإنَّ اللهَ شاكرٌ عليمٌ﴾[3].

﴿ياأيُّها الذينَ ءَامَنُوا لا تُحِلُّوا شعائرَ اللهِ ولا الشَّهرَ الحرامَ ولا الهَدْيَ ولا القَلائدَ ولا ءَامِّينَ البيتَ الحرامَ يبتغونَ فضلاً من ربِّهم ورضواناً﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: ١٤٤.

(٢) سورة البقرة: ١٤٩.

(٣) سورة البقرة: ١٥٨.

(٤) سورة المائدة: ٢. الهَدْيُ: ما يهدى إلى الحرَم من نَعَم.

﴿جعل اللهُ الكعبَةَ البيْتَ الحَرامَ قِياماً للنَّاس والشَّهرَ الحَرامَ والهَدْيَ والقلائدَ ذلكَ لتَعْلَمُوا أنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما في السَّموات وما في الأرضِ وأنَّ اللهَ بكلِّ شَيْءٍ عليمٌ﴾[1].

﴿وأذانٌ منَ اللهِ ورسولهِ إلى النَّاس يومَ الحجِّ الأكبرِ أنَّ اللهَ بريءٌ منَ المُشركينَ ورسولهُ﴾[2].

* * *

ذكر الحدود

﴿وما كانَ لمؤمنٍ أن يقتلَ مُؤْمناً إلا خَطَأً ومَنْ قَتَلَ مُؤْمناً خَطَأً فتحريرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ودِيَةٌ مُسلَّمةٌ إلى أهلهِ إلا أنْ يصَّدَّقوا فإن كانَ من قومٍ بينكمْ وبينهمْ مِيثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمةٌ إلى أهلهِ وتحريرُ رَقَبَةٍ مؤْمنةٍ فَمَن لَمْ يجدْ فصيامُ شهرينِ مُتتابعينِ﴾[3].

﴿ياأيُّها الذينَ ءامَنُوا كُتِبَ عليكمُ القِصَاصُ في القتلى

(١) سورة المائدة: ٩٧.

(٢) سورة التوبة: ٣. وأذان: إعلام.

(٣) سورة النساء: ٩٣، تحرير الرقبة: إعتاقها من الرقّ.

الحرُّ بالحرِّ والعبْدُ بالعبْدِ والأنثى بالأُنْثَى فمنْ عفُي لهُ منْ أخيه شيءٌ فاتِّباعٌ بالمعروفِ وأداءٌ إليهِ بإحسانٍ ذلكَ تخفيفٌ من ربِّكمْ ورَحْمَةٌ فَمَنِ اعتَدى بعدَ ذلكَ فلهُ عذابٌ أليمٌ * ولكمْ في القِصاصِ حياةٌ ياأُولي الألبابِ لعلَّكمْ تتَّقون﴾[1].

﴿إنَّما جزاءُ الذين يحاربونَ اللهَ ورسولَه ويَسْعَوْنَ في الأرضِ فَساداً أنْ يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّعَ أيديهمْ وأَرْجُلُهُم منْ خِلافٍ أو يُنْفَوا من الأرضِ ذلكَ لهمْ خِزْيٌ في الدُّنيا ولهمْ في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ﴾[2].

﴿الزَّانيةُ والزَّاني فاجْلِدُوا كُلَّ واحدٍ منهما مائةَ جَلْدَةٍ ولا تَأْخُذْكُم بهما رأفةٌ في دينِ اللهِ إن كنتمْ تؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ ولْيَشْهَدْ عذابَهُما طائفةٌ من المؤمنين﴾[3].

﴿والسَّارقُ والسَّارقةُ فاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جزاءً بما كَسَبَا نَكَالاً منَ اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ﴾[4].

* * *

---

(١) سورة البقرة: ١٧٨، ١٧٩.

(٢) سورة المائدة: ٣٣. النفي من الأرض: الطرد إلى بلد آخر.

(٣) سورة النور: ٢.

(٤) سورة المائدة: ٣٨.

ذكر القيامة

﴿واتَّقوا يوماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عن نَّفسٍ شيئاً ولا يُقبلُ منها شَفَاعةٌ ولا يُؤْخَذُ منها عَدْلٌ ولا هُمْ يُنصرون﴾[1] .

﴿واتَّقوا يوماً لا تَجْزِي نفسٌ عن نَّفسٍ شيئاً ولا يُقبلُ منها عَدْلٌ ولا تنفعُها شَفاعةٌ ولا هُمْ يُنصرون﴾[2] .

﴿يومٌ لَّا بيعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شَفَاعةٌ والكافرونَ هُمُ الظَّالمون﴾[3] .

﴿يومَ تَجِدُ كلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خيرٍ مُّحْضَراً وما عملتْ مِنْ سُوءٍ تودُّ لوْ أنَّ بينها وبينهُ أمداً بعيداً ويُحذِّرُكمُ اللهُ نَفْسَهُ واللهُ رءُوفٌ بالعبادِ﴾[4] .

---

(١) سورة البقرة: ٤٨ .

(٢) سورة البقرة: ١٢٣ .

(٣) سورة البقرة: ٢٥٤ .

(٤) سورة آل عمران: ٣٠ .

﴿يومَ تَبْيَضُّ وجوهٌ وتَسْوَدُّ وجوهٌ﴾[1].

﴿يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خِلالٌ﴾[2].

* * *

الدعاءُ

﴿ربَّنا آتنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخرةِ حَسَنَةً وقنا عذابَ النَّارِ﴾[3].

﴿ربَّنا أفرغْ علينا صبْراً وثبِّتْ أقدامنا وانْصُرنا على القومِ الكافرين﴾[4].

﴿ربَّنا لا تُؤاخذنا إنْ نَسينا أو أخطأنا ربَّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصْراً كما حملتهُ على الذينَ من قبلنا ربَّنا ولا تُحَمِّلنا ما لا طاقةَ

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٦.

(٢) سورة إبراهيم: ٣١. والخلال: الصداقة.

(٣) سورة البقرة: ٢٠١.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٠.

لنا بِهِ واعفُ عنَّا واغفِرْ لنا وارْحَمْنا أنتَ مولانا فانْصرُنْا على القومِ الكافرين﴾[1].

﴿ربَّنا لا تُزِغْ قلوبنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّك أنتَ الوهَّابُ ۞ ربّنا إنَّكَ جامعُ النَّاسِ ليومٍ لا ريبَ فيهِ إنَّ اللهَ لا يُخلفُ الميعاد﴾[2].

﴿ربَّنا إنَّنا أمنا فاغفرْ لنا ذنوبنا وقنا عذابَ النَّارِ﴾[3].

﴿ربِّ هبْ لي من لدنكَ ذُرِّيَّةً طيِّبةً إنَّكَ سميعُ الدُّعاءِ﴾[4].

﴿ربَّنا ءامنَّا بما أنْزلْتَ واتَّبعنا الرَّسُولَ فاكْتُبْنا معَ الشَّاهدين﴾[5].

﴿ربَّنا أفْرغْ علينا صبرًا﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦ . والإصر الحمل الثقيل، والمراد به التكاليف الشاقة .

(٢) سورة آل عمران: ٨- ٩ . زاغ: مال وحاد .

(٣) سورة آل عمران: ١٦ .

(٤) سورة آل عمران: ٣٨.

(٥) سورة آل عمران: ٥٣ .

(٦) سورة البقرة: ٢٥٠ . والأعراف: ١٢٦ .

﴿ربَّنا اغفِرْ لنا ذُنوبنا وإسْرافَنا في أَمْرِنا وثبِّتْ أقـدامنا وانْصُرْنا على القومِ الكافرين﴾[1].

* * *

آيات فيها ذكر نجاة من شدة أو خوف أو ما يشبه ذلك

﴿لن يضرُّوكمْ إلا أذًى وإن يُقاتلوكمْ يُوَلُّوكمُ الأدبارَ ثُم لا يُنصَرون﴾[2].

﴿ولقدْ نصرَكمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأنتمْ أذلَّةٌ فاتَّقوا اللهَ لعلَّكمْ تَشكُرون﴾[3].

﴿وما جَعَلَهُ اللهُ إلا بُشرى لكمْ ولِتَطْمَئِنَّ قلوبُكُم بهِ وما النَّصرُ إلا من عندِ اللهِ العزيزِ الحكيم﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٧.

(٢) سورة آل عمران: ١١١.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٢٦.

﴿ولا تهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأنتمُ الأَعْلَوْنَ إن كُنتُم مؤمنين﴾[1].

﴿استعينوا باللهِ واصبروا إنَّ الأرضَ للهِ يُورِثُها مَنْ يشاءُ منْ عبادهِ والعاقبةُ للمتَّقين﴾[2].

﴿عسى ربُكمْ أن يُهلكَ عدوكَّمْ ويَستَخْلِفَكُمْ في الأرضِ فينظرَ كيفَ تعملون﴾[3].

﴿وأَوْرَثْنا القومَ الَّذينَ كانوا يُسْتَضْعَفُونَ مشارقَ الأرضِ ومَغَاربَها التي باركْنا فيها﴾[4].

﴿إنْ تَستَفْتِحُوا فقدْ جاءكمُ الفتحُ﴾[5].

﴿واذكروا إذْ أنتمْ قليلٌ مُّستضعفونَ في الأرضِ تخافونَ أن يتخطَّفكمُ النَّاسُ فَئَاواكمْ وأيَّدكمْ بنصرهِ ورزقكم منَ الطَّيِّباتِ لعلَّكمْ تشكرون﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٩ . هان هوانا: ذلَّ.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٨ .

(٣) سورة الأعراف: ١٢٩ .

(٤) سورة الأعراف: ١٣٧ .

(٥) سورة الأنفال: ١٩ واستفتح: طلب الفتح .

(٦) سورة الأنفال: ٢٦ .

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾[1].

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[2].

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾[3].

* * *

أوامر ندب الله تعالى إليها

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[4].

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[5].

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[6].

---

(١) سورة الضحى: ٦-٨.

(٢) سورة الشرح: ١.

(٣) سورة الشرح: ٥، ٦.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

(٥) سورة البقرة: ١٠٩.

(٦) سورة البقرة: ١٩٥.

﴿وتزودوا فإنّ خير الزاد التقوى﴾[1].

﴿فاعفُ عنهمْ واستغفرْ لهمْ وشاورهُمْ في الأمرِ فإذا عزمتَ فتوكّلْ على اللهِ إنّ اللهَ يُحبُّ المتوكّلين﴾[2].

﴿فأعرضْ عنهمْ وعِظهمْ وقُل لهمْ في أنفسهمْ قولاً بليغاً﴾[3].

﴿وتوكّلْ على اللهِ وكفى باللهِ وكيلاً﴾[4].

﴿وإذا حُيِّيتم بتحيةٍ فحيُّوا بأحسنَ منها أو ردُّوها إنّ اللهَ كانَ على كلِّ شيءٍ حسيباً﴾[5].

﴿ولا تُجادلْ عنِ الّذين يختانونَ أنفسهمْ إنّ اللهَ لا يُحبُّ منْ كانَ خوّاناً أثيماً﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة النساء: ٦٣ : .

(٤) سورة النساء: ١٨، الأحزاب: ٣.

(٥) سورة النساء: ٨٦.

(٦) سورة النساء: ١٠٧.

﴿لا يُحبُّ اللهُ الجهرَ بالسُّوءِ منَ القولِ إلا مَنْ ظُلِمَ وكانَ اللهُ سميعاً عليماً﴾[1].

﴿وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثْمِ والعُدوانِ﴾[2].

﴿اتَّبِعْ ما أُوحيَ إليكَ من ربِّكَ لا إلهَ إلا هُوَ وأعرِضْ عنِ المُشركين﴾[3].

﴿وأعِدُّوا لهم ما استَطَعْتُمْ من قُوَّةٍ ومن رِبَاطِ الخيلِ تُرهِبونَ بهِ عَدُوَّ اللهِ وعدوَّكُمْ﴾[4].

﴿فاصفَحِ الصَّفحَ الجميل﴾[5].

* * *

(١) سورة النساء: ١٤٨.

(٢) سورة المائدة: ٢.

(٣) سورة الأنعام: ١٠٦.

(٤) سورة الأنفال: ٦٠.

(٥) سورة الحجر: ٨٥.

آيـات التحـدي

﴿وإنْ كنتمْ في ريبٍ مما نزّلنا على عبدِنا فأْتُوا بسُورةٍ من مثلِهِ وادْعُوا شُهداءكُم من دُونِ اللهِ إن كنتمْ صادقين﴾[1].

﴿أمْ يقولونَ افتراهُ قُلْ فأْتُوا بعَشْرِ سُوَرٍ مثله مُفْتَرياتٍ وادْعُوا منِ استطعتم من دُونِ اللهِ إن كنتمْ صادقين﴾[2].

﴿قُل لئنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلِهِ ولوْ كانَ بعضهمْ لبعضٍ ظَهيراً﴾[3].

﴿أمْ يقولونَ افْتَراهُ قُلْ فأْتوا بسورةٍ مثلِهِ﴾[4].



(١) سورة البقرة: ٢٣.

(٢) سورة هود: ١٣.

(٣) سورة الإسراء: ٨٨.

(٤) سورة يونس: ٣٨.

الباب الثاني

فيه كلام رسول الله ﷺ

قالوا: خطب رسول الله ﷺ، بعشر كلمات، حمد الله تعالى وأثنى عليه وقال:

«أيها الناس، إنَّ لكمْ معالمَ؛ فانتهوا إلى معالمكمْ، وإنَّ لكمْ نهايةً، فانتهوا إلى نهايتكمْ؛ إنَّ المؤمنَ بينَ مخافتينِ، بينَ أجلٍ قد مضى لا يدري ما اللهُ صانعٌ بهِ، وبين أجلٍ قد بقيَ لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه؛ فليأخذِ العبدُ من نفسهِ لنفسه، ومنْ دنياهُ لآخرتهِ، ومن الشَّبيبةِ قبل الكبَرِ، ومن الحياة قبلَ الموتِ. والَّذي نَفْسُ محمدٍ بيدهِ ما بعدَ الموتِ من مُسْتَعْتَبٍ[1]، وما بعدَ الدُّنيا من دارٍ إلا الجنةَ أو النار».

* * *

(١) مصدر ميمي من استعتب أي طلب العتاب.

ومن كلامه الموجز عليه السلام:

«الناسُ كلُّهم سواءٌ كأسنانِ المشطِ».

و«المرءُ كثيرٌ بأخيهِ، ولا خيرَ لكَ في صُحبةِ من لا يرى لكَ مثلَ الذي يرى لنفسهِ».

وذكر الخيل فقال: «بطونها كنزٌ وظهورها حِرْزٌ».

وقال: «نهيتكمْ عن عقوقِ الأمهاتِ، ووأدِ البناتِ، ومنعٍ، وهاتِ».

وقال: «الناسُ كالإبلِ ترى المائةَ لا ترى فيها راحلةً».

وقال: «لا تزال أمَّتي بخيرٍ ما لمْ ترَ الأمانةَ مَغْنَماً والصَّدقةَ مَغْرَماً».

وقال: «لا تجلسوا على ظهورِ الطُّرق، فإنْ أبيتمْ فغُضُّوا الأبصارَ، وردُّوا السَّلامَ، واهدوا الضَّالَّةَ، وأعينوا الضَّعيفَ».

وقال: «إنَّ الدُّنيا حلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللهَ مُستعملكم فيها فناظرٌ كيفَ تعملونَ».

وقـال: «لا يؤَمَّ ذُو سلطانٍ في سلطانه، ولا يُجلَسْ على تكْرِمَته إلا بإذنه».

وسئل: أيُّ الناسِ شرٌّ؟ قال: «العلماءُ إذا فسدوا».

وقال: «دبَّ إليكمْ داءُ الأممِ قبلكمْ: الحسدُ والبغضاءُ، هيَ الحالقةُ، حالقةُ الدِّينِ لا حالقةُ الشَّعرِ، والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا تؤمنونَ حتَّى تحابُّوا، أفلا أُنبِّئكمْ بأمرٍ إذا فعلتموهُ تحاببْتُمْ؟ أفشوا السَّلامَ بينكمْ».

وقال: «تَهَادُوا تحابُّوا».

وقال: «ليسَ منْ أخلاقِ المؤمنِ الملَقُ إلاّ في طلَبِ العلمِ».

وقال: «قيِّدوا العلومَ بالكتابِ».

وقال: «لولا رجالٌ خُشَّعٌ وصبيانٌ رُضَّعٌ، وبهائمُ رُتَّعٌ لصُبَّ عليكمُ العذابُ صبّاً».

وقال: «ستحرصونَ على الإمارةِ؛ فنِعْمَ المُرضِعُ وبئستِ الفاطمةُ».

وقال: «علِّقْ سوْطَكَ حيثُ يراهُ أهلُكَ».

وقدم السائب بن أبي صيفي[1] عليه، فقال: يارسول الله، أتعرفني؟ قال: «كيفَ لا أعرفكَ؟ أنتَ شريكي الذي لا يُماري ولا يُشاري».

وكلَّمَتْه جاريةٌ من السَّبْيِ، فقال لها: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا ابنةُ الجوادِ حاتمٍ. فقال عليه السلام: «ارحموا عزيزاً ذلَّ، ارحموا غنياً افتقرَ، ارحموا عالِماً ضاعَ بينَ جُهَّالٍ».

وعاد عليه السلام مريضاً فقال: «اللهم آجِرْهُ على وجعهِ، وعافِهِ إلى منتهى أجلهِ».

وقال عليه السلام لما زفّ فاطمةَ إلى عليّ رضي الله عنهما: «جدعَ الحلالُ أنفَ الغيرةِ».

وقال: «لا يردُّ القدرَ إلا الدعاءُ، ولا يزيدُ في العمرِ إلا البرُّ، وإنَّ الرَّجلَ ليُحْرَمُ الرِّزقَ بالذَّنبِ يُصيبهُ».

وقال عليه السلام: «إنَّ الله تعالى يُحبُّ الأتقياءَ الأبرارَ الأخفياءَ الذينَ إذا حضروا لم يُعرفوا، وإذا غابوا لم يُفتَقَدُوا، قلوبُهُمْ مَصَابيحُ الهُدَى يَنْجُونَ مِنْ كلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمةٍ».

---

(١) هو السائب بن أبي السائب صيفي بن عائذ كان مع عكرمة في قتال الردة.

وقال عليه السلام: «ظهرُ المُؤمنِ مِشْجَبُهُ، وخزانتهُ بطنهُ، ورجلهُ مطيَّتهُ، وذخيرتهُ ربُّهُ».

وقال: «أسدُّ الأعمال ثلاثةٌ: ذكرُ اللهِ جلَّ وعزَّ على كُلِّ حالٍ، ومواساة الأخِ في المالِ، وإنصافُ الناسِ منْ نفسكَ».

وقال: «إنَّ أسرعَ الخير ثواباً البرُّ، وإنَّ أسرعَ الشَّرِّ عقُوبةً البغيُ، وكفى بالمؤمنِ عيباً أنْ ينظرَ مِنَ النَّاسِ إلى ما يَعْمَى مِنْ نفسهِ، ويُعيِّرَ من النَّاسِ ما لا يستطيعُ تركهُ، ويؤذي جليسهُ بما لا يَعْنِيه».

وقال له العباس: يارسول الله، فيم الجمال؟ قال: «في اللِّسانِ».

وقال: «إذا فعلتْ أُمَّتي خمسَ عشرةَ خَصْلَةً حلَّ بها البلاءُ. إذا أكلَ الفيء[1] أُمراؤهم، واتَّخذوا المالَ دُولاً، والأمانةَ مغنماً، والزَّكاةَ مغرماً، وأطاعَ الرَّجلُ زوجتهُ وعقَّ أمَّهُ؛ وبرَّ صديقهُ وجفا أباهُ، وارتفعتِ الأصواتُ في المساجدِ، وأُكْرِمَ الرَّجلُ مخافةَ شرِّه، وكانَ زعيمُ القومِ أرذلهمْ؛ وإذا لُبس

(١) الفيء: أموال الغنيمة والخراج. عق أمه: استخفّ بها وعصاها.

الحرير، وشُربت الخمر، واتُّخذَت القيانُ والمعازفُ، ولعن آخرُ هذه الأمةِ أولها، فليترقَّبوا بذلك ثلاثَ خصالٍ: ريحاً حمراءَ ومسخاً وخسفاً».

وكان عليه السلام يقول لنسائه: «أسرعكُنَّ بي لحاقاً أطولُكُنَّ يداً»[1]. فكانت عائشة تقول: أنا تلكَ، أنا أطولُكُنَّ يداً. وكانت زينب بنت جحش أشدَّ جوداً من غيرها، وذلك أنَّها كانت امرأةً كثيرةَ الصدقةِ، وكانت صَناعاً تصنعُ بيدها، وتبيعهُ وتتصدَّقُ بهِ».

وقال ﷺ للأنصار: «إنَّكمْ لتكثرونَ عندَ الفزعِ، وتقلُّونَ عندَ الطَّمعِ».

وقال: «ألا أخبركمْ بأحبكُمْ إليَّ وأقربكمْ منِّي مجالسَ يومَ القيامةِ؟ أحاسنكمْ أخلاقاً، المُوطَّئونَ أكنافاً[2] الذينَ يألفونَ ويؤلفونَ. ألا أخبركمْ بأبغضكمْ إليَّ وأبعدكمْ منِّي مجالسَ يومَ القيامةِ؟ الثرثارونَ المتفيهقونَ»[3].

---

(١) طول اليد كنا عن الجود.

(٢) ذوو الأخلاق السهلة اللينة.

(٣) المتفيهقون: المتكبرون. أو الذين يتوسعون فيالقول ويفتحون به أفواههم.

وقـال: «منْ باعَ داراً أو عـقـاراً فلمْ يـرْدُدْ ثمنهُ في مثلهِ، فذلكَ مالٌ قَمِنٌ ألا يُبارِكَ فيه»[1].

وقـال: «منْ وُقِيَ مـا بينَ لَحْيَيْهِ ومـا بينَ رِجليـهِ دخلَ الجنَّةَ».

* * *

ومن كلامه ﷺ:

«المؤمنُ مألفةٌ، ولا خيرَ فيمنْ لا يألفُ ولا يُؤلفُ».

«المرءُ معَ منْ أحبَّ» «حبُّكَ الشَّيءَ يُعمي ويُصِمُّ».

«المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ».

«حُسْنُ العهدِ منَ الإيمانِ».

«دعْ ما يريبكَ إلى ما لا يُريبكَ».

«فمنْ رعى حولَ الحمى يُوشِكُ أنْ يقعَ فيهِ».

---

(١) قمن وقمين: جديد.

«لا تُنْزَعُ الرَّحمةُ إلا مِنْ شَقِيٍّ».

«الدالُّ على الخيرِ كفاعلِه».

«المؤمنُ يُنظرُ بنورِ اللهِ».

«إنَّكَ لنْ تَجِدَ فقدَ شيءٍ تركتَهُ للهِ».

«المنتعلُ راكبٌ»[1].

«المرءُ كثيرٌ بأخيهِ يكسوه يُرفده يحملُه».

«زُرْ غِبّاً تزددْ حُبّاً».

«الخيرُ عادةٌ والشرُّ لجاجةٌ».

«الخيرُ كثيرٌ ومنْ يعملُ بهِ قليلٌ».

«المُستشارُ مُؤْتَمَنٌ».

«منْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركهُ ما لا يعنيهِ».

«القناعةُ مالٌ لا ينفدُ».

«ما عالَ منِ اقتصدَ».

«أيُّ داءٍ أدوى من البُخلِ؟».

---

(١) المنتعل: لابس الحذاء.

«رأس العقلِ بعدَ الإيمانِ باللهِ التَّوددُ إلى النَّاسِ».

«إذا أتاكمْ كريمُ قومٍ فأكرموهُ».

«النَّاسُ معادن».

«منْ رُزقَ منْ شيءٍ فَلْيَلْزَمْهُ».

«المُؤمنُ غِرٌ كريمٌ، والفاجرُ خَبٌّ لئيمٌ»[1].

«عليكَ باليـأسِ ممَّا في أيدي النَّاسِ، وإيَّاكَ والطَّمعَ فـإنَّهُ فقرٌ حاضرٌ».

«الصبْرُ عندَ الصَّدمةِ الأُولى».

«أفضلُ العملِ أدومهُ وإنْ قلَّ».

«الشَّديدُ منْ غلبَ هواهُ».

«الولدُ ريحانٌ من الجنَّةِ».

«خيركمْ خيركمْ لأهلهِ».

«المُستشيرُ مُعانٌ».

«خيركمْ منْ طالَ عمرهُ وحَسُنَ عملهُ».

---

(١) الخب: الخداع.

«حُسنُ الجوارِ عمارةٌ للدِّيار» .

«الأنصارُ شِعارٌ والنَّاسُ دِثارٌ»[1] .

«لا سَهْلَ إلا ما جعلتهُ سهلاً» .

«خيرُ النساءِ الولودُ الودودُ»[2] .

«ما نحلَ والدٌ ولدهُ أفضلَ منْ أدب حسنٍ» .

«الطَّاعِمُ الشَّاكرُ بمنزلةِ الصَّائمِ الصَّابرِ» .

«لو كانَ لابنِ آدمَ واديان منْ ذهبٍ لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللهُ على من تابَ» .

«تدمعُ العينُ ويحزنُ القلبُ ولا نقولُ ما يُسخطُ الرَّبَّ» .

«مَنْ عَمِلَ عملاً أدَّاهُ اللهُ عملهُ» .

«إنَّ اللهَ يُحبُّ معالي الأمورِ ويكرهُ سفسافها» .

«كادَ الفقرُ أن يكونَ كُفراً» .

«الْتَمِسُوا الرِّزقَ في خبايا الأرضِ» .

---

(١) الشعار: اللباس الذي يلي شعر الجسد. الدثار: الثوب الذي يلي الشعار.

(٢) الودود: المُحبَّة.

«ذو الوجهينِ لا يكونُ عندَ اللهِ وجيهاً».

«أفضلُ الصَّدقةِ على ذي رَحِمٍ كاشِحٍ»[1].

«أصحابي كالنُّجومِ بأيِّهُم اقتديتم اهتديتُمْ».

«إنَّكمْ لن تَسَعُوا النَّاسَ بأموالكمْ، ولكنْ سَعُوهم بأخلاقكمْ».

«استعينوا على حوائجكمْ بالكتمانِ، فإنَّ كُلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ».

«أخوفُ ما أخافُ على أمتي مُنافقٌ عليمُ اللِّسانِ».

«رَحِمَ اللهُ عبداً قالَ خيراً فغنمَ أو سكتَ فسلِمَ».

«صلةُ الرحم مَثْرَاةٌ للمال مَنْسَأةٌ في الأَجَل»[2].

«بُعِثْتُ بالحنيفيَّة السمْحَة».

«مُرُوا بالخيرِ وإنْ لمْ تفعلوهُ».

«التَّواضعُ شرفُ المُؤمنِ».

---

(١) الكاشح: المضمر العداوة.

(٢) منسأة: إطالة للأجل وتأخير له.

وقـال: «إياكم والمُشـارَّةَ، فـإنَّهـا تُمـيتُ الغُرَّةَ وتُحـيي العُرَّةَ»[1].

وقال عليه السلام: «أحسنُ النِّساءِ بركةً أحسنهنَّ وجهاً وأرخصهنَّ مهراً».

وقال: «الدنيا متاعٌ وأفضلُ متاعها الزَّوجةُ الصَّالحة».

وقـال ﷺ: «لا مالَ أعـودُ مِنَ العقل، ولا وحـدةَ أوحشُ من العُجبِ، ولا عـقلَ كالتَّدبير، ولا قـرينَ كحُسنِ الخُلُق، ولا ميراثَ كالأدبِ، ولا فائدة كالتَّوفيق، ولا تجارةَ كالعمل الصَّالح، ولا ربحَ كثوابِ الله، ولا ورعَ كالوقـوفِ عندَ الشُّبهـةِ، ولا زُهدَ كالزُّهدِ في الحرامِ، ولا علمَ كالتَّفكُّرِ، ولا عبادةَ كأداءِ الفرائضِ، ولا إيمانَ كـالحـياءِ والصبـرِ، ولا حسبَ كـالتَّواضعِ، ولا شرفَ كـالعلمِ، ولا مُظاهرة أوثقُ من المُشـاورةِ، فـاحـفظِ الرأسَ ومـا حوى، والبطنَ وما وعى، واذكرِ الموتَ وطولَ البلى».

وقـال ﷺ: «مَنْ عـاملَ النَّاسَ فلمْ يظلمـهمْ، وحـدَّثهمْ فلمْ يُكذِّبهمْ، ووعـدهمْ فلمْ يُخلفـهمْ فـهـوَ مؤمنٌ كَمُلَتْ مُروءتُهُ، وظهرتْ عدالتهُ، ووجبتْ أُخوتُهُ، وحرُمتْ غيبتُهُ».

---

(١) الغرة: العمل الصالح، من غرة الفرس. والعرة: الفعلة القبيحة.

وكتب عليه السلام إلى بني أسد بن خزيمة ومن يألف إليهم من أحياء مُضر: «إنَّ لكمْ حِماكُمْ ومرعاكمْ، ولكمْ مَهِيلُ الرِّمالِ وما حازتْ، وتِلاعُ الحَزْنِ وما ساوتْ، ولكم مفيض السَّماءِ حيثُ استنهى، وصديعُ الأرضِ حيثُ ارتوى»[1].

وقال ﷺ: «مثلُ الذي يُعْتِقُ عند الموتِ كمثلِ الذي يُهدي إذا شبعَ».

وقال: «الاقتصادُ نِصفُ العيشِ، وحُسْنُ الخُلُقِ نصفِ الدين».

وقال عليه السلام: «مَثَلُ الفقرِ للمؤمنِ كَمَثَلِ فرسٍ مربوطٍ بحكَمَتِهِ إلى آخيةٍ كلَّما رأى شيئاً مما يهوى ردَّته الحَكَمَةُ»[2].

روي عن زيد قال: تلقيت هذه الخطبة مِنْ فِيْ رسولِ الله ﷺ بتبوك، سمعته يقول: «أما بعد. فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ،

---

(١) الهيل والهيال: ما انهال من الرمل. التلاع: جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض. الحزن: ما غلظ من الأرض. المفيض: مسيل الماء. الصدع: الشق في أرض صلبة أو هو نبات الأرض.

(٢) الحكمة: الحديدة توضع في اللجام حول حنك الدابة. الآخية: حبل صغير يربط في الحائط من طرفيه وتشدّ به الدابة.

وأوثقَ العُرى كلمةُ التَّقوى، وخيرَ المِلَلِ مِلَّةُ إبراهيمَ، وخيرَ السُّنَنِ سُنَّةُ محمد، وأشرفَ الحديثِ ذكْرُ الله، وأحسنَ القصصِ هذا القرآن، وخيرَ الأمورِ عوازِمُها، وشَرُّ الأُمورِ مُحدثاتها، وأحسنَ الهُدى هدى الأنبياء، وأشرفَ الموتِ قتلُ الشُّهداءِ، وأعمى العمى الضلالة بعدَ الهُدى، وخيرُ العمل ما نفع، وخير الهُدى ما اتُّبِعَ، وشرُّ العمى عمى القلب، واليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى، وما قلَّ وكفى خيرٌ ممَّا كثرَ وألهى، وشرُّ الندامةِ ندامةُ يومِ القيامة، ومن الناسِ من لا يأتي الجُمعة إلا نَزْراً، ومنهم من لا يذكرُ الله إلا هُجرا، وإن أعظمَ الخطايا اللسانُ الكذوبُ، وخيرُ الغنى غِنى النَّفسِ، وخيرُ الزَّادِ التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما أُلقيَ في القلبِ اليقينُ، والارتياب مِنَ الكُفْر، والنِّياحة[1] من عمل الجاهلية، والغُلُول[2] من جهنَّمَ، والسُّكْر من النار، والشِّعر من إبليسَ، والخمرُ جماعُ الإثمْ، والنِّساءُ حبائلُ الشَّيطانِ، والشَّباب شُعبةٌ من الجنون، وشر الكَسْبِ كَسْبُ الرِّبَا، وشر المأكَلِ أكلُ مالِ اليتيمِ، والسَّعيد من وُعِظَ بغيرِهِ، والشقيّ من شَقِيَ في بطنِ

---

(١) النياحة: البكاء على الميت.

(٢) الغلول: الخيانة.

أُمِّهِ، وإنَّما يصيرُ أحدكمْ إلى موضعِ أذْرُعٍ، والأمرُ إلى آخرِه، وشرُّ الرَّوايا[1] روايا الكذب، وكُلّ ما هو آتٍ قريبٌ، وسِباب المُؤمنِ فِسْقٌ، وقِتالُ المُؤمنِ كُفرٌ، وأكل لحمه مِنْ معصية الله، وحُرمة ماله كحرمةِ دمه، ومن يتألَّ[2] على الله يُكذِّبْهُ، ومَنْ يغفرْ يغفر اللهُ لهُ، ومنْ يصبرْ على الرَّزيَّةِ يُعوضْهُ اللهُ، ومنْ يصُمْ يُضاعِفِ اللهُ له، ومن يَعصِ الله يُعذِّبهُ الله، اللَّهمَّ اغفِرْ لأُمَّتي، اللهم اغفرْ لأُمتي -ثلاث مرات- استغفر الله لي ولكم».

روي عنه ﷺ أنه قال: «زوِّجوا أبناءكم وبناتكم».
قالوا: يارسول الله؛ هؤلاء أبناؤنا نُزوِّجُ، فكيفَ بناتنا؟ فقال: «حلُّوهن بالذهب والفضَّة، وأجيدوا لهُنَّ الكُسوةَ، وأحسِنوا إليهن النِّحْلَةَ يُرغَبْ فيهن»[3].

وقال عليه السلام: «أربعٌ مِنْ قواصِمِ الظَّهرِ؛ إمامٌ تطيعهُ فيُضلُّكَ، وزوجةٌ تأمنها فتخونُكَ، وجارٌ إنْ رأى حسنةً سترها وإنْ رأى قبيحةً أذاعها، وفقرٌ يتركُ المرء متلدِّداً»[4].

---

(١) والروايا: ما يروي الإنسان في نفسه من قول أو عمل.

(٢) من يتأل على الله: من يحكم ويحلف على الله كأن يقول والله ليفعلن الله كذا...

(٣) النحلة: العطاء أو المهر.

(٤) المتلدد: المتحير في تبلد.

قال: «ما خابَ مَنِ استخار، ولا نَدِمَ من استشار، ولا افتقرَ من اقتصد».

وقال عليه السلام: «اغدُ عالماً أو متعلِّماً أو مجيباً أو سائلاً، ولا تكن الخامسَ فتهلكَ».

وقال: «ياعجباً للمُصدِّقِ بدار الخلودِ وهو يسعى لدارِ الغُرور».

وقال: «إذا غضِبَ أحدكم وكان قائماً فليقعدْ، وإنْ كانَ قاعداً فليضطجعْ».

وقال رجل من مُجاشع: يارسول الله. ألستُ أفضلَ قومي؟ فقال: «إنْ كانَ لكَ عقلٌ فلكَ فضلٌ، وإنْ كانَ لكَ خُلُقٌ فلك مُروءةٌ، وإن كانَ لكَ مالٌ فلكَ حسبٌ؛ وإن كانَ لكَ تُقىً فلك دينٌ».

وقال: «ليسَ خيركمْ مَنْ تركَ الدُّنيا للآخرةِ، ولا الآخرةَ للدُّنيا ولكنَّ خيركمْ من أخذَ مِنْ هذهِ وهذه».

وقال: «إنْ قامتِ السَّاعةُ على أحدكمْ وفي يدهِ فسيلةٌ فاستطاع أن يغرسها فليفعلْ»[1].

---

(١) الفسيلة: النخلة الصغيرة.

وقال رجل له عليه السلام: إني أُريد سفراً. فقال: «في حفظ الله وكَنَفه، زودَّكَ الله التَّقوى، وغفرَ ذنبك ووجَّهكَ للخير حيثُ كنتَ».

وقال عليه السلام لأحد ابني ابنته «إنَّكمْ لتُجبِّنُونَ، وإنكم لتُبخِّلون، وإنكم لمنْ ريحانِ الجنَّةِ».

وروي أنه عليه السلام قال: «إيتوني برُطَبٍ سِقْيٍ وبَعْلٍ». فجعل يأكل من البعل. فقيل له: لو أكلت من هذا فإنه أصفى وأطيب. فقال: «إنَّ هذا لمْ يعرقْ فيه بَدَنٌ، ولم تجعْ فيه كَبِد»[1].

وروي أنه عليه السلام زار أخواله من الأنصار ومعه علي عليه السلام، فقدّموا إليه قِناعاً من[2] رطب، فأهوى عليّ ليأكل، فقال له رسول الله ﷺ: لا تأكل، فإنك حديثُ عهد بالحُمَّى».

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «بيتٌ لا تمر فيه جِياعٌ أهْلُه».

---

(١) السقي (بكسر السين) ما سقي بالماء.

(٢) القناع: الطبق يوضع فيه التمر.

وروي عنه أنه قال: «أطعموا المرأةَ في شهرها الذي تلد فيه التمرَ، فإن ولدها يكونُ حليماً تقياً».

جاءت فاطمة بالحسن والحسين إلى رسول الله ﷺ، فقالت: انحلهما. فقال: «ما لأبيك مال ينحلُهُما.» ثم أخذ الحسن فقبّله وأجلسه على فخذه اليمنى، وقال: «ابني هذا نحلتُهُ هيبتي وخُلُقي.» ثم أخذ الحسين فقبّله وأجلسه على فخذه اليسرى وقال: «أمّا ابنْي هذا فنحلتُهُ شجاعتي وجودي.»

وقال: «رَحِمَ اللهُ والداً أعانَ ولدَهُ على برِّه».

وروت أمُّ سلمة[1] عنه ﷺ أنه قال: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكمْ أن يكون ألْحنَ بحُجته[2] من بعض، وإنما أنا بشرٌ أحكُمُ على نحوِ ما أسمعُ، فمن قطعتُ له شيئاً من مالِ أخيه فلا يأخذنَّه، فإنما أقطعُ لهُ قِطعَةً مِنْ نارِ جهنمَ».

وقال عليه السلام: «اللهم إنِّي أعوذُ بكَ من جارِ السُّوءِ في دارِ المقامَةِ؛ فإن جارَ الباديةَ يتحوَّلُ».

---

(١) أم المؤمنين أم سلمة - اسمها هند تزوجها الرسول سنة ٤ هـ وروت عنه الأحاديث - ماتت سنة ٦١ هـ وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين.

(٢) ألحن: من لحن بالكلام مال به عن وجهه.

وقال: «تجافوا عن عثرةِ السَّخِيِّ، فإنَّ الله آخذٌ بيدهِ كلَّما عثرَ».

قال بعضهم: تتبعت خطب رسول الله ﷺ، فوجدت أوائل أكثرها: «الحمدُ لله، نحمدهُ ونستعينهُ، ونؤمنُ بهِ ونتوكّلُ عليه، ونستغفرهُ ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنا وسيِّئاتِ أعمالنا، من يهدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ».

قال عليه السلام: «الأكلُ في السُّوقِ دناءة».

وسُئل عليه السلام: أيّ الشرابِ أفضل؟ فقال: «الحلوُ البارد» يعني العسلَ.

والعربُ تصف العسلَ بالبردِ قال الأعشى:

كما شِيبَ بماءٍ بَا . رِدٌ من عَسَلِ النَّحْلِ[1]

وعنه عليه السلام: «من استقلَّ بدائه فلا يتداوينَّ؛ فإنه ربَّ دواءٍ يورث الداءَ».

وعنه: «كلُّ شيءٍ يلهو بهِ الرجلُ باطلٌ إلا تأديبَه فرسَهُ، ورميَه عن قوسِهِ، وملاعبتَه أهلَه».

---

(١) البيت لأعشى قيس.

وفي حديثه عليه السلام: «من أرادَ اللهُ بهِ خيراً فقَّهه ُفي الدِّينِ، وعرَّفه معايبَ نفسهِ».

وفيه: «ألا أخبركُمْ بأشدِّكم؟ مَنْ ملك نفسه عند الغضب».

وفيه: «المشاورةُ حصنٌ منَ النَّدامةِ، وأمْنٌ منَ الملامَةِ».

سأل عليه السلام جابرَ بن عبد الله[1]: «ما نكحْتَ»؟ قال: ثيِّباً، قال: «فهلا بِكراً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ».

وفي الحديث: «حصِّنُوا أموالكمْ بالزَّكاةِ، وادفعوا أمواجَ البلاءِ بالدُّعاءِ».

وفيه: رحمَ اللهُ امرأً صمتَ فسلِمَ، أو قال خيراً فغنِمَ».

وفيه: «لا بأسَ بالشِّعْرِ لِمَنْ أرادَ انتصافاً مِنْ ظُلْمٍ، واستِغناءً منْ فقرٍ، وشكُراً على إحسانٍ».

وفيه: «مرُوا بالمعروفِ وإن لَمْ تعملوا بهِ، وانهَوْا عن المنكرِ وإن لمْ تنتهوا عنهُ».

---

(١) جابر بن عبد الله الأنصاري أحد المحدثين المكثرين عن الرسول، شهد أحُداً وما بعدها توفي سنة ٧٨هـ.

وفيه: «أجرؤكُمْ على النَّار أجرؤكُمْ على الفتْيا».

وروي عن بعضهم أنه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ياأيُّها الذين آمنوا عليكمْ أنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إذا اهتديتُمْ﴾[1] فقال: «ائتَمِروا بالمعروفِ وتناهوا عن المُنكر؛ فإذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً وهوى مُتَّبعاً وإعجابَ كُلِّ امرئ بنفسهِ فعليكَ نفسَكَ ودَعْ عنكَ العوامَّ».

وفيه: «إنَّ الصَّفَاةَ الزلاء[2] التي لا تثبُتُ عليها قدَمُ العلماءِ الطَّمعُ».

وفيه: «الودُّ والعداوةُ يتُوارثانِ».

وكان عليه السلام يقبِّل الحسَنَ، فقال الأقرع بن حابس[3]: إنَّ لي مِنَ الولد عشرةً ما قبَّلتُ واحداً منهم، فقال عليه السلام: «فما أصنعُ إنْ كان اللهُ قدْ نزعَ مِنْ قلبِكَ الرَّحمَةَ».

---

(١) سورة المائدة ١٠٥.

(٢) الصفاة الزلاء: الصخرة الناعمة.

(٣) الأقرع بن حابس أحد المؤلفة قلوبهم، أسلم بعد فتح مكة وشهد مع خالد حروب العراق.

وقال: «إن اللهَ يسألُ العبدَ عنْ جاههِ كما يسألُهُ عَنْ مالهِ، فيقول: جعلتُ لك جاهاً فهلْ نصرتَ بهِ مظلوماً، أو قمعتَ بهِ ظالما، أو أعنتَ به مكروُباً».

وعنه عليه السلام: «أفضلُ الصَّدقةِ أن تُعينَ بجاهك مَنْ لا جاهَ لهُ».

«الخَلْقَ عيالُ اللهِ، فأحبهُمْ إليهِ أنفعهُمْ لعيالهِ».

«أعدى عدوٍّ لكَ نفسكَ التي بينَ جنبيكَ».

«إياكم وخضراءَ الدِّمَنِ. قيل: ما خضراءُ الدِّمَنِ؟ قال: المرأةُ الحسناءُ في منبَتِ سوءٍ».

«مَنْ حفظَ ما بينَ لحييهِ ورجليهِ دخلَ الجنَّةَ»[1].

«عليكمْ باصطناعِ المعروفِ فانَّهُ يدفعُ مصارعَ السُّوءِ».

«إذا دُعيَ أحدكُمْ إلى طعام فليُجبْ، فانْ شاءَ طَعِمَ وإنْ شاءَ تَركَ».

«من آتاهُ اللهُ وجهاً حسناً واسماً حسناً، وجعلهُ في موضعٍ غير شائنٍ فهوَ مِنْ صفوةِ خلقهِ».

---

(١) لحييه: فكّيه، والمقصود اللسان.

وكان عليه السلام يقول: «أعوذُ باللهِ مِنَ الكُفْرِ والدَّيْنِ».

وقال: «مَنْ قدرَ على ثمن دابَّةٍ فليشترها فإنَّها تأتيه برزقِها فتُعينهُ على رزقهِ».

ويُروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: لقد ضممتُ إليَّ سلاحَ رسولِ الله ﷺ، فوجدتُ في قائمِ سيفه صحيفةً معلقةً فيها: «صِلْ مَنْ قطعكَ، وأحْسِنْ إلى من أساءَ إليكَ، وقل الحق ولو على نفسك».

وعنه- عليه السلام: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ عِلْمٍ لا ينفعُ، وقلبٍ لا يخشعُ، ونفسٍ لا تشبَعُ».

وعنه: «من ازداد في العلمِ رُشداً، ولمْ يزددْ في الدُّنيا زُهداً، لم يزددْ مِنَ اللهِ إلا بُعداً».

وروي أنه جاءه عليه السلام رجل فقال: صِفْ لي الجنةَ؛ فقال: «فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ».

وجاء آخر فقال مثل قوله فقال: «فيها سدرٌ مخضودٌ، وطَلَحٌ منضود، وفُرشٌ مرفوعةٌ، ونمارقُ مصفوفةٌ»[1].

---

(١) السدر: شجر النَّبِق. مخضود: مكسور أو مقطوع. الطلح: شجر عظام. النمارق: جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة.

وجاء آخر فسأله عن ذلك، فقال: «فيها ما تشتهي الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ». وجاء آخر فسأله. فقال: فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلب بشرٍ»؛ فقالت عائشة، ما هذا يارسول الله؟ قال: «إنّي أُمرتُ أنْ أكلمَ النَّاسَ على قدر عقُولهمْ».

وروي أنه كان - عليه السلام - يُجيبُ دعوةَ المملوكِ، ويركبُ الحمارَ ردِفاً.

وقال عليه السلام: «اشتدِّي أزمة تنفرجي».

وقال: «مَنْ سترَ أخاهُ المُسلمَ سترهُ الله يومَ القيامة، ومن نفَّسَ عن أخيه كُربةً مِنْ كُرب الدنُّيا نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً مِنْ كُرب الآخرةِ واللهُ عزَّ وجلَّ في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيهِ».

وقال: «انتظارُ الفرَجِ عبادة».

وقال لعلي رضي الله عنه: «اعلم أنَّ النَّصرَ معَ الصَّبْرِ، والفرجَ معَ الكربِ، وأنَّ معَ العُسرِ يُسراً».

وعنه: «لأنْ أكونَ في شدَّة أتوقَّعُ بعدها رخاءً، أحبَّ إليَّ من أن أكونَ في رخاءٍ أتوقَّعُ بعدهُ شدَّةً».

* * *

خطبته في حجة الوداع[1]

«الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهدِ الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

أُوصيكم عبادَ الله بتقوى الله، وأحثُّكم على العملِ بطاعته، وأستفتحُ اللهَ بالذي هو خير.

أما بعد، أيُّها الناس؛ اسمعوا مني أُبيِّنْ لكم، فإنِّي لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس؛ إن دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ إلى أنْ تلقَوا ربَّكم، كحُرمةِ يومِكم هذا من شهركم هذا؛ ألا هل بلغتُ؟ اللهم اشهدْ. فمنْ كانتْ عنده أمانةٌ فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها. وإن رِبا الجاهلية موضوعٌ. وأولُ رِباً أبدأُ به ربا العباس بن عبد المطلبِ. وإن دماءَ الجاهليةِ موضوعةٌ، وأولُ دمٍ

(١) في السنة العاشرة من الهجرة.

أبدأُ به دمُ عامر بن ربيعةَ الحارثِ بن عبدِ المطلب[1] ، وإن مآثرَ الجاهليةِ موضوعةٌ غير السِّدانةِ والسِّقاية . والعَمْدُ قَوَدٌ . وشِبهُ العمدِ ما قُتِلَ بالعصا والحجر ، وفيه مائةُ بعيرٍ . فمن ازدادَ فهو مِن الجاهلية .

أيها الناس ؛ إن الشيطانَ قد يئسَ أن يُعبدَ بأرضِكم هذه ، ولكنه قدْ رَضِيَ أنْ يُطاع فيما سوى ذلكَ مما تحقرونَ من أعمالكم[2] .

أيها الناس ﴿إنَّما النَّسيء[3] زيادةٌ في الكفْرِ يُضلُّ به الَّذين كفروا يُحلُّونه عاماً ويُحرِّمونهُ عاماً لِيُواطئُوا عِدَّةَ ما حرَّمَ الله﴾[4] . وإن الزَّمان قد استدار كهيئته يومَ خلق الله السموات والأرضَ ، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتابِ الله يوم خلقَ السمواتِ والأرضَ . منها أربعةٌ حُرُمٌ ؛ ثلاثةٌ متوالياتٌ ، وواحدٌ فرْد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرَّم ، ورجب الَّذي بين جُمادى وشعبان . ألا هلْ بلَّغت؟ اللهم اشهدْ .

---

(١) الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعاً في بني ليث فقتله بنو هذيل .

(٢) المراد في الذنوب التي تستخفون بها .

(٣) النسيء : تأخير حرمة الشهر الحرام إلى شهر آخر ، فقد كانوا في الجاهلية إذا أهل شهر حرام ، اخروا حرمته لشهر سواه .

(٤) سورة التوبة ٣٧ .

أيها الناس؛ إنَّ لنسائكمْ عليكمْ حقاً، ولكمْ عليهنَّ حقاً.
فعليهنَّ ألا يُوطئْنَ فُرُشَكمْ، ولا يُدخلنَ أحداً تكرهونهُ بيوتَكُمْ إلا بإذنكمْ، ولا يأتينَ بفاحشةٍ؛ فإنْ فعلنَ فإنَّ الله قد أذنَ لكمْ أنْ تَعْضلُوهُنَّ[1] وتهجروهنَّ في المضاجعِ وتضربوهنَّ ضرباً غيرَ مُبرِّحٍ. فإن انتهينَ وأطعنكمْ فعليكمْ رزقهُنَّ وكسوتهُنَّ بالمعروف؛ فإنَّما النساءُ عندكمْ عوَانٍ لا يملكن[2] لأنفسهِنَّ شيئاً، أخذتموهُنَّ بأمانةِ اللهِ، واستحللتمْ فروجهَنَّ بكتابِ اللهِ، فاتَّقوا اللهَ في النِّساءِ واستوصوا بهِنَّ خيراً.

أيها الناسُ؛ إنما المؤمنونَ إخوة، ولا يَحِلُّ لامرئٍ مالُ أخيهِ إلا على طيب نفسٍ منهُ. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهدْ.

فلا تَرْجعُنَّ بعدي كفَّاراً يضربُ بعضكمْ رقابَ بعض؛ فإنِّي قدْ تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُمْ بهِ لَنْ تضلُّوا: كتابَ اللهِ. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس؛ إن ربكمْ واحدٌ، وإن أباكمْ واحدٌ. كلكم لآدم وآدمُ منْ ترابٍ، أكرمكمْ عندَ اللهِ أتقاكمْ. وليسَ لعربي

---

(١) تعضلوهن: تضيقوا عليهن.

(٢) عوان: أسرى.

على عجمي فضلٌ إلا بالتَّقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعمْ. قال: فليبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ.

أيها الناس؛ إن الله قد قسمَ لكلِّ وارثٍ نصيبه مِنَ الميراث. ولا يجوز لوارثٍ وصيةٌ في أكثرَ مِنَ الثُّلثِ. والولدُ للفراشِ وللعاهر الحجر[1]. من ادَّعى إلى غير أبيهِ ومَنْ تولَّى غيرَ مواليهِ فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ، لا يُقبلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وعن قيس بن أبي غرزة[2] قالَ: خرج علينا رسولُ الله ﷺ، ونحن نبتاعُ في السوق؛ وكنا نُدعى السماسرة، فقال: «يامعشرَ التجار»، فاشرأبَّ القومُ، فقال: «ألا إنَّ الشَّيطانَ والإثم يحضُرانِ البيعَ فَشُوبُوا بيعكمْ بصدقةٍ.» قال: ففرحنا بقول رسول الله ﷺ: يامعشر التجار، وكان أولَ من سمَّانا التجار.

«رُبَّ أشعثَ أغبَرَ لو أقسمَ على الله لأبرَّهُ».

«إذا نظرَ أحدكمْ إلى مَنْ فضلَ عليه في المالِ والخلقِ، فلينظر إلى من هوَ دونه مُمَّنْ فضلَ هوَ عليه».

---

(١) أي لا حق له في النسب أو الولد، إنما الولد لصاحب الفراش وهو الزوج.

(٢) هو قيس بن أبي غرزة الغفاري، أسلم وسكن الكوفة.

وكتب عليه السلام لعبد الله بن جحش [1] ، وكان أخرجه في ثمانية من المهاجرين :

«من محمد رسول الله ، عليكمْ بتقوى الله ، سيروا على بركة الله حتَّى تأتوا نُخيلة ، فعليكمْ إقامةُ يومين ، فإنْ لقيتمْ كيداً فاصبروا ، وإن غنِمتمُ فوفِّروا ، وإنْ قتلتمْ فأثخِنوا [2] ، وإنْ أعطيتمْ عهداً فأوفوا ، ولا تقبلوا عهدَ المُشركين» .

وقال لعمرو بنِ العاص لمَّا أخرجهُ إلى ذات السُّلاسل [3]

«ياعمرو ؛ إني قدْ بعثتُ معكَ المهاجرينَ قبلكَ ، واستعملتكَ على مَنْ هُوَ خيرٌ منكَ . إذا أذَّنَ مُؤذِّنُكَ للصَّلاة فاسبقهمْ ، فإذا جهرتَ بالقراءة فارفعْ صوتكَ وأسمعهمْ تكبيركَ ، ولا تُقصِّرْ في الصَّلاة فتُضيِّعَ أجرهُمْ ، ولا تُطوِّلْ فتُملَّهُمْ ، واسْمُرْ بهم فإنَّه أذكى لحراستهمْ ولا تُحدِّثهمْ عن ملوكِ الأعاجمِ فيتعلَّموا الغدرَ ، ورغبتهمُ في الزِّيّ فإنَّ ذلكَ المُلكَ أُخِذَ بغيرِ الله ، وعُملَ فيه بمعصيةِ اللهِ فدمَّرهُ اللهُ تدميراً» .

---

(١) عبد الله بن جحش بن رباب هاجر إلى المدينة ، شهد بدراً وقتل في أُحد .

(٢) أثخنوا : أكثروا الجراح في عدوكم .

(٣) غزوة ذات السلاسل في السنة الثانية من الهجرة ، أرسلها رسول الله إلى بني عذرة يدعوهم للإسلام وقادها عمرو بن العاص .

ثم أمدّه بأبي عبيدة، ومعه أبو بكر وعمر وغيرهما.

وقال له . . .

«لا تستأخرنّ عن الله فتسبق إليه، قل ما تفعل، واعمل ما تأمر ولا تشقّق الكلام تشقيق الكهّان، ولا تبحث عن المعصية، ولا تسأل عن القالة. وتغمّد[1] ما لم تكن البيّنة، وإذا وجب الحدّ فلا تقصّر عنه، وإذا قدمت على صاحبك فإن عصاك فأطعه».

وكان عليه السلام إذا بعث سريّة أو وجّه جيشاً قال:

«اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، لا تغدروا ولا تميلوا، ولا تجبنوا ولا تغلّوا، وإذا أنت لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال، وما أجابوك إليها فاقبل: ادعهم أن يدخلوا في الإسلام؛ فإن فعلوا كان لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم؛ فإن أبوا فإلى أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[2]، فإن أبوا فاستعن عليهم بالله وقاتلهم، ولا تنزلوهم على حكم الله؛ فإنكم لا تدرون أتصيبون حكم الله

(١) تغمد: من السيف إذا وضع في غمده.

(٢) صاغرون: أذلاء.

فيهمْ أمْ لا ، ولكنْ أنزلوهـمْ على حكمكمْ، ولا تُعطوهُمْ ذِمَّةَ الله ولا ذمَّةَ رسولهِ، ولكنْ أعطوهمْ ذِمَمَكمْ وذِمَمَ آبائكمْ فإنكم إنْ تَخفُرُوها خير منْ أنْ تَخفُروا ذمَّةَ الله وذمَّةَ رسوله».

* * *

وأول خطبة خطبها عليه السلام بمكةَ حين دعا قومهَ فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«إنّ الرائدَ لا يكذب أهْلَه، واللهِ لو كَذَبْتُ الناسَ ما كذبتكم ولو غرَرْتُ الناسَ ما غررتكم، والله الذي لا إلهَ إلا هو إني لرسول الله إليكمْ حقاً، وإلى النَّاس كافَّةً، والله لتموتُنَّ كما تنامونَ، ولتبْعَثُنَّ كما تستيقظونَ، ولتُحاسَبُنَّ بما تعملون ولتُجْزَوُنَّ بالإحسان إحساناً، وبالسوءِ سُوءاً، وإنها للْجنَّةُ أبداً أو النَّارُ أبداً، وإنكُمْ لأوَّلُ من أُنْذِر بينَ يديْ عذابٍ شديد».

* * *

وكان عليه السلام يقول في خطبة العيد:

«ياأيُّها النَّاسُ؛ آمنوا برسولِ الله، ﴿وقولوا قولاً سديداً* يُصلحْ لكمْ أعمالكمْ ويغفرْ لكمْ ذُنوبكمْ﴾[1].

﴿ومَن يتَّقِ اللهَ يجعل لَهُ مَخْرَجاً* ويرزقهُ مِنْ حيثُ لا يحتسب﴾[2].

هذا يومٌ أكرمكمُ اللهُ به وخصَّكمْ، وجعلهُ لكمْ عيداً؛ فاحمدوا الله كما هداكمْ لِمَا ضَلَّ عنهُ غيركمْ، وقدْ بيَّنَ الحلالَ والحرامَ؛ غيرَ أنَّ بينهما شُبَهاً من الأمرِ لَمْ يعلمها كثيرٌ منَ النَّاسِ، إلا مَنْ عصمَ اللهُ؛ فمنْ تركها حفظ عرضه ودينهُ، ومَنْ وقعَ فيها كانَ كالرَّاعي إلى جنْبِ الحِمَى أوشكَ أنْ يقعَ فيهِ، فعليكمْ بطاعةِ اللهِ واجتنابِ سُخطهِ، غفرَ اللهُ لنا ولكمْ».

* * *

---

(1) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

(2) سورة الطلاق: ٢، ٣.

وذكر ابنُ عباس أنَّ أولَ خُطْبَة صلَّى بها الجُمُعَةَ:

«الحمدُ لله أحمدهُ وأستعينهُ وأستغفرهُ، وأستهديه، وأومن به ولا أكفرهُ، وأُعادي مَنْ يَكْفُرُهُ. وأشهد أنْ لا إلهَ إلا الله وحدهُ لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله؛ أرسلهُ بالهُدَى والنورِ والموعِظَةِ على فترةٍ من الرسلِ، وقلةٍ من العلمِ، وضلالةٍ مِنَ الناسِ، وانقطاعٍ من الزَّمانِ، ودُنُوٍّ من الساعة، وقُربٍ مِنَ الآجالِ، فمن يُطِعِ اللهَ ورسولهُ فقدْ رشدَ، ومَنْ يعصِهما فقدْ غوى وفرَّط وضلَّ ضلالاً مبيناً».

وخطب – عليه السلام – يومَ الأحزاب فَحَمدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: «والذي بعثني بالحقِّ، إنَّهم لحِزْبُ الشَّياطِين يُحدِّثُونهمْ فيكذبونهمْ، ويمنُّونهمْ فيغرُّونهمْ، ويَعدونهمْ فيُخلِفونهمْ، والله ما حدَّثتكمْ فَكَذَبْتُكُمْ، ولا منَّيتُكُمْ فغرَرْتُكُمْ، ولا وعدتُكُمْ فأخلفتُكُمْ. اللهمَّ اضربْ وجوههم، وأكلَّ سلاحهمْ، ولا تباركْ لهم في مقامهمْ. اللهم مزِّقهم في الأرضِ تمزيقَ الرِّياحِ الجرادَ. والذي بعثني بالحقِّ لئِن أمسيتمُ

قليلاً لتكثرُنَّ، ولئن كنتم أذلَّةً لتعزِنُّنَّ، ولئِنْ كنتمْ وضعاءَ لتشرفُنَّ حتَّى تكونوا نجوماً يُقتدى بواحدكمْ، يقال: قال فلان وقال فلان».

ومن كلامه الموجز الذي صار مثلاً

«ياخيلَ اللهِ اركبي».

«لا ينْتَطِحُ فيه عنْزان».

«لا يلسع المؤمن من جحر مرتين».

«لا يجني على المرءِ إلا يدهُ».

«الشديدُ مَنْ غلب نفسه».

«ليسَ الخبرُ كالمُعاينة».

«الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائبُ».

«لو بغى جبلٌ على جبل لدُكَّ الباغِي».

«الحربُ خدعةٌ».

«المُسلِمُ مِرآةُ أخيه».

«اليد العُليا خيرٌ مِنَ اليد السُّفلى» .

«البلاءُ مُوكَّلٌ بالمنطقِ» .

«الغنى غنى النَّفسِ» .

«الأعمالُ بالنِّيَّاتِ» .

«اليمينُ الفاجرةُ تدعُ البيوت بلاقع»[(١)] .

«سيد القوم خادمهم» .

«إنَّ منَ الشِّعْرِ حِكَماً» .

«إنَّ مِنَ البيانِ سِحراً» .

«الصحةُ والفراغُ نعمتانِ» .

«ما نقصَ مالٌ مِنْ صدقةٍ» .

«استعينوا على الحوائجِ بالكِتمانِ» .

«ليسَ مِنَّا مَنْ غشَّنا» .

وقال عليه السلام لأُصيل الخزاعي: «ياأُصيلُ، كيفَ

---

(١) بلاقع: جمع بلقع وهي الأرض القفر.

تركتَ مكّةَ؟» قال: تركتُها وقد أحجنَ ثُمامُها، وأمشَر سَلَمُها، وأعذقَ إذخِرُها[1]. فقال عليه السلام: «دَعِ القلوبَ تَقِرّ»[2].

وقال عليه السلام: «سرعةُ المشيِ تذهبُ ببهاءِ المؤمن».

وقال: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ الجوادَ مِنْ خلقِه».

وقال: «مَنْ أخافَ أهلَ المدينةِ فقدْ أخافَ مابينَ جَنْبَيَّ».

وكان عليه السلام إذا دخل مكة كبّر ثلاثاً وقال: «لا إله إلا الله وحده، لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهُوَ على كل شيءٍ قديرٍ، آيبونَ تائبونَ، عابدون ساجدُون لربِّنا حامدونَ، صدَقَ الله وعْدَهُ، ونَصَرَ عبْدَهُ، وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ».

وكان في جنازة فبكى النساء فانتهرهنّ عمر رضي الله عنه، فقال عليه السلام: «دعهُنَّ ياعمرُ، فإنَّ النَفْسَ مُصابةٌ، والعينَ دامعةٌ، والعهدَ قريبٌ».

وقال: «إنما بُعثتُ رحمةً مُهداةً».

---

(١) أحجن: بدا ورقه، وأمشر: اكتسى بالورق، وأعذق: بدت له عذوق شعب، والثمام: نبت، والسلم: شجرة.

(٢) لأن كلامه يثير الشوق إلى مكة في نفوس المهاجرين.

وقال: «إسباغُ الوضوءِ على المكارِهِ، وإعمالُ الأقدامِ إلى المساجدِ، وانتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ تغسِلُ الخطايا غسلاً».

وقال: «مَنْ كانَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يرفعَنَّ إلينا عورةَ مُسلمٍ».

وقال: «من أعطى الذُّلَّ مِنْ نفسهِ فليسَ مِنِّي».

وقال: «كفُّكَ اللسانَ عَنْ أعراضِ النَّاسِ صِيَامٌ».

وقال: «القُرُّ بؤسٌ والحَرُّ أذًى»[1].



(١) القرّ: البرد.

الباب الثالث

غرر من كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وخُطَبِه

حُكي عن ابن عبّاسٍ أنه قال: عقمت النساء أن يأتين بمثل علي بن أبي طالب؛ لعهدي به يوم صِفِّين وعلى رأسه عمامةٌ بيضاءُ، وهو يقف على شرذمةٍ من الناس يحثُّهم على القتال، حتى انتهى إليّ وأنا في كنَفٍ من الناس، وفي أُغيلمةٍ من بني عبد المطلب؛ فقال: يامعشر المسلمين تجلببُوا السكينة، وأكبرُوا اللأمَةَ[1]، وأقلقوا السيوفَ في الأغماد، وكافحُوا بالظُّبا[2]، وصِلُوا السيُّوفَ بالخُطا، فإنكم بعينِ اللهِ، ومع ابنِ عمِّ رسولِ الله ﷺ، وعاودُوا الكرَّ، واستحيوا من الفَرّ؛ فإنه عارٌ في الأعقاب، ونارٌ يوم الحساب، وطِيبُوا عن الحياة نفساً، وسيروا إلى الموتِ سيراً سُجُحاً[3]؛ فَصَمْداً صَمْداً حتَّى يبلُغَ الكتابُ أجله. ﴿واللهُ معكمْ ولن يتِرَكُمْ أعمالكُمْ﴾[4].

---

(١) اللأمة: الدرع وقيل السلاح عامة.

(٢) الظبا: جمع ظُبَة: حد السيف أو السنان.

(٣) سجحا وسححا: سيراً في سهولة ويسر.

(٤) سورة محمد: ٣٥. والمعنى: ولن ينقصكم أجر أعمالكم.

ثم صدر عني وهو يقول: ﴿قاتلوهُمْ يُعذِّبهُمُ اللهُ بأيديكُمْ ويُخْزِهِمْ وينصرُكُمْ عليهمْ ويشفِ صُدُورَ قومٍ مؤمنين﴾[1].

* * *

ومن كلامه عليه السلام:

أيها الناس: إن الصبرَ عَنْ محارِمِ الله أيسرُ مِنَ الصَّبرِ عَنْ عذابِ اللهِ.

ومنه: كم بين عمل قد ذَهَبَ تَعَبُهُ، ويفي أجرُهُ، وبين عملٍ قد ذهبتْ لذَّتُهُ، وبقيتْ تَبِعته.

وسئل عن بني هاشم فقال: أطيبُ الناس أنفُساً عند الموتِ وذكرِ مكارمِ الأخلاقِ.

وعن بني أمية فقال: أشدُّنا حُجَزاً[2]، وأدركُنا للأمور إذا طَلَبُوا.

---

(١) سورة التوبة: ١٤.

(٢) أشدنا حجزاً: أصبرنا على الجهد.

وعن بني المغيرة فقال: أُولئكَ ريحانةُ قُريشٍ التي تشمُّها.

وسئل عن بطن آخر كنَّى عنهم فقال: ومن بقي من قريش.

وقال: خصصنا بخمس: فصاحةٍ، وصباحةٍ، وسماحةٍ، ونجدةٍ، وحُظوةٍ عند النساء.

وقال: رأيُ الشيخ أحبُّ إلينا من مَشْهد الغلام.

وقال الجاحظ قال أبو عبيدة: أول خطبة خطبها عليٌّ عليه السلام: حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال:

أما بعد. فلا يُرْعِيَنَّ[1] مُرْعٍ إلا على نفسه؛ شُغِلَ مَنِ الجنة، والنارُ أمامه، ساعٍ مُجتهدٌ، وطالبٌ يرجُو، ومُقصِّرٌ في النارِ. ثلاثةٌ. واثنان: مَلَكٌ طار بجناحيه، ونبيٌّ أخذَ اللهُ بيده ولا سادسَ. هلكَ مَنِ ادَّعى، وردي مَن اقتحمَ؛ فإنَّ اليمينَ والشِّمالَ مَضَلَّةٌ، والوسطى الجادَّةُ[2]. منهجٌ عليه باقي الكتابِ

(١) الإرعاء: المحافظة والإبقاء على النفس.

(٢) الجادة: الطريق الواضح.

والسنةِ وآثارُ النبوةِ. إن الله داوى هذهِ الأُمة بدواءين: السوطِ والسيفِ، لا هوادةَ عندَ الإمام فيهما. استتروا ببيوتكم، واصطلِحُوا فيما بينكم، والتوبةُ من ورائكُم. مَنْ أبدى صفحتهُ للحقِّ هلكَ. قَدْ كانتْ أُمورٌ لمْ تكونوا فيها عندي محمودين. أمَا إني لو أشاء لقلْتُ عفا اللهُ عمَّا سلف. سبقَ الرَّجُلانِ ونامَ الثَّالثُ[1]؛ انظروا. فإن أنكرتُمْ فأنكِروُا وإن عرفتُم فأقرُّوا؛ حقٌّ وباطلٌ. ولكلٍّ أهلٌ. ولئِنْ أمِرَ[2] الباطِلُ لقديماً فعلَ. ولئن قلَّ الحقُّ لربَّما ولعلّ. ولقلَّما أدبرَ شيءٌ فأقبلَ. ولئِنْ رجعتْ عليكم أموركُمْ إنكُمْ لسعُداء؛ وإني لأخشى أن تكونوا في فترةٍ. وما علينا إلا الاجتهادُ.

•

قال أبو عبيدة: وروى فيها جعفر بن محمد عليه السلام: ألا إنَّ أبرارَ عترتي وأطايبَ أرُومتي أحلمُ الناس صغِاراً، وأعلم الناس كبِاراً. ألا وإنَّا من أهل بيتٍ مِنْ عِلْمِ الله علَمِنْا، وبحكم الله حكَمْنَا، ومن قولِ صادقٍ سَمِعْنَا، فإنْ تتْبَعُوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يُهلككُمُ الله بأيدينا. معنا رايةُ الحقّ.

---

(١) يريد بالرجلين: أبو بكر وعمر، وبالثالث: عثمان.

(٢) أمر: كثُر.

مِنْ تبعها لَحقَ، ومَنْ تأخر عنا غرق. ألا وبنا تُدرك تِرَةُ كلِّ مؤمنٍ، وبنا تخلع ربقة[1] الذلِّ مِنْ أعناقِكُمْ، وبنا فُتِحَ لا بِكُم، وبنا يُختمُ لا، بكم.



وخطبة أخرى له:

أيها الناس المجتمعة أبدانُهم المختلفةُ أهواؤهُمْ. كلامكُم يُوهي الصُمَّ الصِلّاب. وفعلكُم يُطمِعُ فيكم عدوَّكُم. تقولون في المجالسِ كَيْتَ وكَيْتَ، فإذا جاء القتالُ قلتمُ حِيدِي حَيَادِ[2]. ما عزَّتْ دعوةُ مَنْ دعاكُمْ، ولا استراحَ قَلْبُ مَنْ قاساكُمْ، أعاليلُ بأضاليلَ. وسألتموني التَّأخيرَ دفاعَ ذي الدَّيْنِ المَطُول[3]، لا يمنع الضيمَ الذليلُ، ولا يُدْرَكُ الحقُّ إلا بالجِد، أيَّ دارٍ بعد دارِكم

(١) الربقة: الحبل يربط في عنق الشاة.

(٢) حيدي حياد: كلمة يقولها الهارب من الحرب.

(٣) مَطَلَهُ حقه: أجّل موعد الوفاء به مرّة بعد مرة.

تمنعون أمْ مَعَ أيِّ إمامٍ بعدي تقاتلون؟ المغرورُ واللهِ من غررتموهُ، ومَن فازَ بِكُمْ فازَ بالسَّهْمِ الأخيب، أصبحتُ واللهِ لا أُصدِّقُ قولكُمْ، ولا أطمعُ في نصركُمْ. فرَّقَ اللهُ بيني وبينكمْ! وأعقبني من هُوَ خيرٌ لي منكمْ. واللهِ لوددْتُ أنَّ لي بكلِّ عشرةٍ منكم رجلا من بني فِراسٍ بن غنْمٍ، صرف الدينار بالدرهم.

وذمَ رجل الدنيا عنده؛ فقال الدُّنْيا دارُ صِدقٍ لمن صدقها، ودارُ نَجاةٍ لمَنْ فهِمَ عنها، ودارُ غِنًى لِمَنْ تزوَّدَ منها. مَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، ومُصَلَّى ملائكتهِ، ومسجِدُ أنبيائه، ومتجرُ أُوليائه. ربحوا فيها الرحمةَ، واكتسبوا فيها الجنة. فَمَن ذا يذمُّها؟ وقد آذنتْ ببينها، ونادَتْ بفراقها، وشبَّهتْ بسرورها السُّرورَ وببلائها البلاءَ ترغيباً وترهيباً. فياأيها الذامُّ للدنيا المعلِّلُ نفسَهُ، متى خدعتك الدنيا، أمْ متى استذمَّتْ إليكَ؟[1]. أبِمَصَارِعِ آبائك في البِلَى أم بمضاجع أُمَّهاتكَ في الثَّرَى، كم مَرَّضْتَ بيديْكَ، وعلَّلْتَ بكفَّيْكَ، تطلُبُ له الشِّفاءَ، وتستوصِفُ له الأطباء، غداةَ لا يُغْني عنْه دواؤكَ، ولا ينفعهُ بكاؤكَ.

ودعاهُ رجلٌ إلى طعام فقال عليه السلام: نأتيكَ على ألا تتكلَّفَ لنا ما ليس عندك، ولا تدَّخِرَ ما عندك.

---

(١) استذمت: أي فعلت ما يدعوك للذمها.

وقام إليه الحارثُ بن حوط الليثي وهو على المنبر فقال: أتظن أنّا نظن أنَّ طلحةَ والزبير كانا على ضلال؟ فقال: ياحار[1]؛ إنك ملبوسٌ عليك؛ إن الحق لا يُعرَفُ بالرِّجَال، فاعرف الحق تعرف أهله.

وكان عليه السلام يقول في دعائه: اللهمَّ إنَّ ذنوبي لا تَضرُّكَ وإنَّ رحمتَك إياي لا تنْقِصكَ فاغفِرْ لي ما لا يَضرُّكَ، وأعطني ما لا ينْقِصكَ.

وقيل له: كَمْ بينَ السماءِ والأرض؟ فقال: دعوةٌ مستجابةٌ.

وقيل له: كم بين المشرق، المغرب؟ فقال: مَسيرةُ يومٍ للشمس. من قالَ غيرَ هذا فقد كذب.

وسُئل عن عثمانَ، فقال: خذلَه أهلُ بدْر، وقتله أهل مصْر؛ غير أنَّ من نصره لا يستطيعُ أن يقولَ خذلَهُ مَنْ أنا خيرٌ منْهُ. ووالله ما أُمَرْتُ به ولا نَهيْتُ عنه، ولو أمرتُ به لكنتُ قاتلاً، ولو نَهيْتُ عنه لكنتُ ناصراً. استأثَرَ عثمانُ فأساءَ الأثَرةَ، وجزعتمْ فأفحشتمُ الجزَعَ.

---

(١) أصله ياحارث، على الترخيم.

وسأله الحُسين عليه السلام عن النَّذالة، فقال: الجُرأةُ على الصديق، والنُكُول عن العدو"[1].

وقال: إن الله عزَّ وجل فرض في أموالِ الأغنياء أقواتَ الفقراء، فما جاعَ فقيرٌ إلا بما منعَ غنيٌّ. وعلى الله أنْ يسألهُمْ عن ذلكَ.

وقال عليه السلام: يأتي على الناس زمانٌ لا يقرَّبُ فيه إلا الماحلُ[2]، ولا يُظرَّفُ فيه إلا الفاجرُ، ولا يُضعَّفُ فيه إلا المُنصِفُ. يتَّخِذُون الفيْءَ مغنماً، والصدقةَ مغرماً، وَصِلَةَ الرحمِ مَنّاً، والعبادة استطالةَ على الناسِ؛ فعند ذلك يكون سلطانُ النساءِ، ومشاورةُ الإماءِ، وإمارةُ الصبيان.

وقال: عليكم بأوساطِ الأمورِ؛ فإنه إليها يرجع الغالي[3]، وبها يلحق التالي.

وخطب فقال: اتقوا اللهَ الذي إنْ قُلْتُمْ سَمِع، وإن أضمرتُمْ علِم، واحذروا الموتَ الذي إن أقمتُمْ أخذكُمْ، وإن

---

(١) نكل عن العدو: جبُن ونكص.

(٢) الماحل: الواشي.

(٣) الغالي: المبالغ المجاوز للحد.

هربتُم أدرككم. فقال ابن عباس: والله لكأنّ هذا الكلامَ ينزل من السماءِ.

وقال له رجل: عظْني، فقال: لا تكنْ ممَّنْ يرجُو الجنةَ من غير عملٍ، ويؤخِّر التوبةَ لطولِ الأمل، ويقولُ في الدنيا بقولِ الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إنْ أُعطي منها لم يَشْبَعْ، وإنْ مُنِعَ منها لم يَقْنعْ. يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتَغي الزيادة على ما أُولي ولا ينتهي. يقول: لا أعمل فأتعنَّى؛ بل أجلسُ فأتمنَّى؛ فهو يتمنّى المغفرةَ، ويَدِبُّ للمعصيةِ. وقد عُمِّرَ ما يتذكَّرُ فيه من تذكرَ.

وقال عليه السلام: خيرُ النِّساءِ الطيبةُ الريح، الطَّيِّبَةُ الطَّعامِ، التي إنْ أنفقتْ أنفقتْ قصْداً، وإن أمسكَتْ أمسكَتْ قصْداً، تِلْكَ مِنْ عُمَّال اللهِ، وعاملُ الله لا يخِيبُ.

وقال: الصمتُ في أوانهِ خيرٌ من المنطقِ في غيرِ أوانهِ.

وقال: إذا رأيْتَ في رجُلٍ خلَّةً رائعةً مِنْ خيرٍ أو سرٍّ فانتظِرْ أخواتها.

وقال: إنَّ الله تعالى لا يقبَلُ من الأعمال إلا ما صفا وصَلُب ورقَّ فأما صفاؤُها فللَّهِ، وأما رِقَّتُها فللإخْوانِ، وأمَّا صلابتُها فللدِّينِ.

وقال: الفقيه كُلُّ الفقيه الَّذي لا يُقْنِطُ الناس من رحمة الله، ولا يؤمِنُهُمْ مِنْ مَكْرِ الله، ولا يُوئِسُهُمْ مِن رَحَمَةِ الله، ولا يُرَخِّصُ لهُمْ في معاصي الله.

وكتب إلى سهل بن حُنيف[1] وهو عامله على المدينة: بلغني أن رجالاً يخرجُونَ إلى معاوية؛ فلا تأسَفْ على ما فاتكَ منْهُم؛ فكفى لهمْ غياً فرارهُمْ من الحقّ والهُدَى، وإيضاعُهُم[2] في الجهالة والعمى؛ إنَّما هُمْ أهْلُ دنيا، مُكبُّونَ عليها، قدْ علمُوا أنَّ في الحقِّ أُسوةً فهربُوا منْهُ إلى الأثرةِ؛ فبُعداً لهمْ وسُحقاً، أما لو قَدْ بُعثرَتِ القبورُ، واجتمعتِ الخصُومُ، وقُضِيَ بينَ العبادِ لتبيَّنَ لهُمْ ما يكسِبُونَ.

وكتب إلى مَصْقَلَةَ بن هُبيرةَ:[3] بلغني عنك أمرٌ إنْ كنت فعلته فقد أتيتَ شيئاً؛ إذْ بلغني أنَّكَ تَقْسِمُ فيءَ المُسلمينَ فيمن اعتفاك[4] مِنْ أعرابِ بكرِ بنِ وائلٍ، فو الَّذي فلقَ الحبَّةَ،

---

(١) وهو سهل بن حنيف الأنصاري شهد المشاهد مع الرسول، شايع عليا وشهد معه صفين وولاه الكوفة وبلاد فارس.

(٢) الإيضاع: سير مثل الجنب. والمعنى، سعيهم في الجهالة والعمى.

(٣) مصقلة بن هبيرة الشيباني، قائد. أحد أنصار علي تحول إلى معاوية، فولاه طبرستان.

(٤) اعتفاك: طلب معروفك.

وبرأ النَّسمةَ، لئن كان ذلك حقاً لتجدنَّ بك عليَّ هواناً. فلا تستهن بحق ربِّك، ولا تُصلح دنياك بمحقِ دينك فتكونَ من: ﴿الأخسرينَ أعمالاً﴾ الآية[1].

وكتب إلى زياد - وهو خليفةُ ابن عباسٍ على البصرة - وكان أخرج إليه سعدا مولاه يستحثُّهُ على حَمْل مالٍ فعاد وشكاه وعابه:

أمَّا بَعْد، فإنَّ سعداً ذكر أنَّكَ شتمته ظُلماً له، وتهدَّدْتَهُ وجبهتَه، تجبُّراً وتكبُّراً. فما دعاك إلى التكبُّر؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «الكبْرُ رِداءُ الله فَمَنْ نازَعَ اللهَ رِداءَهُ قصَمَهُ».

وأخبرني أنكَ تُكثر من الطعامِ والألوانِ، وتدَّهِنُ في كلِّ يوم؛ فما عليكَ لو صُمْتَ لله أياماً؟ وتصدَّقْتَ ببعض ما عندكَ مُحتسباً، وأكلتَ طعامَكَ مِراراً قتاراً[2]؛ فإنَّ ذلكَ دثارُ الصالحين، أتَطْمَعُ وأنتَ تتقلَّبُ في النَّعيمِ تستأثِرُ به على الجارِ المسكين، والضَّعيفِ الفقير، والأرملةِ واليتيم، أنْ يجبَ لكَ أجرُ المتصدِّقين؟.

---

(1) سورة الكهف: ١٠٣.

(2) القتار: جمع قتر وهو الرمقة من العيش وما يمسك به الإنسان رمقه.

وأخبرني أنكَ تتكلمُ بكلام الأبرارِ وتعملُ عملَ الخطَّائينَ؛ فإنْ كُنْتَ تفعلُ ذلكَ فنفسكَ ظلمتَ، وعملكَ أحبطتَ، فتُبْ إلى ربِّكَ يُصْلحْ عملكَ، واقصدْ في أمرِكَ، وقدِّمِ الفضلَ ليومِ حاجتكَ إليه إنْ كُنْتَ من المؤمنين، وادَّهِن غِبّاً فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ادَّهِنُوا غِبّاً ولا تَدَّهِنُوا رفها»(١).

فكتب إليه زياد:

أما بَعْدُ يا أميرَ المؤمنين فإنَّ سعْداً قَدِمَ فعجِلَ فانتهرتُهُ وزجرتُهُ. وكان أهلاً لأكثرَ من ذلك. فأمَّا ما ذكرَ من الإسْراف، واتِّخاذِ ألوانِ الطَّعامِ، والتنعُّمِ؛ فإنْ كان صادقاً فأثابهُ اللهُ ثوابَ الصادقينَ، وإنْ كان كاذباً فوقاهُ اللهُ عقوبةَ الكاذبين. وأما قولُه: إني أصفُ العدلَ وأخالفُهُ إلى غيره، فإنِّي إذاً لمن الأخسرين أعمالاً، فخُذْهُ يا أميرَ المؤمنينَ بمقالٍ قُلْتُهُ في مقامٍ قُمْتُهُ. فإن أتاك بشاهِدَيْ عَدْلٍ، وإلا تبيَّنَ لكَ كَذِبُهُ وظلمُهُ.

وقال عليه السلام: «قُبْلَةُ الولَدِ رحْمَةٌ، وقُبْلَةُ المرأةِ شهوَةٌ، وقُبْلَةُ الوالِدَينِ عِبادَةٌ، وقُبْلَةُ أخيكَ دِيْنٌ، وقُبْلَةُ الإمامِ العادِلِ طاعةٌ».

---

(١) أي لا تدّهنوا كل يوم.

وقال: الكريمُ لا يقبلُ على معروفهِ ثمناً.

ومشى قومٌ خلفه، فقال: عنِّي خَفْقَ نِعالكمُ؛ فإنها مَفْسَدةٌ لقلوبِ نَوكى[1] الرجال.

وقال: أكبر الغيِّ أن تعيبَ رجلاً بما فيكَ، وأن تُؤذي جليسكَ بما هو فيهِ عبثاً بهِ.

وقال: اتَّقوا مَنْ تُبغضه قلوبكم.

ودخل عليه السلام المقابر، فقال: «أمَّا المنازلُ فقد سُكِنَتْ، والأموالُ قَدْ قُسِمَتْ، والأزواجُ قد نُكِحَت. فهذا خبرُ ما عندنا؛ فما عندكم؟ ثم قال: والَّذي نفسي بيدهِ لو أُذِنَ لهم في الكلامِ لأخبروا أنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوى.



(١) نوكى: جمع أنوك وهو الأحمق.

وخطب فقال:

أمَّا بعدُ فإنَّ الدُّنيا قَدْ أدبرتْ وآذنتْ بوداع، وإنَّ الآخرةَ قد أقبلتْ وأشرفتْ باطّلاع، وإن المضمارَ اليومَ وغداً السِّباقَ. ألا وإنَّكُمْ في أيَّامِ أملٍ مِنْ ورائه أجلٌ؛ فمَنْ أخلصَ في أيَّام أمله قبلَ حضورِ أجله نفعه عمله، ولا يضره أمله، ومن قصَّر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خَسِرَ عملَهُ، وضرَّه أملُهُ. فاعملوا لله في الرغبةِ كما تعملون لهُ في الرهبةِ. ألا وإنِّي لم أرَ كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنارِ نام هاربها، ألا وإنَّه مَنْ لمْ ينفعه الحقُّ يضرُّه الباطلُ، ومَن لم يستقيمْ به الهُدى يُخزيه الضَّلالُ. ألا وإنكمْ قد أُمرتم بالظَّعنِ، ودُللتمْ على الزَّاد. وإنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم اتباعُ الهوى وطولُ الأملِ.

وقال: حَسَبِي حَسَبُ رسولِ الله ﷺ ودِيني دِينُه، فمن أبغضَ حسبي فإنَّما يُبغضُ حسبَ رسولِ الله ﷺ، ومن يُبغض ديني فإنَّما يُبغضُ دينَ النبي ﷺ.

وقال: أشدُّ الذنوبِ ما استخفَّ صاحبهُ به.

رُوي عن أبي أراكة أنه صلى مع أمير المؤمنين - عليه السلام - صلاة الفجر، فلما سلم انفتلَ عن يمينه، ثم مكثَ كأن

به كآبةً، حتى طغت الشمس على حائط المسجد، ثم قلب يديه وقال: لقد رأيت أصحابَ محمد ﷺ فما أرى اليومَ شيئاً يُشبههم، لقد كانوا يصبحون صفُراً غبُراً شعُثاً، بين أعينهم مثلُ ركب المعْزَى، قد باتوا لله سُجَّداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يراوحُونَ بينَ أقدامهمْ وجباههمْ، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادُوا كما يميدُ الشجرُ في يوم الرِّيح، وهَمَلَتْ أعينُهمْ حتى تبتلَّ ثيابُهم. والله لكأنَّ القومَ باتُوا غافلينَ.

ثم نهض، فلم يُرَ مفتراً[1] حتى ضربهَ عدوُّ الله ابنُ مُلْجِمٍ لعنَهُ اللهُ[2].

وكان عليه السلام جالساً في أصحابه، فمرَّت امرأةٌ جميلة، فرمقها القومُ بأبصارهم، فقال: إن أبصارَ هذه الفحول طوامح، فإذا رأى أحدكُمُ المرأة تُعجبُهُ فليأت أهله؛ فإنما امرأةٌ بامرأةٍ. فقال رجل من الخوارج: قاتلهُ اللهُ كافراً، ما أفهمهُ! فوثبوا عليه ليضربوه، فقال رضي الله عنه: مَهْ، فإنما هُوَ سبٌّ بسبٍّ، أو عفوٌ وقَدْ عفوْتُ.

---

(١) مفتراً: مبتسماً.

(٢) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميري، من أشداء الفرسان أسلم وهاجر في خلافة عمر رضي الله عنه قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ، فقتل.

وقال: من أبطأ به عملُه لم يسرع به حسبه.

وقال: ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتاتِ لسانه وصفحات وجهه.

وقال: إذا كُنتَ في إدبارٍ، والموتُ في إقبالٍ، فما أسرعَ المُلتقى!

وقال: قَلْبُ الأحمقِ في لسانه، ولسانُ العاقلِ في قلبِه.

وقال: عجبت من البخيل يستعجلُ الفقر الذي منه هرب، ويفوتُهُ الغنَى الذي إيَّاهُ طلب، فيعيشُ في الدنيا عيش الفقراءِ، ويحاسَبُ في الآخرة حسابَ الأغنياءِ.



الباب الرابع



فيه من كلام الأئمة عليهم السلام، وكلام جماعة من أشراف أهل البيت

الحسن بن علي عليه السلام

روي أنَّ أباه عليه السلام قال له: قُمْ واخطب لأسمع كلامك، فقام فقال:

«الحمدُ لله الذي مَنْ تكلَّمَ سَمِعَ كلامه، ومَنْ سكت علِمَ ما في نفسه، ومَن عاش فعليه رزقُه، ومَنْ ماتَ فإليه معادُه.

أما بعد، فإن القبورَ محلَّتُنا، والقيامةَ موعدُنا، والله عارضُنا، إن علياً بابٌ مَنْ دخله كان مؤمناً، ومن خرج منْه كان كافراً».

فقام إليه علي رضي الله عنه فالتزمه، وقال: بأبي أنت وأمي، ﴿ذُرِّيَّةً بعضها مِن بعضٍ والله سميعٌ عليمٌ﴾ [1].

واعتلّ عليٌّ عليه السلام بالبصرة، فخرج الحسن عليه

---

(١) سورة آل عمران: ٣٤.

السلام يوم الجمعة، فصلّى الغداة بالناس، وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

إنَّ اللهَ لم يَبعَثْ نبيّاً إلا اختاره نفساً ورهْطاً وبيتاً. والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لا ينتقِصُ أحدٌ من حقنا إلا نقصَهُ اللهُ من عمله، ولا تكونُ علينا دولةٌ إلا كانَتْ لنا عاقبة. ﴿ولتعلَمُنَّ نبأهُ بعدَ حينٍ﴾[1].

وقال له معاوية بعد الصلح: قم فاعتذر من الفتنة؛ فقام عليه السلام وقال:

إنَّ أكيسَ الكيْسِ التُّقى، وأحمقَ الحُمقِ الفجورُ، وإن هذا الأمرَ الذي تنازعنا فيه أنا ومُعاويةُ إمَّا حَقٌّ رجلٍ هو أحقُّ به مني، وإمَّا حقيٌّ تركتُهُ لصلاحِ أُمَّةِ محمدٍ ﷺ. ﴿وإنْ أدري لعلَّهُ فتنةٌ لكُمْ ومتاعٌ إلى حينٍ﴾[2].

وقال الحسن عليه السلام: من بدأ بالكلامِ قبل السلامِ فلا تُجيبوه.

---

(١) سورة ص: ٨٨.

(٢) سورة الأنبياء: ١١١.

وسئل عن البخل فقال: هُوَ أنْ يرى الرَّجُلُ ما أنفقهُ تلفاً، وما أمسكهُ شرفاً.

وقال: حُسْنُ السُّؤالِ نِصفُ العِلْمِ.

وقال: التبرعُ بالمعروفِ، والإعطاءُ قبلَ السؤالِ من أكبرِ السُّؤدُدُ.

* * *

الحسين بن علي عليهما السلام

لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال:

الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوةَ إلا بالله، وصلى الله على رسوله وسلم. خُطَّ الموتُ على ولد آدم مخطَّ القلادة على جِيد الفتاة. وما أولهني إلى أسلافي! اشتياقي كاشتياقِ يعقوبَ إلى يوسفَ، وخيرٌ لي مصرعٌ أنا لاقيه. كأنِّي بأوصالي تتقطعها عُسلانُ[1] الفلواتِ بين النَّواويسِ[2] وكَرْبَلاء، فيملأْنَ منِّي

(١) عسلان الفلوات: ذئابها.

(٢) النوايس: جمع ناووس وهو القبر.

أكراشاً جُوفاً وأجربةً سغْباً[1]. لا محيصَ عَنْ يومٍ خُطَّ بالقلمِ، رِضَا الله رضانا أهلَ البيت. نصبرُ على بلائهِ، ويُوفِّينا أُجورَ الصّابرين، لن تشذَّ عَنْ رسولِ الله ﷺ لحمتُهُ؛ هي مجموعةٌ له في حظيرةِ القُدسِ، تَقَرُّ بهمْ عينُهُ، ويُنجِزُ لهمْ وعده. مَنْ كان باذلاً فينا مُهجتهُ، وموطّناً على لقائنا نفسَهُ فليرحلْ، فإني راحلٌ مُصبِحاً إن شاءَ الله.

وخطب عليه السلام فقال:

أيها الناس. نافسوا في المكارم، وسارعُوا في المغانِم، ولا تحتسبِوا بمعروفٍ لم تُعجلوه، واكتسِبوا الحمدَ بالنُّجْح، ولا تكتَسِبُوا بالمَطْلِ ذمّاً، فمهما يكنْ لأحدٍ عند أحدٍ صنيعةٌ لهُ رأى أنَّهُ لا يقومُ بشكرها فالله له بمكافآته، فإنَّهُ أجزلُ عطاءً، وأعظمُ أجراً، واعلموا أن حوائجَ الناسِ إليكمْ من نِعَمِ الله عليكم، فلا تملُّوا النِّعم، فتحُورَ نقما، واعلموا أن المعروفَ يَكسب حمدا ويُكسبُ أجراً، فلو رأيتمُ المعروفَ رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يَسرُّ الناظرينَ، ويفوقُ العالمين، ولو رأيتمُ اللؤمْ رجلاً رأيتموهُ سَمِجاً مُشوَّهاً تنفرُ منه القلوبُ، وتُغَضُّ دونَهُ الأبصارُ. أيها

---

(١) أجربة: جمع جراب وهو الوعاء - شبه به بطون الذئاب، سغبا: جائعات.

الناس. من جاد ساد، ومن بَخِل رَذُلَ. وإنّ أجودَ الناسِ من أعطى من لا يرجوه، وإنّ أعْفَى الناسِ من عفا عن قُدرة، وإن أفضلَ الناس مَنْ وصل مَنْ قَطَعَهُ، والأصولُ على مغارسِهَا ففروعُها تسمُو. فمن تعجَّلَ لأخيه خيراً وجده إذا قَدِمَ عليه غداً، ومَنْ أراد الله تباركَ وتعالى بالصنيعةِ إلى أخيه كافأهُ بها وقت حاجتِه، وصرفَ عنه من بلاءِ الدنيا ما هُوَ أكثرُ منه، ومن نفَّس كربة مؤمنٍ فرَّج الله عنه كُرَبَ الدنيا والآخرَة، ومن أحْسنَ أحسن الله إليه، واللهُ يُحِبُّ المُحسنينَ.

وخطب فقال:

إن الحلمَ زينةٌ، والوفاءَ مروءةٌ، والصِّلةَ رَحْمَةٌ، والاستكبارَ صلَفٌ، والعجلةَ سفَهٌ، والسَّفَهَ ضعفٌ، والغُلُوَّ ورطَةٌ، ومجالسةَ الدُّناةِ شَرٌّ، ومُجالسةَ أهْلِ الفِسقِ ريبةٌ.

وقال يوماً لأخيه الحسن عليهما السلام: ياحسن. وددتُ أن لسانَكَ لي، وأن قلبي لك.

وكتب إليه الحسنُ عليه السلام يلومهُ على إعطاءِ الشعراء، فكتب إليه: أنْتَ أعلَمُ مني أنّ خيرَ المالِ ما وقَى العرْض.

* * *

علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه[1]

نظر إلى سائلٍ يبكي، فقال: لو أنَّ الدنيا في يد هذا، ثم سقطت منه ما كان ينبغي أنْ يبكيَ عليها.

وسُئِل رضي الله عنه: لم أُوْتِمَ النبي -ﷺ- من أبويه؟ قال لئلا يُوجَبَ عليه حقٌّ لِمَخْلُوقٍ.

وقال لابنه: يابني. إياك ومُعاداةَ الرجال، فإنه لن يعدمك مكرُ حليمٍ، أو مفاجأةُ لئيمٍ.

وكان رضي الله عنه إذا توضأ للصلاةِ احمرَّ واصفرَّ وتلوَّنَ ألواناً، فإذا قام إلى الصلاة رجفَتْ أضلاعُه؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: أتدرونَ بينَ يديْ مَنْ أنَا قائمٌ؟.

وسقط ابنٌ له في بئر، ففَزِع أهلُ المدينة لذلك حتى أخرجوه - وكان قائماً يصلّي، فما زالَ عن محْرابه - فقيل له في ذلك، فقال: ما شعرتُ. إني كنتُ أُناجِي ربّاً عظيماً.

---

(١) علي بن الحسين بن علي زين العابدين، رابع الإمامية، ولد سنة ٣٨هـ كان يضرب به المثل في الحلم والزهد، وتوفق سنة ٩٤هـ.

وكـان له ابن عم يأتيـه بالليل مـتنكرًا، فـيناوله شـيـئـاً من الدنانير، فيقول: لكنَّ علي بن الحسين ما يصلُني؛ لا جزاه اللهُ عني خيراً؛ فيسمع ذلك فيحتملُه، ويصبرُ عليه ولا يعرِّفُه نَفْسَه، فلما مات عليٌّ رضي الله عنه فَقَدَها، فحينئذٍ عَلِمَ أنه هو كان، فجاء إلى قبره وبكَى عليه.

وكان يُقال له ابن الخيِّرَتَيْن، لقول رسول الله ﷺ: «إنَّ لله مِنْ عباده خيرتَيْنِ؛ فخيرتُه من العَرب قُرَيْشٌ ومَن العَجَمِ فَارِس»، وكانت أُمه ابنة كسرى.

وقيل له: منْ أعظمُ الناس خطراً؟ قال: من لم يرَ الدُّنْيَا خَطَراً لِنفْسِهِ.

وتزوَّج أمَةً له أعتقها، فلامه عبدُ الملك بن مروان على ذلك وكتب إليه: أما بعد فإنه قد بلغني عنك أنك أعْتَقْت أمَتَكَ وتزوّجْتَها، وقد كان لك في أكفائِكَ من قريشٍ ما تَسْتَكْرِمُ به في الصِّهْرِ، وتَسْتَنجِبُ بِهِ الولدِ، فلم تنظرْ لنفسِك ولا لولدِكِ ونَكَحْتَ في اللؤْمِ.

فكتب إليه.

أما بعد، فإني أعْتَقْتُهَا بكِتَاب اللهِ، وارتجعتُها بسنَّةِ

رسول الله ﷺ، وإنَّهُ والله ما فوقَ رسولِ الله مُرْتقىً لأحدٍ في مجدٍ، إنَّ اللهَ قَدْ رفعَ بالإسلام الخَسِيسةَ، وأتمَّ النقيصةَ، وأكرمَ به من اللُّؤْمِ؛ فلا عارَ على مُسْلمٍ. هذا رسُولُ الله -ﷺ- قد تزوج أمَتَهُ وامْرأةَ عبدِه[1].

فقال عبد الملك: إنَّ عليَّ بنَ الحسين» يَشْرُفُ مِنْ حيثُ يتَّضِعُ النَّاسُ.

وقيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحنا خائفينَ برسُولِ اللهِ[2]، وأصبحَ جميعُ أهْلِ الإسلام آمنينَ بهِ.

* * *

محمد بن علي الباقر رضي الله عنه[3]

قال يوماً لأصحابه: أيُدْخِلُ أحدكمْ يَدَهُ في كمِّ صاحبِهِ؛ فيأخذ حاجتَهُ مِنَ الدنانيرِ والدراهم؟ قالوا: لا. قال: فلستم إذاً بإِخْوانٍ.

---

(١) يريد بأمته مارية، وبامرأة عبده زوجة زيد بن حارثة.

(٢) المراد لقرابتنا له.

(٣) محمد بن علي زين العابدين لقب بالباقر، أي الجامع للعلم، ولد سنة ٥٧ هـ وتوفي سنة ١١٤هـ.

وقـال لابنه جـعـفـر رضي الله عنه: يابُنَيَّ، إنَّ اللهَ خَبأَ ثلاثةَ أشياءَ في ثلاثة أشياءَ: خبأَ رِضاهُ في طاعته، فلا تَحقِرَنَّ من الطاعة شيئاً، فلعلَّ رضاهُ فيه. وخبأ سخطه في معصيته. فلا تحقرنَّ من المعاصي شيئاً، فلعل سُخْطَهُ فيه. وخبأَ أولياءهُ في خلقِهِ، فلا تحقِرَنَّ أحداً، فلعلَّ ذلكَ الوليَّ.

واجتمع عنده قومٌ من بني هاشم وغيرهم، فقال لهم: اتقوا الله، شيعةَ آلِ محمدٍ، وكونوا النُّمْرُقَةَ[1] الوسطى، يرجعُ إليكمُ الغالي، ويلحق بكم التالي! قالوا له: وما الغالي؟ قال: الذي يقولُ فينا ما لا نقوله في أنفُسنا. قالوا: فما التَّالي؟ قال: الذي يطلبُ الخيرَ فتزيدونهَ خيراً، إنهُ والله ما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على اللهِ مِنْ حُجةٍ، ولا نتقرَّبُ إليه إلا بالطَّاعَةِ؛ فمن كان منكمْ مطيعاً لله يعملُ بطاعتهِ نفعته ولايَتُنا أهلَ البيتِ، ومنْ كان منكم عاصياً لله يعمل بمعاصيهِ لم تنفعه ولايتنا. ويحكمْ لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا.

ورُوي أن عبد الله بن معمر الليثي قال لأبي جعفر: بلغني أنك تُفْتي في المُتعة[2]، فقال: أحلَّها الله في كتابه، وسنَّها

---

(١) النمرقة: الوسادة الصغيرة.

(٢) المتعة: أن يتزوج الرجل امرأة إلى أجل محدد ثم يخلي سبيلها.

رسولُ الله -ﷺ- قال عبد الله: فيسرُّكَ أنَّ نساءكَ فعلنَ ذلكَ؟ قال أبو جعفر: وما ذِكرُ النِّساءِ هاهنا يا أنوك[1]؟ إنَّ الذي أحلَّها في كتابِه وأباحها لعبادِه أغيرُ منْك وممَّنْ نهى عنها تكلُّفاً، بل يسرُّكَ أنَّ بعضَ حرمكَ تحتَ حاكةٍ[2] يثرب نكاحاً؟ قال: لا. قال: فلم تحرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لكَ؟ قال: لا أُحرِّمُ، ولكن الحائكَ ما هُوَ لي بكفءٍ، قال: فإنَّ اللهَ ارتضى عملهُ ورغَّبَ فيه وزوَّجَهُ حُوراً، أفترغبُ عمَّنْ يرغبُ اللهُ فيه، وتستنكفُ ممَّنْ هُوَ كفءٌ لحُورِ الجنانِ كبراً وعتوّاً؟ قال: فضحك عبدُ الله وقال: ما أحسبُ صُدورَكمْ إلا منابتَ أشجارِ العلمِ، فصارَ لكمْ ثمرهُ، وللنَّاسِ ورقُهُ.

وسُئِل لِمَ فرضَ الله تعالى الصومَ على عبادِه؟ فقال: ليجدَ الغنيُّ مَسَّ الجُوعِ فيحنُوَ على الضعيف.

وقال: إنَّ قوماً عبدوا اللهَ رغبةً فتلكَ عبادةُ العبد، وإنَّ قوماً عبدوا اللهَ شكراً فتلكَ عبادةُ الأحرار.

وقال أبو عثمان الجاحظ: جمع مُحمَّدٌ -عليه السلام-

---

(١) الأنواك: الأحمق.

(٢) الحاكة: جمع حائك.

صلاحَ شأنِ الدُّنيا بحذافيرِها في كلمتين، فقال: صلاحُ شأنِ التَّعايُشِ والتَّعاشرِ مثلُ مكيالٍ، ثلثاهُ فِطنةٌ وثلثٌ تغافلٌ.

* * *

زيد بن علي رضي الله عنه[1]
وكان يسمى في آل محمد - ﷺ - الراهب

ومن كلامه: إن الذين كَرُمَتْ عليهم أنفسُهُمْ حفظوها بطاعةِ الله من العملِ بمعصيتهِ، وأدَّبُوها بالقرآنِ، وأقاموها على حدودِ الرحمن؛ فلم يهتِكوا حجابَ ما حرَّم اللهُ عليهمْ، ولم يسأموا من الصبر ومرارتِهِ في الله ابتغاءَ مرضاتِهِ، فراقبوه في الخَلَواتِ، وبذلوا لهُ من أنفُسِهِمْ الكثيرَ من الطاعاتِ، حتى إذا عرضَتْ لقلوبِهِم الدُّنيا أعرضُوا عنها بيقينٍ لا يشُوبُهُ ريبٌ؛ فهؤلاءِ همُ المؤثِرُونَ على أنفسهِمْ ولو كانَ بهمْ خصاصةٌ.

---

(١) زيد بن علي زين العابدين - أخو محمد بن علي الباقر - ولد سنة ٧٩هـ وقتل سنة ١٢١هـ.

وقال رحمه الله: لا يُسألُ العبدُ عَنْ ثلاثٍ يوم الحساب؛ عمَّا أنفقَ في مرضِهِ، وعما أنفقَ في إفطارِهِ، وعمَّا أنفق في قِرَى ضيفِهِ.

وقال رضي الله عنه: اطلبْ ما يعنيك ودَعْ ما لا يعنيك؛ فإنَّ في تركِ ما لا يعنيك دركاً لما يعنيكَ، وإنَّما تُقدمُ على ما قدَّمْتَ، ولستَ قادماً على ما أخَّرْتَ، فآثرْ ما تلقاهُ غداً على ما لا تراهُ أبداً.

ووقع بينه وبين عبدِ الله بن الحسن كلامٌ برُصافةِ هشامٍ في صدقاتِ رسولِ الله -ﷺ- فقال له عبدُ الله: يابْنَ السَّوداء، فقال: ذلكَ لونُها، فقال: يابْنَ النُّوبيَّة[1]. فقال: ذلكَ جِنْسُها. فقال يابْنَ الخبَّازَةِ. فقال: تلكَ حِرْفَتُها. قال: يابْنَ الفاجرةِ. فقال: إن كنتَ صادقاً فغفرَ اللهُ لها، وإن كنتَ كاذباً فغفرَ اللهُ لكَ. فقال: عبد الله: بلْ أنا كاذبٌ، يقولها ثلاثَ مرَّات.

قارف الزُّهريُّ[2] ذنباً فاستوحش مِنَ الناس، وهام على

---

(١) نسبة: إلا بلاد التوبة جنوب مصر.

(٢) محمد بن مسلم بن عبد الله الزهري القرشي، فقيه ورواء للحديث وهو أول من دونه ولد سنة ٥٨ ومات سنة ١٢٤هـ.

وجهه، فقال زيد رحمه الله: يازُهْري، لَقُنوطُكَ من رحمة الله التي وَسِعَتْ كُلَّ شيءٍ أشدُّ عليكَ مِنْ ذنبكَ. فقال الزهري: اللهُ أعلمُ حيثُ يُجعلُ رسالاتهِ[1]، ورجع إلى أهله وماله وأصحابه.

* * *

جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه[2]

سُئل: لِم صار الناسُ يكلبون أيام الغلاء على الطعام، ويزيد جوعهم على العادة في الرخص؟ قال: لأنهم بنو الأرض، فإذا قحطتْ قحطوا وإذا أخصبتْ أخصبوا.

وشكا إليه رجلٌ جاره، فقال: اصبر عليه، فقال: ينسبني الناسُ إلى الذلِّ، فقال: إنما الذَّليلُ مَنْ ظلم، إنما الذليلُ من ظلم.

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ الأنعام آية: ١٢٤.

(٢) هو جعفر بن محمد بن زيد العابدين ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي بالمدينة سنة ١٤٨هـ.

وقال رحمه الله: أربعةُ أشياءُ القليلُ منها كثيرٌ: النارُ، والعداوةُ، والفقرُ، والمرضُ.

وسئل: لِمَ سُمِّيَتْ الكعبةُ البيتَ العتيقَ؟ قال: لأنَّ الله أعتقها من الطّوفان يومَ الغرقِ.

وقال أبو جعفر المنصور: إنِّي قد عزمتُ على أن أخرب المدينة، ولا أدعَ بها نافخَ ضَرَمَة[1]، فقال: ياأمير المؤمنين، لا أجد بداً من النَّصاحَةِ لك، فأقبلها إن شئتَ أو لا. قال: وما ذاكَ؟ قال: إنه قد مضى لكَ ثلاثةُ أسلافٍ؛ أيوبُ ابتُلي فصبرَ، وسليمانُ أُعطي فشكرَ، ويوسفُ قدرَ فغفرَ، فاقتدِ بأيِّهِمْ شئْتَ، قال: قد غفَرْتُ.

وقال رضي الله عنه: صُحبةُ عشرينَ يوماً قرابةٌ.

وقف أهلُ المدينة وأهلُ مكة بباب أبي جعفر؛ فأذِنَ الربيعُ لأهل مكةَ قَبْلَ أهل المدينةِ، فقال جعفرٌ رضي الله عنه: أتأذنُ لأهل مكةَ قبل أهل المدينة؟ قال الربيع: إن مكةَ العُشُّ، فقال جعفر: عُشٌّ والله طارَ خِيَارُهُ، وبقِيَ شِرَارُهُ.

---

(١) الضرمة: اللهب، ولا أدع نافخ ضرمة: لا أترك بها إنساناً.

وقيل له: لِمَ حرَّمَ الله الربا؟ قال: لئلا يتمانع الناسُ المعروفَ.

وقيل له: إن أبا جعفر المنصور لا يلبسُ منذُ صارت إليه الخلافةُ إلا الخَشِنَ، ولا يأكل إلا الجَشِبَ[1]، فقال: لِمَ ياويحه؟ مع ما قد مكَّن اللهُ له من السلطان وجبَى إليه من الأموال، فقيل له: إنما يفعلُ ذلك بُخلاً وجمعاً، فقال: الحمدُ لله الذي حَرَمَهُ مِنْ دُنْيَاهُ؛ ماله ترك دينه؟.

وقال: إذا أقبلت الدنيا على المرء أعطتهُ محاسنَ غيرِهِ، وإذا أدبرتْ عنه سلبتْه محاسنَ نفسِهِ.

ومرَّ به رجل وهو يتغذَّى فلم يسلِّم، فدعاهُ إلى الطعام، فقيل له: السُّنَّةُ أن يُسلِّم ثم يُدعى، وقد ترك السلامَ على عمدٍ، فقال: هذا فِقْهٌ عِراقيٌّ فيه بُخْل.

وقال: القرآنُ ظاهرهُ أنيقٌ وباطنُهُ عميقٌ.

وقال: منْ أنصفَ مِنْ نفسهِ رُضِيَ حَكَماً لغيرهِ.

وقال: أكرمُوا الخُبزَ، فإنَّ اللهَ تعالى أنزلَ لهُ كرامةً. قيل:

---

(١) الجشب: الخشن من الطعام.

ومـا كـرامـتهُ؟ قـال: ألا يُقْطَعَ ولا يُوطأَ، وإذا حضرَ لم يُنْتَظَرُ بهِ غيرهُ.

وقال: حِفظُ الرجلِ أخاهُ بعد وفاتِهِ في تركتِهِ كرم.

وقال: ما مِنْ شيءٍ أسَرُّ إليَّ مِنْ يدٍ أتبعتُها الأُخرى؛ لأنَّ منعَ الأواخرِ يقطعُ لسانَ شُكْرِ الأوائل.

وقال: إنِّي لأُمْلِقُ فأتاجِرُ اللهَ بالصَّدَقَةِ[1].

* * *

موسى بن جعفر رضي الله عنه[2]

ذُكر أنَّ موسى الهادي قد همَّ به، فقال لأهلِ بيتهِ: بم تُشيرون؟ قالوا: نرى أنْ تتباعدَ عنه، وأن تُغيِّبَ سُخطَكَ، فإنه لا يُؤمَنُ شرُّه، فقال:

---

(١) أملق: افتقر.

(٢) هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ولد سنة ١٢٨هـ، كان عالماً ورعاً.

زعمتْ سَخينَةُ أنْ ستغلِبُ ربَّها وليُغلَبَنَّ مُغالِبُ الغلابِ[1]

ثم رفع يديه إلى السماء، فقال: إلهي، كَمْ مِن عدوٍّ لي قد شَحَذَ لي ظُبَةَ مُديته، وأرهفَ لي شَبَا حدِّه[2]، وذافَ لي قواتِلَ سُمُومِهِ[3]، ولم تَنَمْ عنّي عينُ حراسته، فلما رأيتَ ضعفي عن احتمالِ الفوادح، وعجزي عن مُلمَّاتِ الجَوائح صرَفْتَ ذلكَ عنّي بحولكَ وقُوَّتكَ، لا بحَوْلي وقُوَّتي؛ فألقيتهُ في الحفير الذي احتفرهُ لي، خائباً مما أمَّلَهُ في دنياه، متباعداً مما رجاهُ في آخرته، فلك الحمدُ على ذلك قدر استحقاقك. سيدي؛ اللهمَّ فخُذْهُ بعزَّتِكَ، وافلُلْ حدَّه عني بقُدرتكَ، واجعلْ له شُغلا فيما يليه، وعجزاً عمَّنْ يُناديه، اللهم واعْدُني عليه عَدْوَى حاضرةً تكونُ من غيظي شفاءً، ومن حنقي عليه وفاء، وصلِ الهمَّ دُعائي بالإجابة، وانظم شكايتي بالتعبيرِ، وعرِّفْهُ عمَّا قليلٍ ما وعدت به الظالمين، وعرِّفني ما وعدتَ في إجابةِ المضطرين؛ إنك ذُو الفضلِ العظيم، والمنِّ الكريم.

---

(١) البيت لكعب بن مالك، وسخينة لقب كانت تُرمى بن قريش، وهي طعام كانت تأكله أيام القحط.

(٢) شبا كل شيء: حده المرهف. وظبة مديته: حدّ سكينه.

(٣) ذاف السم خلطه ليكون شديد الفتك.

قال: ثم تفرق القوم، فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتاب الوارد بموت موسى الهادي، ففي ذلك يقول بعضهم في وصف دعائه:

وسارية لم تَسْرِ في الأرضِ تبتغي   مَحَلاً، ولم يَقطعْ بها السَّفْرَ قَاطِعُ

وهي أبيات مليحةٌ ما قيل في وصف الدعاءِ المستجاب أحسنَ منها.

وسأله الرشيد، فقال: لم زعمتُم أنكم أقربُ إلى رسول الله ﷺ منَّا؟ فقال: ياأمير المؤمنين، لو أنَّ رسول الله -ﷺ- أنْشِرَ فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحانَ اللهِ، وكنتُ أفتخر بذلك على العرب والعجم، فقال: لكنه لا يخطبُ إليَّ ولا أُزوِّجُهُ؛ لأنه ولدنا ولم يلدْكُمْ.



علي بن موسى الرضا[1] رضي الله عنه

سأله الفضلُ بن سهل[2] في مجلس المأمون، فقال: ياأبا الحسن؛ الخلقُ مُجبَرُون؟ فقال: اللهُ أعدلُ أنْ يُجبِر ثم يُعذِّبَ قال: فمطلقون؟ قال: اللهُ أحكمُ، أنْ يُهمِل عبدَهُ ويكلَهُ إلى نفسِهِ.

قال عمرو بن مسعدة[3]: بعثني المأمونُ إلى عليّ -رضي الله عنه- لأُعلِمهُ ما أمرني به من كتابٍ في تقريظه[4]، فأعلمتُه ذلك، فأطرقَ مليّاً ثم قال: ياعمرو إنَّ مَنْ أخذ برسول الله -ﷺ- لحقيقٌ أنْ يُعطِيَ بِهِ.

---

(١) علي الرضا بن موسى الكاظم ولد سنة ١٥٣هـ من أم حبشية، أحبه المأمون، وعهد إليه بالخلافة بعد موته، فكان هذا سبباً في ثورة بغداد عليه - توفي سنة ٢٠٣هـ.

(٢) الفضل بن سهل السرخسي الخراساني ولد سنة ١٥٤هـ، وأسلم على يدي المأمون وصحبه، أصبح وزير المأمون بعد أن تولى الخلافة، قتل بسرخس سنة ٢٠٢هـ.

(٣) عمرو بن مسعدة بن سعد وزير المأمون وكاتبه، أحد الكتاب البلغاء في العرب. توفي في أطنة سنة ٢١٧هـ.

(٤) تقريظه: مديحه.

وسئل رضي الله عنه عن صفة الزاهد، فقال: مُتَبلِّغٌ بدونِ قُوتِهِ، مستعِدٌّ ليومِ موتِهِ متبرمٌ بحياتِهِ.

وسئل عن القناعة، فقال: القناعةُ تجمعُ إلى صيانةِ النفسِ، وعزِّ القدرِ طرح مؤنِ الاستكثارِ والتَّعَبُّد لأهْلِ الدُّنيا، ولا يسلكُ طريقَ القناعةِ إلا رجلانِ: إما مُتَقلِّلٌ يريدُ أُجرَ الآخرةِ، أو كريمٌ متنزِّهٌ عَنْ لِئامِ النَّاسِ.

امتنع رجلٌ عنده عن غسل اليد قبل الطعام؛ فقال رضي الله عنه: اغسلْهَا، فالغَسْلَةُ الأُولى لنا، وأما الثانيةُ فلكَ. إنْ شئْتَ فاتركْها.

أُدْخِلَ إلى المأمونِ رَجُلٌ أرادَ ضَرْبَ عنُقِهِ والرِّضَا حاضر؛ فقال له المأمون: ما تقولُ فيه ياأبا الحسن؟ فقال: أقول إنَّ الله لا يزيدُكَ بِحُسْنِ العفْوِ إلا عِزاً، فعفا عنه.

حدث أبو الصَّلْتِ[1] قال: كنت مع علي بن موسى رضي الله عنه وقد دخل نيسابور، وهو راكبٌ بغلة شهباء، فغدا في طلبه علماءُ البلد: أحمدُ ابن حنبل، ويسينُ بن النضر،

---

(١) أبو الصلت الهروي عباس بن صالح بن سليمان، مولى قريش سكن نيسابور، وخدم علي ابن موسى الرضا، كان عالماً زاهداً.

ويحيى بن يحيى[1]، وعدةٌ من أهلِ العلم؛ فتعلَّقوا بلجامِهِ في المربَّعَةِ، فقالوا له: بحقِّ آبائكَ الطاهرين حدِّثنا بحديث سمعتَه من أبيك؛ فقال: حدثني أبي العدلُ الصالحُ موسى بن جعفر، قال: حدثَنِي أبي باقرُ -علْمِ الأنبياءِ- محمدُ بن علي؛ قال: حدثني أبي سيد العابدينَ علي بن الحسين، قال: حدثني أبي سيّدُ شبابِ أهل الجنة الحسينُ بن علي، قال: سمعتُ أبي سيدَ العرب عليَّ بن أبي طالب، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: الإيمانُ معرِفَةٌ بالقلبِ، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بالأركانِ. قال: فقال أحمدُ بن حنبل: لو قرأتُ هذا الإسنادَ على مجنونٍ لبرِئ من جنُونِهِ.

* * *

(١) يحي بن يحيى النيسابوري أحد المحدثين المتثبتين، كان يلقب بالشكاك لشدة تحرجه توفي سنة ٢٢٦ هـ.

محمد بن علي بن موسى رضي الله عنه[1]

تذكَّر المتوكل ُفي علَّة إنْ وهب الله له العافيةَ أن يتصدّق بمال كثير، فعوفيَ، فأحضر الفقهاء واستفتاهم، فكلٌّ منهمْ قال شيئاً إلى أن قال محمد رضي الله عنه: إن كنتَ نويتَ الدراهمَ فتصدَّقْ بثمانينَ درهماً.

فقال الفقهاء: ما نعرِفُ هذا في كتابٍ ولا سُنَّة، فقال: بلى.

قال الله عزَّ وجل: ﴿لقدْ نصركُمُ اللهُ في مواطنَ كثيرةٍ﴾[2]. فعدُّوا وقائعَ رسولِ الله -ﷺ- ففعلوا فإذا هي ثمانون.

هذه القصة إن كانت وقَعَتْ للمتوكل فالجواب لعليٍّ بنِ مُحمَّدٍ. فإنَّ محمداً لم يلحق أيام المتوكِّلِ[3]، ويجوزُ أن تكونَ له مع غيره من الخلفاءِ.

---

(١) محمد الجواد بن علي الرضا، ولد بالمدينة سنة ١٩٥هـ، كان ذكياً طلق اللسان مات ببغداد سنة ٢٢٠هـ.

(٢) سورة التوبة: ٢٥.

(٣) المترجم له مات ببغداد سنة ٢٢٠هـ في خلافة المعتصم، والمتوكل تولى الخلافة سنة ٢٣٢هـ.

وأتاه رجل فقال: أعطني على قَدْر مروءتك، قال: لا يسعُني، قال: فقال على قَدْري، قال: أمَّا ذا فنعمْ، ياغلام؛ أعطه مائتيْ دينارٍ.

* * *

عبد الله بن الحسن بن الحسن رضي الله عنه[1]

نظر إليه رجل وهو مغموم، فقال ما غمُّكَ يابنَ رسول الله؟ فقال: كيف لا أغتمُّ وقد امتحنت بأغلظَ منْ محنْةَ إبراهيمَ خليلِ الله؛ ذاكَ أُمِرَ بذبْح ابنِه ليدخُلَ الجنَّةَ، وأنا مأخوذٌ بأن أُحضِرَ ابنيَّ ليُقْتلا فأدْخُلَ النار.

ولما أمعن داود بن علي[2] في قتل بني أُمية بالحجاز، قال له عبد الله: يابْنَ عم؛ إذا أفرطْتَ في قتلِ أكفائِكَ فمن تباهي

(١) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ٧٠هـ. حبسه المنصور حين علم أن ابنيه قد استترا بغية الثورة. مات سجيناً بالكوفة سنة ١٤٥هـ.

(٢) داود بن علي بن عبد الله بن عباس، عم السفاح ولد سنة ٨١هـ، توفي بالمدينة سنة ١٣٣هـ.

بسلطانك؟ أوما يكفيك منهم أن يروك غادياً رائحاً فيما يسرُّكَ ويسوءهُمْ؟

وكتب إلى صديقٍ له: اتَّقِ الله؛ فإنه جعلَ لمن اتَّقاهُ من عبادِهِ المخرجَ مما يكرهُ والرِّزقَ من حيثُ لا يحتسبَ.

قالوا: كان عثمانُ بن خالد المرِّي على المدينةِ من قِبَلِ الوليد بن عبد الملك؛ فأساءَ بعبدِ الله والحسنِ ابْنَي الحَسَنِ إساءةً عظيمةً وقصدهُمَا، فلما عُزِلَ أتياهُ، فقالا: لا تنظُرْ إلى ما كانَ بيننا؛ فإنَّ العزلَ قَدْ محاهُ، وكلِّفْنا أمركَ كلَّهُ. فلجأ إليهما، فبلغا له كُلَّ ما أراد؛ فجعل عثمان يقول: اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاتهِ.

وكان عبدُ الله يقول: يابُنيَّ اصبرْ؛ فإنما هي غدوةٌ أوْ روحَةٌ حتى يأتيَ اللهُ بالفرجِ.

وروي أنه قال لابنه محمد حين أراد الاستخفاءَ: يابُنيَّ، إني مُؤدٍّ إليكَ حقَّ اللهِ في تأديبك ونصيحتكَ، فأدِّ إليَّ حقَّه عليك في الاستماع والقبولِ، يابني كفَّ الأذى، واقْضِ النَّدى، واستعنْ على السَّلامَةِ بطولِ الصَّمْتِ في المواطن التي تدعوكَ فيها نفسُكَ إلى الكلام؛ فإن الصَّمْتَ حَسَنٌ، وللمرء

ساعاتٌ يضرهُ فيها خطؤه، ولا ينفعهُ فيها صوابهُ. واعلمْ أن مِن أعظمِ الخطإِ العجلةَ قبلَ الإمكانِ، والأناةَ بعد الفُرصةِ. يابني: احذر الجاهلَ وإن كانَ لكَ ناصحاً كما تحذرُ عداوةَ العاقلِ إذا كان لكَ عدواً؛ فيوشكُ الجاهلُ أن يورِّطَكَ بمشورتِهِ في بعضِ اغْتِرارِكَ، فيسبِقَ إليكَ مكرُ العاقِلِ ومُورِّطُ الجاهِلِ، وإياكَ ومعاداةَ الرجالِ؛ فإنه لا يعدمُكَ منها مكرُ حليمٍ ومُفاجأةُ جاهِلٍ.

* * *

محمد بن عبد الله بن الحسن[1] - النَّفْسُ الزكيةُ - وأخواه رضي الله عنهم

لما ظهر بالمدينة كتب إليه المنصور:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله. أما بعد

(١) محمد بن عبد الله بن الحسن، يلقب بالنفس الزكية، ولد ٩٣هـ، تخلف عن بيعة السفاح والمنصور هو وأخوه، طلبهما المنصور فتواريا ثار محمد وبايعه أهل المدينة، أرسل إليه المنصور جيشاً هزمه وقتل سنة ١٤٥هـ.

ف﴿إنَّما جزاؤا الَّذين يُحاربونَ اللهَ ورسولَهُ ويسعونَ في الأرضِ فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّعَ أيديهمْ وأرجلُهم مِنْ خلافٍ أو يُنفَوا مِنَ الأرضِ ذلك لهمْ خزيٌ في الدنيا ولهمْ في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ * إلا الَّذينَ تابُوا مِن قبْلِ أن تقدرُوا عليهمْ فاعلموا أنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾[1].

ولك ذمةُ الله عزَّ وجلِ وعهدُهُ وميثاقُهُ، وحقُّ نبيهِ محمدٍ - ﷺ - إن تبتَ من قبلِ أن أقدرَ عليكَ أنْ أؤمِّنكَ على نفسكَ وولدِكَ وإخوتِكَ ومن تابعكَ وبايعكَ وجميعِ شيعتكَ، وأنْ أعطيكَ ألفَ ألفَ درهمٍ، وأُنزلكَ من البلادِ حيثُ شئتَ، وأقضيَ لكَ ما شئتَ من الحاجاتِ، وأن أطلِقَ مَنْ في سجني مِن أهلِ بيتكَ وشيعتكَ وأنصارِكَ، ثم لا أتْبِعُ أحداً منهم بمكروهٍ؛ فإن شئتَ أنْ تتوثَّقَ لنفسكَ؛ فوجِّهْ إليَّ مَنْ يأخذُ لكَ مِن الميثاقِ والعهدِ والأمانِ ما أحببْتَ. والسلام.

فكتب إليه محمد رضي الله عنه:

من عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد. أما بعد.

---

(١) سورة المائدة: ٣٣، ٣٤.

«طسم * تلك آيات الكتاب المبين * نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون»[1].

وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي أعطيتني؛ فقد تعلم أن الحق حقنا، وأنكم إنما طلبتموه بنا، ونهضتم فيه بشيعتنا، وخطبتموه بفضلنا، وأن أبانا علياً عليه السلام كان الوصي والإمام، فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء؟ وقد علمت أنه ليس أحد من بني هاشم يمت بمثل فضلنا، ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا، ونسبنا وسببنا، وأنا بنو أم رسول الله -ﷺ- فاطمة بنت عمرو[2] في الجاهلية دونكم، وبنو بنته فاطمة في الإسلام من بينكم. وأنا أوسط بني هاشم نسبا، وخيرهم أماً

(١) سورة القصص: ١-٦.

(٢) فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية، وهي التي ولدت أبا طالب وعبد الله.

وأبا، لم تَلِدْنِي العجمُ، ولم تُعْرِق[1] فيَّ أُمهات الأولادِ. وإن الله تبارك وتعالى لم يَزل يختار لنا؛ فولدَني من النبيين أفضلهمْ محمد -ﷺ- ومن أصحابه أقدمهم إسلاماً، وأوسعهمْ عِلما، وأكثرهمْ جهاداً عليٌّ بن أبي طالب، ومن نسائِه أفضلهن خديجة بنت خُويلدَ أولُ مَنْ آمَنَ بالله وصلَّى القِبْلَةَ، ومن بناتِهِ أفضلُهن سيدةُ نساءِ أهل الجنةِ، ومن المولُودين في الإسلام الحسَنُ والحُسيْن سيدًا شباب أهْل الجنةِ. ثم قد علمت أن هاشماً ولد علياً مرتين، وأن عبدَ المطلب ولد الحسَن مرَّتين[2] وأن رسول الله ﷺ ولدني مرتين من قِبَل جدَّيَّ الحسن والحسين[3]، فما زالَ الله عز وجل يختارُ لي حتى اختارَ لي في النار؛ فولدني أرفعُ الناسِ درجةً في الجنةِ[4] وأهونُ أهل النَّار عذاباً[5]، وأنا ابنُ خيرِ الأخيارِ، وابْنُ خيرِ أهلِ الجنةِ، وابنُ خيرِ أهل النَّار.

ولك عهدُ اللهِ، إن دخلتَ في بيعتي، أن أؤمِّنَكَ على

---

(١) تعرق: من العرق وهو الجذر: أي أن أصولي ليست فيهم.

(٢) يريد: من طريق الآباء ومن طريق الأمهات.

(٣) الحسين جد محمد بن عبد الله لأمه.

(٤) يريد به الرسول عليه السلام.

(٥) يريد به أبا طالب.

نفسك وولدك وكلّ ما أصبته إلا حداً من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معاهَد. وقد علمت ما يلزمكَ في ذلكَ، وأنا أوفى بالعهد منك، وأنت أحرى بقبول الأمان منّي؛ فأمّا أمانُك الّذي عرضتَهُ فأيُّ الأمانات هو؟ أمانُ ابن هُبيرة[١]، أم أمان عبدِ اللهِ عمّك[٢]، أم أمانُ أبي مسلم؟ والسلام.

* * *

محمد بن إبراهيم بن إسماعيل[٣]

ابن إبراهيم طَباطَبا بن حسن بن حسن بن علي -رضي الله عنهم- صاحب أبي السرايا[٤]. خطب حين انتهب أبو السرايا قصرْ العباس بن موسى ابن عيسى، فقال:

---

(١) يشير إلى غدر السفاح بابن هبيرة بعد أن أعطاه الأمان. وابن هبيرة هو يزيد عمر بن هبيرة الفزاري من أمراء الدولة الأموية، كتب إليه السفاح بالأمان والصلح، فرضي بذلك، ولكن السفاح اغتاله سنة ١٣٢هـ.

(٢) يشير إلى غدر المنصور بعمه عبد الله بن علي بعد أن أمنه، فقتله سنة ١٤٧هـ.

(٣) محمد بن إبراهيم بن اسماعيل - يتصل نسبه بالحسن بن علي من أئمة الزيدية - اتفق هو وأبو السرايا على الثورة، وملك الكوفة سنة ١٩٩هـ، مرض في السنة نفسها ومات.

(٤) أبو السرايا السري بن منصور الشيباني، بدأ حياته قاطع طريق - لقي ابن طباطبا وبايعه - ملك الكوفة والمدائن حتى هزمه الحسن بن سهل وقتله سنة ٢٢٠هـ.

اما بعد، فإنه لا يزالُ يبلغني أنَّ القبائل منكم تقول: إنَّ بني العباس فَيْءٌ لنا، نخوضُ في دمائهم، ونرتعُ في أموالهم، ويُقبَلُ قولنا فيهم، وتصدقُ دعوانا عليهم، حُكْمٌ بلا علْمٍ، وعَزمٌ بلا رويَّةٍ. عجباً لمن أطلقَ بذلك لسانه، أو حدَّثَ به نفسه! أبكتاب الله حكَمَ أم سنةَ نبيِّه صلى الله عليه اتبعَ؟ أو بَسْطَ يدِي له بالجورِ أمَلَ؟ هيهاتَ هيهات، فاز ذو الحقِّ بما نوى، وأخطأ طالبٌ ما تمنَّى، حقٌّ كلِّ ذي حقٍّ في يده، وكلُّ مدَّعٍ على حُجتهِ، ويلٌ لمن اغتصب حقاً، وادعى باطلاً، فلحَ من رضي بحكم الله، وخابَ من أرغَمَ الحقُّ أنفهُ. العدلُ أولى بالأثرةِ وإن رَغِمَ الجاهلون، حقٌّ لمن أمرَ بالمعروفِ أنْ يجتنبَ المنكر، ولمن سلك سبيلَ العدلِ أن يصبْرَ على مرارةِ الجورِ، كلُّ نَفْسٍ تسمو إلى هِمتها. ونِعْمَ الصاحبُ القناعةُ.

* * *

جماعة من الأشراف الطّالبيّين

كان يحيى بنُ الحسين يُسمَّى ذا الدَّمعةِ، وكانت عينه لا تكاد تجفُّ من الدموع، فقيل له في ذلك، فقال: وهل ترك السهمان فيّ مَضحكاً، يعني: السهم الذي رمي به زيد -رحمه الله- والسهم الذي رمي به يحيى بن زيد[1].

كان عيسى بن زيد[2] -رحمه الله- خرج مع النَّفسِ الزكية محمد بن عبد الله، وأشارَ عليه لما كثُر عليهِ الجيشُ أن يلحق باليمن، فإن له هناك شيعةً، وطلبُه يبعد، فلم يقبل منه؛ فلما أحَس بالقتل ندم على ترك القبول منه، وقال لمن حوله من شيعته: الأمرُ مِنْ بعدي لأخي إبراهيم؛ فإن أُصيب فلعيسى بن زيد.

فلما قُتل محمد استتر عيسى مدةَ أيام المنصور وفي أيام المهدي، فطلب طلباً شديداً إلى أن مات في الاستتار في آخر أيام المهدي.

---

(١) هو يحيى بن زيد بن زين العابدين، ولد سنة ٩٨، ثار مع أبيه على هشام، واستمر بعد مقتل أبيه في الثورة حتى رمي بسهم كان سبباً في موته سنة ١٢٥هـ.

(٢) عيسى بن زيد أخو يحيى، خرج مع النفس الزكية، استتر بعد مقتل محمد وإبراهيم، عاش متخفياً حتى توفي سنة ١٦٨هـ.

وحدّث شبيب بن شيبة[1]، قال: كنت أُجالس المهديَّ في كل خميس، خامسَ خمسةٍ، فخرج إلينا عشيةً وهو غضبان لخبر بلغه عن عيسى بن زيد، فقال: لعن الله كُتَّابي وعمالي وأصحاب بُرُدِي وأخباري، هذا ابن زيد قد غَمُضَ عليَّ أمره فما ينجُمُ لي منه خبر، فقلت: لا تشكُوَنَّ منه ياأميرَ المؤمنينَ، وما يكربكَ من خبر ابن زيدٍ؟ فوالله ما هو بحقيقٍ أن يتّبع وأن يجتمع عليه اثنان.

قال: فنظر إليَّ نظرةَ منكرٍ لقولي، ثم قال: كذبْتَ، والله هو والله الحقيقُ بأن يُتَّبَعَ، وأن يجتَمع عليه المسلون. وما يُبعدهُ عن ذلك؟ لقد حطبتَ في حبْلي، وطلبتَ هواي بفسادِ أمري. يافضل - للفضل بن الربيع - احجبْهُ عن هذا المجلس. قال: فحُجِبتُ عنه مدة.

ولعيسى بن زيدٍ شعرٌ حسن، ومات وله ستُّونَ سنةً، كان ثلث عمره عشرين سنة في الاستتار.

وكان ابنه أحمد بن عيسى[2] من أفاضل أهل البيت علْماً

(١) شبيب بن شيبة البصري كان فصيحاً أخبارياً، وتوفي سنة ٢٦٢هـ.

(٢) هو أحمد بن عيسى بن زيد من زعماء الزيدية ولد سنة ١٥٧هـ، ونشأ عالماً فاضلاً. حبسه الرشيد ففر من السجن واختبأ، واستمر إلى أن مات سنة ٢٤٨هـ.

وفقهاً وزُهداً، وكان الرشيدُ حبسه ثم أطلقه، ثم طلبه لما بلغه كثرةُ شيعته من الزيدية، فاستتر[1]، فلم يزل في الاستتار ستين سنة؛ فلما قُتل المتوكل وقام بعده المنتصرُ، وبلغه عطفُهُ على العلوية وإحسانُهُ إليهم، أراد أحمدُ بن عيسى أن يُظْهِر نفسَه، فاعتلّ وتوفّي بالبصرة.

قال الصولي: كنتُ يوماً من الغلابي[2]. ونحن نقصد المِربَد[3]، فمررنا بدربٍ يعرف بدرب الحريق، فقال لي: أتدري لِمَ سُمّي هذا بدرب الحريق؟ قلت: لا. قال: كان هذا الدربُ يسمّى المعترِض، فجلس اثنان على دكانٍ بين يدي الدرب مما يلي المِربَد، فطالب أحدُهما صاحبه بمائة دينار ديناً له عليه، والرجلُ المطالبُ مُعترف، وهو يقول: ياهذا: لا تمض بي إلى الحاكم؛ فإني قد تركتُ في منزلي أطفالاً قد ماتت أُمُّهم، لا يهتدون لشربِ الماءِ إن عَطِشُوا، وإن تأخرتُ عنهم ساعةً ماتوا، وإن أقررْتُ عند الحاكم حبسني فتلِفوا؛ لا تحملني على يمينٍ فاجرةٍ،

---

(١) استتر: اختبأ خوفاً من السلطان.

(٢) محمد بن زكريا بن دينار مولى بني غلاب.

(٣) محلة بالبصرة من أعظم محالها.

فإني والله أحلِفُ لك ثم أُعطيك مالك، وصاحبُه يقول له: لابدَّ من تقديك وحبسِك أو تحلِف. فلما كثُر هذا منهما إذا صُرَّةٌ قد سقطت بينهما، ومعها رُقعة: ياهذا، خُذْ هذه المائةَ الدينارَ التي لك قِبَل الرجل، ولا تحمله على الحلف كاذبا، وليكن جزاء هذا أنْ تكتماه فلا يعلم به غيركما، ولا تسألا عن فاعِله، فسُرَّا بذلك جميعاً وافترقا، فندَّ الحديثُ[1] من أحدهما فشاع، فقيل: ما يفعل هذا الفعل إلا أحمدُ بن عيسى، فقصدوا الدارَ لطلبه فوجدوا آثاراً تدلُّ على أنه كان فيها وتنحَّى، وهرب صاحب الدار، فأحرقَ السلطان الدارَ، فسمِّي منذ ذاك درْبَ الحريق.

كان أبو السرايا لما مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا أقام مقامه محمد بن محمد بن زيد[2] فلما ظفُر به حُمل إلى مَرْو إلى المأمون، فأظهر إكرامه وعجب من صغرِ سنِّه، وحبَسَه حبْساً جميلا، فقيل له: كيف رأيتَ صنيعَ ابنِ عمك أميرِ المؤمنين في ظَفَرِه وقُدرتِه. فقال: والله لقد أغضَى عن العورةَ،

(١) ندَّ الحديث: ظهر وانتشر.

(٢) هو محمد بن محمد بن زيد من نسل الحسين.

ونفَّسَ الكُربَةَ، ووصل الرحِمَ، وعفا عن الجرمْ وحفظ النبيَّ - ﷺ - في ولَدِه، واستوجَبَ الشكر من جميع أهلِ بيته.

ومات بِمَرْوَ من شيء سقُيه، فلما أحسّ بالموت كان يقول: ياجدي، ياأبي ياأُمي: اشفعوا لي إلى ربّي؛ فكان ذلك هِجِّيراه[1] إلى أن مات، وكانت سنه يوم تُوفي عشرين سَنَة.



(١) هجيراه: دأبه وعادته.

الباب الخامس

فيه كلام جماعة من بني هاشم المتقدمين منهم والمتأخرين

عبد المطلب

لما تتابعتْ على قريش السنونَ، ورأت رُقَيْقَةُ بنت لُبابة[1] الرؤيا التي نذكرها من بعد خرج عبد المطلب حتى ارتقى أبا قبيس[2] – ومعه رسولُ الله ﷺ وهو غلام – فقال:

اللهم سادَّ الخَلَّةِ، وكاشفَ الكُرْبَةِ، أنت عالِم غيرُ معلمٍ، ومسئولٌ غيرُ مُبخَّلٍ. وهذه عِبِدّاؤكَ وإماؤكَ بعذِرات[3] حرمك يشكون إليك سَنَتَهمُ التي أكلت الظِّلْفَ والخُفَّ[4]. فاسْمَعَنَّ اللَّهُمَّ، وأمطِرَنَّ غيثاً مرِيعاً[5] مُغْدِقاً.

---

(١) المشهور أن اسمها: رقيقة بنت صيفي بن هاشم بن عبد المطلب، أدركت الرسول وأسلمت.

(٢) جبل قرب مكة.

(٣) عبداؤك: عبيدك. عذرات حرمك: أفنية حرمك.

(٤) الظلف والخف: الحيوانات ذات الظلف والخف كالبقر والإبل.

(٥) المغدق: الغزير الكثير.

قالت رقيقة: فما راموا[1] البيتَ حتى انفجرت السماءُ بمائِها، وكظَّ الوادي بثجيجه[2] فسمُعِتْ شيخَانُ قريش وجِلَّتُها[3] وهي تقول: «هنيئاً لك أبا البطحاء هنيئاً لكَ» أي عاش بك أهلُ البطحاءِ.

وكانت لعبد المطلب خمسٌ من السُّنَنِ أجراها اللهُ في الإسلام: حرَّمَ نِساءَ الآباءِ على الأبناءِ، وسَنَّ الدِّيةَ مائةً مِنَ الإبل، وكان يطوفُ بالبيت سبعةَ أشواط. ووجد كنزاً فأخرج منه الخُمْسَ، وسَمّى زَمْزَمَ حين حفرها سقاية الحاجِّ.

قيل: إنَّ عبد المطلب أُتي في المنام. فقيل: احفرْ زمْزَم، بين الفَرْثِ والدمِ، فقام ينتظر ما سمّي له، فنُحرتْ بقرةٌ فأفلتت من جازِرِها[4] بحُشاشةِ نفسها حتى غلبها فنُحِرَتْ في المسجد؛ فحفر عبد المطلب هناك.

---

(١) رام المكان: فارقه.

(٢) كظ الوادي بثجيجه: امتلأ بالسيل.

(٣) شيخان: جمع شيخ.

(٤) جازرها: ذابحها.

روي عن بعض مَوالي المنصور قال: أخرج إليّ سليمان بن علي كتاباً بخط عبد المطلب، وإذا هو شبيهٌ بخط النساء فيه: باسمك اللهم - ذِكْرُ - حق عبدِ المطلب بن هاشم من أهل مكةَ على فلان ابن فلان الحميريِّ من أهل أولِ صنعاء[1]. عليه ألف درهم فضةٍ طيبةٍ كيلاً بالحديد، ومتى دعاه بها أجابه. شهد اللهُ والملكانِ.

* * *

الزبير بن عبد المطلب[2]

قالوا: قدم الزُّبير بن عبد المطلب من إحدى الرحلتين[3]، فبينا رأسه في حجر وليدة له وهي تدَّري[4] لِمتَّهُ إذ قالت له: ألم

(١) المراد هنا صنعاء الشام - فصنعاء تطلق على مدينة باليمن وعلى قرية بالشام.

(٢) هو عم رسول الله عليه السلام لأبيه وأمه، لم يعقب أولاداً من بعده.

(٣) هما رحلتا الشتاء والصيف.

(٤) تدري: تمشط شعره.

يَرُعْكَ الخبرُ؟ قال: وما ذاك؟ قالت: زَعم سعيدُ بن العاص أنه ليس لأبطَحِيٍّ[1] أن يعتَمَّ يوم عِمَّته، فقال: والله لقد كان عندي ذا حِجاً وقَدْر، وانتزع لِمَّتَهُ من يدها، وقال: يارُعاثُ. عليَّ عمامتَي الطُّولى؛ فأُتِي بها فلاثها[2] على رأسه، وألقى ضِيفيْها[3] حتى لطخا قدميه وعَقِبَيْه، وقال: عليَّ فرسِي فأُتِي به، فاستوى على ظهره، ومرَّ يَخْرِقُ الوادي كأنَّهُ لهَبُ عرفَج، فلقيه سهُيل بن عمرو[4] فقال: بأبي أنت وأُمي ياأبا الطاهر، مالي أراك قد تغيَّر وجهُك؟ قال: أولم يبلُغْكَ الخبرُ؟ هذا سعيدُ بنُ العاص يزعم أنه ليس لأبطحي أنْ يعتمَّ يوم عِمَّته. ولمَ؟ فوالله لَطَوْلُنا عليهمْ أظهرُ من وَضَحِ النَّهارِ، وقمَرِ التَّمامِ، ونجمِ السَّاري، والآن تنثل[5] كنانتها، فتعجُمُ قُريشٌ عيدانها فتعرفَ

(١) الأبطحي: نسبة إلى الأبطح مكان بمكة.

(٢) لاث العمامة: عصبها.

(٣) ضيفيها: ناحيتها والضيف: الناحية والجانب.

(٤) سهيل بن عمرو: خطيب قريش، كان من المشركين في صلح الحديبية واسلم يوم الفتح ومات سنة ١٨هـ.

(٥) نثل الكنانة: طرحها وأخرج عيدانها، وعجم العود: اختبره ليعرف مدى صلابته.

بازلٍ[1] عامنا وثنيَّاته. فقال له سُهيل: رفقاً. بأبي أنتَ وأمي فإنه ابنُ عمك. ولن يعييك شأوُه، ولن يقصر عنه طولك. وبلغ الخبر سعيداً فرحَّل ناقته واغترزَ رَحْلَه، ونجا إلى الطائفِ. فقيل له: أتريد الجلاءَ؟ فقال: إني رأيت الجلاءَ خيراً من الفناءِ. ومضى قصدهُ.

* * *

أبو طالب

خطب لرسول الله -ﷺ- في تزويجه خديجة بنت خويلد؛ فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيمَ، وزرع إسماعيلَ، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكّامَ على الناس؛ ثم إن محمد بن عبد الله ابنَ أخي مَنْ لا يُوازَنُ به فتى مِن قريش إلا رجَحَ به بِراً وفضلاً، وكرماً وعقلاً، ومجداً

---

(١) البازل من الإبل ما بلغ الثامنة، والثني: الصغير السن، والمراد: تعرف القوي والضعيف.

ونُبلاً، وإن كان في المال قُلٌّ، فإنما المالُ ظِلٌّ زائلٌ، وعارية مُسترجعةٌ، وله في خديجةَ بنت خُويلدٍ رغبةٌ، ولها فيه مثلُ ذلكَ. وما أحببتُم من الصَّداقِ فعَلَيَّ.

روى أبو الحسين النَّسّابة بإسنادٍ له قال: قال أبو رافع مولى رسول الله -ﷺ-: سمعتُ أبا طالب يقول: حدثني محمد بنُ عبد الله -ابنُ أخي- أن ربّه تباركَ وتعالى بعثَهُ بصلةِ الرَّحمِ، وأن يَعْبُدَ الله وحده ولا يُعْبَدَ معه غيرهُ، ومحمد عندي الصدوقُ الأمينُ. قال أبو الحسين: قد قال أبو طالب من التوحيد نظماً ونثراً ما لا خفاءَ به، فمن ذلك قوله لابنيه: جعفرٍ وعليٍّ رضي الله عنهما:

لا تخذلا وانصرا ابن عمكُما ... أخي ابنِ أُمِّي من بينهِمْ وأبِي

واللهِ لا أخذلُ النبيَّ ولا ... يخذلُهُ من بنيَّ ذو حسبِ

فسمّاه النبيَّ.

وقال:

عليها المراجيحُ من هاشمٍ ... هم الأنجبونَ مع المنتجب[1]

فسماه المنتجب.

---

(١) المنتجب: المختار والمصطفى.

وقال:

أمينٌ صدوقٌ في الأنامِ مُسوَّمٌ[1] بخاتمِ ربٍّ قاهرٍ للخواتِمِ

فسمّاه الأمين والصدوق.

وقال:

وحكم نبيٍّ جاء يدعُو إلى الهُدى ودينٍ أتى مِنْ عندِ ذي العرشِ قيِّمِ

* * *

العباس بن عبد المطلب[2]

سُئل: أنت أكبرُ أم رسولُ الله ﷺ؟ فقال: رسولُ الله أكبرُ، وأنا أسنُّ. وُلدتُ قبلهُ بثلاثِ سنين. أذكرُ وقدْ قيلَ لأمِّي: إن آمنةَ قدْ ولدت ابناً؛ فأدخلتني إليهِ صبيحةَ الليلةِ التي وُلِدَ فيها، وهو ﷺ يَصعُ[3] برجليه، والنساءُ يجبذنني[4] عليهِ، يقُلْنَ: قبِّلْ أخاكَ.

---

(١) مسوم: معلم بعلامة النبوة وهو الخاتم.

(٢) عم الرسول، العباس بن عبد المطلب، شهد بعض الوقائع معه، وعمي في آخر عمره توفي سنة ٣٢هـ.

(٣) يمصع برجليه: يحركهما.

(٤) يجبذ: يجذب.

قيل لما قُبِضَ رسول الله -ﷺ- اجتمعَ عليٌّ والعباسُ وجماعةٌ مِنْ حَفَدَتهم ومواليهم في منزل رجل من الأنصار لإجالة الرأي، فبدر بهمْ أبُو سفيان فجاء حتى طرقَ الباب؛ فقال: أَنشدكم الله أن تكونوا أولَ مَنْ قطعَ رحِمِ بني عبد مناف، ثم جاء الزبير يهدِجُ(1) حتى طرق الباب، فقال: أنشدكم اللهَ والخُؤولةَ، والصُّهُورةَ، فلما حضرَ أرمَّ(2) القوم عن الكلام، فلما رأى أبو سفيان ذلك قال: مجدٌ قديمٌ أثّل بشرف الأبد، يابني عبدِ مناف؛ ذُبُّوا عَنْ مجدِكم، وانضحُوا عن سُؤْدُدِكُمْ، وإياكم أن تخلعوا تاجَ كرامةٍ ألبسكُمُ اللهُ إيَّاهُ. وفضَّلكم بها، إنَّها عَقِبُ نُبُوَّةٍ، فَمَنْ قصَّرَ عنها اتَّبَعَ.

وقال الزُّبير: قد سمعتُم مقالتهُ، فابذلُوا الشركةَ، وأحسنُوا النِّيَّةَ؛ فلنْ يستغني مَنِ استحقَّ هذا الأمر عَنْ مقاتلٍ يُقاتلُ معهُ، وموئِلٍ يلجأ إليهِ، والمقاتِلُ معكمْ خيرٌ منَ المُقاتِلِ لكمْ.

فقال العباس: قد سمعنا مقالتكمُ، فلا لقلةٍ نستعينُ بكمْ، ولا لظنَّةٍ نتركُ آراءكُمْ، ولكن لالتماسِ الحق؛ فأمهلونا نُراجع الفكرةَ. فإن يكنْ لنا من الإثم مخرجٌ يصرِّ بنَا وبهمْ الحقُّ

---

(1) يهدج: يمشي مضطرب الخطا متقاربها وهي مشية الشيوخ.

(2) أرم عن الكلام: سكت.

صريرَ الجُدجُدِ[1]، ونبسطُ أكُفّاً إلى المجدِ؛ لا نقبضُها أو تبلغَ المدى؛ وإن تكنِ الأُخرى فلا لقلةٍ في العددِ، ولا لوهنٍ في الأيدِ[2]. واللهِ لولا أنّ الإسلام قيّدَ الفتكَ لتدكدكت جنادلُ صخرٍ يُسمعُ اصطكاكُها من محلٍّ الأثيلِ.

قال: فحلّ علي -رضي الله عنه- حبْوتَه، وكذا كان يفعل إذا تكلّم؛ وجثا على رُكبتيهِ وقال: الحلمُ صبرٌ، والتّقوى دين، والحجّةُ محمدٌ -ﷺ- والطريقُ الصِّراطُ. إيهاً رحمكمُ الله، شقُّوا متلاطماتِ أمواج الفتنِ، بحيازيمِ[3] سُفُنِ النَّجاة، وعرِّجُوا عَنْ سبيل المنافرةِ، وحُطُّوا تيجانَ المُفاخرةِ، أفلحَ مَنْ نهضَ بجناحٍ، واستسلمَ فأراحَ. ما آجن[4] لقمةً تغصّ آكلها! ومُجتني الثَّمرةِ لغيرِ إيناعِها كالزَّراعِ في غير أرضه. أما لو أقولُ ما أعلمُ لتداخلتْ أضلاعٌ تداخُلَ دوأرةِ الرَّحا. وإن أسكتْ يقولوا جزِعِ ابنُ أبي طالب من الموتِ. هيهاتَ هيهاتَ بعد اللُّتيَّا والّتي. والله لعليٌّ آنسُ بالموتِ من الطّفلِ بثدي أمّهِ، ولكني أُدمجتُ

(١) الجدجد: دويبة يسمع لها بالليل صرير.

(٢) الأيد: القوة.

(٣) الحيازيم: جمع حيزوم: مقدم السفينة.

(٤) ما آجن: ما أمر.

على مكنونِ علمٍ لو بُحتُ بهِ لاضطربتُمْ اضطرابَ الأرشيةِ في الطويِّ البعيدةِ[1].

وقال العباس: يابني عبد المطلب اختضبوا بالسَّواد، فإنه أحظى لكمْ عند نسائكم، وأهيبُ لكم في صدور عدوِّكُمْ.

وقال لابنه: يابني تعلَّم العلم، ولا تَعَلَّمْهُ لِتُرَائِيَ بهِ، ولا لتُبَاهي بهِ، ولا لتماريَ بهِ؛ ولا تدعهُ رغبةً في الجهل، وزهادةً في العلم، واستحياءً من التعلُّم.

* * *

عَقِيل[2]

قال معاوية يوماً: هذا أبو يزيد، لولا أنه علم أني خيرٌ له من أخيه لما أقام عندنا وتركه، فقال له عقيل: أخي خير لي في ديني، وأنتَ خيرٌ لي في دُنيايَ.

---

(١) الأرشية جمع رشاء وهو الحبل، والطوي: البئر.

(٢) عقيل بن أبي طالب أخو علي لأبيه، كان مع المشركين يوم بدر، وأسلم بعد الحديبية، وشهد غزوة مؤته وحنين، كان مع معاوية ضد علي. توفي سنة ٦٠هـ.

وقال له مرة: أنت معنا ياأبا يزيد، قال: ويومَ بدرٍ كنتُ معكم.

وقالت له امرأتُه - وهي ابنة[1] عتبة بن ربيعة: يابني هاشم؛ لا يحبكم قلبي أبداً، أين أبي؟ أين أخي؟ أين عمي؟ كأنَّ أعناقهم أباريقُ الفضة تَرِدُ آنُفُهُم قبل شفاههِم الماء.

فقال لها عقيل: إذا دخلتِ جهنم فخُذي عن شمالك.

تزوج امرأةً، فقيل له بالرفاء والبنين، فقال: قال رسول الله ﷺ «إذا تزوّج أحدكم فليقل له بارك الله فيك وبارك عليك».

* * *

محمدِ بن علي -رضي الله عنه- ابن الحنفية[2]

قيل له: مَنْ أشدُّ الناس زهداً؟ قال: مَن لا يبالي الدنيا في يدِ مَنْ كانتْ.

---

(١) اسمها فاطمة بنت عتبة بن ربيعة.

(٢) محمد بن علي بن أبي طالب، أمه من بني حنيفة، فارس شجاع قوي الجسم ولد سنة ٢١هـ، وأخرجه ابن الزبير إلى الطائف حين أخذ البيعة بالمدينة، وتوفي سنة ٨١هـ.

وقيل له: مَنْ أخسرُ الناس صفقةً؟ قال: من باعَ الباقي بالفاني.

وقيل له: مَنْ أعظمُ الناس قدراً؟ قال: من لا يرى قدراً لنفسه.

وقال: من كَرُمَتْ عليه نفسهُ صغُرت الدنيا في عينيه.

وكان يقول: اللهم أعنِّي على الدُّنيا بالغِنى. وعلى الآخرة بالتَّقوى.

وقال المنافقون له: لِمَ يَغُررُ بكَ أميرُ المؤمنين في الحرب[1] ولا يغررُ بالحسن والحسين؟ قال: لأنهما عيناه، وأنا يمينه؛ فهو يدفعُ بيمينه عن عينيه.

وكتب إلى ابن العباس حين سيَّره ابنُ الزبير إلى الطائف:

أما بعد، فإنه قد بلغني أنَّ ابنَ الزبير سيَّركَ إلى الطائف، فأحدثَ اللهُ جلَّ وعزَّ لك بذلك ذُخراً حطَّ به عنك وِزراً. يابنَ عمٍّ؛ إنما يُبتلى الصالحُون، وتعدُّ الكرامةُ للأخيار؛ ولو لمْ تُؤجَرْ إلا فيما تحبُّ لقلَّ الأجرُ، وقد قال الله تعالى: ﴿وعسى

---

(١) يغرر به في الحرب: يقحمه في المواضع الخطيرة.

أن تكرهوا شيئاً وهوَ خيرٌ لكمْ وعسى أن تُحبُّوا شيئاً وهوَ شرٌّ لكمْ﴾[1] . عزم الله لنا ذلك بالصبر على البلاءِ، والشكر على النَّعماءِ، ولا أشمتَ بنا عدوّاً. والسلام.

وقال: ما لكَ منْ عيشكَ إلا لذَّةٌ تزدلفُ بكَ إلى حمامِك، وتُقرِّبُكَ منْ يومك؛ فأيَّةُ أكلةٍ ليس معها غَصَصٌ، أو شربةٍ ليس معها شَرَقٌ[2]؟ فتأمَّلْ أمرك؛ فكأنك قد صرتَ الحبيبَ المفقود، والخيالَ المخْتَرَمَ[3]. أهل الدُّنيا أهلُ سفرٍ لا يَحُلُّونَ عُقَد رحالهم إلا في غيرها.

وقال في قوله عزَّ ذكرُهُ: ﴿هلْ جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ﴾[4] هي مُسجلةٌ[5] للبرّ والفاجر - يعني مرسلة.

* * *

(١) سورة البقرة: ٢١٦.

(٢) الشرق بالماء والريق ونحوهما كالغصة في الطعام.

(٣) اخترمه: اقتطعه واستأصله.

(٤) سورة الرحمن: ٦٠.

(٥) مسجلة: مطلقة. المراد أن الحكم عام على البر والفاجر.

ابن عباس[1]

قيل لعبد الله بن عباس: ما منع علياً رضي الله عنه أن يبعثك مع عمرو يوم التحكيم، فقال: ما منعه والله إلا حاجزُ القدرَ ومِحنةُ الابتلاء، وقصر المدة. أما والله لو وجَّهَ بي لجلست في مدارجِ نفسه، ناقضاً ما أبرم، ومُبرماً ما نقضَ. أطيرُ إذا أسفَّ[2]، وأُسِفُّ إذا طارَ، ولكن مضى قدرٌ وبقي أسفٌ، ومع اليوم غدٌ والآخرةُ خيرٌ لأمير المؤمنينَ.

قال: أتى زيد بن ثابت بدابَّته، فأخذَ ابنُ عباس بركابه؛ فقال زيد: دعهُ بالله؛ فقال ابنُ عباس: هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا. فقال زيد: أخرِجْ يدكَ؛ فأخرجها، فقبَّلها زيدٌ وقال: هكذا أُمِرنا أن نفعلَ بأهل بيتِ نبينا عليه السلام.

وكان يقول: تواعظوا وتناهوا عن معصيةِ ربِّكمُ؛ فإنَّ

---

(١) عبد الله بن عباس عالم بني هاشم وداهيتهم وجدّ الخلفاء العباسيين ولد سنة ٣هـ شهد مع الرسول غزواته، شهد الجمل وصفين والنهروان مع علي، كف بصره في آخر أيامه وتوفي سنة ٦٨هـ.

(٢) أسف الطائر: طار قريباً من الأرض.

الموعظةَ تنبيهٌ للقلوب من سنَة الغفلةِ، وشفاءٌ من داءِ الجهالةِ، وفكاكٌ من رقِّ مَلَكَةِ الهوى[1].

ودخل على معاوية؛ فقال له: ألا أُنبِّئك؟ مات الحسن بن علي، فقال ابن عباس: إذاً لا يدفنُ في قبركَ، ولا يزيد موتهُ في عُمركَ، وقبله ما فجعنا بخيرٍ منه، فجبر اللهُ وأحسنَ.

ومن كلامه: ما رضي الناسُ بشيءٍ مِنْ أقسامِهِمْ كما رضُوا بأوطانهم.

وقال: من استؤذِنَ عليه فهو مَلِكٌ.

* * *

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وولده

مرَّ بباب قوم، وجاريةٌ تغنِّيهم؛ فلما سمع غناءها دخلَ من غير أن استأذنَ، فرحَّبوا به، وقالوا: كيف دخلتَ يا أبا جعفر؟ قال: لأنكم أُذنتمْ لي قالوا: وكيف؟ قال: سمعت الجاريةَ تقول:

---

(١) الملكة: التملك.

قــل لكــرامٍ ببابــنــا يلِجــوا ما في التَّصابي على الفتى حرجُ

وقال لابنته: يابُنية. إياك والغيرةَ فإنَّها مفتاحُ الطلاقِ، وإياكِ والمعاتبة فإنها تُورِث الضغينةَ، وعليك بالزِّينةِ، واعلمي أن أزينَ الزينةِ الكُحل، وأطيبَ الطيبِ الماءُ.

وقال: لا تستحي من إعطاء القليلِ؛ فإن البخل أقلُّ منهُ.

ورئي يُماكس[1] وكيله في درهم؛ فقال له قائل: أتماكسُ في درهمٍ وأنت تجودُ بما تجودُ به؟ قال: ذلك مالي جُدت به وهذا عقلي بخلتُ بهِ.

وقال: لا خير في المعروفِ إلا أنْ يكونَ ابتداءً؛ فأما أنْ يأتيك الرجلُ بعد تململٍ على فراشِهِ، وأرقٍ عن وسنتهِ[2]، لا يدري أيرجعُ بنُجْحِ المطلب أم بكآبةِ المُنْقَلَب، فإنْ أنتَ رددتهُ عن حاجتِهِ تصاغرتْ إليكَ نفسُهُ، وتراجع الدم في وجههِ، وتمنى أن يجد في الأرض نفقاً فيدخلَ فيه، فلا.

وأنْشِدَ:

إنَّ الصنيعـةَ لا تكـون صنيعــةً حتى تصيبَ بها طريقَ المَصْنَعِ[3]

(١) المماكسة: انتقاص الثمن، والحط منه والمنابذة بين البائعين.

(٢) الوسنة: الرقاد.

(٣) المصنع: محل الصنيعة.

فقال: هذا شعر رجل يريد أن يُبخّل الناسَ. أمطرِ المعروف مطراً فإنْ صادفتَ الموضعَ الذي قصدتَ، وإلا كنت أحقَّ به.

وقال له الحسن والحسين رضي الله عنهما: إنك قد أسرفتَ في بذلِ المال؛ فقال: بأبي أنتما وأمي! إن الله عودني أنْ يُفضِلَ عليَّ، وعودتُه أن أُفضِلَ على عباده، فأخاف أن أقطعَ العادةَ فيقطعَ عنِّي.

وافتقد عبدُ الله صديقاً له من مجلسه، ثم جاءه فقال له: أين كانت غيبتُك؟ فقال: خرجْتُ إلى عَرْضٍ[1] من أعراضِ المدينة مع صديقٍ لي؛ فقال له: إن لم تجدْ منْ صحبة الرجالِ بُداً فعليك بصحبةِ مَنْ إن صحبتَهُ زانكَ، وإن خففْتَ له صانك، وإن احتجْتَ إليه مانك[2]، وإن رأى منكَ خلّةً[3] سدَّها، أو حسنةً عدَّها، وإن أكثرتَ عليهِ لم يرفُضكَ؛ إن سألته أعطاكَ، وإن أمسكتَ عنه ابتداكَ.

* * *

(١) العرض: الناحية والجهة.

(٢) مان: بذل المؤونة.

(٣) الخلة: بفتح الخاء النقص، والحاجة.

علي بن عبد الله بن العباس وولده

قال علي رحمة الله عليه: من لم يجدْ مَسَّ نَقْصِ الجهلِ في عقله، ودلَّة المعصيةِ في قلبهِ، ولم يَستَبِنْ موضعَ الخلَّة في لسانه عند كلال[1] حدِّه عن حدِّ خصمهِ، فليس ممن ينزِعُ عن ريبةٍ، ولا يرغبُ عن حالِ معجزة، ولا يكترث لفصلِ ما بينَ حُجَّةٍ وشُبهةٍ.

وقال: سادةُ الناس في الدنيا الأسخياءُ، وفي الآخرة الأتقياءُ.

وقال محمد بن علي[2] وذكر رجلاً من أهله: إني لأكرهُ أن يكونَ لعماهِ فضلٌ على عقلهِ كما أكره أن يكون للسانهِ فضلٌ على علمهِ.

وقال أبو مسلم: سمعتُ إبراهيم بن محمد الإمام[3]

---

(١) الكلال: الضعف.

(٢) والد السفاح ولد سنة ٦٢هـ ولي إمامة الهاشميين، وشؤون دعوتهم السرية مات سنة ١٢٥هـ.

(٣) إبراهيم بن محمد بن عبد الله العباسي، الملقب بالإمام ولد سنة ٨٢هـ، قبض عليه مروان بن محمد وحبسه ثم قتله سنة ١٣١هـ.

يقول: يكفي مِنْ حظِّ البلاغةِ ألا يُؤتَى السامعُ من سوء إفهامِ الناطقِ، ولا يؤتى الناطقُ من سوءِ فهمِ السَّامعِ.

وكان من الخطباء داود بن علي[1]، وهو الذي يقول: المُلكُ فرعُ نبعةٍ نحن أفنانُها، وذروةُ هضبةٍ نحنُ أركانها.

وخطب بمكة فقال: شكراً شكراً، إنا والله ما خرجنا لنحفرِ فيكُمْ نهراً، ولا لنبني فيكُمْ قصراً. أظنَّ عدوُّ الله أنْ لنْ نظفر به؟ أُرخي له في زمامهِ، حتَّى عثر في فضلِ[2] خطامه. فالآنَ عادَ الأمرُ في نصابهِ، وطلعتِ الشمسُ من مطلعها، والآن أخذ القوسَ باريها. وعادتِ النَّبْلُ إلى النَّزَعَة، ورجع الحقُّ إلى مُستقرِّهِ، في أهل بيت نبيكم أهلِ الرَّحمةِ والرأفةِ.

وخطب فقال: أحرزَ لسَانٌ رأسهُ، اتَّعظَ امرؤٌ بغيره، اعتبر عاقلٌ قبلَ أن يُعْتَبَرَ بهِ، فأمسكَ الفضلَ من قولهِ، وقدَّمَ الفضلَ من عملهِ.

ولما قام أبو العباسِ السفاح في أولِ خلافته على المنبرِ، قام بوجهٍ كورقةِ المصحفِ، فاستحيا فلم يتكلَّمْ، فنهض داودُ

---

(١) داود بن علي بن عبد الله عم السفاح ولد سنة ٨١هـ ولاه السفاح الكوفة، ثم مكة والمدينة مات سنة ١٣٣هـ.

(٢) الخطام: هو الزمام.

حتى صعد المنبر. - قال المنصور: فقلْتُ في نفسي: شيخُنا وكبيرنَا يدعو إلى نفسه؛ فانتضيت سيفي وغطّيتُه بثوبي؛ فقلت: إن فعل ناجزتُه - فلما رقى عتباً استقبل الناسَ بوجهه دون أبي العباس، ثم قال:

ياأيها الناس. إن أمير المؤمنينَ يكره أن يتقدَّمَ قولُه فعله، ولأثر الفعَالِ عليكم أجدى من تشقيق الكلام، وحسبكُمْ كتابُ الله متُسلىً فيكم وابنُ عم رسول الله ﷺ خليفةَ عليكم. والله - قسماً برّاً لا أُريدُ بها إلا الله - ما قام هذا المقامَ بعدَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أحقُّ به مِن عليٍّ بن أبي طالبٍ وأميرِ المؤمنينَ هذا؛ فليظُنَّ ظانكُم، وليهمسْ هامسكُم.

قال أبو جعفر: ثم نزل، فشِمْتُ سيفي[1].

- كان عبدُ الملك بن صالح[2] والياً للرشيد على الشام. فكان إذا وجه سريةً إلى أرض الروم أمَّر عليها أميراً شهماً، وقال له: اعلمْ أنَّكَ مُضارِبُ اللهِ بخلقه؛ فكنْ بمنزلةِ التاجرِ الكيِّسِ،

---

(١) شام السيف: أغمده.

(٢) عبد الملك بن صالح بن علي: أحد أمراء العباسيين ولاه الرشيد بعض الولايات ثم جفاه توفي سنة ١٨٧.

إن وجدَ ربحاً تجر، وإلا احتفظ برأس المالِ، وكن في احتيالكَ على عَدُوِّكَ أشد حذراً من احتيالِ عدوِّك عليك.

وولّى العباس بنَ زُفَرَ الثغر[١]، فودّعه فقال ياعباسُ: إن حصن المحاربِ مِنْ عدوِّهِ حُسْنُ تدبيرِهِ، والمقاتل عنهُ جليدُ[٢] رأيه وصدقُ بأسِهِ؛ وقد قال ابن هَرْمَةَ:

يقاتلُ عنهُ الناسَ مجلودُ رأيهِ لدى البأسِ، والرأيُ الجليدُ مُقاتِلُ

وقال له الرشيدُ مرة وقد غضب عليه: ياعُدَيَّ[٣] الملكِ، واللهِ ما أنتَ لصالح بولدٍ. قال: فلمَنْ أنا؟ قال: لمروانَ بنِ محمد، أُخذت أمُّكَ وهيَ حُبْلى بك، فوطئها على ذاك أبوك فقال عبد الملك: فحلان كريمان، فاجعلني لمنْ شئتَ منهما.

وهذا شبيهٌ بما قاله مروانُ بنُ محمد حين بلغه أن الناس يقولونَ إنَّ هذه الشجاعةَ التي لأمير المؤمنين لم تكن لأبيهِ ولا لجدِّهِ، وإنما جاءته من قِبَلِ إبراهيم بن الأشتر[٤] - فإنَّ أمَّه كانت

---

(١) العباس بن زفر أحد قادة عبد الملك بن صالح، كان شديد القسوة.

(٢) الرأي الجليد: الصلب القوي.

(٣) عدي: تصغير عدو.

(٤) إبراهيم بن مالك بن الحارث النخعي، أبوه من أصحاب علي. وإبراهيم هو الذي قتل عبيد الله ابن زياد، قتل مع مصعب سنة ٧٢هـ.

له، وصارتْ لمحمد بن مروان - وهي حاملٌ - بعدَهُ. فقال: ما أُبالي لأيٍّ الفحلين كنتُ، كلاهُما شريفٌ كريم.

وقال الرشيدُ مرةً لعبد الملك: كيف هواؤُكُم بمنبج؟ قال: سَحَرٌ كُلُّهُ.

وكان جعفر بن سليمان[1] نهاية في الجلالة والشرف، ولي المدينةَ للمنصورِ بعد انقضاءِ أمر محمد وإبراهيم. فأعطى الأموالَ. ووصلَ الشعراء وأمَّن الناسَ، وشفعَ فيهم. ويقال إنه سقطَ من ظهرهِ إلى الأرضِ ما بهِ نسمةٌ مِنْ ذكرٍ وأُنثى[2].

قال الأصمعي: ما رأيتُ أكرم أخلاقاً ولا أشرف فعالَ من جعفر بن سليمان؛ فتغدينا معه فاستطاب الطعامَ، فقال لطبَّاخهِ: قد أحسنتَ وسأعتقُك وأُزوِّجُكَ. فقال الطباخ: قد قلتَ ياسيدي هذا غيرَ مرة وكذبْتَ. قال: فوالله ما زاد على أن ضحك، وقال لي: ياأصمعي، إنما يريد البائسُ «وأخلَفْتَ» قال الأصمعي: وإذا هو قد رضي بأخلفْتَ.

❀ ❀ ❀

---

(١) جعفر بن سليمان بن علي من أمراء العباسيين مات بالبصرة.

(٢) ما به نسمة: ما به روح ونفس.

الفصل الثاني(*)

البـــاب الأول

(*) الجزء الثاني من نثر الدر.



في كلام أبي بكر الصديق رحمة الله عليه ورضي الله عنه

خطب يوماً، فلما فرغ من الحمد لله، والصلاة على النبي ﷺ قال: «إنَّ أشقى الناس في الدُّنْيَا والآخرةِ الملوكُ». فرفع الناس رؤوسهم. فقال: مالكمْ معاشرَ الناسِ؟ إنكم لطعَّانون عَجِلُونَ، إن المَلِكَ إذا مَلَكَ زَهَّدَهُ الله فيما في يديه، ورغَّبه فيما في يَدَيْ غيرِهِ، وانتَقَصَهُ شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاقَ، فهو يحسدُ على القليل، ويتَسَخَّطُ الكثير، ويسأم الرَّخاء، وتنقطعُ عنْه لذَّة البهاء، لا يستعمِلُ الغَيْرة، ولا يسكُنُ إلى الثِّقةِ. هو كالدِّرْهَم القَسِيِّ[1]، والسَّراب الخَادعِ، جَذِلُ الظَّاهر، حَزين الباطن، فإذا وجبَتْ نفسهُ[2] ونَضَبَ عُمْرُهُ، وضحا ظلُّه، حَاسَبَهُ الله، فأشَدَّ حسابَه، وأقَلَّ عفوَه.

ألاَ إنَّ الأُمَرَاءَ هم المحْرُومُونَ، إلاّ مَنْ آمَنَ بالله، وحكَمَ بكتابِ الله، وسنَّةِ رسولِ الله ﷺ.

---

(١) الدرهم القسي: الزائف.

(٢) وجب المرء: مات.

وإنكُمُ اليومَ على خلافةِ نبُوَّةٍ، ومفْرِقِ محَجَّةٍ[1]، وستَرونَ بعدي ملْكاً عَضُوضاً، وملَكاً عنُوداً، وأُمَّةً شعَاعاً، ودَماً مُفَاحاً[2]، فإنْ كانت للباطلِ نَزْوَةٌ ولأهل الحق جولةٌ يعفو لها الأثرُ، وتموتُ السُّنَنُ، فالزمُوا المساجدَ، واستشيروا القرآنَ، والزَمُوا الجماعةَ، وليكن الإبْرامُ بعد التَّشاورِ، والصفْقَةُ بعد طولِ التَّنَاظُرِ. أيُّ بِلادِكُمْ خَرْشَنَةُ[3]؟ فَإِنَّ الله سيَفْتَحُ عليكُمْ أقصاها، كما فتَح عليكُم أدناهَا.

ومن كلامه أنه أخذ يوماً بطرف لسانه وقال: هذا الّذي أوْرَدَني المواردَ.

وقدم وفد من اليمن عليه، فقرأ عليهم القرآن فبكوا فقال: «هكذا كنَّا حتى قَسَتِ القُلُوب».

وقال: «طُوبَى لمن مَاتَ في نَأْنَأَةِ الإسْلامِ»[4]

(١) المحجة: الطريق.

(٢) الدم المفاح: المراق.

(٣) بلدة من بلاد الروم.

(٤) نأنأة الإسلام: ضعفه، والمراد: أول ظهوره.

ولما قال الحُبَاب[1] بن المنذر يوم السقيفة: أنا جُذَيْلُها[2] المحكَّكُ، وعُذَيْقُهَا المرَجَّبُ، إن شئتم كررْنَاها جَذَعَةً[3]. منا أمير ومنكم أَمير، فإن عمل المهاجريّ شيئاً في الأَنصاري ردّ عليه الأنصاريُّ، وإن عمل الأنصاريُّ شيئاً في المهاجريّ رد عليه المهاجريُّ.

فأَراد عمر الكلام، فقال أبو بكر: على رسْلكَ. نحن المهاجرون، وأوّلُ النَّاس إسْلاَماً، وأَوْسَطُهُمْ دَاراً[4] وأكرمُ النَّاس أحساباً وأَحسنُهُمْ وجُوُهاً، وأَكثرُ الناس وِلاَدَةً في العرب، وأَمَسَّهُمْ رَحِماً برسولِ الله ﷺ. أسْلَمْنا قبلَكُم وقُدِّمْنَا في القرآنِ عليكُم؛ فأَنتمْ إخوانُنا في الدينِ، وشركاؤُنا في الفيْء، وأنصارُنا على العدوِّ. آويتُمْ وواسيْتُم ونصرتُم، فجزاكم الله خيراً. نحن الأُمراءُ وأَنتمُ الوزراءُ. لاتدينُ العربُ إلا لهذا

---

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري: شهد بدراً، ومات في خلافة عمر.

(٢) الجذيل: عود تحتك به الإبل الجربى طلباً للشفاء، والعذيق: النخلة. المرجب: ما وضعت الدعائم حوله حفظاً له.

(٣) كررناها جذعة: أعدناها من جديد.

(٤) أوسطهم داراً: أرفعهم.

الحيَّ من قريشٍ، وأنتُمْ محقوقُونَ ألاَّ تنفَسُوا على إخوانكم المهاجرينَ ما ساَق الله إليهِمْ.

ومن كلامه ذلك اليوم: نحن أهل الله، وأقربُ الناسِ بيْتاً من بيت الله، وأمسُّ الناسِ رحِماً برسولِ الله ﷺ، إنَّ هذا الأمْرَ إن تطَاوَلَتْ له الخزرجُ لم تقْصُرْ عنه الأوْسُ، وإن تطاولَت له الأوسُ لم تَقْصُرْ عنه الخَزْرَجُ، وقد كان بين الحيَّين قتْلَى لا تُنْسَى، وجراحٌ لا تداَوَى، فإنْ نَعقَ منكم ناعقٌ فقد جلَس بين لَحْيَيِ الأسَدِ[1] يضغمه[2] المهاجرِيُّ، ويَجْرحُهُ الأنْصاَرِي. قال ابن دأب[3]: فرماهم الله بالمسكتةِ.

حدث سفيان بن عُيينة[4] لما قال عمر لأبي بكر: استخلف غيري. قال أبو بكر: ماحبوناكَ بهاَ، وإنما حبَوْنَاهَا بك. ثم أنشد سفيان قول الحطيئة:

---

(١) اللحي: الفك.

(٢) يضغمه: يعضه عضاً شديداً، وهي عضة الأسد.

(٣) عيسى بن دأب: راوية وخطيب وشاعر توفي سنة ١٧١هـ.

(٤) سفيان بن عيينة الهلالي: حافظ ثقة واسع العلم، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وتوفي سنة ١٩٨هـ.

لم يُؤثِرُوكَ بِهَا إِذْ قدَّمُوكَ لهَا   لكن لأنْفُسِهِمْ كانت بكَ الإِثَرُ

وقيل له في مرضه: لو أرسلتَ إلى الطبيب! قال: قد رآني. قيل: فما قال؟ قال: قال إنِّي أَفْعَلُ ما أشاء[1].

وقال لخالدِ بنِ الوليد حين أخرجَه إِلى أهل الردّة: احْرِصْ على الموتِ تُوهَبْ لَكَ الحياةُ.

ولما استخلف أبو بكر قال للناسْ: شغلتموني عن تجارتِي فافرضوا لي ففرضوا له كل يوم درهمين.

ولما أرادوه على البيعة قال: علام تُبايعُونَنِي، ولستُ بأقواكُمْ ولا أتقاكُمْ؟ أقواكم عمرُ، وأتقاكُمْ سالِم[2].

وكان إذا مُدِح يقول: اللهم أنت أعلم مني بنفسي، وأنا أعلم منهم بنفسي، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبُون، واغفرلي مالاَ يَعْلمونَ، ولا تؤاخِذْني بما يقولون.

وعهد عند موته فكتب: هذا ما عهِدَ أبو بكرٍ خليفةُ محمد

---

(١) المراد بالطبيب: الله سبحانه وتعالى.

(٢) سالم: مولى أبي حذيفة. صحابي.

رسول الله ﷺ عِنْدَ آخرِ عهدِهِ بالدنيا، وأولِ عهدِهِ بالآخرة، في الحالِ التي يُؤْمِنُ فيها الكافر، ويتقي فيها الفاجر. إني استعلمتُ عليكم عمر بن الخطاب، فإن برَّ وعدلَ فذاكَ علمي به، ورأيي فيهِ، وإنْ جَارَ وبدَّلَ فلا عِلْمَ لي بالغيب، والخيرَ أَردتُ ولكلِّ امريءٍ ما اكتَسَبَ مِنَ الإثْمِ، وسيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ.

ورُوِي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: دخلْتُ عليه في علَّتِهِ التي ماتَ فيها، فقلت: أراك بارئاً ياخليفةَ رسولِ الله. فقال: أمَا إنِّي علَى ذلكَ لشَدَيدُ الوَجَع، ولَمـا لَقيتُ منكم يامعشرَ المهاجرينَ أَشدُّ علَيَّ من وجَعِي، إني ولَّيْتُ أُمورَكُمْ خيرَكُمْ في نَفْسِي، فكلكُمْ ورِمَ أَنْفُهُ أَن يكونَ له الأمر من دونِه. والله لتتَّخِذُنَّ نَضَائِدَ[1] الديباجِ وستورَ الحرير، ولتألَمُنَّ النَوم على الصُّوفِ الأَذْرِبِي[2] كما يألمُ أَحدُكُمُ النومَ على حَسَكِ السَّعْدَانَ[3]. والذي نفسي بيده لأَن يُقَدَّم أحدُكُم فتُضْرَب

---

(١) النضائد: جمع نضيدة وهي الوسادة.

(٢) الأذربي: نسبة إلى أذربيجان.

(٣) الحسك: الشوك. والسعدان: شجر ترعاه الإبل.

عنقهُ في غير حقٍّ خيرٌ له من أن يخوضَ غمراتِ الدنيا . ياهاديَ الطريقِ جُرْتَ ، إنما هو والله الفَجْرُ أو البَجْرُ[1] .

فقلت : خَفِّضْ عليك ياخليفةَ رسول الله ـ ﷺ ـ فإنَّ هذا يهيضُكَ إلى مابك[2] ، فو الله مازلتَ صالحاً مصلحاً لا تأسى على شيءٍ فاتَكَ من أمر الدنيا ، ولقد تَخَلَّيتَ بالأمر وَحْدَكَ فما رأيتَ إلاّ خيْراً .

بلغ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن أقواماً يفضلونَهُ على أبي بكر رضي الله عنه ، فوثب مغضباً حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ، ثم أقبل على الناسِ فقال : إني سأُخبركم عنِّي وعنْ أبي بكر : لما تُوفي رسولُ الله ﷺ ارتَدَّتِ العربُ ، ومنَعَتْ شاتَها وبَعيرهَا ، فأجمعَ رأينا كلّنا أصحابَ محمدٍ أنْ قُلْنَا : ياخليفةَ رسولِ الله ، إن رسولَ الله ﷺ كان يقاتِلُ العربَ بالوحيْ والملائكةِ يمُدُّهُ الله بِهِمْ ، وقد انقطع ذلك اليومَ ، فالزمْ بيتَكَ ومسجدَكَ ، فإنه لا طاقَةَ لكَ بالعرب . فقال أبو بكر : أو كلُّكم رأيُهُ هذاَ؟ فقلنا : نعم . فقال : والله لأنْ أخرَّ مِنَ السماءِ فتَخَطَّفَنِي الطيرُ أحبُّ إليَّ من أن يكونَ هذاَ رأيي .

(١) البجر : الشر والأمر العظيم .

(٢) هاضه : أعاده إلى المرض فانتكس .

ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وكبَّره، وصلى على النبي عليه السلام، ثم أقبل على الناس فقال:

أيها الناس؛ من كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد ماتَ، ومن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لايموتُ. أيها الناس؛ ألأنْ كثُرَ أعداؤكُمْ وقلَّ عَدَدُكُمْ ركب الشيطانُ منكُم هذا المركَب؟ والله ليُظْهِرنَّ الله هذا الدين على الأديانِ كلِّها ولو كرِهَ المشركون. قولُهُ الحقُّ ووعدهُ الصدْقُ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[1] و﴿كَم مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّبِرِينَ﴾[2].

أيها الناس. لو أُفْرِدْتُ من جَمْعِكُم لجاهدتُهُمْ في الله حقَّ جهادِهِ حتى أَبْلُغَ مِنْ نَفْسِي عُذْراً، أَوْ أُقْتَلَ مَقْتَلاً. أيها الناس؛ لو مَنَعُونِي عِقالاً لجاهدتُهُمْ عليه، واستعنتُ بالله فإنه خيرُ معينٍ.

ثم نزل فجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أذعَنَ العربُ بالحقِّ.

---

(١) سورة الأنبياء: ١٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٩.

وقال لأبي بكر رجلٌ: والله لأشتمنَّك شتماً يدخلُ معك قبركَ. قال: «معَك يدخلُ واَلله لا مَعِي».

وقال: والله إنّ عُمرَ لأحبُّ الناسِ إليَّ. ثم قال: كيف قلتُ؟ فقالت عائشةُ: قلتَ: والله إن عُمرَ لأحبُّ الناسِ إليَّ. فقال: اللهم أعزُّ الولدِ ألْوَطُ[1].

ومرّ بعبد الرحمن ابنه وهو يماظُّ[2] جاراً له، فقال: لا تُماظَّ جاركَ فإنه يبقَى ويذهب الناس.



(١) ألوط: ألصق بالقلب.

(٢) يماظ: يخاصم وينازع.

البـاب الثانـي

مَن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال رضي الله عنه في أول خطبة خطبها بعد أن حمد الله، وأثنى عليه، وصلَّى على نبيِّه ﷺ: أيها الناسُ؛ إنَّه واللهِ ما فيكُم أحدٌ أقوى عندِي من الضعيفِ حتى آخذَ الحقَّ له، ولا أَضعفُ عندِي من القويِّ حتى آخذَ الحقَّ منه، ثم نزل.

وكتب إلى أَبي موسى الأَشعريِّ، وهي رسالتهُ المشهورةُ في القضاء:

سلامٌ عليك. أَما بعد؛ فإنَّ القضاءَ فريضةٌ مُحكَمَةٌ، وسُنَّةٌ متَّبَعةٌ، فافْهَمْ إذا أُدْلِيَ إليكَ، فإنَّه لاينفع تكلُّمٌ بحقٍّ لانفاذَ له.

آسِ[1] بين الناس في وَجهِكَ وعَدْلِكَ ومَجْلِسِكَ، حتى لايطمعَ شريفٌ في حَيْفِكَ[2]، ولاييأَسَ ضعيفٌ من عدلِكَ.

البيِّنَةُ على من ادَّعَى، واليمينُ علَى مَن أنكر، والصلْحُ جائزٌ بينَ المسلمِينَ إلا صلْحاً أَحلَّ حراماً أَو حرَّم حلالاً.

---

(١) آس: سوِّ.

(٢) الحيف: الظلم.

لايمنعك قضاءٌ قضيتَه اليومَ، فراجعتَ فيه عقلَك، وهُديت لرشُدك أن ترجعَ إلى الحقِّ فإن الحقَّ قديمٌ، ومراجعةَ الحقِّ خير من التَّمادي في الباطل.

الفهمَ الفهمَ فيما تلجلجَ في صدرك مما ليس في كتابٍ ولا سنةٍ، ثم اعرف الأشباهَ والأمثَال، فقسِ الأمورَ عند ذلكَ بنظائرِها، واعمَدْ إلى أقربها إلى اللهِ وأشبهِها بالحقِّ، واجعلْ لمن ادَّعى حقاً غائباً أو بيِّنةً أمداً ينتهي إليه، فإن أحضرَ بيِّنته أخذتَ له بحقِّه، وإلا استَحْلَلْتَ عليه القضية فإنَّه أنفَى للشك، وأجْلى للعمى.

المسلمون عدُولٌ بعضُهم على بعضٍ إلا مجلوداً في حدٍّ، أو مجرَّباً عليه شهادةُ زور، أو ظَنيناً[(١)] في ولادٍ أو نسبٍ، فإنَّ الله تولى منكم السرائر، ودرأ بالبينات[(٢)] والأيْمان.

وإياك والغَلَقَ والضجرَ[(٣)] والتأذِّيَ بالخصوم والتنكُّرَ عند الخصومات؛ فإن الحقَّ في مواطن الحقِّ يُعظِمُ اللهُ به الأجرَ، ويُحْسِنُ به الذُّخرَ. فمن صحت نيَّتهُ وأقبلَ على نفسه كفاهُ اللهُ

---

(١) الظنين: المتهم.

(٢) درأ: دفع.

(٣) الغلق: ضيق الصدر وسوء الخلق.

مــابينهُ وبينَ الناسِ، ومن تَخلّق للناسِ بما يعلمُ الله أنه ليسَ من نفسهِ شانه الله[1]. فما ظنكَ بثوابِ الله في عاجلِ رزقهِ وخزائنِ رحمتهِ؟.

وقال: ماكانتْ على أحدٍ نعمةٌ إلا وكانَ لها حاسدٌ، ولو كان الرجلُ أقومَ من القِدْحِ[2] لوجَدَ له غامزاً.

وقــال: تمعْدَدُوا[3] واخــشوْشنُوا، واقطعــوا الرُّكُبَ[4] وانزُوا على الخيلِ نَزْواً، واحفُوا وانْتعِلوا فإنكم لاتَدرُون متى الجَفْلَةَ[5].

وقال: أَمْلِكُوا العجينَ، فإنه أحد الرَّيْعينِ[6].

وقال: إذا اشتريتَ بعيراً فاشترهِ ضخماً، فإنه إن أخطأكَ خَيْرُه لم يُخْطِئْكَ سوقه.

---

(١) شانه من الشين وهو العيب والعار.

(٢) القدح: السهم.

(٣) تمعددوا: تباعدوا. أو هي بمعنى: الخشونة وغلظ العيش تشبهاً بمعد بن عدنان.

(٤) الركب جمع ركاب: المراد ثبوا على الخيل وثباً من غير سروج.

(٥) الجفلة: الشدة واضطراب الأمر.

(٦) إملاك العجين: إجادته، والريع: الزيادة.

وسأل رجلاً عن شيءٍ، فقال: الله أعلمُ. فقال عمر - رضي الله عنه -: قد شقينا إن كنّا لانعلمُ أن الله أعلم. إذا سُئِل أحدُكم عن شيءٍ لايعلمهُ فلْيقلْ: لا أدري.

وقال لابنة هرِم بن سنان: ماوهب أبوكِ لزُهير؟ قالت: أعطاهُ مالاً وثياباً وأثاثاً أفناهُ الدهرُ. فقال عمر رضي الله عنه: لكن ما أعطاكُمُوه لايفْنيه الدهر.

ومن كلامه: إذا لم أعلَمْ مالَم أرَ، فلا علمتُ مارأيت.

وكتب إلى معاوية: أما بعدُ؛ فإنّي لم آلُكَ في كتابِي إليكَ خيراً. إياك والاحتجابَ دونَ الناسِ، وأْذَنْ للضعيف، وأدْنه حتى يَنْبسطَ لسانُه، ويجترِىءَ قلبُهُ، وتعهّدِ الغريبَ، فإنه إذا طَال حبسهُ وضاقَ إذنُه ترك حقَّه، وضعفُ قلبُه، وإنما أقوى[1] حقَّه مَنْ حبَسه، واحرصْ على الصلح بين الناس مالم يستبِنْ لك القضاءُ، وإذا حضركَ الخَصمان بالبينةِ العادلةِ والأيمان القاطعةِ فأمْضِ الحكم.

وقال: أشيعوا الكنى فإنها منْبهَةٌ[2].

---

(١) أقوى حقه: أضعفه.

(٢) الكنى: جمع كنية، وهي الاسم المبدوء بأب أو أم -ويعدون المخاطبة بها تشريفاً- منبهة: مشرفة ومعلاة من النباهة.

ومـــرَّ برجلٍ من عـــمــاله، وهو يبني بالآجُرِّ والحــصَى، فقال: تأبى الدراهمُ إلاّ أنْ تُخرجَ أعناقَها. وشاطَرَهُ مالَهْ.

وقـــال رضي الله عنه: إذا تناجَى القـــومُ في دينهـم دون العامَّةِ فهم علَى تأسيس ضلالَةٍ.

وكان يقول: ليت شعري متى أشفي غيْظي؟ أحين أقْدر فيُقالُ: لو عفوتَ، أم حين أعجلُ فيقال: لو صبرتَ.

وبلغه اعتراض عمرو بن العاص على سَعْد[1]، فكتب إليه: لئن لم تَستَقم لأميرك لأُوَجهَنَّ إليك رجلاً يضعُ سيفهُ في رأسك، فيخرجُهُ من بين رجليك. فقال عمرو: هدَّدَني بعليٍّ والله.

ومرَّ على رُماة غَرَضٍ[2]، فسمع أحدَهم يقول لصاحبه: أخطَيت وأسيْت. فقـال عـمـر رضي الله عنه: مَهْ[3]، فإنّ سوء اللحن أشدُّ من سوءِ الرماية.

وقـال في خطبـةٍ لـه: إنما الدنيـا أملٌ مُخْتَرَمٌ[4]، وأجل

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص.

(٢) الغرض: هدف يرمى فيه.

(٣) مه: اكفف.

(٤) مخترم: مستأصل من جذوره.

مُنْتَقَصٌ، وبلاغٌ إلى دارِ غيرِها، وسيرٌ إلى الموتِ ليس فيه تعريجٌ، فرحم الله امرءاً فكرَ في أمره، ونصحَ لنفسه، وراقبَ ربَّه، واستقَالَ ذنْبَه.

وقال رضي الله عنه: بئس الجارُ الغنيُّ، يأخذُكَ بما لا يعطِيكَ من نفسه، فإن أبَيْتَ لم يُعذِرْك.

وقال له المغيرة: أنَا بخيرٍ ما أبقاكَ الله، فقال: أنت بخيرٍ ما اتَّقيْتَ الله.

وكان إذا كتب إلى أهلِ الكوفة كتب: رأس العرب، ورمحُ الله الأطْول.

ولما ولَّى عبدَ الله بن مسعود قال له: يا بن مسعود، اجلسْ للناسِ طرفي النهار، واقرأ القرآنَ وحدِّثْ عن السنةِ وصالح ما سمعتَ من نَبِيك محمد ﷺ وإيَّاكَ والقصص، والتكلُّفَ، وصلةَ الحديثِ، فإذا انقطعتْ بك الأمورُ فاقطعْها، ولا تستنكفْ إذا سُئلت عما لا تعلمُ أن تقولَ: لا أعلمُ، وقلْ إذا علمتَ، واصمتْ إذا جهلت، وأقلِل الفتيا، فإنك لم تُحَطْ بالأمورِ علماً، وأجب الدعوةَ ولا تقبل الهديةَ، وليست بحرامٍ، ولكني أخافُ عليكَ القالةَ. والسلام.

وخطب رضي الله عنه؛ فقال: إياكم والبِطنةَ، فإنها مَكْسَلَةٌ عن الصلاةِ، مَفْسَدَةٌ للجسمِ، مُؤَدِّيَةٌ إلى السقم، وعليكم بالقَصدِ في قوتِكم فهو أبعدُ من السَّرَف، وأصحُّ للبدنِ، وأقوى على العبادةِ، وإنِ العبدَ لن يهلِكَ حتى يؤْثِرَ شهوتَه على دينِه.

وكتب إلى معاوية: الزمِ الحقَّ يُنْزِلْكَ الحقُّ منازلَ أهلِ الحقِّ يومَ لا يُقْضَى إلا بالحقِّ.

ونظر رضي الله عنه إلى أعرابيٍّ يصلِّي صلاة خفيفةً، فلما قضاها قال: اللّهم زوِّجني الحورَ العين، فقال عمر: أسأتَ النَّقْدَ، وأعْظَمْتَ الخِطبة.

وقال إبراهيم بن ميسرَةَ[1]، قال لي طاوس[2]: لتنكِحَنَّ أوْ لأَقولَنَّ لكَ ما قالهُ عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - لأبي الزوائدِ[3]: ما يمنعُكَ من التزوُّج إلا عجزٌ أو فجورٌ.

وجلَسَ رجلٌ إلى عمرَ - رضي الله عنه - فأخذ من رأسِهِ شيئاً فسكتَ عنه. ثم صنَعَ بهِ ذلك يوماً آخر، فأخذ بيدِهِ،

---

(١) إبراهيم بن ميسرة الطائفي: نزيل مكة، ومن جلة التابعين.

(٢) طاوس: هو أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان الفارسي، أحد أعلام التابعين.

(٣) أبو الزوائد: أحد الصحابة.

وقال: ماأراكَ أخذتَ شيئاً. فإذا هو كذلك. فقال رضي الله عنه: انظروا إلى هذا صنع بي مراراً، إذا أخذ أحدُكم من رأسِ أخيهِ شيئاً فَلْيُرِه. قال الحسن: نهاهم والله عن الملق.

وقال عمر - رضي الله عنه - على المنبر: اقرؤوا القرآنَ تُعْرَفُوا به، واعملوا بِهِ تكونوا من أهْلِه، إنه لن يبلغَ من حقٍّ ذي حقٍّ أن يطاعَ في معصية الله، إني أنزلتُ نَفْسِي من مالِ الله بمنزلة والي اليتيم، إذا استَغنيتُ عَفَفْتُ، وإن افتَقَرْتُ أكلتُ بالمعروفِ، تقرُّم[1] البهيمة الأعرابية: القَضْمَ لا الخضْم[2].

وكتب إلى عبد الله رضي الله عنه: أمّا بعد. فإنه من اتَّقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاهُ، ومن أقرضهُ جزاهُ، ومن شكرهَ زادهُ. فعليكَ بتقوى الله، فإنه لاثواب لِمَن لانيَّة له، ولامالَ لمن لارفق له، ولاجديدَ لمن لاخلقَ له[3].

وقال رضي الله عنه: لاتصغُرنَّ هِمَمُكُمْ، فإني لم أر شيئاً أقعد بالرجل من سقوطِ هِمَّته.

---

(١) التقرم: الأكل القليل.

(٢) القضم: تناول الطعام بطرف الأسنان، والخضم: بالأضراس.

(٣) الخلق: البالي القديم.

سُئل الأَحنف: أيُّ الطعام أَحبُّ إليك؟ فقال: الزُّبْدُ والكمأة. فقال عمر: ماهما بأَحبِّ الطعام إليه، ولكنه يحبُّ الخِصبَ للمسلمين.

وقال رضي الله عنه: إني لأَن أَرى في بيتي شيطاناً أَحبُّ إليّ من أن أَرى فيه عجوزاً لا أعرفها.

وأُتي بنائحةٍ قد تَلْتَلَتْ[1]، فقال: أَبْعَدَها الله إنَّهُ لا حرمةَ لها، ولا حقَّ عندها، ولانفع معها. إنّ الله عزَّ وجلّ أَمر بالصبرِ وهي تَنْهَى عنه، ونهى عن الجَزَعِ وهي تأمُر به، تريقُ دمعتَها وتبكي شَجْوَ غيرها، وتُحزِنُ الحَيَّ وتؤُذي الميْتَ.

وفي كتاب له إلى أبي موسى: فإيَّاكَ ـ عبد الله ـ أَن تكون بمنزلة البهيمة، نزلت بوادٍ خصب، فلم يكن لها همٌّ إلا السِّمَن، وإنما حتفُها في السِّمن واعلمْ أَنّ العاملَ إِذا زاغَ زاغتْ رعيتهُ، وأَشقَى الناس من شقيت به رعيته.

وقال يوماً: دلُّوني على رجل أَستعمله على أمرٍ قد دَهَمني. فقالوا: كيف تريده؟ قال: إذا كان في القوم وليس

(١) التلتلة: السوق بعنف.

أَميرَهم كان كأنه أَميرُهم، وإذا كان أَميرهم كان كأَنَّهُ رجلٌ منهم. فقالوا: مانعلمه إلا الربيعَ بن زياد الحارثي[1]. فقال: صدقْتُم. هُو لَها.

وَذُكِرَ له غلامٌ حافظٌ من أَهل الحيرة، وقالوا: لو اتَّخذتَه كاتباً. قال: لقد اتخذت إذاً بِطانةً من دونِ المؤمنين.

ولما أُتي بتاج كسرى وسواره جعل يقلبهما بعودٍ في يدِه ويقول: والله إن الذي أَدَّى هذا لأمينٌ. فقال رجلٌ: ياأمير المؤمنين، أنت أَمين الله، يُؤدُّون إليك ما أَديت إلى الله، فإذا رتَعْتَ رتعُوا.

ويُعثَ إِليه بحُلل فقسمها، فأَصاب كلَّ رجل ثوبٌ، فصعد المنبر وعليه حُلَّة -والحلةُ ثوبان-، فقال: أيها الناس ألا تسمعون؟ فقال سلمانُ: لانسمع. قال: ولم يا أَبا عبد الله؟ قال: لأنَّك قسمتَ علينا ثوباً ثوباً وعليك حُلَّة. فقال: لاتعجَلْ يا أَبا عبد الله. يا عبدَ الله؛ فلم يجبْه أحد. فقال: ياعبد الله بنَ عمر؛ فقال: لبَّيْكَ يا أَمير المؤمنين. فقال: نَشَدْتُكَ اللهَ. الثوبُ

---

(١) هو أحد الصحابة وقيل التابعين، استعمله عمر على البحرين.

الذي اتَّزرتُ به أهو ثوبُك؟ قال: اللهمَّ نعمْ. فقال سلمان: أما الآن فقلْ نسمعْ.

وحضر بابَ عمرَ ـ رضي الله عنه ـ جماعةٌ: سُهَيْل بن عمرو، وعيينة بن حصين، والأقرع بن حابس، فخرج الآذن فقال: أين صُهيب[1]: أين عمَّار؟ أين سلمان؟ فتمعَّرت[2] وجوهُ القوم. فقال سهيل: لِمَ تتمعَّرُ وجوهكم؟ دُعوا ودُعينا، فأسرَعُوا وأبطأنا، ولئن حَسد تُمُوهُمْ على باب عمر، لمَا أعدَّ الله لهم في الآخرة أكثر.

ورُوِي أنَّ عمر ـ رضي الله عنه ـ كان يأخذ بيده اليمنى من الفرس أُذنَه اليسرى ثم يجمع جرَامِيزه[3] ويثب فكأنما خُلق على ظهْر فرسِه.

كان أبو رافع صائغاً، فنظر إليه عمرُ وهو يقرأ ويصوغُ، فقال: ياأبا رافع، أنت خيرٌ منّي، تُؤَدِّي حقَّ الله وحق مواليكَ.

قال لرجل: ما معيشتُك؟ قال: رزقُ الله. قال: لكل رزقٍ سببٌ، فما سببُ رزقِك؟

---

(١) صهيب بن سنان الرومي: عربي الأصل، أسره الروم صغيراً.

(٢) تمعرت: تغيرت من الغيظ.

(٣) الجراميز: قيل: هي اليدان والرجلان، وقيل: هي جملة البدن.

مرَّ عمرُ -رضي الله عنه- بشابٍّ فاستسقاه، فخاص[1] له عسلاً، فلم يشربه، وقال: إني سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ في حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾. فقال الفتى: إنها والله ليستْ لك. اقرأ ماقبلها ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾[2]. أفنحنُ منهم؟ فشربها وقال: كلُّ الناسِ أفقهُ من عمر.

وقال رضي الله عنه: لا يبلغنِّي أن امرأة تجاوزت بصَدَاقها صداقَ النبيِّ عليه السلامُ إلاّ ارتجعتُ منها. فقامت امرأةٌ فقالت: ماجعلَ اللهُ ذلكَ لَكَ يا ابنَ الخطّاب، إن الله تعالى يقول: ﴿وءاتَيْتُمْ إحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾[3] فقال عمر رضي الله عنه: لاتعجبُوا من إمامٍ أخطأ، وامرأةٍ أصابت، ناضلَتْ إمامكُم فنَضَلَتْه[4].

وقال رضي الله عنه: أَحبُّكُمْ إلينا أحسنُكُمْ اسماً، فإذا رأيناكُمْ فأجْمَلُكُمْ مَنْظراً، فإذا اختبرْناكُمْ فأَحْسَنُكُمْ مَخْبَراً.

---

(١) خاص: خلط.

(٢) سورة الأحقاف: ٢٠.

(٣) سورة النساء: ٢٠.

(٤) نضلته: غلبته في النضال.

وقال رضي الله عنه: الدِّينُ ميسمُ الكرامِ.

وقال ابن عباس: لما أسلم عمرُ رضي الله عنه قال المشركون: انتصفَ القومُ منَّا.

قيل: أهدى رجلٌ إلى عمر -رضي الله عنه- جَزُوراً[1]، ثم خاصَمَ إليه بعدَ ذلكَ في خُصومةٍ، فجعل يقول: افصلْها ياأميرَ المؤمنين كفصل رِجل الجزور، فاغتاظ عمر رضي الله عنه، وقال: يامعشرَ المسلمين؛ إياكم والهدايا فإن هذا أهدى إليَّ منذ أيامٍ رِجْلَ جزورٍ، فو الله مازال يُرَدِّدُها حتى خفْتُ أَنْ أَحكُمَ بخلافِ الحكم.

ولما حُصِر أبو عبيدة كتب إليه عمرُ رضي الله عنه: مهما ينزِلْ بامرئٍ من شدةٍ يجعل الله بعدها فرجاً، إنه لن يغلبَ عُسْرٌ يُسْرَيْن، إنه يقول: ﴿اصبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا الله لعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وقال: ثلاث يُثَبِّتْنَ لكَ الوُدَّ في صدْرِ أخيكَ: أن تبدأه بالسلامِ، وتوسِّعَ له في المجلسِ، وتدعُوَه بأحبِّ الأسماءِ إليه.

(١) الجزور: الجمل المذبوح أو الناقة المذبوحة.

(٢) سورة آل عمران: ٢٠٠.

وقال رضي الله عنه : مِن أفضلِ ما أُعْطِيَتْهُ العرب الأبياتَ يُقَدِّمُها الرجلُ أمَامَ حاجتهِ، يستعطفُ بها الكَرِيمَ، ويستَنْزِلُ بها اللئيم[1].

وقَدِمَ معاويةُ عليه وهو أَبضُّ الناسِ، فضرب عمرُ - رضي الله عنه - بيده على عضُدِه، فأقْلَع عن مِثل الشِّراب في لونِهِ أو مثل الشِّراكِ[2]. فقال: إنَّ هذا والله لتَشاغُلُكَ بالحَمّاماتِ، وذوُو الحاجات تَقَطَّعُ أنْفُسُهُم حسراتٍ عليك.

وقال لربيع بن زياد الحارثي: ياربيع؛ إنا لو نشاءُ ملأنا هذه الرِّحابَ مِنْ صلائقَ وسبائِكَ وصِنابٍ[3] ولكني رأيتُ الله عز وجل نعى على قومٍ شهواتهم، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾[4].

وقال: علّموا أولادكُم العومَ والرِّماية، ومرُوهم فليَثِبُوا

---

(١) يستنزل: يطلب منه التَّنزُّل، والأبيات هنا: الشعر.

(٢) أقلع: انجلى، والشراك: السيور للنعل.

(٣) الصلائق: الرقاق، والسبائك: ماسبِكَ من الدقيق فأخذ خالصه، والصناب: الخردل بالزبيب.

(٤) سورة الأحقاف: ٢٠.

على الخَيْلِ وثباً، ورَوُّوهم ما جَمُلَ من الشعرِ، وخير خُلُقِ المرأَةِ المِغزل.

وقال: لو كان الصبرُ والشكرُ بَعيرين ما باليتُ أَيهما أَركب.

وقال رضي الله عنه: لا تزالون أَصحّاءَ ما نزعتم ونزوتم. نزعتم في القِسِيِّ، ونزوتم على ظهور الخيل.

وقال رضي الله عنه: ليس قومٌ أَكْيَس من أَولاد السّراري؛ لأَنهم يجمعون عزَّ العرب ودهاءَ العجم.

وقال رضي الله عنه: من يَئِس من شيء استغنى عنه.

ونظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنسك متماوت، فخفقه بالدِّرَّة وقال: لا تُمِت علينا دِينَنا أَماتك الله.

وقال رضي الله عنه لأَبي مريم السَّلولي[1] والله لا أُحبك حتى تحبَّ الأَرضُ الدمَ. قال: أَفتمنعني حقاً؟ قال: لا. قال فلا بأسَ. إنما يأسف على الحبّ النساءُ.

وروي أَن أَعرابياً أَتاه فقال: إني أَصبتُ ظبياً وأَنا مُحرِم،

---

(١) الصحيح أنه أبو مريم الحنفي لأنه قتل أخاه زيد بن الخطاب في وقعة اليمامة.

فالتفت عمر - رضي الله عنه - إلى عبد الرحمن بن عوف، وقال: قلْ. قال عبد الرحمن: يُهدي شاةً. قال عمر - رضي الله عنه -: اهْدِ شاةً. فقال الأعرابي: والله مادرى أميرُ المؤمنين مافيها حتى استفتى غيره، وما أظنُّني إلا سأنْحرَ ناقتي، فخفقه عمرُ بالدِّرة وقال: أتقتل في الحَرَمِ وتَغْمَصُ[1] في الفُتْيَا؟ إن الله عز وجل يقول ﴿يَحكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[2]. فأنا عمرُ بنُ الخطَّاب، وهذا عبدُ الرحمنِ بن عوف.

ومن كلامه رضي الله عنه: قد إلْنَا[3] وإيلَ علَيْنا، أي سُسْنَا وساسَنا غيْرُنَا.

وقال له عبد الله ابنه -رضي الله عنهما-: لم فضَّلت أُسامةَ علَيَّ، وأنَا وهو سِيّان؟ فقال: كان أبوهُ أحبَّ إلى رسولِ الله ﷺ من أبيك، وكان هُوَ أحبَّ إلى رسول الله منكَ.

وأُثْنِيَ عليه وهو جريح، فقال: المغرورُ من غرَرْتُمُوه، لَوْ أنّ لي ما في الأرض جميعاً لافْتَدَيتُ به من هولِ المُطَّلَع[4].

---

(١) تغمص: تحتقر.

(٢) سورة المائدة: ٩٥، والآية عن الصيد في الحرم.

(٣) إلنا: من الإيالة وهي السياسة.

(٤) المطلع: مكان الاطلاع.

وقال: تعلَّموا اللحنَ والسُّنَنَ[1]، والفرائضَ كما تَعَلَّمون القرآنَ.

ورُوي أنه كان يَحْمِلُ الدقيقَ على ظهره، فقال له بعضُهم: دعْنِي أَحملْه عنك. فقال: ومن يحمل عنِّي ذنوبي؟

وقال: لساني سَبُعٌ، فإذا أَرْسَلتُه أكلني.

وقال رضي الله عنه: من المروءةِ الظاهرةِ الثيابُ الطاهرةُ.

وقال: لئن بقيتُ لأُسوِّيَنَّ الناسِ، حتى يأتيَ الرجلَ حقُّه في صفَنَهِ[2] لم يعرقْ فيه جبينُه.

وقيل له: إن النساءَ قد اجتمعنَ يبكينَ على خالدٍ، فقال: وما علَى نِساءِ بنِي المغيرة أَن يَسفْكْنَ مِنْ دموعِهن على أبي سليمان، مالم يكن نَقْعٌ[3] ولا لَقْلَقَةٌ[4].

وقال: أَعْضَلَ[5] بي أهل الكوفة، مايرضَون بأمير، ولا يرضاهم أمير.

---

(١) اللحن: اللغة والنحو.

(٢) الصفن: خريطة الراعي. والمعنى: يأتي الرجل حقه إلى حيث يوجد.

(٣) النقع: الغبار، والمراد: وضع التراب على الرؤوس، وتلطيخ الوجوه والثياب به.

(٤) اللقلقة: رفع الصوت بالعويل.

(٥) أعضل بي أهل الكوفة: ضاقت علي الحيل فيهم وصعب عليَّ مداراتهم.

وقال رضي الله عنه: فرِّقوا عن المنية، واجعلوا الرأسَ رأسين[1] ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجِزَةَ[2]، وأصلحوا مشاويكُمْ، وأخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم، واخشَوْشِنوا! وتَمَعْدَدُوا[3].

وكتب رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد: إنه بلغني أنك دخلتَ حمَّاماً بالشام، وأن مَن بها من الأعاجم أعدوا لك دلوكاً عجن بخمر، وإني أظنكم - آل المغيرة - ذَرْءَ النار[4].

وقال رضي الله عنه: ورِّعِ اللصّ ولا تُراعِه[5].

قال ابن المسيب: وضع عمر للناس كلمات حكماً كلّها، وهي:

«ماعاقبتَ من عصَى الله فيكَ بمثلِ أن تُطيعَ الله فيه».

«ضع أمرَ أخيك على أحْسَنِه، حتى يجيئك ما يَغْلِبُكَ منه».

---

(١) المعنى: اشتروا بثمن الواحد من الحيوان اثنين، فإذا أصاب الموت أحدهما بقي الآخر.

(٢) ألث: أقام، ودار معجزة: دار تعجزون فيها عن طلب الرزق.

(٣) تمعددوا: التمعدد الصلابة والخشونة.

(٤) ذرأ: خلق، وذرء النار: مخلوقون لها.

(٥) والمعنى: ادفعه واكففه ولا تنتظره.

«لا تظننَّ بكلمةٍ خرجت من مسلمٍ شراً وأنت تَجِدُ لها في الخير محملاً».

«من كتمَ سرَّهُ كانتِ الخِيَرَةُ بيده».

«من عرّض نفسه للتُّهمَةِ فلا يلُومَنَّ من أساءَ الظنَّ به».

«عليك بإخوان الصدق تعِشْ في أكنافِهِم، فإنهمْ زينةٌ في الرخاءِ، وعُدّةٌ في البلاءِ».

«لا تَهاونوا بالحلفِ فيُهينكم الله».

«لا تسأل فيما لم يكن، فإن فيما قد كان شُغلاً عما لم يكن».

«عليك بالصدق وإن قتَلَك الصدقُ».

«احذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلاّ مَن خشي الله».

«استشر في أمرك الذين يَخْشونَ الله، فإنما يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾[1]».

«آخِ الإخوانَ على التقوى».

---

(١) سورة فاطر: ٢٨.

«كفى بك عيباً أن يبدو لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسك، أو تؤذي جليسك فيما لا يعنيك، أو تعيب شيئاً وتأتي بمثله».

وكتب إلى أبي عبيدة: أما بعد، فإنه لم يُقِمْ أمرَ الله في الناس إلا حَصيفُ العقدة[1] بعيدُ الغِرَّة[2]. لا يُحنَقُ في الحقِّ على جِرَّةٍ[3]، ولا يطَّلعُ منه الناسُ على عورَة. ولا تأخذهُ في الله لومةُ لائم.

وقال: مَن أسرع إلى الهِجْرة أسرعَ به العطاءُ، ومن أبطأ عنِ الهجرة أبطأ عنهُ العطاء، فلا يلومَنَّ رجلٌ إلا مُناخ راحلته.

وقال له أبو عبيدة حين نزل عن ناقته، وخلع خفَّيْهِ، وخاض المخاضة[4]:

مايَسرُّني أنَّ أهلَ البلدِ استَشْرَفُوك[5]؛ أي رأوكَ. فقال له

---

(١) المراد: محكم للأمور.

(٢) الغرة: الغفلة.

(٣) أي لا يكظم الحقد والدغل وينطوي عليه، أصلها الجرة: ما يخرجه البعير من جوفه ويمضغه، ويحنق البعير: تلتصق ببطنه.

(٤) المخاضة في الشام.

(٥) استشرفوك: اطلعوا عليك.

عمر رضي الله عنه: لو غيرُكَ يقول هذاَ لجعلتهُ نكَالاً، إنَّا كنَّا أذلَّ قوم، فأعزَّنا اللهُ بالإسلام، فإن طلبنا العزَّ بغيرِ ماأعزنا الله بهِ أذلّنَا.

وخطب رضي الله عنه فقال: إن أخوفَ ما أخافُ عليكمْ أن يؤخَذَ الرجلُ المسلمُ البريءُ عندَ الله، فيُدسرَ[1] كما يُدسَرُ الجَزُورُ، ويُشاط[2] لحمُهُ كما يُشاط لحمُ الجزور، ويقالُ: عاص وليس بعاصٍ. فقال عليٌّ عليه السلام: كيف ذاكَ؟ ولما تشتدَّ البليةُ، وتَظْهر الحميةُ وتُسْبَ الذُّرية وتدقُّهم الفتنُ دقَّ الرحا ثِفالها[3].

وقال عمر رضي الله عنه: لاتفطروا حتى تروا الليل يَغْسِق على الظراب[4].

وأوصى الخليفة بعده فقال:

أُوصيك بتقوى الله وحدَهُ لا شريك له، وأُوصيك بالمهاجرين الأوَلين خيراً أَنْ تعرف لهم سابقتهم.

---

(١) يدسر: يدفع ويكب للقتل، كما يفعل بالجزور عند النحر.

(٢) يشاط: يقطع، والأصل يشوى. والجزور الناقة أو الشاة المعدة للذبح.

(٣) الثفال: جلدة تحت الرحا.

(٤) يغسق: يظلم. والظراب: ما كان دون الجبل.

وأُوصيكَ بالأنصار خيراً؛ فاقبلْ من مُحْسنهم، وتَجَاوز عن مسيئهم، وأُوصيك بأَهل الأمصار خيراً، فإنهم ردِءُ العدو، وجباةُ الفيء، لا تَحملِ منهم إِلا عن فَضْلٍ منهم.

وأُوصيكَ بأَهل البادية خيراً؛ فإنهم أَصل العربِ، ومادَّةُ الإسلامِ، أَنْ تأْخذَ من حواشي[1] أَموالهم فتردَّ على فقرائهم.

وأُوصيك بأَهل الذمّة خيراً أَن تُقاتل من ورائهم، ولا تكلفهم فوقَ طاقتهم إذا أَدَّوا ماعليهم للمؤمنين طوعاً، أو عن يدٍ وهمْ صاغرون.

وأوصيك بتقوى الله، والحذر منه، ومخافةِ مقتهِ أَنْ يطَّلع منك على ريبة وأُوصيك أَنْ تخشى الله في الناسِ، ولاتخشى الناس في الله.

وأُوصيك بالعدل في الرعية، والتفرغِ لحوائجهم وثغورهم، ولا تُؤْثر غنيَّهم على فقيرهم، فإن في ذلك بإذن الله سلامةً لقلبك، وحطّاً لوزْرك، وخيراً في عاقبة أَمرك، حتى تُفضي في ذلك إلى من يعرف سريرتَكَ، ويحولُ بينك وبين قلبك.

---

(١) حواشي جمع: حاشية، وهي الطرف والجانب. والمراد هنا بالحواشي: صغار الإبل.

وآمركَ أن تشتدَّ في أمر الله، وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذكَ في أحدٍ الرأفةُ، حتى تنتهكَ منه مثلَ جُرْمه. واجعل الناسَ عندك سواءً، لا تبالي على مَنْ وجب الحقُّ، ولا تأخذك في اللهِ لومةُ لائم، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاكَ اللهُ مما أفاء على المؤمنين، فتجورَ وتظلم، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسَّعَه الله عليك.

وقد أصبحت بمنزلةٍ من منازل الدنيا والآخرة، فإن اقترفت لدُنياك عدلاً وعفةً عما بُسطَ لك اقترفت به إيماناً ورضواناً، وإن غلبك فيه الهوى اقترفت به غضَبَ الله. وأُوصيك ألاّ ترخِّصَ لنفسك ولا لغيرها في ظلم أهل الذمّة.

وقد أوصيتك، وخصصتُك ونصحتُكَ، فابْتَغِ بذلك وجْهَ الله والدارَ الآخرةَ، واخترتُ من دلالتك ما كنتُ دالاً عليه نفسي وولدي؛ فإن عملتَ بالذي وعظتُك، وانتهيتَ إلى الذي أمَرتُك أخذتَ منه نصيباً وافراً وحظاً وافياً؛ وإن لم تقبل ذلك، ولم يهمك، ولم تترك معاظم الأمور عند الذي يرضى به الله عنكَ يكنْ ذلك بك انتقاصاً، ورأيك فيه مدخولاً؛ لأن الأهواء مشتركة، ورأسَ الخطيئة إبليسَ داعٍ إلى كل مهلكَةٍ، وقد أضلَّ

القرونَ السالفةَ قبلك، فأوردهم النَّار وبِئْسَ الوِردُ المَوْرود، ولبئس الثمن أن يكون حظٌّ امريءٍ موالاةً لعدوٍّ الله، الداعي إلى معاصيه.

ثم اركب الحقَّ، وخض إليه الغَمَراتِ[1]، وكنْ واعظاً لنفسك، وأُناشدُك الله إلا تَرَحَّمْت على جماعة المسلمين، وأَجللْت كبيرَهُم، ورحمتَ صغيرهم، ووقَّرتَ عالمهم، ولا تضربهم فيذلُّوا، ولا تستأثر عليهم بالفيءِ فتُغضبهمْ، ولا تحرمْهُم عطاياهمْ عند محلِّها فتُفْقرهم، ولا تجمِّرْهم[2] في البعوث فينقطع نسلهم، ولا تجعل المالَ دُولةً بين الأَغنياءِ منهم، ولا تُغلق بابك دُونهم، فيأكل قويُّهم ضعيفهم.

هذِه وصيَّتي إليك، وأُشهد الله عليك، وأقرأ علَيكَ السلام.



---

(١) الغمرات: الشدائد.

(٢) التجمير: تركهم في ثغور العدو.

الباب الثالث

من كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه

لَمَّا نَقِمَ الناسُ عليه قام رضي الله عنه يتوكأ على مروان، وهو يقول: لكل أُمة آفةٌ، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهةَ هذه النعمة عيَّابون طعّانون، يُظهرون لكم ماتُحبون، ويُسرون ما تكرهون، طَغَامٌ[1] مثلُ النعام، يتبعون أول ناعق. لقد نقَموا عليَّ مانقَمُوه على عمر، ولكنه قمعهم و وَقَمهم[2]. والله إني لأقربُ ناصراً، وأعزُّ نفراً، فمالي لا أفعل في الفضلِ ما أشاء؟

ورُوي أنه رضي الله عنه قال يوماً على المنبر: والله ما تَغَنَّيتُ ولا تمنَّيتُ ولا تمنَّيت[3] ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام، وما تركتُ ذلك تأثُّما، ولكن تركته تكرُّماً.

اشتكى عليٌّ - عليه السلام - فعاده عثمان - رضي الله عنه - فقال: أَراك أَصبحتَ ثقيلاً. قال: أجل. قال: والله ما أَدري

(١) الطغام: السفلة من الناس.

(٢) وقمه: رده وقهره.

(٣) تمنيت: كذبت.

أَموتك أَحبُّ إليَّ أَم حياتُك؟ إِني لأُحِبُّ حياتك، وأكره أَن أَعيش بعد موتك، فلو شئت جعلت لنا من نفسك مخرجاً، إِما صديقاً مسالماً، أو عدواً معالِناً، فإنك كما قال أَخو زياد:

لقد جَرَرْتَ لنا حبْلَ الشَّموسِ فلا   يأساً مُبيناً أَرى مِنكُم ولا طَمعاً[1]

فقال له علِيٌّ - عليه السلام -: مالكَ عندي ما تخاف، وما جوابُك إلاّ ما تكره.

قُدِّمَ إلى عثمان - رضي الله عنه - غلامٌ في جناية، فقالَ: انظروا هل اخْضرَّ إزاره؟[2].

قال سعيدُ بن المسيّب[3]: بلغ عثمانَ - رضي الله عنه - أَن قوماً على فاحشة، فأَتاهم وقد تفرّقوا، فحمد الله وأَعْتقَ رقبةً.

روى الزُّهْريُّ قال: اشتكى عثْمانُ - رضي الله عنه - فَدَخَلَ عليهِ عليٌّ عائداً فقالَ عثمانُ لمَّا رآهُ:

وعائدةٍ تعود بغير نُصحٍ   تَوَدُّ لَو انَّ ذَا دنَفٍ يَموت[4]

---

(١) الشموس: الفرس يمنع راكبه.

(٢) الإزار: هنا كناية عما تحته وهو العانة، وذلك لكي يعرف هل بلغ مبلغ الشباب؟

(٣) سعيد بن المسيب: أحد الفقهاء السبعة في المدينة، جمع بين الحديث والفقه، لم يبايع عبد الملك ابن مروان. توفي سنة نيف وستين على اختلاف في الأقوال.

(٤) الدنف: المرض الشديد.

قيل: لما صَعِدَ عثمانُ المنبر أُرتِجَ عليه[1] فقال: إنَّ أبَا بكرٍ وعمر كانا يُعِدَّانِ لهذا المقام مقالاً؛ وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أحوجُ منكم إلى إمامٍ خطيبٍ.

وكتب إلى علي رضي الله عنهما حين أُحيط به: أمَّا بَعْدُ؛ فإنَّه قدْ بلَغَ السيْلُ الزُّبى[2]، وجَاوَزَ الحِزامُ الطُّبيين[3]، وتجاوز الأمر قَدْرَه، وطمعَ فيَّ من لا يدفعُ عن نفسه:

فإن كنتُ مأكولاً فكنْ خير آكلٍ وإلاَّ فأدْرِكْني ولَمَّا أُمَزَّقِ[4]

وقال عثمان رضي الله عنه: إنّ الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن[5].

وكان عثمان إذا نظر إلى قبرٍ بكى، فقيل له في ذلك. فقال: هو أولُ منازلِ الآخرة، وآخر منازل الدُّنيا، فمن شُدِّدَ عليه فما بَعْدَه أشدُّ، ومن هُوِّنَ عليه فما بَعْدَهُ أهون.

---

(١) أرتج عليه: لم يستطع الكلام.

(٢) الزبى: جمع زبية وهي التلال العالية. أو مصيدة الأسد ولا تتخذ إلا في قلة أو رابية أو هضبة.

(٣) الطبيان: حلمتا الضرع. والكلام كناية عن اشتداد الأمر وتفاقمه.

(٤) البيت للممزق العبدي، وقد كان سبباً في تلقيبه بهذا اللقب، وهو شاعر جاهلي.

(٥) يزع: يكف ويمنع.

وكان يقول: ما رأيت منظراً إلا والقبر أَفْظَعُ مِنْهُ.

وقال رضي الله عنه: بلغني أن ناساً منكم يخرُجون الى سوادهم، إمَّا في تِجارةٍ، وأما في جباية، وإما في حشرٍ[1]، فيَقْصِرون الصَّلاة، فلا يفعلوا، فإنما يَقْصِر الصلاة من كان شاخصاً أو بحضرة عدوٍّ.

وعرَّض به إنسانٌ فقال: إنّي لم أفرّ يوم عيْنين[2] فقال عثمان: فلِمَ تعيّرني بذنبٍ قد عفا الله عنه؟

وقال: قد اختبأت[3] عند الله خصالاً، إني لرابع الإسلام، وزوجني رسولُ الله - ﷺ - ابنته ثم ابنته[4]، وبايعته بيدي هذه اليمنى فما مَسَسْتُ بها ذكري، وما تَغَنَّيت، ولا تمنّيتُ، ولا شربت خمراً في الجاهلية والإسلام.

وقال: كلُّ شيءٍ يُحِبُّ ولده حتى الحُبارى[5].



---

(١) الحشر: الجهاد.

(٢) عينين: جبل بأحد.

(٣) اختبأت: ادخرت وخبأت.

(٤) ابنتا الرسول المشار إليهما: رقية، وأم كلثوم.

(٥) طائر يضرب به المثل في الحمق.

البـاب الرابـع

كلام الصحابة

عبد الله بن مسعود[1]

خطبة له: أَصْدَقُ الحديث كتابُ الله، وأَوثق العُرى كلمةُ التَّقْوى، خيرُ الملل ملَّة إبراهيم، وأَحسن السنن سنة محمدٍ ﷺ، شرٌّ الأمور محدَثاتها، ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى، خير الغنى غنى النفس، خيرُما ألقي في القلب اليقين، الخمر جماع الآثام، النساء حِبالة[2] الشيطان، الشباب شعبةٌ من الجنون، حبٌّ الكفاية مفتاح المَعْجَزَةِ، من الناس مَنْ لا يأتي الجماعة إلا دُبراً[3]، ولا يذكر الله إلا هُجْراً، أَعظم الخطايا اللسان الكذوب. سبابُ المؤمن فسقٌ، قتاله كُفرٌ، أَكل لحمه

---

(١) عبد الله بن مسعود الهذلي: سادس من أسلم، وأول من جهر بالقرآن في مكة، شهد الهجرتين وبدراً، سيره عمر إلى الكوفة إماماً للمسلمين، وأمره عليها عثمان، ثم عزله. مات سنة ٣٣هـ.

(٢) الحبالة: ما يصاد به من أي شيء كان.

(٣) دبراً: معرضاً عن الجماعة مستدبراً لها.

معصيةٌ، من يتألَّ[1] على الله يُكذِّبْه، ومن يغفر يُغفر له. مكتوبٌ في ديوان المحسنين: من عفا عُفي عنهُ.

ومن كلامه رضي الله عنه: حدِّث الناس ما حَدَجُوك[2] بأسماعهم، ورموكَ بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فترةً[3] فأمسك.

وكانت له ثلاثُ خصالٍ: أولها السِّرارُ، وهو سِرار[4] رسول الله ﷺ قال له: إذنك عليَّ أن تسمع سِوادي[5]. وكان معه سِواكُ رسول الله ﷺ، أو عصاهُ.

وقيل له في مرضه: لو نظرَ إليك الطبيبُ. فقال: الطبيبُ أمْرَضني. وقال: ما الدخانُ على النار بأدلَّ من الصاحب على الصاحب.

---

(١) يتأل على الله: يحلف على الله، متحكماً عليه، فيقول: هذا له الجنة وهذا له النار.

(٢) حدجه ببصره: أحد إليه النظر. والمراد: ماداموا نشيطين مقبلين على كلامك.

(٣) الفترة والفتور: الضعف.

(٤) ما يسار به أصحابه.

(٥) السواد: السِّرار.

قال بعضهم: أسكتتني كلمةُ عبد الله بن مسعود عشرين سنة حيث يقول: مَن كان كلامه لايوافق فعله، فإنما يوبِّخُ نفسَه.

وقال: الدنيا كلُّها غمومٌ، فما كان منها من سرور فهو ربح.

ودخل عليه عثمان ـ رضي الله عنهما ـ في مرضه، فقال: ماتشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فَمَا تشتهي؟ قال: رحمة ربِّي.

وقال: القلوب تملُّ كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.

وقال: كونوا ينابيع العلم مصابيح الليل، جُدُدَ القلوب، خلَقان[1] الثِّياب، أحلاس[2] البيوت، تَخْفَون في الأرض، وتُعْرفون في السماء.

وقال: جَرِّدوا[3] القرآن ليربو فيه صغيركم، ولاينأى عنه كبيركم؛ فإن الشيطان يخرج من البيت تقرأُ فيه سورةُ البقرَة.

وقال: إن التمائم والرُّقى والتِّوَلَة[4] من الشِّرك.

* * *

(١) الخلقان: جمع خلق وهو الثوب البالي.

(٢) أحلاس البيوت: الملازمون لها. والحلس في الأصل الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب.

(٣) جردوا القرآن: لا تقرنوا به شيئاً من الأحاديث.

(٤) التولة: ما تفعله المرأة من سحر لتحبب زوجها فيها.

سلمان الفارسي

قال له عمر رضي الله عنه لما دوَّنَ الدَّواوين: مَعَ مَن نكتبُك؟ قال: معَ الذين لايريدون علُواً في الأرض.

قالوا: أضاف[1] سلمانُ الفارسي رجلاً فقدم إليه كِسراً وملحاً، فقال: أمامِن جُبن! فرهن سلمان ركوته واشترى لهُ خبزاً وجبناً، فلما أكل وشبع قال: رضيت بما قسم الله لي. فقال سلمان: لو رضيت بما قسم الله لم تُرهن الرَّكوة[2].

وكان سلمان يتعوذ بالله من الشيطان والسلطان والعِلج[3] إذا استعرب.

وقال: القصدَ والدوام وأنت السابق الجواد.

اشترى رجل بالمدائن شيئاً، فمر سلمان وهو أميرٌ بها فلم يعرفه، فقال: احمل هذا معي يا علْج. فحمله، فكان من يتلقَّاه يقول: ادفعه إليَّ أيُّها الأمير، والرجل يعتذر، وهو يقول: لا والله ما يحمله إلا العِلْجُ، حتى بلغ منزله.

---

(١) أضاف الرجل: أنزله عنده، وضافه نزل به.

(٢) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(٣) العلج: الرجل من كفار العجم وغيرهم.

ورُوي أنّه أخذ من بين يَدَيْ النبي ﷺ تمرةً من تمرِ الصدقة فوضعهَا في فيِهِ فانْتَزَعَها عليهِ السلامُ من فمهِ. وقال: إنُما يحلُّ لك مِنْ هَذا ما يَحلُّ لَنا.

وقال: الناسُ أربعةٌ: أسدٌ، وذئبٌ، وثعلبٌ، وضأنٌ، فأما الأسدُ فالملوكُ يفرسون[1] ويأكلون، وأما الذئبُ فالتجارُ، وأما الثعلبُ فالقراءُ المخادعون؛ وأما الضأنُ فالمؤمن ينهشه مَنْ رآه.

* * *

أبو ذر الغفاري[2]

لما بنى معاويةُ خضراء دمشق أدْخلَها أبا ذر رحمة الله، فقال له: كيف ترى ما ها هنا؟ قال: إن كنتَ بَنَيْتَهَا من مال الله فأنت من الخائنين، وإن كنتَ بَنَيْتَها مِنْ مالِكَ فأنْتَ من المسرفين.

---

(١) يفرسون: يفترسون.

(٢) أبو ذر: هو الصحابي الجليل جندب بن جنادة، أسلم على يدي الرسول، وصحبه في غزواته، نفاه عثمان إلى الزبدة فمات بها.

وقال: كانَ الناسُ وَرَقاً لا شَوْك فيه، فَصَارُوا شَوْكاً لا ورقَ فيه.

وقال: يخضَمُون ونقضَم[1]، والموعدُ الله.

وقال: إن لكَ في مالِكَ شريكَيْنِ: الحَدَثانِ[2] والوارثُ، فإن قدرت ألّا تكونَ أخسَّ الشركاءِ حَظًّا فافعلْ.

ولما أمر عثمان بتسييره إلى الرَبَذَة[3] قال له: إني سائرٌ إلى ربَذتِك، فإنْ متُّ بِهَا فأَنا طريدُك، فإذا بعثَني ربيِّ حكَمَ بيني وبينَك. قال: إذاً أَحُجُكَ، إنّك تبغِي عليَّ وتسعَى. قال أبو ذَر: إن كنت أنت الحاكمَ فاحجُجْني[4]، إنّ الحَكَمَ يومئذٍ لا يقبلُ الرشوَة، ولا بينهُ وبينَ أحدٍ قرابةٌ.

نظر عثمان إلى عيرٍ مقبلة، فقال لأبي ذر: ما كنتَ تحبُّ أن تكونَ هذهِ العيرُ؟ قال: رجالاً مثل عُمَرَ.

---

(١) يقضم: يأكل بطرف أسنانه، ويخضم: يأكل بجميع أضراسه. المراد: يجمعون الدنيا ونزهد فيها.

(٢) الحدثان: الليل والنهار. ويريد: نوائب الدهر.

(٣) الربذة: قرية على بعد ثلاثة أميال من المدينة في طريق الحجاز.

(٤) احججني من حجه أي غلبه في الحجة.

وقيل له: أتحبُّ أن تحشر في مِسْلاخ[1] أبي بكر؟ قال: لا. قيل: ولِمَ؟ قال: لأنّي على ثقةٍ من نفسي وشكٍّ من غيري.

* * *

المغيرة بن شعبة[2]

ذكرَ عمرَ بنَ الخطابِ - رضي الله عنه - فقالَ: كَانَ أَفْضَلَ من أن يَخْدَع، وأعقَلَ من أنْ يُخدَع، ومَا رأَيْتُ مُخاطِباً لهُ قط. إلا رحمتُه كائناً مَنْ كَان.

وقالَ: من أخَّر حاجَةَ الرجل فقد ضمِنَها.

وقال له عمرُ رضي الله عنه: ما أدْري كيْفَ أُعَامِلُ أهلَ الكوفةِ؟ إنْ أرسلتُ إلَيْهم مؤمناً ضعفُوه، وإنْ أرسلتُ إليهمْ

(١) المسلاخ: الإهاب والجلد. كناية عن طريقته.

(٢) المغيرة بن شعبة: أحد دهاة العرب، أسلم وشهد فتوح الشام والعراق، ولاه عمر البصرة ثم الكوفة، بايع معاوية بعد التحكيم: توفي سنة ٤٩هـ.

قوياً فَجَّرُوه[1]. فقالَ المغيرةُ: يا أميرَ المؤمنينَ، الضعيفُ إيمانه لهُ وعليكَ ضعفُهُ، والفاجرُ قوتُه لكَ وعليه فجورُه. فولّاه الكوفةَ.

وقيل له: إن بوّابك يأذنُ لأصحابه قبل أصحابك. فقال: إن المعرفة لتنفعُ عند الكلب العقُور، والجمل الصؤول، فكيفَ بالرجل الكريم.

* * *

عمرو بن العاص

قال: ثلاث لا أملُّهن: جليسي ما فهمَ عنِّي، وثوبي ما سترني، ودابتي ما حملت رحْلي.

وقال لعبدِ الله بن عباس يوم صفِّين: إن هذا الأمر الذي نحن وأنتُمْ فيه ليس بأول أمرٍ قادهُ البلاءُ، وقدْ بلَغَ الأمرُ بِنَا وبِكُمْ ما ترَى. وما أبقتْ لنَا هذه الحربُ حيَاةً ولا صبراً، ولسنا نقولُ: ليتَ الحربَ عادتْ، لكنَّا نقولُ: ليتَهَا لم تكُنْ فانظرْ فيمَا

(١) ضعفوه: نسبوا إليه الضعف، وفجروه: نسبوا إليه الفجور.

بَقِي بعينِ ما مضَى، فإنكَ رأسُ هَذَا الأمرِ بعدَ عليٍّ، وإنما هوَ أَميرٌ مطاعٌ، ومأمورٌ مطيعٌ، ومُشاورٌ مأمونٌ، وأنت هو.

وقال لابنه وقد ولِي ولايةً: انظر حاجبَك فإنه لحمُك ودمُك، فلقد رأَينَا بصفِّين وقد أَشْرَعَ قومٌ رماحَهم في وُجُوهنا، ما لنا ذنبٌ إليْهم إلا الحجاب.

وقال: ما وضعتُ سرِّي عند أحدٍ قطّ فأفشاهُ فلُمتُهُ، لأَني أَحقُّ باللوم أنْ كنتُ أضيقَ صدراً منهُ.

وكان بين طلحة بن عبيد الله والزُّبيْر مدارأةٌ[1] في وادٍ بالمدينةِ، فقالا: نجعلُ بيننا عمرو بن العاصِ، فأتياهُ فقال لهما: أنتما في فضلكما وقديمِ سوابقكما ونعمةِ الله عليكما تختلفانِ، وقد سمعتُما مِنْ رسول الله ﷺ مثل ما سمعتُ، وحضرتُما من قوله مثلَ الذي حضرتُ، فيمن اقتطعَ شبراً من أرض أخيه بغير حقٍ أنَّهُ يُطوَّقُهُ من سبع أرضينِ. والحكمُ أُحوجُ إلى العدل من المحكوم عليه، وذلك لأن الحكم إذا جارَ رُزِئ في دينه، والمحكومَ عليه إذا جير عليه رزئ عرضَ الدنيا. إن شئتما فأدليا بحجتكما، وإن شئتما فاصطلحا، وأعطى كل واحد منهما صاحبهُ الرِّضا.

---

(١) المدارأة: المنازعة والمخاصمة.

وقال: ليس العاقلُ الذي يعرف الخيرَ مِنَ الشر، ولكنه الذي يعرفُ خير الشَّرّيْن.

قال المدائني: جُعل لرجل جُعْلٌ على أن يسألَ عمرو بن العاص وهو على المنبر عن أمه، فلما قام على المنبر، قال له: ياعمروُ، مَنْ أُمُّكَ؟ قال: سلمى بنتُ خزيمة، تلقَّبُ بالنابغةِ، من بني جلان من عنزة، أَصابتْها رماحُ العربِ فصارت للفاكهِ بن المغيرة[1]، ثم صارت إلى عبد الله بن جُدْعان[2]، ثم صارت للعاص بن وائل[3] فولَدَت فأنجبَتْ؛ اذهب فخذ جُعْلَك الذي جُعِل لك.

وقال لبنيهِ: اطلبُوا العلمَ، فإن استغْنَيْتُمْ كان جَمَالاً، وإن افتَقَرتُمْ كان مالاً.

قال عمرو: يا بنَيَّ، إمام عادلٌ خيرٌ من مطرٍ وابلٍ، وأسدٌ حَطومٌ خيرٌ من سلطانٍ ظلوم، وسلطانٌ ظلومٌ خيرٌ من فتنةٍ تدومُ، ولأنْ تمازِحَ وأنتَ مجنونٌ خيرٌ من أنْ يمازِحَكَ مجنونٌ،

---

(١) الفاكه بن المغيرة بن عبد الله المخزومي: أحد الفصحاء في الجاهلية، وعم خالد بن الوليد.

(٢) عبد الله بن جدعان التيمي القرشي: أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية.

(٣) العاص بن وائل بن هاشم: أبو عمرو بن العاص.

وزلّةُ الرجلِ عظمٌ يُجبَر، وزلة اللسانِ لا تُبقي ولا تذر، واستراحَ من لا عقلَ له.

وكتب إلى عمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، إن البحر خلْق عظيم يركبه خلْق ضعيف، دودٌ على عُودٍ، بين غرَقٍ وبرَق[1]. فقال عمر: لا يسألني اللهُ عن أحدٍ حملتُهُ فيه.

❋ ❋ ❋

طلحة

قال لعمرَ - رضي الله عنه - حين استشارهُم في جموع الأعاجم: قد حنَّكتْك الأمورُ، وجرَّستْك الدهور[2]، وعَجَمتْك[3] البلايا، فأنت وليٌّ ما وليتَ، لا ينبُو في يديكَ، ولا يحولُ عليك.

---

(١) البرق: الفزع.

(٢) جرستك الدهور: أحكمتك، من جرست بالقوم إذا سمعت بهم، كأنه ارتكب أموراً فعنف حتى استحكم.

(٣) عجمتك: من عجم العود، وهو عضه لتعرف صلابته.

قال ابن عباس: بعثني عليٌّ - رضي الله عنه - بالبصرة إلى طلحةَ والزبير فأتيتُهما فقلت لهما: أخوكما يقرئكما السلام، ويقول لكما: ما الذي نقمتُما عليَّ؟ أستئثارٌ بفيءٍ أو جورٌ في حكْم؟ قال: فأما الزبيرُ فسكتَ، وأما طلحةُ فقال. لا واحدةَ من ثنتين.

* * *

أبو موسى الأشعري (1)

قال: من إجلال الله إكرامُ ذي الشيبةِ المسلم، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرامُ ذي السلطانِ المُقْسِطِ.

وقيل له زمنَ علي - عليه السلام - ومعاوية: أهيَ؟ (2)

---

(1) عبد الله بن قيس الأشعري: غلبت عليه كنيته أبو موسى. أسلم، ثم قدم على الرسول يوم خيبر، واستعمله، ولاه عمر البصرة، وعثمان الكوفة، وهو أحد الحكمين يوم صفين، راوية للحديث، معلم للقرآن. مات سنة ٤٢ هـ.

(2) المراد: أهي الفتنة التي تحدث عنها الرسول عليه الصلاة والسلام.

فقال: إنما هذه الفتنة، حَيْصَةٌ[1] من حَيْصَات الفتن، وبَقِيَت الرَّدَاح[2] المظلمةُ، التي من أَشرف لها أَشرفَتْ له[3].

كتب معاويةُ إلى أبي موسى بعد الحكومة ـ وهو يومئذٍ بمكةَ عائذٌ بها من علي - عليه السلام -، وإنما أراد بكتابه أن يضمَّه إلى الشام ـ: «أما بعدُ؛ فإنه لو كانت النيةُ تدفعُ خطأً لنجا المجتهدُ، وأعذرَ الطالبُ، ولكنَّ الحقَّ لمَنْ قصدَ له فأصابهُ، ليسَ لمن عارضَهَ فأخطأه. وقد كان الحكَمَان إذا حكَمَا على رجلٍ لم يكنْ له الخيارُ عليهما. وقد اختارَ القومُ عليك، فاكرهْ منهمْ ما كرهُوا منك، فأقْبِلْ إلى الشامِ فهي أوسعُ لك.

فكتب أبو موسى إليه: أما بعدُ؛ فإني لم أقلْ في عليٍّ إلا بما قال صاحبك فيك. إلاَّ أني أردتُ ما عندَ الله، وأرادَ عمروٌ ما عندكَ، وقد كانتْ بيننا شروطٌ، والشُّورَى عن تراضٍ، فلما رجعَ رجعتُ، فأما الحكمَانِ وأنَّه ليس للمحكوم عليه الخيارُ، فإنما ذلكَ في الشاةِ والبعيرِ؛ فأمَّا في أمرِ هذهِ الأمة فليسَ أحدٌ

---

(١) حيصة من حيصات الفتن: روعة منها عدلت إلينا.

(٢) الرداح: الثقيلة العظيمة.

(٣) من أشرف لها أشرفت له: من غالبها غلبته.

آخذاً لَهَا بزمام ما كَرِهُوا، وليس يَذهبُ الحقُّ لعجزِ عاجزٍ ولا مكيدةِ كائدٍ. وأَما دعاؤكُ إِيايَ إِلى الشامِ، فليستْ بي رغبةٌ عن حرم إِبراهيمَ عليه السلام.



ابن عمر (1)

كتب إِليه رجلٌ يسأله عن العلم؛ فأَجابه: إِنَّكَ كتبتَ تسألُ عن العلم. والعلمُ أَكثرُ من أَن أَكتبَ به إِليك، ولكنْ إِن استطعتَ أَن تلقى الله عز وجل كافَّ اللسانِ عن أَعراض المسلمينَ، خفيفَ الظهرِ من دِمائِهم، خميصَ البطنِ من أَموالِهم، لازماً لجماعتِهمْ فافْعَلَ.

وقال ابن عمر: كان الرجلُ إِذا أَراد أَن يعيب جارَهُ طلبَ الحاجَةَ إِلى غيره.

---

(1) عبد الله بن عمر بن الخطاب: ولد بعد البعثة بثلاث سنوات، أسلم وهاجر مع أبيه: شهد الخندق، صالح، زاهد، كثير الرواية للحديث، لم يشترك في النزاع بين علي ومعاوية. مات سنة ٧٣هـ.

سئل ابنُ عمر: هل كان النبيُّ ﷺ يلتفتُ في الصلاةِ؟ فقال: لاَ، ولاَ في غير الصلاة.

وكانَ إذا حدَّثَهُ محدثٌ فقالَ: زعموا. قال له ابنُ عمر: «زعموا» من زواملِ[1] الكذبِ.

وقيل له: إنِ المختار[2] يزعم أنَّه أُوحيَ إليه. قال: صدقَ، أمَا سمعتَ قول الله تعالىَ: ﴿وإنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيَائِهِمْ﴾[3].

قال بعضهم: أَتيته، فقلتُ: أَتجبُ الجنةُ لعاملٍ بكلِّ الخيراتِ وهو مشركٌ؟ فقالَ: لا. قلتُ له: أَتجبُ النارُ لعاملٍ بالشر كله وهو موحِّد؟ فقال ابن عمرَ: عَشِّ ولا تَغْتَر. فأتيتُ ابنَ عباس فسألتُهُ، فأجابني بمثل جوابه سواء قال: عَش ولا تغتر[4].

---

(١) الزوامل: جمع زاملة، وهو ما يحمل الزاد والمتاع من الإبل.

(٢) المختار الثقفي: هو المختار بن مسعود، ولد سنة ١هـ، كان مع العلويين، ثم مع ابن الزبير، ثم عاد إلى العلويين. تتبع قتلة الحسين بالقتل، حاربه مصعب بن الزبير فهزمه وقتله سنة ٦٧هـ.

(٣) سورة الأنعام: ١٢١.

(٤) عش ولا تغتر. مثل يضرب للأخذ بالأحوط من الأمور. أصله: أن يمر صاحب الإبل بالأرض ذات الكلأ، فيقول: ادع أن أعشي إبلي حتى أرد على أخرى، فيقال له المثل؛ لأنه لا يدري ما يرد عليه.

ورأى رجلاً مُحرِماً قد استظَلَّ، فقال: اضْحِ لمن أحْرَمْتَ له[1].

* * *

أبو الدرداء[2]

كان يقول: أَبغضُ الناس إليَّ أن أظلِمه، مَنْ لا يستعين عليَّ بأحد إلا الله.

وقال: مِن هوان الدنيا على الله ألاَّ يُعْصَى إلاَّ فيها، ولا يُنالَ ما عندَه إلاَّ بتركِها.

وقال: نعم صومعةُ المرء منزلُه، يكفُّ فيه بصرَه ونفسَه وفرجَهُ، وإياكم والجلوس في الأسواقِ فإنها تُلْغِي[3] وتُلْهِى.

---

(١) اضح: أظهر واعتزل الظل.

(٢) صحابي جليل، اشتهر بكنيته واختلف في اسمه؛ عامر أو عويمر، وكذلك في اسم أبيه. جده قيس الأنصاري الخزرجي، وهو من المكثرين من رواية الحديث. توفي لستين بقيتا من خلافة عثمان.

(٣) تلغي: تبعث على اللغو.

وقال: لولا ثلاثٌ لصلُح الناسُ: هوًى متَّبعٌ، وشحٌّ مطاعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه.

وقال: بئسَ العونُ على الدين قلب نَخِيبٌ[1]، وبطن رَغيب[2]، ونفطٌ شديد[3].

وقال: لأَنَا أَعْلَمُ بشِرارِكم من البَيْطَارِ بالخيل، هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دُبْراً[4]، ولا يستمعونَ القولَ إلا هُجْراً[5]، ولا يُعتقُ مُحرَّرُهم[6].

* * *

(١) القلب النخيب: الفاسد.

(٢) البطن الرغيب: الواسع. المراد به: الممتلئ بالطعام.

(٣) المراد بالنفط: شهوة الجماع.

(٤) يأتون الصلاة دبراً بفتح الدال وضمنها: معرضين عنها.

(٥) الهجر: الفاحش من القول.

(٦) المراد: يستخدمونه ولا يدعونه لشأنه. قيل: إن العرب كانوا في الجاهلية إذا أعتقوا عبداً تناقلوه تناقل الملك.

عبد الله بن عمرو بن العاص

سألهُ أبوه عن السؤدد، فقال: اصطناعَ العشيرة، واحتمال الجريرةِ. وعن الشرف، فقال: كفُّ الأذَى، وبَذْل النَّدَى. وعن المروءة، فقال: عرفانُ الحقِّ، وتعهُّد الصنيعة. وعن السناء، فقال: استعمالُ الأدب، ورعايةُ الحسَبِ. وعن المجد، فقالَ: حَمل المغارمِ، وابتناءُ المكارمِ. وعن الحلم، قال: كظم الغيظ، وملكُ الغضب. وعن الحزم، فقال: تَنْتَظِرُ فريستَك، ولا تعاجلُ حتى يمكنك. وعن الرفق، فقال: أَن تكون ذا أَناةٍ، دون مخاشَنَة الولاة. وعن السماحة، قال: حبُّ السائِل، ويذل النائِل. وعن الجود، قال: أَن تَرَى نعماك زائدة، والعطيةَ فائدةً. وعن الغنى، قال: قلةُ تَمنّيكَ، والرضا بما يكفيك. وعن الفقر، قال: شرَهُ النفسِ، وشدةُ القنوطِ. وعن الرِّقة، قال: اتباعُ اليسير، ومنع الحقير. وعن الجبن، قال: طاعةُ الوَهَل[1]، وشدة الوجَل. وعن الجهل، قال: سرعة الوِثاب، والعيُّ بالجواب.

* * *

(١) الوهل: الفزع الشديد.

حسّان[1]

وكان إذا دُعي إلى طعام قال: أفي عرسٍ أو خُرْسٍ[2] أو إعذارٍ[3]؟ فإن كان في واحد من ذلك أجابَ، وإلاّ لم يُجبْ.

وروي أنه أخرج لسانه فضربَ به روثة أنفه[4]، ثم أدلعَهُ فضربَ به نحرهُ. وقال: يا رسولَ الله. ادعُ لي بالنَّصرْ.

واستأذن النبي عليه السلام في هجاء المشركين، فقال: كيف بنَسَبي فيهم؟ قال: لأسُلَّنَّك منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين.

وقيل له: لِمَ لَمْ ترثِ رسولَ الله ﷺ؟ فقَال: هو أجلُّ من ذلك.

---

(١) حسان بن ثابت الأنصاري: أكبر شعراء الرسول ﷺ.

(٢) الخرس: طعام الولادة.

(٣) الإعذار: طعام الختان.

(٤) روثة الأنف: طرفه.

وقال له النبيُّ ﷺ: «ما بقيَ من لسانِكَ؟» فأَخرج لسانه حتى قرع بطرفهِ أَرْنَبَتَهُ، وقال: إِني واللهِ لو وضعتُهُ على صخرٍ لفلَقَه، أَو على شَعَرٍ لحَلَقه، وما يسرُّني به مِقولٌ من مَعدّ.

* * *

بــلال [1]

سـأَلهُ رجلٌ، وقد أَقبل من الحَلْبة، فقال له: من سبقَ؟ فقال: المقرّبون. قال: إِنما أَسأَلكَ عن الخيلِ. قال: وأَنا أُجيبُكَ عن الخير.



(١) بلال الحبشي مؤذن الرسول ﷺ.

أبو هريرة[1]

قال: إِذا نزلت برَجلٍ فلم يَقْرِك[2] فقاتِلْه.

ونظر إلى عائشةَ بنتِ طلحة[3] فقال: سبحان الله، ما أَحْسَنَ ما غذَّاها أَهلُها! ما رأَيتُ أَحسن منها إلاّ معاويةَ.

وكان يحمل حزمةَ حطبٍ وهو أَميرٌ، ويقول: وسِّعوا للأَمير.
وكان يجيءُ على حمارِه ويقول: الطريقَ الطريقَ قد جاءَ الأَمير.

أَتاه رجلٌ فقال: كنتُ صائماً فدخلتُ داراً فأَطعموني، ولم أَدرِ. قال: الله أَطعمكَ. فقالَ: ثم دخلتُ داراً أُخرى، فسقَوْني ولم أَدر. قال: أَطعَمَكَ اللهُ وسقَاكَ. فقال: ثم دخلت داري فجامَعْتُ ولم أَدرِ. فقال أَبو هريرة: يا هذا، ليس ذا فعل من تعوَّد الصيام.

---

(١) أبو هريرة بن عامر: اختلف في اسمه في الجاهلية، وسماه الرسول في الإسلام: عبد الرحمن. أكثر الصحابة حديثاً، أسلم بين غزوتي: الحديبية، وخيبر، استعمله عمر على البحرين، ومات سنة ٥٧هـ.

(٢) لم يقرك: من القرى وهو طعام الضيف.

(٣) عائشة بنت طلحة: من جميلات العرب، لم تكن تستر وجهها اعتزازاً بجمالها، تزوجها عبد الله عبد الرحمن، ثم مصعب بن الزبير. تغزل فيها شعراء عصرها.

وأردف غلامَه خلفه فقيل له: لو أنزلته يسعى خلفك. فقال: لأن يسير معي ضِغْثانِ[1] من نارٍ يحرقانِ مني ما أحرقا. أحبُّ إليَّ من أنْ يسعى غلامي خلفي. وقال: إن للإسلام صُوًى[2] ومناراً كمنار الطريق.

وقال: مَثَل المؤمن الضعيفِ، كمثل خافت الزرع يميلُ مرة ويعتدل أُخرى.

* * *

عمَّار[3]

لم يشهد بدراً أحدٌ أبواهُ مؤمنان إلا عمّارَ بن ياسر. وكان لِدَةَ[4] النبي ﷺ، وكان يحمِي له الأرض يرعى فيها غنَمَه.

---

(١) ضغثان: حزمتا حطب، فاستعارهما للنار. يعني أنهما قد اشتعلتا وصارتا ناراً.

(٢) الصوى: أعلام من حجارة في المفاوز المجهولة واحدتها صوة.

(٣) عمار بن ياسر: من السابقين للإسلام، وممن عذب هو وأهله فيه، شهد أكثر الغزوات، وحارب في صفين مع علي، وقتل في الموقعة.

(٤) لدته: نظيره في العمر.

وقال ﷺ: مَا لكُم ولابنِ سُمَيَّة؟ يدعوكُم إلى الجنةِ وتدعونَه إلى النار.

وكان عمّار يقول، الجنة تحت البارقَة: يريد السيوف.



الزبير (١)

لما كان يومُ الجَمَلِ صاح عليٌّ بالزبير فخرج إليه، فقال له: يا أبا عبد الله: لئن كانَ حلَّ لك خذلانُنا إنه لحرامٌ عليكَ قتالُنا. قال: افتحبُّ أن أنصرفَ عنك؟ قال: وما لي لا أُحبُّ ذلك؟ وأنت سيفُ رسولِ الله ﷺ وحواريُّه وابنُ عمته، فعارضه ابنهُ عبدُ الله، فقال له: يا أَبَهْ، ما الذي دهَاك؟ فأخبره خبرَه. فقال: قد أنبأك ابنُ أبي طالب مع علمكَ بذلك، إنك بزمام الأمر أولى منكَ بعنانِ فرسك، ولئن أخطأك أن يقول الناسُ جُبنَّهُ عليٌّ

(١) الزبير بن العوام: أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، أسلم وسنه اثنتا عشرة سنة، وشهد المشاهد مع الرسول، وكان مع عائشة يوم الجمل ولكنه لم يقاتل، قتل في ذلك اليوم بسهم من رجل من جيش عائشة حين انصرف عن القتال.

ليقولُنَّ خدعه. فقال الزبير: ليقلْ من شاءَ ما شاءَ، فوالله لا أشتري عملي بشيءٍ، ومع ذلك لَلدُّنيَا أهون علي من ضِبْحَةٍ سَحْمَاء[1]. وانصرف راجعاً.

ومن كلام الزُّبير: يكفيني من خصمهم القَضْمُ، ومن نَصِّهم العنَق[2].

ضرب الزُّبير يوم الخندق رَجُلاً فقطعت ضربتُه الدرعَ ومؤخر الجوشن[3] حتى خلصت إلى عجز الفرس، فلما رأى أبو بكر - رضي الله عنه - ما صنعتْ ضربةُ الزبير، قال: ياأبا عبد الله، ما أجودَ سيفك! فغضب الزبير وقال: أما والله لو كان إلى السيفِ ما قطع، ولكني أكرهتُه بقلبٍ مجتمعٍ وقوةِ ساعدٍ فقطع. فقال أبو بكر: ما أردنا غضبك يا أبا عبد الله.

قالوا: أدرك عثمانُ رضي الله عنه الزبيرَ، وعثمانُ في موكبه يريد مكةَ بذات الجيْش، ولموكب عثمان حِسٌّ، قد ظهرت

---

(١) الضبحة: واحدة الضبح وهو الرماد. وسحماء مائلة للسواد.

(٢) النص: أشد أنواع السير. والعنق: السير البطيء.

(٣) الجوشن: الصدر والدرع.

فيه الدوابُّ والنجائب، والزبيرُ على راحلةٍ له، ومعه غلمان له وزوامِل[1]. فقال عثمان: سرْ يا أَبا عبد الله، فقال: سيكفيني القضمُ من خضمِكم، والعَنَق من نَصِّكم.

* * *

عبد الرحمن بن عوف

قال عبد الرحمن يوم الشورى: يا هؤلاء، إن عندي رأياً. وإنّ لكم نظَراً، إنّ حَابياً خيرٌ من زاهقٍ[2]، وإنَّ جرعةَ شروبٍ[3] أَنفع من عذبٍ موبٍ[4]. إن الحيلةَ بالمنطقِ أبْلغُ من السُّيُوبِ[5] في الكلم. فلا تطيعُوا الأعداء وإنْ قربُوا، ولا تفلُّوا

---

(١) الزوامل: جمع زاملة، الجمل الذي يحمل الزاد والمتاع.

(٢) الحابي: السهم الذي يزلج على الأرض ثم يصيب الهدف. والزاهق: الذي يجاوزه لسرعته.

(٣) الشروب: الماء الملح الذي لا يشرب إلا عند الضرورة.

(٤) عذب موب: أصلها موبئ، مورث للوباء، وهو مثل لرجلين: أحدهما أدون وأنفع، والآخر أرفع وأضر.

(٥) السيوب: مصدر ساب في الكلام إذا أكثر بهذر.

المُدى بالاختلاف بينكم، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتِرُوا ثأركم[1]، وتؤْلِتُوا[2] أعمالكم. لكل أجل كتابٌ، ولكلِّ بيت إمامٌ بأمره يقومُون، وبنَهْيِهِ يرعُون[3]. قلدُوا أمركم رحبَ الذراع فيما نزل، مأمون الغيب على ما استكنَّ. يَقْتَرِع منكُم[4]، وكلكم مُنتهى، ويرتضي منك وكلكم رضا.

* * *

حُذيفة بن اليمان[5]

قال لرجل: أيسرُّك أنك غلبت شرَّ الناسِ؟ قال: نعم. قالَ: فإنك لن تغلبهُ حتى تكونَ شراً منه.

* * *

(١) فيوتر ثأركم. وترته: أصبته بوتر، وأوترته: أظفرته به، والثأر هنا معناه العدو. والمعنى: فتوجدوا لعدوكم الوتر فيكم.

(٢) تؤلتوا: تنقصوا.

(٣) يرعون: يكفّون.

(٤) يقترع: يختار.

(٥) حذيفة بن اليمان: صحابي، شهد غزوة أحد، وفتح الري والدينور، وتوفي سنة ٣٦هـ.

خالد بن الوليد

وقال في مرضه: لقد لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي موضعُ شبرٍ إلاّ وفيه ضربةٌ أو طعنةٌ أو رَميةٌ، ثم هأنذا أموتُ على فراشي حتفَ أنفي كما يموتُ العير، فلا نامتْ أعينُ الجبناءِ!

وخطب الناسَ فقال: إن عمرَ استعملني على الشام وهو له مُهِمٌ، فلما ألقى الشام بوَانِيَه[1] وصار بَثْنِيَّةً[2] وعَسَلاً عَزَلَني، واستعملَ غيري. فقال رجل: هذا واللهِ هُو الفتنة. قال خالدٌ: أما وابنُ الخطابِ حيٌّ فلا، ولكنَّ ذاك إذا كان الناسُ بذي بِلِّيٍّ وذي بِلَّي[3].

وانصرف عمروُ بن العاص من الحبشةِ يريد رسولَ الله ﷺ

---

(١) البواني: أضلاع الزور، جمع بانية، يقال: ألقى البعير بوانيه إذا استناخ، والمعنى: خضع الشام واطمأن كالبعير إذا استناخ للركوب.

(٢) البثنة: الأرض السهكة، أي كثر فيها الحنطة والعسل حتى كأنها كلها حنطة وعسل.

(٣) بذي بلي وذي بلي: إذا كانوا متفرقين متباعدين لا يعرف بعضهم بعضاً.

فلقيه خالدٌ وهو مقبلٌ من مكة، فقال: أَين يا أَبا سليمان؟ فقال: والله لقد استقامَ المَنْسِمُ[1]، وإِن الرجل لنبيٌّ. أَذهبُ فأَسلم.

وكان بينه وبين عبد الرحمن كلامٌ، فقال خالد: أَتستطيلون علينا بأيامٍ سبقْتُمُونَا بِهَا؟.

وقالَ: كان بيني وبين عَمَّار بعضُ ما يكون بين الناسِ، فعدمْتُهُ[2]، فشكاني إِلى رسولِ الله ﷺ، فقال: من يبغضْ عماراً يُبْغِضْهُ اللهُ.

ولما بويع أبو بكر قامَ خالد بن الوليد خطيباً، فقال: إِنا رُمينا في بدء هذا الأمر بأمرٍ ثقُل علينا حمله، وصعُبَ علينا مُرْتَقَاه، ثم ما لبثنا أن خفَّ علينا مَحْمله، وذلَّ لنا مَصعَبه، وعجِبْنا ممن شكَّ فيه، بعد أن عجِبْنا ممَّن آمَنَ بهِ، وما سُبِقْنا إِليه بالعقولِ ولكنَّه التوفيقُ. ألا وإِنَّ الوحي لَم ينقطعْ حتىٰ أُكْمِلَ، ولم يَذْهب النبيُّ ﷺ حتى أَعْذَرَ، فلسْنَا ننتظرُ بعد النبيِّ نبياً، ولا

---

(١) استقام المنسم: مثل يضرب في استقامة الأمر. أصله أن يعثر البعير على منسم أخيه.

(٢) عدمته: فقدته. المعنى: فقدت وده.

بعد الوحيِ وحياً ونحن اليوم أكثرُ منا أَمسِ، ونحن أَمسِ خيرٌ منا اليومَ. من دخلَ هذا الدينَ كانَ مِن ثوابِهِ على حسبِ عملِه، ومن تركَهُ رَدَدْناهُ إليه. إنه والله ما صاحبُ هذا الأمر بالمسئول عنه، ولا متخلِّفٍ فيه، ولا الخفيِّ الشخصِ ولا المغموزِ القناةِ.

وكان خالد يقولُ: ما ليلةٌ أَسرُّ إِليَّ من ليلةٍ تُهْدَى إِليَّ فيها عروس إلا ليلة أَغدو في صبيحتِها إِلي قتال عدوٍّ.

* * *

سعد بن أبي وقاص

خطب يوم الشُّورى، فقال: الحمد لله بديئاً كانَ وآخراً يعودُ. أَحمَدُهُ كما أَن أَنجَاني من الضَّلالة وبصَّرني من العماية، فبرحمةِ الله فازَ من نَجَا، وبهدْيِ الله أَفلحَ من وَعَى، وبمحمد بن عبدِ الله ﷺ استقامتِ الطرقُ، واستنارتِ السبُلُ، فظهر كلُّ حقٍّ ومات كلُّ باطل. إِياكم أَيها النفرُ وقولَ أَهلِ الزورِ، وأُمنيةَ

الغُرورِ، فقد سلبَتْ الأماني قبلكم قوماً ورِثُوا ما ورِثْتم، ونالُوا ما نلتُم، فاتخذَهمُ الله أَعداءً ولعنهم لعناً كثيراً. قال الله عزوجل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَآءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1]. وإِني نَكَبْتُ قَرَنْي[2]، فأَخذت سهميَ الفَالِجَ[3]، وأَخذتُ لطلحةَ بنِ عبيدِ الله في غَيْبَتِهِ ما ارتَضَيْتُ لِنَفْسي في حضوري، فأنا به زعيمٌ، وبما أَعطيت عنه كفيل، والأمر إليك يا ابنَ عوفٍ بصدقِ النَّفْس وجهدِ النُّصح، وعلى الله قصدُ السبيل، وإِليه المصير.

* * *

---

(١) سورة المائدة: ٧٨- ٧٩.

(٢) القرن: جعبة صغيرة، سميت بذلك لأنها تقرن إلى الكبيرة.

(٣) الفالج: الفائز. والمعنى: قلبت آرائي فاخترت منها الرأي السديد.

عُتبة بن غَزوان السلمي [1]

خطب بعد فتح الأُبُلَّةِ [2]، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إِن الدنيا قد تولَّت بحذافيرها [3] مدبِرَةً، وقد آذنتْ أهلها بصرمْ [4]، وإِنما بَقِيَ منها صُبابةٌ كصُبَابَةِ الإِناءِ يَصبها صاحِبُها. ألا وإِنكم مفارقُوها لا محالة، ففارقُوها بأحسنِ ما بحضرتِكم. ألا إِن من العجب أنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إِن الحجر الضخمَ ليُرمَى به مِنْ شفَير جهنَّمَ فيهوِي في النار سبعينَ خريفاً، ولجهنمَ سبعةُ أبواب ما بين البابَيْن مِنْهَا مسيرةُ خمسمائة عام. ولتأتيَنَّ عليهِ ساعةٌ وهو كظيظٌ من الزحام. ولقد كنتُ مع رسول الله ﷺ سابعَ سبعةٍ، ما لنا طعام إِلا ورَق البَشَام [5] حتى

---

(١) عتبة بن غزوان بن جابر السلمي: من السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وحضر بدراً وسائر المشاهد، ولاه عمر على البصرة، ولد سنة ٣٧ قبل الهجرة ومات سنة ٢٠هـ.

(٢) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج العربي.

(٣) الحذافير: الجوانب. جمع حذفور. أي تولت كلها.

(٤) الصرم: القطع، والمراد: الفراق.

(٥) البشام: شجر يستاك به.

قَرِحَتْ[1] أشداقنا، فوجدت أنا وسعدٌ تمرةً فشققتُها بيني وبينه نصفَينْ، وما منَّا اليومَ أحدٌ إلا وهو على مصرٍ أميرٌ، وإنَّهُ لم تكنْ نبوَّة قط إلا تناسختها[2] جبرِيَّةٌ، وأنا أعوذُ بالله أن أكونَ في نفسي عظيماً وفي أعين الناسِ صغيراً، وستجرِّبُونَ الأمرَ بعدِي فتعرفونَ وتنكرون.



(١) قرحت أشداقنا: حدثت فيها القروح.

(٢) تناسختها: تلتها ونسختها. جبرية: قسوة وشدة.

الباب الخامس



مـن كـلام عمر بن العزيـز

كتب إليه أبو بكر بن حزم[1] ـ وهو والي المدينة من جهته ـ: إنْ رأى الأميرُ أنْ يُقْطعَ لي من الشمع والقراطيسِ ما كان يُقْطَعُ لعمالِ المدينةِ؛ فكتب إليه: جاءني كتابُك وإنَّ عهدي بك تخرجُ من بيتِك في الليلةِ الظلماءِ بغير سراج. وأما القراطيسُ فأدِقَّ القلمَ، وأوجزِ الإملاءَ، واجمعِ الحوائجَ في صحيفةٍ.

وذكر له سليمانُ بنُ عبدالملك يزيدَ بنَ أبي مسلم بالعفةِ عن الدِّرهمِ والدينارِ، وهمَّ بأن يستكفِيَهُ مُهماً من أمره. فقال له عمرُ: أفلا أدلُّكَ على من هو أزهد في الدرهم والدينارِ منهُ وهو شرُّ الخلقِ؟ قال: بلَى. قال: إبليسُ لعنه الله.

وكان يقول: أيها الناسُ إنما خلقتم للأبد، وإنَّما تُنقَلون من دارٍ إلى دار.

---

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم: قاضي المدينة، ولاه الوليد بن عبد الملك المدينة حين عزل عمر، وأبقاه عمر والياً عليها. ولد حوالي سنة ٤٠هـ، ومات سنة ١٢٠هـ.

وسأله رجل عن الجمل وصفِّين، فقال عمرُ: تلك دماءٌ كفَّ اللهُ يدي عنها، فأنا أُحِبُّ ألا أَغمسَ لساني فيها.

وكان يقول: اللهمَّ إني أسألُك رضوانَك، وإلّا أكنْ له أهلاً فعفوك.

وقال لأصحابه: إذا كتبتُم إليَّ فلا تكتبُوا الأمير، فليستِ الإمارةُ أفضلَ من أبِي.

كتب إليه عديُّ بن أرطاةَ[1] يستأذنه في عذاب العمّال، فكتب إليه عمرُ: العجبُ لكَ يا ابن أم عديٍّ، حين تستأذنُني في عذاب العمال كأني لك جُنَّةٌ[2]، وكأنَّ رضاي يُنْجيكَ من سَخَطِ اللهِ. من قامتْ عليه بيِّنةٌ وأقرَّ بمَا لَمْ يكنْ مضطهَداً فيهِ فخذْهُ، فإن كان يقدر على أدائه فاستأده، وإن أبى فاحبسه، وإنْ لم يقدِر على شيءٍ فخلِّ سبيلَهُ بعد أن تُحلِّفَه على أنه لا يقدرُ على شيءٍ، فلأَنْ يلقوْا الله بخياناتهم أحبُّ إليَّ من أن ألقاهُ بدمائِهِم.

---

(١) عدي بن أرطاة الفزاري: أمير من العقلاء الشجعان، ولاه عمر بن عبد العزيز البصرة سنة ٩٩هـ، واستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب في فتنة سنة ١٠٢هـ.

(٢) جنة: وقاية، أي من حساب الله وعذابه.

وقال: مِنْ أَحبِّ الأُمورِ إِلى الله عز وجل الاقتصادُ في الجِدَةِ[1]، والعفوُ في القدرةِ، والرفقُ في الولاية.

خرج يوم الجمعة إِلى الصلاةِ وقد أَبطأَ، فقال: أَيُّها الناس؛ إِنما بَطَّأَنِي عنكم أَن قميصي هذا كان يُرْقَع - أَو كان يُغْسَلُ - ولاَ واللهِ ما أَملِكُ غيرَه.

وقال عمر يوماً وقد قام مِن عنده عليُّ بن الحسيْن رضي الله عنهما: من أَشرفُ الناسِ بعد رسول الله ﷺ؟ فقالوا: أَنتم. فقالَ: كلا! أَشرفُ النَاسِ هذا القائمُ مِن عندِي آنفاً، من أَحبَّ الناسُ أَن يكونُوا منهُ، ولم يحب أَن يكونَ من أحد.

قيل: أَول من اتخذ المنابرَ في المساجدِ للأَذانِ عمرُ بن العزيز، وإِن أَوّلَ من دُعيَ له على المنابرِ عبدُ الملك.

وكان عمرُ يقولُ: إِن أَقواماً لزِمُوا سلطانَهُم بغير مَا يُحِقُّ اللهُ عليهم، فأَكلوا بخَلاَقِهِم[2]، وعاشُوا بأَلسنتِهِم، وخلفُوا الأُمةَ بالمكر والخديعةِ والخيانةِ، وكل ذلك في النار، أَلاَ فلاَ

---

(١) الجدة: كثرة المال.

(٢) بخلاقهم: بحظهم ونصيبهم من الدين.

يصحبْنَا من أُولئك أَحدٌ ولا سيما خالدُ بن عَبد الله[1]، وعبد الله بن الأهتم فإنهما رجلان لَسِنان، وإن بعضَ البيانِ يشبِهُ السِّحْرَ، فمن صحبنا بخمسِ خصالٍ، فأبلَغنَا حاجةَ من لا يستطيعُ إبلاغَهَا، ودلّنَا على ما لا نهتدِي إليه من العدلِ، وأعانَنا على الخيرِ، وسكتَ عمَّا لا يَعْنيه، وأدَّى الأَمانَةَ التي حُمِّلَهَا منَّا ومن عامةِ المسلمين فحيَّهلا[2]، ومن كان على غيرِ ذلكَ ففي غير حلّ من صُحبتِنَا والدخول علينْا.

ودخل على عبد الملك وهو صبيٌّ، فقال له: كيف نفقتُك في عيالِك؟ فقال عمر: حسنةٌ بينَ سيِّئتَيْن. فقال لمن حوله: أخذَهُ من قولِ الله تعالىَ: ﴿والَّذين إِذا أَنفقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بَيْنَ ذلِك قَوَاماً﴾[3].

وكتب عمر إِلى عديّ بن أَرْطاةٍ في شيءٍ بلغه عنه: إِنما يعجِّل بالعقوبةِ من يخاف الفوْتَ.

---

(١) هو خالد بن عبد الله القسري: أحد خطباء العرب وأجوادهم، ولد سنة ٦٦هـ وقتل بيد يوسف الثقفي سنة ١٢٦هـ.

(٢) حيهلا: أي فليبدأ به.

(٣) سورة الفرقان: ٦٧. وقواماً: عدلاً.

وشتمه رجلٌ فقال: لولا يومُ القيامةِ لأجبْتُك.

وأُدِيَ إليه تفاح لُبناني، وكان قد اشتهاهُ، فردَّه. فقيل له: قد بلغكَ أَن رسولَ الله ﷺ كان يأكلُ الهديةَ، فقال: ياعمرو بن المهاجر[1]: إن الهديةَ كانت لرسول الله هدية، ولنا رِشْوَةَ.

وقال لجاريةٍ في صباه بحضرةِ مؤدِّبه: أَعضَّكِ الله بكذا؟[2]. فقال له المؤدبُ: قل أَعضَّك عبدُ العزيز. فقال: إن الأميرَ أَجلُّ من ذلك. قال: فليكُن الله أَجلَّ في صدرك. فما عاودَ بعدَها كلمةً حيَاءً.

وقال: ما أَطاعني الناسُ فيما أَردت من الحقّ حتى بَسَطْتُ لهم طرفاً من الدينا.

ودخل عليه ميمون بن مهران[3] فقال له - وقد قَعَدَ في أُخريات الناس - : عظْني. فقال ميمون: إنك لَمِنْ خير أَهلكَ إن وُقيت ثلاثةً. قال: ما هنّ؟ قال: إن وقيت السلطانَ وقُدْرتَه،

---

(١) عمرو بن مهاجر بن دينار: من الطبقة الرابعة من تابعي أهل الشام. توفي سنة ١٤٠هـ.

(٢) ضرب من الشتيمة.

(٣) ميمون بن مهران الرقي: ولد سنة ٣٧هـ. وكان عالماً وواعظاً بليغاً وثقة في الحديث، استعمله عمر بن عبد العزيز على القضاء. مات سنة ١١٧هـ.

والشبابَ وغِرَّتَه، والمالَ وفتنتَه. قال: أنت أولى بمكاني مني. ارتفعْ إليَّ، فأجلسه معه على سريره.

قال بعضهم: كنا نُعْطِي الغسَّالَ الدراهمَ الكثيرة، حتى يغسل ثيابنا في إثْر ثياب عمر بن العزيز، وهو أمير؛ من كثرة الطِّيب والمسك فيها.

ولما نزل بعمر الموت قال: يا رجاء[1]، هذا والله السلطان، لا ما كنَّا فيه.

وقيل له: لِمَ لا تنام؟ قال: إن نمت بالليل ضيَّعت نفسي، وإن نمت بالنهار ضيَّعْتُ الرعية.

أمر عمر بعقوبة رجل قد كان نذر لئن أمكنه الله منه لَيَفْعَلَنَّ وليفعلنَّ، فقال له رجاء بن حيْوة: قد فعل الله ما تحبُّ من الظفر، فافْعَل ما يُحبُّ الله من العفو.

وعزل عمر بعض قضاته، فقال له: لم عزلتَني؟ فقال: بلغني أن كلامك أكثر من كلام الخصمين إذا تحاكما إليك.

❀ ❀ ❀

---

(١) رجاء بن حيوة الكندي: شيخ الشام في عصره، ومن الوعاظ والعلماء، كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز وكاتبه. توفي سنة ١١٢هـ.

البـــاب الســادس

مزح الأشراف والأفاضل والعلماء

قالوا: كان رسولُ الله ﷺ يمزَحُ ولا يقول إلاَّ حقّاً.

وفي حديثه عليه الصلاة والسلام أن ابناً لأمِّ سليمٍ يقال له عُمير، وكان له نُغَرٌ وهو طائرٌ صغيرٌ أحمرُ المنقارِ، فقالُوا: يارسولَ الله، مات نُغَرٌ. فجعلَ - عليه السلامُ - يقول: «ياأبا عُمير. ما فعل النُّغَيْر»؟.

وذُكِرَ أنه كان يمازحُ بلالاً، فرآه يوماً وقد خرجَ بطنهُ فقال: أمّ حُبَيْنٍ[1].

ومما يحفظُ من مزْحه عليه السلام أنه كان يقولُ لأحدِ ابني بنتِه، وقد وضع رجليْهِ على رجليه وأخذ بيديه: «تَرَقَّ عَيْنَ بقَّة». وهذا شيءٌ كان النساء يقُلْنَه في ترقيصِ الصبيانِ:

حُزُقَّةٌ حُزُقَّه . . . ترقَّ، عينَ بَقَّه.

ترقَّ: أي ارقَ. من رقيتُ الدرجةَ، والحُزُقَّةُ الذي يقاربُ خطوه، وشبَّهه في صغرِهِ بعينِ البقة.

---

(١) أم حبين: دويبة عظيمة البطن.

وقال عليه السلام لعجوزٍ: إنَّ الجنَّةَ لا يدخلُها عجوزٌ يريد: أنهن يعُدْنَ شوابَّ، ثم يدخلْنَ الجنة.

واستدبَرَ عليه السلامُ رَجُلاً من ورائِه وأخذَ بعيْنَيْه، وقال: من يشتري منِّي العبدَ؟ يريدُ أنه وإن كانَ حُراً فهوَ عبْدُ اللهِ.

وقال لامرأةٍ: «زوْجُكِ الذي في عيْنِه بيَاضٌ» فقالت: لا. أرادَ البياضَ الذي حول الحدقة، وظنَّتِ المرأةُ أنه أرادَ البياضَ الذي يغشى الحدقة فيُذْهِبُ البصر.

وخرج إلى طعام دُعِيَ له فإذا حسينٌ يلعب مع صِبْوةٍ[1] في السِّكَّةِ، فاستَنْتَلَ رسولُ الله -ﷺ- يضاحِكُه حتى أخذَهُ فجعل إحدَى يديه تحت ذقْنِهِ، والأُخرَى في فأس رأسه[2]، ثم أقْنَعَهُ فقبَّله.

استَنْتَلَ: يريدُ: تقدَّمَ أمام القوم، وأقْنَعَهُ: رفَعَهُ.

---

(١) الصبوة: جمع صبي، وهي القياس.

(٢) فأس الرأس: حرف الهنة الناشزة فوق القفا، وهي القمحدوة.

وقالت عائشة: كنت أُلعبُ مع الجَوَارِي بالبنات[1] فإذا رأينَ رسولَ الله ﷺ انْقَمَعْنَ[2]. قالت: فيُسَرِّبُهُنَّ إلي[3].

وقالت: قدم وفدُ الحبشةِ فجعلُوا يزفِنُون[4] ويلْعبُون، والنبيُّ ﷺ قائمٌ ينظر إليهم، فقمتُ، وأنا مستترةٌ خلفَهُ حتى أعْيَيْتُ، ثم قعدتُ ثم قُمْتُ، فنظرتُ حتى أعييتُ، ثم قعدتُ ورسولُ الله ﷺ قائمٌ ينظر. فاقدُروا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السِّنِّ المشتهية للنظرِ[5].

وروي أنه - عليه السلام - مرَّ على أصحاب الدِّرَكْلة[6] فقال: خذُوا يا بني أرفدةَ[7] حتَّى يعلمَ اليهودُ والنصارَى أن في ديننا فسحةً. قال: فبينما هم كذلك إذ جاء عمرُ، فلما رأوْهُ ابْذَعَرُّوا[8].

---

(١) البنات: التماثيل التي يلعب بها الصبيان.

(٢) انقمعن: دخلن البيت وتغيبن.

(٣) يسربهن: يرسلهن.

(٤) يزفنون: يرقصون.

(٥) أي أنها تعبت ورسول الله ﷺ لم يتعب.

(٦) الدركلة - وقيل الدركلة بوزن شرذمة: ضرب من لعب الصبيان.

(٧) بنو أرفدة: الحبش.

(٨) ابذعروا: تفرقوا.

وروي أنه ـ عليه السلام ـ سابقَ عائشةَ في سفرٍ فسبقتْهُ، وفي سفر آخر فسبقَهَا. وقال ﷺ: «هذه بتِلْكَ».

ومن مزْحه عَلَيْه السلام قوله لخوَّات بن جُبير[1] الأنصاريِّ صاحب ذاتِ النِّحْيَيْن[2]: «ما فعلَ جَمَلُكَ الشَّرُودُ؟» فقال: عَقَلَهُ الإِسلامُ.

* * *

وقال عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجْهَهُ: لا بأسَ بالفُكاهةِ يخرجُ بها الرجلُ عن حدِّ العبوسِ.

ولما بلغهُ قول عمرَ: إنَّ فيه دُعابةً. قالَ: ويحَهُ أمَا علِمَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ المؤمِنَ دَعِبٌ لَعِب، والكافرِ خِبٌّ ضَبٌّ»[3].

---

(١) خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري. قيل إنه ممن شهدوا بدراً، أحد فرسان الرسول. توفي سنة ٤٠هـ. وسنه أربع وسبعون سنة.

(٢) النحي: الوعاء. وذات النحيين امرأة كانت تبيع السمن عبث بها خوات بن جبير.

(٣) رجل خب ضب: منكر ومرواغ.

وقال عُقْبة الجهني[1]: رأيتهُ يرمي جواريَهُ ويُرَامينَهُ بقُشُورِ البطيخ.

ومرَّ بقومٍ من الأنصارِ فقالوا: يا أميرَ المؤمنينَ، انزلْ عندنَا للغَدَاءِ. فقال: إمَّا حلفتُم وإمَّا انصرفنا.

قال بعضهم: سمعتُهُ وهو يرقَى المنبرَ بالكوفةِ ويقولُ:

حُزُقَّةٌ حُزُقَّة   تَرَقَّ عينَ بَقَّه[2].

وقال عبدُ الرحمنِ بنُ عوف: أتيتُ عمرَ بن الخطاب فسمعتُهُ ينشد بالرُّكبانية[3]:

وكيفَ ثَوائِي بالمدينةِ بعدمَا   قضَى وطراً منْها جميلُ بنُ مَعْمَرِ

فلما استأذنتُ قال: أسمعتَ ما قلتُ؟ قلتُ: نعم. قال: إنَّا إذا خلوْنا قلْنا ما يقولُ الناسُ في بيوتِهم.

---

(١) عقبة بن عامر الجهني: من الطبقة الأولى، من رواة الحديث، وهو أحد من أعان في جمع القرآن، شهد صفين مع علي، وأمره على مصر: مات سنة ٥٦هـ.

(٢) عين بقة: شبهه بها في الصغر، وهنا يعني نفسه مهيناً لها عن الكبر.

(٣) الركبانية: نشيد فيه مد وتمطيط ينشدونه إذا ركبوا الإبل، أو في عامة أحوالهم، وجميل بن معمر هو الجمحي، ولا قرابة بينه وبين جميل بن معمر العذري.

وقال عمر : كلُّ امرئٍ في بيتِه صبيٌّ .

وذُكِرَ عنده النساءُ فقال : إذا تَمَّ البياضُ مع كبر العَجزُ في حُسْنِ القوامِ فقد كَمُلَ .

وخرج أبو بكر إلى بُصْرَى[1]، ومعه نعيمان[2] وسُوَيْبِط[3] .

وكلاهما بَدْرِيٌّ، وكان سُوَيْبِط على الزاد، فجاء نُعيمانُ، فقال : أطعمني، فقال: لا، حتى يأتي أبو بكر. وكان نُعَيمان رجلاً مِضحاكاً، فقال: والله لأغيظَنَّك. فذهب إلى ناسٍ جلَبوا ظَهْراً، وقال: ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً، وهو دعَّاءٌ له لسانٌ، لعله يقول: أنا حرٌّ. فإن كنتمْ تاركيه لذلك فدَعوني لا تفسدوا عليَّ غلامي. قالوا: بل نبتاعه منك بعشر قلائص[4]، فأقبل بها يسوقُها، وأقبلَ بالقوم حتى عقَلَها، ثم قال للقوم :

---

(١) بصرى: المراد بصرى الشام، وهي من أعمال دمشق، بكورة حوران، وقد افتتحها المسلمون أيام أبي بكر، وهناك بصرى العراق، وهي قرية قرب بغداد.

(٢) نعيمان بن عمر بن رفاعة الأنصاري: شهد بدراً وبعض المشاهد، كان يحب المزاح وله كثير من النوادر مع الخلفاء مات في عهد معاوية.

(٣) سويبط بن حرملة القرشي: أسلم وشهد بدراً، هاجر الهجرتين، وحضر كثيراً من المشاهد.

(٤) جمع قلوص وهي الناقة.

دونكم هو هذا. فجاء القومُ فقالوا: قد اشتريناك. فقال سُوَيبِط: هو كاذب. أنا رجلٌ حرّ. قالوا: قد أُخْبِرنا خبرك. فوضعوا الحبلَ في عنقه وذهبوا به، فجاءَ أبو بكر فأخبره بذلك، فذهب هو وأصحاب له فردُّوا القلائص وأخذوه، فأخبر بذلك النبي ﷺ فضحك منه حَوْلا.

وأهدى نُعيمان إلى النبي -ﷺ- جرّةَ عسل اشتراها من أعرابيٍّ بدينار، وأتى بالأعرابي بابَ النبي ﷺ، فقال: خذِ الثَّمنَ من هاهنا. فلما قسمها رسول الله ﷺ، نادى الأعرابي: ألا أُعْطَى ثمنَ عسلي؟ فقال ﷺ: «إحدى هنات[1] نُعيمان». وسأله: «لم فعلتَ هذا؟» فقال: أردت بِرّك، ولم يكن معي شيء. فتبسَّم النبي ﷺ وأعطى الأعرابيَّ حقَّه.

مازح ابنُ عباس أبا الأسودِ[2] فقال: لو كنْتَ بعيراً لكنت

---

(١) هنات: الأشياء اليسيرة.

(٢) ظالم بن عمر: اشتهر بكنيته أبي الأسود الدؤلي، شهد صفين مع علي، معدود في الفقهاء والمحدثين، والشعراء، والفرسان، والأمراء، والنحاة، والحاضري الجواب، والشيعة، والبخلاء، والصلع، والبخر من الأشراف. مات سنة ٦٩هـ.

ثَقَالاً[1]. فقال أبو الأسود: لَوْ كنتَ راعي ذلك البعير، ما أشبعتَهُ من الكلإِ، ولا أرْويتَهُ من الماء، ولا أحْسَنْتَ مهنته.

وروي: أنه ﷺ رجع من بعض غزواته، فاستقبلته جاريةٌ، من جواري المدينة، فقالت يا رسول الله، إني نذرتُ إنْ ردَّك اللهُ صالحاً أن أضربَ بين يديك بالدُّف. فقال ﷺ: «إن كنت نذرتِ فاضربي، وإلاَّ فلاَ». قال: فضربتْ، ثم جاء أبو بكر وهي تضربُ، وجاء عليٌّ - كَرَّم الله - وجهه وهي تضربُ، ثم جاء عمرُ رضي الله عنه فألقتْهُ وقعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان لَيَفْرقُ منك يا عُمَرَ».

كان نعيمانُ من الصحابة وممَّن شهد بَدْراً، وكان كثيرَ العبثِ، فمرَّ يوماً بمَخرمَة بن نوفل[2] الزهري - وهو ضرير - فقال له: قُدْني حتى أبولَ فأخذ بيده حتى إذا كانَ في مؤخَّر المسجد قال: اجلسْ. فجلسَ يبولُ، وصاحَ به الناسُ: يا أبا المِسْوَر إنك في المسجد. فقال: من قادنَي؟ قالوا: نعيمانُ. قال: لله عليَّ أنّ

(١) الثقال: الثقيل البطيء.

(٢) مخرمة بن نوفل بن وهب الزهري: أسلم في فتح مكة، وهو من المؤلفة قلوبهم، فقد بصره في أخريات أيامه، مات سنة ٥١هـ.

أضربه ضربةً بعصاي إن وجدتُه. فبلغ ذلك نُعيمانَ. فجاء يوماً فقال: يا أبَا المِسْوَر، هل لَكَ في نُعَيمانَ؟ قال: نعم. قالَ: هو ذَا يصلِّي، وأخذ بيده فجاء به إلى عثمان - رضي الله عنه - وهو يصلي، وقال: هذا نعيمان. فعلاه بعصاه. وصاح الناسُ: ضربتَ أميرَ المؤمنينَ. فقال: من قادني؟ قالوا: نعيمانُ. قال: لا جَرَمَ. لا عرضتُ له بشرٍّ أبداً.

قال ابن عياش[1]: رأيت على الأعمش فروةً مقلوبة، صوفُها خارجٌ، فأصابنا مطرٌ، فمررنا بكلبٍ، فتنحَّى الأعمشُ وقال: لا يحسبنَا شاةً.

وكان يلبس قميصَه مقلوبا قد جعَل دُرُوزَه[2] خارجَهُ ويقول: الناس مجانينُ، يجعلون الخشِنَ إلى داخلٍ، مما يلي جلودهم.

وكان يقول: إذا رأيتم الشيخَ لا يحسنُ شيئاً فاصفعُوه.

---

(١) عبد الله بن عياش المتوف: صاحب رواية للأخبار والآداب، صحب المنصور. توفي سنة ١٥٨هـ. والأعمش: سليمان بن مهران الأسدي تابعي مشهور عالم بالقرآن والحديث.

(٢) الدروز: كلمة فارسية معربة وهي موضع الخياطة.

قال عيسى بن موسى، وهو يلي الكوفة، لابن أَبي ليلى: اجمع الفقهاء واحضروني. فجاءَ الأَعمش في جبَّة فَرْوٍ وقد ربطَ وسطَه بشريط. فأَبطؤوا، فقامَ الأَعمش فقال: إن أَردتمْ أَن تعطُونا شيئاً، وإلا فخلُّوا سبيلنا، فقال عيسَى لابن أَبي ليلى: قلتُ لك تأتيني بالفقهاء، فجئتني بهذا! قال: هذا سيدُنا الأَعمش.



البـاب السـابـع

الجوابات المسكتة الحاضرة

قدم حمّاد بن جميل من فارس، فنظر إليه يزيد بن المنجاب وعليه جِبَابٌ وَشْيٍ، فقال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[1]. فقال حماد: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾[2].

جاء رجلٌ إلى عمرَ فقال: أعطني. فقال: والله لا أعطيكَ. قال: والله لَتُعْطِيَنِّي. قال: ولِمَ لا أبالك؟ قال: لأنه مال الله، وأنا من عيالِ الله. قال: صدقتَ.

قال الربيعُ يوماً بين يدي المهدي لشريكٍ[3]: بلغني أنّكَ خنْتَ أميرَ المؤمنين. فقال له شريكٌ: مَهْ[4]، لا تقولنَّ ذاك، لَوْ فَعَلْنَا لأتاكَ نصيبُكَ.

---

(١) سورة الإنسان: ١.

(٢) سورة النساء: ٩٤.

(٣) شريك بن عبد الله الكوفي: ولد سنة ٩٥هـ. فقيه عالم بالحديث سريع البديهة، ولي القضاء للمنصور والمهدي. توفي سنة ١٧٧هـ.

(٤) مه: اكفف.

خطبَ رجلٌ إلى عبدِ الله بن عباس يتيمةً كانت في حِجْرِه، فقال له: لا أرضاهَا لكَ. قال: ولم ذاك؟ قال: لأنها تُشرِفُ وتنظرُ، وهي مع ذلك بريَّة، فقال: إني لا أَكْرَهُ ذلك، فقال ابن عباسٍ: أما الآن فإني لا أرضاكَ لَها.

قال معاويةُ لعمرو بن سعيد[1]: إلى من أوصَى بكَ أبوكَ؟ فقال: إنَّ أبي أوصَى إليَّ ولم يوصِ بي.

وقال عَمروُ بن العاص لعبدِ الله بن عباسٍ: اسمع يا ابنَ أخِي. فقال: كنتُ ابنَ أخيكَ. وأنا اليومَ أخُوك.

قال رجل من أهل الحجازِ لابنِ شُبْرُمَة[2]: مِن عندِنا خرج العلمُ. قال: ثم لَمْ يَعُدْ إليكم.

دخلتْ وفودٌ على عُمَر بن عبدِ العزيز، فأراد فتىً منهمُ الكلام، فقال عمرُ: ليتكلمْ أسنُّكم. فقال الفتى: يا أميرَ المؤمنين إنَّ قريشاً لترى فيها مَنْ هو أسَنُّ منك. فقال: تلكمْ يافتى.

---

(١) عمرو بن سعيد بن العاص: المشهور بالأشدق، ولد سنة ٣هـ، أمير أموي من الخطباء البلغاء، قتله عبد الملك بن مروان سنة ٧٠هـ.

(٢) عبد الله بن شبرمة القاضي: ولي قضاء الكوفة للمنصور، وكان مع فقهه شاعراً. مات سنة ١٤٤هـ.

لقي محمد بن أسباط عبدَ الله بنَ طاهرٍ[1] في جبَّة خزٍّ، فقال: يا أبا جعفر، ما خلَّفتَ للشتاءِ؟ قال: خِلعَ الأمير.

قال ابن الزيَّات[2] لبعض أولادِ البرامكة: من أنتَ، ومن أبوكَ؟ قال: أبي الذي تعرفُه، وماتَ وهو لا يعرفُك.

كان لشيطان الطاق[3] ابنٌ محمَّقٌ، فقال أبو حنيفة له: أنتَ من ابنكَ هذاَ في بستانٍ. قال: هذا لو كان إليك.

دخل بعضُهم على عبد الملك، فقال: الحمدُ لله الذي ردَّك على عقَبيك. فقال: ومَن رُدَّ إليكَ فقد ردَّ على عقبيه، فسكت.

لما قال مسكين الدارمي[4]:

ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ وإليهِ قبلي تنزل القدرُ

---

(١) عبد الله بن طاهر الخزاعي: أمير عباسي، من خزاعة، ولاه المأمون خراسان، ولد سنة ١٨٢. مات سنة ٢٣٠هـ.

(٢) محمد بن عبد الملك الزيات: الوزير، الأديب الشاعر، ولد سنة ١٧٣هـ. كان وزيراً للمتوكل، ومات تحت العذاب في سنة ٢٣٠هـ.

(٣) شيطان الطاق: محمد بن علي بن النعمان الكوفي، فقيه من غلاة الشيعة، كان صيرفياً، وعاصر الإمام أبا حنيفة، توفي نحو سنة ١٦٠هـ.

(٤) مسكين الدرامي: هو ربيعة بن عامر، ومسكين لقبه الذي اشتهر به، شاعر إسلامي، ناصر معاوية على علي بن أبي طالب.

قالت امرأته: صدقَ؛ لأنّها نارُ الجارِ وقدرهُ.

قال الرشيدُ لإسماعيل بن صبيح[1]: وددت أنَّ لي حسْنَ خطّك.

فقال: يا أمير المؤمنين، لو كان حسنُ الخط مكرمةً، لكان أولى الناسِ بها رسولُ الله ﷺ.

وقال عمر بن عبد العزيز لرجلٍ: من سيّدُ قومِك؟ قال: أنا. قال: لوكنت سيدَهم ما قلت.

دخل شابٌ من بني هاشم على المنصور، فسأله عن وفاة أبيهِ، فقال: مرضَ - رضي الله - عنه يومَ كذا، وماتَ - رحمه الله - يومَ كذا، وتركَ -رضي الله عنه- من المال كذا؛ فانتهرهُ الربيعُ وقال: بين يدي أمير المؤمنين توالي الدعاء لأبيك! فقال الشابُّ له: لا ألومك؛ لأنك لم تعرفْ حلاوةَ الآباء[2]. قال: فما علمنا أنَّ المنصورَ ضحكَ في مجلسه قط. ضحكاً افترَّ عن نواجذه إلا يومئذٍ.

---

(١) إسماعيل بن صبيح: كاتب الرشيد، وصاحب ديوان الخراج والرسائل له، كان كاتباً للأمين بعد الرشيد.

(٢) يعرض الشاب بالربيع بن يونس. فقد قيل: إن أباه كان خارجياً فوقع على أمه، فأتت به.

قال بعضهم وقد باع ضَيْعَةً من آخر له: أما والله لقد أخذتها ثقيلةَ المؤونة، قليلة المعونة. فقال: وأنتَ والله لقد أخذتَها بطيئةَ الاجتماع، سريعة التفرق.

قال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرَّغنَّ لك. فقال: هناك والله وقعت في الشغل.

قال الحجاج لصالح بن عبد الرحمن[1] الكاتب: إني فكرتُ فيك فوجدت مالك ودمك لي حراماً. قال: أشد ما في هذا أيها الأمير واحدة. قال: وما هي؟ قال: أن هذا بعد الفكرة. يريد: أن هذا مبلغ عقلك.

نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير[2] إلى أهل الشام فشتمهم، فقال له سعيد بن خالد بن عمر بن عثمان بن عفان[3]: إنما تنتقصهُم لأنهم قتلُوا أباك. قال: صدقتَ لقد قتلُوا أبي، ولكنَّ المهاجرينَ والأنصار قتلو أباك.

---

(١) صالح بن عبد الرحمن: كان كاتباً للحجاج، وهو الذي نقل الدواوين من الفارسية إلى العربية سنة ٧٨هـ.

(٢) ثابت بن عبد الله بن الزبير: كان خطيباً فصيحاً، توفي حوالي سنة ٩٤هـ.

(٣) سعيد بن خالد بن عمر بن عثمان: استوطن الشام وله بها دور كثيرة، وقصده بعض الشعراء للمدح.

خطب أَبو الهندي - وهو خالد بن عبد القدوس بن شيْث بن ربعي[1] - إِلى رجل من بني تميم؛ فقال له: لو كنتَ مثلَ أَبيك لزوجتُك، فقال أَبو الهندي: لَكنْ لو كنتَ مثل أَبيكَ ما خطبت إِليك.

ووقف عليه نَصر بن سيّار[2] وهو سكران، فسبَّه، وقال له: ضيعتَ شرفكَ. فقال: لولا أَني ضعيتُ شرفي لم تكن أَنت والي خراسان.

جلس محمدُ بن عبد الملك يوماً للمظالم، وحضر في جملةِ الناس رجلٌ زيّهُ زيّ الكتّاب، فجلس بإزائه، ومحمدٌ ينْفذ الكلام؛ وهو لا يتكلمُ. ومحمدٌ يتأَملُه، فلما خَفَّ مجلسه قال له: ما حاجتك؟ قال: الساعةَ أَذكرها. فلما خلا المجلسُ تقدم وقال: جئتك أَصلحك اللهُ متظلماً. قال: ممن؟ قال: منكَ. قال: منِّي؟! قال: نعم. ضيعةٌ لي في يد وكيلك يحملُ إِليكَ غلَّتها ويحول بيني وبينها. قال: فما تريدُ؟ قال: تكتب بتسليمها إِليَّ. قال: هذا نحتاج فيه إِلى شهودٍ وبيِّنةٍ وأَشياء

---

(١) كان شاعراً ماجناً وصّافاً للخمر.

(٢) نصر بن سيار: والي خراسان لمروان بن محمد، أمير من الدهاة، تغلب عليه أبو مسلم الخراساني، فتنقل بين البلاد إلى أن مات سنة ١٣١هـ.

كثيرة. قال الرجل: الشهود هم البينة و«أشياء كثيرة» عِيٌّ منك. فخجل محمدٌ وهابَ الرجل، وكتب له بما أرضاه.

قال الحجاج ليحيى بن سعيد بن العاص[1]: أخبرني عبد الله بن هلال صديق إبليس أنك تشبه إبليس. قال: وما ينكرُ الأميرُ أن يكون سيدُ الإنس يشبهِ سيدَ الجن.

لما هرب ابن هُبَيْرة[2] مِن خالد بن عبد الله القسري قال له: أَبَقْتَ إِباقَ العبد. فقال له: نعم حين نمتَ نومةَ الأَمَةِ عن عَجِينها.

دخل رجلٌ من ولد قُتَيْبة بن مسلم[3] الحمام، وبشار بن برد في الحمام، فقال: يا أبا معاذ وددت أنك مفتوحُ العين. قال: ولم؟ قال: لترى استي فتعرف أنكَ قد كذبتَ في شعرك حيث تقول:

على أستاه[4] سادتِهم كتابٌ «موالِي عامرٍ» وسمٌ بنارِ

---

(١) يحيى بن سعيد بن العاص: أخو عمرو بن سعيد. سكن الكوفة وواسط.

(٢) عمرو بن هبيرة بن سعد الفزاري: كان واليا على خراسان. حبسه الوالي - الذي بعده - خالد القسري، ففر من سجنه. مات حوالي سنة ١١٠هـ.

(٣) قتيبة بن مسلم الباهلي: ولد سنة ٤٩هـ. ولي الري لعبد الملك، وكان قائدا شجاعاً، قتله بعض قادة جيشه ٩٦هـ.

(٤) الاستاه: جمع است. وهو الدبر.

قال: غلطتَ يا ابن أخي. إنما قلت: على أستاه سادتِهم، ولستَ منهم.

دخل إياس بن معاوية[1] الشام وهو غلام، فقَدَّمَ[2] خصماً له - وكان شيخاً كبيراً - إلى قاضي عبد الملك، فقال له القاضي: أتقدمُ شيخاً كبيراً؟ قال: الحقُّ أكبر منه. قال: اسكتْ. قال: فمن ينطق بحجتِي؟

قال المهديُّ يوماً لشريك، وعيسى بنُ موسى عنده: لو شهدَ عندكَ عيسَى كنتَ تقبلُه؟ وأرادَ أن يُغرِي بينهما. فقال شريكٌ: من شهدَ عندِي سألت عنهُ، ولا يُسأل عن عيسَى غيرُ أمير المؤمنين، فإن زكَّيتَه قبلته. فقلبها عليه.

قيل لسعيد بن المسيب وقد كُفَّ: ألا تقدحُ عينَك[3].

قال: حتَّى أفتحَها على مَنْ؟

---

(١) القاضي إياس بن معاوية: يضرب المثل بذكائه. ولد سنة ٤٦هـ. تولى القضاء في البصرة، توفي سنة ١٢٢هـ.

(٢) قدم: تقدّم وسبق.

(٣) قدح عينه: أخرج منها الماء الفاسد.

قال مراون يوم الزَّاب[1] لحاجبهِ وقد ولَّى منهزماً: كُرَّ عليهمْ بالسيف. فقال: لا طاقةَ لي بهم. فقال: واللهِ لئِنْ لم تفعَلْ بهمْ لأسُوءنَّك. قال: وددِتُ أنَّك تقدرُ على ذلك.

ركب الرشيد وجعفرُ بن يحيى يسايرهُ، وقد بَعَثَ عليُّ بنُ عيسَى بهدايَا خراسانَ بعد ولايةِ الفضل بن يحيى[2]، فقال الرشيد لجعفر: أين كان هذا في أيامِ أخيك؟ قال: في منازلِ أهلهِ.

قال بحيراَ الراهبُ لأبي طالب: احذرْ على ابنِ أخيكَ، فإنه سيَصِيرُ إلى كذاَ وكذاَ. قال: إن كانَ الأمرُ كما وصفت فإنَّه في حِصْنٍ من الله.

قال رجلٌ مطعونُ النسبِ لأبي عبيدة[3] لمَّا عمل كتابَ

---

(١) يوم الزاب: بين مروان آخر خلفاء الأمويين وبين العباسيين، هزم فيه مروان وفر هارباً سنة ١٣٢هـ.

(٢) عزل الفضل بن يحيى البرمكي. عن ولاية خراسان سنة ١٨٠هـ. وولى الرشيد بدله علي بن عيسى.

(٣) أبو عبيدة معمر بن المثنى: فارسي الأصل، عاش في العصر العباسي، عالم بالأدب والنحو والأخبار، غير أنه هجاء خبيث اللسان، وكتابه «المثالب» في مثالب العرب. توفي سنة ٢١٠هـ.

المثالب: سبَبْتَ العربَ جميعاً. قال: وما يضرُكَ؟ أنت خارج من ذلك.

لما قال أبو العتاهية.

فاضربْ بطرفِكَ حيثُ شئـ ـتَ، فلنْ ترى إلا بخيلاً

قيل له: بَخَّلْتَ الناسَ كلَّهم. قال: فأكْذِبُوني بواحد.

دعا أبو جعفر المنصور أبَا حنيفة إلى القضاء. فأبى، فحبسه، ثم دعَا بهِ، فقال له: أترغبُ عمَّا نحن فيه؟ فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، لا أصلُحُ للقضاء. فقال: كذبتَ. فقال أبو حنيفة: قد حكم عليَّ أميرُ المؤمنين أني لا أصلح للقضاء؛ لأنه نسبَني إلى الكذب، فإن كنتُ كاذباً فأنا لا أصلحُ، وإن كنت صادقاً، فإني قد صدَقْتُ عن نفسي أنِّي لا أصلح. فردَّه إلى الحبس.

قال الحسن بن سهل[1]: ما نكأ قلبي كقولٍ خاطبني به

(١) الحسن بن سهل: فارسي الأصل، أخو الفضل بن سهل، وزير المأمون، تولى الوزارة بعد أخيه، تزوج المأمون ابنته بوران، توفي سنة ٢٧٥هـ.

أعرابيٌّ يَحُجُّ يوما بالعرب، فقلت له: رأَيت منازلكم وخيامكم تلكَ الصغار، فقال لي بالعجلة: فهل رأَيت فيها من ينكح أُمَّه أَو أُختَه؟[1]

قال رجل لآخر: أَلا تستحيِي من إِعطاء القليل؟ فقال: الحرمانُ أَقلُّ منه.

شكا يزيد بن أُسَيْد[2] إِلى المنصور ما نالَه من العباس بن محمد أَخيه، فقال المنصور: اجمع إِحساني إِليكَ وإِسَاءة أَخِي، فإِنهما يَعْتَدلان. قال: إِذا كان إِحسانُكم إِلينا جزاءً لإِساءتكم، كانت الطاعةُ منا تفضُّلا.

لما أخذ محمدُ بن سليمان صالحَ بنَ عبد القدوس[3] ليُوجِّه به إِلى المهدي، قال: أَطلقني حتى أُفكر لكَ فيولَد لك ذِكرٌ. قال: بل اصْنَعْ ما هو أَنفعُ لك من أَن يُولدَ لي، فكِّرْ حتى تفلتَ من يدِي.

---

(١) يعرض بأنه فارسي مجوسيّ.

(٢) يزيد بن أسيد: وال من رجال الدولة العباسية، أمه نصرانية، توفي سنة ١٦٢هـ.

(٣) صالح بن عبد القدوس: من حكماء الشعراء، نشأ بالبصرة وفيها عاش، شعره تكثر فيه الحكم والفلسفة، اتهمه المهدي بالزندقة وقتله وصلبه على جسر بغداد سنة ١٦٧هـ.

قـــال مـــروان بن الحكم لحُبَيْش بن دَلَجَة[1] : أظنك أَحمق. فقال: أَحمقُ ما يكون الشيخ إِذا عمِل بظَنِّه.

قال بعضُهُم لأَبي تمام: لِمَ لا تقولُ ما يُفهَم؟ فقال: لم لا تفهمون ما يُقال.

حمل بعض الصوفيةِ طعاماً إِلى طحَّانٍ ليطحنه، فقالَ: أنا مشغول. فقال: اطحنْه وإِلاَّ دعوتُ عليك وعلى حمارِكَ ورَحَاك. قال: وأَنت مجابُ الدعوة؟ قال: نعمْ. قال: فادعُ الله أَن يُصيِّرَ حنطتَك دقيقاً، فهو أَنفعُ لك، وأَسلمُ لدينك.

هجا أَبو الهولِ الحِمْيري[2] الفضلَ بنَ يحيى، ثم أَتاه راغباً، فقال له الفضلُ: ويحكَ، بأَيِّ وجهٍ تلقانِي؟ قال: بالوجهِ الذي أَلقى به ربِّي جلَّ جلاله، وذنوبي إِليه أكثر. فضحكَ ووصلَه.

---

(١) حبيش بن دلجة: من قادة الجيوش في العصر الأموي. ولاه مروان قيادة الجيش الذاهب إلى المدينة، فاستولى عليها. توفي وهو عائد منها سنة ٦٥هـ.

(٢) أبو الهول الحميري: شاعر من شعراء الدولة العباسية المجيدين، اختص بمدح البرامكة.

قال الحجاجُ لسعيدِ بن جُبيرٍ[1]: اخترْ لنفسك أي قِتْلةٍ شئت. قال: بل اخترْ أنت؛ فإنَّ القصاص أمامَك.

جاء شيخٌ من بني عقيل إلى عمرَ بن هُبَيْرة فمتَّ بقرابتِه، وسأله، فلم يعطه شيئاً. فعاد إليه بعد أيام فقال: أنا العقيلي الذي سألك منذ أيامٍ. قال عمر: وأنا الفزاري الذي منعك منذ أيام. فقال: معذرةً إلى الله، إني سألتُك وأنا أظنُّك يزيدَ بنَ هُبَيْرَةَ المحاربيَّ؛ فقالَ: ذاك ألأمُ لك، وأهونُ بك عليَّ، نشأ في قومك مثلي ولم تعلمْ به، ومات مثلُ يزيد ولا تعلمُ به. ياحَرَسِي اسفعْ يده[2].

قال موسى بن سَعيد بن سلم: قال أبو الهُذَيلِ[3] لأبي يوماً: إني لا أجدُ في الغناء ما يجدُ الناسُ من الطَّرَبِ! فقال له: فما أعرفُ إذاً في الغناء ذَنْباً.

---

(١) سعيد بن جبير الأسدي: ولد سنة ٤٥هـ. حبشي الأصل، من علماء التابعين وزهادهم، وأذكيائهم. خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على عبد الملك بن مروان، وقتله الحجاج سنة ٩٥هـ.

(٢) اسفع يده: اضرب يده.

(٣) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل: من أئمة المعتزلة، كان قوي الحجة حاضر البديهة، كف بصره في أواخر حياته، وتوفي سنة ٢٣٥هـ.

أُتِي ضِرارٌ المتكلمُ بمجوسي ليكلمه، فقال أبو مَن؟ فقال المجوسي: نحن أجلُّ من أنْ نُنسبَ إلى أبنائنا، إنما نُنسبُ إلى آبائنا، فأطرق ضرارٌ ثم قالَ: أبناؤُنا أفعالُنا، وآباؤُنا أفعالُ غيرنا، ولأن نُنسَبَ إلى أفعالِنا، أولَى من أن نُنْسَبَ إلى أفعال غيرنا.

كان يناظرُ رجلٌ يحيَى بن أكثم، وكان يقولُ له في أثناءِ كلامِهِ: يا أبا زكريا. وكان يحيى يكنى بأبي محمد. فقال يحيى: لستُ بأبي زكريا. فقال الرجلُ: كلُّ يحيَى كنيتُهُ أبو زكريا. فقال: العجبُ أنك تناظرُني في إبطالِ القياسِ، وتكْنِيني بالقياس.

لمَّا عزَل عثمانُ عمروَ بن العاص، وولَّى عبدَ الله بنَ أبي السَّرْح[1] مكانَه، دخلَ عليه عمرو، فقال: أشعرت أنّ اللِّقاح[2] بعدكَ دَرَّت ألبانها بمصر؟ فقال: نعمْ، ولكنكُم أعْجَفْتُم[3] أولادَها.

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي السرح: أخو عثمان بن عفان من الرضاع، فاتح إفريقية، ولي مصر سنة ٢٥هـ. كان ميله مع معاوية، ولكنه اعتزل صفين. مات سنة ٢٧هـ.

(٢) اللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة الحلوب.

(٣) أعجفتم: أهزلتم.

جاور إبراهيمُ بن سيَابة قوماً فأزعجوه من جوارهم، فقال: لِمَ تخرجونَنِي من جواركم؟ فقالوا: لأنك مُريب. فقال: ويحكم. ومن أذلُّ من مريبٍ، أو أحسن جوارا؟.

قيل لبعض الصوفية: أتبيع جبَّتَك الصوف؟ قال: إذا باعَ الصياد شبكتَه فبأي شيءٍ يصطاد؟.

قالوا: لما ضُرِبَ سعيدُ بن المسيَّبِ أُقيمَ للناس، فمرَّت به أمَةٌ لبعض المدينيين، فقالت: لقد أُقَمتَ مقامَ الخزي يا شيخ. فقال سعيد: مِن مقام الخزي فرَرْتُ.

سمعت الصاحب[1] - رحمة الله - يقول: إن بعض ولد أبي موسى الأشعري عُيِّر بأنه كان حجَّاما، فقال: ما حَجَم قطُّ غيرَ النبي ﷺ. فقيل له: كان ذلك الشيخ أتْقَى لله من أن يتعلم الحجامةَ في عنق النبي ﷺ. قال الصاحبُ: وأنا أقولُ: كان النبي ﷺ أحزمَ من أن يمكِّنَ من حجامته من لم يحجم قَطُّ أحداً.

---

(١) الصاحب بن عباد: هو إسماعيل بن عباد، والصاحب لقبه، وزير غلب عليه الأدب، كان نادرة زمانه فضلاً وأدباً، توفي سنة ٣٨٥هـ. له كتب أشهرها: الكشف عن مساوئ المتنبي، وله شعر رقيق.

أخذت الخوارج رجلا[1] فقالت له: ابرأ من عثمان وعَلِيّ. فقال أنا من عليٍّ، ومن عثمانَ بريءٌ.

قال معاويةُ لرجل: أنت سيدُ قومِك. قال: الدهرَ ألجأهم إليّ.

أتى رجلٌ أعورُ في زمانِ عمرَ، فشهد أنّه رأى الهلالَ. فقال عمرُ: بأيّ عينيكَ رأيتَ؟ قال: بشرِّهما، وهي الباقيةُ؛ لأنّ الأُخرى ذهبت مع رسولِ الله ﷺ في بعضِ غزواتهِ. فأجازَ شهادتَه.

رأى مجوسيٌّ في مجلس الصاحبِ ـ رحمهُ الله ـ لهيبَ نارٍ، فقال: ما أشرفَه! فقال الصاحبُ: ما أشرفهُ وقوداً، وأخسّه معبوداً!.

صحّ عند بعضِ القضاة إعدامُ رجل فأركبَهُ حماراً ونُودِي عليه: هذا مُعْدِم[2]، فلا يُعامِلَنَّه أحدٌ إلا بالنقد، فلمّا كان آخر النهارِ نزل عن الحمارِ، فقال له المكارِي: هاتِ أُجرتي. فقال: فيم كنا نحنُ منذ الغداة.

---

(١) هو شيطان الطاق.

(٢) معدم: فقير أو مفلس.

تقدَّم سقَّاءٌ إلى فقيهٍ على باب سلطان، فسأله عن مسألةٍ، فقال:

قال الأصمعي: ضَرَبَ أبو المخشِّ الأعرابيُّ غلمانا للمهدي. فاستعْدَوْا عليه، فأحضرَه وقال: اجترأْتَ على غلماني فَضَرَبتَهم. فقال: كلُّنا يا أميرَ المؤمنين غلمانُكَ ضربَ بعضُنا بعضاً. فخلَّى عنه.

اعترضَ رجلٌ المأمونَ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجلٌ من العرب. فقال ما ذاك بعجبٍ. قال: إني أُريد الحجَّ. قال: الطريق أمامك نهْجٌ[1]. قال: وليستْ لي نفقةٌ. قال: قد سقطَ الفرضُ. قال: إني جئتُك مستجدياً. لا مستفْتِياً. فضحك وأمر له بصِلَةٍ.

قال الحَجَّاج لرجلٍ: أنا أطولُ أم أنتَ؟ فقال: الأميرُ أطولُ عقلاً، وأنا أبسطُ قامةً..

قدم رجل من اليمامة فقيل له: ما أحسنَ ما رأيتُ بها؟ قال: خروجي منْها أحْسَنُ ما رأيتُ بها.

مدح رجلٌ هشاما فقال له: يا هذا، إنه قد نُهِيَ عن مدحِ

---

(١) نهج: واضح.

الرجلِ في وجههِ. فقال له: ما مدحتُك، وإنما أذكرتُك نعمةَ الله، لتجدِّدَ له شكرا.

عاتب الفَضل بن سهلٍ الحسينَ بنَ مُصْعَب[1] في أمْرِ ابنه طاهر[2]، والتوائه وتلوُّنِه، فقال له الحسينُ: أنا أيها الأمير شيخٌ في أيديكمُ، لا تذمُّونَ إخلاصي ولا تنكرُون نصيحتي، فأما طاهرٌ فلي في أمره جوابٌ مختصرٌ وفيه بعضُ الغلظ. فإن أذنْتَ ذكرتُه. قال: قل. قال: أيُّها الأمير، أخذتَ رجلاً من عُرْض الأولياءِ فشقَقْتَ صدرَه، وأخرجتَ قلبَه، ثم جعلتَ فيه قلباً قتلَ به خليفةً، وأعطيتَه آلة ذلكَ من الرجالِ والأموالِ والعبيدِ، ثم تسومه بعد ذلك أن يَذلَّ لك، ويكونَ كما كان. لا يتهيأُ هذا إلا أن تردَّه إلى ما كان، ولا تقدرُ على ذلك. فسكت الفضل.

قال المأمون لابن الأكشف - وكان كثير الركوب للبحر - ما أعجبَ ما رأيتَ في البحر؟ قال: سلامتي منه.

قيل لسعيد بن المسيَّب لما نزل الماء في عينيه: اقدحْهُما حتى تبصرَ. فقال: إلَى مَنْ؟

---

(١) الحسين بن مصعب: أحد المقدمين في أيام المأمون. مات بخراسان سنة ١٩٩هـ.

(٢) طاهر بن الحسين: قائد شهير. ولاه الفضل بن سهل قيادة الجيش المتوجه إلى الأمين، وقد استولى على بغداد وقتل الأمين سنة ١٩٨هـ.

قال المنصور لرجل: ما مالك؟ قال: ما يكُفُّ وجهي، ويعجزُ عن الصديق. قال له: لطُفتَ في المسألة.

قال الرشيد للجهجاه: أَزنديقٌ أنت؟ قال: وكيف أكونُ زنديقاً وقد قرأتُ القرآن، وفرضتُ الفرائضَ، وفرقتُ بين الحُجَّةِ والشُّبْهَةِ؟ قال: تالله لأضربنّك حتى تُقِر. قال: هذا خلافُ ما أمر به الرسول ﷺ، أمرنا أنْ نضربَ الناس حتى يُقِرُّوا بالإيمان، وأنت تضربُني حتى أُقِرَّ بالكفر.

قال عُمر لعمرِو بن معد يكرب: أخبرني عن السلاح. فقال: سَلْ عمَّا شئتَ منه. قال: الرمْحُ. قال: أخوك وربما خانَك. قال: النبل. قال: منايا تُخطِىءُ وتصيب. قال: التُّرس. قال: ذاك المِجَنُّ، وعليه تدُور الدوائر. قال: الدِّرع. قال: مَشْغَلَةٌ للراجلِ متعبةٌ للفارس، وإنها لحصنٌ حصينٌ. قال: السيف. قال: ثَمَّ قارعَتْك أُمُّكَ عن الهَبَل[1]. قال: بل أُمُّك. قال: الحمّى أضرعتني لك[2].

* * *

(١) الهبل: الثكل.

(٢) مثل يضرب للأمر يضطر صاحبه للخضوع.

باب آخر من الجوابات المسكتة
وهو ما يجري مجرى الهزل

قال بعضهم لآخر: يا خائن. فقالَ: تقول لي ذلك وقد ائْتَمنك اللهُ على مقدارِ درهمٍ من جسدِك فلم تؤدِّ الأَمانَةَ.

شتم عيسى بن فرخانشاه[1] رجلاً نصرانياً، فقال: يا ابنَ الزانية. فقال له: أنت مسلمٌ ولا أَقدرُ على شتمِك، ولكنْ أخوك يحيى بن فرخانشاه هو ابن الزانية.

قال العَطَوي[2]: قلتُ لجارية: أَشتهي أَنْ أُقبِّلك. قالت: ولمَ؟ قلتُ: لأنَّك زانية. قالتْ: وكلُّ زانية تقبلُها؟ قلتُ: نعم. قالت: فابْدأ بمن تَعُول.

قال غلامُ ثُمامةَ لثمامة: قمْ صلِّ واسترحْ. قال: أنَا مستريحٌ إِنْ تركتَنِي.

اشترى عليُّ بن الجعد[3] جارية بثلاثمائة دينار، فقال له

---

(١) عيسى بن فرخانشاه: استوزره المعتز بعد عزل الوزير صاعد بن مخلد.

(٢) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عطية: شاعر بصري، كانت إقامته بسرمن رأى.

(٣) علي بن الجعد بن عبيد: شيخ بغداد في عصره، ولد سنة ١٣٦هـ، وتوفي سنة ٢٤٥هـ.

ابن قادم النحوي[1]: أيّ شيءٍ تصنع بهذه الجارية؟ فقال: لو كان هذا شيئاً يُجَرَّب على الإخوان لجرّبْنَاه عليك.

كان حماد[2] الراوية يُتهم بالزندقة وكان يصحب ابن بيضٍ، فدخلا يوماً على والي الكوفة، فقال لابن بيّضٍ[3]: قد صالحْتَ حماداً؟ قال: نعم أيها الأمير، على ألاّ آمرهُ بالصلاةِ، ولا ينهاني عنها.

أنشد حضري أعرابياً شعراً لنفسه، وقال: تراني مطبوعاً؟ قال: نعم على قلبك.

اعترض عمرُو بنُ الليثِ فارساً من جيشه، فكانتْ دابّتهُ بغاية الهُزال. فقال له: يا هذا، تأخذ مالي تُنفقهُ على امرأتك وتُسَمِّنَها، وتُهزل دابّتَك التي عليها تحاربُ، وبها تأخذُ الرزق، امضِ لشأنك فليس لك عندي شيءٌ. فقال الجنديُّ: أيها

(١) محمد بن عبد الله بن قادم النحوي: من علماء النحو، وهو معلم المعتز، مات حوالي سنة ٢٥١هـ.

(٢) حماد بن سابور: أعلم أهل عصره بأشعار العرب وأيامهم، ولد سنة ٩٥هـ وتوفي سنة ١٥٥هـ.

(٣) حمزة بن بيض: شاعر من شعراء الدولة الأموية منقطع إلى المهلب بن أبي صفرة، ثم إلى بلال ابن أبي بردة، وهو كوفي ماجن خليع.

الأمير، لو استعرضت امرأتي لاستَسْمَنتَ دابَّتي. فضحك عمروٌ، وأمرَ بإعطائه رزقَه.

قيلَ للنتِّيف[1] الأصبهاني: لم تنتِف لحيتَك؟ فقال: وأنت فلمَ لا تنتِفها؟

قيل لبعضهم: زوجتَ أمك؟ فقال: نعم، حلالاً طيباً. فقال: أمَّا حلالٌ فنعمْ، وأما طيبٌ فلا.

قالت امرأةٌ لرائض دوابٍّ: بئس الكسب كسبُكَ، إنما كسبُك باستِك. فقالَ: ليس بينَ ما أكتسِب به وبينَ ما تكتسبِينَ به إلا إصبعان.

قالت امرأةٌ لزَوْجها: يا مفلسُ يا قَرنْان. قال: إنْ كنتِ صادقةً فواحدةٌ منك وواحدةٌ من الله.

قيل لبعض الظرفاء من أهل العلم: أتكرهُ السَّماعَ؟ قال: نعم، إذا لم يكنْ معه شرْبٌ.

كتب العباسُ بن المأمون، في رقعة: أيُّ دواةٍ لم يلقَها قلمُه؟ وألقاهَا بين يديْ يحيَى بن أكثم، فقرأها ووقَّع فيها:

---

(١) هو الأصولي الفقيه أبو عبد الله محمد الأصفهاني، والنتيف لقبه.

دواتُكَ ودواةُ أبيكَ. فأقرأها العباسُ أباه المأمونَ. فقال: صدق يا بُنَيَّ، ولو قالَ غيرَ هذا لكانت الفضيحةُ.

سمع رجلٌ به وجعُ الضرسِ آخرَ ينشد:

قَضَاهَا لغيرى وابتَلاَنِي بحبِّهَا[1]

فقال: واللهِ لو ابتلاكَ بوجع الضرسِ لم تفزَعْ لهذا.

قيل للجاحظ: لم هربتَ في نكبةِ ابن الزيّات[2]؟ قال: خفتُ أن أكون ثاني اثنين إذا هما في التنور.

رمى المتوكل عصفوراً بالبندق فلم يصبْهُ، فقال ابن حمدون[3]: أحسنتَ يا سيدي، فقال: هو ذَا تَهْزأُ بي، كيف أحسنتُ؟ قال: إلى العصفور.

قيل لأبي عُرْوَةَ الزبيري: أيسرُّكَ أنَّك قائدٌ؟ فقال: إي والله، ولو قائدُ عميان.

---

(١) عجزه: فهل بقضاء غير ليلى ابتلانيا. والقائل قيس بن الملوح.

(٢) قبض المتوكل على ابن الزيات سنة ٢٣٣هـ. وأمر بوضعه في تنور ضيق، به مسامير محددة أطرافها إلى الداخل لتنخسه إذا اتكأ أو تحرك، وهو التنور كان ابن الزيات يعذب به من يريد تعذيبه.

(٣) ابن حمدون نديم المتوكل، وكان المتوكل يستملحه.

تجارَى قومٌ في مجلس لهم حديثَ الكمال في الرجال، ودخولَ النقصانِ عليهم للآفات، فقال بعضُهم: من كانَ أعورَ فهو نصفُ رجل، ومن لم يحسنِ السباحة فهو نصف رجل، ومن لم يكن متزوجاً فهو نصفُ رجل. وكان فيهم أعورُ، ولم يكنْ يحسن السباحةَ ولا متزوجاً، فالتفتَ إلى ذلكَ الإنسان وقال له: إن كان عليّ ما تقولُ فأنا أحتاجُ إلى نصفِ رجلٍ حتى أكونَ لا شيءَ.

قال بعضهم: مررت بمنجمٍ قد صُلِبَ، فقلت له: هل رأيت في نَجمك وحكمكَ هذا؟ قال: كنتُ رأيتُ رفعة، ولكن لم أعلمْ أنّها فوق خشبةٍ.



البـاب الثامـن

من نوادر المتنبئين

ادَّعى رجلٌ في زمن المهديِّ النبوةَ، فأُدخل إليه، فقال له المهديُّ: أَنت نبيٌّ؟ قال: نعم. قال: فإلى من بُعثت؟ قال: وتركتموني أذهبُ إلى مَنْ بعثت؟ بعثتُ بالغداة وحبستُموني بالعَشيِّ، فضحك المهديُّ حتى فَحَصَ برجله[1]، وأمر له بجائزة وخلى سبيله.

وتنبأ آخرُ وادَّعى أنه موسَى بن عُمران، فأحضره وقال له: من أنتَ؟ قال: أنا كليمُ الله موسَى. قال: وهذه عصاكَ التي صارت ثُعْباناً؟ قال: نعم. قال: فألقها من يدك ومُرْها أن تصيرَ ثُعْباناً. قال: قل أنتَ (أنا ربكُمُ الأعلَى)[2]. كما قال فرعون، حتى أُصيِّرَهَا ثعباناً كما فعلَ موسَى. فضحكَ منه واستَظْرفه.

وتنبأت امرأةٌ أيام المأمون؛ فأوصلتْ إليه. فقال لها: مَنْ أنت؟ قالت: أنا فاطمةُ النبيّة. فقال المأمونُ: أتؤمنينَ بما قال محمد رسول الله؟ قالتْ: هو نبيٌّ حقاً، وقوله حقٌّ مقبولٌ.

---

(١) فحص برجله: ضرب بها الأرض.

(٢) اشارة إلى الآية الكريمة: ٢٤ من سورة النازعات.

قال: فإن محمداً - عليه السلامُ - قال: لا نبيَّ بعدي. قالتْ: صدقَ صلواتُ الله عليه؛ فهلْ قال: لا نبيةَ بعدي؟ فقال المأمون لمن حضرَ: أما أنَا فقد انقطعتُ، فمنْ كانتْ عنده حجةٌ فليأت بها، وضحك حتى غطّى وجهه.

وتنبأ آخرُ في أيام المأمون فقال: أنا أحمدُ النبيّ. فَحُمِل إليه فقال له: أمظلومٌ أنتَ فتنْصف؟ قال: ظُلِمتُ في ضيعتي، فتقدمَ بإنصافه، ثم قال له: ما تقولُ في دَعْواك؟ قال: أنا أحمدُ النبيَّ فهلْ تذمُّهُ أنتَ؟.

ادّعى رجلٌ النبوة فقيل له: ما علامتُك؟ قال أُنبئكُم بما في أنْفُسكم. قالوا: فما في أنفُسنا؟ قال: أني كذّاب، لستُ بنبيٍّ.

تنبأ رجلٌ في أيام المأمون، فقال له: من أنتَ؟ قال: نبيٌّ. قال: فما معجزتُك؟ قال: ما شئتَ. قال: فأخرج لي منَ الأرْض بطّيخَةَ. قال: أمهلْني ثلاثةَ أيام. قال المأمون: الساعةَ أُريدُها. قال: يا أميـر المؤمنين أنصفْني. أنت تعلمُ أنّ الله ينْبتُها في ثلاثةِ أشهرٍ، فلا تقبلُها منّي في ثلاثة أيام؟! فضحك المأمون وعلم أنه محتالٌ واستتَابَه ووصله.

وتنبأ آخر في أيامه، فطالبوه بمعجزته، فقال: أطرحُ لكم حصاةً في الماء فأُذيبُها حتى تصير مع الماء شيئاً واحداً. قالوا: قد رضينا، فأخرج حصاة كانت معه وطرحها في الماء فذابت، فقالوا: هذه حيلة، ولكن أذِبْ حصاةً نعطيك نحنُ. قال لهم: لا تتعصّبوا، فلستم أُجلّ من فرعون، ولا أنا أعظم من موسى، لم يقلْ فرعونُ لموسى: لا أرضى بما تفعله بعصاكَ حتى أُعطيكَ من عندي عصاً تجعلُها ثعباناً. فضحكَ المأمونُ وأجازه.

وتنبأ رجل في خلافة المأمون، فقال لعلي بن صالح صاحب المصلّى: ناظِرْه. فقال له علي: ما أنتَ؟ قال: نَبيٌّ. قال: فأين آياتُكَ والنُّذُر؟ قال: ألستمْ تزعمُون أن محمداً كان لا يُخبرَ بشيءٍ إلا كانَ؟ قالوا: نعمْ. قال: فأنَا لا أُخبرُ بشيءٍ أنه يكونُ فيكونُ.

تنبأ رجلٌ في أيام المأمون، فقال له: ما أنتَ؟ قال: أنَا نبيٌّ. قال: فما معجزتُكَ؟ قال: سلْ ما شئتَ. وكان بين يديه قُفْل، قال: خذْ هذا القفُلَ فافتحه، فقالَ: أصلحكَ اللهُ، لم أقلْ إنِّي حدادٌ، قلت: أنَا نَبي!! فضحك المأمون واستتابه وأجازه.

وتنبأ آخر فطُلِبَ، فلما أُحضِرَ دَعَا له بالنِّطَعِ[1] والسيف، فقال: لِمَ تقتلوني؟ قالوا: لأنك ادَّعيْتَ النبوةَ. قال: فلست أدعيها. قالوا: فأيُّ شيءٍ أنتَ؟ قال: أنا صِدِّيق. فدُعِيَ له بالسياط، قال: لم تضربوني؟ قالوا: لادِّعائك أنك صدِّيق. قال: لا أدَّعي. قالوا: فمن أنت؟ قال: من التابعينَ بإحسان. فدعي له بالدِّرة. قالَ: ولِمَ؟ قالوا: نؤدِّبك لادِّعائكَ ما ليسَ فيكَ. قال: ويحكم. الساعة كنتُ نبياً، أتريدُون أن تحطُّوني في ساعة واحدةٍ من النبوةِ إلى مرتبةِ العَوام؟ أَمهلُوني إلى غدٍ حتى أصيرَ لكُمْ إلى مَا شئتُمْ.



(١) النطع: قطعة من الجلد يقطع عليها الرأس.

الباب التاسع

نـوادر المدنيين

قـال رجل من أهل الشـام لبـعضِ أهل المدينة ـ وهو الغـاضري ـ: كـيف يُباع النبـيذُ عندكم؟ قـال: مُدَّان وثمـانيـةٌ وسبعون سَوطاً بدرهَم!!.

وقيل لمدينيٍّ: ما أعددْتَ لشدة البردِ؟ قال: شدةَ الرِّعدة.

وقال آخر منهم لغلامه ونزل به ضيف: افرشْ لضيفنا. فقال: ما أفرش له، وسراويلُك عليكَ، والجُلُّ على الحمَارِ[1]؟

سرق آخر نافجةَ مسْك[2]، فقيل له: إن كلَّ من غلَّ يأتي بما غلَّ يوم القيامة يُحْمَلُ على عنقه. فقـال: إذاً والله أحملُها طيبةَ الريح خفيفةَ المحمَل.

وقـال آخـر: لو قُسمَ البلاءُ بين الناسِ لم يصبْنا أكـثرُ مما أصـابنا. قـالوا: مـا الذي أصـابَك؟. قـال: بعـثنَا بشـاتنا إلى التيَّاسِ[3] مع الجارية، فجاءت الشاة حائلاً والجاريةُ حاملاً.

---

(١) الجل: ما تلبسه الدابة لتصان به.

(٢) نافجة المسك: وعاؤه، كلمة أعجمية.

(٣) التياس: صاحب التيوس وهي الذكور من الوعول والمعز وغيرها.

قيل لآخر: كيفَ طابتْ أصواتُ أهلِ المدينة؟ قال: لخلاءِ أجوافِهم، كالعودِ لمَّا خلا جوفُه طابَ صوتُه.

لقي مدينيٌّ آخرَ فقال له: ما فعل ابنُك فلانٌ؟ قال: باليمن. قال فابنكَ فلانٌ؟ قال: بخراسَان. قال: لا أسألُك عن الثالثِ فإني أعلمُ أنه في السحاب.

واشتَرَى آخرُ رطباً، فأخرج صاحبه كيْلَجة[1] صغيرة ليكيل بها، فقال المدني: والله لو كِلتَ لي حسناتٍ ما قبلتُها.

وقال مدني لابن أبي مريم: تَعَشَّقْتُ فلانةَ وأُريد شراءها. قال: يا بْنَ الفاعلة، فبأيِّ شيءٍ تشتريهَا؟ قال: أبيع قَطِيعَةَ جَدّي[2] وأشتريها. قال: امرأتُه طالقٌ إنْ كان مَلَكَ جدُّكَ قطيعةً إلا قطيعةَ الرحم.

كان مديني يجلسُ على باب مسجد، فيرى الناسَ إذا أذَّنَ المؤذِّنُ يدخلون أرسَالاً[3]. فقال: والله لو قال هذا المؤذِّنُ يوماً: حيَّ على الزكاةِ، ما جاءَ منكُمْ أحدٌ.

---

(١) كيلجة: مكيال يكتال به. كلمة فارسية.

(٢) القطيعة: ما يقطع من الأرض.

(٣) أرسالا: متتابعين.

وسرق آخر جرةً فأخذوها منه وأرادوا ضربَهُ، وقالوا: ياعدوَّ الله تَسرق جرتَنَا؟ فقال: ما هذه جرتكم، وهذه والله عندنا مُذْ هي كوزٌ!. فضحكوا منه وتركوها له.

مُطِر أهلُ المدينة ستَّ ليالٍ متواليات، حتى كاد أهلُها يغرقون، فقال بعضهم: إن مُطِرْنَا السابعةَ أصبح أهلُ السماءِ في مفازة لا يجدون حَسْوَةَ ماء[1].

نزل على مديني أضيافٌ فتسترت امرأتُه منهم وتَخَفَّرَت[2]. فقال لها زوجها: لوددتُ أنَّ في الدنيا عيناً تشتهيك، وأنك أُثقلتِ في كلِّ يوم بتوأمَيْن.

نظر مديني إلى قوم يستَسقُون ومعَهُم الصبيّان، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: نرجو بهم الإجابةَ. قال: لو كان دعاؤهم مجاباً لما بقيَ في الأرض مُعلِّمٌ.

أخذ الطائفُ بعضَهم وهو سكرانُ، فقال: احبسُوا الخَبيثَ. فقال: أصلحكَ الله؛ عليَّ يمينٌ بالطلاق ألاَّ أبيتَ بعيداً عن منزلي، فضحك وخلاَّه.

---

(١) حسوة ماء: قليل منه. والمفازة: الصحراء.

(٢) المراد: تحجبت حياء منهم - والخفر: الحياء.

خاصمت مدينيةٌ زوجَها، وكان في خَلَقٍ[1] لا يواريه، فقالت له: غيَّرَ الله ما بك من نعمة. قال: استجاب الله دعاءَكِ، لعليَّ أُصبحُ في ثوبيْن جديدين.

وصف مديني مغنِّية بحُسْن الغناء، فقال: والله لو سمعتَها ما أدركتَ ذكاتك[2].

عرَض آخر جاريةً على البيع، فقيل له: هي دقيقةُ السَّاقين، فقال: تريدونَ تبنونَ على رأسها غرفة؟

سُرِق لآخر دراهمُ، فقيل له: لا تغتمَّ فإنها في ميزانِك. فقال: مع الميزان سرقت.

وقال آخر لصاحب منزله: أصلح خشبَ هذا البيت فإنه يتفرقع. فقال: لا تخف، فإنه يسبِّح، فقال: إني أخاف أنْ تدركه الرِّقَّةُ فيسجد.

وأراد المهديُّ أن يتنزهَ بالمدائن، فخرج أشرافُ أهل المدائن، فأوقدُوا النيران والشموعَ، فقال أبو جواليق: قد أذِنَ

(١) ثوبة خلق: بال قديم.

(٢) ذكاة الحيوان: ذبحه. والمعنى: لو غنتك لصعقك صوتها من جماله.

اللهُ في خرابِ المدائن. قالوا: لم؟ قال: أوقدتُم النيران. الآن تنفِر حراقاتُ المهدي منها فيأمر بخراب المدائن.

جاء رجل إلى مديني فقال: هل تدلُّني على من يشتري حماري، وكان أجربَ أجْرَدَ[1]، فقال: والله ما أعرفُ من يشتري هذا إلا أن يجيءَ من يطلب من الحمير نَسَمَةً للعتق[2].

غنَّت قينة ومديني حاضرٌ، فقال: يا سيدتي أجدتِ، وما يحضرني ما أُعطيكِ، ولكن قد وهبتُ لكِ كل حسنة لي، وحملتُ عنك كلَّ سيئة لك. فقام آخرُ فقال: يا سيدتي، ما أعطاكِ شيئاً، وذلك أنه مالكِ سيئةٌ يحملُها عنكِ، ولا له حسنةٌ فيُعْطيكِهَا.

كان بالمدينةِ واحدٌ يُقَوِّدُ قد أفسد أحداثَها، فاجتمعَ المشايخُ وشكَوا ذلكَ إلى والي المدينة، فنفاهُ إلى قُباء[3]، فبعُدت المسافةُ، فكانوا يركبُون حميرَ المُكاريِّن ويصيرُون إلى عنده، وكثُر ذلك حتى كان الواحدُ يركب حماراً، فيسيرُ حتى

(١) الجرد: عيب في الدواب.

(٢) يريد: عبداً ليعتقه من الرقّ.

(٣) قباء: قرية قرب المدينة بها مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار. يمد ويقصر.

يقف على بابه؛ فاجتمع الناس إلى واليهم وقالوا: قد أفسد أحداثنا وأتلف أموالنا، حتى إن الحمرَ قد عرفت بابَ داره، فتقف عنده. فأمر الوالي بإحضاره وأمر بتجريده، وقال: ليس أريد شاهداً عليك سوى أن الحمير تعرف بابَ دارك. قال: فبكى، فقيل له: مِمَّ تبكي؟ قال: من شماتة أهل العراق بنا، يقولون: إنَّ أهلَ المدينة يقبلون شهادة الحمير. فضحك الوالي ومن حضره، وخلَّوه.

تمنَّى آخر في منزله فقال: ليت لنا لحماً فنطبخ سكباجاً. ! فما لبث أن جاء جارٌ له بصَحْفَة، وقال: اغرفوا لنا فيها قليلَ مرَق. فقال: جيراننا يشمُّون رائحة الأماني.

دخل الغاضريُّ على الحسن بن عليٍّ عليه السلام، فقال: إني عصيتُ رسولَ الله ﷺ. قال: بئس ما عملت! كيف؟ فقال: إنَّ النبي ﷺ قال: لا يصلحُ قومٌ ملكَتْ عليهم امرأةٌ، وقد ملكَتْ عليَّ امرأتي؛ أمرتني أن أشتري عبداً فاشتريتُه فأبَق[1]. فقال رضي الله عنه: اختر إحدى ثلاث، إنْ شئتَ

---

(١) أبق: هرب.

فثمن عبدٍ، فقال: قف هنا ولا تتجاوز، قد اخترت ذلك، فأعطاه.

وقع واحدٌ منهم فوُثِئَت[1] رجلُه، فجعل الناس يدخلون عليه فيسألونه: كيف وقع؟ فأكثروا، فضجر وكتب قصته، فكان إذا دخل عليه عائدٌ وسأله دفَع إليه القصَّةَ.



(١) الوثء: كسر يصيب اللحم دون العظم، ووثئ: أصيب بوثء.

البـاب العاشــر

من نوادر الطُّفَيليين والأكلة

قال بنان الطفيلي[1]: الجَوْذَاب[2] صاروجُ المعدة[3]. اشربْ عليه ما شئتَ.

وقيل له: كم كان عددُ أصحاب النبي -ﷺ- يوم بَدْرٍ؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشرَ رغيفاً.

وقال: عُصْعُصُ[4] عنزٍ خيرٌ من قِدْرِ باقلّى[5].

وقال آخر: من احتمَى[6] فهو على يقينٍ من مكروهِ الجوع، وفي شك من العافية.

وقال بعضهم: ليس شيء أضر على الضيف من أن يكونَ صاحبُ البيت شبعان.

---

(١) بنان الطفيلي: هو عبد الله بن عثمان أصله من مرو، وأقام ببغداد.
(٢) الجواذب: طعام من سكر ورز وجوز ولحم.
(٣) الصاروج: كلمة معربة معناها الأساس.
(٤) العصعص: أصل الذنب.
(٥) الباقلى، والباقلاء: الفول.
(٦) الحمية: عدم الأكل خوف المرض، واحتمى: لم يأكل.

قال الأصمعي: كان في البصرةِ أعرابيٌّ من بني تميم يطفِّلُ على الناسِ، فعاتبتُهُ على ذلكَ، فقال: والله ما بُنيت المنازلُ إلاّ لتُدخَل، ولا وُضعَ الطعامُ إلاّ ليُؤكَل، وما قدمتُ هديةً فأتوقع رسولا، وما أكرهُ أن أكون ثقلاً ثقيلاً على من أراهُ شحيحاً بخيلاً، أتعمَّم عليه مستأنساً، وأضحكُ إنْ رأيتهُ عابساً، فآكل برغمه، وأدعه بغمِّه، وما اخترق اللهوات[1] طعامٌ أطيبُ من طعامٍ لم تنفِق فيه درهماً، ولم تُعَنِّ إليه خادماً[2].

قال بعضهم: من جلسَ على مائدةٍ، وأكثر كلامَهَ غَشَّ بطنه.

أولَمَ طفُيلي على ابنته، فأتاه كلُّ طفيليٍّ، فلما رآهُم عرفهم، فرحَّب بهم ثم أدخلَهُم، فرقاهم إلى غرفة بسلم، وأخذ السلَّم حتى فرغَ من إطعامِ الناس، فلما لم يبْقَ أحدٌ أنزلَهم وأخرجَهم.

قيل لبعضهم: لِمَ تأكل بخمس أصابع؟ قال: ولِي أكثر منها؟!

---

(١) اللهوات: جمع لهاة، وهي فتحة البلعوم.

(٢) لم تعن: لم تخرج.

نظر طفيليٌّ على مائدة إلى مُلَبَّقَةٍ[1] بيضاء ومُلَبَّقة صفراء، فجعل يأكل البيضاء، فصفعه شيخٌ طفيليٌّ كان معه على المائدة وقال: لا أمَّ لك، إذا كنت في صناعة فتحذَّق فيها. أما عرفت أن الفرقَ بينهما الزعفران؟.

أكل هلالُ بن أسْعر[2] جملاً، وامرأته أكلت فصيلاً، فلما ضاجعها لم يصل إليها، فقالت: كيف تصل إليَّ وبيننا بعيران.

كان سعيد بن أسعد إمامَ المسجد الجامع بالبصرة طُفيلياً، فإذا كانت وليمة سبق إليها، فربما بسَط معهم البسط وخدم، فقيل له في ذلك، فقال: إني أبادر برد الماء، وصفر القدور، ونشاط الخباز، وخلاء المكان، وغفلة الذباب.

دعا بعضهم واحداً فأقعده إلى نصف النهار، وهو يتوقع المائدة ويتلظَّى جوعاً، فأخذ صاحب المنزل العود وقال: بحياتي أي صوت تشتهي؟ قال: صوت المقْلَى.

كان نقش بنان الطفيلي: ما لكم لا تأكلون؟

---

(١) الملبقة: قطعة الثريد الملين بالدسم.

(٢) هلال بن الأسعر بن خالد المازني: شاعر، كان فارساً عظيم البطش وكان أكولاً. مات بالعراق سنة ١٣٠هـ.

وكان يقول لأصحابه: إذا دخلتم فلا تلتفتوا يميناً ولا شمالاً، وانظروا في وجوه أهل المرأة، وأهل الرجل حتى يقدر هؤلاء أنكم من هؤلاء، وكلّموا البوابَ برفقٍ، فإن الرِّفق يُمْنٌ، والخرق شُؤمٌ، وعليكم مع البواب بكلام بين كلامي: الإدلال، والنصيحة.

سمع بعضهم رجلاً يقول: رُوِي في الأخبار أن الدجالَ يخرج في سنة قحط مع جرادق[1] أصفهانية، وملح ذرّانيّ وأنجذانيٍّ سرخسيٍّ[2]. فقال الطُّفيلي: عافاك الله، والله إنَّ رجلاً يجيءُ، بهذا يستحقُّ أن يُسمع له ويطاع.

صحب طفيليٌّ جماعةً في سفرٍ، ففرضوا على أن يُخرج كل واحد منهم شيئاً للنفقة، فقال كل واحد منهم: علي كذا. فلما بلغوا إلى الطُّفيلي قال: أنا عليٌّ.. وسكت. قالوا له: لم سكتَّ؟ وإيش عليك[3]؟ فقال: لعنةُ اللهُ. فضحكوا وأعفوه من النفقة.

(١) الجرادق: نوع من الخبز - معربة.

(٢) الانجذاني: نبات جيد ملطف لوجع المفاصل. وسرخسي: نسبة إلى سرخس - مدينة بين نيسابور ومرو.

(٣) ايش: كلمة عامية أصلها اي شيء.

قال بعضهم: أفضلُ البقاعِ وخيرُها ثلاثة. قيل: وما هي؟ قال: دكان الرَّواسِ[1]، ودرجةُ الخبّاز، ومطبخُ الجَوَاد. وأفضل الخشب وخيرهَ ثلاثةٌ: سفينةُ نوح، وعصاَ موسى. ومائدة يؤكل عليها.

مر طفيليٌّ إلى باب عرس، فمُنع من الدخول، فذهب إلى أصحاب الزجاج ورهنَ رهناً، وأخذ عشرةَ أقداح، وجاء وقال للبواب: افتح حتى أُدخل هذه الأقداحَ التي طلبوها. فَفَتَح له، ودخل وأكلَ وشرب مع القوم، ثم حمل الأقداحَ، وردّها إلى صاحبها، وقال: لم يرضَوْها، وأخذ رهنَه.

ودخل آخر إلى قوم فقالوا: ما دعوناكَ، فما الذي جاء بك؟ قال: إذا لم تدعُوني ولم أَجِيءْ وقَعت وحشةٌ، فضحكوا منه وقرّبوه.

وكان ميسرة التَّراس يأكل الكبشَ العظيمَ ومئة رغيفٍ فذُكِرَ أكلُهُ للمهدي، فقال: ادعوا الفيل، فألقوا له رُغُفاً فأكل تسعةً وتسعينَ رغيفاً، فألقوا له تمام المئة فلم يأكُلْهُ، وأكل ميسرة بعد المائة.

---

(١) الرواس لحن، وصحته: الرآس. وهو بائع الرؤوس.

وممَّن قربُ عهدهُ من الأَكَلَة أبو الحسن بن العلاَّف، وهو ابنُ أبي بكرٍ العلاف الشاعر[1].

ودخل إلى الوزير المهلَّبي[2] يوماً ببغداد، فأنفذ الوزير من أخذ حماره الذي كان يركبه من غلامه، وأدخل المطبخ وذبح وطبخ لحمه بماء وملح، وقُدِّم إليه وهو يظنُّ أنَّه لحم بقرٍ فأكله كلَّه، فلما خرجَ وطلبَ الحمار قيل له: قد أكلتَه، وعوَّضه الوزيرُ عنه ووصله.



ألقاب الأطعمة وغيرها على مذهب الطفيليين

الطشت والإبريقُ: بشرٌ وبشير. والخوان: أبو جامع. السُّفْرَةَ: أبو رجاء. الخبز: أبو جابر. اللحمُ: أبو عاصم.

---

(١) أبو الحسن بن علي بن أحمد. ولد سنة ٢١٨هـ، وعاش ببغداد، ونادم الخلفاء والوزراء وتوفي سنة ٣١٩هـ. والحسن ابنه كان نديماً للصاحب بن عباد.

(٢) المهلبي: هو الحسن بن محمد، من نسل المهلب بن أبي صفرة، ولد سنة ٢٩١هـ كان وزير السلطان معز الدولة بن بويه، ثم وزير الخليفة المطيع، توفي سنة ٣٥٢هـ.

الملح: أبو عون. القدر: ميمون الزنجي. الغضارة[1]: أم الفرج. الحُوَّاري[2]: نجوم الفكة. البقل: زحامٌ بلا منفعة. البيض: بنات نعش. الثريدُ: جبيرُ بن مطعم. الجبن: راشد الخنّاق. الجوز: أبو القعقاع. الزيتون: خنافس الخُوان. الصحناءة[3]: أم البلايا. الباذنجان: قباب ياسر. الكامخُ: عرق الشيطان. البوارد: برائد الخير. البَزْماوَرْد[4]: أبو كامل الطيالسيّ. السَّنْبُوسَكُ: جامع سفيان. الماء: أبو غياث. الخَردل: أبو كلثوم الجلاد. الدَّجاجة: سمانة القوَّادة. البطَّة: بهادةُ السوسية. الحَمَل: شهيدُ بن شهيد. الجدي: أبو العريان. الرقاق: أبو الطيالس. التِّير[5]: وضَّاحُ اليمن. الرغيف السميد: أبو بدرٍ. السِّكْبَاج[6]: أم عاصمٍ. المضيرة[7]: أم

---

(١) الغضارة: وعاء كبير يتخذ من الخزف ونحوه.

(٢) الحوَّاري: الدقيق الأبيض، وكل ما بيض من طعام.

(٣) الصحناء: ضرب من الكامخ، إدام يتخذ من السمك الصغار، مشهٍّ مصلح للمعدة.

(٤) طعام من بيض ولحم. فارسي.

(٥) التير: الجوز يدلك حتى يصير أملس.

(٦) السكباج: طعام يعمل من لحم وخل. معرب سكبا.

(٧) المضيرة: مرقة تطبخ باللبن.

الفضل. الكَشْكِيَّةُ: أُم حفص. الهريسة: أُم الخير. الرأسُ: قيم الحمام. ماء الباقلاءِ: أبو حاضر. السمكُ: أبو سابح. الأكارع: أبو الخَرْق. الخل: أبو العباس. الفَتِيتُ: أبو نافعٍ. القَنْبِيطِيَّةُ[1]: دويرة الرومية. المغمومة[2]: المقنَّع الكندي. المريء: أبو مهارش. الزبيبة: أبو الأسود الدؤلي. القشمشية[3]: أُم الجمال. الملبَّقَة[4]: أُم سهل. الطباهجة[5]: زلزل المغنّي. البقيلة: المشئومة. القلية[6]: الناعيةَ. المصلِّية[7]: أُم بشير. الأُرز: أبو الأشهب. النَّرْجسية: أُم الثُّرَيَّا. الجَوْذَابُ: أُم الحُسن. الفالوذج[8]: أبو مضاء. السكر:

---

(١) هي نوع من الحلواء.

(٢) المغمومة والغميمة: لبن يسخن حتى يغلظ قوامه.

(٣) القميشة: طعام من اللبن وبعض الحبوب. والقشمش: نوع من الفاكهة.

(٤) الملبقة: الثريدة إذا كثر سمنها فلانت.

(٥) الطباهجة: كلمة معربة أصلها تباهة، وهو اللحم المشرح المطبوخ، ويسمى أيضاً الكباب.

(٦) القلية: طعام يتخذ من أكباد الجزور ولحومها.

(٧) يجوز أن تكون المصلية: وهو ما يقدم قبل الطعام من مشهيات تشبيهاً لها بالخيل المصلية، ويجوز أن تكون المصلية وهو ما شوي في التنور.

(٨) الفالوذ، والفالوذج: نوع من الحلوى يعمل من الدقيق والعسل.

أَبو الطيب. الطبَرْزَد: أَبو شيبة الخوري. الخبيص[1]: أَبو نعيم. اللوزينج: بكير الطائفي. القائف: قبور الشهداء. الفراريج: بنات المؤذِّن. السويق: أُم حبيب. الخِلاَل: أَبو البأس. الأشنان والمحلب: منكر ونكير. النبيذ: أَبو غالب. الغُرَابَة[2]: أُم رزين. النُّقْلُ: أَبو تمام. النَّرْجِسْ: أَبو العيناء. السايكسي: أُم فرعون. القدح: أَبو قريب. النَّبيقَة[3]: أُم الفتيان. الصَّراحِيَّة[4]: أُم القاسم.



(١) الخبيص: طعام من سمن وتمر ودقيق.

(٢) الغرابة: اللحم الذي تحت الركبة في الساق.

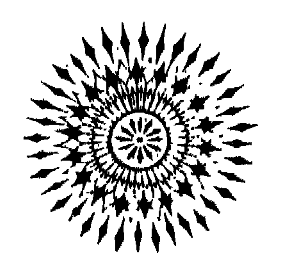
(٣) النبيقة: زمعة الكرم إذا عظمت، والنبقة: دقيق يخرج من لب جذع النخلة حلو يقوى بالدبس، ويحمل نبيذاً.

(٤) الصراحية: آنية الخمر.

فهرس السفر الأول



٥٠٠٠ ط ١ / ٥ / ١٩٩٧



طبع في مطابع وزارة الثقافة

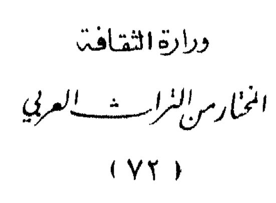
دمشق ١٩٩٧

سعر النسخة داخل القطر

١٨٥ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل

٣٧٠ ل.س



وزارة الثقافة

المختار من التراث العربي

(٧٢)

من نثر الدر

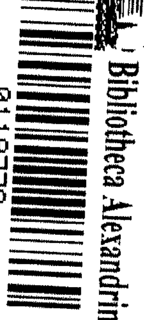
للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الثاني

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الحجي



الاشراف الفني : زهير الحمو

مـن نثـر الدر ـ السفر الثاني

وزارة الثقافة
المختار من التراث العربي
٧٢

من نثر الدر

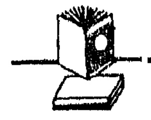
للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الثاني

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الحجي



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٧

من نثر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها مظهر الحجي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج؛ ٢٠ سم. - (المختار من التراث العربي؛ ٧١ - ٧٤).

١- ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢- العنوان ٣- أبو سعد الآبي
٤- الحجي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الأول

كلام معاوية بن أبي سفيان وولده

قال الهَيْثَمُ (١) : خرج معاويةُ يريدُ مَكّةَ ، حتى إذا كان بالأَبواء (٢) اطَّلَعَ في بئرٍ عاديةٍ (٣) ؛ فأصابتْهُ اللَّقْوَة (٤) . فأتى مكةَ ، فلما قَضَى نُسُكه ، وصار إلى منزله ، دعا بثوب ، فلفّه على رَأْسه ، وعلى جانب وجهِهِ الذي أصابه فيه ما أصابه ، ثم أذِن للناسِ فدخلُوا عليه ، وعنده مروانُ ، فقال :

إنْ أكُنْ قد ابتُليتُ فقد ابتُلي الصالحُون قَبْلي ،

---

(١) هو الهيثم بن عدي أبو عبد الرحمن الطائي الأخباري المؤرخ ، توفي سنه ٢٠٧ هـ .

(٢) الأبواء . قرية بينها وبين المدينه ثلاثة وعشرون ميلا ، بها قبر والدة الرسول عليه السلام .

(٣) بئر عاديه : قديمة نسبة إلى عاد

(٤) اللقوة . داء يصيب الوجه فيعوج الفم أو جانب منه .

وأرجو أن أكونَ منهم وإنْ عُوقِبتُ فقد عُوقب الظالمُون قبلي، وما آمَنُ أن أكونَ منهم، وقدابتُليتُ في أحسَني (١) وما يَبـدُو مني ، وما أحصِي صحيحي . وما كان لي على ربّي إلا ما أعطاني . واللهِ إنْ كان عَتَبَ بعضُ خاصّتِكم لقد كنتُ حدباً على عامّتِكم ؛ فرحمَ اللهُ امرءاً دعا لي بالعافية .

دخل المسْوَر على معاويةَ ، فقال له : كيف تركتَ قريشاً ؟ قال : أنتَ سيدُها يا أميرَ المؤمنين ، أعلاها كَعْباً ، وأسودُها (٢) أباً ، وأرفعُها ذِكْراً وأجلُّها قدراً . قال : كيف تركتَ سعيداً (٣) ؟ قال : عليلاً . قال : للَيدينِ وللِفَم (٤) :

---

(١) المعنى : في أحسن عضو . والظاهر لكل إنسان وهو وجهه .

(٢) أسودها . من السيادة .

(٣) يريد سعيد بن العاص كما سيتبين من الكلام بعد

(٤) هذا من أقوال العرب في الدعاء على الإنسان : أي : أسقطه الله لليدين وللفم

بِهِ لا بِظَبْيٍ بالصَّرِيمَةِ (١) أعْفَرا (٢)

قال : وعمرو بن سعيدٍ صبيٌّ يسمعُ قوله من وَرَائِه .

فقال : إذاً والله لا يسدُّ جُفْرَتَكَ (٣) ، ولا يزيد في رزقِك ، ولا يدفع حتْفاً عنْكَ ، بل يفتُّ في عضُدِك ، ويهيضُ ظهرك ، وينشُرُ أمرَكَ ، فتدعُو فلا تُجاب ، وتَتَوعَّدُ فلا تُهَاب .

فقال معاوية : أبَا أُمية ؛ أراك ها هنا . إنَّ أبَاكَ جارَانا إلى غايةِ الشرف ، فلم نَتعلق بآثارِه ، ولم نقُم لمِحفَارِه (٤) ، ولم نلحق بمضمارِه ، ولم نَدنُ من غُبَارِه ، هذا مع قوة مكانٍ ، وعزة سلطان . وإنَّ

---

(١) الصريمة : القطعة المنفردة من الرمل

(٢) عجز بيت صدره

أقول له لما أتاني نعيه

والبيت للفرزدق .

(٣) الحفرة : مجمع البطن والصدر .

(٤) المحفار . الفرس الشديد العدو .

أثقل قومنا علينا مَن سبقنا إلى غاية تشرف ؛ فأخذ أبوكَ علينا القَصَبة (١) ، وملكَ دوننا الغلبة .

رُوِيَ أن عمرَ بن الخطّاب — رضي الله عنه — قدم الشامَ ، ومعه عبدُ الرحمن بن عوف أو أبو عبيدة ، وهما على حمارين قريبين من الأرض ، فتلقّاهما ، معاويةُ في كوكبةٍ (٢) خَشْناء ؛ فثنى وَرِكَه ، فنَزلَ ، وسلّم بالخلافة : فلم يردّ عليه ، فقال له عبد الرحمن أو أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أحضرتَ الفتى (٣) فلو كلمته . فقال : إنكَ لصاحبُ الجيش الذي أرى ؟ قال : نعم . قال : مع شدّةِ احتجابكَ ، ووقوفِ ذوي الحوائج ببابك ؟ قال : أجل . قال : لمَ ؟ ويلكَ ! قال : لأنا ببلادٍ يكثر بها جواسيسُ العدوّ ، فإن نحنُ لم نتّخذْ العُدّةَ والعدد استخفّ بنا . وهجم على عورتنا . وأنا

---

(١) المراد : سبق إلى المعالي يقال للمراهن في السباق : أحرز القصبة ، لأنهم كانوا يركزون قصبا عند غاية المضمار .

(٢) الكوكبة : الجماعة ، والخشناء : الكثيرة السلاح .

(٣) بمعنى حثثت به أو دعوته .

ـ بعدُ ـ عامُلك ؛ فإن وقفتني وقفتُ ، وإن استزدتني زدتُ ، وإن استنقصتني نقصتُ .

قال : والله لئن كنتَ كاذباً إنه لرأيُ أريبٍ ، ولئن كنت صادقاً إنه لتدبيرُ أديب . ما سألتُك قطُّ عن شيءٍ إلا تركتني فيه أضيقَ من رواجبِ الضرّس (١) . لا آمرُك ولا أنهاك .

فلما انصرف قال له صاحبه : لقد أحسَنَ الفتى في إصدارِ ما أوردتَ عليه . قال : بحسن إصدارِه وإيرادِه جشَّمناه (٢) ما جشَّمناه .

قال معاويةُ : معروفُ زماننا هذا منكرُ زمانٍ قد مضى ، ومنكرُ زماننا هذا معروفُ زمانٍ لم يأتِ .

ومن كلامه : الفرصةُ خُلْسة ، والحياءُ يمنع الرزقَ ، والهَيبةُ خيبةٌ ، والحِكْمةُ ضالّةُ المؤمن .

---

(١) الرواجب . أصول الأصابع ، والضرس : الرجل الداهية والمراد تركتني في أمر يصعب علي الخروج منه .

(٢) جشمه : كلفه أمرا فيه مشقة .

وقال ذاتَ يومٍ لابنه يزيد : يا بُنيَّ ، لا تستفسدِ الحر فساداً لا تصلحهُ أبداً . قال : بماذا ؟ قال : لا تشتُمَنَّ لَهُ عِرضاً ، ولا تضربنَّ له ظَهْراً . فإن الحرَّ لا يرى الدُّنْيا عوضاً مِن هذين ، ولكن خُذ مالَه ، ومتى شئتَ أنْ تُصلِحَهُ فمالٌ بمالٍ .

وقال له عمرو بن العاص : قد أعياني أن أعلمَ شُجَاعٌ أنْتَ أم جَبان ؟ فقال :

شجاعٌ إذَا مَا أمكَنَتْنِيَ فرصةٌ
فإن لم تكُنْ لي فرصةٌ فجبانُ

وقال لعاملٍ له : كُلْ قليلاً تعملْ طويلاً ، الزمِ العفاف يلزمك العملُ ، وإيَّاك والرُّشَا يشتد ظهرُك عند الخصام .

ورفع يوما ثُنْدوتَيه (١) بيديه ، ثم قال : لقد علمَ الناسُ أن الخيلَ لا تجري بمثلي ، فكيف قال النجاشي : (٢)

---

(١) الشندوة : عند الرجل تقابل الثدي عند المرأة . أراد معاوية أن يدل على بدانته وثقل وزنه .

(٢) النجاشي هو قيس بن عمر بن مالك شاعر إسلامي .

وَنجّى ابنَ حربٍ سابحٌ (١) ذو عُلالةٍ (٢)
أجَشُّ (٣) هزيمٌ والرماحُ دَوَانِ

وقال : إني لأكره النَّكَارة (٤) في السيد ، وأحبُّ أن يكونَ غافلاً أو متغافِلا (٥) .

وقال لأبي الجَهْم العدَوِي : أنا أكبرُ أم أنتَ يا أبا الجهم ؟ فقال : لقد أكلتُ من عُرسِ أمِّك . فقال : عند أيِّ أزواجِها ؟ قال : في عرسِ حفص بن مغيرة فقال : يا أبَا الجهم ؛ إيَّاك والسلطانَ ، فإنه يغضبُ غضبَ الصبيِّ ، ويعاقب عقوبةَ الأسد ، فإنَّ قليلَه يغلُبَ كثيرَ الناس .

وقال يوماً : أنا أعرِفُ أرخصَ ما في السوق وأغلاهُ ،

---

(١) السابح : الفرس . وتسمى الخيل السوابح ؛ لأنها تسبح في سيرها .

(٢) العلالة : بقية جري الفرس .

(٣) الأجش : الغليظ الصوت ، أو الذي جهد صهيله ، والهزيم من الخيل : الشديد الصوت .

(٤) النكارة : الفطنة والدهاء .

(٥) المتغافل : الذي يظهر الغفلة وليست فيه .

فقيل : وكيف ذاكَ ؟ فقال : أعلمُ أن الجيِّدَ رخيصٌ والرديء غالٍ .

ولما مات زياد وفد عليه عبيدُ الله ابنُه . فقال لهُ : من استخلفَ أخي على عمله بالكوفة ؟ قال : عبدَ الله ابنَ خالدٍ أُسَيد (١) قال : فعلى البَصرة ؟ قال : سمرةَ ابنَ جُنْدُب (٢) . فقال له معاوية : لو استعملك أبوكَ استعملتُك ! . فقال له عبيدُ الله : أَنْشُدكَ اللهَ أنْ يقولَها لي أحدٌ بعدَك : لو ولاّك أبوك ، وعمُّك وَلَّيْتُكَ . فولاّه خُراسانَ .

وأوصاهُ فقال : اتَّقِ اللهَ ولا تُؤْثِرَنَّ على تقواه شيئاً ، وَقِ عرضَكَ (٣) من أن تُدَنِّسَهُ وإذا أعطَيتَ

(١) عبد الله بن خالد بن أسيد اختلف في كونه مخزوميا أو أمويا . ولي فارس من قبل معاوية واستخلفه زياد على البصرة .

(٢) سمرة بن جندب بن هلال كان على شرطة زياد ، وكان من الحفاظ المكثرين . مات سنة ٥٨ هـ .

(٣) ق عرضك : احفظه وصنه ، فعل أمر من وقى .ف : فعل أمر من وفى .

عهداً فَفِ به ، ولا تَبيعَنَّ كثيراً بقليل ، وخذ لِنَفْسِكَ من نَفْسِكَ ، ولا يخرجَنَّ منك أمرٌ حتى تُبرِمَه ، فإذا خرج فلا يُرَدَّنَّ عليك . وإذا لقيتَ عدوَّكَ فغلبتَك على ظهرِ الأرضِ فلا يغلبنَّكَ على بطنها ، وإن احتاجَ أصحابُكَ أن تُواسيَهم بِنَفْسِكَ فواسِهم ، ولا تُطْمِعَنَّ أحداً في غيرِ حقِّه ولا تُؤيِسَنَّ أحداً من حقٍ هو لَه .

وخطب مرَّة فقال : أيها الناسُ ، إنا قد أصبَحْنَا في دهرٍ عَنُود ، وزمنٍ شديد ، يصبحُ فيه المحسنُ مُسيئاً ، ويزدادُ الظَّالمُ عُتُوّاً ، لا نَنتفعُ بما علِمْنَا ، ولا نسأل عمَّا جهِلْنَا ، ولا نَتَخَوَّفُ قارعةً حتى تَحُلَّ بنا ، فالناسُ على أربعةِ أصناف : منهم مَن لا يمنعُه من الفساد إلا مهانَةُ نفسه ، وكلالُ حدِّه ، ونَضيضُ (١) وفْرِه ومنهم المُصْلِتُ (٢) لِسَيْفِه ، المُجلِبُ بِرَجْلِه ، المُعلِنُ بشرِّه ، قد أشرطَ نفسَه (٣) ، وأوبق دِينَه (٤)

---

(١) النضيض القليل وهو في الأصل الماء القليل ، والوفر المال المدخر .

(٢) أصلت سيفه : جرده من غمده . وأجلب برجله : جاء برجاله

(٣) أشرط نفسه · أعلمها وأعدها .

(٤) أوبق دينه · أهلكه .

لحطامٍ ينتهزُه ، ومِقْنَبٍ (١) يقوده أو مِنْبَرٍ يَفْرَعُه (٢) ، ولبئسَ المتجرُ أنْ تراهما لنفسك ثمنا ، ومما لك عند الله عوضاً . ومنهم من يَطْلُبُ الدنيا بعَمَل الآخرة ، ولا يطلبُ الآخرةَ بعملِ الدُّنيا ، قد طامنَ من شَخْصِهِ ، وقاربَ من خَطْوِهِ ، وشمَّر من ثَوبِه ، وزخرف نفسَه للأمانةِ ، واتخذ سترَ اللهِ ذَرِيعةً إلى المعصية . ومنهم مَن أقعده عن طلب المال نَفْسه ، وانقطاعُ سَبَبِه ، فقصَّر به الحالُ على حالِه ، فتحلَّى باسمِ القَناعة ، وتزيّن باسم الزّهاد ، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى .

وبقي رجالٌ غَضَّ أبصارَهم ذِكرُ المَرْجِعِ ، وأراق دموعَهم خَوفُ المَحْشَر ؛ فهم بين شريدٍ نادٍّ (٣) وخائفٍ مُنْقَمعٍ (٤) وساكتٍ مَكْعُوم (٥) ، وداعٍ

---

(١) المقنب : جماعة الخيل والفرسان بين الأربعين والخمسين .

(٢) فرع المنبر : علاه .

(٣) الناد : الشريد النافر .

(٤) المنقمع : الذليل ، وانقمع الرجل : ذل .

(٥) مكعوم من كعمه : سد فمه .

مُخلص ومُوجَعٍ ثكلانَ ، قد أخملتْهم التّقية ، وشملتهم الذّلّة ؛ فهم في بَحرٍ أُجاج ، أفواهُهُم ضامرة ، وقلوبهم قَرِحة . وَعَظُوا حتى ملُّوا ، وقُهِروا حتى ذلّوا ، وقُتِلوا حتى قلُّوا ؛ فلتكنِ الدنيا أقلَّ في أعينكم من حُثالة القَرَظِ (١) وقُرَاضَةِ (٢) الجَلَم واتَّعِظُوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يَتَّعِظَ . بكم من بعدكم .

قدم رجلٌ من مصر عليه ، فإنه ليحدثُه إذ حَبَقَ (٣) ؛ فانقبض وترك الكلام ، فقال معاوية : خذْ فيما كنتَ فيه . فما سمعتُها من أحد أكثرَ مما سمعتُها من نفسي .

ودخل عليه رجلٌ مرتفعُ العطاء فرأى في عينَيه رَمَصاً (٤) ؛ فحطّ عطاءه وقال : يعجزُ أحدُكُم إذا أصبحَ أن يتعهَّد أديمَ وجهِهِ .

---

(١) حثالة القرظ : نفايته ، والقرظ : ورق شجر السلم .
(٢) القراضة : ما يتساقط من الثوب عند قصه . والجلم : المقص .
(٣) حبق : ضرط .
(٤) الرمص : قذى العين .

وقال لقريش في خلافته : إني أقَعُ إذا طرتم ، وأطير إذا وقعتُم ، ولو وافق طيراني طيرانكم لاختلفنا .

وقال : العيال أرَضَةُ (١) المال .

وقيل له : ما بَلَغَ من عقلِك ؟ قال : لم أثقْ بأحدٍ .

ونظر إلى يزيدَ وهو يضربُ غُلاماً له ؛ فقال له : لا تُفسِد أدَبَك بتأْديبه ، ولكن وكِّلْ به من يؤدبه .

رُوي عن بعضهم أنه قال : قدم معاوية المدينة ، فدنوتُ من المنبر لأَحفظَ عنه ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، فإنّا قدمنا على صديق مستبشر ، وعلى عدو مُستَبْسِر ، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ؛ فإن أُعطُوا منها رضُوا ، وإن لم يُعطَوا منها سخطوا . ولسنَا نَسعُ الناسَ كلَّهم، فإن تكن مَحمَدةٌ فلابدَّ من لائمة ، ليكنْ لوماً هوناً ، إذا ذكر غَفَر ، وإيّاكم

(١) الأرضة : دويبة قارضة ، والمراد : تفني المال كما تفني الأرضة ما تقرضه .

والعُظْمى التي إن ظهرت أَوْبَقَت ، وإن خَفِيَتْ أَوْتَغَتْ (١) .

وبلغه أنّ ابنته امتنعت على ابن عامرٍ في الافتضاض ، فمشى إليها يَتَوَذَّف (٢) في مِشْيته ، وفي يده مخصرة ، فجلس ، وجعل ينكتُ في الأَرض ويقول :

مِنَ الخَفِرَاتِ البيضِ ، أَمّا حرامُها
فصعبٌ ، وأما حلُّها فذَلُـــولُ

وخرج ، ودخل ابنُ عامرٍ فلم تمتنع عليه .

وسُئل : ما النُّبل ؟ . فقال : الحلمُ عند الغضبِ ، والعفوُ عند المقدرة .

وقال : الدنيا بحذافيرِهَا (٣) الخفضُ والدَّعَةُ .

وقال له رجل : والله لقد بايعتُك وأنا كارِهٌ . فقال : قد جعَل اللهُ في الكره خيرا كثيرا .

---

(١) أوتغت : أهلكت . وأوبقت : أهلكت .

(٢) يتوذف : يسرع الخطا ويقاربها .

(٣) حذافيرها : جمع حذفور وهو الجانب والمراد : كل ما تشتمل عليه .

وكان يَأْذَنُ للأَحنفِ في أوّلِ مَنْ يأْذنُ له ، فأَذِن له يوماً ، ثم أذِنَ لمحمد بن الأَشعث ، فجاء محمدٌ فجلس بينَ معاويةَ وبينَ الأَحنفِ ؛ فقال لهُ معاوية : لقد أحسستَ في نفسِك ذُلاً ، إني لم آذَن لهُ قبلَك ليكون في المجلس دونَك ، وإنّا كما نملِكُ أُمورَكم نملِكُ تَأْدِيبَكُم ، فأَرِيدُوا ما يرادُ بكم ؛ فإنه أبقَى لنِعمتِكم ، وأحسنُ لأَدبِكُم .

وقال معاويةُ في النساء : إنهنّ يغلِبنَ الكرام ، ويَغْلِبُهُنَّ اللِّئَام .

وفخر عنده سُلَيم مولى زيادٍ ، فقال معاويةُ : اسكتْ ، فواللهِ ما أدركَ صاحبُك شيئاً بسيفهِ إلاّ وقد أدركتُ أكثرَ منه بلساني .

* * *

يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيةَ وَوَلَدُهُ

كتب إلى أهل المدينة : أما بعدُ ، فـ «(إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ حتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم وَإِذَا

أرَادَ اللهُ بِقَوم سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ ، ومَالهُم مِن دُونِه مِن وَالٍ)) (١) وإني والله لقد لبستكُم فأخلقتكُم (٢) ، ورفقتُ بكُم فأخرقتُكُم (٣) . ثم وضعتُكُم على رأسي ، ثم على عيني ، ثم على فمي ، ثم على بطني ، وايْمُ اللهِ لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكُم وَطأةً أُقِلُّ بها عَدَدَكم ، وأذِلُّ غابرَكُم ، وأتركُكُم أحاديثَ تُنْسَخُ فيها أخبارُكم مع أخبارِ عادٍ وثمودٍ .

لعلَّ الحلمَ دلَّ (٤) عليَّ قومي

وقد يُستجهلُ الرجلُ الحليمُ (٥)

تكلَّم يوماً عند معاوية الخطباءُ فأحسنوا وأكثرُوا ؛ فقال : واللهِ لأرمينَّهم بالخطيبِ الأشدقِ (٦) ، قُمْ يا يزيد فتكلَّم .

---

(١) سورة الرعد : ١١ .

(٢) أخلقتكم : أبليتكم .

(٣) أخرقتكم : سببت لكم الخرق وهو الحمق .

(٤) دل : جرأ ، من الدلال .

(٥) البيت لقيس بن زهير العبسى .

(٦) الأشدق : الواسع الشدقين .

ذكر أنَّ الحجاجَ لما أكرهَ عبدَ الله بنَ جعفرٍ على أن يزوِّجه ابنته (١) استأجله في نقلها سنة ، ففكر عبدُ الله في الانفكاك منه ، فألقي في روعه خالدُ بنُ يزيد ابن معاويةَ ، فكتب إليه يُعلمه ذلك . وكان الحجاجُ تزوجها بإذن عبد الملك ، فوردَ على خالد كتابُه ليلاً ؛ فاستأذن من ساعته على عبد الملك ؛ فقيل : أفي هذا الوقت ؟ فقال : إنه أمرٌ لا يؤخَّر ، فأعلم عبدُ الملك بذلك . فأذن لهُ ، فلما دخل إليه قال عبد الملك : فيمَ السُّرى (٢) يا أبا هاشم؟ قال : أمرٌ جليلٌ ، لم آمن أن أؤخره ، فتحدثَ عليَّ حادثةٌ ، فلا أكونَ قضيتُ حقَّ بيعتك . قال : ما هو ؟ قال : تعلمُ أنّه كان بين حيّين من العداوةِ والبغضاءِ ، ما كان بينَ آلِ الزبير وبيننا ؟ قال : لا . قال : فإنَّ تزوُّجني إلى آل (٣) الزبير حلَّلَ لهم ما كان

---

(١) هي أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ، وأمها زينب بنت علي ابن أبي طالب .

(٢) السرى : السير ليلا .

(٣) تزوج خالد بن يزيد رملة بنت الزبير بن العوام وله فيها شعر .

في قلبي ، فما أهلُ بيتٍ أحبُّ إليَّ منهم . قال : إن ذلك ليكونُ ؟ قال : فكيف أذنتَ للحجاج أن يتزوجَ من بني هاشم ، وأنت تعلمُ ما يقولون ويقالُ فيهم ، والحجاجُ من سلطانك بحيثُ علمتَ . قال : فجزاهُ خيراً . وكتب إلى الحجاج يعزمُ عليه أن يُطلّقها . فطلّقها . فغدا الناس يُعزّونه عنها .

وكان فيمن أتاه عمرو بن عُتْبةَ بن أبي سفيان (١) ، فأوقعَ الحجاجُ بخالدٍ . فقال : كان الأمرُ لآبائهِ فعجز عنه حتى انتُزع منْه . فقال له عمرو : لا تقُل ذلك أيها الأميرُ ؛ فإن لخالد قديماً سبق إليه ، وحديثاً لن يُغْلبَ عليه ، فلو طلبَ الأمرَ اطلبهُ بجِدّ وجَدّ ، ولكنْ عام علماً فسلمَ العلم إلى أهليه . فقال الحجاجُ : يا آل أبي سفيان ؛ أنتم تحبّون أن تحلُموا ، ولا يكون الحلمُ إلا عن غضَب ، فنحن نغضبُكم في العاجل ابتغاءَ مرضاتِكم في الآجل .

---

(١) عمرو بن عتبة بن أبى سفيان ابن عم خالد بن يزيد ، قتل مع ابن الأشعث .

ثم قال الحجاج : والله لأتزوجن من هو أمس به رحماً ، ثم لا يمكنه فيه شيء ؛ فتزوج أمَّ الخلاس بنتَ عبدِ الله بنِ خالدِ بنِ أسيد .

تهدَّد عبد الملك خالداً بالحرمان ؛ فقال خالد : أتهدِّدُني ، ويدُ الله فوقك مانعةٌ ، وعطاءُ الله دونك مبذولٌ ؟ .

قال رجل لخالد بن يزيد بن معاويه : ما أقربُ شيءٍ ؟ قال : الأجل . قيل : فما أبعدُ شيءٍ ؟ قال : الأمل . قيل : فما آنسُ شيءٍ ؟ قال : الصاحب المُواتي (١) . قيل : فما أوحشُ شيء ؟ قال : الميِّت .

دخل عبدُ الملك بن مروان على يزيد بن معاوية . فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن لك أرضاً بوادي القُرى (٢) ليست لها غلَّة ، فإن رأيتَ أن تأمرَ لي بها فقال له يزيد : إنا لا نُخدع عن الصغير ، ولا نبخلُ بالكبير ، وهي لكَ .

---

(١) الصاحب المواتى . الموافق .

(٢) وادي القرى : وهو واد بين المدينه والشام ، من أعمال المدينة سمي كذلك لكثرة القرى فيه .

فلما وَلّى قال يزيد: إن أهل الكتب يدّعون أنّ هذا يرث ما نحن فيه ، فإن كان كما قالوا فقد صانعناه ، وإن لم يكن فقد وصَانَعْناه .

قال معاوية ليزيد : إنْ كنْت بعدي— وكنْتَهُ فابدأ بالخير ، فإنه يُعَفِّي (١) على الشر ، وما صنعت من شيءٍ فاجعل بينك وبين الله ستْراً ترجوه له ، وتأْملُهُ به . وإيّاك والقتل فإن الله قاتلُ القاتلين .

وصف معاويةُ الوليد بن عُتْبة (٢) فقال : إنه لبعيدُ الغَور ، ساكن الفَور (٣) ، نبتةُ أصلٍ لا يخلف ، وسليل فحل لا يُقرِف (٤) .

ودخل خالد بن يزيد دار عبد الملكِ ، وكان يسحبُ

---

(١) يعفي على الشر : يزيله ويفنيه .

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ابن أخي معاوية ، اشتهر بالفصاحة والحلم والكرم .

(٣) الفور : مصدر فار والمراد قليل الغضب .

(٤) أقرف الفرس : صار هجينا وأقرف الرجل إذا كان أحد أبويه غير عربي

ثيابه ، فقام إليه عبدُ الرحمن بن الضحاك (١) يتلقّاه معظّماً له ، فقال له : بأبي أنت وأمي ، لم تُطعم الأرضَ فضول ثيابك ؟ فقال : إني أكره أنْ أكون كما قال الشاعر :

قصيرُ الثياب فاحشٌ عند بيته
وشرُّ قريشٍ في قريشٍ مُركَّبا (١)

وهذا البيت هُجي به الضحَّاكُ . قال الجاحظ : لو لم يتكلفْ مالا يعنيه لم يسمع هذا الجواب .

قال بعضهم : كنتُ عند معاويةَ إذ دخل عبدُ الملك ، فتحدث ونهض ، فقال معاوية : إنَّ لهذا الغلام همةً ، وخليقٌ أن تبلغَ به هِمَّتُه ، وإنه مع ما ذكرتُ تاركٌ لثلاث آخذٌ بثلاث : تاركٌ مساءة الجليسِ جِداً وهزْلاً ، تاركٌ لما يعتذرُ منه ، تاركٌ لما لا يَعنيه ؛ آخذٌ بأحسنِ الحديث إذا حَدَّث ، وبأحسنِ الاستماع إذا حُدِّث ، وبأهون الأمرَين عليه إذا خولف .

---

(٥) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، قتل أبوه في موقعة مرج راهط ، واستعمله يزيد بن عبد الملك والياً على المدينة .

(١) المركب · الطبع .

وقال لعُبيد الله بن زياد : يا بن أخي ؛ احفظ عني ، لا يكونَنَّ في عسكرك أميرٌ غيرُك . ولا تقولَنَّ على منبر قولاً يخالفُه فِعلُك . ومهما غابت فلا تُغالبَنَّ على ميتةٍ كريمة .

وقال معاوية : آفةُ المروءةِ الكبرُ وإخوانُ السوء . وآفةُ العلم النِّسيانُ ، وآفةُ الحلم الذل . وآفة الجود السَّرَف ، وآفةُ القَصْدِ البخلُ ، وآفةُ المنطقِ الفحشُ . وآفةُ الجلَد الكسلُ ، وآفةُ الرزانة الكِبْرُ . وآفةُ الصَّمْتِ العيُّ ، وآفة اللبّ العُجب . وآفة الظَّرف الصلفُ ، وآفة الحياءِ الضّعف .

وقال : لاجَدَّ إلا ما أقْعَصَ عنكَ ما تكره (١) .

وقال : لا تَعِدَنَّ شيئاً ، وحسبُك جوداً أن تُعطِيَ إذا سُئِلْتَ .

وقال لابنه يزيد : ما المروءة ؟ فقال : إذا ابتليتَ صبرتَ ، وإذا أُعطيتَ شكرتَ ، وإذا وَعَدْتَ أنجزْتَ .

---

(١) الجد : الحظ . أقعص الرجل : قتله قتلا سريعاً .

قال : أنتَ مني ، وأنا منك يا يزيد .

وقال معاويةُ : المروءة مؤاخاةُ الأكفاءِ ومُداجَاةُ (١) الأعداء .

وقال : ما وجدتُ لَذَّةَ شيءٍ ألذَّ عندي غِبّاً (٣) من غيظٍ أتجرّعُهُ ، ومن سَفَهٍ بالحِلْمِ أقْمَعُهُ .

وأغلظَ له رجلٌ فاحتملَه ، وأفرطَ عليه فحلم عنه ؛ فقيل له في ذلك . فقال : لا نَحُولُ بينَ الناسِ وألسنتِهم مالم يحولوا بيننَا وبين ماكنا .

وقال لابنه : يا بني ، اتّخذِ المعروفَ عند ذوي الأحسابِ تَستَميلْ به قلوبَهم ، وتعظُم بهِ في أعيُنِهم ، وتكفَّ به عنك عاديتهم .

* * *

---

(١) المداجاة : المداراة ، وعدم إظهار العداوة

(٢) الغب : العاقبة .

الباب الثاني

كلام مروان بن الحكم[1]

وولده في الخلفاء

كتب مروان إلى النُّعمانِ (١) بنِ بشيرٍ يخطبُ إليه ابنته أُمَّ أبانٍ لابنه عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من مروانَ بنِ الحكَمِ إلى النُّعمانِ بنِ بشيرٍ . سلامٌ عليكَ . فإنّي أحمَدُ إليكَ اللهَ الذي لا إله إلا هُو .

أما بعدُ ؛ فإن اللهَ ذَا المنِّ والبرهانِ ، والعَظَمَة والسُّلطان ؛ قد خصّكُم — معاشرَ الأنصارِ — بِنُصْرةِ

(١) مراوان بن الحكم ولد سنة ٢ هـ استكتبه عثمان بن عفان وولاه معاوية المدينة ومكة والطائف ، تولى الخلافة واستمر بها أشهراً ، ومات سنة ٦٥ هـ .

(٢) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ، ولد قبل وفاة الرسول بثمان سنين .

دينه ، وإعزازِ نبيِّه محمد — صلى الله عليه وسلم — وقد جعلكَ منهم في البيتِ العميمِ ، والفرعِ القديم وقد دعاني إلى إحباب مُصاهرتِك والإيثارِ لك على الأكْفاءِ من ولد أبي . وقد أحبَبتُ أن تُزَوِّجَ ابني عبدَ الملك بنَ مروان ابنتَك أمَّ أبانٍ بنتَ النعمان ، وقد جعلت صَداقَها ما نَطَقَ به لسانُكَ وترنَّمَتْ به شَفَتَاكَ ، وبلغه مُناك . وحَكَمْتَ بِهِ في بيتِ المالِ قِبَلكَ .

وقال مروانُ لابنه : آثِر الحقَّ ، وحَصِّنْ مملكَتَكَ بالعدل ، فإنّه سورُها المنيعُ الذي لا يُغرِقُهُ ماءٌ ، ولا تحرِقُه نارٌ ، ولا يهدِمُهُ منجنيقٌ (١).

وذكر أبو هريرة معاويةَ في مجلس فيه مَروانُ فاغتابَه ، ثم خاف أن يبلُغَ معاويةَ ذلك ؛ فقال : إنَّ رسول الله صلى الله عليه قال : « المَجَالِسُ بالأَمَانَةِ » ، وسأل مروانَ أن يكتُمُ عليه .

---

(١) المنجنيق : آله ترمى بها الحجارة .

فقال مَروانُ : واللهِ . لَمَا ركبتَ مني في ظنِّكَ بي أني أنقلُ حديثَكَ أعظمُ مِمَّا رَكِبتَ من معاوية .

عَبْدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ

خطب فقال : أيُّها الناسُ ، اعملُوا لِلهِ رغبةً أو رهبةً ، فإنكم بناتُ نعمته ، وحَصيدُ نِقْمتِه ، ولا تَغرسُ لكم الآمالُ ما تَجتَنيِه الآجالُ . وأقِلُّوا الرغْبةَ فيما يورِثُ العطَب ، فكلُّ ما تزرَعُهُ العاجلةُ تقلعُهُ الآجلةُ . واحذَرُوا الجديدَين ؛ فهما يَكرَّان عليكم باقْتِسام النُّفوسِ ، وَهَدْمِ ، المأسوسِ . كفانا اللهُ وإياكم سَطْوةَ القَدَرِ ، وأعاننا بطاعتِه عن الحذَرِ من شرِّ الزَّمَن ، ومُعضِلاَت الفِتَن .

استأْذن رجلٌ عليه ، فأذِنَ له ، فوقفَ بين يديه ووَعَظَهُ ؛ فقال عبدُ المَلِكِ لرجلٍ : قُلْ للحاجب ، إذاجاء هذا فلا تَمْنَعْهُ ، وإنما أراد أن يَعْرِفَهُ الحاجبُ فلا يأْذنَ له .

وقال : إني لأَعرِفُ عزّةَ الرجلِ من ذلته بجِلسته .

وقال له ابنهُ الوليد : ما السياسةُ ؟ قال : هيبةُ الخاصةِ مع صدقِ مودّتها ، واقتيادُ قلوب العامةِ بالإنصاف لها ، واحتمالُ هفَوات الصنائع .

ودخل الشّعبيُّ عليه ، فخطّأه في مجلس واحد في ثلاثٍ ، سَمِع الشعبيُّ منه حديثاً ؛ فقال : أكْتِبنيه . فقال : نحن معاشرَ الخلفاء لا نُكْتِبُ أحداً شيئاً . وذكر رجلا فكَنَّاه فقال : نحن معاشرَ الخلفاء لا يُكَنَّى الرجالُ في مجالسنا ، ودخل إليه الأخطل ، فدعا له بكرسي . فقال : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الخلفاء لا تُسأَل ، فأخجله في أول مقام .

وقال لأخيه عبد العزيز (١) حين وجّهه إلى مصر : تَفَقَّد كاتِبَك وحاجبَك وجليسَك؛ فإنَّ الغائبَ يخبره عنكَ كاتبُك ، والمتَوسِّمَ (٢) يعرِفُك بحاجِبك والخارجَ من عندك يعرفك بجليسك .

---

(١) عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، والد عمر بن عبد العزيز ، ولد في المدينة ، وولاه مروان مصر ، فكانت إقامته بحلوان . توفي سنة ٨٥ هـ .

(٢) المتوسم : المتفرس المتخيل .

وقال : أفضلُ الرجالِ مَنْ تواضعَ عن رفعة ، وزهد عن قُدرةٍ ، وأنصف عن قوة .

وقال : الهَديَّةُ السِّحْرُ الظَّاهِرُ .

وقال لِمُعَلِّمِ ولدهِ : رَوِّ بَنِيَّ الشِّعْرَ يعرفُوا به مكارِمَ الأخلاق ، ولا تروِّهم شعرَ هُذَيْلٍ (١) فتزيِّنَ لهم الفِرار ، ولا شِعْرَ أُحَيْحَةَ بنِ الجُلاحَ (٢) فتحسِّنَ لهم البُخْلَ ؛ وأطعمهمُ اللحمَ تشتدُّ قُلُوبُهم ، وجُزَّ أشعارَهم تَغْلُظْ رقابُهم .

وقال : اطلبوا معيشةً لا يقدرُ سلطانٌ جائِر على غَصْبِها . فقيل : وما هو ؟ قال : الأدب .

دخل إليه أعرابيٌّ فبرك بين يديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الناقة إذا مَنَعَتِ الحلْبَ قوَّمَتْها العَصا ؛ فقال عبد الملك : إذاً تكفِيء الإناء ، وتكسرُ أنف الحالِب .

---

(١) هذيل الأشجعي شاعر أموي ، عمي في أواخر أيامه .

(٢) أحيحة بن الجلاح بن الحريش : شاعر جاهلي .

وقال لزُفر بن الحارث (١) : ما ظنّك بي ؟ قال : ظني بك أنك تقتلني ؛ فقال : قد أكذَب اللهُ ظنّك ، وقد عفوتُ عنك .

ونازعه عبدُ الرحمن بنُ خالدِ بن الوليدِ (٢) ، فأربَى عليه ، فقيل له : لو شكوتَه إلى عمّه لا نتقم لك منه ؛ فقال : مثلي لا يشكو ، ولا أعدُّ — أنا — انتقام غيري لي انتقاماً ؛ فلما استخلف قيل له في ذلك ؛ فقال : حِقدُ السُّلطان عجز .

قال عمرو بن عبيد (٣) : كتب عبدُ الملك وصيةً بيده ، وأمر الناس بتدبُّر ما فيها وهي :

---

(١) كان زفر بن الحارث الكلابي قد خرج على عبد الملك ، مع الضحاك بن قيس ، ولما قتل الضحاك في مرج راهط تحصن زفر بقرقيسها على نهر الفرات إلى أن مات سنة ٧٥ هـ .

(٢) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، قائد شديد البأس من التابعين ، شهد صفين مع معاوية ، كما شهد فتوح الشام ومات سنة ٤٦ هـ

(٣) عمرو بن عبيد ، شيخ المعتزلة ، كان أبوه شرطياً للحجاج وهو فارسي الأصل . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٢ هـ .

إن الله جعل لعباده عُقولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم على طاعته ؛ فالناسُ بين مُحسِنٍ بنعمة الله عليه ، ومُسيء بخذلان الله إيّاه ، ولله النعمة على المحسن والحجةُ على المسيء ، فما أولى بمن تَمَّت عليه النعمةُ في نفسه ، ورأى العِبْرَة في غيره ، بأنْ يضع الدنيا حيثُ وضعها الله ، فيعطي ما عليه منها ولا يكترثُ بما ليس لهُ فيها ، فإنَّ الدنيا دارُ فناءٍ ولا سبيل إلى بقائِها . ولابد من لقاء الله ، فأحذّركم الله الذي حذَّركم نفسَه ، وأوصيكم بتعجِيل ما أخَّرته العَجزَةُ قبل أن تصيرُوا إلى الدار التي صارُوا إليها ، فلا تقدرون فيها على توبةٍ . وليست لكُم منها أوْبَةٌ ، وأنا استخلفُ الله عليكم ، وأستخلفه منكُم .

وأذن يوماً لخاصَّتِه ، فأخَذوُا مجالسهم ، وأقبل رجلٌ منهم على عَيب مُصعب بعد قتله ؛ فنظر إليه عبدُ الملك نَظر كراهية ، لِما قال ، ثم قال : أمسِكْ . أما عِلمتَ أنَّ مَنْ صَغَّر مقتولاً فقد أزرى بقاتله .

* * *

الوَليدُ بنُ عبدِ المَلِكِ (١)

جاء إليه رجلٌ فقال : إنّ فلاناً نالَ منكَ . قال : أتريدُ أن تَقْتصّ أوتارك مِن الناس بي ؟ .

وهرب من الطاعون ، فقال له رجل : يا أميرَ المؤمنين إن الله تعالى يقول : « (لَن يَنفعكُمُ الْفِرارُ إن فررتُم مِن الْموتِ أوِ القَتْلِ وإذاً لاّ تُمَتَّعُونَ إلاّ قليلاً) » (٢) فقال الوليد : إنما نُريدُ ذلك القليل .

وقال له رجلٌ : إن فلاناً شَتَمَك ، فأكبّ ، ثم قال : أراهُ شتَمك .

وكان الوليدُ لَحّاناً ، فدخل عليه يوماً رجلٌ من العربِ ، فقال له الوليدُ : ما شانَك ؟ قال : أودٌ (٣) في أنْفِي واعوجاجٌ . فقال له رجلٌ من أصحابه : إنّ أميرَ المؤمنينَ يقولُ لك : ما شأنُك ؟ فقال : كذا وكذا .

---

(١) ولد الوليد بن عبد الملك سنة ٤٨ هـ ، وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه ، وافتتح في عهده الهند والترك والأندلس وهو باني الجامع الأموي بدمشق . توفي سنة ٩٦ هـ .

(٢) سورة الأحزاب ، ١٦ .

(٣) الأود : العوج .

ولما مات عبدُ الملكِ صعِدَ الوليدُ المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : لم أرَ مثلَها مُصيبة ولم أر مثله ثواباً : موتُ أمير المؤمنين ، والخلافةُ ؛ فإنّا لله وإنا إليه راجعون على المصيبةِ ، والحمدُ لله رب العالمين على النعمةِ انهضُوا فبايعُوا على بركة الله .

مات لعبدِ الملك ابنٌ ، فجاء الوليدُ فعزّاه ؛ فقال : يا بني ، مُصيبتي فيك أعظمُ من مصيبتي بأخيك ، متى رأيتَ ابناً عزّى أباه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أمي أمرتني بذلك . قال : هو من مشورة النساء .

وروي أنّ الوليد قام على المنبر بعد موت عبد الملك ، فقال :

يالها مصيبةٌ ما أفجعها وأعظمها ، وأشدها وأوجعها وأغمها موتُ أمير المؤمنين ! ويالها نعمةٌ ما أعظم المنّة من الله تعالى عليّ فيها ، وأوجب للشكر له بها ، خلافتُه التي سُرِبلتُها (١) .

فكان أولَ من عزّى نفسه وهنأها بالخلافة .

---

(١) سربلتها : ألبستها كالسربال . وفي الكلام استعارة .

فأقبل غيلان بنُ مَسْلَمَة الثّقَفِي (١) ؛ فسلم عليه بالخلافة ، ثم قال : أصبحت يا أمير المؤمنين ورِثتَ خير الآباءِ ، وسُمّيت خيرَ الأسماء ، وأُعطيت أفضلَ الأشياء ، فعزمَ اللهُ لك على الرَّزيّةِ بالصبرِ ، وأعطاك في ذلك نوافلَ الأجرِ ، وأعانك في حسن ثوابه على الشكر ، ثم قضى لعبدِ الملك بخير القَضيّةِ ، وأنزله المنازلَ الرضيّة.

فأعجبهُ كلامُه وقال : أثقفيٌّ أنت ؟ قال : نعم وأحدُ بني مُعتب . فسأله : كم هو من العطاء ؟ فقال : في مائة دينار . فألحقه بشرفِ العطاء ، فكان أول من ألحق بشرف العطاء .

* * *

سُلَيمَانُ بنُ عبدِ المَلِك (٢)

تكلّم وفدٌ بين يدي سليمان فأخطؤوا ، وتكلّم بعدهم

---

(١) غيلان بن مسلمة الثقفي شاعر جاهلي أدرك الإسلام وتوفي سنة ٢٣ هـ .

(٢) سليمان بن عبد الملك ، الخليفة التالي بعد الوليد ، ولد بدمشق سنة٥٤ هـ، وولي الخلافة سنة ٩٦هـ . فتح في عهده جرجان وطبرستان ، وتوفي سنة ٩٩ هـ

رجلٌ فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامَه بعد كلامكم سحابةٌ لبّدت عجاجة (١) .

وقال : عجبتُ لهذه الأعاجم ، ملكتْ طول الدهر ، فلم تحتج إلى العرب ، وملكت العربُ فلم تستغن عنهم .

وتغدّى سليمانُ بن عبد الملك عند يزيدَ بنِ المهلّبِ (٢) ، فقيل له : صِف لنا أحسن ما كان في منزلِه . قال : رأيتُ غلمانه يخدمونه بالإشارةِ دون القول .
وقال : قد أكلنا الطيّب ، ولبِسنا اللّيّن ، وركبنا وامتطينا الفارِه العذراء ، فلم يبق من اللذّتي إلا صديقٌ أطرحُ بيني وبينه مؤونة التّحفّظ .

سمع سليمانُ رجلاً من الأعراب في سنةٍ جدْبةٍ يقول:

ربَّ العبادِ مالنَا ومالكَا ؟

قد كنت تسقينَا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث ، لا أبَا لكا (٣)

---

(١) العجاجة : ما ثار من الغبار .
(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، قائد شجاع ولد سنة ٥٣ هـ .
(٣) إن لا أبالك تذكر عند المدح ، أي لا مثال لأبيك .

فقال سليمان : أشهد أنه لاأبا لَه ، ولا ولد له ولا صاحب . قال المُبَرِّد : فأَخرجَهُ أحسنَ مُخْرَجْ .

قال سليمان ليزيد بن المهلَّب : ثلاثٌ أنكرُهُنَّ منكَ ؛ خُفُّك أبيضُ مثلُ ثوبِك ، ولا يكونُ خفُّ الرجلِ مثل ثوبه ؛ وطيبُك ظاهر ، وطيبُ الرجلِ يُشَمّ ، ولا يُرى أثرُه ؛ وتكثرُ منْ مَسِّ لِحيْتك . قال : فغيّر خُفَّه وطيبه .

وقال : ماراأيتُ عاقلاً يَهُمُّ بأمرٍ إلاّ كان مُعَوَّلُه على لحيته .

وخطب فقال : الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء رفع ، ومن شاء وضع ، ومن شاء أعطَى ، ومن شاء منع . إن الدنيا دارُ غرورٍ ، ومنزلٌ باطلٍ وزينةٍ ، تَقَلَّبُ بأَهلِها ، تُضْحِكُ باكياً ، وتُبكي ضاحكاً ، وتُخيفُ آمِناً ، وتُؤمِّن خائفاً ، تُفْقِر مُثْرِيَها ، وتُقرِّبُ مُقْصِيَها ، ميَّالةٌ لاعبةٌ بأهلِها . عبادَ اللهِ ؛ اتخذُوا كتاب اللهِ إماماً ، وارضوا به حَكَماً ، واجعلوه لكم قائداً ؛ فانه ناسخٌ لِما كان قبلَه ، ولن ينسخه كتابٌ بعده . اعلموا — عباد الله — أنّ هذا القرآن يجلُو

كيد الشيطان وضغائنه (١) ، كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفّس أدبَار الليل إذا عسعس (٢) .

* * *

يَزِيدُ بنُ عبد المَلِكِ (٣)

كتب إليه عبدُ الرحمن بن الضَّحاك بن قيس يستأذنُه في غلام يهديه إليه ، فكتب إليه يزيدُ : إن كنتَ لابد فاعلاً فليكن جميلاً ظريفاً لبيباً أديباً كاتباً ، فقيهاً حُلواً ، عاقلاً أميناً سَرِيّاً ، يقولُ فيحسن ، ويحضُر فيَزيِّن ، ويغيب فيُؤْمنُ .

فكتب إليه : قد التمستُ صِفَةَ أمير المؤمنينَ ، فلم أجدها إلا في القاسمِ بن محمد ، وقد أبى أهلُه بَيعهُ .

* * *

---

(١) الضغائن : الأحقاد .

(٢) عسعس : يقال : عسعس الليل : إذا أقبل ظلامه أو أدبر .

(٣) يزيد بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٧١ هـ ، وتولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٤ هـ وتوفي سنة ١٠٥ هـ .

هِشَامُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ (١)

ذكَرَ خالدُ بن صفوان(٢) خالدَ بن عبد اللّه القسري عند هشام ، فقال هشَام : إن خالداً أدَلَّ فأملَّ(٣) ، وأوجفَ فأعجفَ(٤) ، ولم يترك لأوْبةٍ مَرْجعا ، ولا للصلح مَوْضِعاً ، وإني لكما قال الشاعر(٥) :

إذا انصرفَتْ نفسي عن الشيء لم تكَدْ
إليه بوجهِ آخِرَ الدَّهــرِ تُقبلُ

نهض هشام عن مجلسه مرةً ، فسقط رِداؤه عن منكبه ، فتناوله بعضُ جلسائه ؛ ليرده إلى موضعه ، فجذبه هشامٌ من يده ، وقال : مهلاً ، إنا لا نَتخذُ جُلساءَنا خوَلاً(٦) .

---

(١) هشام بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٣١ هـ ، وتولى الخلافة سنة ١٠٥ هـ ، بنى الرصافة وكان يسكنها صيفاً ، وتوفي سنة ١٢٥ هـ .

(٢) خالد بن صفوان بن عبد الله المنقري ، من فصحاء العرب .

(٣) أدل بالمحبة فأفرط ، وأدل فأمل مثل يضرب لذلكِ .

(٤) أوجف الدابة : حثها ، وأعجفها : أهزلها .

(٥) قائل البيت معن بن أوس المزني .

(٦) الخول : العبيد والإماء والحاشية ونحوها . يستوى في لفظه المؤنث والمذكر والمفرد والجمع .

عُدّتْ لهشام – مع دهائه – سقطتان إحداهما :
أن الحاديَ حدا به ؛ فقال :

إنَّ عليكَ أيهـــا البُخْتيُّ(١)
أكرمَ منْ تمشي بـــه المَطِيُّ

فقال هشام : صدق .

والأخرى : أنه ذُكر عنده سليمانُ بن عبد الملك ؛ فقال : واللّه لأشكونّه يوم القيامة إلى أمير المؤمنينَ عبدِ الملك .

وقال له مَسْلَمةُ أخوه : كيف تطمعُ في الخلافةِ وأنتَ بخيلٌ . وأنتَ جبانٌ ؟ قال لأنّي حليمٌ وأني عفيف .

* * *

الوليدُ بنُ يزيدَ (٢)

أُتي هشام بعُودٍ ؛ فقال للوليد : ما هذا ؟ قال : خشب يُشقّق ثم يرقّق ، ثم يُلْصَق ثم تعلّق عليه

(١) الجمال البختية : الخراسانية ، والبختي صفة للجمل منها .

(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولد سنة ٨٤ هـ وولي الخلافة سنة ١٢٥ هـ.

أوتارٌ فينطق فتضرب الكرامُ رؤوسَها بالحيطانِ سروراً به . وما في المجلس أحدٌ إلا وهو يعلمُ منهُ ما أعلمهُ ، وأنت أولهُم يا أمير المؤمنين . .

وقد قيل : إنَّ هذا الكلامَ هو للوليد بن مَسْعَدة الفَزَاري مع عبد الملك بن مروان .

وحكى بعضُهم قال : رأيتُ هشام بنَ عبد الملك يوم تُوفي مَسْلمةُ بن عبد الملك إذ طلعَ الوليد وهو نَشوانُ يجرُ مطْرَفَ خزٍّ ، فوقف على هشام ، فقال :

يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ عُقبىَ من بقي لحوقٌ بمن مضَى ، وقد أقفْرَ بعدَ مسلمةَ الصَّيدُ(١) لمنْ رمى ، واختل الثغرُ(٢) فوهى ، وعلى إثر من سلفَ يمضي من خلَفَ ؛ فتزودُوا ، فإن خيرَ الزَّادِ التَّقوى . قال : فأعرض هشامٌ ولم يحر جواباً ووجم الناس .

---

(١) أقفر الصيد : أمكن الصيد من فقاره لراميه والمعنى أن مسلمة كان يغزو العدو ويرده ، فحين مات اختل بلد الاسلام وأمكن لمن يتعرض إليه .

(٢) الثغر : الحد مع العدو .

وقيل : كان عمرُ بنُ الخطاب — رضي الله عنه — يأخذ بيده اليمنى أُذنهُ اليسرى(١) ثم يجمع جراميزَه(٢) ويثبُ ؛ فكأنما خُلِقَ على ظَهْرِ فرسِه ، فكان الوليدُ ابنُ يزيد يفعلُ مثل ذلك ، وفعلَهُ مرةً وهو ولي عهدِه ، ثم أقبل على مسلمة بن هشام(٣) : فقال له : أبوكَ يُحسنُ مثل هذا ؟ فقال مسلمةُ : لأبي مائةُ عبد يحسنُونَ هذا . فقال الناس : لم ينصفْه في الجواب .

* * *

يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبْدِ الملِكِ (٤)

لما قُتل الوليدُ بنُ يزيدَ قام يزيدُ خطيباً ؛ فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

أيُّها الناس ؛ والله ما خرجتُ أشَراً ولا بَطَراً ،

(١) المراد « بأذنه اليسرى » أذن الفرس .

(٢) جراميزه : مجموع بدنه .

(٣) مسلمة بن هشام بن عبد الملك من القواد ، مات في خلافة أبيه .

(٤) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الملقب بالناقص ، ولد سنة ٨٦ هـ ، وثار على ابن عمه الوليد بن يزيد وقتله ، وتولى الخلافة سنة ١٢٦ هـ ولم يمكث بها غير خمسة أشهر ، وتوفي في السنة نفسها .

ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبةً في الملكِ ، وما بي إطراءُ نفسي ، وإني لظلومٌ لنفسي إن لم يرحمني ربّي ؛ ولكني خرجتُ غضباً للّه ولدينه ، وداعياً إلى اللّهِ ، وإلى سُنةِ نبيه ، لما هُدِمَت معالمُ الهُدى ، وأُطْفِيءَ نورُ أهلِ التقوى ، وظهر الجبارُ العنيد ، المستحلُ لكلّ حرمةٍ ، والراكبُ لكلّ بِدعةٍ ، مع أنه واللّهِ ما كانَ يؤمنُ بيوم الحساب ؛ وإنه لابنُ عَمي في النسب ، وكُفْئِي في الحسب .

فلما رأيت ذلك استخرتُ اللّه في أمري ، وسألتُه ألا يكِلَني إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك منْ أجابني من أهلِ ولايتي ، حتى أراحَ اللّهُ منه العبادَ ، وطهّر منه البِلادَ بحولِ اللّهِ وقوتهِ ، لا بحولي وقوتِي .

أيها الناس ؛ إن لكم عليّ ألا أضَعَ حجراً على حجر ، ولا لبنةً على لَبِنة . ولا أكْرِي(١) نهرا ، ولا أكنِزَ مالاً ، ولا أعطيَه زوجةً ولا ولدا ، ولا أنقلَ مالاً من بلد إلى بلد ، حتى أسُدَّ فقْرَ ذلكَ البلدِ وخَصَاصةَ

---

(٢) كرى النهر، يكريه ويكروه : حفره .

أهليه(١) ، بما يُغنيهم . فإنْ فضلَ نقلته إلى البلدِ الذي يليهِ ممن هوَ أحوجُ إليه منه ، ولا أُجمِّركم(٢) في بعوثِكم فأفتنكُم ، وأفتنَ أهليكم ، ولا أغلقَ بابِي دونكم فيأكل قويُّكُم ضعيفَكم ، ولا أحملَ على أهل جِزْيتكم ما أُجليهم به من بلادِهم ، وأقطعَ نَسلَهم ، ولكنَّ عندي أعطياتِكم في كل سنَةٍ ، وأرزاقِكُمُ في كل شهرٍ ، حتى تستدِرَّ(٣) المعيشةُ بين المسلمينَ ، فيكونَ أقصاهم كأدناهم .

فإنْ أنَا وفيتُ لكم فعليكُمُ السمعُ والطاعةُ ، وحسنُ المؤازرهِ والمكانَفَةِ(٤) ، وإنْ أنَا لم أوفِ لكم فلكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبُوني ؛ فإن تُبْتُ قبلتُم مني .

وإن عرفْتُم أحداً يقومُ مقامي ممَّن يُعرفُ بالصلاح ، يعطيكُم من نفسه مثلَ ما أعطيتُكُم ، فأردتُم أن تبايعُوه ، فأنا أولُ من بَايعه ، ودخَل في طاعتهِ .

* * *

(١) الخصاصة . وكذلك الخصاص ، الفقر وسوء الحال والحاجة .

(٢) جمر الجند حبسهم في الثغور عند أرض العدو .

(٣) استدر . كثر .

(٤) المكانفة . المعاونة .

مَسْلَمَةُ (١)

قال : عجبتُ لمن أحفى شعرَهُ(٢) ثم أعفَاه ، وقصَّرَ شاربَه ثم أطاله ، أو كان صاحبَ سَرارِيَّ(٣) ؛ فاتَّخَذَ المُهَيْراتِ(٤) .

ولما حضرته الوفاة أوصَى بثلُث مالِهِ لأهلِ الأدبِ ، وقال : صناعةٌ مجفوٌّ أهلُها .

وكان إذا كثُرَ عليه أصحابُ الحوائجِ وخَشِيَ الضَّجر أمر أن يُحضَر ندماؤه من أهلِ الأدب ؛ فيتذاكرون مكارمَ الناس وجميل طرائقِهِم ومروءاتهم فيطربُ ، ويهيجُ ، ثم يقول : ائذنوا لأصحاب الحاجة ؛ فلا يدخل أحد إلا قضى حاجته .

وقال له هشام : يا أبا سعيد ؛ هل دخلَك ذُعرٌ

---

(١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من أبطال بني أمية ، وله فتوحات شهيرة ، توفي بالشام سنة ١٢٠ هـ تقريباً .

(٢) أحفى الشعر : قصره وخفف منه .

(٣) السراري : جمع سرية وهي الأمة .

(٤) المهيرات : ذوات المهر .

قطُّ لحربٍ شهدْتَها أو لعدوٍّ ؟ قال : ما سلمتُ في ذلك من ذُعرٍ ينبِّه عليَّ حيلةً ، ولم يَغْشَنِي فيها ذعرٌ يسلُبُني رأيي . قال هشام : هذه البَسَالة .

ودخل على عُمرَ بنِ عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه ؛ فقال : ألاَ توصِي يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : بِمَ أُوصي ؟ فو اللّه إنْ لي من مالٍ(١) . فقال : هذه مائةُ ألفٍ ، مُرْ فيها بما أحببتَ . قال : أو تَقْبَلُ ؟ قال : نعم . قال : تَرُدُّها على من أخذْتَها منه ظلماً . فبكى مَسلمةُ ثم قال : يرحمك اللّهُ ، لقد ألَنْتَ منّا قلوباً قاسيةً ، وأبقيتَ لنا في الصالحين ذكرا .

واستبطأ عبدُ الملك ابنهَ مسلمةَ في مسيرهِ إلى الروم ؛ فكتب إليه :

لِمَنِ الظّعائنُ سيرُهُنّ تَزَحّفُ؟
سَيْرَ السفينِ إذا تقاعسَ يُجْدَفُ(٢)

---

(١) إن نافية بمعنى ليس ومن زائدة

(٢) البيت لأعشى همدان ، مطلع قصيدة قالها وهو أسير ببلاد الروم

فلما قرأ مسلمةُ الكتابَ ، كتب في جوابه :

ومستعجبٍ مِمَّا يَرَى من أناتِنا
ولو زَبنَتْهُ(١) الحربُ لم يترمرَمِ(٢)

* * *

مَرْوَانُ بنُ مُحَمَّد (٣)

دخل عبد الرحمن بن عطية التغلبي على مرْوانَ بنِ محمد ، فاستأذنه في تقبيل يده فأعرضَ عنه ، ثم قال له : قد عَرف أميرُ المؤمنين موضعَك في قومك ، وفضْلَكَ في نفسك ، وتقبيلُ اليدِ من المسلمِ ذِلةٌ ، ومن الذمّي خديعةٌ ولا خيرَ لكَ في أن تَنْزِلَ بَينَ هاتين .

قالوا : كان يأخذ مرْوانُ بنُ محمد كلَّ سَنَةٍ من الخزانة قباءين(٤) ، فإذا أخلَقَهما ردَّهما إلى الخزانة وأخذ جَدِيدين .

---

(١) زبنته الحرب : دفعته وصدمته

(٢) يترمرم : يحرك فاه بالكلام . والبيت لأوس بن حجر .

(٣) مروان بن محمد بن مروان ، وهو ابن أخي عبد الملك بن مروان ، آخر الخلفاء الأمويين ، ولد سنة ٧٣ هـ استولى على الملك سنه ١٢٧ هـ ، هزم في موقعة الزاب ، وقتل بمصر سنة ١٣٣ هـ

(٤) قباءين : مثنى قباء ، وهو نوع من الثياب

كتب إلى بعض الخوارج : إني وإيّاكَ كالزجاجةِ والحجرِ؛ إن وقعَ عليها رَضَّها ، وإن وقعت عليه فَضَّها.

قال الأصمعي : لما وَلِيَ مرْوانُ الخلافةَ أرسلَ إلى ابن رغبان(١) — الذي نُسب إليه بعد ذلك مسجدُ ابنِ رَغْبَانَ — ليولِّيَه ، فرأى له سجَّادَةً مثل رُكبةِ البعير ، فقال . يا هذا ؛ إن كان مابكَ مِن عبادةٍ فما يحلُّ لنا أن نشغَلَك . وإن كان من رياءٍ فما يحلُّ لنا أن نستعمِلَك .

قال ٢) عبد الحميد : تعلَّمتُ البلاغةَ من مَرْوَان ، أمرني أن أكتبَ في حاجةٍ فكتبتُ على قدر المُوسع ؛ فقال لي : اكتب ما أقول لك :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما آنَ للحُرمةِ أن تُرعى ، وللدَّينِ أن يُقضى ، وللموافَقةِ أن تُتوخَّى !

---

(١) هو مولى حبيب بن مسلمة من قريش .

(٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد المشهور بعبد الحميد الكاتب أول من طول الرسائل ، وافتن فيها . اختص بمروان بن محمد ، وقتله العباسيون معه سنة ١٣٢ هـ .

ووقّع إلى عاملٍ بالكوفة : حابِ عِلْيةَ الناسِ في كلامِك ، وسوِّ بينهم وبين السفْلَةِ في أحكامك .

قالوا : وإنما لُقّب بالحِمار لأن أصحابَ أبي مُسْلم لما خرجُوا كانوا حَمّارةً ، فكان الواحدُ إذا استعجل حِمَاره يقول : هرْ مَرْوان . هِس ، مَرْوان(١) فلما ظفروا به استمرَّ به اللقبُ .

قال عمر بن مروانَ : عرض أبي بظهر الكوفةِ ثمانينَ ألفَ عربيٍّ ، ثم قال بعد أن وثِق في نفسه بكثرةِ العَدَدِ والعُدَدِ : إذا انقضت المدةُ لم تُغْنِ العِدَّةُ ولا العُدة(٢) .

قال بعض القرشيين : وفد على مروان بن محمد — وقد تولّى الخلافة — ونزل حرّانَ(٣) قال : فتوالت على بابه الوفودُ ؛ فخرج إلينا آذِنُه ، فقال : أميرُ المؤمنين

---

(١) هرر . هرهرت بالغنم دعوتها ، والهر ضرب من زجر الإبل وهس ، بكسر الهاء وضمها : زجر الشاة

(٢) أي لا ينفع الرجال ولا السلاح .

(٣) حران . مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام .

يغسلُ ثيابَه . فمن أراد أن يُقيمَ فليقمْ ، ومن أراد أن ينصرفَ فلينصرفْ . فجعل الناس يعجَبون من ذلك . ولم يبرح أحدٌ .

وكان يُقال : لو ذهبت دولةُ بني مروانَ على يد غير مروانَ لقال الناسُ : لو كان لها مَرْوانُ ما ذهبت .

* * *

الباب الثالث

كلام الخلفاء من بني هاشم

السفاح[1]

رفع بعضُ السُّعاةِ إليه قِصَّةً بسعايةٍ على بعضِ عماله ، فوقَّعَ فيها :

هذه نصيحةٌ لم يُرَدْ بها ماعندَ الله ، ونحن فلا نقبلُ قولَ من آثرنا على الله .

ومن كلامه : إنَّ من أدنياء الناس وَوُضَعائِهم مَن عدَّ البُخلَ حزماً ، والحِلْمَ ذُلاًّ .

ومنه : إذا عظُمت المقْدِرةُ قلَّت الشهوة ، وقَلَّ تبرّعٌ إلاَّ ومعه حقٌّ مُضَاع .

ومنه : إذا كان الحِلْمُ مَفْسَدة كان العفوُ مَعْجَزَةً ، والصبرُ حَسنٌ إلاَّ علَى ماأوتَغ الدِّين(٢) ، وأوهن

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أول خلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٠٤ هـ ولقب بالسفاح ، لقوله في إحدى خطبه « فأنا السفاح المائح » توفي سنة ١٣٦ هـ .

(٢) أوتغ . أهلك .

السلطان . والأناةُ محمودةٌ إلا عند إمكانِ الفُرصة .

قالوا : كلَّم المنصورُ أبا العباس في محمد بن عبد الله بن حسن وأهله ، فقال : ياأمير المؤمنين ، آنِسْهم بالإحسان ، فإن استوحشوا فالشرُّ يُصلح ماعجز عنه الخيرُ ، ولاتدَعْ محمداً يمرحُ في أعِنَّةِ العقوق .

فقال : يا أبا جعفر ، إنّا كذلك . ومَن شدّد نفَّر ، ومَنْ لان تَألَّفَ . والتغافُلُ مِنْ سجايا الكرامِ ، وماأحسنَ ماقال أعشى وائل(١) :

يُغضي عن العَوْراء(٢) ، أو
لا الحِلْمُ غيَّرها انتصارُهْ

وكان يقول : إنّ المقدرةَ تُصغِرُ الأمنية ، لقد كُنا نستكثر أُمورا ، أصبحنا نستقلها لأخسِّ مَنْ صحِبنا ، ثم نسجد شكرا .

* * *

---

(١) هو الشاعر أعشى بنى قيس المشهور .

(٢) العوراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة

المَنْصُورُ (١)

ذُكر يوماً ملوكَ بني مرْوان ، فقال : كان عبدُ الملكِ جبّاراً لايُبالي ماصنعَ ، وكان الوليدُ لحانًا مجنوناً ، وكان سليمانُ همّه بطنُه وفرجُه ، وكان عمرُ أعورَ بين عميانٍ ، وكان هشامٌ رجل القوم .

لما اتصل بهِ خروجُ محمدٍ وإبراهيم(٢) — رضى الله عنهما — شَنَّ(٣) عليه درعَه ، وتقلّد سيفَه وصعد المنبرَ . فحمد الله وأثنى عليه وقال .

مالي أُكَفْكِفُ عن سَعْدٍ وتَشْتُمني
ولو شتمتُ بني سعدٍ لقَد سكَنوا
جَهْلاً علينا ، وجُبناً عن عدوِّهمو
لبئستِ الخلّتانِ : الجهلُ والجُبنُ (٤)

---

(١) ثانى خلفاء العباسيين ، ولد سنه ٩٥ ه ، وولي الخلافه سنه ١٣٦ ه . نى بغداد وقويت بتشجيعه حركة الترجمة . توفي سنة ١٥٨ .

(٢) محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن العلوى : خرج أولهما سنة ١٠٤ ه بالمدينة ، وتبعه الثاني فى السنة نفسها بالبصرة .

(٣) شَن درعه . أسبغه عليه .

(٤) البيتان لقعنب بن أم صاحب شاعر إسلامي كان فى عهد الوليد بن عبد الملك .

أما والله لقد عجزوا عما قمنا به ، فما عضدوا المكافيَ ، ولاشكروا المنعم .

فماذا حاولوا ؟ أأشرب رنقا(١) على غصص ، وأبيتُ منهم على مضض ؟ كلاّ والله أصل ذا رحم حاول قطيعتها ، ولئن لم يرضَ بالعفو ليطلبنَّ مالا يوجدُ عندي ، فليُبقِ ذو نفسٍ على نفسه ، قبل أن تمضيَ عنه ، ثم لايُبكَى عليه ، ولا تذهبُ نفسٌ مسرَّةً لما أتاه .

وخطب بعد قتله أبا مسلم(٢) ، فحمد الله ، ثم أثنى عليه ، ثم قال : أمَّا بعد ، أيها الناسُ ، فإنه من نازعنا عروةَ هذا القميصِ أوطأناه خبيء(٣) هذا الغمدِ — وأومأ إلى سيفه — وإنَّ عبدَ الرحمن بايعنا ، وبايعَ الَنا على أنه مَنْ نكثَ بنا فقد حلَّ دمُه ، ثم نكثَ بنا ، فحكمنا فيه لأنفسنا حكمَه على غيره لنا ، ولم تمنعنا رعايةُ الحقِّ لهُ من إقامة الحدِّ عليه .

---

(١) الرنق : الماء المختلط بالطين .

(٢) قتل المنصور أبا مسلم سنة ١٣٧ هـ .

(٣) خبيء الغمد : ما استتر فيه والمراد السيف .

أهوى(١) هشام(٢) بن عروة إلى يَدِه ليقبّلها ، فقال له : ياأبا المنذر ، إنّا نكرِمُك عنها ، ونكرمُها عن غيرك .

استأذَن سوّارُ(٣) قاضي البصرة على المنصور ، فأذن له ، فدخل وسلّم ، فقال المنصورُ : وعليك السلام . ادنُ أبا عبدِ الله ، فقال : ياأميرَ المؤمنين ، أأدنُو على مامَضى عليه الناسُ أم على ماأحدثوا ؟(٤) فقال : بل على مامضى عليه الناسُ ، فدنا فصافحه ثم جلسَ ، فقال المنصور : ياأبا عبد الله ، قد عزَمتُ على أن أدعُوَ أهل البصرةِ بسجِلاّتهم ، وأشْرِيَتهم(٥) ، فقال : ياأمير المؤمنين ، نشدتُك الله ألا تعرض لأهل البصرة . فقال : ياسوّار ، أبأَهلِ البَصرة تهددُني ؟ والله لهمَمتُ أن آوجّهَ

---

(١) أهوى : انحط من قرب .

(٢) هشام بن عروة بن الزبير ، ولد سنه ٦١ هـ ، من علماء الحديث ، توفي ببغداد سنة ١٤٦ هـ .

(٣) سوار بن عبد الله قاضي البصرة ، تولى قضاءها سبع عشرة سنه .

(٤) يريد بما مضى عليه الناس : المصافحه ، وبما أحدثوا : تقبيل اليد .

(٥) الأشرية : جمع شرى أو شراء .

إليهم من يأخذ بأفواه سككهم وطرقهم ، ويضعُ السيف فيهم فلا يرفعهُ عنهم حتى يفنيَهم . فقال : ياأمير المؤمنين ، ذهبتَ إلى غير ماذهبتُ إليه ، إنما كرهتُ لكَ أن تتعرض لدعاءِ الأرملةِ واليتيم ، والشيخ الكبير الفاني ، والحدَث ِ الضعيف ِ . فقال : ياأبا عبدِ الله ، أنا للأرملةِ بعلٌ ، ولليتيم أبٌ ، وللشيخ أخٌ ، وللحدث ِ الضعيفِ عمٌّ ، وإنما أُريدُ أن أنظرَ في سجلاتهم وأشْرِيَتِهم لأستخرج مافي أيدِي الأغنياء ، مما أخذُوه بقوّتِهم وجاهِهِم من حقوق الضعفاء والفقراء . فقال : وفّقكَ الله للخيرِ ، وأرشدك لما يُحِبُّ ويَرضَى .

كان المنصورُ يقولُ : الملوكُ تحمل كلَّ شيء إلا ثلاثَ خلالٍ : إفشاءَ السر ، والتّعرض للحُرَم ، والقدح في الملك .

وقال : إذا مدَّ عدوُّك يدَهُ إليكَ فاقْطَعها إن أمكنك ، وإلاّ فقبلها .

وخطَبَ بمكّةَ وقد أمّلَ الناسُ عطاءه ، فقال : أيها الناس ، إنما أنا سلطانُ اللهِ في أرضِه ، أسوسُكُم

بتوفيقه وتسديده ، وخازِنُهُ على فيئِه ، أعمل فيه بمشيئته وأقسمُه بإرادته ، وقد جعلَني الله عزَّ وجلَّ قُفلا عليه ، إذا شاء أن يفتَحني فتحني ، وإذا شاء أن يُقفِلَني أقفلني ، فارغبوا إلى اللهِ أيها الناسُ في هذا اليومِ الذي عرَّفكم من فضْلِه ماأنزله في كتابه ، فقال جَلَّ اسمُه : (اليَومَ أكْملتُ لكُم دِينَكُم ، وأتممتُ عليكُم نِعمتِي ، ورَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً)(١) أن يُوفِّقَني للصواب ، ويُسدِّدني للرَّشادِ ، ويُلهِمني الرأفةَ بكُم ، والإحسانَ إليكُم ، ويفتَحني لأعطياتِكم، وقَسْمِ أرزاقِكُمفيكم، إنهقريب مجيب .

فقال ابن عيَّاشٍ المنتوفُ : أحالَ(٢) أميرُ المؤمنينَ بالمَنْع على ربِّه .

خطب المنصورُ بالكوفة فقال : الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأومن به وأتوكلُ عليه ، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده ، لاشريك له ، وأراد أن يقولَ : وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، فقال رجُلٌ : ياأمير المؤمنين ،

(١) سورة المائدة : ٣ .
(٢) أحال الغريم : زجاه إلى غريم آخر .

أذكِّركَ مَنْ تُذكِّرُ به ، فقال المنصورُ : سَمْعاً سَمْعاً لمن فهِمَ عن اللهِ ، وأعوذُ بالله أن أُذكِّر بالله وأنساه ، وأن تأخذني العزةُ بالإثم : (قد ضللتُ إذا وما أنا مِنَ المُهْتَدِين)(١) وأنتَ واللهِ ماالله أردتَ بذلك ، ولكن حاولتَ أن يُقالَ : قامَ فقالَ فعُوقِبَ فصبر ، وأهوِنْ بها وبقائلِها ! ولو صمتَّ لكانَ خيراً له ، فاهتبِلْها إذاً غفرتُها ، وإياكم وأخواتِها ، فإن الموعظةَ علينا نزلَتْ ، ومِن عندنا انبثَّت ، فرُدُّوا الأمر إلى أهله يصدِرُوهُ كما أورَدُوهُ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ورجع إلى خطبتِهِ .

وقال للمهديِّ ابنِهِ : ياأبا عبد الله ، لا تُبْرِمَنَّ أمراً حتى تفكِّرَ فيه ، فإنَّ فكرةَ العاقِلِ مرآةٌ تُريه قبيحَه وحسنه .

وقال له : ياأبا عبد الله ، الخليفةُ لايُصلِحه إلاَّ التقوى ، والسلطانُ لايُقيمُه إلاَّ الطاعةُ ، والرعيةُ لايُصلحُها إلا العدلُ ، وأولى الناس بالعفوِ أقدَرُهم على

---

(١) سورة الأنعام : ٥٦ .

العقوبةِ ، وأنْقَصُ الناس مُروءة وعقلاً مَنْ ظَلم من هو دونَه .

وقال له الربيعُ : إن لفلانٍ حقاً ، فإن رأيت أن تقضِيَه فتولِّيَه ناحيةً . فقال : ياربيعُ ، إنَّ لاتصالِهِ بنا حقاً في أموالِنا ، لافي أعراض المسلمينَ وأموالهم . إنّا لانولّي للحُرمةِ والرعاية ، بل للاستحقاق والكفاية، ولا نُؤْثِرُ ذا النسب والقرابة على ذي الدِّرايَةِ والكِتابَة ، فمن كان منكم كما وصَفْنا شاركناهُ في أعمالِنا ، ومن كان عُطْلاً (١) لم يكن عُذْرٌ عند الناس في تَوْلِيَتِنا إيّاهُ ، وكان العُذْرُ في تركِنا له وفي خاصِّ أموالنا مايسعُهُ .

* * *

المُهْدِيُّ (٢)

حُكي أن رجلاً أتى باب المهديِّ ، ومعه نعلانِ

(١) العطل . تقال للخالي من أي شيء ، وفي الأصل تقال في الخلو من الحلي للنساء

(٢) محمد بن عبد الله المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٢٧ هـ ، وتولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ كان شديداً على الزنادقة توفي سنة ١٦٤ هـ .

فقال : هما نعلاً رسول الله — صلّى الله عليه وسلم — فَعَرَفَ المهديُّ ، فأدخلَه ووصلَه ، فلما خرج قال المهديُّ : والله ما هذا نعلُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومن أين صارتْ إليه ؟ أبميراثٍ أم بشرىً (١) أم بهبة ؟ لكني كرهتُ أن يقال : أُهديَ إليه نعلُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فلم يقبلها ، واستخفَّ بحقِّها .

قال الربيعُ : لما حَبَسَ المهديُّ موسى بنَ جعفر — رضي الله عنه —(٢) رأى في النوم عليا — رضي الله عنه — وهو يقول له : يا محمد ؛ (فَهَلْ عَسَيْتُم إن تَوَلَّيْتُم أن تُفسدُوا في الأَرضِ وتُقَطِّعُوا أرحَامَكُم) (٣) قال الربيعُ : فأرسلَ إليَّ ليلاً فَراعَني ذلكَ ، وإذا هو يقرأُ هذه الآيةَ — وكان أحسنَ الناس صوتاً — فعرَّفني خبرَ الرُّؤْيا . وقال : عليَّ بموسَى بنِ جعفر . فجئتُهُ به ؛ فعانَقَه وأجلَسَهُ إلى جانبِه ، وقال : يا أبا الحسنِ ؛

---

(١) الشرى والشراء بمعنى واحد .

(٢) هو موسى بن جعفر الطالبي ، ولد سنة ١٤٥ هـ . حبسه المهدي ثم أطلقه .

(٣) سورة محمد : ٢٢ .

إنّي رأيتُ أميرَ المؤمنينَ — رضي الله عنه — فقرأ عليّ كذا .
أفتؤمّنُني أن تخرج عليّ ، أو على أحدٍ من وَلَدي ؟
فقال : والله ما ذاك شأني . فقال : صدقتَ . يا ربيعُ ؛
أعطِه ثلاثةَ آلاف دينارٍ ، ورُدَّه إلى أهلهِ بالمدينةِ .

ولما استُخلِفَ أحرج مَنْ في السجون ، فقيل له :
إنما تُزْرِي على أبيكَ ؛ فقال : لا أُزْرِي ، ولكنَّ أبي
حبس بالذنبِ ، وأنا أعفو عنه .

وولّى الربيعَ بنَ أبي الجَهم فارسَ ؛ فقال له :
يا ربيعُ ؛ آثرِ الحق ، والزمِ القصدَ ، وارفقْ بالرعيةِ ،
واعلم أنَّ أعدل الناس مَن أنصفَ الناسَ من نفسه ،
وأجوَرَهم منْ ظلمهم لغيره .

قيل : كان المهديُّ يُصلّي الصلواتِ كلَّها في المسجدِ
الجامع بالبصرة لما قَدِمَها ، فأُقيمَتِ الصلاةُ يوماً ؛
فقال أعرابيٌّ : يا أميرَ المؤمنين لستُ على طُهرٍ ، وقد رغبتُ
إلى اللهِ في الصلاة خلفَكَ ، فأْمر هؤلاء أن ينتظروني
فقال : انتظرُوه رحمكم الله؛ ودخل إلى المحرابِ ،

فوقف إلى أن أقبلَ ، وقيل له : قد جاءَ الرجلُ ؛ فعجب الناسُ من سماحةِ أخلاقِه .

هاجتْ رِيحٌ سوداءُ في أيامِ المهدي ، فرؤُي وهو ساجدٌ يقول : اللهمَّ لا تُشْمِتْ بنَا أعداءَنَا من الأُمم واحفظْ فينَا دعوةَ نبيِّنَا — صلى الله عليه وسلم — وإن كنتَ أخذتَ العامَّةَ بذنبي فهذهِ ناصيتي بيدِك (١) .

وكان المهديُّ يحبُّ الحمَامَ ؛ فأُدخِلَ عليه غياثُ بنُ ابراهيم ؛ فقيل له : حدِّث أميرَ المؤمنين وكان قد بلغه استهتارُ (٢) المهديِّ بالحمَام ؛ فقال : حدَّثني فلانٌ عن فلان عن أبي هريرة — رفعَهُ — أنه قال : « لاَ سَبْقَ إلاَّ في حافِرٍ أو نَصْلٍ أو جَنَاحٍ » (٣) ؛ فأَمر له بعشرة آلاف درهم . فلمّا قامَ ، قالَ المهدي ، وهو ينظُرُ في قَفَا غياثٍ :أشهدُ أنَّ قفَاك قفَا كذَّابٍ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإنّمَا استجلبتُ ذلكَ أنَا ، وأمَر بالحَمَامِ فذُبحت .

* * *

(١) الناصية : قصاص الشعر في مقدم الرأس . يريد : أمري بيدك ،

(٢) الاستهتار بالشيء : الولع به .

(٣) والحديث موضوع .

الهَادِي (١)

اعتلَّت أمُّه الخيزران (٢) ؛ فأراد الركوبَ إليها ، فقال عُمرُ بن بزيع (٣) ألاَ أدلُّكَ على مَا هُوَ أنفعُ من عِيادَتِها ، وأجلبُ لعافيتِها ؟ قال : بلى . قال : تجلُسُ للمظالم ؛ فقد احتاج الناسُ إلى ذلكَ ، فرجع وجلس وَوجَّه إليها : إني أردتُك اليومَ ، فعرضَ من حقِّ الله ما هو أوجبُ ، فمِلتُ إليه ، وأنَا أجيئُكَ في غدٍ إن شاءَ الله .

قال سعيد بن سَلْم الباهلي : صلَّى بنا الهادي صلاةَ الغداة فقرأ : (عمَّ يتَسَاءَلُونَ) (٤) فلما بلغ قوله تعالى : ((ألَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ مِهَاداً)) أُرْتِج

---

(١) موسى بن محمد المهدي بن المنصور ولد سنة ١٤٤ هـ ، تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ .

(٢) الخيزران بنت عطاء جارية اشتراها المهدي ، وولدت له الهادي والرشيد

(٣) عمر بن بزيع ، تولى ديوان زمام الأزمة في عهد المهدي ، وديوان الرسائل في عهد الهادي .

(٤) سورة النبأ : ١ و ٦ .

عليه ؛ فردَّدَها ولم يتجسرْ أحدٌ أن يفتتحَ عليه لهيبته ، وكان أهيبَ الناسِ ، فعلمَ ذلك فقرأ : ((أليسَ منكم رجلٌ رشيدٌ)) (١) فتفتحنا عليه ، وكنا نعدُّ هذا من محاسنه .

*　*　*

الرَّشيدُ (٢)

قال لحاجبه : احجبْ عنّي مَنْ إذا قعدَ أطال ، وإذا سأل أحالَ ، ولا تستخفَنَّ بذي الحرمةِ ، وقدِّمْ أبناءَ الدعوةِ .

عرض له رجلٌ وهو يطوفُ بالبيت ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إني أريدُ أنْ أكلِّمك بكلامٍ فيه خشونةٌ فاحتمله لي . قال : لا ، ولا كرامةَ ، قد بعثَ الله من هو خيرٌ منك إلى من هو شرٌّ منّي ؛ فقال : ((فقولا له قولاً ليّناً)) (٣) .

---

(١) سورة هود : ٧٨ .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي ، ولد سنة ١٤٨ هـ ، وتولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ١٩٣ هـ .

(٣) سورة طه : ٤٤ .

ولما احتُضِر قال : واحياني من رسول الله !

ودعا بعبد الملك بن (١) صالح وعنده وُلاةُ عَهْدِه وقوّادُ جُنْدِه ؛ فجيءَ بهِ وهو يَرْسُفُ في قَيدِه ، فلما مثل بين يدي الرشيدِ . قال الرشيدُ :

أريدُ حياتَه ويريدُ قَتْلِي
عذيرَكَ مِنْ خَليلِكَ من مُرادِ (٢)

والله لكأني أنظُر إلى شُؤْبُوبِها (٣) . وقد همع (٤)، وإلى عارضِها (٥) وقد لمع ، وإلى الوعيدِ قد أوْرَى ناراً ؛ فأقلعَ عن رُؤوسٍ بلا غَلاَصم (٦) ، ومَعَاصِم بلا بَراجم (٧) ، مهلاً مهلاً بني هاشمٍ ، فبِي سُهِّلَ لكمُ

(١) عبد الملك بن صالح العباسي ، من أمراء العباسين ، حبسه الرشيد سنة ١٨٧ هـ ، وأطلق الأمين سراحه مات سنة ١٩٦ هـ .
(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب .
(٣) الشؤبوب : دفعة المطر .
(٤) همع المطر : سال .
(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق .
(٦) الغلاصم : جمع غلصمه وهي اللحمة بين الرأس والعنق .
(٧) البراجم : جمع برجمة وهي مفصل الإصبع .

الوَعْرُ ، وصفاً لكم الكَدَرُ ، فَنَذَارِ نَذَارِ (١) من حُلولِ داهيةٍ خيوطٍ باليدِ ، لَبُوطٍ (٢) بالرِّجْلِ .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أأتكلم فذًّا (٣) أو توأماً ؟ فقال : بل فَذًّا ، فقال : اتَّقِ الله يا أميرَ المؤمنين فيما وَلاَّكَ ، وراقبه فيما استرْعاكَ ، ولا تجعلِ الشُّكرَ بموضعِ الكُفر لقول قائل يَنْهسُ اللحمَ (٤) ، ويالِغُ الدمَ ؛ فوالله لقد حَدَدْتُ القلوبَ على طاعتِك ، وذلَّلتُ الرجال لمحبتك ، وكنتُ كما قال أخو بني كلابٍ (٥) .

ومقامٍ ضيِّقٍ فرَّجْتُهُ
ببياني ، ولساني ، وجدَلْ
لو يقومُ الفيلُ أو فيَّالهُ
زلَّ عنْ مِثْلِ مَقامي وزحَلْ (٦)

---

(١) نذار : اسم فعل أمر بمعنى أنذر .

(٢) لبوط : صيغة مبالغة من لبط الأرض : ضربها برجله ضرباً شديداً .

(٣) الفذ : الفرد .

(٤) يهنس اللحم : ينتزعه بالثنايا للأكل .

(٥) لبيد بن ربيعة .

(٦) زحل : تحول عن المكان .

فأمر بهِ فَرُدَّ إلى مَحْبِسِهِ . ثم قال : لقد دعوتَ به ، وأنا أرى مكانَ السيفِ من صَليفِ قَفاه (١) ، ثم هَاأنا قد رثيتُ له .

كتب الرشيدُ إلى الفضل بن يحيى : أطال الله يا أخي مُدَّتك ، وأدامَ نعمتَك ، والله ما منَعني من إتيانك إلا التطيُّرُ من عيادتِك ؛ فاعذِرْ أخاك ، فو الله ما قلاكَ ولا سلاكَ ، ولا استبدل بك سِوَاك .

وعاتبَتْه أُم جعفر(٢) في تقريظِه للمأمون ، دونَ محمدٍ ابنها ، فدعا خادماً بحضرته ، وقال له : وجِّه إلى محمدٍ وعبد الله خادِمَين حصيفَين يقولان لكل واحد منهما على الخلوة : مايفعلُ بهِ إذا أفضَت الخلافة إليه ؟ فأما محمدٌ فإنه قال للخادمِ : أُقْطِعك وأُعطيك ، وأُقَدِّمك . وأما المأمون فإنه رمى الخادمَ بدوَاةٍ كانت بين يديه ، وقال : يابنَ اللَّخْناء(٣) ، أتسألُني عما أفعلُ

---

(١) صليف القفا : عرضه أو رأس الفقر التي تلي الرأس .

(٢) أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور تزوجها الرشيد سنة ١٦٥ هـ وهي أول حفيدة خليفة وزوج خليفة وأم خليفة توفيت في أيام المأمون سنة ٢١٦ هـ .

(٣) اللخناء : المنتنة الرائحة .

بك يوم يموتُ أميرُ المؤمنين ، وخليفةُ ربِّ العالمين ؟ إني لأرجو أن نكون جميعاً فداءً له .

فرجعا بالخَبَر ، فقال الرشيدُ لأم جعفرٍ : كيف ترينَ ؟ ماأقدَّم ابنَك إلاَّ متابَعَةً لرأيك ، وتَركاً للحزمِ .

وسايَره يوماً عبدُ الملكِ بنُ صالح ، فقام رجل ، فقال : ياأمير المؤمنين ، طأطِيء من إشرافِه(١) ، واشدُدْ شَكائمه(٢) ، وإلاَّ أفسد عليك مُلْكَكَ . فقال الرشيدُ : ياعبدَ الملك ، ماهذا ؟ قال : حاسِدُ نعمة ، ونافسُ رُتْبَة أغضبه رِضَاكَ عنيِّ وباعدَه قُربُك مني ، وساءه إحسانُك إليَّ . فقال الرشيدُ : انْخَفَضَ القومُ وعَلوتَهم ، فتوقَّدتْ في قلوبهم جَمرةُ التأسُّف ، فقال عبد الملك : أضْرَمَها الله بالتزَيُّد عندك ، فقال : هذا لكَ ، وذاكَ لهم

---

(١) الإشراف : العلو والانتصاب

(٢) الشكائم : جمع شكيمة ، وهي الحديدة عن اللجام ، المعترضة في فم الفرس

كان الحسنُ اللؤلؤيُّ(١) يختلفُ إلى المأمون ، يُلقي عليه الفرائضَ ، فدخل عليه ليلةً وقد صلى العشاء الآخرةَ ، فجعل يُلقِي عليه ، ونَعس المأمونُ فأطبقَ جَفْنَه ، فقال الحسنَ : أنِمتَ أيها الأميرُ ؟ ففتحَ عينيه — وهو إذ ذَاكَ صبيٌّ — فقال : عامِيٌّ واللهِ لم يُغَذّ بالأدب ، خذُوا بيدِه ولاتُعيدُوه إليَّ .

فبلغ ذلك الرشيد ، فتمثل بقول زهير(٢) :

وهل يُنْبِتُ الخَطِيَّ(٣) إلاوَشيجُهُ(٤)
وتُغْرَسُ إلاَّ في مَنابِتِها النَّخْلُ

وصَعِدَ يوماً المنبرَ وقد شَغِبَ الجُنْدُ ، ثم سَكَنوا بعد إيقاعٍ بهم ، فقال :

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله على ملائكته المقرَّبينَ ، والأنبياء أجمعين .

---

(١) الحسن بن زياد اللؤلؤي ، مولى للأنصار ، تفقه بالكوفة ورحل إلى بغداد واتصل بالمأمون .

(٢) المراد زهير بن أبي سلمى .

(٣) الخطي : الرماح ، نسبة إلى خط البحرين .

(٤) الوشيجة : عرق الشجرة .

أما بعد ، فقد كان لكم ذَنْبٌ ، وكان لنا عَتْبٌ ، وكان منكم اضْطِلامٌ(١) ، وكان منَّا انتقامٌ . وعندي بعد هذا التنفيسُ عن المكروبين ، والتفريجُ عن المغمومِين ، والإحسانُ إلى المحسنِين ، والتَّغَمُّدُ(٢) لإساءةِ المُسيئينَ ، وألاَّ يُكْفَرَ(٣) لكم بَلاءٌ ، ولايُحبَسَ عنكم عَطاءٌ ، وعليَّ بذلك الوفاءُ إن شاءَ الله . ثم نزل .

قال سعيدُ بن سَلْم : كان فهمُ الرشيدِ فَهْمَ العلماءِ . أنشده العُمَاني(٤) في صفة فرس :

كأنَّ أُذنَيْهِ إذا تَشوَّفَا(٥)
قادِمةً أو قَلَماً مُحَرَّفَا

فقال الرشيدُ : دَعْ كَأَنَّ ، وقُل : تخالُ أُذنيه حتى يستوِيَ الشعر .

---

(١) اصطلم الشيء : اجتثه من جذوره .
(٢) التغمد : الستر ، وأصله من تخبئة السيف في غمده .
(٣) يكفر : يجحد .
(٤) هو محمد بن ذؤيب الدارمي ، اشتهر بلقب العماني ، ولم يكن من عمان ، شاعر رجاز متوسط من شعراء الدولة العباسية .
(٥) تشوف : نصب عنقه .

أنشد النَّمَرِيّ(١) الرَّشيدَ شِعراً يقول فيه:

ليستْ كأسيافِ الحُسينِ ولابني
حَسَنٍ ، ولاآلِ الزبيرِ الكُلَّل(٢)

فقال له الرشيد : وماتَوَلُّعك(٣) بذِكْرِ قَومٍ لاينالُهم ذمٌّ إلاّ شاطرتُهم إياه . قَدْ رَابني هذا منكَ وفيكَ ، فلاتَعُدْ لَهُ ، فإنما نفارقُهم في الملكِ وحدَه، ثم لا افتراقَ في شيءٍ بعدَه .

قال الأصمعي : قال لي الرشيد في أول يوم عزم فيه على تأنيسِي(٤) : ياعبد الملك(٥) ، أنت أحْفَظُ مِنّا ، ونحنُ أعقلُ منك . لاتعلِّمنْا في ملاءٍ ، ولاتُسرعْ إلى

---

(١) منصور بن سلمة بن الزبرقان النزاري النمري ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، حبسه الرشيد حتّى أطلقه الفضل بن الربيع ، ومات في أيام الرشيد .

(٢) الكلل : جمع كال وهو السيف لا حد له ، أو الذي لا يقطع .

(٣) تولع بفلان : شتمه وذمه .

(٤) التأنيس : الطمأنينة .

(٥) هو عبد الملك بن قريب العلامة اللغوي الأخباري ولد سنة ١٣٨هـ، وتوفي سنة ٢١٦هـ .

تذكيرِنا في خلاءٍ ، واتركْنا حتى نبتدِئك بالسؤال ، فإذا بلغتَ من الجواب قَدْرَ استحقاقِه فلا تزِدْ ، وإياك والبَدَاءَ إلى تصديقنا ، أو شِدَّةِ العجبِ بما يكونُ منّا . وعلّمْنا من العلم مانحتاجُ إليه ، على عتَبَاتِ المنابر ، وفي أعطاف الخُطَبِ ، وفواصلِ المخاطباتِ ، ودَعْنا من روايةِ حُوشِيِّ الكلامِ(١) وغرائبِ الأشعارِ ، وإياكَ وإطالةَ الحديثِ إلاّ أنْ نستدعيَ ذلكَ منكَ . ومتى رأيتَنا صادِفينَ(٢) عن الحقِّ فأرْجِعْنا إليه ما استطعْتَ ، من غيرِ تقريعٍ بالخطأ ، ولا إضْجارٍ بطُولِ التَّرْداد .

قال : قلتُ : أنا إلى حِفْظِ هذا الكلام أحوجُ منّي إلى كثيرٍ من البِرِّ .

* * *

الأمينُ (٣)

قيل لِبَعضِ العلماء : كيف كانت بلاغةُ الأمينِ ؟

---

(١) حوشي الكلام : غريبه .

(٢) صدف عن الحق : أعرض .

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وبويع له بالخلافة سنة ١٩٣ هـ بعد وفاة الرشيد .

قال : واللهِ لقد أتته الخلافةُ يوم جُمعةٍ ، فما كان إلا ساعةً حتى نُودي : الصلاةُ جامعةٌ ، فخرج ورَقِيَ المِنْبَرَ ، فحَمِدَ اللهَ ، وأثنى عليه . ثم قال :

أيُّها الناس ، وخصوصاً يابني العباس ، إنَّ المنونَ مراصدُ ذوي الأنفاس ، حتْمٌ مِنَ اللهِ لايُدْفع حلولُه ، ولا يُنكَرُ نزولُه ، فارتجعُوا قلوبَكم من الحُزْنِ على الماضي إلى السرورِ بالباقي ، تُجزوْنَ ثوابَ الصابرين ، وتُعْطَوْنَ أجورَ الشَّاكرينَ .

فتعجب الناسُ من جُرأته ، وبِلَّةِ(١) رِيقهِ ، وشدَّةِ عارضته(٢) .

وكان المأمونُ يقولُ : كان يقول لي الرشيدُ : ودِدْتُ لو أنَّ لكَ بلاغةَ محمد ، وأنَّ عليَّ غرمَ كذا وكذا .

وذكرَ أنَّ محمداً في صِباه كان كثيرَ اللَّعِب ، وكان المعلّمُ يُلقي عليه في الكُتَّابِ ، وعلى المأمونِ ،

---

(١) بلة اللسان : انطباق الحروف على مخارجها .

(٢) شدة العارضة : كناية عن القوة .

وكان محمدٌ يلعبُ ويحفظُ ، والمأمونُ ينسى وهو مُقْبِل على العلم يقصِدُ قَصْدَهُ .

ذُكر أنه دعا يوماً عبدَ الله بن أبي عَفَّانَ ليصطبح ، فأبطأ فلما جاء قال : أظنُّك أكلْتَ . قال : لا والله . قال : والله لتصدقَنَّ ، قال : نعم ياأمير المؤمنين ، فدعا بحكَّاكٍ فحكَّ أضراسه السُّفْلى ، فلما ذهبَ ليحكَّ العليا قال : يا أمير المؤمنين ، دعها لغضبة أخرى ، فخلاَّه .

قال الفَضْلُ بنْ مروان(١) : سمعتُه يقول في خطبته : الناسُ جميعاً آمنونَ إلاَّ أصحابَ الأهوَاء .

وقال لكاتبٍ بين يديه : دعِ الإطنابَ ، والزمِ الإيجازَ ، فإنَّ للإيجازِ إفهَاماً ، كما أنَّ مع الإسهابِ استبهَاماً .

---

(١) الفضل بن مروان بن ماسرخس ولد سنة ١٧٠ هـ أخذ البيعة للمعتصم سنة ٢١٢ هـ ، وكان وزيراً عنده ، ألف بعض الكتب ، توفي سنة ٢٥٠ هـ .

المأمون (١)

وذكر أنَّ الكسائي(٢) قام إليه يوماً - وهو يُعلِّمُهُ وهو صغيرٌ - فضربَهُ ، وقد كان صلَّى ذلك اليوم قاعداً فقال المأمون : أما تستحي أيها الشيخ تصليّ للّه قاعداً ، وتَضربُني قائماً ! .

قال بعضُهم : قرأتُ كتابَ ذي الرياستين(٣) إلى المأمونِ ، وتوقيعَ المأمون فيه ، فإذا في الكتابِ بعد الصَّدر والدعاء :

إنَّ قارئاً قرأ البارحةَ : «وقُلْنَ نسوةٌ في المدينة»(٤)

---

(١) عبد الله بن هارون الملقب بالمأمون ، ولد سنة ١٧٠ هـ من أم ولد ، ولي الخلافة سنه ١٩٨ هـ وكان عصره من أزهى عصور الثقافة العربية توفي سنة ٢١٨ هـ .

(٢) هو إمام النحو ، وعالم القراءات واللغة علي بن حمزة الأسدي ، رأس النحويين في الكوفة كما كان سيبويه في البصرة ، وكان مؤدبا للأمين والمأمون توفي سنه ١٨٩ هـ.

(٣) هو الفضل بن سهل السرخي ، لقب بذي الرياستين لأنه جمع بين رياستي القلم والتدبير أو لأنه جمع بين رياستي الحرب والتدبير .

(٤) الأيه : (وقال نسوة في المدينة . . .) سورة يوسف : ٣٠ .

فأنكرنا ذلك عليه ، فذَكَرَ أنَّ الكسائيَّ أجازَه ، وكتاب اللّه لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خَلْفه ، فردَدنا علمَ كتابِ اللّه إلى خليفته .

قال : وإذا توقيعُ المأمون فيه : عَمَّرَكَ اللّهُ – ذا الرياستين – طويلاً في طاعته ، وجعلكَ قائماً بأمر دينه ، ذابًّا عن حريم أمَّتِه ، إنَّ لكلِّ علمٍ دستوراً ، ودستورُ هذا العلمِ القرآنُ ؛ فعليكَ بقراءتهِ على ما أُجْمِعَ عليه ، ولا تلتَفِت إلى مختارٍ قولاً ليعقد له رياسةً ، والسلام .

كتب المأمونُ إلى طاهرٍ لما قتل عليَّ بن عيسى(١) في رسالة طويلة :

إنّما لك من هذا الأمرِ موقعُ السَّهْمِ من الرَّمِيَّة ، والتسديدُ والرأيُ . والتدبيرُ لأبي العباسِ الفضلِ بنِ سهل.

وكان يقولُ : إذا رُفِعَت المائدةُ من بين يديه : الحمدُ للّه الذي جعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا(٢) .

وقال : ما انفَتَقَ عليَّ قط إلا وجدتُ سببَه جورَ العمال .

---

(١) علي بن عيسى بن ماهان ، من قواد العباسين ، وقائد جيش الأمين .

(٢) اجعل أرزاقنا فضلا عن أقواتنا : زائدة عنها .

وقال : آهلُ السُّوق سُفَّلٌ ، والصنَّاعُ أنذالٌ ، والتجار بخلاءُ ، والكتّابُ ملوكٌ على الناس .

وقيل له : ليس في السَّرَفِ شَرَفٌ ، فقال : ليس في الشرفِ سَرَفٌ .

وقال يوماً لبعضهم : متى قدمتَ ؟ قال : بعد غدٍ يا أمير المؤمنين . فقال : بيني وبينكَ بَعْدُ مرحلتان .

وقال لعبدِ اللهِ(١) بن طاهر : تَثَبَّتْ ، فإنَّ اللهَ قد قطعَ عُذْرِ العَجُول ، بما مكَّنَهُ من التَّثَبُّت ، وأوجَبَ عليه الحُجَّةَ على القَلق ، بما بَصَّره مِنْ فَضْلِ الأناة . فقال ابنُ طاهر : أأكتبه ؟ فقال : نعم .

قالوا : لما وجد عمرُ بنُ فرج(٢) كتاباً من أهل الكَرْخِ(٣) إلى علي بن محمد بن جعفر بن محمد(٤) —

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ولد سنة ١٨٢ هـ ، ولي الشام ومصر سنة ٢١١ هـ ، ثم ولي خراسان وبها توفي سنة ٢٣٠ هـ .

(٢) عمر بن فرج الرخجي من أعيان الكتاب في أيام المأمون .

(٣) المراد به كرخ بغداد ، بناه المعتصم للتجار ، وجعله سوقاً لبغداد ورتبهم فيه .

(٤) هو علي بن موسى بن جعفر أحد أئمة البيعة الإمامية ، توفي سنة ٢٥٢ هـ .

رضي اللّه عنهم — جاء به إلى المأمون ، فقال المأمون : نحنُ أولَى مَن ستَر هذا ولم يُشِعْه . ودعا عليّ بن محمد ؛ فقال له : قد وقَفْنَا على أمرك ، وقد وهبنا ذلك لعليٍّ وفاطمةَ — رضي اللّه عنهما — فاذْهب ، وتخيَّر ما شئْتَ من الذُّنوب ، فإنا نتخيَّرُ لكَ مثل ذلكَ من العفو .

رفع الواقدي(١) قصةً إليه يشكو غَلَبة الدَّين ، وقلةَ الصبر ؛ فوقَّع المأمُون عليها : أنتَ رجلٌ فيك خلَّتَان : السخاءُ والحياءُ ؛ فأما السخاءُ ، فهو الذي أطلقَ ما في يدك ، وأمَّا الحياءُ فبلغ بك ما أنتَ عليه ، وقد أمرنا لك بمائةِ ألف درهم . فإنْ كُنَّا أصَبنا إرادتَك فازْدَد في بسطِ يدك ، وإن كنَّا لم نُصِب إرادتَك فبجنَايتكَ على نفسك . وأنت كنتَ حدثتَنِي ، وأنتَ على قضاء الرشيد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول اللّه — صلى اللّه عليه وسلم — قال للزبير : « يَا زُبير ؛ إنَّ مَفَاتيح الرِّزْقِ بإزَاء العرشِ ، يُنْزِلُ

---

(١) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد ، من المؤرخين ، وحفاظ الحديث تولى القضاء ببغداد ، ولد سنة ١٧٠ ﻫ ، وتوفي سنة ٢٥٧ ﻫ .

اللّهُ للعِباد على قَدرِ نَفَقَاتِهِم؛ فَمَنْ كَثَّر كُثِّر لَه . ومن قَلَّلَ قُلِّلَ لَهُ .»

قال الواقدي : وكنتُ أنسيت هذا الحديثَ ؛ فكانت مذاكرتُهَ إيّايَ به أعجب إليَّ من صلته .

وقال المأمُون : الطعامُ لونٌ واحدٌ . فإذا استَطبتَه فاشبعَ منه . والندمانُ واحدٌ ، فإذا استطبته فاستَزِدهُ حتى تقْضي وطَرَك منه .

وذكر أنَّ إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون ، وبين يديه صَاعُ رُطَب ، فقال : ادنُ فكُلْ . فقال : يا أميرَ المؤمنينَ على ما بي ؟ وكان وجِعَ العين ؛ فقال : ويحك ولا تَهَبُ عينك للرّطب .

ودخل إليه الطبيبْ فشكا إليه وجعَ الأسنان ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين لا تأكل الرطبَ ولا تشربِ المَاء بثلجٍ ؛ فقال : لولاهما ما أردتُك .

وقَّع المأمون في قصة مُتَظلِّمٍ من أبي عيسى بن

الرشيد(١) : (فإذَا نُفِخَ في الصُّورِ فَلاَ أَنْسابَ بينَهُم يومئذٍ ولا يَتَساءلُون) (٢) .

وتظلم إليه قوم من قاضي جَبُّل (٣)، وذكروا أنه يعضُّ رؤوسَ الخصوم ، فوقَّع في قصتهم : يُشْنَقُ(٤) إنْ شاء اللّه .

وقال : من أراد أن يطيبَ عيشُه فليدفعِ الأيامَ بالأيامِ.

قال العباسُ بن المأمون(٥) لغلامه : إنْ رأيتَ في الرُّصَافَةِ بقْلا حسناً فاشترِ لي منه بنصف درهم . فقال المأمونُ : أمّا إذ عرفتَ أنّ للدرهمِ نصفاً فو اللّهِ لا أفلحتَ أبداً .

---

(١) أبو عيسى هو أحمد بن الرشيد ، أمه بربرية ، كان أديباً ظريفاً وله شعر

(٢) سورة المؤمنون . ١٠١ .

(٣) جبل بليد بين النعمانية وواسط ، كانت مدينة كبيرة وينسب إلى قاضيها في أيام المأمون ما يدل على ضعف عقله .

(٤) يشنق : يؤخذ منه الشنق وهو الأرش ما دون الدية من المعاقل الصغار .

(٥) العباس بن المأمون ، ولاه أبوه الجزيرة سنة ٢١٣ هـ .

قال يحيى بن أكثم : ما شَيَّتُ المأمون في بُسْتانه ، ويدُه في يَدي ، فكان في الظلّ ، وأنا في الشمس . فلما بلغْنَا ما أردنا . ورجعنا صرتُ أنا في الفيء وصارَ هُو في الشمس : فُدرتُ أنا إلى الشمس ؛ فقال : ليس هذا بإنصاف ، كما كنتُ أنا في الفيء ذاهبا . فكنْ أنتَ في الفيء راجعاً .

وخطب بمَرْو — وقد ورد عليه كتابُ الأمينِ يُعزِّيه بالرشيدِ ، ويحثُّه على أخذِ البيعة له — فقال :

إنَّ ثمرة الصبرِ الأجرُ ، وثمرةَ الجزَع الوِزرُ ، والتسليمُ لأمر اللّه جلَّ وعزّ فائدةٌ جليلةٌ ، وتجارة مُربحةٌ ، والموتُ حوضٌ مورودٌ ، وكأس مشروبٌ . وقد أتى على خليفتكم — رضي اللّه عنهُ — ما أتى على نبيّكم صلى اللّه عليه وسلم ، فإنّا للّه وإنا إليه راجعُونَ ، فما كان إلا عبداً دُعِيَ فأجابَ ، وأمرَ فأطَاع ، وقد سدَّ أميرُ المؤمنين ثَلْمتَه(١) وقام مَقامَه ، وفي أعناقكم من العَهدِ ما قد عَرَفتم ؛ فأحسنُوا العزاء عن إمامكُم الماضي ، واغتبطوا بالنعماء بالوفاءِ لخليفتكم الباقي . يا أهلَ

(١) الثلمة : الخلل .

خُراسانَ : إنّ الموتَ نازلٌ ، والأجلَ طالب ، وأمسِ واعظٌ ، واليومَ مغتَنمٌ ، وغداً منتظَرٌ . ثم نزل .

وكتب إليه يزيد بن عقال يُثْني على عبد اللّه بن طاهرٍ ، فوقّعَ المأمون في كتابه : عبدُ اللّه كما ذكرتَ ، وعلى أكثر مما وصفتَ . قد حمّلَه أميرُ المؤمنين فاحتملَ ، وأثْقَلَه فاضْطَلَعَ .

كانوا يسمّون أرصادَ السلطانِ المسالحَ من السِّلاح ، فكرِه ذلك المأمونُ فصيّره المصالِحَ من المصلحة .

وقال : إذا أصلَحَ المَلكُ مجلسَه ، واختارَ من يُجالِسُه صلُح مُلْكُهُ كلّه .

ورفع أهلُ الكوفة قِصةً إليه يشكون عاملاً ؛ فوقّع : عيني تراكُم ، وقلبي يرعاكُم ، وأنا مولٍّ عليكُم ثِقَتِي ورِضَاكُم .

وشغب الجنْدُ فرُفع ذلك إليه ؛ فوقّع : لا يُعطَونَ على الشّغب ، ولا يُحوَجُونَ إلى الطّلَب .

قال يحيى بنُ أكثمَ : لما أراد المأمونُ أن يزوّج علي

ابن موسى(١) ، قال لي : يا يحيى تكلّم ، فهبتُ أنْ أنْ أقولَ أنكحتُ ؛ فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، أنت الحاكمُ الأكبر وأنت أولى بالكلام ؛ فقال :

الحمدُ لله الذي تصاغرتِ الأمورُ لمشيئته ، ولا إله إلاّ الله ، إقراراً بربُوبيّته ، وصلّى الله على محمد عند ذكره .

وأما بعدُ ؛ فإنّ الله تعالى جعل النّكاحَ سُنّةَ الأنامِ ، وفصلاً بين الحلالِ والحرام ، وإني قد زوجت ابنتي أمّ الفضلِ من عليّ بن موسى الرضا ، وقد مهرتُها عنه أربعمائة درهم .

وقال المأمون : تمامُ النعمة أن تُستتمّ بلزوم شُكرِها ، وأوّلُ منازل الشكرِ ألاّ يُتوصّلَ إلى معصيةِ منعمٍ بفضل نعمتهِ .

قال أحمدُ بن أبي دُؤادٍ(٢) : قال لي المأمون :

---

(١) علي بن موسى بن جعفر الملقب بعلي الرضا ، ولد سنة ١٤٨هـ ، وتوفي سنة ٢٠٣هـ .

(٢) أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، ولد سنة ١٦٦هـ ، كان محباً للعلم وتوفي سنة ٢٤٦هـ .

لا يستطيع الناسُ أن يُنصفوا الملوك من وزرائهم ، ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بينَ ملوكهم وحُماتِهم وكُفاتِهم ، وبينَ صنائِعِهم وبطانتِهم ، وذلكَ أنَّهم يَرَوْن ظاهرَ حُرمةٍ وخِدمةٍ ، واجتهادٍ ونصيحة ، ويرون إيقاعَ الملوكِ بهم ظاهراً ، حتى لايزال الرجلُ يقولُ : ما أوقعَ به إلاَّ رغبةً في مالِهِ ، وإلاَّ رغبةً فيما لا تجودُ النفوسُ به ، أو لعلَّ الحسدَ والملالةَ ، وشهوةَ الاستبدالِ اشتركتْ في ذلك . وهناك جناياتٌ في صُلْب الملك ، أو في بعض الحُرَمِ لا يستطيعُ الملك أن يكشِفَ للعامة موضعَ العوْرةِ في الملك ، وأن يحتجَّ لتلك العقوبة بما يستحقُّ ذلك الذَّنْبُ ، ولا يستطيعُ تَرْكَ عقابِه ، لما في ذلك من الفساد على علمه بأنَّ عذره غيرُ مبسوطٍ عند العامة ، ولا معروفٍ عند أكثرِ الخاصَّة . .

ونزل رجلٌ فعَدا بين يديه ، فأشار بيده أنْ حسبُك ؛ فقال له بعضُ من كان بقُربٍ من المأمون : اركبْ . فقال المأمونُ : لا يقالُ لمثلِ هذا : اركبْ ، إنما يقالُ لهُ : انصرفْ .

تحدث المأمون يوماً ؛ فضحك إسحاقُ بنُ إبراهيم المُصْعبي(١) ؛ فقال :

يا إسحاقُ ، أأهلُكَ لشُرطتِي ، وتفتحُ فاكَ من الضحكِ ؟ ، خذُوا سوادَه وسيفه ، ثم قال : أنتَ بالشراب أشبَهُ ، ضعُوا منديلا على عاتقه ؛ فقال إسحاقُ : أقلْني يا أمير المؤمنين . قال : قد أقلْتكُ . فما ضحك بعدها .

* * *

المُعْتَصِمُ (٢)

لما أقْطعَ المعتصمُ أشْنَاساً (٣) ضِياعَ الحسنِ بن سهل، وجَّه الحسنُ بقبالاتها(٤) إلى أشْنَاس، وكتبَ إليهِ :

---

(١) إسحاق بن إبراهيم المصعبي صاحب الشرطة أيام المأمون - والمعتصم والواثق والمتوكل - كان صارما ، وتوفي سنة ٢٣٥هـ .

(٢) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٩هـ ، وتولى الخلافة سنة ٢١٨هـ ، كان شجاعا قويا ، بنى مدينة سر من رأى وبها توفي سنة ٢٥٧هـ .

(٣) أبو جعفر أشناس ، من القواد ، ولاه المعتصم مصر سنة ٢١٩هـ ، اشترك في فتح عمورية ، وتوفي سنة ٢٣٦هـ .

(٤) القبالات : الضمانات والكفالات .

قد عرفتُ رأيَ أميرِ المؤمنينَ في إخلاصِكَ بهذه الضِّياع ، وأحببتُ ألا تعرض على عقبِك عُقْبَى ؛ فأنفذتُ لك قبالاتها معتداً في قبولِكها بإسباغِ النعمةِ عليَّ ، وادخارِ الشكر لديّ ، ومتقرباً به إلى سيِّدي أميرِ المؤمنين ، فرأيك في الامتنان عليَّ بقبولِها موفَّقاً إن شاء الله .

فلما قرأ الكتابَ أنفذَهُ إلى المعتصمِ ، فوقَّع فيه : ضِيمَ فصبر ، وسُلِبَ فعذَر ، فليقابَلْ بالشكر على صَبرِهِ ، وبالإحسان على عُذْرِهِ . وتُرَدُّ عليهِ ضياعُه ، ويُرفَعُ عنه خَرَاجُه . ولا أُؤامَر فيه إنْ شاء الله (١) .

قال كاتبُ العباسِ بنِ المأمون : لما تقلّدَ المعتصمُ الخلافةَ عرضتُ له ، فترجَّلتُ . فلما بَصُر بي ، قال : هذا المجلسُ الذي لم تزَلْ أكرهَ الناسِ بحلُولي به . قال : فتحيرتُ ، ولم أدرِ ما أقولُ ، ثُم عنَّ (٢) لي أن قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، أنت تعفُو عمَّا تتيقَّنُه .

---

(١) يؤامر في الشيء : يستشار فيه .

(٢) عن له خاطر : عرض له .

فكيف تُعاقِبُ على ما تتوهمُه ؟ قال : فقال : لو أردتُ عقابكَ لتركتُ عِتابَكَ .

وكان سبب خروجه إلى « سرَّ مَنْ رأى » (١) أنَّ غلمان الأتراكِ . كثُرُوا ببغداد فتولَّعوا (٢) بحُرم الناس وأولادِهم، فاجتمع إليه جماعةٌ منهم ؛ فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ؛ ما أحدٌ أحبُّ إلينا مجاورةً منك ؛ لأنك الإمامُ والمحامي عن الدِّين ، وقد أفرطَ غِلْمَانُك ، فإما منعتَهم منَّا ، وإما نقلتَهم عنَّا . فقال : نقلُهم لا يكون إلا بنَقْلِي ، ولكني أفتَقِدُهم ، وأُزيل ما شكوتُم .

فنظر فإذا الأمرُ قد زادَ وعظُم ، وخاف أن يقع بينهم حرْبٌ ، وعاودُوه بالشكوى ، وقالوا : إن قدَرْتَ على نصَفَتنا (٣) ، وإلاَّ فتحول عنا . فقال : أتحوَّلُ وكرامةً فرحلَ إلى سُرَّ من رَأى ، واتخذهَا داراً .

---

(١) سر من رأى : كانت موجودة قبل المعتصم ، واسمها سامبرا ، عمرها المعتصم وسماها : سر من رأى ، وتسمى أيضا سامراء ، وسر من راء ، وهي على نهر دجلة .

(٢) تولع بعرض فلان : قذف فيه .

(٣) النصفة والإنصاف بمعنى واحد .

وكان يقولُ : الفضلُ بنُ مروانَ عصى اللهَ - عز وجل - وأطاعني ، فسلَّطني الله عليه .

وذكر أنه كان معه غلامٌ في الكتّاب يتعلمُ معهُ ، فمات الغلام ، فقال له الرشيد : يا محمد ؛ مات غلامُك . قال : نعم يا سيدي ، واستراحَ من الكُتّاب فقال الرشيدُ : وإن الكُتّابَ ليبلغُ منكَ هذا المبلغَ ، دَعُوه إلى حيث انتهى ، ولا تعلّمُوه شيئاً ؛ فكان يكتُب كِتاباً ضعيفاً ، ويقرأ قراءةً ضعيفةً .

حُكي عن الفضل بن مروان أنه قال : والله لقد كان المعتصم مُؤَيداً من عند الله في أموره كلّها ؛ لقد رَجع يوماً من محاربةِ الروم ، وقد سهر ليلتَهُ وبقي إلى العشاء ، ولم يَطْعَم ولم يَشرب ؛ فدخل إلى المأمون فعرّفه خَبَره ، فبينما هو يخاطبُه إذ صِيحَ : السلاحَ السلاحَ ، واستَفحَل أمرُ الروم ؛ فقال له المأمونُ : ارجع يا أبا إسحاق إلى موضعكَ . فقال : نعم يا أمير المؤمنين . أمضي إلى مضربي وأركبُ مِن ثَمَّ (١) ؛ فكأنَّ المأمونَ كره هذا منه ،

---

(١) ثم (بفتح الثاء وتشديد الميم) هناك .

ونكّس رأسه ، واشتدّ عليه تأخيره لأمره ، ففطن المعتصمُ ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن الله عز وجل يقول : ((كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أن رآهُ اسْتَغْنَى))(١) والله لقد رأيتني ومالي من الدوابّ إلا أربعٌ ، ومن الغلمان إلا أربعةٌ ، وإني لأقِفُ على باب الحسَن بن سهلٍ سائرَ يومي ، أتمنّى أنْ يأمرني بأمرٍ أنفذُ فيه ، ولي منْ كلّ هذا اليومَ ألوفٌ لتفضّلِ أميرِ المؤمنين ، وهو يأمُرني بأمرٍ فيه شرَفي فأشترطُ عليهِ . أنا أمضِي من وجهي هذا على هيئتي هذه .

فضحك المأمون وقال : ادنُ إليّ ؛ فدنا إليه ، فقبّلَ بين عينيه ، ودعا له بالظفر ، وخرج .

* * *

الواثقُ (٢)

قيل : إنه لما مات إبراهيمُ بنُ المهديّ ركبَ المعتصمُ

---

(١) سورة العلق : ٦و٧

(٢) الواثق بالله هارون بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٠٠هـ ، ولي الخلافة سنة ٢٢٧هـ ، ومات بسر من رأى سنة ٢٣٢هـ .

حتى صلّى عليه ، ثم قال للواثق : أقِمْ يا بني حتى تُجِنَّهُ (١) . وقيل : بل لم يُصَلِّ عليه تحرّجاً ، وأمرَ الواثق بالصلاةِ عليه ؛ فسأل عن وصيتِه ، فوجدَهُ قد أمَرَ بمالٍ عظيمٍ أنْ يُفَرَّق على أولادِ الصحابةِ كلهم ، إلا أولادَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنه ؛ فقال الواثقُ : واللهِ لولا طاعةُ أميرِ المؤمنينَ لما وقفتُ عليهِ ، ولا انتظرتُ دَفْنَه . ثم انصرف وهو يقولُ : يَنْحَرِفُ عن شرفِه وخيرِ أهلِهِ ! والله لقد دلّيته في قبرِهِ كافراً ، وأمَرَ فَفُرِّق في وَلَدِ عليٍّ — رضي الله عنه — مالاً فاضلاً ؛ فأصابَ كلَّ رجل منهم ضِعفُ ما أصابَ غيرَهم من وصيتِه .

نظر الواثقُ إلى أحمد بن الخصيب (٢) يمشي فتمثَّلَ :

مِنَ الناسِ إنسانانِ دَيْنِي عليهمَا
مَلِيَّانِ لو شاءَا لقَدْ قَضَيَانِي

(١) تجنه : تستره والمراد : تدفنه وتواريه في القبر

(٢) أحمد بن الخصب وزير للمنتصر والمستعين ، نفي إلى المغرب ، وتوفي سنة ٢٦٥هـ .

خليليَّ ، أمَّا أمُّ عَمْرٍو فمنهمـــا
وأمَّا عنِ الأُخرَى فلا تَسَلاَني (١)

قال : فبلغ ذلك سليمانَ بنَ وهبٍ ؛ فقال : إنَّا لله ، أحمدُ بنُ الخصيبِ أمُّ عمروٍ ، وأنا الأُخْرَى ؛ فنكبَهُما بعد أيَّامٍ .

غَنَّى مخارقٌ (٢) في مجلس الواثق :

أظليمُ ، إنَّ مُصَابَكُم رَجُـــلٌ
أهدى السَّلامَ بحبكمُ ؟ ظُلْمُ (٣)

فغنّاهُ « رجلٌ » فتابعَهُ بعضٌ ، وخالَفهُ آخرُونَ ، فسألَ الواثق عمن بقي من رؤساءِ النحويين بالبصرة ، فذكر له أبو عثْمانَ المازنيّ ، (٤) قال : فأمر بحَمْلي ،

---

(١) البيتان لابن الدمينه .

(٢) مخارق بن يحيى ، كان مولى ، أعتقه الرشيد ، أحد الحاذقين في الغناء ، وأول من أدخل أنغاما فارسية على النغم العربي مات في خلافة المتوكل ، وقيل في آخر خلافة الواثق .

(٣) البيت للحارث بن خالد المخزومي .

(٤) أبو عثمان بكر بن محمد المازني ، إمام من أئمة النحو بالبصرة له تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٢٤٩هـ .

وإزاحة علّتي فلما وصلتُ إليهِ وسلّمتُ قال : ممّن الرجلُ ؟ قلتُ : من بني مازنٍ . قال : أمِن مازن قَيسٍ ، أم مازن تميم ، أم مازن ربيعةَ ، أم مازنِ اليمنِ ؟ فقلت : مِن مازنِ ربيعةَ . فقال لي : بَاْاسمُك ؟ يريدُ : مَا اسمُك قال : وهيَ لغةٌ كثيرةٌ في قومنَا ، فقلتُ على القياس : مَكْرٌ ، أي : بكرٌ ، يا أميرَ المؤمنينَ ؛ فضحك وقال : اجلِس واطبَئِنّ . فجلستُ ، فسألَني عن البيتِ ، فأنشدتُه :

أظليمُ ، إنّ مصابَكُم رَجلاً .

فقال : أين خبرُ إنّ ؟ قلت : ظلمُ . أما تَرَى يا أميرَ المؤمنينَ أنّ البيتَ كلّهُ متعلقٌ بهِ ، لا معنىَ لهُ حتّى يتم بهذَا الحرفِ ، إذ قال :

« أظليمُ إنّ مصابَكُم رجلاً أهدى السلامَ إليكم » .

فكأنهُ ما قالَ شيئاً ، حتى يقولَ : ظلم . قال : صدقتَ . ألكَ ولدٌ ؟ قلت : بُنَيَّةٌ . قال : فما قالتْ حين ودّعتَها ؟ قلت : أنشدتْ شعرَ الأعشى :

تقولُ ابنتي حينَ جدَّ الرَّحيلُ
أرانَا سواءً ومن قَدْ يَتِمْ
أبانَا ، فلا رِمْتَ (١) من عندنَا
فإنَّا بخيرٍ إذا لَم تَرِمْ

قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قول جريرٍ :

ثِقِي باللهِ ليسَ لَهُ شريكٌ
ومِن عِنْدِ الخليفةِ بالنجاحِ

فقال : ثِقْ بالنجاحِ إنْ شاء اللهُ . ثم أمر لي بألفِ دينار وكسوة وطيب .

وكان الواثقُ عالماً بكلِّ شيءٍ ، وله صنعة حسنة في الغناء ، وكان يُسمَّى المأمونَ الصغير ؛ لأَدبِه وفضلهِ ، وكان المأمونُ يجالسه ، وأبوهُ المعتصمُ واقفٌ . وكان يقول : يا أبَا إسحاق لا تُؤدِّب هارونَ ، فإني أرضى أدَبَه ، ولا تعترضْ عليه في شيءٍ يفعَلُه .

* * *

(١) رام عن المكان يريم : تحول .

المُتَوَكِّلُ (١)

قال يزيدُ المهلبي(٢) : أنِسَ بي أميرُ المؤمنينَ في سبعةِ أيامٍ فوق أُنْس محمدٍ(٣) كان بي في سبع سنينَ . فقال : إنما أنستُ بكَ في سبعةِ أيام لأنسِ محمدٍ كان بِكَ في سبعِ سنينَ .

قيل للمتوكل : لم لا تقلِّد الحسنَ بنَ وهب(٤) ديوانَ الرسائل . قال : أخافُ أن يحيضَ في الديوانِ .

قال عليْ بن يحيى : تغدَّيتُ مع المتوكل ، فقُدِّم لونٌ كان اشتهاهُ ، فوجدَ فيه ذُبابةً ، فألقاها وأكلَ ، ثم وجد أخرى وأُخرى ، فلما رُفع من بينِ يديه قال :

---

(١) المتوكل هو جعفر بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٠٦هـ ، وتولى الخلافة سنة ٢٣٢هـ ، وأراد نقل مقرها إلى دمشق ، ولكنها لم تطب له ، فعاد إلى سر من رأى .

(٢) يزيد بن محمد ، من أولاد المهلب ، ساعر ، اتصل بالمتوكل ومدحه ، توفي ببغداد سنة ٢٥٩هـ .

(٣) المراد بمحمد : المنتصر ابن المتوكل

(٤) الحسن بن وهب بن سعيد كاتب شاعر ، كان وجيها سريا ، ومات سنة ٢٥٠هـ

أعيدُوا علينا هذا اللَّونَ غداً ، وليكن أقل ذباباً مما هو اليومَ ! !

قال إبراهيم بن المدبّر(١) ، قال المتوكلُ : إذا خرج توقيعي إليك بما فيه مصلحةٌ للناس ، ورفقٌ بالرعيةِ فأنفِذه ، ولاتراجعني فيه ، وإذا خرج بما فيه حَيفٌ(٢) على الرعية فراجِعني ، فإنَّ قلبي بيدِ الله عزَّ وجلَّ .

بلغ المتوكلُ أنَّ أحمدَ بن حمدونَ النَّديمَ يحملُ رِقاع الفَتْح إلى خادمِه فائرٍ ، فأعدَّ له حَجّاماً ، وأوصاه بما يريدُ . فلما جلسَ أحمدُ مع الجلساء قال : ياأحمدُ ، ماجزاءُ مَنْ أفسدَ غُلامَ فتىً ؟ قال : تُقْطَع أُذنُه ، فدعا بالحجام فقطَع من أُذُنِه قطعةً ، وإنما قال له هذا لأنه كان يحدثُه كثيراً بحديث الفتيان والعيارينَ ويتنادرُ بذلك بين يدَيهِ ، ثم نفاه إلى بغداد إلى أن كلمه الفتحُ فيهِ ، فرضِيَ عنه .

* * *

---

(١) إبراهيم بن المدبر ، شاعر كاتب ، كان المتوكل يحبه ويقربه ، ثم انقلب عليه وحبسه مدة ثم أطلقه . مات سنة ٢٧٠هـ

(٢) الحيف : الظلم والجور .

المُنْتَصِرُ (١)

قال : لذّةُ العفوِ أطيبُ من لذّةِ التشفّي ، وذلك لأنّ لذةَ العفوِ يلحقُها حمدُ العاقبة ، ولذةُ التشفّي يلحقُها ذمُّ النّدَم .

ولما تمت لهُ البيعةُ كان أولَ شيءٍ عمله أن عزلَ صالحَ بن عليٍّ عن المدينةِ ، وولاّها عليَّ بن الحسينِ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ بنِ محمدٍ ، وقال له : إنما وليتُكَ لتخلُفَني في برِّ آل أبي طالبٍ ، وقضاء حوائجهم ، ورفعها إليَّ ، فقد نالتْهُم جفوةٌ ، وخُذْ هذا المالَ ففرِّقْه على أقدارهم .

فقال له علي بن الحُسين : سأَبلُغُ بعون الله رضا أميرِ المؤمنينَ ، فقال : إذاً تسعدُ بذلكَ عند اللهِ وعندِي .

قال بعضهم : سمعتُه يوماً وهو يناظر قوماً : واللهِ لاعَزَّ وَفَرُ باطلٍ ، ولو طَلَعَ من جبينِهِ القَمَرُ ، ولاذَلَّ ذو حقٍّ ، ولو كان العالَمُ عليه .

---

(١) هو محمد بن جعفر المتوكل ، ولد سنة ٢٢٣هـ ، تولى الخلافة بعد قتل أبيه سنة ٢٤٧هـ ، توفي في السنة نفسها بعد ستة أشهر من ولايته .

قال بعضُهم : سمعتُ بُغا الكبير (١) يقول : مامَشيتُ بينَ يدي خليفة أهيَبَ من المنتصر ، وقد كان مَشْيي بينَ يديْ المأمونِ ، والمعتصمِ ، والواثقِ والمتوكّلِ .

قال أحمدُ بن الخصيب : سمعتُ المنتصر لمَّا عفا عن الشاريِّ(٢) يقول : أحسنُ أفعالِ القادرِ العفوُ ، وأقبحُها الانتقامُ .

* * *

المُستَعينُ (٣)

قيل : لما جيء بكتاب الخلع إليه ، وقيل له : وقع بخطك فيه ، أخذ الكتابَ فابتدأ ابنُ أبي الشوّارب يُملي عليه ، فقال له المستعين : أمسِك عافاك الله ، ثم كتب :

أقرَّ أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ أميرِ المؤمنين المعتصمِ بالله : « أنه قد بايعَ أبا عبدِ الله المعتزَّ بالله ، هذه البيعةَ

---

(١) بغا الكبير : أحد قواد الترك ، كان قائدا للمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر ، مات سنة ٢٤٨هـ .

(٢) الشاري : نسبة إلى الشراة ، إحدى فرق الخوارج .

(٣) هو أحمد المستعين بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٢١هـ ، ولاه الترك الخلافة سنة ٢٤٨هـ ، ثم خلعوه وقتلوه سنة ٢٥٢هـ ، وكان عهده عهد فتن واضطراب .

المنسوخة في هذا الكتاب ، موجباً على نفسه كل مافيه من الشرائط المثبتة فيه ، والعهود المؤكدة . وأشهد الله وملائكته على جميع ذلك ، وأشهد من حضر . وكفى بالله شهيداً » .

قال : فعجب الناس من فهمه وبلاغته .

وقال له الحسن بن أبي الشوارب(١) : يا أمير المؤمنين ، أشهد عليك بما في هذا الكتاب ؟ . قال : نعم خار الله لك يا أبا العباس .

* * *

المُعْتَزّ (٢)

قال الزبير(٣) : لما وفدتُ على المتوكل قال لي : ادخل إلى أبي العباس يعني : المعتز فدخلتُ إليه وهو

---

(١) الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي قاضي المعتمد ، توفي سنة ٢٦١هـ ،

(٢) المعتز هو محمد بن جعفر المتوكل ، وقيل أحمد ، وقيل الزبير ، ولد بسر من رأى سنة ٢٣٢هـ ، وبايعه الأتراك بالخلافة سنة ٢٥٢هـ ، كثرت الفتن في أيامه ، واضطره القواد أن يخلع نفسه ، وعذبوه حتى مات سنة ٢٥٥هـ .

(٣) الزبير بن بكار أديب أخباري كان قاضي مكة توفي سنة ٢٥٦هـ .

صبيٌّ فَحدَّثْتُه وأنشدتُه فسألني عن الحجازِ وأهله ، ثم نهضت لأنصرف فعثرتُ فسقطْتُ ، فقال لي المعتزُّ : يازُبير :

كَمْ عَثْرةٍ لي باللسانِ عثرتُها
تُفَرِّقُ من بعد اجتماعٍ من الشمْلِ
يموتُ الفتى من عَثْرةٍ بلسانِه
وليس يموتُ المرءُ من عَثْرةِ الرِّجلِ

* * *

المُهتَدِي (١)

كان يقولُ : لو لم يكنِ الزُّهدُ في الدنيا ، والإيثارُ للحقِّ ، مما لَطُفَ اللهُ تعالى فيهما ، ووفَّقَني لهما ، وإنيِّ أرجو بذلك الفَوزَ يومَ القيامة ، لتَصَنَّعْتُ بما أفعلُهُ للناسِ ، لِئَلا يكونَ مثلُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ في خلفاءِ بني أُمية ،ولا يكونُ في خلفاء بني هاشمٍ بعدهم مثله ، وهم من رسول اللهِ — صلى الله عليه وسلم — أقْرَبُ.

(١) هو محمد المهتدي بالله بن هارون الواثق ، ولد سنة ٢٢٧هـ ، وتولى الخلافة سنة ٢٥٥هـ ، كان حميد السيرة زاهدا ، خلعه الترك وقتلوه سنة ٢٥٦هـ .

قال بعضهم : سمعتُه يوماً يقولُ لعيسى بن فرخانشاه (١) : عاونْ على الخير تَسْلَمْ ، ولاتَجُزْه فتندمْ . فقيل لهُ : إنَّ هذا بيتُ شعرٍ . قال : ماتعمَّدتُ ذلك ، ولكني رويت قولَ الشاعرِ :

تَعَاوَنْ على الخيراتِ تَظْفَرْ ، ولاتكنْ
على الإثمِ والعُدوَانِ مِمَّنْ يُعَاوِنُ

* * *

المُعْتَمِدُ (٢)

قال محمدُ بنُ عبيد الله بن يحيى بن خاقان(٣) : بعثني أَبي إلى المعتمد في شيء ، فقال لي : اجلس . فاستعظمتُ ذلك ، فأَعادَ ، فاعتذرتُ بأَنَّ ذلك لايجوزُ ،

* * *

---

(١) عيسى بن فرخانشاه ، وزير المعتمد .

(٢) أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل ولد سنة ٢٢٩هـ ، وولي الخلافة سنة ٢٥٦هـ طالت أيام ملكه ، وعاونه أخوه الموفق معاونة كبيرة على قهر أعدائه ، ثم استبد بالأمر ، مات سنة ٢٧٩هـ

(٣) محمد بن عبيد الله بن يحيى أبوه وزير المعتمد ، صار محمد بعده وزيراً للمقتدر وكاتبه .

فقال لي : يامحمدُ ، إنّ أدَبلك في القبول مني خيرٌ من أدبِكَ في خِلافِي .

وقال يوماً لبعضِ نُدَمائِه : إذا عدمَ أهلُ التفضُّل ، هَلَكَ أهلُ التَجَمُّل .

* * *

المُعْتَضِد (١)

حدَّث العلاءُ بنُ صاعدٍ(٢) قال : لما حُمِلَ رأسُ صاحِبِ البصرة(٣) ركب المعتضدُ في جيش لم يُرَ مثلُه ، فاشْتَقَّ أسواقَ بغدادٍ ، والرأسُ بين يديهِ ، فلما صرنا ببابِ الطاقِ(٤) صاح قومٌ من دربٍ من تلك الدروبِ :

(١) أحمد المعتضد بن طلحة الموفق ، ولد سنة ٢٤٢هـ ، أظهر بسالة في الحروب ، تولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ وكان مهيبا حازما ، توفي سنة ٢٨٩هـ .

(٢) العلاء بن صاعد أبو عيسى كاتب أديب ، كان يتعاطى علم النجوم .

(٣) صاحب البصرة أو صاحب الزنج على بن محمد ، ادعى أنه علوي سمي بصاحب البصرة لأنه دخلها وذبح كثيراً من أهلها ، وبصاحب الزنج لأن أتباعه منهم ، خرج سنة ٢٥٢هـ ، وقتله الموفق سنه ٢٧٠هـ .

(٤) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي منها تعرف بطاق أسماء .

رَحِمَ اللهُ معاويةَ . وزادَ حتّى علَتْ أصواتُهم ، فتغيَّر وجهُه وقال : أما تسمع ياأبا عيسى ؟ ماأعجبَ هذا ! ماذِكْرُ معاويةَ في هذا الأمرِ ؟والله لقد بلغ أبي الموتَ ، وماأفلتُّ أنا منهُ إلاّ بعد مُشارَفته ،ولقينا كل جهد وبَلاءٍ ، حتى أرحناهُم من عدوِّهم ، وحصَّنّا حُرَمَهم وأموالهَم . تركوا أنْ يترحَّمُوا على العباسِ ، أو عبدِ الله بن العباس ، أو مَن وُلِدَ من الخلفاء ، وتركوا الترحُّمَ على أمير المؤمنين عليٍّ ، وحمزةَ وجعفرٍ والحسنِ والحسينِ ، والله لابرحتُ أو أُؤثّر في تأديب هؤلاء أثراً لا يعاوِدُون بعدهُ مثلَه .

ثم أمر بجَمْعِ النفّاطينَ(١) لتحريق الناحية ، فقلتُ : أيُّها الأميرُ ، هذا من أشرفِ أيام الإسلام فلا تُفْسِدْهُ بجهلِ غِلْمَةٍ لا أخلاقَ لهُم ، ولم أزل أداريه وأرفُقُ به حتى سارَ .

لما ولي المعتضد حسُنَتْ آثارُه ، وأمر بالزيادة في

(١) النفاطون : جمع نفاط ، الجندي المتخصص برمي النفط المشتعل لإحراق العدو .

المسجد الجامع بالمدينة ، وأمر بتسهيل عقبة حُلْوان(١) . وأنفق عليها نَيِّفاً وعشرين ألف دينار ، وأمر بردّ المواريث على ذوي الأرحام . وأخّرَ النَّيْروزَ ، واستبدّ(٢) الخراج إلى وقتِ إدراكِ الغلاّت ، وعمّر الدُّنيا ، وضَبَط الأطرافَ ، وأحسنَ السياسة . وقيل : إنّه أُفضَتْ إليه الخلافةُ وليس في الخزانة إلا سبعةَ عشرَ درهماً زائفةً ومات وخلّفَ ما يزيد على عشرين ألفَ ألفِ دينار.

* * *

المُكْتَفِي(٣)

نظر إلى رَأسِ صاحبِ الزنج ، وقد أخرجَ إليه من الخزانة ، فقال : لعنهُ الله ! فإنه عدا على الأنساب(٤) ، كما عدا على الأسلابِ .

* * *

(١) حلوان : المراد التي بالعراق وعقبة حلوان التي بها نخلتا حلون الشهيرتان وقد غرم فيها عشرين ألف دينار ، فسهلها بعد أن كان الناس يلقون منها مشقة عظيمة .

(٢) استبد الخراج : أخر ميعاد تسديده

(٣) المكتفي بالله : هو علي بن المعتضد ، ولد سنة ٢٦٣هـ وتولى الخلافة سنة ٢٨٩هـ تغلب على الثائرين عليه ، وتوفي سنة ٢٩٥هـ .

(٤) المراد : ادعى النسب إلى العلويين وليس منهم . والأسلاب غنائم الحرب .

المُقْتَدِر (١)

حُكي أنَّ علي بن عيسى الوزير(٢) كتب عنه كتاباً إلى ملكِ الروم ، فلما عرض عليه . قال : فيه موضعٌ يحتاجُ إلى إصلاحٍ ، فسألوه عن ذلك — وكان قد كتب في الكتاب : « إنْ قَرُبْتَ من أمير المؤمنين قرُبَ منك ، وإن بعُدْتَ بعُدَ عنك » — فقال : ماحاجتي إلى أن أقرُبَ منه ؟ اكتبوا : « إن قرُبتَ من أمير المؤمنين قرَّبَك ، وإنْ بعُدت بعَّدَك » .

ولم يُعرفْ للمقتدرِ مثلُ هذا الكلام ، ولامثلُ هذه الفِطْنة ، وقد ذكرناه على ماحُكِيَ ، وهو بكلام غيره من الخلفاء أشبه .

* * *

---

(١) المقتدر ، هو جعفر بن المعتضد ، ولد سنة ٢٨٢هـ . وتولى الخلافة سنة ٢٩٥هـ ، خلعه الناس وبايعوا المعتز ، ثم خلع المعتز وأعيد هو ثانية ، كثرت الفتن في أيامه ، قتله مؤنس سنة ٣٣٠هـ .

(٢) علي بن عيسى بن داود ، وزير المقتدر ، ولد سنة ٢٤٤هـ ، وولي الوزارة سنة ٣٠٠هـ ، وتوفي سنة ٣٣٤هـ ، وله مؤلفات .

الرّاضي (١)

لما استوزر ابن البَريدِيّ (٢) ، وهو غائبٌ عن حضرتِهِ ، وأجابهُ إلى مقترحاتِهِ ، قال الراضي كالآنفِ من طَرْحِهِ الوزارة على من يَشْتَرِطُ فيها : إنّ الوزارةَ قطعةٌ مِنَ الخلافةِ ، وَوَهنها وهْنُ الخلافةِ .

* * *

إبراهيمُ بنُ المهديّ (٣)

كتب إليّ أحمد بن يوسف(٤) الكاتب : لعن الله زماناً أخَّركَ عمّن لايساوي كلُّهُ بعضَكَ .

وقال محمد بن راشدٍ : سألنِي إبراهيمُ بنُ المهديّ

(١) هو محمد الراضي بن المقتدر بن المعتضد ، ولد سنة ٢٩٧هـ ، وتولى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ ، تفككت في عهده الدولة العباسية ، ولم يعد تحت يديه إلا بغداد ، مات سنة ٣٣٩هـ .

(٢) تولى الوزارة للراضي ٣٢٧هـ ، وللمتقي سنه ٣٣٠هـ ، وكانت « واسط » تحت نفوذه ، حارب الحمدانيين ، توفي سنة ٣٣٢هـ .

(٣) إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد ، ولد سنة ١٦٢هـ ، كان أديبا شاعراً حاذقا في الغناء ، خرج على المأمون عندما ولى علي بن موسى الرضا ولاية العهد ، وقد انتصر عليه المأمون ثم عفا عنه ، توفي سنة ٢٢٤هـ .

(٤) أحمد بن يوسف بن القاسم من أشهر كتاب الدولة العباسية تولى ديوان الرسائل للمأمون وتوفي سنة ٢١٣هـ .

عن رجلٍ ، فقلت : يساوي فلسَيْن . فقال : زدتَ في قيمته درهمين .

وكتب إليّ صديقٌ له : لو عرفْتَ فضلَ الحَسَنِ لتجنّبْتَ القبيحَ وأنا وإياكَ كما قال زهير (١) :

وذي خطَلٍ في القول يحسَبُ أنّهُ
مصيبٌ ، فما يُلمِم به فهو قائلُهْ
عبأتُ له حلمي ، وأكرمتُ غيرَهُ
وأعرضْتُ عنهُ ، وهو بادٍ مقاتِلُهْ

ومن إحسانِ اللهِ إلينا ، وإساءتكَ إلى نَفْسِك أنّا صَفَحْنَا عمَّا أمكننا ، وتناولتَ ما أعجزكَ .

ولما أُدخِل على المأمون عند الظفَر به سَلَّم عليه ، وقال : يا أمير المؤمنين وليُّ الثأرِ مُحَكَّمٌ في القِصاص ، والعفوُ أقربُ للتقوى ، ومن مُدَّ له في الأناةِ حَسُنَ عندهُ الذّنْب ، وقد جعلكَ اللهُ فوقَ كل ذي ذَنْبٍ كما جعل كل ذي ذنب دُونَك ، فإن عاقبتَ فبحقّكَ ، وإن عفوتَ فبفَضْلِك .

---

(١) زهير بن أبي سلمى ، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات .

فقال المأمون : ياإبراهيمُ ، إنِّي شاورتُ العباسَ ابني ، وأبا إسحاقَ أخي في أمركَ ، فأشارا عليَّ بقَتْلِكَ إلا أني وجدتُ قدرَكَ فوقَ ذنبكَ ، فكرهتُ القتلَ لِلازمِ حُرْمَتِكَ .

فقال : ياأميرَ المؤمنين ، قد نصح المشيرُ لما جرت به العادة في السياسةِ ، وحياطةِ الخلافةِ إلا أنك أبيتَ أن تطلبَ النصر إلاَّ من حيثُ عُوِّدْتَهُ من العفو ، فإن عاقبتَ فلك نظيرٌ ، وإن عفوتَ فلا نظيرَ لَكَ ، فإن جُرمي أعظمُ من أن أنطِقَ فيه بعذرٍ ، وعفوُ أميرِ المؤمنينَ أجلُّ من أن يَفِيَ به شُكر .

فقال المأمون : مات الحقدُ عند هذا العُذر .

فاسْتَعْبَرَ إبراهيمُ ، فقال المأمون : ماشأنُك ؟ قال : الندمُ ، إذ كان ذنبي إلى مَنْ هذِه صِفته في الإنعام عليَّ ، ثم قال : ياأميرَ المؤمنين ، إنه وإن بلَغ جُرمي استحلالَ دمي فحِلْمُ أميرِ المؤمنينَ وفضلهُ يُبلغاني عَفْوَه ، وإنَّ لي لشفعةَ الإقرارِ بالذنب وحقَّ العمومةِ بعد الأبِ فلا يسقُطْ عن كَرَمِك عَمُّك ، ولايقع دون عفوِكَ عندك .

فقال له المأمونُ : لو لم يكن في حقّ نسبِكَ حقُّ الصفحِ عنكَ لبلّغَكَ ماأمّلْتَ حُسْنُ تَنَصُّلك ، ولطفُ تَوَصُّلك .

ثم أمره بالجلوسِ ، وقال له : ماالبلاغةُ ياإبراهيمُ ؟ قال : أن يكونَ معناكَ يُجَلّي عن مَغْزاكَ .

فقال المأمون : هذا كلامٌ يشذّرُ(١) بالذهب ، لقد ذهبَ بهِ وَغَراً(٢) كان في صدرِي عليه .

* * *

عبدُ الله بنُ المُعْتَزّ (٣)

كتب إلى بعض إخوانِهِ : لو كنتُ أعلمُ أنك تحبُّ معرفةَ خَبَرِي لم أبخل به عليك ، ولو طمعتُ في

---

(١) يشذر بالذهب : يفصل به .

(٢) الوغر : احتراق الغيظ ، وذهب وغر صدره ، ووغم صدره : زال ما فيه من غل وعداوة .

(٣) عبد الله بن المعتز بن المتوكل ، الشاعر المبدع ، والأديب الناثر ، صاحب كتاب طبقات الشعراء ، ولد سنة ٢٤٧هـ ، بويع بالخلافة سنة ٢٩٦هـ ، وبقي بها يوما واحداً ، ثم خلع وقتل .

جوابِك لسألتُ عن خبرِك ، ولو رجوتُ العُتْبى منك لأكثرتُ عِتابَك ، ولو ملكتُ الخواطرَ لم آذَن لنفسي في ذكرك . ولولا أنْ يضيع وصفُ الشوقِ لأطلتُ به كتابي ، ولولا أنَّ عزَّ السلطان يشغلك عني لشغلت به سروري ، والسلام .

وكتب يذمُّ رجلاً : ذكرتَ حاجةَ أبي فُلانٍ المُكْنَى ليُعرفَ ، لاليُكْرَمَ ، فلا وصلَها الله بالنجاح ، ولايَسَّر بابها للانفتاح وذكرتَ عُذراً نَضَحَ(١) به عن نفسه ، فو اللهِ مانضحَ عنها لكنه نَضَحَ عليها(٢) ، وأنا والله أصونُك عنه ، وأنصحُ لكَ فيه ، فإنه خبيثُ النية ، متلقِّفٌ للمعايب ، مُقَلِّبٌ للسانِه بالملَق ، شائن(٣) بالتَّخلُّق وَجهَ الخُلُق ، موجودٌ عند النعمةِ ، مفقودٌ عند الشِّدة ، قد أنِسَ بالمسألة ، وضَرِيَ(٤) بالرَّد ، فلا تَعُقَّ عقلكَ باختياره ، ولاتوحِش النعمةَ بإذْلالها به .

---

(١) نضح عن الشيء : ذب ودفع عنه ، وأصل نضح من رمي السهام .

(٢) نضح عليها : رماها .

(٣) شائن : عائب ، والتخلق : إبداء الإنسان ما ليس من خلقه .

(٤) ضري : تعود .

وقال ابنُ المعتز : الخضابُ مِنْ شهودِ الزُّورِ .

ولعبد الله بن المعتز آدابٌ مجموعة ، ومواعظٌ وحِكَمٌ تمرُّ أكثرها في كلام المتقدمين ، وفيها نوادرُ من كلام أميرِ المؤمنين عليٍّ كرم الله وجهه وغَيرِه ؛ وقد اخترتُ بعضَها ، وأوردته هذا المكانَ ، فمنها :

إعادَةُ الاعتذارِ تذكيرٌ بالذنبِ .

في العواقبِ شافٍ أو مريحْ .

العقلُ غريزةٌ تربيها التجاربُ .

النصحُ بينَ الملأ تَقْرِيعٌ .

أقمِ الرّغبةَ إليك مقام الحُرمَةِ بِكَ ، وعظّم نفسك عن التعظّمِ ، وتطوّلْ ولا تتطاوَل(٢) .

الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إن لم يُبْلِغْكَ فقد استمتَعتَ به.

لايقومُ عِزُّ الغَضبِ بذُلّ الاعتذار .

الشفيعُ جناحُ الطالبِ .

إن بقيتَ لم يَبقَ الهم .

---

(١) التطاول : الاستطالة والترفع ، والتطول : التفضل . والتطول عند العرب محمود ، والتطاول مذموم .

لاتُنكِحْ خاطبَ سرّك(١) .

من زاد أدبُه على عقلِه كان كالرّاعِي الضعيفِ مع غنمٍ كثيرةٍ .

الدارُ الضيقةُ العمى الأصغر .

إذا هرب الزاهدُ من الناسِ فاطلُبْه ، وإذا طلبهم فاهربْ منه .

النّمّامُ جسرُ الشرّ .

لا تشِن وجهَ العفوِ بالتّقريع .

إذا زال المحسودُ عليه علمتَ أنّ الحاسدَ كان يحسدُ على غيرِ شيءٍ .

العجزُ نائمٌ ، والحزْم يقظانُ .

منْ تجرّأ لكَ تجرّأ عليك

ماعفا عن الذنبِ منْ قرّع به .

أمرُّ المكارِه ما لم يُحتَسَب (٢) .

---

(١) أي لا تطلعه على ما يريد من سرك .

(٢) يحتسب : أي ينتظر المثوبة في الآخرة .

عبدُ الشهوةِ أذلُّ من عبد الرقّ .

لا ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره ، وطاعةُ نفسِهِ عليهِ ممتنِعة .

الناس نفسان : واجدٌ لا يكتفي ، وطالبٌ لا يجد .

ذُلُّ العزْلِ يضحك مِنَ تيهِ الولايةِ .

كلما كثُر خزّانُ الأسرارِ ازدادت ضياعاً .

بشّر مال البخيل بحادثٍ أو وارثٍ .

* * *

الباب الرابع

كلام جماعة

من بني أمية

قال سعيدُ بن العاص (١) : لا تمازحِ الشريفَ ؛ فيحقدَ عليك ، ولا الدنيء فيجترىء عليك .

ودخل عمرُو بن سعيد إلى معاوية فقال له : إلى من أَوْصَى بك أبوك ؟ قال : إنّ أبي أوصى إلي ، ولم يوصِ بي . قال : فبأيِّ شيءٍ أوصاك ؟ قال : أوصاني ألا يفقدَ إخوانُه منه إلا وجهَه . فقال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيدٍ هذا لأشدق (٢) .

قال عُتبة بن أبي سفيان (٣) لمعلم ولده (٤) : ليكن

(١) المراد هنا سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، من أجواد العرب وأشراف بني أمية ، توفي سنة ٥٩ هـ .

(٢) الأشدق : الواسع الشدق ، كناية عن الفصاحة .

(٣) عتبة بن أبي سفيان أمير مصر

(٤) اسمه : عبد الصمد بن الأعلى الشيباني .

أوّلَ إصلاحِكَ لوالدي إصلاحُ نفسِكَ ؛ فإنَّ عيونَهم معقودةٌ بعينِك ، فالحسَنُ عندهم ما استحسنتَه ، والقبيحُ عندهم ما استقبحتَه ؛ علِّمْهم كتابَ اللهِ ، وروِّهم من الحديث أشْرَفَهُ ، ومن الشعر أعفَّه ، ولا تُكْرِهْهم على عِلْمٍ فيملُّوه ، ولا تَدَعْهُم فيهجرُوه ، ولا تخرجْهم من عِلْمٍ إلى عِلْمٍ حتى يُتقنُوه فإنَّ ازدحامَ العلم في السَّمْع مَضَلَّةٌ للفهْم ؛ وعلِّمهم سيرَ الحكماءِ ، هدِّدهم بي ، وأدبهُم دوني ولا تَتَّكِل على عُذرٍ منِّي ؛ فإني اتَّكلْتُ على كفايةٍ منك.

أطعم أبو سفيان الناس في حجَّة الوداع ، فقصَّر طعامُهُ ، فاستعانَ برسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – فأعانه بألْفِ شاةٍ ؛ فقال أبو سفيان : بأبي أنتَ وأُمي ؛ لقد حاربناك فما أجْبَنَّاك (١) ، وسألناك فما أبْخلْناكَ (٢).

قال سعيدُ بن العاصِ ؛ موطنان لا أعتذرُ من العيِّ فيهما : إذا سألْتُ حاجةً لنفسي ، وإذا أكلمتُ جاهلاً .

---

(١) أجبنه : وجده جبانا .

(٢) أبخله : وجده بخيلا .

وكان سعيدُ بن العاص والياً على المدينة من قِبَلِ معاويةَ . وكان معاويةُ يعاقِبُ بينهُ وبينَ مروانَ (١) في ولايتها ، وكان يُغري بينهما ؛ فكتبَ إلى سعيد : أن اهدمْ دارَ مَرْوان ، فلم يهدمها ، وأعاد إليه الكتاب بهدمها ، فلم يفعل ، فعزله ، وولّى مَرْوانَ ، وكتب إليه : أن اهدم دارَ سعيد ؛ فأرسل الفَعَلَةَ ، وركبَ ليهدمَها فقال له سعيدٌ : يا أبَا عبدِ الملك ؛ أتهدمُ داري ؟ قال : نعم ، كتبَ إليّ أميرُ المؤمنين ، ولو كتب إليكَ في هدم داري لفعلتَ . فقال : ما كنتُ لأَفْعلَ . قال : بلى ، واللهِ لو كتَب إليكَ لهدمتَها . قال : كلاّ يا أبَا عبد الملك ؛ وقال لغلامه : انطلقْ فجئني بكتاب معاوية ؛ فجاء به ، فقال مَرْوان : كتب إليك يا أبَا عثمانَ في هدم داري ، فلم تهدمها ولم تُعلِمني ؟ قال : ما كنتُ لأَهدمَ داركَ ، ولا أَمُنَّ عليك ، وإنما أرادَ معاويةُ أن يحرِّضَ بيننا ؛ فقال مروان : فداكَ أبي وأمي ، أنتَ والله أكثرُ مني رِيشاً (٢) وعقِباً ، ورجع فلم يهدم دارَ سعيد .

---

(١) مروان بن الحكم .

(٢) الريش : الخصب والمعاش والمال المستفاد واللباس الحسن الفاخر والعقب : الأولاد .

ذكر العتبيُّ : أنَّ معاويةَ بن أبي سفيان أسرَّ إلى عمرو بن عنْبسة بن أبي سفيانَ حديثاً ، قال عمرو : فجئتُ إلى أبي ، فقلت : إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً ، أفأُحدِّثك به ؟ قال : لا ؛ لأنَّهُ من كَتَمَ حديثَه كان الخيارُ إليه ، ومن أظْهَرَه كان الخيارُ عليه . فلا تجعلْ نَفْسَكَ مملوكاً ؛ بعد أن كنتَ مالِكا . فقلت : أو يدخلُ هذا بين الرجل وابنِه ؟ قال : لا ، ولكن أكرهُ أن تُذَلِّلَ لسانَك بإفشاء السرِّ . قال : فرجعتُ إلى معاويةَ ، فذكرتُ ذلك له . فقال : أعتَقَكَ أخِي من رِقِّ الخطأ .

خطب عُتْبةُ بن أبي سفيان الناسَ بالموسم في سنةِ إحدى وأربعينَ ، وعهدُ الناسِ حديثٌ بالفِتنْةِ فاستفتح ، ثم قال :

أيُّها الناس ؛ قد ولِّينَا هذا الموضعَ الذي يضاعِفُ الله عزَّ وجل للمحسنينَ فيهِ الأَجرَ ، وعلى المسيءِ الوِزْرَ (١) ، فلا تمدُّوا الأَعناقَ إلى غيرنا ، فإنها تنقطعُ

(١) الوزر : الذنب .

دُونَنا ، ورُبَّ مُتَمنٍّ حَتْفُه في أمنيتِهِ . اقبلُوا العافية ما قبلناهَا منكم وفيكم ، وإياكم و « لو » ، فقد أتْعَبت من كان قبلَكم ، ولن تُريحَ من بعدكم . أسألُ الله أنْ يعينَ كُلاًّ على كلٍّ .

قالوا : لما استتبَّ الأمر لمعاوية ، قدم عليه عبدُ الله بن عباس ، وهي أولُّ قِدْمَةٍ قدمها عليه ، فدخل وكأنه قرحةٌ (١) تَتَبَجّسُ (٢) ، فجعل عتبةُ بن أبي سفيان يُطيلُ النظرَ إلى ابنِ عباسٍ ، ويُقِلُّ الكلام معه .

فقال ابنُ عباس : يا عتبةُ ، إنكَ لتُطيل النظر إليَّ ، وتُقِلُّ الكلام معي . ألِمَوْجِدةٍ فدامتْ ، أو لمعتبةٍ فلازالَتْ ؟ قال له عُتْبة : ماذا أبقيْتَ لما لا رأيت ؟ أمَّا طُولُ نظري إليكَ فسروراً بكَ ، وأما قِلةُ كلامي معك فقِلَّتُه مع غيرك ، ولو سلَّطْتَ الحقَّ على نفسك لعلمتَ أنه لا ينظر إليك عينُ مُبْغِض .

فقال ابن عباس : أمهيْتَ (٣) يا أبا الوليد ، أمهيت ! لو تحقق عندنا أكثرُ ممَّا ظننَّاه لمحاه أقلُّ مما قلتَ .

---

(١) القريحة والقرح : أول ما يخرج من البئر حين تحفر .

(٢) تتبجس · تتفجر

(٣) أمهيت . بلغت ما تريد ، وأصله : بلغ الماء في حفره .

فذهب بعضُ من حضر أن يتكلم ، فقال معاوية : اسكتْ . وجعل معاوية يصفق بيديه ويقول :

جَنْدَلتَانِ اصطَكَّتا (١) اصْطِكَاكا

دعوتُ عركاً إذ دعَوْا عِراكا

إنَّ الداخل بين قريش لحائنٌ (٢) نفسه .

وقال سعيدُ بنُ العاصِ : قَبَّحَ اللهُ المعروفَ إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألةٍ ، فأمَّا إذا أتاك ترى دمَه في وجهه ، مُخاطِرا لايدري أتُعطيه أم لا ، وقد بات ليلتَه يتَملْملُ على فراشه ، يُعاقب بين شِقَّيه ، مرةً هكذا ، ومرةً هكذا ، مَنْ لحاجته ، فخطرتُ بباله أنا وغيري ، فَميَّلَ (٣) أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من حاجته ، ثم عزم عليَّ وترك غيري ، فلو خرجتُ له مما أملكُ لم أكافِيه (٤) ، وهو عليَّ أمَنُّ مني عليه .

---

(١) الجندلة : الصخرة و« جندلتان اصطكتا » مثل يضرب للقرنين يتصاولان .

(٢) الحائن : الهالك . أي أتاه الحين : وهو الهلاك .

(٣) ميل بين أمرين : تردد ، ثم اختار أنفعهما له .

(٤) لم أكافه : لم أكافئه ، وكافأ وكافى بمعنى واحد .

قالوا : لمّا وُلّي عبدُ العزيز بنُ الوليد بنِ عبدِ الملك(١) دمشقَ ، ولم يكن في بني أُميةَ أَلَبُّ(٢) منه في حداثةِ سِنّه ، قال أهلُ دمشقَ : هذا غُلام شابٌ ، ولاعلمَ له بالأمور ، وسيسمعُ منا ، فقام إليه رجلٌ فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، عندي نصيحةٌ . قال له : ليت شعري ماهذه النصيحةُ التي ابتدأْتني بها ، من غير يدٍ سبقَتْ منّي إليك ؟ قال : جارٌ لي عاصٍ مُتخلِّفٌ عن ثغر(٣) . فقال له : مااتقيتَ اللهَ ، ولاأكرمتَ أميرك ، ولاحفظت جِوارك . إن شئتَ نَظَرْنا فيما تقولُ ، فإن كنتَ صادقاً ينفعكَ ذلك عندنا ، وإن كنتَ كاذباً عاقبناك ، وإن شئتَ أقلْناك . قال . أقِلْني . قال : اذهبْ حيثُ شئتَ لاصَحِبَكَ اللهُ . إني أراك شرّ جبلٍ(٤) رجلاً .

---

(١) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ولي نيابة دمشق لأبيه وغزا الروم سنة ٩٤هـ .

(٢) ألب اسم تفضيل من لب : صار ذا لب .

(٣) عن ثغر . عن حرب العدو . والثغر : الموقع على الحدود مع العدو .

(٤) الجبل . كل صنف من الناس .

ثم قال : ياأهلَ دمشق ، أَمَا أعظمتُم ماجاء به الفاسقُ ؟ إن السعايةَ ــ أحسبُ منهُ (١) ــ سجيّةٌ ، ولولا أنه لاينبغي للوالي أن يُعاقِب قبل أن يُعاتِبَ كان لي في ذلك رَأيٌ ، فلا يأتينَّني أحدٌ منكم بسعايةٍ على أحدٍ بشيء ، فإنَّ الصادقَ فيها فاسقٌ ، والكاذبَ فيها بهّاتٌ (٢) .

* * *

(١) المعنى : إني أظن أن السعاية طبيعة فيه .

(٢) البهات : صيغة مبالغة من بهته : إذا قال عنه ما لبس فيه.

الباب الخامس

نكت لآل الزبير

قدم فَضالةُ بنُ شَريكٍ (١) ، على عبد الله بن الزبير ، فقال : إني سِرتُ إليكَ الهواجرَ (٢) ياأميرَ المؤمنين . قال : ولِمَ ؟ أما كان لكَ في البَرْدَينِ (٣) ماتسيرُهما ؟ كأنك تبادرُ نَهْباً ، لاأبالكَ ، فقال : إنّ ناقتي قد نَقِبَ (٤) خُفُّها فاحملني . قال : ارقَعها بجلد ، واخصِفْها بهُلْبٍ (٥) ، وأنْجد بها (٦) ، وسِرْ بها

---

(١) فضالة بن شريك الأسدي ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

(٢) الهواجر جمع هاجرة ، وهي وقت اشتداد الحر في الظهيرة .

(٣) البردان : الغداة والعشي لبرود الجو فيهما .

(٤) نقب الخف : رق .

(٥) الهلب : الشعر أو خصلة منه .

(٦) أنجد بها : سر بها في النجد ، وهو ما غلظ وارتفع واستوى من الأرض .

البرْدَين . قال : إنما أتيتك مُستحمِلا(١) ، ولم آتِك مُستوصِفا ، لعنَ الله ناقةً حملتني إليكْ . قال : إن(٢) وراكبَها ، فانصرفَ وهجاهُ بالأبياتِ التي يقول فيها :

أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ(٣)
نَكِدْنَ ، ولا أُميّةَ في البلادِ(٤)

كان مُصْعَبٌ(٥) يقول : المرأةُ فراشٌ فاستوثِروا .

نازع ابنُ الزبير مَرْوانَ في مجلس معاوية ، فرأى أنَّ ضَلْعَ(٦) معاويةَ مع مروانَ . فقال : ياأمير المؤمنين . إنَّ لك حقّاً وطاعةً علينا ، وإنَّ انا سِطَةً(٧) وحرمة ، فأطعِ الله يُطِعْكَ ، فإنه لاطاعةَ لكَ علينا إلاَّ في حقٍّ

(١) مستحمل : طالب منه أن يحمله .

(٢) إن : نعم

(٣) أبو خبيب : كنية ابن الزبير ، يقولها له من يذمه ، أما من يمدحه فيكنيه أبا بكر .

(٤) نكد الزمان : ضاق واشتد

(٥) مصعب بن الزبير : أمير وقائد من قواد أخيه ، ولد سنة ٢٦ هـ .

(٦) ضلع معاوية مع مروان : ميله معه .

(٧) السطة : مصدر وسط ، ووسط القوم كناية عن الرفعة والشرف .

الله ، ولاتُطْرِقْ إطراقَ الأفعُوانِ(١) في أصول السَّخْبر(٢) .

وقال له مرةً : يامعاوية ، لاتدعْ مَرْوانَ يرمي جماهيرَ(٣) قريش بِمشَاقِصِه (٤) ويضربُ صَفَاتهم(٥) بِمعْولِه ، لولا مكانُك لكان أخفَّ على رقابنا من فَراشَة ، وأقلَّ في أنفسنا من خَشَاشة (٦) ، وايمُ اللهِ لئنْ مَلَكَ أعنَّة خيلٍ تَنْقادُ له ليركبَنَّ منك طَبَقاً (٧) تخافُه .

فقال معاوية : إنْ يطلبْ هذا الأمرَ فقد طَمِعَ فيه مَنْ هو دونَه وإن يتركْهُ يتركْهُ لمَنْ فوقَه ، وماأراكُم بمُنْتَهين حتى يبعثَ اللهُ عليكم مَنْ لايعطِفُ عليكم

(١) الأفعوان : ذكر الأفاعي ، شبهه به لأنه يطرق عند نفث السم .

(٢) السخبر : الشجر .

(٣) الجماهير : جمع جمهور ، وهو معظم الناس .

(٤) المشاقص : جمع مشقص وهو ما طال وعرض من النصال والمراد : لا تدعه يصيبهم بالأذى .

(٥) الصفاة : الحجر الأملس .

(٦) الخشاشة : واحدة الخشاش وهو الهوام .

(٧) الطبق : جمع طبقة ، وهي منزلة فوق منزلة ، والمعنى : ليركبن منك أحوالا ومنازل في العداوة مخوفة .

بقَرابةٍ ، ولايذكرُكُم عند مُلِمَّةٍ ، ويسومُكم(١) خَسْفاً(٢) ، ويورِدُكُم تَلَفاً .

قال ابنُ الزبير : إذاً والله نطْلِقُ عِقالَ الحَرب ، بكتائب تمورُ كرجل الجراد(٣) ، تتبعُ غِطريفاً(٤) من قريش لم تَكُنْ أُمُّه براعيةِ ثَلَّة(٥) .

قال معاويةُ : أنَا ابنُ هند ، أطلقْتُ عِقالَ الحربِ ، فأكلتُ ذَروة السَّنامِ ، وشَربتُ عَنفوانَ المَكْرَعِ (٦) . وليس للآكلِ إلاّ الفِلْذَةُ (٧) ، ولاللشاربِ إلا الرَّنْقُ (٨) .

لِيمَ مُصعَبُ بنُ الزُّبيرِ على طُول خُطبتهِ عَشيةَ عرَفَة ، فقال : أنا قائمٌ وهم جلوسٌ وأتكلم وهم سكوتٌ ويضجرون ! .

---

(١) سامه الأمر : ألزمه إياه قسرا

(٢) الخسف : القهر والإذلال .

(٣) رجل الجراد : القطعة التي قوي بعضها بعضا

(٤) الغطريف : السيد .

(٥) راعية ثلة : راعية الغنم .

(٦) عنفوان المكرع : أوله وهو أصفى ما يكون .

(٧) الفلذة : القطعة من الكبد أو السنام

(٨) الرنق : الكدر .

وكان عبدُ الله بن الزّبير يقول : لاعاش بخيرٍ من لم يرَ برأيه مالم يرَ بعينه .

قال عروةُ(١) بنُ الزبير : التواضعُ أحدُ مصايدِ الشّرَف .

لما قال عبدُ الله بن الزبير : أكلتم تمري ، وعصيتم أمري . قال فيه الشاعر :

رأيتُ أبا بكرٍ — وربُّكَ غالبُ
على أمره — يبغي الخلافةَ بالتمرِ

قال عمرُ بن شبّة(٢) : وقف ابنُ الزبير على باب ميّةَ ، مولاةٍ كانت لمعاويةَ . تُرفَع حوائجُ الناس إليها . فقيل له : ياأبا بكر تقفُ على باب ميّةَ ! قال : نعم . إذ أعيتكَ الأمورُ من رؤوسها فأتها من أذنابها .

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام ، أحد الفقهاء العظماء ، كان صالحا كريما عالما بالدين ، ولد سنة ٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٩٧هـ .

(٢) عمر بن شبة : شاعر راوية مؤرخ محدث ، ولد سنة ١٧٢هـ . وتوفي سنة٢٦٢هـ ، وله مؤلفات .

قال عُروة : لعهدي بالناس ، والرجل منهم إذا أراد أن يسوءَ جاره سأل غيرَه حاجتَه ، فيشكوهُ جارُه ، ويقول : تَجاوزني بحاجته ، أراد بذلك شَيْني(١) .

لما أتى عبدَ الله بنَ الزبير قتلُ مُصعبٍ ، خَطَبَ الناسَ ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال :

إنه أتانا خبرُ مَقْتَلِ المُصْعَبِ فسُررنَا واكْتَأَبْنَا ، فأمَّا السرورُ فلِما قُدِّر له من الشهادة ، وخُيِّر لَه من الثواب ، وأمَّا الكآبةُ فلوعةٌ يَجدُها الحميمُ لِفراق حَميمه . وإنّا والله لانموتُ حَبَجاً(٢) كميتةِ آل أبي العاص(٣) ، إنما نموتُ قَتْلاً بالرماح ، وقَعْصاً(٤) تحتَ ظِلالِ السيوف ، فإنْ يهلكِ المُصعبُ فإنَّ في آلِ الزبيرِ خَلَفاً .

وقال لما أتاه قَتْلُه : أشَهِدَهُ المُهَلّبُ ؟ قالوا : لا .

---

(١) الشين : العيب .

(٢) الحبج : أن تنتفخ بطون الإبل من أكلها االعرفج ، وقد تموت من ذلك .

(٣) والمراد أنه يعيب عليهم إقبالهم على المطاعم والشهوات .

(٤) مات قعصاً : إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

كانَ المهلّبُ في وجوهِ الخوارج . قال : أفشَهِدَهُ عَبّادُ بنُ الحُصَيْنِ الحَبطي(١) ؟ قالوا : لا . قال : أفشهدهُ عبدُ الله بنُ خازم السُّلَمي(٢) ؟ قالوا : لا . فتمثل عبدُ الله بن الزبير :

فَقلتُ لها عيثي جَعَارِ(٣) ، وَجَرِّري
بلحمِ امرىءٍ لم يشهدِ اليومَ ناصِرُهْ

خَرج عُروةُ بنُ الزبير إلى الوليدِ ، فوَطِىءَ عَظْماً ، فلم يَبْلُغْ دمشقَ حتى ذُهِبَ به كلَّ مَذْهبٍ ، فجمعَ الوليدُ الأطباءَ ، فأجمع رأيُهم على قطْعِها . فقالوا له : اشربْ مُرْقِداً(٤) ، فقال : ماأحبُّ أنْ أغفُلَ عن ذِكْرِ الله ، فأُحْمِيَ له مِنْشَارٌ ، وكان

---

(١) عباد بن الحصين بن يزيد الحبطى ، فارس بني تميم ، ولي شرطة البصرة لابن الزبير .

(٢) عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي ، ولي إمرة خراسان لبني أمية .

(٣) جعار : اسم للضبع أصله جاعرة ، وعيثي جعار : مثل يضرب إذا أتت الضبع الغنم وغاب الحارس .

(٤) المرقد : شراب يشربه الرجل فينام .

قَطْعاً وحَسْماً(١) ، فما تَوَجّعَ ، وقال : ضعوها بين يديَّ ، لئن كنتُ ابتُليتُ في عضو لقد عُوفيت في أعضاء .

فبينا هو على ذلك أتاه نَعيُ ابْنِه محمدٍ ، وكان قد اطّلَعَ من سَطحٍ على دوابٍ للوليد ، فسقط بينها فخَبَطَته فقال عروهُ : الحمد الله ، لئن أخذتَ واحداً لقد أبقَيتَ جماعةً ، ولئن ابتَلَيْتَ في عضو لقد أبقيتَ أعضاءً .

حدّث وهبُ مَوْلى آلِ الزبير أنه قال : كنت مع عبد الله بن الزُّبير بمكة في ولايته ، فكتب إليه رجل كتاباً يعظه فيه :

أما بعدُ ، فإنّ للتقوى في أهلها علامات يُعرفون بها ، ويعرِفونَها من أنفسهم ، مَنْ صَبرٍ على البلاء ورِضىً بالقَضاء . وشُكْرٍ للنِّعمةِ ، وذلٌّ لحُكمِ القرآنِ ، وإنما الإمامُ كالسُّوقِ . يُحمل إليها مازَكا(٢) فيها ، فمن كان مِن أهل الحقّ أتاهُ أهلُ الحق بحقّهم ،

---

(١) المعنى : وكان القطع قطعا حسما . والحسم هو الكي بعد القطع حتى لا ينزل الدم .

(٢) زكا : طهر .

وَمن كان من أهلِ الباطل أتاه أهلُ الباطل بباطلهم ، فانظر أيّ الإمامين أنت . والسلام .

قال : فكان عبدُ الله يعجب من بلاغةِ هذه الرسالةِ وإيجازها ، ويضعُها تحتَ فراشه ، ويتَعَاهدُ قراءتَها .

كان لعبد الله بنِ عروة مَولاةٌ يُقال لها : شُهْدة ، ففزعتْ ليلاً ؛ فسمعها تقول : اللهمَّ إنْ أحسنتُ فأَحسنْ إليَّ ، وإن أسأتُ فأَسِيء إليَّ . فقال : أيْ شَهَادُ . عتَقَ ما يَملكُ (١) إن لم يكنْ هذا أقَلَّ مالَكِ عندْ ربِّك .

قال عبد الله بن عُروة بن الزبير : إلى الله أشكُو عيبي مالا أدعُ ، ونَعْتِي مالا آتي ، وإنما يُبْكَى للدنيا بالدين .

نازع عبد الله بن الزُّبير أخاه عَمْراً (٢) ، والأَمرُ بالمدينة سعيدُ بن العاص ، فاستعْلى عبدُ الله في القول ؛ فأقبل سعيدٌ على عمرو ، فقال : إيهاً يا بنَ أبي ؛ فأقبلَ

---

(١) وعتق لما يملك جملة دعائه ؛ فوجده وناداها شهاد بدلاً مما ومعنى : شهدة في الأصل العسل ، وجمعه شهاد .

(٢) عمرو بن الزبير بن العوام ، كان شديد العارضة ؛ قويا .

عليه عبدُ الله ، فقال : هيهاً يا بنَ أبي أُحيحة (١) ، فو الله لأَنا خيرٌ منك . ولأَبي خيرٌ من أبيك : ولأُمّي خيرٌ من أمّك ، ولخالي خيرٌ من خالك ، ولَجدّي خيرٌ مِن جَدِّك . ثُمَّ ، اللهُ رفع بالإسلام بيوتاً ووضع به بيوتاً ، فكان بيتي من البيوت التي رفع ، وكان بيتُك من البيوت التي وضَع ، وإنْ خنَس (٢) أنفُك ، وانتفخت لغاديدُك (٣) .

اختصم رجلان في حَدٍّ بينهما بالأَعوص (٤) ، فتهاترا وتخاصما ، فأَتيَا الزُّبيرَ بنَ هشام بنِ عُروةَ (٥) ، وجعلاه حَكَماً بَينهما . قال : فقال لهما : كان رجلان من بني إسرائيل اختصما في أرضٍ ، فأَذِنَ اللهُ للأَرض ، فكلَّمتْهما فقالت : لقد ملكَني سبعون أعورَ ، وليس

---

(١) وأبو أحيحة : هو سعيد بن العاص ، جد سعيد هذا ، توفي سنة ٣هـ ، وهو مشرك .

(٢) خنس : من الخنس ، وهو تأخر في الأنف مع ارتفاع قليل في أرنبته .

(٣) اللغاديد : جمع لغدود : لحمة في الحلق .

(٤) الأعوص : موضع قرب المدينة على أميال يسيرة منها .

(٥) الزبير بن هشام بن عروة محدث ثقة .

منهمُ الآنَ أحدٌ على ظَهْرِ الأرض . قال : فتفرَّقَا . وقال كل منهما : لا حاجة لِي بها ، وترادَّاها .

قيل لعُروَةَ الزبيريِّ حين حُمل إلى الرشيد مُقَيَّداً : اختضبْ (١) . فقال : حتى أعلم أرَأْسِي لي أم لكم ؟ فأُدخل عليه في سِلْسِلَةٍ ، فقال : كنت أشتهي أن أراك فيها ، اخلعُوا عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلعةَ شتاءٍ لا خلعةَ صيف .

* * *

(١) اختضب : صبغ شعره بالحناء .

الباب السادس

نوادر أبي العيناء[1] ومخاطباته

حَمَلَه بعضُ الوزراءِ على دابَّةٍ ، فانتظَر علَفَها ، فلما أبطأ عليه قال : أيها الوزير هذه الدابَّةُ حَملْتَنِي عليه أو حملتَهُ عليَّ (٢) .

قال : وقال لي يوماً : لا تكثِر الوقيعةَ في الناس . فقلتُ : إنَّ لي في بصري شغلاً عن ذلك . فقال : ذاك أشد لحقْدِك على أهل العافية .

وقال له يوماً المتوكلُ : إنَّ سعيدَ بنَ عبدِ الملك

(١) محمد بن القاسم ، كنيته أبو العيناء ، ولد سنة ١٩١هـ ، هاشمي بالولاء وأديب فصيح ، اشتهر بنوادره ، كاتب شاعر ، ولكنه خبيث اللسان . كف بصره في الأربعين ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٧هـ .

(٢) الدابة تطلق على المذكر والمؤنث .

يضحكُ منك ، فقال : (إنَّ الذين أجرَمُوا كانوا منَ الَّذين آمَنُوا يَضْحكُونَ) (١) .

وقال يوماً بحضرته لِخُراشةَ : ابنُ كَمْ أنتَ ؟ قال : ابن نَيِّفٍ وخمسين . قال أبو العيناء : زَانيةً .

ودخل يوماً إلى ابنِ ثَوَابةَ (٢) ؛ فقال : بلغني ما خاطبتَ به أمس أبا الصَّقرِ (٣) ، وما منعه من استقصاءِ الجوابِ إلا أنَّه لم يجد عِرْضاً فيضعَه ، ولا مجداً فيهدمَه ، وبعدُ فإنه عافَ لحمَكَ أنْ يأكله ، وسَهِكَ (٤) دمَك أن يسفِكَه . فقال : ما أنتَ والكلام يا مُكدي (٥) ؟ فقال أبو العيناء : لا تنكر على ابن ثمانين ، وقد ذهبَ بصرُه ، وجفاه سلطانُه ، أنْ يعوِّلَ على إخوانه ، فيأخذَ من أموالهم ، ولكن أشدّ من هذا من يستنزلُ ماءَ أصلابِ

(١) سورة المطففين : ٢٩ .

(٢) أحمد بن محمد بن ثوابة من الكتاب في العصر العباسي ، وكان كاتب الرسائل لمعزالدولة . توفي سنه ٢٤٩هـ .

(٣) أبو الصقر : هو إسماعيل بن بلبل ، وزير ، كان صديقاً لابن المدبر .

(٤) سهك : استقذر رائحته .

(٥) المكدي : الشحاذ .

الرجال ، يستفرغُه في جَوفه ، فيقْطَعُ أرزاقَهم ، ويُعظِم إجرامهم

فقال ابنْ توابه . ما تشاجر اثنان إلاّ غلب ألأَمُهما .

فقال له : بها عابتَ أبا الصقر .

وقال ابن ثوابةْ يوماً : كَتَمتُ (١) أنفاسَ الرجال

قال : حيثْ كانوا وراءَ ظَهْرِكَ .

وقال له يوماً نجَاحْ بن سلَمة (٢) : ما ظهورُكَ وقد خرجَ توقيعُ أميرِ المؤمنينَ في الزنادقة ؟ فقال : نستدفعُ اللهَ عنكَ وعن أصهارِكَ .

ودخل على عُبيدِ الله بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهر (٣) وهو يلعبْ بالشَطْرنج ، فقال : في أي الحيّزين أنْتَ ؟ فقال (٤) : في حيِّز الأَمير أبده الله .

---

(١) كتمت أنفاس الرجال جمعتها .

(٢) نجاح بن سلمه كان على ديوان الضياع، ثم ديوان التوقيع والتتبع على العمال للمتوكل .

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي ، ولد سنة ٢٢٣هـ ، أمير شجاع محب للأدب، ولي شرطة بغداد ، وكان له ولع بالهندسة والموسيقا توفي سنة ٣٠٠هـ

(٤) المراد مع أي اللاعبين أنت .

وغُلب عبيدُ الله فقال : يا أبَا العيناء ؛ قد غُلبنا ، وقد أصابك من النَّدب (١) خمسون رطْلاً ثلجاً . فكن أنتَ في حيلتها . قال : فقام ومضى إلى ابن ثوابة ، وقال : إن الأمير يدعوك ، فلما دخلا قال : أيَّد اللهُ الأميرَ ، قد جئتُك بجبل همَذان ومَا سيَذان (٢) ، فخذْ منه ما شئتَ .

وقال يوماً لولد حجاج بن هارون : في أي بابٍ أنت من النحو ؟ قال : في باب الفاعل والمفعول . فقال : أنتَ في باب أبويكَ إذاً .

ومرَّ على دار عدوٍّ له ؛ فقال : ما خبَرُ أبي محمد ؟ فقالوا : كما تحبُّ . قال : فما بالي لا أسمعُ الرنّة والصُّراخَ ؟ .

ووعده ابنُ المدبِّر (٣) بدَابَّةٍ ، فلما طالبه قال :

---

(١) ندب : الندب والسبق ما يوضع في الرهان فمن سبق أخذه .

(٢) ماسيذان ، موضع على يمين حلوان في العراق .

(٣) ابن المدبر . هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، وزير من الكتاب المترسلين من أهل بغداد ، استوزره المعتمد سنة ٢٦٩هـ ، وتوفي سنة ٢٧٩هـ .

أخافُ أنْ أحملَك عليه فتقطعَني ولا أراك . فقال :
عِدْني أن تضُمّ إليه حماراً لأواظبَ مُقْتضِيا (١)

ووعده أنْ يحمله على بَغْل ، فلقيهُ في الطريق ؛ فقال : كيف أصبحت يا أبا العيناء ؟ قال : أصبحتُ بلا بَغْلٍ ، فضحكَ من قوله ، وبعثهُ إليه .

وحمله بعضهم على دابّةٍ ، فاشتراها ابنُ الرجلِ منهُ بثمنٍ أخّره ، ولقيه بعدَ أيام ؛ فقال : كيف أنتَ يا أبا العيناء ؟ قال : بخيرٍ يا مَنْ أبُوه يحملُ وهو يُرْجِل .

وقالت له قَيْنَةٌ (٢) : هَبْ لي خاتمَكَ أذكرْكَ به . فقال : اذكُريني بالمنْع .

وقالت له قينةٌ : أنتَ أيضاً يا أعمى ! فقال لها : ما أستعينُ على وجهك بشيءٍ أصلحَ من العمى .

وقال له ابن السِّكّيت (٣) يوماً : تُراكَ أحطتَ

---

(١) مطالباً بما وعدت

(٢) القينة الجارية المغنية .

(٣) ابن السكيت : هو يعقوب بن اسحق ، من علماء الفقه واللغة والشعر والأدب

بما لم أُحِطْ به . قال : ما أنكرتَ ؛ فو الله لقد قال الهدهُدُ ، وهو أخسُّ طائرٍ لسليمانَ : (أحَطْتُ بمَا لم تُحِطْ به)(١) .

وقال : وقُدِّمَ إلى مائدةٍ عليها أبو هفَّان (٢) وأبو العيناء — فالوذَجٌ (٣) ، فقال أبو هفَّان : لهذه أحَرّ من مكانك في جهنم . فقال أبو العيناء : إن كانت هذه حارَّةً فبرِّدْهَا بِشِعْرِكَ .

وقال له صاعدٌ يوماً : ما الذي أخَّرَكَ عنا ؟ قال : بُنَيَّتِي قال : وكيفَ ؟ قال : قالت : يا أبَهْ ؛ قد كنتَ تغدُو من عندنا فتأتي بالخِلعة السَّرِيَّة ، والجائزةِ السنيَّة ، ثم أنتَ الآن تغدُو مُسْدِفاً (٤) ، وترجعُ مُعتماً ، فإلى من ؟ قلت : إلى أبي العلاء ذي الوزارتين .

---

(١) سورة النمل : ٢٢ .

(٢) أبو هفان : هو عبد الله بن أحمد المهزمي ، راوية ، شاعر ، أديب أخذ عن الأصمعي ، كان منهتكا فقيرا ، وله تصانيف بعضها مطبوع .

(٣) الفالوذج : نوع من الحلوى

(٤) السدف : الظلمة والليل . وأعتم . أبطأ وتأخر .

قالت : أيُعطيكَ ؟ قلتُ : لا . قالت : أيُشَفّعك ؟
قلت : لا ، قالت : أفيرفَع مَجلسَك ؟ قلت : لا .
فقالت : يا أبَهْ ، ((لِمَ تَعبُدُ مَالاَ يَسْمَعُ وَلاَ
يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عنْكَ شَيْئاً)) (١) .

وقال له عُبيدْ الله بن سُليمان (٢) : إنّ الأخبارَ
المذكورةَ في السخاءِ وكثرة العطاء أكثرهـا تصنيفُ
الورّاقين ، وأكاذيبُهم . قال : ولِمَ لا يكذبون على
الوزير أيّده الله .

وقال له محمد بنُ مُكَرَّم (٣) : همَمتُ أنْ آمر
غلامي بدَوْسِ بطنك . فقال : الذي تخلفه على عيالك
إذا ركبتَ ، أو الذي تحمله على ظهركَ إذا نزلتَ ؟

وقال يوماً لرجل سلَّمَ عليه : من أنتَ ؟ . قال :
رجلٌ من ولدِ آدم . قال : ادنُ مني عانِقْني ، فما
ظننتُ أنه بقِيَ من هذا النّسلِ أحَد .

---

(١) سورة مريم : ٤٢

(٢) عبيد الله بن سلمان بن وهب ، كاتب في العصر العباسي ، ولد سنة ٢٢٦هـ ، استوزره المعتمد والمعتضد وتوفي سنة ٢٨٨هـ .

(٣) كان مشهورا في بغداد بالعلم والادب ، توفي سنه ٢٣١ هـ

وقال له أحمدُ بن سعيدٍ الباهليّ : إني أصبتُ لباهلَة فضيلةً لاتُوجَد في سائر العرب . قال : وماهي ؟ قال : لايُصابُ فيهم دَعِيّ . فقال : لأنه ليس فوقَهُم من يقبلُهم ، ولادُونَهم أحدٌ فينزلُون إليه .

وحضره يوماً ابنُ مكرَّم فأخذَ يُؤذيه ، فقال له ابنُ مكرَّم : الساعةَ والله أَنصرفُ . فقال : مارأيتُ من يتهدَّدُ بالعافية غيرَك .

وقال له يوماً مايُعرِّض به : كم عَددُ المُكْدين(١) بالبصرة ؟ قال : مثلُ عدد البغّائين ببغداد .

وقدم ابن مكرم من سفر ، فقال له أبو العيناء : ماأهديتَ لي ؟ . قال : قدمتُ في خُفّ . قال : لو قدمتَ في خفٍّ لخانَقْتَ نفسكَ .

وقال له ابن مكرّم : مذهبي الجمعُ بين الصّلاتين . قال : صدقتَ ، ولكن تجمعُ بينهما بالتّرك .

وقال له ابنُ بدْرٍ(٢) يوماً وهو على بابه : أهذا

---

(١) المكدين : جمع مكدي ، وهو المتسول السائل الملح .

(٢) هو أحمد بن بدر الشرابي كانت إليه الشرطة زمن الراضي .

المنزل ؟ قال : نعم ، فإن أردتَ أنْ ترى سوءَ أثرِكَ فانزِل .

قال له أبو الجمَّاز : كيف ترى غِنائي ؟ . قال : كما قال الله عزَّ وجل : (إنَّ أنكرَ الأصوَات لَصَوتُ الحميرِ) (١) .

ودخل إلى المتوكّل ، فقَدَّم إليه طعام ، فغمسَ أبو العيناء لقمته في خَلٍّ كان حامضاً ، فأكلها وتأذّى بالحموضة ، وفطن المتوكل فجعل يضْحك ، فقال : لاتلمني ياأمير المؤمنين ، فقد مَحَتِ الإيمان من قلْبي .

وقال له السَّدْرِيّ : أشتهي أن أرى الشيطانَ . فقال : انظر في المرآة .

قال أبو العيناء : رأيت محمد بن مكرم يصلي صلواته كلّها ركعتين ركعتين ، فقلتُ : يامحمد ، ماهذا الذي أراك تفعله ؟ قال : عزمتُ وحياتك على الخروج إلى قُمّ (٢) إلى عند أبي .

---

(١) سورة لقمان : ١٩ .

(٢)قم : بتشديد الميم مدينة بفارس افتتحها المسلمون سنة ٢٣هـ .

قيل لأبي العيناء : لِمَ اتَّخَذْتَ خادمين أسودين ؟ فقال : أما أسودان فلئلا أُتَّهَم بهما ، وأما خادمان فلئلاّ يُتَّهَمَا بي .

ونظر إلى رجل قبيحِ الوجه ، فقال : كأنما خُلِقَ هذا الرجلُ ليَعْلَمَ الناسُ نعمةَ الله عليهم .

وقدمَ صديقٌ له من بعضِ الأعمال السلطانية ، فدعاهُ إلى منزله وأطعمه وجعل الرجلُ يكثرُ الكذبَ ، فالتفت أبو العيناء إلى من كان معه فقال . نحن كما قال الله تعالى : (سَمَّاعُون للكذبِ أكَّالُونَ للسُّحْتِ)(١)

وقيل : ابنْ كَمْ أنتَ ؟ فقال : قبضه ، يعني : ثلاثاً وتسعين .

وقيل له : كيف حمْدُك لفلان ؟ فقال : أحمده للُؤْمِ الزمان ، فأمَّا عن حُسْنِ اختيار فلا .

واعترضه يوماً أحمد بن سعيد ، فسلَّم عليه ، فقال أبو العيناء : من أنتَ ؟ قال : أحمدُ بن سعيد ، فقال : إني بك لَعارف ، ولكن عهدي بصوتك يرتفعْ

(١) سورة المائدة ٤٢ .

إليَّ من أسفل . فماله ينحدر عليَّ من علُو ؟ قال : لأني راكب . قال : لا إله إلا الله . لعهدي بك وأنت في طِمْرين(١) او أقسمتَ على الله في رغيفٍ لأعضَّك بما تكرَه .

وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان : إلى كم يرفعُني الوزير ، ولايرفع لي رأسا ؟ .

وقال له يوماً : كيف حالُك ؟ فقال : أنتَ الحالُ ، فإذا صَلُحْتَ صَلُحتُ .

وقال يوماً لعُبيد الله بن يحيى : أيها الوزير ، قد برَّح بي حُجَّابُك ، فقال له : ارفقْ . فقال : لو رفق بي فعلُك رَفق بك قولي .

وقيل له : لاتعجل ، فإنّ العَجلةَ من الشَّيطان ، فقال : لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام : (وعَجِلْتُ إليك ربِّ لِترضَى) (٢) .

وقال لرجل : واللهِ مافيكَ من العقلِ شيءٌ إلا مقدارَ ما تَجِبُ به الحجةُ عليك ، والنّارُ لكَ .

---

(١) الطمر : الثوب الخلق البالي

(٢) سورة طه ٨٤ .

قال المتوكلُ : لولا ذهاب بَصرِ أبي العيناء لأردتُ منادمتَه ، وبلغه ذلك ، فقال : قولُوا له : إنّي إن أُعفيتُ من قراءة نقوش الخواتم ، ورُؤْية الأهلّة صلحتُ لغير ذلك . وأنهي ذلك إلى المتوكل فضحك وأمرَ بمنادمته .

قال أبو العيناء : سمعتُ جاراً لي أحمقٌ وهو يقول لجارٍ له : والله لهممت أنْ أُوكِّلَ بكَ مَنْ يصفعُ رقبتَك ، ويُخرِجُ هذه الجفون من أقصى حجرٍ بخراسانَ .

ودخل إلى ابن مكرمٍ ، فقال له : كيف أنتَ ؟ قال : كما تحبُ ، فقال : فلم أَنتَ مُطْلَقٌ ؟(١) .

* * *

ومِنْ رَسَائِلِ أبي العَيْنَاءِ وكَلامِه المُسْتَحْسَنِ

كتب إلى أبي الوليد بن دواد : جُعلتُ فداك ، مَسَّتنَا وأهلَنا الضرُّ ، وبضاعتُنَا المودةُ والشكر ، فإنْ تعطنا أكنْ كما قال الشاعر :

أنا الشِّهابُ الذي يحمي دياركُم
لايَخْمُدُ الدهرَ إلاّ ضوءُه يقِدِ

(١) مطلق : غير متقلد لشؤون الوزارة .

وإن لم تفعل فلسنا مِمَّنْ يَلْمِزُكَ (١) في الصَّدَقاتِ .
﴿ فَإِنْ أُعطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّم يُعْطَوا مِنها إذا هُم يَسْخَطُونَ ﴾ (٢) .

قال ابن مُكرَّم : مَنْ زعم أن عبدَ الحميدِ أكْتَبُ من أبي العيناءِ إذا أحسَّ بكرمٍ أو شَرَع في طمعٍ فقد وَهِم.

كتب إلى عُبيد الله بن سليمانَ وقد نكبه وأباه المعتمدُ ، وهما مطالبان بمالٍ ، يبيعان له مابهاكان من عقار وأثاثٍ ، وعبدٍ وأمَةٍ . وأُعطِي بخادمٍ أسودَ لعبيدِ الله خمسون ديناراً ، فكتب إليه أبو العيناء :

قد علمتَ — أطال الله بقاءَك - أنَّ الكريم المنكوب أجدَى على الأحرارِ من اللئيم الموفورِ (٣) . لأن اللئيم يزيدُ مع النعمةِ لؤماً ، ولاتزيدُ محنةُ الكريم إلاَّ كرماً ، هذا مُتَّكِلٌ على رَازقه ، وهذا يسيءُ الظن بخالقه ، وعبدُك إلى مِلْكِ كافورٍ فقيرٌ ، وتمنُّه على مااتَّصل به

---

(١) يلمز : يعيب ويغتاب .
(٢) سورة التوبة : ٥٨ .
(٣) الموفور : الكثير الوفر والمال

يسير ، فإن سمحتَ فتلكَ منك عادتي ، وإنْ أمرتَ بأخذِ ثمنِه فمالُكَ منه مادّتي . أدام الله لنا دولتَك ، واستقبل بالنعمةِ نكبتَك ، وأدام عزَّكَ وكرامتكَ . فوهب الخادمَ إليه .

قال أبو العيناء : قال ملكٌ لبنيه : صِفُوا لي شهواتِكم من النساء . فقال الأكبر : تُعجبُني القُدودُ والخُدودُ والنهودُ . وقال الأوسط : تُعجبُني الأطرافُ والأعطافُ والأردافُ . وقال الأصغر : تُعجبني الشعورُ والثغورُ والنحورُ .

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رَباح خلّةٌ ومودةٌ وصداقةٌ قديمة ، فلما نُكِبَ مع الكتّاب في أول خلافة الواثق(١) أنشأ أبو العيناء كلاماً حكاه عن بعضِ الأعراب ، فلما وصلَ إلى الواثِق وقرِىء عليه . قال : واضعُ هذا الكلام ما أراد به غير إبراهيمَ بنِ رباحٍ ، وكان أحدُ أسبابِ الرِّضا عنه . ونسخةُ الكلام : قال :

(١) في سنة ٢٢٩هـ حبس الواثق بعض الكتاب ، وألزمهم أموالا عظيمة .

لقيتُ أعرابيّاً من أهلِ الباديةِ ، فقلتُ : ماعِنْدكَ من خَبرِ البلادِ ؟ قال : قتلَ أرضاً عالِمُها(١) . قلتُ : فما عندكَ من خبرِ الخليفةِ ؟ قال : تبحبَحَ في عزّةٍ(٢) فضربَ بِجرانِه(٣) ، وأخذ الدِّرهم من مِصره ، وأرعفَ كل قلم خيانته(٤) .

قلتُ . فما عِندكَ من خبر ابن أبي دُواد ؟ قال : عُضْلَةٌ(٥) لاتُطاق ، وجَنْدلَةٌ لاتُرام . يُنْتَحى بالمُدَى لِنحرِه فتحور(٦) ، وتُنْصبُ له الحبائلُ حتى يقول : الآنَ ، ثم يَضْبرُ(٧) ضبْرَةَ الذئب ، ويتملّسُ

(١) كناية عن الخبرة بما سئل عنه

(٢) تبحبح : توسط ، كناية عن التمكن

(٣) الجران في الأصل باطن العنق ، وقيل . مقدم العنق من مذبح البعير .

(٤) أرعف الإناء ملأه حتى سال

(٥) العضلة . الشديد الداهية والجندلة الحجر ، أو ما يجتمع في النهر من حجارة تمنع الملاحة .

(٦) تحور . ترجع .

(٧) يضبر : يثب ، وأصلها نوع من سير الفرس

تَمَلْمُسَ الضَّب ، والخليفةُ يحتو(١) عليه ، والعراق(٢) يأخذُ بضَبْعَيْه .

قلتُ : فما عندك من خبر عُمَرَ بنِ فَرَج (٣)؟ فقال : ضُخامٌ حِضَجْرٌ (٤) وغضوبٌ هِزبرٌ ، قد أهدَفَه القومُ لبغيهم ، وانتضَوْا له عن قِسيِّهم وأحْرِ لُه بمثلِ مصرعِ من يُصرعُ منهم !.

قلت : فما عندكَ من خبر ابن الزيات ؟ قال : ذاكَ رجلٌ وسِعَ الورى بِشرُه ، وبطن بالأُمور خبْرُه . فله في كل يوم صريعٌ لا تظهرُ فيه آثارُ مِخلبٍ ولا نابٍ ، إلا بتسديدِ الرأي .

قلت : فما عندك من خبر إبراهيم بن رباح ؟ قال : ذاك رجلٌ أوْبَقَهُ كَرمُه ، وإنْ يفُزْ للكرام قِدحُ (٥).

---

(١) الحتو : العدو الشديد .

(٢) الضبع : العضد .

(٣) عمر بن فرج حبسه المتوكل ، وكان أحد من حبسهم الواثق من الكتاب .

(٤) الضخام : العظيم من كل شيء ، وقيل العظيم الجرم ، الكثير اللحم ، والحضجر : العظيم البطن .

(٥) القدح : السهم .

فأحرِ بمنجاته ، ومعه دُعاءٌ لا يخذُلُه ، وفوقهُ خليفةٌ لا يظْلِمـُه .

قلت : فما عندك من خبر نجاح بن سلَمة ؟ قال : لادرُّه من خافِضٍ أوتادٍ ، يقدُ كأنّهُ لهبُ نارٍ ، له في الفينَةِ بعد الفينة جِلْسة عند الخليفةِ كحُسْوةِ طائر ، أو كخِلْسةِ سارق ، يقومُ عنها ، وقد أفادَ نِعماً ، وأوقعَ نِقَما .

قلت : فما عندك من خبر الفضل بن مروان ؟ قال : ذاك رجلٌ حُشِر بعد ما قُبِر ، فله نشرةُ الأحياء ، وفيه خفوتُ الموتى .

قلت : فما عندك من خبر أبي الوزير (١) فقال : إخالهُ كبش الزنادقة . ألا ترى أنّ الخليفةَ إذا أهمله خَضِم(٢) فرتَع ، حتى إذا أمَر بنفْضِه أمطر فأمرع .

قلت : فما عندَكَ من خبرِ أحمدَ بن الخصيب ؟

---

(١) أبو الوزير : وزير المتوكل

(٢) الخضم الأكل بالفم كله .

فقال : أحمدُ أكَلَ إِكْلةَ نَهِم ؛ فأخلفَ خِلْفةَ بَشَم (١) .

قلتُ : فما عندكَ من خبر المعلَّى بنِ أيوبٍ ؟ قال : ذاك رجلٌ قُدَّ مِن صَخْرة ، فصبرُه صبرُها ، ومَسُّه مسُّها .

قلتُ : فما عندك من خبر أحمد بن إسرائيل ؟ قال : كتومٌ غرورٌ ، وجَلْدٌ صبورٌ ، له جلد نَمِر ، كلما قدُّوا له إهاباً أنشأ اللهُ له إهاباً (٢) .

قلتُ : فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب ؟ قال : (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أحياءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (٣)

قلتُ : فما عندكَ من خبرِ سليمانَ بن وَهب ؟ فقال : ذَاك رجلٌ اتَّخذَه السلطانُ أخاً ، فاتَّخذَ نفسَهُ للسلطانِ عبْداً .

---

(١) بشم : بالغ في الطعام حتى التخمة

(٢) الإهاب : جلد الحيوان قبل دبغه

(٣) سورة النحل : ٢١ .

قلتُ : فما عندكَ من خبر أخيه الحسن ؟ : فقال سلمه ما استنوقتْ (١) مسألتك ! ذاك حرمةٌ حُبِستْ بجريرةِ المجرمِ ، لبس في القوم في خلٍّ ولا خمرٍ ، هيْهات .

كُتب الحبْسُ والخراجُ عليهم
وعلى المحصناتِ جرُّ الذُّيولِ (٢)

---

(١) مأخوذ من المثل : « استنوق الجمل » . إذا ضعف أمره .
(٢) مأخوذ من بيت عمر بن أبى ربيعه

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول

الباب السابع

نـوادر مزبـد[1]

أخذه بعضُ الولاة وقد اتَّهمه بالشُّرب ، فاستنكَهَه (٢) ، فلم يجد منه رائحةً ، فقال : قيِّئوه . قال : من يضمنُ عَشائي أصلحك الله ؟ .

قيل له مرة — وقد أفحش في كلامه — : أمْلِ على كاتبيْكَ (٣) خيراً . قال : أكره أنْ أخلط عليهما .

وادَّعى رجل عليه شيئاً ، وقدَّمه إلى القاضي . فأنكره ، وسألَهُ إقامة البيِّنة ، فقال : ليس لي بينةٌ . قال : فأستحلِفُه لك ؟ قال : ومَا يمينُ مزبِّد أصلحك الله ؟

(١) مزبد المديني كان يضرب به المثل في الهزل والدعابة .

(٢) استنكهه : شم أي : رائحته

(٣) المراد : الملكان الكاتبان .

فقال مُزَبِّد : ابعث ، أصلحك الله ، إلى ابن أبي ذئب (١) فاستحلفه له .

وتناول رجلٌ من لحيته شيئاً ، فسكت عنه ، وكان الرجلُ قبيحَ الوجه ، فقال : ويحك لم لا تدعُولي ؟ فقال : كرهتُ أن أقولَ صرفَ الله عنكَ السوء فتبقى بلا وجه .

وقيل له : أيسرُّك أنّ هذه الجُبَّةَ لك ؟ قال : نعم ، وأضربُ عشرين سوطاً . قيل : ولم تقولُ ذلك ؟ قال : لأنّهُ لا يكونُ شيءٌ إلا بشيءٍ .

وأتاه أصحابُ له يوماً ؛ فقالوا له : يا أبا إسحاق ؛ هل لك في الخروج بنا إلى العَقيق (٢) ، وإلى قُباء (٣) ، وإلى أُحد ناحيةَ قبور الشهداء ؛ فإن يومَنا كما ترى يوم طيّب. قال : اليومَ يوم الأربعاء ولستُ أبرحُ من

---

(١) ابن أبي ذئب من الصالحين .

(٢) العقيق . يطلق على كثير من المواضع ، والمراد هنا عقيق المدينة ، بجانبها ، فيه عيون ونخل .

(٣) قباء ، في طرف المدينة ، يقصر ويمد ، بها مساكن بعض الأنصار ومسجد قباء المشهور

منزلي . قالوا : وما تكرهُ ؟ . يومُ الأربعاءِ فيه وُلِدَ يونسُ بن متى عليه السلام . قال : بأبي وأمي أنتم فقد التقمهُ الحوتُ . قالوا : فهو اليوم الذي نُصِرَ فيه النبيّ عليه السلام يومَ الأحزاب . قال : أجل . ولكنْ بعدَ إذْ زاغتِ الأبصارُ ، وبلغتِ القلوبُ الحناجرُ . وظنّوا بالله الظنونَ .

استأذن مُزَبد على بعض البخلاء وقد أُهدي اله تينٌ في أولِ أوانه ، فلما أحسّ بدخوله تناول الطبقَ . فوضعه تحت السرير ، وبقيتْ يدُه معلقة ، ثم قال لمزبّد : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قال : يا سيدي ، مررت الساعة ببابِ فلان ، فسمعتُ جاريته تقرأ لحناً ما سمعتُ قطُّ أحسنَ منه ، فلمّا علمتْ من شدة محبّتك للقرآن ، وسماعك للألحان ، حفظتُه، وجئتُ لأقرأه . عليك . قال : فهاتِه . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ((والزّيتون ، وطُورِ سينين .)) (٣) فقال : ويلك ! أين التين ؟ قال : تحت السرير ! ! .

---

(١) سورة التين : ١و٢ .

احتاج مزبّد أن يبيع جُبته لسوء حاله ، فنادى عليها المنادي ، فلم يطلب بشيءٍ ؛ فقال : مزبّد : ما كنتُ أعلمْ أني كنت عُرياناً إلى الساعة .

ونظر يوماً إلى امرأته تصعد في درجة ، فقال : أنتِ الطلاق إنْ صعدتِ ، وأنت الطلاق إن وقفتِ ، وأنت الطلاق إن نزلتِ . فرمت بنفسها من حيث بلغتْ . فقال لها : فداك أبي وأمي ! إن مات مالكٌ احتاجَ إليك أهلُ المدينةِ في أحكامهم .

وقالت امرأةُ مزبّد — وكانت حبلى ، ونظرتْ إلى قبيح وجهه — . الويلُ لي إن كان الذي في بطني يشبهكَ ، فقال لها : الويل لي إنْ كان الذي في بطنِك لا يشبهني .

دُفع مرّةً إلى والي مكة ، وقد أفطر في شهر رمضان ؛ فقال له الوالي : ياعدوّ الله ، تفطر في شهر رمضان ! قال : أنت أمرتني بذلك . قال : هذا شرٌّ ، كيف أمرتك ؟ وَيلك . قال : حدّثتَ عن ابن عباسٍ :

أنه من صام يوم عرفةَ عَدَل صومهُ سنةً ، وقد صُمتُه .
فضحك الوالي وخلاّه

واعتلّ علهً ، وأشرف منها إلى الهلاك ، وأراد أنْ يوْصي ، فدعا بعض أوليائه ، وأوصى إليه ، وكتب كتاب وصيته ، وأمر للوصيّ بشيءٍ ؛ فلما فرغ من الكتابة رآه مُزَبّدٌ وهو يُتْرِبُ الكتَاب ؛ فقال وهو على تلك الحال : نعم يا سيدي ، فهو أقضى للحاجة (١) .

ونظر إلى قومٍ مُكتّفين يُذْهَب بهم إلى السجن ، فقال : ما قصّةُ هؤلاءِ ؟ قالوا : خيرٌ . قال : إن كان خيراً فاكْتِفُوني معهم .

* * *

(١) أشار إلى الحديث الشريف . « إذا كتب أحدكم فليترب فإنه أنجح » .

الباب الثامن

نوادر أبي الحارث جمّين[1]

قيل له : ماتقولُ في فالوذجة ؟ قال والله لو أنّ موسى لَقِيَ فرعونَ بفالوذجةٍ لآمن ، ولكنه لقيَه بعَصًا .

وقيل له يوماً : ماتشتهي ؟ فقال : نَشيشَ مِقْلاةٍ بين غليان قِدرٍ على رائحة شِواء .

وكان لايأكل الباذنجانَ ، فكايده محمدُ بنُ يحيى واتخذَ ألوانَه كلَّها بباذنجان ، فجعل كلما قُدِّمَ لونٌ فرابهُ الباذنجانُ فيه توقّاه ، وأقبل على الخبز والملح ، فلما عطش قال : ياغلامُ ، اسقِني ماءً ليس فيه باذنجان .

وكتب يوماً إلى صديق له : أُوصيكَ بتقوى الله ، إلاّ أن ترَى غيرَ ذلك خيراً منه .

---

(١) أبو الحارث جمين ، أحد المشهورين بالنوادر والمزاح .

وقيل له : سبقتَ ببرذونك هذا قط ؟ قال : بلى ، مرة . دخلنا زقاقاً لامنفذَ له وكنتُ آخرَ القوم ، فلما رجعنا كنتُ أولَ الموكب .

ودخل جماعة من إخوانه . فاشتهوا عليه لوناً يطبخهُ لهم ، فدنا أحدُهم من القدرِ ليذوقها ، وأخرج قطعة لحم وأكلها ، وفعل كلٌّ واحد منهم كذلك ، فقال أحدهم : هي طيبةٌ لكنها تحتاج إلى شيءٍ لاأدري ماهو ؟ فقال أبو الحارثِ : أنا أعلمُ . هو ذا تحتاج إلى اللحم .

وحكى دِعبلٌ قال : بلغني أنَّ أبا الحارثِ قد فُلج ، فاغتممتُ لظرفه وملاحته . فصرتُ إليه فوجدتُه في عافية . فحمدتُ الله وسألتُه عن خبره ؟ فقال : دخلتُ الحمَّام وأكلتُ السمك ، ودعوتُ المزيِّنَ فأخذ شعري ، فظنَّ الفالجُ لما رأى المزينَ عندي أني احتجمت ، فلما علمَ أنه أخذَ من شعرِي تركني وانصرف .

ونظر يوماً إلى بِرْذون يُستَقى عليه . فقال :

* ومَا المرءُ إلا حيثُ يَجعلُ نفسَهُ *

لو أن هذا همْلَجَ ماكان هذا(١) .

وأكل يوماً مع الرؤساء بيضاً مسلوقاً ، فجعل يأكل الصفْرةَ ، وينحّي البياضَ إلى بين يدي أبي الحارث عبثاً به ، فقال لما طال ذلك عليه – وتنفّس الصعداء – : سقى اللهُ روح العجّة فما أعْدَلها .

ودخل إلى بعضِ أصدقائه يوماً ، فقال له : ماتشتهي ؟ قال ، أما اليوم فماء حِصْرِم ، وأما غدا فهَرِيسة .

قال بعضهم : دخلتُ على جمّين أعوده من مرضٍ به ، فقلت له : ما تَشتهي ؟ فقال : أعيُنَ الرقباءِ ، وألْسنَ الوشاة ، وأكبادَ الحُسّاد .

قيل لجمّين – وقد رأى سوداء قبيحة – : ابتلاك الله بحبّها ، قال : يابغيض ، لو ابتلاني بحبها كانت عندي من الحُور العين ، ولكن ابتلاك الله بأن تكونَ في بيتكَ وأنت تبغضها .

وقال له الرشيد : اللوزينج أطيبُ أم الفالوذج ؟

---

(١) هلج . أسرع فى سيره

قال : أحضِرْهُما ياأمير المؤمنين ، فأُحضرا ، فجعل يأكلُ من هذا وهذا ، ثم قال : ياأمير المؤمنين ، كلما أردتُ أن أشهد لأحدهما غمزني الآخر بحاجبه .

قال بَصريٌّ لجمين : يأتينا المدّ والجزرُ في كل يوم مرتين . قال : يستأذنُ اللهَ في هلاككم مرتين ، وكأنْ قَدِ .

ودعته امرأةٌ كان يحبُّها ، فجعلت تحادِثُه ولاتذكر الطعام ، فلما طال ذلك به قال : جعلني الله فِداءك ، لاأسمعُ للغداء ذِكْراً . قالت له : أما تستحي ! أما في وجهي مايشغلك عن هذا ؟ قال : جعلني الله فداءك ، لو أنَّ جميلا وبُثينة قعدا ساعةً لايأكلان شيئاً لبَزَقَ(١) كل منهما في وجه صاحبه .

* * *

(١) بزق : بصق

البـــاب التـــاســـع

نوادر الجمّاز (١)

قال الجمّازُ لأبي شُراعة(٢) : كيف تجِدُك ؟ قال : أجدني وقيذا(٣) من دماميل قد ظهرت في أقبحِ المَوَاضع . قال : ماأرى في وَجهِك منها شيئاً .

قال بعضُ إخوان الجمّاز — وقد دخل إليه وهو يطبخُ قِدراً — : لا إله إلا الله ماأعجب الرِّزق ! فقال الجماز : أعجبُ منه الحرمان . امرأتُهُ طالق إن ذُقْتَها .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عمرو الجماز ، بصري خبيث اللسان ماجن وهو ابن أخي سلم بن عمرو الخاسر الشاعر ، كان الجماز شاعراً صاحب مقطعات ، توفي سنه ٢٥٠ هـ في أيام المتوكل .

(٢) هو أحمد بن محمد بن شراعة ، شاعر بصري جزيل اللفظ ، مات في أيام المتوكل

(٣) الوقيد المريض المشرف على الموت .

وقال له السهوريّ : وُلِد لي البارحة ابنٌ كأنه الدينار المنقوش . فقال الجمّاز : لاعِنْ أمَّهْ(١)

صلّى رجلٌ صلاةً خفيفة . فقال له الجمّاز : لو رآك العجاج(٢) لسُرَّ بك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنَّ صلاتك رجز .

رأى رجلٌ الهلالَ فاستحسنه ، فقال له الجمّاز : وماتستحسنُ منه ؟ فوالله إنَّ فيه لخِصالاً لو كانت إحداهنّ في الحمار لرُدَّ بها ، قال : وماهي ؟ قال : إنه يدخل الروازن(٣) ، ويمنعُ من الدبيب ، ويدلُّ على اللصوص ، ويسخن من الماء ، ويخرق الكتّان ، ويورث الزكام ، ويحل الدين ، ويزهِم اللحم .

كان المتوكل يُحدَّث عن الجمّاز ، فكتبَ في حَمْلِه ، فلما دخل عليه لم يقع الموقعَ الذي ظنَّه ، فقال

---

(١) لاعن الرجل زوجته إذا قذفها بالزنى .
(٢) عبد الله بن رؤبة العجاج شاعر اشتهر بالرجز .
(٣) الروازن : الكوى .

المتوكل . تكلم فإني أُريد أن استبرِ ئَكَ(١) . فقال الجمّاز : بحيضةٍ أو بحيضتين ، فضحكت الجماعة .

وقال له الفتح : قد كلّمتُ أمِيرَ المؤمنين فيكَ حتى ولاكَ جزيرة القرودِ ، فقال له الجمّاز : أفلَسْتَ في السمع والطاعةِ أصلحك الله ؟ فحُصِرَ الفتْحُ وسكتْ .

فقال له بعضُ مَنْ حضر : إنَّ أميرَ المؤمنين يريد أن يهبَ لك جاريةً . فقال : ليس مثلي مَنْ غَرَّم نفسه ، ولاكذّب عند أمير المؤمنين. إن أرادتني أن أقودَ عليها ، وإلاَّ فمالها عندي شيء ، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم ، وأخذها وانحدر ، فمات فرحاً .

* * *

(١) من معانى استبرأ إن الرجل لا يطأ امرأته إذا كانت متزوجة قبله ، أو منه حتى تحيض .

الباب العاشر

نوادر المجانين

قال مجنونٌ — ولقي الناسَ منصرفين من الجمعة — : أيها الناس : (إنّي رسُولُ الله إليكُم جميعاً)(١) . فقال له مجنونٌ آخر . (ولا تَعجلْ بالقُرآن أن يُقْضى إليكَ وَحيُهُ) (٢) .

ومرّ مُوسَى بن أبي الروقاء ، فناداه صبّاحٌ الموسوس : يابنَ أبي الرّوقاء أسمَنْتَ برذَوْنَك ، وهزَلت دينَك(٣) . أما واللهِ إنّ أمامك لعقبةً لايجوزها إلاّ المُخِفّ . فحبَس موسى برذونَه ، فقيل له : هذا صبّاحٌ الموسوس . قال : ماهو بموسوس ؟ .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) سورة طه ٠ ١١٤

(٣) هزل لازم ومتعد .

وقف رجلٌ على بُهلول ، فقال له : تعرفُني ؟ فقال بُهلول : إيْ واللهِ ، وأنْسِبُك نسبة الكمْأة ، لا أصلٌ ثابتٌ ، ولافرعٌ نابِت .

ودعا الرشيدُ بُهلولاً ليضحكَ منه ، فلما دخلَ دعَا له بمائدةٍ فقُدِّمَ عليها خبزٌ وَحْدَه ، فولى بُهلولٌ هارباً ، فقال له : إلى أين ؟ . قال : أجيئكُم يوم الأضحى ، فعسى أن يكون عندكم لحمٌ .

أخرجَ بلال بن أبي بُردَة(١) من حَبسِه مجنوناً يمازِحُه ، فقال له : أتَدرِي لم أخرجتك ؟ قال : لا . قال : لأسخَر منك . قال : إنَّ المسلمينَ حكَّمُوا حكَمَين فسخر أحدُهما بالآخر .

قال المُبرِّد : دخلتُ يوما دَيْر هِزْقِل ، فرأيتُ في صَحنِ الدارِ مجنوناً ، فدلَعْتُ لِسَاني(٢) في وَجهه ، فنظر إلى السماء ، وقال : الحمدُ والشكرُ مَن حلُّوا ومن ربطُوا .

---

(١) بلال بن أبى بردة بن أبي موسى الأشعري ، أمير البصرة وقاضيها .

(٢) دلع لسانه : أخرجه .

قال بعضُهم : رأيتُ بحمصٍ مجنوناً يقول : ياقوم ، مَن يتعلمُ : « لاأدري » ؟ ياهذا ، تعلم : « لاأدري » ، فإنَّك إذا قلتَ : « لاأدري » علَّموك حتى تَدْري وإذا قلتَ : « أدري » سألوكَ حتى لاتدري .

وجاء مجنونٌ فوقفَ عند شجرة مَلْساء ، فقال : مَن يعطيني نصفَ درهم حتى أصعد ؟ فعجبَ الناسُ وأعطَوه ، فأحرزَه ، ثم قال : هاتُوا سلَّما . قالوا : ماكان السلم في الشرط . قال : وكانَ بلا سلم في الشرط؟ .

ووقف بُهلول على رَجُل ، وقال : خبِّرني عن قول الشاعر :

* وإذَا نَبَا بكَ منزلٌ فتحوَّلِ *

كيفَ هو عندك ؟ قال : جيدٌ . قال : فإن كنت في الحبس فكيف تتحول ؟ . قال : فانقطع الرجلُ ، فقال بهلول : الصوابُ قولُ غيرهِ :

إذا كُنتَ في دارٍ يسوءُكَ أهلُها
ولم تكُ مَكْبُولا بهـا فتحوَّلِ

أصيب إسحاقُ بنُ محمدِ بنِ الصبَّاح الكندي بابنِ

له ، فجزع ، فدخل أهلُ الكوفة يعزّونه ، ودخل فيهم بُهلول ، فقال : أيسرُّكَ أنه بقَي وأنه مثلي ؟ . قال : لا واللهِ ، وإنها لتعزية ! .

هرب مجنون من الصبيان ، ودخل دهليزا ، وأغلقَ الباب في وجوههم وجلس ، فخرج إليه صاحبُ الدار ، فقال : لِمَ دخلتَ داري ؟ . قال : من أيدي هؤلاء أولاد الزِّنَى . فدخل صاحبُ الدار ، وأخرج طبقاً عليه رُطَبٌ كثيرٌ ، فجلس المجنون يأكل ، والصبيان يصيحون على الباب ، فأخرج المجنونُ رأسه إلى صاحب الدار ، فقال : يابٌ بَاطِنُه فيهِ الرَّحمَةُ وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ .

قيل لمجنون كان بالبَصرَةِ : عُدَّ لنا مجانينَ البصرة. قال : كلفتموني شَطَطاً ، أنا على عَدِّ عقلائِهم أقدَر .

قال الفزاري : رأيتُ مجنوناً يُسَوِّي رأسَ سكرانَ ، ويقول له : يؤيؤ(١) ، واللّه لا أفلحت أبداً .

شدَّ مجنونٌ على رجل بالبَصرَةِ ، فأخذه الرجل

---

(١) اليؤيؤ : طائر صغير أصفر اللون يضرب إلى الزرقة .

فضربه . فقال الناس : إنه مجنون ، وجعل المجنون يقول مِنْ تحته : ويحكم أفْهموه .

وجاز بهلول بسُوق البزّازين ، فرأى قوماً مُستجمعِين على باب دُكّان ينظرونَ إلى نقبٍ قد نُقِبَ على بعضهم ، فاطّلع في النّقب ، ثم قال : وكلكم لا تعلمون ذا مِنْ عملِ مَنْ ؟ قالوا : لا . قال : فإني أعلم . فقال الناس : هذا مجنونٌ يراهم بالليل ولا يتحاشَونَه ، فأنعِمُوا له القول لعله يخبرُ بذلك . فسألوه أن يخبرهم . فقال : إني جائع ، فهاتوا أربعةَ أرطال رقاقٍ ورأسين ، فأحضروا ذلكَ وأكل ، فلما استوفى قال : هوذا أشتهي شيئاً حُلوا ، فأحضروا له رطلين فالوذج فأكله . وفرغ منه وقام وتأمّل النقب ، ثم قال : كأنكم الساعةَ لستم تعلمون هذا مِن عَمَل مَن ؟ قالوا : لا . قال : هذا من عمل اللصوص لاشكّ . وعَدَا .

جاءت امرأةٌ دَنْدانَ المجنونِ إلى القاضِي ، فقالت . أصلحك الله ، إنه يُجيعُني ويضرِبني ! قال القاضي .

ما تقُول ؟ . قال دندانُ : أما الضربُ فنعم ، وأما الجوعُ فهي طالقٌ ثلاثاً إن لم تجيء معي إلى منزلي مع أصحابك أيها القاضي . فقال لأصحابه : قومُوا بنا لا يَحْنَث . فقام القاضي ، وذهب معه ، فلما دخل جاءَ به إلى مَزْبلة فيها رَجيعٌ (١) عظيم ، فقال : أصلحكَ اللّه . هذا يخرجُ مِنْ بطن جائعٍ ؟ . قال : أخزاك اللّه ، فإنك أحمقٌ . قال : أحمقُ مني من أطاع المجانين .

كان بُهلول يوماً جالساً والصبيانُ يؤذُونه وهو يقول : لاحول ولاقوة إلا باللّه . يُعيدهُ مِرَاراً ، فلما طال أذاهم له أخذَ عصاه وقال : حَمِيَ الوطيسُ ، وطابتِ الحَربُ ، وأنا على بيِّنةٍ من ربّي . ثم حمل عليهم وهو يقول :

أشُدّ على الكتيبةِ لا أبَالي
أفيها كان حَتْفي أم سِواها(٢) .

---

(١) الرجيع : الروث .
(٢) البيت للعباس بن مرداس .

فتساقط الصبيانُ بعضُهم على بعض ، وتهارَبُوا ، فقال : هُزِم القوم وولَّوا الدبر . أمرنا أمير المؤمنين — رضي اللّه عنه — ألاَّ نتبعَ مُوَلِّياً ، ولا نُدَفِّفَ(١) على جريح ، ثم رجع وجلس وطرح عَصَاه ، وقال :

فألْقَتْ عَصَاها واستقرّ بها النَّوَى
كما قرَّعينـاً بالإيـاب المُسافِرُ(٢)

* * *

(١) دفف على الجريح : أجهز عليه .

(٢) ألقى المسافر عصاه : بلغ موضعه واستقر به

الباب الحادي عشر

نوادر البخلاء

قال بعضهم لبخيل . لم لا تدعوني يوماً ؟ . قال . لأنك جيِّدُ المَضْغِ ، سريعُ البَلْع ، إذا أكلتَ لُقْمَةً هيّأتَ أخرى . قال : فتريدُ مني إذا أكلتُ لقمةً أن أصلّي ركعتين ، ثم أعودُ إلى الثانية ؟ .

دخل واحدٌ إلى بعضهم وهو يأكل ، ومعه آخر ؛ فقال للدّاخل : تعالَ كُلْ . قال : قد تَغَدّيتُ . فقال : هذا أيضاً زعم أنه تغدّى .

ودخل آخرُ على بعضهم وبين يديه طبقٌ عليه تين ؛ فلما أحسَّ بالدّاخل غطّى الطَّبَق بذَيله ، وأدخَل رأسه في جيبه ، وقال للدّاخل : كُنْ أنتَ في الحجرةِ الأُخرى حتى أفرغَ من بخوري

أكل ابن المدبّر يوماً عند ابن الفيّاض(١) ، فقُدِّمت جُوادابة(٢) في نهاية الجودة ، وأمعن ابنُ المدبّر فيها ، فلم يصبر ابنُ الفيّاضِ حتى قال له : أليسَ زعمتَ أنك لستَ صاحبَ جُوذابٍ .

وقال بعضُ المبخّلين لرجلٍ على مائدته : اكسر ذلك الرّغيفَ . فقال : دعهُ يُبْتَلى به غيري .

دعا بخيلٌ قوماً ، واتّخذ لهم طعاماً . فلما جلسُوا يأكلون وهو قائم يخدُمهم ، وأمعنُوا في الأكلِ جعل صاحبُ البيت يتلُو فيما بينه وبين نفسه . (وَجَزَاهُم بما صبَرُوا جنّةً وَحريراً) (٣)

وكان جعفرُ بن سليمان بخيلاً على الطعام ، فرُفِعَت المائدةُ من بين يديه وعليها دجاجةٌ ، فوثب عليها بعضُ بنيه وأكل منها ، وأُعيدتْ عليه من غدٍ ، فلما رآها وقد أُكِلَ منها شيءٌ . قال : من هذا الذي تعاطى فعقر (٤)

---

(١) علي بن محمد الفياض ، كاتب

(٢) الجوداب : طعام يتخذ من اللحم والرز والسكر والبندق .

(٣) سورة الإنسان . ١٢

(٤) إشارة إلى الآية : (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر)سورة القمر . ٢٩.

قالوا : ابنُكَ فلان . فقطع أرزاقَ بنيه كلّهم ، فلما طال عليهم قال بعضُ بنيه : أفتهلكُنَا بما فعل السفهاءُ منّا(١) ، فأمر بردّ نصفِ أرزاقهم .

وقف واحدٌ على الحُطيئة يستقْرِيه(٢) فمنعه . فقال : إنَّ الرَّمْضَاءَ قد أحرقت قدميّ . قال . بُلْ عليهما تبردا قال : وما عندكَ غيرُ هذا ؟ . قال : بلى ، هراوةٌ من أرزن(٣) معتجَّرة . قال : إني ضيف . قال : للضيفان أعددْتُها .

قال أبو الأسود الدُّؤلي – وكان بخيلاً – : لو أطعنَا المساكينَ في أموالنا كُنا أسوأ حالاً منْهم .

قال الجاحظ : حدّثني بعضُ أصحابنا قال : كنا منطلقين إلى رجلٍ من كبارِ أهل العسكر . وقد كان لبثُنا عنده يطولُ ، فقال له بعضُنا : إن رأيتَ أن تجعل

---

(١) إشارة إلى الآية : (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) سورة الأعراف : ١٥٥ .

(٢) يستقريه . يطلب منه القرى ، وهو طعام الضيف .

(٣) الأرزن : شجر صلب والخشبة العجراء التي بها عقد .

انا أماره إذا طَهَرتْ خَفَّمْنا ، ولم نُنْعِك بالقعود .
وقد قال أصحابُ معاوية مثلَ الذي قلنا لك ، فقال :
أمارةُ ذلكَ إذا قلتُ : إذا شئتم . وقال أصحابُ يزيدَ
مثلَ ذلك . فقال : إذا قلتُ : على بركة الله ، وقيل
لعبد الملك ، فقال : إذا ألقيتُ الخيزرانةَ من يدي ،
فأيّ شيء تجعل لنا أصلحك الله ؟ فقال : إذا قلتُ :
يا غلام ، الغداء .

قال جُحْظَةُ(١) : دخلتُ وأنا في بقايا علّة
على كاتب ، فقدم إلينا مَضِيرةً ، فأمعنتُ فيها ، فقال :
جُعِلْتُ فداكَ ، أنتَ عليلٌ ، وبَدَنُك نحيل ، واللبن
يستحيل ، فقلت : والعظيمُ الجليل لا تركتُ منها كثيراً
ولا قليلاً ، وحسبُنا الله ونِعْمَ الوكيلُ .

حُقِنَ عُمَرُ بنُ يزيدَ الأسدي(٢) بحُقْنةٍ فيها
دُهْنٌ ، فلما حرّكَهُ بطنُه كرهَ أن يذهبَ الدهنُ

---

(١) جحظة . هو أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي ، لقب بجحظة لجحوظ عينيه ، أديب ، وشاعر ، ونديم ، ولد سنة ٢٢٤هـ ، وتوفي سنة ٣٢٤هـ .

(٢) هو عمر بن يزيد الأسدي ، أحد الشجعان المقدمين في حكم بني مروان .

صياعاً ، فدعا بطَسْتٍ وجلس عليه . ثم قال : صَمُّوا هذا الدهن فإنه يصلح للسِّراج .

وأوصى بعضُهم ابنه ، فقال : كُن مع الناسِ كلاعِب الشِّطْرنج يحفظُ شَيْئَه .

كان بالكوفة رجلٌ من المُصلِحين — وهذا لقبُ المُقَدَّمين منهم في اللؤم — فبلغه أنَّ بالبصرة رجلاً من المصلحين مقدَّما في شأنهِ ، فقام الكوفيُّ ، وصارَ إلى البصرة ليَلْقَى صاحبَه . فلما قدم عليه قال له : مَنْ أنتَ ؟ . قال : أنا مصلحٌ من أهل الكوفة ، وقد بلغني خَبَرُك ، فرحَّب به ، وأدخله البيت وأجلسَه ، وأخذ قطعةً ومرَّ ليشتري له شيئاً يأكله ، فلما خرج إلى السوق دَنا من البقال ، فقال : عندك خبز ؟ فقال : عندي خبزٌ كأنّه السمنُ فقال المصلحُ في نفسه : لِمَ لا أشتري ما نعته به ؟ فذهب إلى آخرَ ، وقال : أعندك سمن ؟ فقال : عندي سمنٌ كأنّه الزّيت فقال في نفسه : أذهبُ فآخذُ ما نعته به ، فذهب إلى بقّالٍ آخر ، فقال : عندك زيت ؟ قال : عندي زيت كأنه الماء . فقال في نفسه : عندي واللّه راويةُ ماء . فرجع إلى البيتِ ، وأخذ الماء

في غَضَارة(١) وقدمه إلى الكوفيّ وقال : كُل هذا ، وإنه نَعْتُ النَّعتِ ، فقال الكوفي : أنا أشهدُ أنكم أحذقُ بالإصلاح منَّا بألفِ درجة .

قال بعضهم : بِتُّ عند رجلٍ من أهل الكوفة . وهو من المُوسِرين المعروفين بحُسنِ الحال ، ولهُ صِبيانٌ نيامٌ بحيث أراهم ، فرأيتهُ في الليل يقومُ فيقلِّبُهم من جَنْبٍ إلى جنب ، فلما أصبحنا قلت له : رأيتكَ يا أبا جعفر البارحة تفعلُ كَيْتَ وكيت ، قال : نعم ، هؤلاء الصبيانُ يأكلون وينامونَ على اليسار ، فيُمرِيهم الطعام فيصبحون جياعاً ، فأنا أقلِّبُهم من اليسار إلى اليمين ؛ لئلا يَنْهَضِمَ ما أكلوه سريعاً .

قال بعضهم : دخلتُ الكوفةَ فسمعتُ امرأةً تقول : يا أبا جعفر الدَّقاق ، حَسِيبُكَ اللّه(٢) — وقد اجتمعَ الناسُ عليهما — فقال الدقاق : مالَكِ ؟ قالت : أعطيتني كَيْلَجَةَ(٣) دقيقٍ ما جاء منها إلا ثمانون رغيفاً . قال :

---

(١) غضارة : إناء كالقلة .

(٢) حسيبك الله : انتقم الله منك .

(٣) الكيلجة والكيلقة : شيء يكال به .

يا مُسْرِفَةُ ؛ إذا كنتِ تخبزين رُغفاناً مثل الأرْحِيَة فأيُّ ذنب لي ؟ .

قال آخرُ : رأيتُ بالكوفة صبياً ومعه قُرصة(١) ، وهو يكسر لقمةً لقمةً ، ويرمي بها إلى شَقٍّ في بعض الحيطان يخرج منه دُخانٌ ، ويأكلها . قال : فبقيتُ أتعجَّبُ منه ، إذْ وقفَ عليه أبوه يسأله عن خَبَرِه ؛ فقال الصبي : هؤلاء قد طبخُوا سِكباجة(٢) حامضةً كثيرةَ التوابل ؛ فأنا أتأدَّم برائحتها . قال : فصفَعَهُ أبوه صفعةً صُلْبَةً كادَ يقطع بها رأسَه وقال : تريدُ تُعوِّد نفسكَ من اليوم ألاَّ تأكل خبزاً إلا بأدَم .

نزل بكوفيٍّ ضَيفٌ ، فقال لجاريته : يا جارية ، أصلحي لضيفنا فالوذَجاً . قالت الجاريةُ : ليس عندنا شيء . قال : ويلك ! فهاتي قطيفةَ إبريسم (٣) حتى ينام .

(٣) القرصة . الخبزة من الطعام ، ومثلها القرص .

(٤) السكباجة : طعام يصنع من لحم وخل وبصل وكراث وعسل مع الأفاويه .

(١) الإبريسم . الحرير

قال الضيفُ : يا سيدي ، فليس بين الفالوذَجِ والقطيفةِ رغيفٌ وقليلُ جبنٍ ؟ .

وقال آخر : رأيتُ كوفياً يُخاصِمُ جاراً له ويقاتلُه ، فقلت : ما قصتّكما ؟ . فقال أحدهما : زارني زَائرٌ ، فتشهّى عليّ رُؤوساً ، فأطعمته ، وأخذتُ العظام ؛ فرميتُ بها على باب داري أتجمَّلُ بها ، وأكبِتُ العدوَّ ، فجاء هذا . وأخذَها من باب داري ، وجعلها على باب دارِه .

وكان بعضُ المياسيرِ منهم له والدةٌ عجوز ، فقيل لها : كم يُجري عليك ابنُك ؟ . قالت : دِرهماً في كل أضحى . قيل : يا سبحانَ الله ! درهمٌ في كل أضحى ! . قالت : نعم ، وربما أدخلَ الأضحَى في الأضحى .

وكان بعضُهم يأكل ومعه على المائده ابنهُ وروجتهُ . فقال : لعن الله الزَّحمة . فقال له ابنهُ : يا أبَهُ ، تعنيني ؟ فليس ها هنا غيري وغيرُ أمي ؛ قال : فترىَ أعنِي نفسي ؟ .

خرج نفرٌ من أهل مَرْو في سَفَر ، وصبروا على تَركِ السراج للارتفاق بما يرجعُ عليهم منه حتى أَبلَغَ ذلك إليهم ، فاتفقوا على أن يُخرِجَ كلٌّ واحد منهم شيئاً للسِّراج ، وامتنع واحدٌ منهم من أن يُعطِيَ شيئاً ؛ فكانوا إذا أسرجوا شدّوا عينيه بمنديل إلى وقتِ النوم ورَفعِ السراج .

قال المنصورُ للوضين بنِ عَطَاء (١) : ما عِيالُكَ ؟ . قال : ثلاثُ بنات والمرأةُ . قال ؛ أربعٌ في بيتك . قال : فردَّد ذلكَ حتى ظننتُ أنه سَيَصِلُنِي . قال : ثم رفعَ رَأسَه ؛ فقال : أنت أيسَرُ العربِ ، أربعهُ مغازلَ تدور في بَيتِك .

وسقَى إنسانٌ بخيلٌ ضيفاً له نبيذاً عتيقاً على الرِّيق . فتأوَّهَ الرجل ؛ فقيل له : لِمَ لا تتكلم ؟ فقال : إن سكتُّ متُّ ، وإن تكلمتُ ماتَ ربُّ البيت .

وكان بعضُ البخلاء يأكلُ نصفَ الليل ، فقيل له

(١) الوضين بن عطاء الشامي : محدث ثقة ، كان من الخطباء البلغاء ، مات سنة ١٤٩هـ

في ذلك ، فقال : يبردُ الماء وينقمعُ الذُّباب ، وآمن فجأة الدَّاخِل ، وصَرْخَةَ السَّائل ، وصياحَ الصبيان .

قال الواقدي : خرجتُ أنا وابنُ أبي الزناد (١) إلى بعض المواضع بالمدينة ، ورجعنا نصفَ النهار في يومٍ صائفٍ ، فقال : ما أحوجنا إلى شربة ماءٍ باردٍ ! فإذا نحنُ بسعيد مولى ابن أبي الزّناد ، فقلت له : ابعث لنا شَرْبَةَ ماء ، فقال : نعم وكَرامة ، اجلس.وبادَر مستعجلاً ، فدخل الدار ومكثَ طويلاً ، ثم خرج إلينا ، فقال : تعودونَ العشيةَ إن شاء الله .

قال العتبيّ : لو بُذِلَت الجنّةُ للأَصمعي بدرهمٍ لاستنقص شيئاً .

سأل مُتَكفِّفٌ الأَصمعيّ ، فقال : لا أرتضِي لك ما يحضُرني ، فقال السائلُ : أنا أرضى به ، فقال الأَصمعي : هو ، بُورِكَ فيك .

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد من العلماء الأجلة ، ولد سنة ١٠٠هـ ، وتوفي سنة ١٧٤هـ .

أعطى المنصور بعضهم شيئا ثم ندم ، فقال له : لا تنفق هذا المال واحتفظ به ، وجعل يكرر عليه ذلك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت فاختمه حتى ألقاك به يوم القيامة فضحك وخلاّه .

كان رجلٌ على طعام بعضِ البخلاء ؛ فأخذ عُراقا (١) فلم يجد عليه لَحْماً ، فوضعه ليأْخذَ غيره ، فقال صاحبُ البيت : العيب بِمَسِّك (٢) .

قال بعضُهم : فلان عينُه دولابُ لقَم أضيافه .

قال بعضُهم لغلامه : هاتِ الطعامَ وأغلق البابَ .فقال الغلام : هذا خطأ . أغلقُ البابَ ، ثم أقدمُ الطعامَ ، فقال : أحسنت أنت حرٌّ

* * *

---

(١) العراق العظم .

(٢) أى لم تجد الا نتقاء فلا تأخذ غيرها .

الباب الثاني عشر

كلام الشطّار (١)

ومن عجيب محاورهم ، ونوادرهم

حكى بعضُهم أن شاطراً افتخر . قال : فحفظتُ من كلامه :

أنا الموجُ الكادِرُ ، أنا القُفْل العَسِر ، هذا وجهي إلى الآخرة ، تأمُرُ بشيء ؟ لك حاجة إلى مالكٍ خازنِ النار ؟ . أنا النّارُ ، أنا العارُ ، أنا الرّحا (٢) إذا دار ، أنا مشيتُ سبُوعين (٣) بلا رأس ، لولا أني عليلٌ لتَخرتُ نخره نصفُها صاعقة ونصفُها زلزلة . أضحك

---

(١) الشاطر من أعيا أهله خبثاً .

(٢) الرحا مؤنث ، هكذا كتبها المؤلف ، مراعيا السجع ، متجاوزا في الباب التقيد بالفصحى أحيانا

(٣) أسبوعين كتبها المؤلف بلهجة الشطار .

في جيبي ، وأنساك حتى ينسن الساعة . أقطف أسنانك وأجعله زر قميصي ، أو استنشقتك فلا أعطسك إلا في الجحيم ، أو آثرتك فلا أسولك إلا على الصراط إذا صاح آدم وامحمداه . والباء (١) لو كاتمني الفيل لم يخرس . أو البحر لم ييبس . أو عضني الأسد لم يضرس ، أورآني نمروذ (٢) لم يتمادس . أصدقائي أكثر من خوص البصره ، وخردل مصر ، وعدس الشام ، وحصى الجزيره ، وشوك القاطول (٣) . وحنطه الموصل وقصب البطائح (٤) ، وذوي الأدوار ، ورهبان فلسطين

كان يمرو رجل يتفتى وينشطر ، ولم يكن له يوم من أيام الفتيان قط ولا فتكة من فتكاتهم ، إلى أن

---

(١) لعل أصلها . وآلك أو باك ، وهي من كلام الشطار .

(٢) نمرود — بالذال أو الدال — ملك جبار

(٣) القاطول — اسم نهر كان في موضع سامرا ، كأنه مقطوع من دجله

(٤) البطائح . هي بطائح واسط أرض بين واسط والبصره ، كانت قديما مدنا متصله ، ثم علا الماء فغمرها ، وبعد انحساره تنبت فيها فيها أكثر زرعها رز

وقع بينه وبين رجل قصّار شغبٌ وشر ، فضربه ضرباً وجيعاً وأذلّه فكان يفتخر بذلك ويطاول عند الفتيان به ، فتأذّى جيرانه بأحد قصّابي حانته ، فجاءوه وقالوا : فلان قد آذانا ، فكفّه عنّا مرّة وتذلّه ، وتكفيناه . قال : لا أدري من فلان ؟ ، ولكن إن شئتما ضربتُ لكم القصّار وأنزلتُ كلّ مكروه به .

وقع بين ساطر وبين شيخ له كلامٌ ، فقال أحدهما للآخر : لولا أنك أكبرُ سناً مني لحرّكتك ، ثم مضى غنيّم بعده ، فوقع بينه وبين آخر فقال : والله لولا أنك أصغرُ مني لناتفتك ، فقال له رفيقه : يا من الزائدة ، متى يتفقُ لك ند أم تساويه ؟

قال بعضهم : رأيتُ ساطراً يُضرَب بالقلْس (١) ، وهو ينظر إلى الأرض ، فلما تابع الضربُ عليه قال له الوالي : ارفع رأسك ، فقال : يا سيدي ، بقيَ رأسُها . قال : وما معنى بقي رأسها ؟ قال الجلاّد : كنت

---

(١) القلس : حبل غليظ من حبال السفن ، أو حبل ضخم من الليف .

أصمر نه وهو يحبو برجله في الأرض بطة وقد بقي رأسها .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : دخلت على فتيان من أهل المدينة يشربون ، وإذا هم متكئون على كلاب كردية ، فقال بعضهم : هاتوا وسادة لأبي محمد ، فجاءوا بكلب ، فلما اتكأت عليه قالوا : هاتوا له أيضاً مخدة ، فجاءوا بجرو ، فلما تناولوا الأقداح جاء غلام وفي يده فأحجه بقدح في لحيه من يحبس القدح .

قال جار من ناحيته ، فجاء قوم إلى المعزول يتوجعون له ، فقال بعضهم لو كان غريباً عذرناه ، وإنما العجب أنه أخوك . فقال اعذروه فإن الملك عقيم

وكان سليمان من طراد سهم ، وكان لا يقعد في دهليزه ، ولا يشرب من جناحه ، بل يصير في قصر من قصور الأبلة (١) ، ولا يطلع في كوة ، ويأمر

---

(١) الأبلة بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل البصرة ، وهي أقدم من البصرة .

بذلك أصدقاءه وأصحابه . ويقول : إنْ تعوَّدتُم النظر إلى الماء والخروجَ إلى المتنزهات جزعتم من الحبس ، لم تدعوا ضيما ، ولم تكسبوا مالاً .

كان يقول : لا يُعجبني الفتَى يكونُ لحاظا . وكان صاحبَ إطراقٍ .

كان يقولُ : إياكم وفضولَ النظرِ ، يدعو إلى فضولِ القول والعمل .

ومنهم بابويه ، وكان شيخاً كبيراً ذا رأْي ونجدة ، وصدق وأمانة وهمَّةٍ بعيدة ، وأنفةٍ شديدة وكان محبوساً بعدَّة دماء فلما نَقَبَ حميرُ بنُ مالك السجن وقام على باب النقب يُشرِب الناس ويحميهم ؛ ليستتمَّ الكرَامة ، وجاء رسولُه إلى بابويه ، فقال : أبو نعامة ينتظرك . وليس له همٌّ سِوَاك ، وما بَرَدْتَ مِسْماراً ، ولا فككت حلقةً ، وأنت قاعد غيرُ مكترثٍ ولا محتفلٍ وقد خرج الناسُ حتى الضعفاء ؛ فقال بابويه . ليس مثلي يخرجْ

في الغِمار. وتَدْفَعُ عنه الرجالُ. لم أُشاوَر ولم أؤامر (١).
ثم يقال لي الآن: كن كالظَّعينه (٢). والأَمَة، والشيخ
الفاني. والله لا أكون في الجنة تابعاً ذليلاً.

فلم يبرح. وخرج سائرُ الناس — وإجرامه وحده
كإجرام الجميع — فلما جاء الأميرُ ودخل السجنَ فلم
يرَ فيه غيرَه قال للحرس: ما بالُ هذا؟. فقصُّو عليه
القصَّة؛ فضحك وقال له: خُذ أي طريق شئْتَ؛
فقال بابويه: هذا عاقبةُ الصَّبر.

* * *

(١) تؤامر: يشاور
(٢) والظعينة. الزوجة.

الباب الثالث عشر

العيّ ومكاتبات الحمقى[1]

كتب بعض الرؤساء إلى وكيلٍ له في ضَيْعَةٍ : وقد وصلتِ النعاج،هي : تسعُ نعاج . وتسعُ نعاجٍ نصفها أربعٌ ونصفٌ نعاج .

قال بعضُهم : ما مِن شرٍّ من دَين ؛ فقيل له : ولمَ ذاك ؟ . قال : من جرّاءِ يتعلّقون .

قال قاسمُ التمّار في كلامٍ له : بينهما كما بين السماء إلى قريبٍ من الأرض .

وقال أيضاً : لو رأيتَ إيوان كسرى كأنّما رُفِعتْ عنه الأيدي أول من أمس .

---

(١) أبقى المؤلف في هذا الباب على كلام الحمقى وذوي العي على الرغم من مخالفة بعضه لقواعد اللغة ، لأنه أراد أن يقدمه كما نطقوه .

قال أبو هفـّان : رأيت شيخاً بالكوفة قاعداً على باب دار ، وله زيٌّ وهيئة وفي الدار صُراخ . فقلت : يا شيخ . ما هذا الصراخ ؟ فقال : هذا رجلٌ افتصد أمس فبلغ المضبع شادَرْوانه فمات . يريد : بلغ المبضع شريانه .

وصف بعضُهم امرأةً ؛ فقال : عينُها الأخرى أكبر من عينها الأخرى .

كتب بعضُ من وَزَرَ بالريّ آنفا كتاباً في معنى أبيه إلى صديق له ببغداد – وكان قد حج أبوه – : هذا الكتابُ يوصله فلانٌ ابن فلان ، وهو والدي ، وقديمُ الصحبة لي ، واجبُ الحق علي ، ولي بأمره عناية .

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشميّة جارية حمدونة بنت الرشيد ، على أنْ يشتري طعاماً من طعامهم في بعض البيادر ، فقال لها : إني قد رأيتُ متَاعَكِ . فقالت هاشميةُ : قُل طعامك . قال : وقد أدخلتُ فيه يدي فإذا متاعك قد خمَّ وحَمِيَ(١) . وقد صار مثل

---

(١) خم : أنتن .

الجيفة . قالت : يا أبا طالب . أليس قد قلَّبت الشَّعير ، فأعطِنا ما شئت ، وإن وجدتَه فاسداً .

ودخل أبو طالب هذا على المأمون ، فقال : كان أبوك يابا خيراً لنا منك ، وأنتَ يابا ليس تعدُّنا . وليس تبعثُ إلينا . ونحن يابا تجَّارُك وجيرانُك . والمأمون في كل ذلك يتبسَّمُ .

وكان ابنٌ لسعيدٍ الجوهري يقول : صلّى اللّهُ تبارك وتعالى على محمدٍ صلى اللّه عليه وسلم .

وكان بالريّ ورّاقٌ حسن الخط ، وكان إذا كتب اسم اللّه تعالى أو اسم النبي في القرآن أو الشعر كتبَ بعده ما ما يكتبه الإنسان في سائر المواضع ، فكان يكتب في القرآن : « إنّ اللّه ـ عزّ وجلّ ـ يأمُرُ بالعدلِ والإحسان»(١) « وما مُحمّدٌ ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ إلاّ رَسُولٌ قد خلت من قبلهِ الرُّسُل » (٢) . وكان يكتبُ في الشعر :

---

(١) زائد في الآية : « عز وجل » والآية في سورة النحل : ٩٠ .

(٢) زائد في الآية صلى الله عليه وسلم ، والآية في سورة آل عمران : ١٤٤ .

إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا ـ عَزَّ وَجلَّ ـ خَيرُ نَفَلْ
وبإذن اللّه ـ تبارك وتعالى ـ ريْثي وعجل(١)

ويكتب:

هجوتَ محمداً ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فأجبت عنه
وعِنْدَ اللّهِ ـ تعالى ـ في ذاك الجزاءُ (٢)

وقال الجاحظ قلتُ لنفيس غلامي: بعثتك إلى السوق في حاجةٍ فلم تقضِها؛ فقال: يا مولاي، أنا ناقهٌ من مرضِي، وليس في ركبتي دماغ.

وقال الجاحظُ: قال الحجاجُ لأبي الجهير الخراساني النخاس: أتبيع الدوابَّ المعيبةَ من جُنْدِ السلطان؟ فقال: شَرِيكاتُنا في هوازها وشريكاتنا في مَدائنها، وكما يجيء يكون. قال الحجاجُ: ما تقول؟. قال بعضُ من كان قد اعتاد الخطأ وكلام العلوج بالعربية: يقولُ: شركاؤنا

(١) زاد في الشطر الأول: «عز وجل». وفي الثاني «تبارك وتعالى» والبيت للبيد.

(٢) زاد في البيت: صلى الله عليه وسلم» في الشطر الأول و«تعالى» في الثاني، والبيت لحسان يرد به على أبي سفيان.

بالأهواز وبالمدائن يبعثون إلينا هذه الدّوابّ ؛ فنحن نبيعُها على وجوهها .

قال ابن أبي فنن(١) : طلبتُ من عبد اللّه بن أحمد بن الخصيب بُخوراً ، فكتب إليه : فدَتك نفسي من السوء برحمته ، كتابي إليك وأنا وحدي ، والجواري عندي ؛ فأمّا البخور فإنّ أبا العباس في الحمّام إنْ شاء اللّه .

وكتب بعضُ الشيوخ الفُضَلاء إلى شيخ من العدول بالري نَفَقَتْ بغلتُه : نُبِّئْتُ أنَّ الشيخَ قد ماتَ بغلته ، هيهاتَ هيهاتَ .

* * *

(١) أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن ، شاعر مطبوع من شعراء العصر العباسي .

الباب الأوّل

كلام للنساء الشرائف

فاطمة ابنة رسول الله عليها السلام

قالوا : لما بلغ فاطمةَ عليها السلامُ إجْماعُ أبي بكر مَنْعَها فَدَكاً(١) لاثتْ(٢) خِمارَها على رأسها ، واشْتَمَلَتْ بجلبابها ، وأقبلت في لُمَّةٍ من حفَدَتِها ونساء قومها ، تطَأُ ذُيُولَها ، ما تَخْرِمُ(٣) مِشْيتُها مِشْيةَ رسولِ اللّهِ صلّى اللّه عليه ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حَشْدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرِهم ، فنيطَتْ دُونها مُلاءةٌ ، ثُمَّ أنَّتْ أنَّةً أجهش لها القوم

---

(١) فدك : قرية بينها وبين المدينة يومان ، أفاءها الله على رسوله ، ذكرت فاطمة أن الرسول تصدق عليها بها .ولم تستطع الإتيان بشاهدين على ذلك ، فحرمها أبو بكر منها

(٢) لاثت الخمار تلوثه : أدارته .

(٣) ما تخرم مشيتها . ما تنقص عنها .

بالبكاء ، وارتجّ المجلس ثم أمهلت هُنيّة(١) حتّى إذا سكنَ نشيجُ القوم ، وهدأتْ فورتُهم افتتحتْ كلامَها بحمد اللّه والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى اللّه عليه ، ثم قالت :

« لقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ »(٢) . فانْ تعرفُوه تجدوهُ أبي دونَ آبائِكمْ ، وأخا ابن عمّي(٣) دونَ رجالِكم ، فبلّغ الرسالةَ صادعاً بالنّذارة ، بالغا بالرسالة ، مائلا عن سَنَن المشركين ضاربا ثَبَجَهم(٤) ، يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، آخذاً بأكْظَام(٥) المشركين ، يُهَشِّمُ الأصنامَ ويَفْلقُ الهامَ ؛ حتى انهزم الجمعُ وولَّوْا الدُّبُر ، حتّى تفرّى(٦) الليلُ عنْ صبحه ، وأسفر الحقُّ عن

---

(١) هنة : بمعنى هنيهة ، تصغير هنة ، وهي القياس في التصغير .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) إشارة إلى مؤاخاة رسول الله لعلي

(٤) الثبج : الوسط

(٥) الأكظام جمع كظم وهو مخرج النفس .

(٦) تفرى : تشقق .

مَحْضِهِ(١) ، ونطقَ زعيمُ الدين ، وخرستْ شقاشق(٢) الشيطان ، وتمّتْ كلمةُ الإخلاص ، « وكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةَ مِنَ النّار(٣) » ، نُهزةَ(٤) الطامع ، ومَذْقَةَ الشّارب(٥) ، وقبْسةَ العجلان ، وموطِئَ الأقدام ، تشربون الطَّرْق (٦) ، وتقتاتون القِدّ ، أذلةً خاسئين ، يخطّفكم الناسُ من حولِكم ، حتّى أنقذكم اللّهُ برسوله صلى اللّه عليه بعدَ اللُّتَيّا والتِي ، وبعد أن مُنِيَ ببُهَم الرجال(٧) وذُؤْبان العرب ، ومَرَدةِ أهل الكتاب « كُلَّمَا أوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْب أطْفَأهَا اللّهُ »(٨) . أوْ نجَم قرنٌ للشيطان، أو فغَرَتْ

---

(١) المحض الخالص .

(٢) والشقاشق القول فيه كذب .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٤) نهزة الطامع : اسم للشيء المعرض لك كالغنيمة .

(٥) المذقة : الشربة من اللبن المخلوط بالماء، وفي القول الشبيه

(٦) الطرق : ماء السماء الذي تبول فيه الإبل. والقد : السير يقد من الجلد . والقديد : اللحم المجفف .

(٧) بهم الرجال : شجعانهم

(٨) سورة المائدة ، ٦٤

فاغِرَةٌ للمشركين ، قذفَ أخاه فى لَهَواتها ، فلا ينكفىءُ حتى يَطأَ صِماخَها (١) بأخمَصِه ، ويُطفىء عاديةَ لَهَبِها بسيفه -أو قاتَ- ويُخْمِدَ لهيبَها بحدّه مكدوداً فى ذات الله . وأنتمْ في رفاهة فَكِهُون آمنُون وادعون .

حتى إذا اختار الله لنبيه صلى الله عليه دارَ أنْبيائه ظهرت حسَكَةُ (٢) النفاق ، وسمَل (٣) جلبابُ الدّين ، ونطق كاظِمُ (٤) الغاوين ، ونبغَ خاملُ الأقلّين ، وهدَرَ فنيقُ (٥) المبطلين ، فخطر في عرصاتِكم ، وأطلعَ الشيطانُ رأسَه صارخاً بكم ، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين وللعِزّة ملاحِظين ؛ ثم استنهضَكم فوجدَكم خِفافا وأحمَشَكُم(٦) فألفاكُم غِضَابا ؛

---

(١) الصماخ : فتحة الأذن الباطنة وفى القول استعارة .

(٢) الحسكة : الشوكة .

(٣) سمل الجلباب . بلى ورث .

(٤) الكاظم : المبطن للحقد .

(٥) الفنيق : الجمل الفحل .

(٦) أحمشكم : جعلكم تغضبون ، ومن معانيها : ساقكم بغضب .

فوسَمْتم غيرَ إبلكم ، وأوردتم غير شِربكم ، هذا والعهْد قريب والكَلْمُ رحيبٌ، والجُرحُ لَمَّا يَنْدَمل . أبماذا زَعمْتُم : خوفَ الفِتْنة ؟ « ألا في الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإنَّ جَهنَّم لمحُيطة بالكافرينَ(١)» ، فهيهاتَ فيكم ، وأنّى بكم ، وأنىَّ تُؤفكون ، وكتاب الله بين أظْهُرِكم ، زواجِرُه بيِّنةٌ ، وشواهدُه لائحةٌ ، وأوامرُه واضحةٌ ، أَرَغْبَةً عنهُ تريدُون ؟ أم بغيره تحكُمون ؟ « بِئْس للظَّالمينَ بَدَلاً »(٢)« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخاسرين » (٣) ثم لم تلبَثُوا إلا رَيْثَ أن تَسْكُنَ نَفْرَتُها تشربون حَسْوا في ارتغاء(٤) ، وتصبرُ مِنكم على مثلِ حزِّ المُدَى وأنتم الآن تَزْعُمون لا إرْثَ لنَا « أفحُكْمَ الجَاهِليَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُون»(٥)

---

(١) سورة التوبة : ٤٩ .

(٢) سورة الكهف : ٥٠ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٤) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويبطن غيره .

(٥) سورة المائدة : ٥٠ .

إيهاً معشرَ المُسْلِمةِ المهاجِرةِ ، أأُبْتَزُّ إرثَ أبِيَهْ ؟ أبَى اللّهُ في الكتاب يابْنَ قُحافة ، أن ترثَ أباكَ ولا أرثُ أبِيه . لقد جئتَ شيئاً فريّاً(١) . فدونكَها مخْطُومةً مَرْحُولَةً ، تلقاكَ يومَ حَشْرِك ، فنعمَ الحَكَمُ اللّهُ ، والزعيمُ محمدٌ صلى اللّه عليه ، والموعدُ القيامةُ ، وعندَ الساعةِ يخسرُ المُبْطِلُون « ولِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وسَوفَ تَعْلَمُون » (٢) .

ثم انكفأت على قبر أبيها صلى الله عليه فقالت :

قَد كانَ بعْدَكَ أنباءٌ وهنبثَــةٌ(٣)

لو كنتَ شاهِدَها لم تكثرِ الخُطَبُ

إنّا فَقَدْنَاك فَقْدَ الأرضِ وابِلَهَا

واختل أهلكَ فاحضُرْهم ولا تغب(٤)

* * *

فقالت :

---

(١) الفري : العمل الذي لم يسبق إليه .

(٢) سورة الأنعام · ٦٧

(٣) الهنبثة · الاختلاط في الكلام .

(٤) في البيتين إقواء

عائِشَةُ أمُّ المؤمنينَ (رضي الله عنها)

رُوِيَ أنه لما كان يومُ الجَمَلِ قامتْ عائشةُ فتكلمتْ فقالت :

أيها الناسُ ، إنَّ لي عليكم حقَّ الأمومةِ وحقَّ الموعظةِ ، لا يتَّهمني إلا منْ عَصَى رَبَّه . قُبِضَ رسولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم بين سَحري (١) ونَحْري ، وأنا إحدى نسائِه في الجنة ، اه ادَّخرني ربي ، وخصني من كل بُضْع(٢) وبي مُيِّزَ مؤمِنُكُم من مُنَافِقكم(٣) ، وفيَّ رخّص اكم في صعيد الأبْواء(٤) وأبي رابع أربعة من المسلمين ، وأولُ مُسَمَّى صدّيقاً . قُبِضَ رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلمَ وهو عنهُ راضٍ فوقذ النفاقَ(٥) ، وأغَاض نَبْعَ الرِّدَّةِ ، وأطفأ

---

(١) السحر : الرئة . وقد توفي عليه الصلاة والسلام ورأسه على صدرها

(٢) البضع : الفرج . وربما أرادت أنها الزوج البكر من بين أزواجه

(٣) اشارة إلى حديث الأفك .

(٤) الأبواء : المفازة .

(٥) وقذ النفاق : كسره ودمغه .

ماحشَّتْ (١) يَهُود ، وأنتم حينئذ جُحظٌ . تنتظرون العَدوْة ، وتستمعُون الصَّيحة ، فرأبَ الثّأي(٢) ، وأوْذَم(٣) العَطِلة ، وامتاحَ من المَهوَات ، واجْتَهَر دُفَنَ الروَاء ، فقبضهُ اللّه واطئاً على هامة النفاق ، مذكياً ناراً لحرب المشركين ، يقظانَ في نصرة الإسلام ، صَفُوحاً عن الجاهلين .

ورُوِيَ أنه بلغها آن ناساً يتناولون أبا بكر ، فأرسلتْ إلى أزْفَلة(٤) من الناس ، فلما حَضروا أسْدَلَت أستارها ، وأعلتْ وِسَادَها ، ثُمَّ دنتْ فحَمِدَت اللّه ، وأثنتْ عليه ، وصلَّت على نبيه صلى اللّه عليه وسلم ، وعَذلت وقرّعت وقالتْ :

أبي وما أبيَه ! أبي واللهِ لا تَعْطُوه (٥) الأيدي ، طَودٌ مُنيف ، وظلٌّ مديد ، هَيْهَاتَ هيهات !

---

(١) حش الحرب . أشعلها .

(٢) رأب . أصلح ، والثأى : الفساد .

(٣) أوذم الشيء : جعل له وذاماً ، وهو سير للدلاء ، والعطلة : الدلاء ، التي بلا أوذمه

(٤) أزفله جماعه من الناس ، ومثلها أجفلة

(٥) تعطوه . تتناوله من قرب .

كذبتِ الظنّون . أنْجَحَ (١) والله إذْ أكدَيتم، وسبقَ! إذ ونيتُم

* سَبْقَ الجَوادِ إذا استولى على الأَمَدِ (٢) *

فتى قريش ناشئاً ، وكَهْفُها كهلاً ، يريشُ مُمْلِقَها ، ويَفُكُّ عانِيَها ويلُم شعثها ويرأبُ صَدْعَها حتى حَلَّتْه قُلوبها ، ثم استشرى في دينه فما برحت شكيمتُه في ذات الله ، حتى اتخذَ بفنائه مسجداً يُحْيي فيه ما أمات المبطلون .

وكان رحمةُ الله عليه غزيرَ الدمعة ، وقيذَ الجَوانح (٣) شَجِيَّ النشيج ، فانقَضَّت إليه نِسوانُ مَكّةَ وَوِلْدانُها يسخرون منه ، ويستهزئون به . ((اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ في طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ)) (٤) وأكْبَرَتْ

---

(١) أي أصاب إذ أخطأتم .

(٢) صدره .

إلا لمثلك أو من أنت سابقه

والبيت للنابغه .

(٣) وقيذ الجوانح : محزوناً كأنه مكسور القلب .

(٤) سورة البقرة . ١٥ .

ذلك رجالاتُ قريش ، فَحَنَتْ إليه قِسِيَّها ، وفَوَّقت له سهامها وامتثلوه غرضا (١) فما حلُّو له صَفاةً ، ولا قَصَفُوا له قَناة ، ومَرَّ على سيسائه (٢) حتى إذا ضرب الدين بجِرانه ، وألقى برْكه (٣) ، ورست أوتادهُ ، ودخل الناسُ فيه أفواجاً ، ومن كل شِرعةٍ أشتاتا وأرسالا اختار الله جلَّ اسمُه لنبيه صلواتُ الله عليه وسلامه وتحياته ما عنده ، فلما قَبَض اللهُ رسولَه ضربَ الشيطانُ برواقه ، ومَدَّ طُنُبَه ، ونصبَ حبائِلَه ، وأجلبَ بخيله ورَجله ، واضطربَ حبلُ الإسلام ، ومَرَجَ عهدُه ، وماج أهلُه وبغَى العوائِل ، وظنتْ رجالٌ أن قد أكْثَبت نُهزَها ، ولاتَ حين التي يرجون ، وأنّى والصِّدّيقُ بين أظهرهم ؟ فقام حاسِرا مشمّرا قد جمعَ حاشيتَيه ، ورفع قطريْه ، فرد نشْزَ الدين على غَرّه ، (٤) ولمّ

---

(١) امتثلوه : نصبوه . والقسي : جمع قوس ، وهو آلة رمي السهام .

(٢) السيساء من الدابة : ظهرها .

(٣) برك البعير : صدره .

(٤) على غره : على كسره ، والمراد تدبير أمر الدين ، وكسر الردة .

شعثَه بطِيبه ، وأقام أوَده بثقافِه ، فامذقَرّ (١) النفاقُ بوطئِه ، وانتاش الدينَ فنعَشه .

فلما أراح الحقَّ على أهله ، وأقرَّ الرؤوسَ على كواهِلها ، وحقَنَ الدماء في أهبها (٢) حَضرَته منيّتُه ، نضَّرَ اللهُ وجهَه ، فسَدّ ثُلمتَه بنظيره في الرحمة ومُقتفيه في السِّيرة والمعْدِلَة ؛ ذلكَ ابنُ الخطاب ، للهِ أمٌّ حمَلت به ، ودرَّت عليه . لقد أوحدَت ، ففَنَخ الكفَرة ودَنّخَها (٣) ، وشرَّدَ الشرك شَذرَ مَذرَ وبَعجَ الأرضَ ونجعَها (٤) ، فقأتْ أكُلها ، ولفظَتْ خبأها ، ترأمُه ويصْدِفُ عنها ، وتصَدّى له وَيأباها ، ثم وزّع فَيئَها فيها ، ووَدّعها كما صحبها . فأروني ماذا ترتئون . وأيَّ يومَيْ أبي تنقِمونُ ؟ أيومَ إقامتِه إذْ عَدَلَ فيكم أو يومَ ظَعْنِه إذ نَظَرَ لكُم . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) امذقر اللبن . تفرق .

(٢) جمع إهاب : الجلد .

(٣) فنخ : أذل وقهر ، ودنخها : أخضعها

(٤) بعج الأرض : شقها ، ونجعها : أذلها .

وقالت : لو نزل بالجبال الراسياتِ ما نزلَ بأبي لهاضَها ، قُبضَ رسولُ الله صلى الله عليه ، فاشرأبَّ النِّفاقُ ، وارتدَّت العرب قاطبةً . وعادَ أصحابُ محمدٍ كأنهمُ مِعْزَى مَطيرة في خِفْش (١) ، فما اختلفوا فيه من أمر إلا طار أبي بَغلائه وغَنائِه .

ومن رأى ابنَ الخطَّاب علم أنه كان عَوْناً للإسلام ، كان والله أَحْوَذِياً (٢) نسيجَ وحْدِه ، قد أعدَّ للأُمور أقْرانَها .

وقالت : مَن أرضى الله بإسخاط الناسِ كَفاهُ الله ما بينه وبين الناسِ ، ومن أرضَى الناسَ بإسخاطِ الله جلَّ ذِكْرُه وَكَلَه الله إلى الناس .

وقالت : إنَّما النكاحُ رِقٌّ فلينْظُرْ امرُءٌ مَنْ يُرِقُّ كَرِيمَتَهُ .

وقالت : خرجتُ أقفُو آثارَ الناسِ يومَ الخَنْدَقِ ،

---

(١) الخفش : البيت الذليل .

(٢) الأحوذي والأحوزي : الحسن السياق للأمور .

فسمعتُ وَئِيدَ الأَرضِ (١) خلفي ، فالتفتُّ فإذا أنا بسعدِ بنِ معاذ (٢) .

وقالت لها امرأةٌ : أأقيِّد جملي ؟ قالتْ : نعمْ ، قالت : أقيدُ جملي ؟ فلما علمت ما تريدُ قالت : وَجْهِي من وَجْهِكِ حرَامٌ ؛ تعني بالجمل زوجها أي أوحده عن النساء .

وقالت : لا تؤدي المرأةُ حقَّ زوجها حتى لو سألها نَفْسَها وهي على ظَهْرِ قتبٍ (٣) لم تمنعه .

* * *

أم كلثوم بنت علي(٤)

رُوي عن بعضهم قال : رأيتُ أمَّ كلثوم بنتَ عليٍّ

---

(١) وئيد الأرض : شدة الوطء ، يسمع كالدوي من بعيد .

(٢) سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري ، صحابي جليل ، وهو الذي حكم على يهود بني قريظة وتوفي في نفس السنة ، وله مواقف مشهورة في الإسلام .

(٣) أي على ظهر جمل . والقتب : الرحل الصغير على قدر سنام البعير .

(٤) أم كلثوم بنت علي أخت الحسين ولدت قبل وفاة الرسول ، تزوجها عمر بن الخطاب . وله منها ذرية .

بالكوفة ، ولم أرَ خَفِرَةً والله أنطقَ منها ، كأنما تنطق وتُفَرِّع عن لسانِ أميرِ المؤمنينَ رضيَ الله عنه ، وقد أوْمأَتْ إلى الناس وهم يبكونَ على الحسين — رضي الله عنه — أن اسكتُوا فلما سكنَتْ فورَتهم ، وهدأت الأجْرَاسُ . قالت :

أبدأ بحمدِ اللهِ والصلاةِ على أبيه . أما بعد ، يا أهل الكوفةِ يا أهلَ الخَتْر (١) والخذْل ، ألاَ فلاَ رَقأت العَبْرَةُ ، ولا هدأَتِ الرَّنَّةُ ، إنما مَثَلكُم كمثل التي ((نقَضَتْ غَزْلَها من بعدِ قُوَّةٍ أنكاثاً تتّخِذُونَ أيمانكُمْ دَخَلاً بينَكُمْ)) (٢) ألا وهلْ فيكُمْ إلا الصَّلَفُ والشَّنَفُ (٣) ، مَلَقُ الإماءِ وغَمْزُ (٤) الأعداءِ وهل أنتمْ إلا كمرعىً على دِمْنَةٍ ، وكفضَّةٍ على مَلْحُودةٍ . ألا ساءَ ما قدَّمَتْ لكمْ أنفسكُمْ أن سخطِ اللهُ علَيكُم وفي العذابِ أنتُم خالدون .

---

(١) الختر : أسوأ الغدر .

(٢) سورة النحل : ٩٢ .

(٣) الشنف : البغض .

(٤) الغمر : الحقد .

أتبكون ؟ إيْ والله ، فابكُوا ؛ فإنكمْ والله أحْرِياءُ بالبكاءِ ، فابكُوا كثيرا واضحكُوا قليلا ، فلقَدْ فزتُمْ بعارِها ، وشَنَارِها ، ولن تَرْحَضُوها (١) بغُسْلٍ بَعْدَها أبدا ، وأنّى تَرحضُون قتلَ سليلِ خاتَم النُّبُوّةِ ، ومَعْدِنِ الرسالةِ ، وسيدِ شَبَاب الجنةِ ، ومَنَارِ مَحَجّتكم ، ومِدْرَهِ (٢) حُجّتكم . ومَفْزَعِ نازلتكم ؟ فتعساً ونُكْساً ! لقد خابَ السعيُ ، وخسرت الصَّفْقَةُ ، وبُؤْتم بغضبٍ من الله ، وضُربت عليكم الذلّةُ والمسكنَة . ((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطّرنَ مِنْهُ وتَنْشَقُّ الأرْضُ وتَخِرُّ الجبَالُ هَدّاً)) (٣) .

ما تدرونَ أيَّ كبدٍ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه فَرَيْتُمْ وأيَّ كريمٍ له أبرزْتم ، وأيَّ دمٍ لهُ سفكتم . لقد جئتمْ بهَا شوهاءَ خرقاءَ طِلاعَ (٤) الأرضِ والسماءِ ،

---

(١) رحض الثوب : غسله .

(٢) المدره : المدافع عن الجماعة .

(٣) سورة مريم : ٨٩ ، ٩٠ . والإد : الأمر الداهي المنكر .

(٤) طلاع الأرض : ملؤها

أفعجبتم أنْ قطرت السماءُ دماً ، ((ولعذابُ الآخرةِ أخزى وهُمْ لا يُنْصَرُونَ)) (١) .

* * *

حَفْصَةُ أُمُّ المؤمنين (٢)

خطبت حَفْصَةُ بنتُ عمر فقالت :

الحمد لله الذي لا نظير له والفَرْدِ الذي لا شريك له .

وأما بعدُ ، فكلُّ العَجَبِ من قوم زيّنَ الشيطانُ أفعالهم ، وارعَوى إلى صنيعهم ، ودبَّ في الفتنةِ لهُم ، ونصبَ حبائلَه ليختَلهم ، حتى همَّ عدُوّ اللهِ بإحياءِ البِدْعَة ، ونَبْشِ الفِتْنَةِ ، وتجديدِ الجَوْرِ بعد دُروسِه (٣) ، وإظهارِه بعد دُثُوره (٤) ، وإراقةِ الدماءِ ، وإباحَةِ الحِمَى ، وانتهاكِ مَحارِمِ اللهِ عزَّ وجَلَّ بعد تحصينها ، فتضرَّمَ وهاجَ ، وتوغَّرَ وثارَ

---

(١) سورة فصلت : ١٦ .

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين ، تزوجها الرسول سنة ٣هـ . توفيت سنة ٤١ . أو سنة ٤٥هـ .

(٣) الدروس : البلى .

(٤) الدثور : الهلاك .

غضباً لله ونُصرةً لدين الله ، فأخسأَ الشيطانَ ووقَمَ (١) كيدَه ، وكفكفَ إرادتَه ، وقدَعَ محنّته ، وصعّر خدّه السَّبقةُ إلى مشايعةِ أولى الناسِ بخلافةِ رسولِ الله صلّى الله عليه ، الماضي على سُنَّتِه ، المُقتَدي بدينه ، المُقتَصّ لأثرِه ؛ فلم يزلْ سراجُه زاهراً ، وضوءه لامعاً ونورُه ساطعاً .

له من الأفعال الغُرَرُ ، ومن الآراء المُصاصُ (٢) ، ومن التقدم في طاعةِ اللّه عزّ وجلّ اللُّباب ، إلى أنْ قبضَه اللّه إليه ، قالياً لما خرجَ منه ، شانئاً لما نزلَ من أمره ، شَنِفاً (٣) لما كانَ فيهِ ، صَبّاً إلى ما صارَ إليه ، وائلاً (٤) إلى ما دُعِيَ إليه ، عاشقاً لما هو فيه .

فلما صارَ إلى التي وَصَفْتُ ، وعايَنَ مَا ذكرتُ أومَأ بها إلى أخيهِ في المَعْدَلةِ ونَظيرِه في السيرةِ ، وشقيقهِ في الديانةِ ، ولو كانَ غَيْرَ اللّهِ أرادَ لأمالها إلى

---

(١) وقم الكيد : أذله وقهره .

(٢) المصاص . خالص كل شيء .

(٣) شنفا . مبغضا كارها .

(٤) وائلا : لاجئا .

ابنه ، ولصيّرها في عقبه ، ولم يُخرجها من ذُرّيته ، فأخذها بحقّها ، وقام فيها بقسطها ، لم يَؤُدْهُ ثقلُها ، ولم يَبْهظْه حِفظُها ، مُشرّداً للكفر عن موطنه ونافراً له عن وكره ، ومثيراً له من مَجْثَمه ، حتى فتح الله عز وجلّ على يديه أقطارَ البلاد ، ونصرُ الله يقدُمه ، وملائكته تكنُفُه ، وهو بالله مُعتصِمٌ ، وعليه مُتوكّلٌ . حتى تأكّدَتْ عُرَا الحقّ عليكُم عقدا ، واضمحلّت عُرَا الباطل عنكُم حلاّ ، نوره في الدُّجُنّاتِ ساطعٌ ، وضوءُه في الظلماتِ لامعٌ ، قالياً للدنيا إذْ عَرَفها ، لافظاً لها إذ عَجَمها ، وشانئاً لها إذ سَبَرَها ؛ تخطُبه ويقلاها ، وتريدُه ويأباها (١) ، لا تطلبُ سواه بَعْلاً ، ولا تبغي سواه نُحْلا(٢) أخبَرَها أن التي يَخْطبُ أرغدُ منها عيْشاً ، وأنْضرُ منها حُبُورا ، وأدْوَمُ منها سُرورا ، وأبقَى منها خلُوداً ، وأطولُ منها أياما ، وأغْدقُ منها أرضاً ، وأنْعَتُ منها جمالاً ،

---

(١) تريد : عمر بن الخطاب .

(٢) النحل : العطاء .

وأتَمُّ منها بُلَهْنِيَةً، وأعذبُ منها رُفَهْنِيةً(١) فَبَشِعَتْ نَفْسُه بذلك لعادتِها، واقشعرّت منها لمخالفتها، فعرَكَها بالعَزْمِ الشديدِ حتى أجابتْ، وبالرأي الجليدِ حتى انقادتْ، فأقام فيها دعائِمَ الإسلام. وقواعدَ السُّنّةِ الجاريةِ، ورواسيَ الآثارِ الماضيةِ وأعلامَ أخبارِ النُّبُوّةِ الظاهرةِ، وظلَّ خميصاً من بَهْجَتِها، قالياً لأثاثها، لا يرغبُ في زِبرِجِها(٢) ولا تطمحُ نفسهُ إلى جِدَّتِها، حتى دُعِيَ فأجابَ، ونُودِيَ فأطاعَ على تلكَ الحالِ، فاحْتَذَى في الناسِ بأخيهِ فأخرجَها مِنْ نَسْلِهِ، وصَيَّرها شُورَى بينَ إخوته، فبأيِّ أفعالهِ يتعلقون؟. وبأيِّ مذاهبهِ يتمسكون؟ أبطرائقهِ القويمةِ في حياته، أم بعدْلهِ فيكمْ عندَ وفاتهِ، أَلْهمَنَا اللهُ وإياكمْ طاعتَهُ، وإذا شِئْتُمْ ففي حِفْظِ اللهِ وكلاءَته.

* * *

---

(١) الرفهنية: رغد العيش وخصبه.

(٢) الزبرج: الوشي.

أَرْوَى بنتُ الحارِث

قيل : دخلت أرْوى بنتُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلب على معاويةَ بنِ أبي سفيانَ بالمَوْسِمِ وهي عجوزٌ كبيرةٌ ، فلما رآها قال : مَرْحَباً بك يا عَمَّةُ . قالت :

كيفَ أنت يا بْنَ أخي ، لقد كَفَرْتَ بعدي بالنِّعْمَةِ ، وأسأت لابن عَمِّكَ الصُّحبهَ ، وتسمَّيْتَ بغيرِ اسمك ، وأخذت غيرَ حقِّك ، بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام ؛ ولقد كفرتُم بما جاءَ به محمدٌ صلى اللّه عليهِ . فأتْعسَ اللّهُ الجدُودَ ، وصَغَّرَ منكم الخُدودَ ، حتى رَدَّ اللّهُ الحقَّ إلى أهله ، وكانت كلمةُ اللّهِ هي العليا . ونبيُّنا محمد صلّى اللّه عليه هُو المنصورُ على مَنْ ناوأه ولوْ كَرِهَ المشركون .

* * *

رُؤيا رُقَيْقَةَ (١)

قال مَخْرَمَةُ بنُ نَوْفل(٢) : حدثني أمي رُقَيْقة بنتُ أبي صَيْفيِّ بنِ هاشم بن عبدِ مَناف ، قالت :

---

(١) رقية بنت أبي صيفي بن هاشم ، قيل كانت صحابية .

(٢) مخرمة بن نوفل القرشي الزهري ، أمه رقيقة ، كان من مسلمة الفتح ، ومن المؤلفة قلوبهم شهد حنينا مع النبي. توفي سنة ٥٤ هـ وعمره ١١٥ سنة.

تتابعَتْ على قريش سنون أقْحلَت (١) الضرع وأرقّت اللحم ، وأدقّت العظم فبينا أنا نائمةٌ ، لاهَمَّ أو مُهَوَّمة (٢) إذا أنا بهاتف يهتفْ بصوت صَحل(٣) اقشعرَّ له جلدي : معاشرَ قريش إن النبيَّ الأميَّ المبعوثَ منكم قد أظلتْكُم أيامُه ، وهذا أوان نُجُومِه (٤) ألا فحَيَّ هَلا(٥) بالخصْب والحيا ، ألا فانظروا منكم رجلا وَسيطا(٦) عُظاما جُساما أبيض بَضَّاً أوْطفَ الأهداب (٧) أشمَّ العرْنين(٨) سهلَ الخدَّين ، له نَجْرٌ يَكْظم عليه(٩) وسُنَّة تهدي إليه . ألا فايدلُفْ هوَ وَولدُه ،

---

(١) أقحلت الضرع : أيبسته .

(٢) التهويم : هز الرأس من النعاس ، والمقصود هنا : الاستغراق في النوم .

(٣) صحل : فيه بحة .

(٤) النجوم : الظهور .

(٥) حي هلا : أسرعوا .

(٦) الوسيط : النسيب .

(٧) أوطف الأهداب : غزيرها .

(٨) العرنين : الأنف . وأشم العرنين ، كناية عن الرفعة .

(٩) المراد : لا يظهره .

وليدلف معه من كل بطن رجل ، فليشنوا (١) من الماء ، وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن ، وليرقوا أبا قبيس (٢) ، وليدع الرجل ، وليؤمن القوم على دعائه ، فغثتم ما شئتم(٣) .

قالت : فأصبحت — علم الله — مذعورة قد وله قلبي ، واقشعر جلدي لما رأيت في منامي فقصصت رؤياي ، ونمت في شعاب مكة ، فوالحرمة والحرم ، ما بقي أبطحي إلا قال : هذا شيبة الحمد ، هذا عبد المطلب . فتنامت(٤) إليه رجالات قريش ، وهبط إليه من كل بطن رجل ، فشنوا ومسوا واستلموا ، ثم ارتقوا أبا قبيس ، وطفقوا يزفون(٥) حواليه ، ما أن يبلغ سعيهم مهله ، حتى إذا استووا بذروة الجبل قام عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله

---

(١) شن الماء : صبه متفرقاً ، وسنه : صبه مجتمعاً .

(٢) جبل بمكة .

(٣) أتاكم الغيث : وغثتم : فعل مبني للمجهول . .

(٤) تنامت إليه : تناهت إليه .

(٥) يزفون : يسرعون الخطو مع تقارب وسكون .

عليهِ ، غلامٌ قد أيفعَ أو كربَ(١) ، فرفعَ يدهُ إلى السماء وقال :

اللهمَّ كاشفَ الكُربة ، وسادَّ الخَلّة ، أنت عالمٌ(٢) غير معلّم ، مَسْؤُول غير مُبَخّل هذه عُبداك(٣) وإماؤك بعَذرَاتِ(٤) حَرَمكَ ، يشكون إليك سَنَتَهم التي أذهبت الظِّلفَ والخُفَّ(٥) ، فاسمعنَّ اللهم لنا ، وأمطرنَّ غيثاً مُغْدِقاً مَريعاً (٦) . فما رامــوا الكعبةَ(٧) حتى تفجرتِ السماء بمائها ، وكظَّ الوادي بثجيجهِ (٨) فَلَسَمعتُ شيخانَ قريش وجُلَّتَها : عبد اللّهِ بنَ جُدعان ، وحَرْبَ بنَ أُمَيَّةَ ، وهشامَ بنَ المغيرةِ يقولون لعبد المطلب : هَنيئاً لكَ أبَا البَطْحاءِ هنيئاً لك .

* * *

(١) كرب . أوشك .

(٢) في أسد الغابة : أنت معلم .

(٣) عداك : عبيدك .

(٤) عذرات : أفنية .

(٥) المراد : الغنم والإبل .

(٦) مريع : ترتع فيه الدواب .

(٧) رام يريم : فارق .

(٨) الثجيج : السيل .

هِنْدُ بنتُ عُتْبَة (١)

قالت هندُ بنتُ عُتْبَةَ لأبيها : إني امرأةٌ قد ملكتُ أمري ، فلا تزوجْني رجلاً حتى تعرضَه عليّ . فقال : لكِ ذاك . وقال لها ذاتَ يومٍ : إنّهُ قد خطَبَكِ رجلان من قومك ، ولستُ مُسَمّياً لكِ واحداً منهما ، حتى أصِفَه لكِ ، أمّا الأولُ ففي الشرَفِ الصَّميم ، والحَسَب الكريمِ ، تخالين به هوجًا من غفلتهِ ، وذلك إسْجَاحٌ(٢) من شيمته ، حَسَنُ الصَّحابة ، سريعُ الإجابة ، إن تابعتهِ تابَعكِ ، وإن ملْتِ كان معكِ ، تَقضِين عليهِ في ماله ، وتَكْتَفِينَ برأيكِ عنْ مَشُورته .

وأما الآخرُ ففي الحَسَبِ الحَسِيب ، والرأي الأريب ، بَدْرُ أرُومتهِ ، وعزُّ عَشيرته ، يؤدِّبُ أهله ولا يُؤَدِّبونه ؛ إن اتَّبعوه أسهلَ بهم ، وإن جانبُوه توعَّر عنهُمْ ، شديدُ الغَيْرَة ، سريعُ الطَّيْرَة ، صَعْبُ

---

(١) هند بنت عتبة القرشية الهاشمية زوج أبي سفيان ، أسلمت يوم الفتح ، وعفا عنها الرسول . بعد تمثيلها بحمزة بعد أن قتل ، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) الإسجاح : حسن العفو .

حجابِ القُبَّة ، إن حاجَّ فغير مَنْزور(١) ، وإنْ نُوزِع فغيرُ مَقْسُور ، قد بينتُ لك كلتيهما . .

قالت : أما الأول فسيِّدٌ مضْياعٌ لكريمتهِ ، مُوات لها ؛ فما عسى إنْ لم تَعْتَصِ أنْ تلينَ بعد إبائها ، وتَضِيعَ تحتَ خبائها ؛ إن جاءته بولد أَحْمَقَتْ وإن أنجَبَتْ فَعَنْ خطأ ما أنجبتْ . اطوِ ذكرَ هذا عنّي لا تُسَمِّه لي .

وأما الآخرُ فَبَعْلُ الحُرَّة الكَريمة ، إني لأخلاقِ هذا لوامقةٌ ، وإني له لموافقةٌ ، وإني لآخُذُهُ بأدبِ البَعْلِ ، معَ ازومي قُبَّتي وقلَّةِ تلفتي ، وإنَّ السَّليلَ بيني وبينهَ لحَريٌّ أن يكونَ المدافعَ عن حَريم عشيرتهِ ، الذائدَ عن كتيبتها المحاميَ عن حقيقتها ، المُثَبِّتَ لأرُومتها ، غيرَ مُتَواكلٍ ولا زُمَّيْلٍ(٢) عندَ صَعْصَعةِ(٣) الحروب .

---

(١) غير منزور : غير قليل في حجته .

(٢) الزميل : الضعيف .

(٣) صعصعة الحروب : حركتها أو اضطرابها .

قال : ذلك أبو سُفيان بنُ حَرْب . قالت : فزوِّجْه ولا تُلْقِني إليه إلقاءَ الشَّكس ولا تَسُمْهُ سَوْمَ الضَّرِس(١) ، ثم استخرِ اللّه عزَّ وجلَّ في السماء يَخِرْ لكَ في القضاء . فزوجها أبا سفيان . وكان الآخرُ سُهيل بنُ عمرو(٢) .

* * *

رُؤْيَا عاتِكَةَ بنتِ عبدِ المُطّلِب (٣)

كانت عاتِكَةُ بنتُ عبد المطلب عَمَّةُ رسولِ الله صلى الله عليه ، ساكنةَ بمكّةَ مع أخيها العباس بنِ عبد المطلب ، فرأت رؤيا قبلَ يومِ بَدْرٍ ، وقبل قُدومِ ضَمْضَمٍ عليهم ، ففزعتْ منها ، فأرسلت إلى أخيها العبَّاسِ بن عبد المطلب من ليلتها ، فجاءها فقالت :

---

(١) الضرس : السيء الخلق .

(٢) سهيل بن عمرو القرشي أحد أشراف قريش ، وهو الذي منع قريشاً عن الارتداد بعد وفاة الرسول ، خرج إلى الشام مجاهداً واستشهد سنة ١٤هـ .

(٣) عاتكة بنت عبد المطلب ، اختلف في إسلامها ، فقال بعض العلماء : لم يسلم من عمات النبي غير صفية .

رأيتُ الليلة رؤيا قد أشفقتُ منها ، وخشيتُ على قومك الهَلَكَةَ . قال : وماذا رأيتِ ؟ قالت : لن أحدّثك حتى تعاهدَني ألا تذكرَها لقومك ، فإنهم إنْ سمعوها آذَوْنا وأسمعُونا مالا نُحبُّ . فعاهدها العباسُ فقالت :

رأيتُ راكباً أقبل على راحلةٍ من أعلى مكة يصيح بأعلى صوته : ياآلَ غُدَرَ(١) ، اخرجوا في ليلتين أو ثلاثٍ ، ثم أقبلَ يصيحُ حتى دخلَ المسجدَ على راحلته فصاح ثلاثَ صيْحاتٍ ، ومالَ عليه الرجالُ والنساءُ والصبيانُ ، وفزعَ الناسُ له أشدَّ الفزعِ . قالت : ثم أراه مَثَلَ على ظَهْرِ الكعبةِ على راحلته فصاحَ ثلاثَ صيحات فقال : ياآل غُدَرَ ، ياآل فُجَرَ(٢) اخرجوا في ليلتين أو ثلاث . ثم أراه مَثَلَ على أبي قُبَيْسٍ كذلك يقول ياآل غُدَرَ وياآل فُجَر حتى أسمعَ مَنْ بين الأخْشبَيْن(٣) من أهل مكة ، ثم عَمَدَ لصخرةٍ عظيمة فنزَعها من أصلها ثم أرسلها على أهل

---

(١) غدر : معدول عن غادر .

(٢) فجر : معدول عن فاجر .

(٣) الأخشبان : جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى .

مكة ، فأقبلتْ الصخرةُ لها حسٌّ شديدٌ ، حتى إذا كانت عند أصْلِ الجبلِ ارفَضَّتْ ، فلا أعلمُ بمكةَ بيتاً ولا داراً إلاّ وقد دخلتْها فلقةٌ من تلك الصخرةِ ، فقد خشيتُ على قومك .

ففزعَ من رؤياها العباسُ ثم خرجَ من عندِها ، فلقيَ الوليدَ بنَ عُقْبَة بنِ ربيعةَ من آخرِ تلكَ الليلةِ ، وكان خليلاً للعباس ، فقصَّ عليه رُؤيا عاتكةَ وأمرَهُ ألا يذكرَها لأحد ، فذكرها لأبيه عُتبةَ ، وذكرها عتبةُ لأخيه شيبةَ ، فارتفعَ الحديثُ حتى بلغَ أبَا جهلٍ واستفاضَ في أهلِ مكة .

* * *

فاطمةُ بنتُ عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوان

روي عن عطاء ، قال : قلت لفاطمةَ بنتِ عبد الملك : أخبريني عن عُمَرَ بن عبد العزيز . قالت : أفعل ، ولو كان حياً مافعلت . إن عمرَ — رحمه الله — كان قد فرَّغ للمسلمين نفسَه ، ولأمورهم ذهنه ، فكان إذا أمسَى مساءً لم يَفْرُغْ فيه من حوائج الناس في يومه دعا

بسراجه الذي كان يُسرَجُ له من ماله ثم صلى رَكْعتَين ، ثم أقْعَى واضعاً رأسه على يديه ، تسيلُ دموعُه على خدَّيه يَشْهَقُ الشهقةَ تكادُ ينصدعُ لها قلبهُ ، أو تخرجُ لها نَفْسه ، حتى يرى الصُّبْحَ .

وأصبحَ صائماً فدنوتُ منه فقلت : ياأميرَ المؤمنين ، ألشيء كان منك ماكانَ ؟ قال : أجلْ ، فعليكِ بشأنكِ ، وخلِّيني وشأني . فقلت : إني أرجُو أنْ أتّعظَ . قال : إذاً أخبرُك ، إني نظرتُ قد وجدتُني وليتُ أمرَ هذه الأمةِ أحمرِها وأسودِها ، ثم ذكرتُ الفقيرَ الجائعَ ، والغريبَ الضائعَ ، والأسيرَ المقهورَ ، وذا المال القليلِ والعيالِ الكثيرِ ، وأشياءَ من ذلك في أقاصي البلاد ، وأطرافِ الأرضِ ، فعلمتُ أن الله عزَّ وجلَّ سائِلي عنهم ، وأنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حَجيجي(١) ، لايقبلُ الله مني فيهم مَعْذِرَةً ، ولايقومُ لي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حُجة ، فرحمتُ واللهِ يافاطمةُ

---

(١) حجيج المرء : من يحاجه ويجادله .

نفسي رحمةً دمعتْ لها عيني، ووَجِعَ لها قلبي ، فأنا كلّما ازددتُ ذِكرا ازددتُ خوفاً فأيقِظي أودَعي .

* * *

أمُّ سَلَمَةَ أمُّ المؤمنين

في حديث أم سلمة أنّها أتت عائشةَ لما أرادت الخروجَ إلى البصرةِ فقالت لها :

إنك سُدّةُ بينَ رسولِ الله صلى الله عليه وأُمّته ، وحِجابُك مضروبٌ على حُرمته ، وقدجَمعَ القرآنُ ذَيْلك فلا تَنْدَحيه (١) وسكّن عُقَيْراكِ فلا تُصْحريها. اللهمن وارءِ هذه الأمّة ، لو أرادَ رسولُ لله صلى الله عليه أن يَعهدَ إليكِ عَهْدا . عُلْتِ عُلتِ (٢) بلْ قد نَهاك رسولُ اللهصلى الله عليه وسلم عن الفُرْطة(٣) في البـلادِ ، إنّ عمودَ الإسلام لايُثابُ (٤) بالنساء إنْ مال

---

(١) لا تندحيه : لا توسعيه بالحركة والخروج . وعقيراك : من عقر الدار .

(٢) علت : من العول ، وهو الميل .

(٣) الفرطة : من الفرط وهو السبق والتقدم .

(٤) لإيثاب : لا يصلح ، من ثاب الرجل . إذا صلح بدنه .

ولا يُرْأب(١) بهن أن صُدع ، حُمَادَياتُ النساء غض الأطرافِ ، وخَفَرُ الأعراضِ ، وقِصَرُ الوَهَازة(٢) .

* * *

مُلْتَقَطَاتٌ من كَلامِهِنَّ

قالت هندُ بنتُ عتبةَ وقد عُزِّيتْ عن يزيدَ بنِ أبي سفيانَ(٣) لما مات فقيل لها : إنا لنرجو أن يكون في معاويةَ خلفاً منه . قالت : أوَمثلُ معاويةَ يكون خلفا من أحد ؟ والله لو جُمعت العربُ من أقطارها ثم رُمي به فيها لخرجَ من أيِّها شاء .

قالت خالدةُ بنتُ هاشمِ بنِ عبد مَناف لأخٍ لها — وقد سمعتْه تَجَهّم صديقاً له : أيْ أُخَيَّ ، لاتطلع من الكلام إلا ما قد رَوَّأتَ(٤) فيه قبل ذلك ، ومزجته بالحلْم ،

---

(١) يرأب : يصلح .

(٢) الوهازة : مشية الخفرات .

(٣) يزيد بن أبي سفيان صحابى ، أسلم يوم الفتح ، وشهد غزوة حنين ، وهو أحد القادة الذين وجههم أبو بكر إلى الشام ، وولي فلسطين لعمر ، وتوفي سنة ١٨ هـ .

(٤) روأ في الشيء : نظر إليه وعرف عاقبته .

وداويتَه بالرِّفْقِ ، فإن ذلك أشبهُ بك . فسمعها أبوها هاشمٌ فقامَ إليها فاعتنقها وقبّلها وقال : واهاً لك ياقُبَّةَ الدّيباجِ فلُقِّبت بذلك .

قالت عائشةُ للنبي عليه السلام وقد دخل عليها : أينَ كنتَ يارسولَ الله ؟ قال : « كنتُ عندَ أمِّ سلمة . » قالت : أما تشبعُ ؟ فتبَسّم . وقالت : يارسولَ الله ، لو مررتَ بعُدْوَتَين (١) إحداهما عافيَةٌ لم يرْعَها أحد ، وأخرى قد رعَاها الناسُ ، أيّها كنتَ تنزلُ ؟ قال : « بالعافيةِ التي لم يرعَها الناسُ » قالت : فلستُ كأحدٍ من نسائك .

رُوِيَ أن عمرَ نَهى أبا سفيانَ عن رشِّ بابِ منزله لئلا يمرَّ به الحاجُّ فيزلقون فيه . فلم ينته . ومرَّ عمر فزَلِقَ ببابه فعلاه بالدِّرةِ وقال : ألم آمركَ ألا تفعلَ هذا . فوضعَ أبو سفيانَ سَبّابته على فيه . فقال عمرُ : الحمدُ لله الذي أراني أبا سفيانَ ببَطحاءِ مكةَ أضربُه فلا ينتصرُ ، وآمُره فيأتمرُ . فسمعتْه هندُ بنتُ عتبة فقالت : إحْمَدْه ياعمرُ فإنك إن تَحْمَدْهُ فقد أراك عظيماً .

* * *

---

(١) العدوة : شاطىء الوادي أو جانبه .

الباب الثاني

نكت من كلام النساء

ومستحسن جواباتهن وألفاظهن

مرّت امرأةٌ جميلةٌ على مسجدِ بنِي نُمَيْرٍ بالبصرةِ وعليهِ جماعةٌ منهم فقال بعضُهم : ما أكبرَ عَجيزَتَها ، وقالَ آخرُ : إنها ملفُوفَةٌ . وقال آخرُ : أنا أجيئكم بخبرها . فتبعَها وضربَ يدَه على عجيزتها . قال : فالتفتت إليهِ وقالتْ : ((الْحَقُّ مِنْ ربِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ)) (١) ثم انصرفتْ إلى بني نُمير فقالت : يا بني نُمَير ، واللهِ ما حفظتُم فيَّ قول اللهِ جلَّ وعزّ ، ولا قولَ الشاعرِ ، قال اللهُ تبارك وتعالى : ((قُلْ للمُؤْمِنِين يَغُضُّوا مِنْ أبْصارِهِمْ))(٢) وقال الشاعر :

---

(١) سورة البقرة : ١٤٧ .

(٢) سورة النور : ٣٠

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنكَ مِنْ نُمير
فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا (١)

قالت امرأةٌ من نُمَيرٍ وحضرتها الوفاةُ ، وأهلُها مجتمعون : من الذي يقول :

لَعَمْرُكَ مارماحُ بني نُمَيرٍ
بطائشةِ الصُّدورِ ولا قِصار (٢)

قالوا : زياد الأعجم (٣) . قالت : فإني أُشهدُكم أن له الثُلُثَ من مالي . وكان كثيراً .

وقالت امرأةٌ لزوجها : إن أَكْلَك لاقْتِفافُ ، (٤) ، وإن شُرْبَك لاشتفافْ ، وإن ضَجْعَتك لالْتفافْ ، تنامُ ليلةَ تخافُ ، وتشبعُ ليلةَ تُضافُ .

---

(١) البيت لجرير . البيان والتبيين : ٢/٢٤٣ ، وذكر الجاحظ بعدها : وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولداً .

(٢) مختار الأغاني : ٣/١٣٧

(٣) زياد بن سليمان ، لقب بالأعجم لغلبة العجمة على لسانه ، شاعر جزل اللفظ ، ولد ونشأ بأصفهان ، وأقام بخراسان إلى أن مات .

(٤) الاقتفاف : الاتيان على جميع الطعام شرها .

طلّق أعرابي امرأتَه فقالت له : جَزاكَ اللهُ خيراً ؛ لقد كنتَ كثيرَ المَرَقِ طيِّبَ العرَقِ ، قليلَ الأَرَق ، قال : وأنتِ فجزاكِ الله خيراً ؛ لقد كنتِ لذيذةَ المُعْتَنَقِ ، عند الكَرَى والأَرَق ، ولكنّ ما قَضَى اللهُ قد سبق .

تزوّجَ أعرابي امرأةً أشرفَ منه حَسَباً ونَسَباً فقال : يا هذهِ : إنك مهزولةٌ . فقالت : هُزالي أوجلني بيتك .

قالت أعرابيةٌ وقد دُفع إليها عِلْكٌ لتمضغَه : ما فيه إلا تعبُ الأَضراسِ وخيبةُ الحَنْجَرة .

نظر رجلٌ إلى امرأتين يتلاعَبان فقال : مُرَّا لعنكُما اللهُ فإنّكنّ صَواحباتُ يُوسفَ . فقالت إحداهما: يا عَمِّي فمن رَمَى به في الجُبِّ . نحنُ أو أنتم ؟

ومرّت جاريةٌ بقوم ومعها طَبَقٌ مغطّى فقال بعضهم : أيُّ شيء معك على الطبق ؟ قالت : فلِمَ غطّيناه ؟ .

قال الجاحظ : ومن الأَسْجَاعِ الحسَنَةِ قولُ الأعرابيةِ حين خاصمتِ ابنها إلى عاملِ الماء : أما كان

بطني لك وعاءٌ ؟ أما كان حِجْري لك فناء ؟ أما كان ثديي لك سقاء .

وقالت امرأة : أصبحنا ما يرقُد لنا فرَسٌ ، ولا ينام لنا حَرَسٌ .

مرّ رجل بامرأة من غاضرةَ ، وإذا ابنٌ لها مُسَجّى بين يديها ، وهي تقول : يرحمك الله يا بنيّ . فوالله ما كانَ مالُك لبطنك ، ولا أمرُك لعرسك ، ولا كنتَ إلا ليّنَ العَطْفة ، يُرضيكَ أقلُّ مما يُسْخِطُكَ . قال : فقلت لها : يا أمَّهْ ، ألكِ منه خلَفٌ ؟ قالت : بلى ما هو خيرٌ منه . ثوابُ الله والصبرُ على المصيبة .

ولما قُتل الفضلُ بنُ سهل (١) دخل المأمونُ إلى أمّه يعزّيها فيه . وقال : يا أمَّهْ ، لا تحزني على الفضل ؛ فإني خلفٌ لك منه . فقالت له : وكيفَ لا أحزنُ على ولدٍ عوّضني خلفاً مثلكَ ؟ فتعجبَ المأمونُ من جوابها . وكانَ يقول : ما سمعتُ جواباً قطُّ كان أحسنَ منه ولا أخلبَ للقلب .

---

(١) الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير للمأمون كان عادلا حكيما . توفي سنة ٢٠٢هـ

حُـكي أنَّ عجوزاً من الأعرابِ جلست في طريق مكّةَ إلى فتيانٍ من قُريشٍ يشربون نبيذاً لهم ، فسقوها قَدَحاً فطابت نفسها وتبسَّمتْ ثم سقَوها قدحاً آخرَ ، فاحمرَّ وجهُها وضحكتْ فسقوها قدحاً ثالثاً ، فقالت : أخبروني عن نسائكم بالعراق ، أَيَشْرَبْنَ من هذا الشرابِ : قالوا : نعم . قالت : زَنَيْنَ وربِّ الكعبةِ .

سُئلت أعرابيةٌ فقيل لها : أتعرفينَ النُّجومَ ؟ قالت : سبحان الله أمَا أعرفُ أشياخاً وقوفاً عليَّ كلَّ ليلة ؟

قيلَ لامرأةٍ أُصيبتْ بولدها : كيفَ أنت والجزَع ؟ . قالت : لو رأيتُ فيهِ دَرَكاً ما اخترتُ عليه ، ولو دامَ لي لدُمْتُ له .

خَطَبَ رجلٌ ابنةَ عمٍّ له فأخبرَها أبوها بذلك فقالت : يا أَبَهْ ، سَلْهُ مالي عنده ؟ فسأله فقال : ألطفُ برَّها ، وأحملُ ذكرها ، وأعصي أمرها . فقالت : زوِّجنيه .

لمَّا أُهديتِ ابنةُ عبدِ الله بنِ جعفرَ إلى الحجَّاجِ نظر إليها في تلك الليلةِ وعَبْرَتُها تجولُ في خدِّها ،

فقال ممَّ بأبي أنت ؟ . قالت : من شَرَفٍ اتَّضَعَ ، ومن ضَعَة شرُفت .

ولما كتب عبدُ الملك إلى الحجاج بطلاقها قال لها : إنَّ أميرَ المؤمنينَ أمرني بطلاقِكِ قالت : هو أبرُّ بي ممَّنْ زَوَّجَنِيكَ .

حَكَمَ بلالُ بنُ أبي بُردةَ (١) بالتفريق بين رجل وامرأته ، فقالت له المرأةُ : يا بنَ أبي موسى إنما بُعِثْتُم بالتَّفريقِ بينَ المسلمين .

نزلَ رجلٌ بامرأة من العرب فقال لها : هل من لبنٍ أو طعام يُباع ؟ فقالت : إنكَ للئيمٌ أو حديثُ عهد باللِّئام . فاستحسن ذلكَ منها وخطبَها فتزوجها .

حدَّث بعضهم قال : خرجتُ إلى ناحيةِ الطُّفاوَة(٢) فإذا أنا بامرأةٍ لم أر أجملَ منهَا . فقلت : أيتها المرأةُ ، إن كان لكِ زوجٌ فبارك اللهُ له فيكِ ، وإلاَّ فأعلميني .

---

(١) بلال بن أبي بردة يتصل نسبه بأبي موسى الأشعري ، ولاه خالد القسري قضاء البصرة .

(٢) الطفاوة : حي من قيس بن عيلان .

قال : فقالت : وماتصنعْ بي وفيّ شيءٌ لاأراكَ ترتضيه . قلت : وماهو ؟ قالت : شيبٌ في رأسي . قال : فثنيتُ عنانَ دابّتي راجعاً . فصاحتْ بي : على رِسْلِكَ أُخبرك بشيء . فوقفتُ وقلتُ : ماهو يرحمك الله ؟ فقالت : والله مابلغتُ العشرين بعدُ ، وهذا رأسي — فكشفت عن عناقيدَ كالحُمَم — ومارأيتُ في رأسي بياضاً قطّ ، ولكن أحببتُ أن تعلّم أنا نكرهُ مثلَ مايُكْرَهَ منّا . وأنشدت :

أرَى شَيْبَ الرّجالِ من الغواني
بموضع شيبهنّ مــن الرّجــال

قال : فرجعتُ خجلاً كاسفَ البال .

وصفت امرأة نساءً فقالت : كنّ صُدُوعاً في صفاً ليسَ لعاجز فيهنّ حظٌ .

قيل لابنة الخُس(١) : من تريدين أن تتزوّجي ؟ فقالت : لاأريدُهُ أخا فلان ولاابنَ عمّ فلان ، ولاالظّريفَ

---

(١) هي هند بنت الخس ، لها أخبار مروية في كتب الأدب .

ولاالمتظرّفَ ، ولاالسّمينَ الألحمَ ولكني أريدُه كسوباً إذا غدا ، ضَحُوكا إذا أتى .

وقيل لها : مَنْ أعظمُ الناس في عينك ؟ قالت : مَنْ كانت لي إليه حاجةٌ .

قيلَ لأعرابيةٍ قد حملت شاةً تبيعُها : بكَمْ ؟ قالت : بكذا . قيل لها : أحْسِني . فتركت الشاةَ ومرّت لتنصرفَ . فقيل لها : ماهذا ؟ قالت : لم تقولوا : أنقصي ، وإنّما قلتم : أحسني . والإحسان تركُ الكلِّ .

قالت قريبةُ الأعرابية : إذا كنتَ في غير قومكَ فلا تنسَ نصيبكَ من الذّل .

قيل لأعرابيةٍ : ماأطيبُ الروائِح ؟ قالت : بَدَنٌ تُحبّه ، وولَد تُرَبّه .

سأل رجلٌ الخيزُرانَ(١) حاجة ، وأهدى إليها هديّة فردّتْها وكتبت إليه : إن كان الذي وجّهتَه ثمنا لرأي فيك فقد بخستَني في القيمة ، وإن كان استزادةَ فقد استغشَشْتَني في النصيحة .

---

(١) الخيزران : أم هارون الرشيد .

قتل قتيبةُ(١) أبا امرأةٍ وأخاها وزوجَها ثم قال لها : أتعرفين أعدى لك منّي ؟ قالت : نعم : نفسي طالبتني بالغداء بعد مَن قتلتَ لي .

تقدّمت امرأة إلى قاضٍ فقال لها القاضي : جامَعك شهودُك كلُّهم ؟ فسكتتْ فقال كاتبه : إن القاضي يقول : جاءَ شهودُك معك ؟ قالت : نعمْ . ثم قالت للقاضي : ألا قلتَ كما قال كاتبُك . كبر سنُّك ، وذهبَ عقلُك . وعظمتْ لحيتُك فغطّت على عقلك ، وما رأيتُ ميتاً يحكم بين الأحياءِ غيرَك .

قالت أعرابيةٌ لزوجها ، ورأته مَهْمُوما : إن كان همّك بالدُّنيا فقد فرّغ اللهُ منها ، وإن كان للآخرة فزادكَ الله همّا بها .

قال الأصمعيّ : سمعتُ أعرابية تقول : إلهي ، ماأضيقَ الطريقَ على من لم تكن دليلَه ، وأوحشَه على من لم تكن أنيسَه !

قالت عائشةُ للخنساء : إلى كمْ تبكينَ على صخرٍ ،

---

(١) قائد أمير ولي خراسان .

وإنّما هو جَمْرةٌ في النار ؟ قالت : ذاكَ أشدُّ لجزعي عليه. .

جاءت امرأةٌ إلى عَدِيّ بن أرْطَأة(١) تستعديه على زوجها ، وتشكو أنّه عنينٌ لا يأتيها ، فقال عدي : إنّي لأستحيي للمرأةِ أن تستعدي على زوجها من مثل هذا، فقالتْ : ولم لاأرغبُ فيما رغبتْ فيه أمّك فلعلَّ اللهَ أنْ يرزقني ابنا مثلك .

وقالت أعرابيةٌ لرجلٍ : مالك تُعطي ولاتَعِدُ ؟ فقال لها : مالك وللوعد ؟ قالت : ينفسحُ به الصَّبْرُ ، وينتَشِر فيه الأمل ، وتطيبُ بذِكره النّفْسُ ، ويُرْجى به العيشُ ، وتربحُ أنت به المرح بالوفاء .

قيل لامرأة : صِفي لنا الناقَة النجيبة ، قالتْ : كالعقربِ إذا هَوَتْ ، وكالحيةِ إذا التوتْ ، تطوي الفلاةَ ومانطَوتْ .

خطب أعرابي امرأةً وكان قصيراً فاحش القِصر ، عظيم الأنف جداً فكرهَتْهُ فقال : ياهذه ، قد عرَفْتِ

(١) عدي بن أرطأة الفزاري ، ولي البصرة لعمر بن عبد العزيز .

شَرَفي وأنا مع ذلك كريمُ المعاشرة ، محتمِلٌ المكروهَ .
فقالت : صَدَقْتَ معَ حَمْلِكَ هذا الأنفَ أربعينَ سَنَة .

استعمل المنصورُ رجلاً على خراسانَ فأتته امرأةٌ في حاجة فلم تَرَ عنده غَناءً ، فقالت : أتدري لم ولاّك أميرُ المؤمنين ؟ قال : لا : قالت : لينظرَ هل يستقيمُ أمرُ خراسان بلا والٍ .

قال بعضهم : خَطَبْتُ امرأة فأجابتْ ، فقلت : إني سيء الخُلق : فقالت : أسوأ خُلقا منكَ من يُلجئُك إلى سوءِ الخُلُقِ .

قيل : إنّ الحسن رضي الله عنه طلّقَ امرأتينِ قرشّيةً وجُعفيّة وبعث إلى كلّ واحدة منهمَا عشرينَ ألفاً . وقال للرسول : احفظ ماتقولُ كلّ واحدة منهمَا فقالت القرشيةُ : جزاهُ الله خيرًا . وقالت الجعفُيّة : متاع قليلٌ من حبيب مفارق . فراجعَها وطلّق الأخُرى .

وكانت عند الحسن بن الحُسينِ امرأة فضَجِرَ يوماً وقال : أمْرُكِ في يدكِ . فقالت : أما واللهِ لقد كانَ في يدكَ عشرين سنة فحفظتَه ، أفأضيّعُه في ساعة

صارَ في يدي . قد رددتُ إليك حقّك . فأعجبه قولها وأحسن صحبتها .

قالت الخيزران : قبح اللهُ الخدَمَ ليس لهمْ حزمُ الرّجالِ ولا رِقّةُ النساء .

كتب المأمونُ إلىشِكْلةَ(١)أمّ إبراهيمَ بنِ المهديّ(٢) يتوعّدُها فأجابته : أنا ياأميرَ المؤمنين أمٌّ من أمهاتِكَ ، فإن كان ابني عَصَى اللهَ فيك فلا تعْصَهُ فيَّ ، والسّلام .

عُرضت عَنَانُ ، جاريةُ الناطفيّ على الرشيد وهو يتبخّر ، فقال لها : أتحبّين أن أشتريك ؟ فقالت : ولِمَ لا يا أحسنَ الناسِ خَلْقا وخُلُقاً ؟ فقال : أمّا الخَلق فقد رأيته ، فالخُلُق أنّى عرَفْتِه ؟ قالت : رأيتُ شرارةً طاحَتْ من المِجْمرة فلمعتْ في خدّك فما قطّبتْ لها ولا عاتَبْت أحداً .

---

(١) شكلة أم إبراهيم بن المهدي ، سبيت ، وحملت إلى المنصور فوهبها لأم ولده ، أخذها المهدي فولدت له إبراهيم .

(٢) إبراهيم بن المهدي أديب شاعر له صنعة في الغناء ، ولي الخلافه بعد قتل الأمين ، ولما جاء المأمون استتر ثم استعطفه فعفا عنه .

كان معاويةُ يمشي مع أمّه فعثَرَ ، فقالت له : قمْ لا رفعَكَ اللّه — وأعرابيٌّ ينظر إليه — فقال : لم تقولينَ له هذا ؟ فواللّه إنّي لأظنّه سيسودُ قومَه . فقالت . لا رفعَه اللّه إن لم يسُد إلاّ قومَه .

قال محمّدُ بنُ عبدِ اللّه بنِ عمرو بنِ عثمانَ : جمعَتنا أمُّنا فاطمةُ بنتُ الحُسينِ عليه السلام فقالت : يا بَنِيَّ إنّه واللّه ما نال أحدٌ من أهل السَّفَه بسفههم شيئاً ، ولا أدركوهُ من لذّاتهم إلاّ وقد نَاله أهلُ المروءات بمروءاتِهم . فاستتِروا بِسِتْرِ اللّه .

لما قَصَدَ المعتضدُ(١) بني شيبانَ اصطفَى منهم عجوزاً سريعة الجوابِ فصيحةً ، فكان يُغري بينها وبين الجُلساءِ . فجاءت يوماً فقعدت بلا إذْنٍ فقال لها خَفيفٌ السّمرقنديّ الحاجبُ : أتجلسينَ بين يديْ أمير المؤمنين ، ولم يأذنْ لكِ ؟ فقالت : أنت جارُ ذلك وحاجبه ، كان يجبُ أن تعرّفي ما أعملُ قبل دخولي إذْ لم تكُنْ

(١) هو أحمد بن الموفق ، الخليفة العباسي ، تولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ وتوفي سنة ٢٨٩هـ ، وكان شجاعاً فاضلا .

لي عادةٌ بمثله . ثم قامت . فتغافل المعتضد عنها فقالت : يا سيدَاهُ ؛ أقيامٌ إلى الأبد ، فمتى ينقضي الأمد ؟ فضحك وأمرها بالجلوس . .

قالت هند بنت عُتبةَ لأبي سفيانَ بنِ حَرْبٍ لما رجع مُسلماً من عند رسول اللّه صلى اللّه عليه إلى مكة في ليلة الفتح فصاحَ : يا معشرَ قريشٍ ، ألا إنّي قد أسْلَمْتُ ، فأسلموا ، فإن مُحَمَّداً قد أتاكم بما لا قِبَلَ لكم به . فأخذت هند رأسه وقالت : بئسَ طليعة القوم . واللّهِ ما خَدَشْتَ خَدْشاً . يا أهلَ مكة . عليكم الحَميتَ(١) الدسم فاقتلوه .

وقالت هندٌ : إنَّما النساءُ أغلالٌ ، فليتخيرِ الرجلُ غلاً ليَدِهِ .

وذكرت هندُ بنتُ المهلّبِ النساءَ فقالت : مازُيِّنَّ بشيء كأدبٍ بارعٍ تحته لُبٌّ ظاهرٌ .

وقالت أيضاً : إذا رأيتم النّعم مستدرةً فبادروا بالشُّكر قبلَ حلولِ الزّوالِ .

---

(١) الحميت : الزق . شبهته به إعظاماً لما قال .

قدمت ليلى الأخيليّةُ على الحجاجِ ومدحته . فقال : يا غلامُ ، أعْطِها خمسمئة ، فقالت : أيها الأمير ، اجعلها أُدْماً(١) . فقال قائلٌ : إنما أمَرَ لكِ بشاءٍ قالت : الأميرُ أكرمُ من ذاك . فجعلها إبلاً إناثاً ، استحياءً . وإنما كان أمرَ لها بشاءٍ أولاً .

كانت آمنةُ بنتُ سعيدِ بنِ العاصِ عند الوليد بنِ عبدِ الملك ، فلما مات عبد الملكُ سعتْ بها إحدى ضرّاتها إلى الوليد . وقالت : لمْ تبكِ على عبد الملك كما بكتْ نظائرُها . فقال لها الوليدُ في ذلك : فقالتْ : صَدَقَ القائلُ لكَ . أكنتُ قائلةً : يا ليته بقيَ حتّى يقتلَ أخاً لي آخرَ كعمرو بنِ سعيدٍ .

كانت ابنةُ هانىء بن قبيصةَ عند لقيطِ بنِ زُرارةَ ، فقُتل عنها وتزوّجها رجلٌ من أهلها ، فكان لا يزال يَراها تذكرُ لقيطاً . فقال لها ذات مرّةٍ : ما استحسنتِ من لقيط ؟ فقالت : كلُّ أموره كانتْ حسَنَةً . ولكنّي أحدّثُك إنّه خرجَ مرّة إلى الصَّيْدِ وقد انتشى ، فرجع

---

(١) الأدم . البيض من الجمال ، وهي مما تمدح .

إليّ وبقميصه نَضْحٌ من دَمِ صيدِه والمِسْكُ يضوعُ من أعطافه ، ورائحةُ الشَرابِ من فيه . فضمني ضمةً وشمَّني شمةً ، فليتني كنتُ مِتُّ ثَمَّةَ . قال : ففعل زوجُها مثل ذلك ثم ضمها إليه وقال : أين أنا من لَقِيط ؟ فقالت : ماءٌ ولا كصَدّاء ، ومرعى ولا كالسعدان .

قالوا : كان ذو الإصبع العدواني(١) غَيُوراً ، وكان له بناتٌ أربع لا يزوّجهن غَيْرَةً ، فاستمع عليهنّ مرّة وقد خَلَوْنَ يتحدَّثْنَ . فذكرنَ الأزواجَ حتى قالت ، الصُغرى منهنّ : زَوْجٌ من عُود خيرٌ من قُعود . فخُطِبن فزوّجهنّ .

ثم أمهلهنَ حَوْلا ، ثم زارَ الكبرى فقال لها : كيف رأيتِ زوجَكِ ؟ قالت : خيرُ زوجٍ يُكرم أهلَه ، وينسى فضلَه . قالَ : حَظِيتِ ورضيتِ. فمامالُكُمْ ؟ قالت : خيرُ مال . قال : وما هو ؟ قالت : الإبلُ ، نأكل لحمانها مِزَعاً ، ونشرب ألبانها جُرَعاً ، وتحملنا وضعفتنا معاً . فقال : زوج كريمٌ ومال عَميمٌ .

---

(١) ذو الإصبع العدوانى . حرثان بن عمرو ، شاعر فارس من شعراء الجاهلية .

ثم زار الثانيةَ فقال : كيف رأيتِ زَوْجَك ؟ قالت : يكرمُ الحَليلةَ ويقرب الوسيلة(١) ، قال : فما مالُكُمْ ؟ قالت : البَقَرُ قال : وما هي ؟ قالت : تألفُ الفِناءَ ، وتملأ الإناءَ ، وتَودِكُ السِقاءَ(٢) ، ونِساءٌ مع نساء . قال : رضيتِ وحظيتِ .

ثم زار الثالثة فقال : كيفَ رأيت زوجك ؟ فقالت : لا سَمْحٌ بَذِرٌ ، ولا بخيلٌ حَكِرٌ(٣) . قال : فما لكم ؟ قالت : المِعْزَى . قال : وما هي ؟ قالت : لو كنّا نولدُها فُطْماً ، ونسلخها أدماً . لم نَبغِ بها نَعَماً . فقال : جذوة مُغنية(٤) .

ثم زار الرابعةَ فقال : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالت : شَرُّ زوجٍ ، يُكْرِمُ نفسَه ، ويُهين عِرسَهُ . قال : فما مالكم ؟ قالت : شرُّ مالٍ ، الضأنُ . قال : وما هي ؟ قالت : جُوفٌ يشبَعنَ ، وهِيمٌ لا يَنْقَعْنَ ،

---

(١) الوسيلة : الحاجة .

(٢) تودك : من الودك ، وهو الدسم .

(٣) الحكر : السيء العشرة .

(٤) جذوة : قطعة .

وصُمٌّ لا يسمعنَ ، وأمرَ مغوٍ يتَهينَ يتَمعنَ (١) . فقال : أتنشَدَ امرأً بعضُ بَزِّه(٢) ، فارساها مثلاً

قال الأصمعي : قيل لامرأة : علامَ تمنعينَ زوجك القِضَّة (٣) ؟ فإنه يحتَلُّ بِك . فقالت : كذَبَ واللهِ ، إني لأُطاطِئُ الوِسادَ وأُرْخِي اللِّبادَ (٤) .

قال بعضهم : سمعتَ أعرابيةً بالحجاز تَرقِي رجلا من العين فقالت :

أُعيذكَ بكلماتِ اللهِ التامَّةِ ، التي لا تجوزُ عليها هامَّةٌ (٥) ، من شرِّ الجنِّ وشرِّ الإنسِ عامة ، وشرِّ النَّظرة واللاَّمَة(٦) . أُعيذُكَ بمطلع الشَّمْسِ ، من شرِّ ذي مَشْيٍ هَمَسَ ، وشرِّ ذي نظرٍ خَلَسَ ،

---

(١) أي إن الشاة الواحدة قد تمع فيمع وراءها باقي القطيع .

(٢) البز : الثياب .

(٣) القضة : افتراع العذراء

(٤) نوع من القباء ؛ أو هو اللبود التي تفرش كالبساط .

(٥) الهامة : الواحدة من خشاش الأرض نحو العقرب

(٦) اللامة . العين تصيب بالسوء

وشرِّ ذي قولٍ دسٍّ ، من شرِّ الحاسدينَ والحاسداتِ ، والنَّافِسينَ والنَّافسات ِ، والكائدين والكائداتِ .

نَشَّرْتُ عنك بِنُشْرَةِ نَشَّار(١) ، عن رأسك ذي الأشعار ، وعن عَيْنيك ذَوَاتي الأشفار ، وعن فيك ذي المَحَار(٢) ، وظَهْرِك ذي الفقار ، وبَطْنِكَ ذي الأسرار ، وفَرْجِك ذي الأستار ، ويديْك ذواتي الأظفار ، ورجليك ذواتي الآثار ، وذيلك ذي الغُبار ، وعناك فضلاً وذا إزار ، وعن بيتك فُرْجاً وذا أستار . رَشَشْتُ بماءٍ باردٍ ناراً ، وعينين وأشفاراً ، وكان اللهُ لكَ جاراً .

ذُكر أنَّ الجُمانة بنت المهاجرِ بنِ خالدِ بنِ الوليدِ نظرت إلى عبدِ اللهِ بنِ الزُّبير وهو يَرْقى المنبرَ ، يخطبُ بالنّاس في يوم جُمعةٍ فقالت حين رأته رقى المنبرَ : أيا نَقّارُ انْقُر . أما واللهِ لو كانَ فوقَه نجيبٌ من بني أميّةَ ، أو صَقْرٌ من بني مَخْزوم لقال المنبر :

---

(١) النشرة : الرقية ، ونشر عنه : رقاه .

(٢) المحار : إما بمعنى الصدف تشبيهاً للأسنان به وإما بمعنى باطن الحنك

طيقْ طيق . قال : فأُنْمِيَ كلامُها إلى عبد الله بن الزبير ، فبعث إليها فأتى بها فقال لها : ما الّذي بلغني عنْك يا لكَاع ؟ قالت : الحقّ أُبلغتَ يا أميرَ المؤمنين ، قال : فما حملكِ على ذلك ؟ قالت : لا تعدمُ الحسناءُ ذاماً(١) . والسَّاخطُ ليس براضٍ . ومع ذلك فما عدوتُ فيما قلتُ لكَ أنْ نسبتُك إلى التّواضعِ والدينِ ، وعدوّك إلى الخُيَلاءِ والطّمع . ولئن ذاقُوا وبالَ أمرهم لتَحْمدَنَّ عاقبةَ شانئك ، وليسَ من قال فكذب كمن حدَّث وصَدَق . وأنتَ بالتَّجاوزِ جديرٌ ، ونحنُ للعفوِ أهلٌ ، فاسترْ عليَّ الحُرمةَ ، تستَتِمَّ النّعمةَ ، فوالله ما يرفَعُكَ القولُ ولا يَضَعُكَ . وإنَّ قريشاً لتعلمُ إنّك عابدُها وشجاعُها ، وسِنانُها ولسانُها ، حاطَ الله لكَ دنياكَ ، وعَصَمَ أُخراكَ ، وألْهَمَكَ شكرَ ما أوْلاك .

ذكر الأصمعيُّ عن آبان بن تَغْلِب(٢) قال : خرجتُ في طلبِ الكَلأ ، فانتهيتُ إلى ماء من مياه كَلْب ؛

(١) الذام : العيب ، والقول من الأمثال .

(٢) أبان بن تغلب ، ففيه معروف وقارىء مشهور .

وإذا أعرابيٌ على ذلك الماءِ ومعه كتابٌ منشورٌ يقرؤه عليهم ، وجعل يتوعَّدهم . فقالت له أمُّه وهي في خبائها . وكانت مُقعدةً كِبَراً : ويلَكَ ! دعي من أساطيرك . لا تحمِلْ عقوبتَك على من لمْ يحمِلْ عليك ، ولا تتطاولْ على من لا يتطاولُ عليك . فإنك لا تدري ما يُقَرِّبك إليه حوادثُ الدهور ، ولعلَّ من صَيَّرَكَ إلى هذا اليوم أن يُصَيِّرَ غيركَ إلى مثله غداً ، فينتقم منك أكثرَ ممّا انتقمتَ منه ، فاكْفُفْ عمّا أسمع منك ألم تسمع إلى قول الأوّل(١) .

لا تَحقِرنَّ الفقيرَ علّكَ أن
تَرْكعَ يوماً والدّهرُ قد رَفَعَهْ

قال مهدي بن أبان : قلت لولادة العبدية — وكانت من أعقل النساء — إنيّ أريد الحجّ فأوصِني . قالتْ : أُوجِزُ فأُبْلِغُ ، أم أطيلُ فأُحكِمُ . فقلت : ما شِئْتِ . قالت : جُدْ تَسُدْ . واصبرْ تفز . قلت : أيضا قالت : لا يتعدَّ غضبُك حِلمَك ، ولا هواكَ عِلمَك ، وَقِ

---

(١) هو الأضبط بن قريع . شاعر جاهلي .

دينَك بدنياك ، وفِرْ عِرْضَك بعَرَضِك ، وتفضَّل تُخْدَم ، واحلمْ تُقَدَّم .

قلت : فمن أستعين ؟ قالت : اللّه . قلت : من الناس ؟ قالت : الجَلْدَ النشيطَ ، والنّاصحَ الامينَ .

قلت : فمن أستشير ؟ قالت : المجرّبَ الكيّسَ ، أو الأديبَ الصغيرَ .

قلت : فمن أستصحب ؟ قالت : الصديقَ المسلمَ ، أو المداجيَ المتكرِّم . ثمّ قالت : يا أبتاه ؛ إنّك تفِد إلى ملك الملوك ، فانظر كيفَ يكون مقامُك بين يديه .

رُوي أنّ رسول الله صلى الله عليه خرج ليلةَ هاجرَ من مكّة إلى المدينة وأبو بكر رحمه الله وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ (١) ودليلُهما اللّيثيُّ عبدُ الله بنُ أُرَيْقِط . فمرّوا على خيمةِ أمِّ مَعْبَدٍ الخُزاعية (٢) — وكانت امرأة بَرْزة جَلْدَةً تَحتَبي بفناء الكعبة ، ثمّ تسقي

---

(١) عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، من السابقين إلى الإسلام ، شهد بدراً وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة .

(٢) اسمها عاتكة ، وهي أخت حبيش بن خالد .

وتُطعم — فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مُرمِلين مُسنِتين(١) ، فنظر رسول الله صلّى الله عليه إلى شاةٍ في كِسْرِ الخَيْمة . فقال : ما هذه الشّاةُ يا أمَّ معبد ؟ قالت : شاةٌ خلّفها الجَهْدُ عن الغنم . قال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهدُ من ذلك . قال : أتأذَنين لي أن أحلُبها . قالت : بأبي وأمي أنتَ . نعم ، إن رأيت بها حَلْباً فاحْلبها . فدعا رسول الله صلّى الله عليه بالشاةِ فمسح ضَرْعَها ، وسمّى اللهَ ودعا لها في شاتِها ، فتفاجّتْ (٢) عليه ودرّت وأخْتَرَت (٣) ، ودعا بإناء يُرْبِض الرّهطَ (٤) فحلب فيه ثَجّاً (٥) حتّى غلبه الثُّمال (٦) ، ثم سقاها حتّى رويت ، وسقى أصحابه حتّى رووا ، ثم شرب آخرهم

---

(١) أصابتهم السنة أي الفقر .

(٢) تفاجت : بالغت في تفريج رجليها .

(٣) اخترت : أكثرت .

(٤) يربض الرهط : يرويهم ويشبعهم .

(٥) ثجا : لبنا سائلا كثيرا .

(٦) الثمال : جمع ثمالة وهي الرغوة .

وقال : ساقي القَوْم آخرُهم شُرْبا . فشربوا جميعاً علَلاً بعدنَهَل ، ثم أراضُوا (١) ، ثمّ حلب فيه ثانياً عَوْداً على بَدْءٍ حتّى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها وبايعها وارتحلوا عنها .

كانت حميدةُ بنتُ النعمانِ (٢) بنِ بَشير بنِ سعد تحتَ رَوْح بن زِنْباع (٣) فنظر إليها يوما تنظرُ إلى قومه جُذام وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى إلا جُذاما ؟ فوالله ما أحبُّ الحلالَ منهم فكيف الحرام .

قالت الجُمانَةُ بنتُ قَيس بنِ زُهَيْرٍ العَبْسيّ لأَبيها لمّا شرق ما بينه (٤) وبين الربيع بن زياد (٥) في الدّرع : دعني أناظرْ جدي ، فإن صلُح الأمر بينكما ، وإلا كنتُ من وراء رأيك . فأذن لها ، فأتت الربيع فقالت : إن كان

(١) أراضه : صب اللبن على اللبن وروي .

(٢) شاعرة مجيدة ، كانت تهجو زوجها روح بن زنباع .

(٣) روح بن زنباع أمير فلسطين ، كان ذا رأي مقدما عند الخلفاء توفي سنة ٨٤هـ .

(٤) شرق : اختلط واضطرب .

(٥) الربيع بن زياد العبسي أحد شجعان العرب .

قَيْسٌ أبي فإنّك يا ربيعُ جَدّي ، وما يجبُ له من حقّ الأبوة عليّ إلا كالذي يجب عليكَ من حقّ البنوّة لي . والرّأيُ الصحيحُ تبعثُه العنايةُ ، وتُجلّي عن مَحْضِه النصيحة . إنّك قد ظلمتَ قيساً بأخذِ دِرْعِه ، وأجد مكافأتَه إيّاك سوءَ غرمه ، والمُعارِضُ مُنْتَصِرٌ ، والبادِي أظلم ، وليس قيسٌ ممّن يخوّف بالوعيد ولا يردَعُه التهديد ، فلا تركنَنّ إلى مُنَابَذَته ، فالحزمُ في مُتَارَكتِه ، والحرب مَتْلَفَةٌ للعباد ، ذَهّابَةٌ بالطّارف والتّلاد ، والسّلم أرخى للبال . وأبقى لأنفسِ الرّجال . وبحقٍّ أقول ، لقد صَدَعْتُ بحُكْم ، وما يدفعُ قولي إلا غيرُ ذي فهم .

دخل عبد الله بن الزّبير على أمّه أسماءَ بنتِ أبي بكر في اليوم الذي قُتل فيه ، فقال : يا أمّة ، خذلني النّاسُ حتى أهلي وولدي ولم يبقَ معي إلا اليسيرُ ومَنْ لا دَفْعَ عنده أكثرَ من صبر ساعةٍ من النّهار . وقد أعطاني القومُ ما أردتُ من الدّنيا فما رأيُكِ ؟ قالت : إن كنتَ على حقٍّ تدعو إليه فامضِ عليه ، فقد قُتل عليه أصحابُك ، ولا تُمَكّنْ من رقبتِك غِلْمانَ بني أميّةَ فيتلاعبوا بك .

وإنْ قلتَ : إني كنتُ على حقٍّ فلمَّا وَهَن أصحابي ضعُفَتْ نيَّتي فليس هذا فعلَ الأحرارِ ، ولا فعلَ من فيه خير ، كم خلودُك في الدّنيا ؟ القتلُ أحسنُ ما تقعُ به يا بنَ الزّبير . والله لضربةٌ بالسيف في عزٍّ أحبُّ إليَّ من ضربةٍ بسوْطٍ في ذلٍّ .

قال لها : هذا والله رأيي ، والّذي قمتُ به داعيا إلى الله . والله ما دعاني إلى الخُروجِ إلاّ الغضبُ لله عز وجل أن تُهْتَك محارمه . ولكنّي أحببتُ أن أطّلِعَ رأيكِ فيزيدَني قوةً وبَصيرةً مع قوّتي وبصيرتي . واللهِ ما تَعَمَّدْتُ إتيانَ مُنْكَرٍ ولا عملاً بفاحشة ، ولم أجُرْ في حُكْمٍ ، ولم أغدرْ في أمان ، ولم يبلغني عن عمالي فرضيتْ به . بل أنكرتُ ذلك ولم يكن شيء عندي آثر من رِضَا ربّي .

اللهمّ إني لا أقول ذلك تزكية لنفسي ، ولكن أقوله تعزية لأمّي لتسلوَ عنّي . قالت له : والله إنّي لأرجو أن يكون عزائي فيك حسنا بعد أن تقدّمني أو تقدّمتك ، فإنّ في نفسي منكَ حرَجاً حتّى أنظرَ إلى ما يصيرُ أمرُك .

ثُمَّ قالت : اللهمَّ ارحمْ طولَ ذاكَ النَّحيبِ والظمأَ في هواجرِ المدينةِ ومكّةَ وبرَّه بأُمِّه . اللّهم إنّي قد سلّمتُ فيه لأمرك ، ورضيتُ فيه بقضائك ، فأثبْني في عبدِ الله ثوابَ الشاكرين . فودَّعها وقال : يا أُمّهْ لا تَدَعي الدّعاءَ لي قبلَ قتلي ولا بعدهَ . قالت : ان أدَعه لك . فمن قُتِل على باطلٍ فقد قُتلتَ على حق . فخرج وهو يقول :

فلستُ بمُبْتَاعِ الحياةِ بسُبّةٍ
ولا مُرْتقٍ من خَشْيةِ الموْتِ سلّما(١)

وقال لأصحابه : احملُوا على بَرَكَةِ الله . وحارب حتّى قُتل .

ورُوي أنه دخل على أمهِ أسماءَ وهي عليلةٌ ، فقال : يا أُمّهْ . إنَّ في الموت لراحةً . فقالت : يا بنيَ ؛ لعلّك تتمنّى موتي فو الله ماأحبُ أن أموتَ حتّى تأتيَ على أحدِ طرفيك ، فإما أن تَظْفرَ بعدوِّك فتقرَّ عيني وإماأن تُقْتل فأحتسبك . قال : فالتفتَ إلى أخيه عروة (٢) وضحك .

---

(١) البيت للحصين بن الحمام المرى .

(٢) عروة بن الزبير ، المدنى الفقيه ، جمع العلم والسيادة وكان يصوم الدهر ، ولد سنة ٢٩ هـ وتوفي سنة : ٩٤ هـ .

فلما كان في اللّيلة ِ التي قُتل في صبيحتها دخل في السّحَرِ عليها فشاورها ، فقالت : يا بُنيّ لا تجيبنّ إلى خُطّة تخافُ على نفسك القتلَ . قال : إنّما أخافُ أن يُمثّلوا بي . قالت : يا بنيّ ، إن الشاةَ لا تألم السّلْخَ بعد الذّبْحِ .

حجّت أمُّ حَبيب بنتُ عبد الله بن الأهتَم فبعث إليها الحسنُ بنُ علي بن أبي طالب عليهما السلام فخطبها ، فقالت : إنّي لم آتِ هذا البلد للتّزويج ، وإنما جئت لزيارة هذا البيت فإذا قدمت بلدي وكانت لك حاجةٌ فشأنَك. قال : فازداد فيها رَغْبَةً ، فلمّا صارتْ إلى البصرْة أرسل إليها يخطبها ، فقال إخوتها : إنّها امرأة لا يُفتَاتُ على مثلها برأي ، وأتوها فأخبروها الخبرَ ، فقالت : إنْ تزَوّجني على حُكْمي أجبتُه . فأدوا ذلك إليه فقال : امرأةٌ من تميم ، أتزوّجها على حُكمها . ثم قال : وما عسى أن يبلغَ حُكْمُها لها ؟ قال : فأعطاها ذلك . فقالت : قد حَكَمْتُ بصداقِ أزواج النبي صلى الله عليه وبناته : اثنَي عَشَرَ أوقيةً . فتزوّجَها على ذلك ، وأهدى لها مائة ألفِ درهم . فجاءت إليه فبَنَى بها في ليلة قائظة على سطْح

لا حظَارَ (١) عليه ، فلمَّا غلبته عينه أخذتْ خمارها فشدَّته في رجله ، وشدّتِ الطّرفَ الآخر في رجلها .

فلما انتبَه من نومِه رأى الخمار في رجله . فقال : ما هذا ؟ قالت : أنا على سَطح ليسَ عليهِ حِظَار ، ومعي في الدار ضرَائرُ ، ولم آمنْ عليك وَسَنَ النّوم ، ففعلتُ هذا حتى إذا تحركتَ تحرّكتُ معك . قال : فازداد فيها رغبة ، وبها عجباً . ثم لم يلبثْ أن مات عنها فكلّموها في الصلح عن ميراثِه . فقالت : ما كنتُ لآخذ له ميراثاً أبداً ، وخرجت إلى البصرةِ ، فبعثَ إليها نَفَرٌ يخطبونها منهم يزيدُ بن معاوية وعبدُ الله بن الزّبير وسعيدُ بن العاص (٢) وعبد الله بن عامر (٣) فأتاها إخوتها فقالوا لها : هذا ابنُ أمير المؤمنين ، وهذا ابن عمّةِ رسول الله صلى الله عليه ، وهذا ابنُ حوَاريِّه ، وهذا ابنُ عامرٍ أميرُ البصرة .

---

(١) الحظار بفتح الحاء وكسرها : بناء يمنع السقوط من السطح .

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي ، قائد وأمير شجاع افتتح طبرستان ، توفي سنة ٥٩هـ .

(٣) عبد الله بن عامر الأموي أمير قائد ولاه عثمان على العراق وافتتح خراسان وأطراف فارس وتوفي سنة ٥٩هـ .

اختاري من شئت منهم . قال : فردّتهم جميعا . وقالت : ما كنتُ لأتّخذُ خَتَماً بعد ابنِ رسولِ الله صلى الله عليه .

وقال المدائني : أُتِي عُبيدُ الله بن زياد(١) بامرأةٍ من الخوارج ، فقطع رجلها وقال لها : كيفَ ترين ؟ فقالت : إنّ في الفكر في هول المُطّلَع لشُغْلاً عن حَدِيدتكم هذه . ثم قطع رجلها الاخرى وجَذَبها ، فوضعتْ يدها على فَرْجِها . فقال : إنك لتسترينَه . فقالت : لكنّ سُميّةَ أمّك(٢) لم تكن تستره .،

قال المهديُّ للخيزُرانِ أمّ موسى وهارونَ ابنيه : إن موسى ابنَك يتيهُ أن يسألني حَوائجَه . قالت : ياأميرَ المؤمنين ، ألم تكُ أنت في حياة المنصور لاتَبْتدئُه بحوائجك وتُحب أن يبتدئك هو ؟ فموسى ابنكَ كذاكَ يحبُ منك . قال : لا ، ولكنّ التِّيهَ يمنعه . قالت : ياأميرَ المؤمنين ، فمن أينَ أتاه التيه ؟ أمن قِبلي أم قِبَلك ؟

---

(١) عبيد الله بن زياد ، الذي أرسل الجيش للحسين فقتله ، ولي العراق بعد أبيه ، قتله المختار الثقفي سنة ٦٧ هـ .

(٢) تريد : أم أبيه زياداً .

رُوي عن بعضهم أنه قال : بينا أنا ذات يوم بالبادية ، فخرجت في بعضِ الليالي في الظَّلام ، فإذا أنا بجاريةٍ كأنَّها علَم ، فأردتُها على نفسِها فقالت : ويحك ! أمالكَ زاجرٌ من عقلٍ إذْ لم يكنْ لك نَاهٍ مِنْ دِينٍ ؟ قلت لها : واللهِ مايرانَا شيءٌ إلا الكواكبَ . قالت : ويحك . وأين مُكوكبها ؟ !

قال الجاحظ : لما مات رَقَبَة بن مَصْقَلَة(١) أوصى إلى رجلٍ ودفع إليه شيئاً . فقال : ادفعْه إلى أختِي . فسأل الرّجلُ عنها فخرجت إليه فقال لها : أحضريني شاهدين يشهدانِ أنك أخته . فأرسلت جاريتَها إلى الإمام والمؤذّن ليشهدَا لها . واستَندتْ إلى الحائط . فقالت : الحمدُ للهِ الذي أبرزَ وَجهي ، وأنطقَ عني ، وشَهرَ بالفاقةِ اسمي . فقال الرّجل : شهدتُ أنكِ أخته حقاً . ودفعَ الدّنانير إليها ، ولم يَحتَجْ إلى شهادةِ مَنْ يَشهد لها .

خطب سعيدُ بن العاص عائشةَ بنتَ عثمان . فقالت : لا أتزوّجُ به واللهِ أبداً ، فقيلَ لها : ولم ذلك ؟ قالتْ :

---

(١) رقبة بن مصقلة العبدي الكوفي ، من سادات العرب ، كان ثقة مفوها ، توفي بعد سنه ١٤٠هـ .

لأنّه أحمق ، له بِرْذَونانِ أشْهبان ، فهو يتحمل مؤونة اثنينِ واللونُ واحد .

ذكر رجلٌ من قريش سوءَ خلُق امرأته بين يدي جاريةٍ له كانَ يتحَظّاها فقالت له : إنّما حُظوظُ الإماءِ لسوءِ خلائقِ الحَرائِر .

اختلف الحجاج وهِنْدُ بنتُ أسماءَ بنِ خارجةَ في بنات قَيْنٍ ، فبعث إلى مالك بن أسماء(١) فأخرجه من الحبس ، وسأله عن الحديث فحدثه ثمّ أقبل على هند . فقال لها : قومي إلى أخيك . فقالت : لاأقوم إليه وأنتَ ساخطٌ عليه . فأقبل الحجاجُ على مالكٍ فقال : إنك واللهِ — ماعلمتُ — للخائنُ لأمانته ، اللئيمُ حَسَبُه ، الزّاني فَرْجُه . فقالت هند : إنْ آذن الأميرُ تكلّمت فقال : تكلّمي . فقالت : أما قول الأميرِ : الزّاني فرجُه ، فواللهِ لهو أحقرُ عند اللهِ وأصغرُ في عين الأميرِ من أن يَجِبَ لله عليه حدٌّ فلا يقيمَه .

---

(١) مالك بن أسماء بن حارجه الفزاري شاعر من الأشراف ، توفي سنة نيف ومائة هجريه .

وأمّا قول الأمير : اللئيمُ حسبُه فوالله لو علمَ مكانَ رجلٍ أشرفَ منه لصاهرَ إليه .

وأمّا قولُه : الخائنُ أمانته . فوالله لقد ولاّه الأميرُ فوفّر ، فأخذَه بما أخذ به فباعَ ماوارةَ ظَهْرِه . ولو ملكَ الدّنيا بأسرها لافتدى بها من مثل هذا الكلام .

أتى البَرَدُ على زَرْعِ عَجوزٍ بالبادية ، فأخرجت رأسها من الخباءِ ونظرتْ إلى الزّرع قد احترق فقالت — ورفعت رأسها إلى السماء — : اصنعْ ماشئتَ فإنّ رزقي عليك .

قيل لرابعة(١) : إنّ التزوج فرضُ الله عز وجل فلم لاتتزوجين ؟ فقالت : فرضُ الله قطعني عن فرضه .

كانت عاتكةُ بنتُ زيد بن عمرو بن نفيل(٢) عند عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقُتل عنها ، فخلف عليها عمرُ بنِ الخطاب فقتل عنها ، فخلف عليها

---

(١) رابعة العدوية العابدة الزاهدة ولدت سنة ١٠٠هـ وتوفيت سنة ١٨٠هـ

(٢) عاتكه بنت زيد القرشية العدوية ، كانت من المهاجرات للمدينه ، كانت تحضر صلاة الجماعة في المسجد .

الزبيرُ ، فقُتل ، فخلف عليها محمدُ بن أبي بكر فقُتل(١) .
فقال عبد الله بن عمرَ : من سرّه الشهادة فليتزوج عاتكة .
فبلغها ذلك فقالت : من سرّه أن يكون بيضةَ البلد ، حُبلى
لاتطيرُ ولاتلد ، فليكن كعبد الله . فبلغ ذلك عبدَ الله بن
جعفر الطيّار(٢) فضحك وقال : ماهو كما قالت إنه
لمصباحُ بلد ، وابنُ كَهْفِ الإسلام .

وقد روي عن أميرِ المؤمنين كرّم الله وجهه أنه قال :
من اشتاق إلى الشّهادة فليتزوج عاتكة .

قال بعضهم : مررتُ على هند بنت المهلّب ، فرأيت
بيدها مغزلاً تغزل به ، فقلت لها : تغزلين ؟ قالت :
نعم سمعت أبي يذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « أعظمُكُنّ أجراً أطولُكُنّ طاقة ، وهو يطرد
الشيطان ويذهب بحديث النّفس » .

---

(١) هو : ابن أبي بكر الصديق ، ولي مصر من قبل علي ، أرسل إليه معاوية جيشا فهزم ، وقتل سنة ٣٨هـ .
(٢) أحد أجواد العرب ، ولد بالحبشة ، وهو آخر من رأى الرسول من بني هاشم . توفي سنه ٨٠هـ .

ورُوي عن عائشة أنها قالت : المِغزلُ في يد المرأة مثلُ الرُّمْحِ في يد الغازي .

قيل للخنساء : لم يكن صخرٌ كما وصفتِ . قالت : وكيف ذاك ؟ فوالله لقد كان نَدِيَّ الكَفّين ، يابسَ الجنبين ، يأكلُ ماوجده ، ولايسأل عما عهده .

قيل لحُبى(١) المدينية : ماالسقم الذي لايبرأ ، والجرح الذي لايندمل ؟ قالت : حاجةُ الكريم إلى اللئيم لايُجدي عليه . قيل : فما الشّرف ؟ قالت : اعتقادُ المِنَنِ في أعناق الكرام ، يبقى للأعقاب على الأحقاب .

ذَكَرَ نسوةٌ أزواجهنّ فقالت إحداهن : زوجي عَوني في الشدائد ، والعائدُ دونَ كلّ عائِد ، إنْ غضبتْ عطَفَ ، وإن مرضتُ لَطُفَ .

وقالت الأخرى : زوجي لما عَناني كافٍ ، ولما أسقَمني شافٍ ، عناقُه كالخلد ، ولايملُّ طولَ العهد .

---

(١) حبى المدينة امرأة كانت مزواجا على كبر سنها .

وقالت الأخرى زوجي الشعارُ(١) حين أُجردُ ، والأنسُ حين أفردُ ، والسَّكَنُ حين أَرْقُدُ .

قال بعضهم : رأيتُ بالمدينةِ امرأةً بين عينيها سَجَّادَةٌ ، وعليها ثيابٌ مُعَصْفَرَةٌ ، فقلت لها : ما أبعد زِيَّكِ من سَمْتِكِ ! فقالتْ :

وَلله مِنِّي جانبٌ لا أُضيعُهُ
وللّهو مِنِّي جانبٌ ونصيبُ

قال الزّبير بن بكار(٢) : قالت بنتُ أختي لزوجي : خالي خيرُ رجل لأهلِه ، لا يتّخذ ضَرَّةً ولا يشتري جارية . فقالت المرأة : واللّهِ لهذه الكُتُبُ أشدُّ عليَّ من ثلاثِ ضرائِر .

حجَّتْ فاطمةُ بنتُ الخَرْشَبِ الأنمارية أمُّ الكَمَلَةِ ؛ الربيعِ وعمارةَ وقيسٍ وأنَسٍ ، وكانت حجتها هذه في الجاهلية ، فقال لها رجل من أهل مكّة : من أشرفُ

---

(١) الشعار : الثوب الذي يلبس على الجسد ويلي الشعر فيه .

(٢) الزبير بن بكار الزبيري ، قاضي مكة ، إخباري مؤلف ، توفي سنة ٢٥٦هـ .

ولدك ؟ قالت : الربيعُ . لا بل عمارةُ . لا بل قيسٌ . لا بل أنسٌ . ثكلتهم إنْ كنتُ أدري أيُّهم أسْوَدُ .

وكان يقالُ للربيع الكامل ، ولأنسٍ الطويل ، ولقيس الوقّاعة ، ولعمارة دالِق وإنما قيل له ذلك أنه كان يَدْلُق الخَيْل في كل وجه .

خرجَ محمدُ بن واسع(١) في يوم عيد ومعه رابِعَةُ : فقال لها : كيف ترَين هذه الهيئة ؟ فقالت : ما أقولُ لكم ؟ خرجتُم لإحياء سُنَّةٍ وإماتة بِدْعَةٍ ، فأراكُمْ قد تباهيتُم بالنَّعْمةِ ، وأدخلتُم على الفقير مَضَرَّةً .

قالت امرأةٌ من بني تَغْلب للجَحَّاف بن حَكيم(٢) في وقعة البِشْر التي يقول فيها الأخطل :

لقد أوْقَعَ الجَحَّافُ بالبِشْرِ وقعةً
إلى اللّهِ فيها المشتكَى والمعوَّلُ

فَضَّ اللّهُ عمادَك ، وأكْبَى زِنادَك ، وأطالَ

---

(١) محمد بن واسع الأزدي من الورعين العباد . توفي سنة ١٢٣ هـ .

(٢) الجحاف بن حكيم بن عاصم السلمي ، عاش في أيام عبد الملك بن مروان ، وله حروب مع بني تغلب .

سُهادَك ، وأقلَّ زادَك ، فو اللّه إنْ قتَلتَ الإنساءَ أسافِلُهنّ دُمُيٌّ وأعاليهنّ ثُدِيٌّ — وكان قد قتلَ النّساء والذُرّية — فقال لمن حوله : لولا أنْ تلدَ مثلها لاستبقيتُها وأمر بقتلِها . فبلغ ذلك الحسنَ البصَري فقال : إنّما الحَجّافُ جَذْوةٌ من نارِ جَهنّم .

قال أبوعمرو بن العلاء(١) : خرجتُ ذات ليلة أطوف ، فإذا أنا بامرأة قد فضحَ وجهُها ضوءَ القمر متعلّقة وهي تقول : إلهي ، أما وجدتَ شيئاً تُعذّبُ به إلا النار . ثم ذهبتُ ، فنمتُ ثم عدتُ فوجدْتُها ودَيْدَنُها أن تقول ذلك . قلت : لو عذَّبَ بما سوى النار ، فكان ماذا ؟ قالت : يا عمّاه ؛ أمّا واللّهِ لو عذَّب بغيرِ النّارِ لقضينا أوْطاراً .

قال بعضهم : كنت عند فاطمة بنت المهلّب أعرض عليها طيباً فقمتُ وتركتُ المتاع بين يديها ، فلما جئتُ قالت : بِئْس ما صنعت ، لا تأمننّ امرأةٌ قطُّ على رجُل ولا على طيب .

* * *

(١) قيل : اسمه كنيته ، وقيل : اسمه زبان بن جبر ، عالم أهل البصرة ، ومن أوسعهم علما بكلام العرب ، توفي سنة ١٥٤هـ .

الباب الثالث

الحيل والخداع

قدَّم بعضهم رَجُلاً إلى القاضي وادَّعى عليه مالاً فقال : صَدَقُوا ، أسألُهم أن يؤخروني حتى أبيعَ مالي أو عقاري أو رقيقي أو أبلي . فقالوا : كَذَبَ أيها القاضي . ماله قليلٌ ولا كثيرٌ . ولكنّه يريدُ مُدافعتَنا فقال : أصلحكَ اللّه . فقد شهدُوا بالعُدْم . فخلّى سبيلَه .

قال بعضهم : خرجتُ ليلةً فإذا أنا بالطائف قد أقبل : فلما رأيتهُ من بعيد صحتُ : المستَغاثُ باللّه وبالطائف فقال لي الطائفُ : مالك ؟ قلت : قومٌ سكارى في بيتي قد عربدوا ، وسلّوا السكاكين ، وجئت في طَلبكَ لتخلّصَني منهم فقال : امشِ بين يديَّ . فمشيتُ ودخلت البيتَ ، وأغلقتُ الباب ، وصعدتُ السَّطح ، وتطلّعت عليه وقلت : انصرفْ مأجوراً فَقَد تصالحوا .

سُئل بعضهم عن رجل أرادوا أن يزوّجوه فقال : إنّ له شَرَفاً وبَيْتاً وقَدَماً(١) فنظروا فإذا هو ساقِطٌ سِفْلَةٌ . فقيل له في ذلك ، فقال : ما كذبت . شرفُه أذُناه ، وقَدَمُه التي يمشي عليها ، ولابدّ من أن يكونَ له بيتٌ يأوي إليه .

لما بايع الرشيدُ ولَدَه تخلّف رجلٌ مذكورٌ من الفُقَهاء ، فأحضره وقال له : لِمَ تَخَلّفْتَ عن البيعة ؟ قال : عاقني يا أميرَ المؤمنين عائقٌ . فأمر بقراءة كتاب البيعة عليه . فلما قُرِىء قال : يا أميرَ المؤمنين هذه البيعةُ في عنقي إلى قيامي السّاعَة . فلم يفهم الرّشيد ما أراد ، وقدّر أنّه يريدُ إلى قيام الساعةِ . وذهب ما كانَ في نفسِه عليه .

قيل لبعض الفقهاء : لم استجَزْتُمُ استعمال الحِيَل في الفقهِ ؟ فقال : اللّه تعالى علّمنا ذلك فإنّه قال : « وخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِهِ وَلا تَحْنَثْ(٢) » .

---

(١) القدم : السابقة

(٢) سوره ص : ٤٤ ، وفي التفاسير . أن سيدنا أيوب حلف ليضرب امرأته مئة سوط فقال له الله تعالى : خذ حزمة فيها مائة عود فاضربها بها ضربة واحدة . . والضغث : الشمراخ .

جحد رجلٌ مالَ رجلٍ فاحتكمَ إلى إياس بن معاوية(١) فقال للطَّالب : أين دفعتَ إليه هذا المال ؟ قال : عند شجرة في مكان كذا . قال : فانطلقْ إلى ذلك الموضع لعلَّك تتذكرُ كيفَ كان أمرُ هذا المال ، ولعلَّ اللّه يوضحُ لك سبباً . فمضى الرجلُ وخصمهُ فقال إياس بعد ساعة : أترى خَصْمَك بلغ موضعَ الشجرة . قال : لاَ بَعْدُ . قال : يا عدوَّ اللّه ، أنتَ خائن . قال : أقلْني أقالك اللّه . فاحتفظَ به حتى أقرّ وردّ المال .

قال معاويةُ لعمرو : أنتَ أدهى أم أنا ؟ قال عمرو : أنا للبديهة وأنتَ للأناة . قال : كلا . قال عمرو : أدْنِ منّي رأسَك أسارّكَ ، فأدنى رأسَه فقال عمرو : هذا من ذاك . هل ها هنا أحدٌ غيرك .

قال المغيرةُ بنُ شعبةَ : ما خدعني غيرُ غلامٍ من بني الحارثِ بنِ كَعب . فإنّي ذكرتُ امرأةً منهم فقال : أيها الأميرُ لا خَير لكَ فيها . قلت : ولم ؟ قال : رأيتُ

---

(١) إياس بن معاوية قاضي البصرة ، يضرب بذكائه المثل ، توفي سنة ١٢٢هـ .

رجلاً يقبّلها . فأضربتُ عنها فتزوّجها الفتى . فأرسلتُ إليه : ألم تعلمْني كذا وكذا من أمرها . قال : بلى رأيت أباها يقبّلها .

كان لعبد اللّه بن مُطيع غلامٌ مُوَلَّدٌ قد أدّبه وخرّجه وصيرّه قهرمانه ، وكان أتاهم قومٌ من العدوّ في ناحية البحر . فرآه يوماً يبكي فقال : مالك ؟ قال : تمنّيتُ أن أكون حراً ، فأخرجُ معَ المسلمين . قال : وتحب ذاك ؟ قال : نعم . قال : فأنت حرٌّ اوجه اللّه فاخرج . قال : فإنه قد بَدا لي ألاّ أخرج . قال : خدعتني واللّه .

كان عُمَرُ بنُ هُبيرة(١) أمياً لا يقرأ ولا يكتب . وكان إذا أتاه كتاب فتحه ونظرَ فيه كأنّه يقرؤه فإذا نهض من مَجْلِسه حُمِلَت الكتُب معه . فيدعو جاريةً كاتبةً ويدفع إليها الكتبَ فتقرؤها عليه ويأمُرها فتوقعُ بما يريد ، ويُخرج الكتاب ، فاستَرابَ به بعضُ كُتَّابه فكتب كتابا على لسان بعض العمال وطواهَ مُنكَّساً أعلاهُ

(١) أمير العراقين : عزله هشام سنة ٩٧هـ ، وتوفي حوالي سنة ١٠٣هـ.

إلى أُسفله ، فلمَّا أخذَهُ ونظرَ فيه ولم ينكرْهُ تحقَّق أنه أُمّيٌّ .

قال بعضُ القُضاة لرجل : كيف أقبلُ شهادتَك وقد سمعتك تقول لمغنّية : أحسنتِ ؟ قال : أليس إنما قالتْ ذلك بعد سكوتها . فأجاز شهادته .

أُتي معنُ بنُ زائدةَ (١) بثلاث مئة أسيرٍ من حَضْرَموت فأمرَ بضرب أعناقهم ، فقام منهم غلامٌ حين سالَ عِذاره فقال : أنشدك الله أن تقتلنا ونحن عِطاشٌ فقال : اسقوهم ماء فلمّا شربوا قال : اضربوا أعناقهم . فقال الغلام : أنشدك اللهَ أن تقتلَ ضيفانَك . قال : أحسنت . وأمر باطلاقهم .

كان بالأهوازِ رجل له زوجةٌ ، وكانت له أرضٌ بالبصرة ، فكان يُكثر الانحدارَ إليها فارتابَتْ زوجتُه وتَتبَّعتْ أثره ، فوقفت على أنّه قد تزوّج بالبَصرة فاحتالَتْ حتّى صار إليها خطُّ عمّ البَصريّة ، وبعثت

(١) أمير قائد شجاع ولي سجستان وقتلته الخوارج سنة ١٥١هـ .

بهِ إلى رجل يحكي كلّ خطّ رآه ، وأجازته ، حتّى كتب كتاباً عن لسان عمّ البصريّة إلى زوجها بذكر أنّ المرأةَ قد ماتتْ ، ويسأله التعجيلَ إليهِ لأخذ ما تركتْ وسمّى مالها وجاريتَها . ودَسّت الكتاب مع ملاّحٍ قادم من البصرة ، فلمّا وصل إليه الكتابُ قرأه فلم يشكّ فيه ، ودخل وقال لامرأته : اعملي لي سُفْرة . قالت : ولم ؟ قال : أريدُ البصرة . قالت : كم هذه البصرة ؟ ! قد رابني أمرك . لعلّ لك بها امرأة ، فأنكر ، فقالت : احلفْ . فحلف أن كلّ امرأة لهُ غيرَها طالقٌ ، سكوناً إلى أن تلكَ قد ماتتْ ، وما يضرُّه ذلك . فلمّا حلف قالت : دَعِ السُّفرة . قد أغناك الله عن البَصرة . قال : وما ذاك ؟ قالت : قد طلّقت الماسقة . وحدّثتْه بالقصّة فندم .

قال الأعمش (١) : أخبرني تميمُ بنُ سَلمة أن رجلاً شهد عند شُرَيْحٍ (٢) وعليه جُبَّةٌ ضيّقةُ الكُمّين .

---

(١) سليمان بن مهران الأعمش ، محدث الكوفة وعالمها ، كان له دعابة ، توفي سنة ١٤٨ھ .

(٢) ابن الحارث الكندي ، ولي القضاء لعمر وتوفى سنة ٧٨ھ .

فقال شريح . أتتوضّأ وعليك جبتّك هذه ؟ احسرْ عن ذراعك . فحسرَ ، فلم يبلغ كُمُّ جُبّته إلى نصفِ السّاعد . فردّ شهادته .

قدّمت امرأةٌ زوجَها إلى أبي عمرَ القاضي ، وادّعتْ عليه مالاً ، فاعترف به فقالت : أيّها القاضي خُذ بحقّي ولو بحبسه . فتلطّفَ لها لئلا تحبسه ، فأبتْ إلّا ذلك ، فأمر به ، فلما مشى خُطُوات صاح أبو عمر بالرّجل وقال له : ألستَ ممّنْ لا يصبرُ على النساء ؟ ففَطِنَ الرّجلُ فقال : بلى أصلح الله القاضي . فقال : خذْها معك إلى الحبْس . فلمّا عرفت الحقيقةَ ندمتْ على لَجاجِها وقالت : ما هذا أيّها القاضي ؟ قال : لَكِ عليه حقٌّ ، وله عليك حقٌّ . ومالَكِ عليه لا يُبطل مالَهُ عليك . فعادت إلى السّلامة والرِضا .

أخذ عبدُ الملك رجلاً كان يرَى رأيَ الخوارج فقال له : ألسْتَ القائلُ :

ومِنّا سُوَيدٌ والبطينُ وقَعْنَبُ
ومنّا أميرُ المؤمنينَ شَبيبُ

فقال : إنما قلت : ومنّا أميرَ المؤمنين وناديتُك ، فخلّى سبيله .

كان يختلف إلى أبي حنيفة رجلٌ يتجمّلُ بالستر الظاهر ، والسَّمْتِ البيِّن فقدم رجلٌ غريبٌ وأودعه مالاً خطيراً ، وخرج حاجّاً ، فلمّا عادَ طالبه بالوديعة فجحده . فألح الرّجلُ عليه فتمادى ، فكاد صاحبُ المال يهيمُ ، ثم استشار ثِقةً له فقال له : كُفَّ عنه ، وصِرْ إلى أبي حنيفة ، فداوؤك عنده . فانطلق إليه وخلا به وأعلمه شأنه ، وشرح له قصّته فقال له أبو حنيفة : لاتُعْلِمْ بهذا أحدا ، وامضِ راشدا ، وعُدْ إليّ غدا . فلمّا أمسى أبو حنيفة جلسَ كعادته للنّاس ، وجعلَ كلّما سُئل عن شيء تنفّس الصُّعداءَ . فقيل له في ذلك فقال : إنّ هؤلاءِ — يعني السّلطان — قد احتاجُوا إلى رجل يبعثونه قاضيا إلى مكان . وقالوا لي : اخترْ من أحببتَ . ثم أسبل كُمّه وخلا بصاحب الوديعة ، وقال له : أترغبُ حتى أُسمّيَكَ . فذهب يتمنّع تحلية . فقال له أبو حنيفة : اسكت فاني أبلغ

لك ما تحبّ . فانصرف الرّجل مسروراً يظنّ الظّنونَ بالجاه العريض ، والحال الحسنة .

وصار ربُّ المال إلى أبي حنيفة فقال : امض إلى صاحبكَ ولا تخبره بما بيننا ، ولوِّحْ بذكري وكفالكَ ، فمضى الرجلُ واقتضاه وقال له : ارددْ علي مالي وإلا شكوتك إلى أبي حنيفة . فلما سمعَ ذلك وفّاه المال . وصارَ الرّجُلُ إلى أبي حنيفة وأعلمهُ رجوع المال إليه فقال له : استرْهُ عليه .

ولما غدا الرجلُ إلى أبي حنيفة طامعاً في القضاء نظر إليه أبو حنيفة وقال له : نظرتُ في أمركَ فرفعتُ قدْرَكَ عن القضاء .

أتى وكيعُ بنُ أبي سودٍ (١) إياسَ بن معاوية وهو قاضٍ ليشهد عنده بشهادة ، فقال : مرحباً بك يا أبا مطرّف ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأشهد . قال : مالك وللشّهادة . إنّما يشهد الموالي والتجار والسُّقاط . قال :

---

(١) وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي ، ولي خراسان بعد قتيبة ابن مسلم حتى نزعها منه يزيد بن المهلب .

صدقت وانصرف. فقيل له : خدعك ولم يقبل شهادتك وردّك. فقال : لو علمتُ لعلوته بالقضيب.

كان أبو بُرْدة (١) ولي القضاء بعد الشعبي (٢) بالكوفه. فكان يحكم بأنّ رجلاً لو قال لمملوك لا يملكه : أنت حرّ. أنه يُعتق ويُؤْخَذُ المعتِقُ بثمنه.

قال : فعشق رجلٌ من بني عبس جاريةً لجارٍ له فجُنّ بها وجنّتْ به، وكان يشكو ذلك إليها. فلقيها يوماً فقال لها : إلى الله أشكو. قالت : بلى والله إنّ لك لحيلةً، ولكنك عاجزٌ. هذا أبو بُردة يقضي في العتق بما قد علمت. فقال لها : أشهدُ إنك لصادقةٌ.

ثمّ قدّمها إلى مجلس يتجمع فيه قومٌ يعدِلون فقال : هذه جاريةُ آل فلان أشهدكم أنها حرّة. فألقت ما خمّرتها على رأسها. وبلغ ذلك مواليها فجاؤوا فقدّمتهم الى أبي بردة وقدّموا الرّجل فأنفذ عتقَها، وألزمَ الرّجل ثمنَها. فلما أمر به إلى السجن خاف إذا ملكت أمرَها أن تصيرَ

---

(١) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قاضي الكوفة. توفي سنة ١٠٤ هـ

(٢) عامر بن سراحيل الشعبي، عالم زمانه، ولد لست سنين من خلافة عثمان وتوفي سنة ١٠٤هـ

إلى أوّل مَنْ يطلبها ، وأن تخيبَ فيما صنع في أمرها .
فقال : أصلح الله القاضي ، لابدّ من حبسي ؟ قال : نعم أو تُعْطِيَهُم ثمنَها . قال : فليس مثلي يُحبَس في شيء يسير . أشهدكم أنّي قد أعتقتُ كلّ مملوكٍ لأبي بُرْدَةَ ، وكل مملوكٍ لآل أبي موسى ، وكل مملوك للمذحِج . فخلّى سبيله ، ورجَع عن ذلك القضاء فلم يحكم به .

كتب معاوية إلى عمرِو بنِ العاصِ والمغيرةِ بنِ شُعْبَةَ أن يقدما عليه ، فقدم عمرو من مصرَ والمغيرة من الكوفة فقال عمرو للمغيرة : ماجمعنا إلا ليعزلَنا ، فإذا دخلت عليه فاشك الضّعفَ واستأذنْه أن تأتيَ الطائفَ أو المدينةَ ، فإنّي إذا دخلت عليه سألتُه ذلك فإنه يظنّ أنا نريد أن نُفسد عليه .

فدخل المغيرة فسأل أن يُعفيَه ويأذن له . ودخل عليه عمرو فسأله مثلَ ذلك . فقال له معاوية : قد تواطأتما على أمر ، وإنكما لتريدان شرّاً . ارجعا إلى عمليكما .
كان الإسكندرُ لايدخلُ مدينةً إلاّ هدَمها وقتلَ أهلها حتّى مرّ بمدينة كان فيها مؤدّبُه . فخرجَ إليه

وألطفه الإسكندرُ وأعظمه فقال له مؤدِّبه : إن أحقَّ من زيَّنَ رأيكَ وسدّده وأتى كلَّ ماهويتَ لأنا ، وإنّ أهلَ هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكاني منك فأنا أحبّ ألاّ تشفّعني فيهم . وأن تحلفَ لي يميناً أعتذرُ بها عند القوم فاحْلف لي عندهم أنك لاتُشَفِّعُني في شيء أسألك ، وأن تخالفني في كل ماسألتُك . فأعطاه من ذلك مالا يقدرُ على الرجوع عنه في دينه ، فلمّا توثّق منه قال : فإنّ حاجتي أن تدخلها وتخرِّبها وتقتلَ من فيها . قال : مالي ذلك سبيل ولابدّ من مخالفتك وقد كنتَ مؤدّبي وأنا إليك اليومَ أحْوَجُ . فلم يدخلها وضمّه إليه.

أصابت المسلمين جَولةٌ(١) بخُراسانَ ، فمرّ فيهم شُعْبةُ بن ظَهير على بغلة له فرآه بعض الرجالة فتقدّر(٢) له على جِذْمِ(٣) حائط ، فلمّا حاذَى به حال في عَجُزِ بغلته . فقال له : اتّقِ اللهَ فإنها لاتحملُني وإيّاك .

---

(١) الجولة . الفرار من العدو ثم العودة إلى قتاله .

(٢) تقدر . تهيأ

(٣) الجذم . الأصل .

قال : امضِ ، فإني والله ماأقدرُ أنْ أمشيَ . قال : إنَّك تقتلني وتقتلُ نفسك . قال : امضِ فهو ماأقولُ لك . قال : فصرَفَ شُعبة وجهَ البغلةِ قِبَلَ العدوّ . فقال له : أين تريد ؟ قال : أنا أعلمُ أني مقتول ، فلأن أُقتلُ مقبلا خيرٌ من أن أقتلَ مُدْبِرا . فنزل الرّجلُ عن بغلته وقال : اذهبْ في حُرَق الله .

اشترى شريكٌ بنُ عبد الله(١) جاريةً من رجل فأصابَ بها عيباً ، فقال للّذي اشتراها منه : قد ظهر بها عَيْبٌ . قال : ماعليك . هي رخيصة ، وإن أحببتَ بِعتُها لك بربح . قال : فافعلْ . فدفعَ الجاريةَ إليه وأقام أيّاماً ثم أتاهفقال له : لم أُصِبْ بها ثمناً أرضـاه . فقال له شريك : فخذها واردُد عليَّ الثمنَ . فقال له الرّجل : أبعدَ ماوكّلتني لأبيعَها ورضيتَ ، تردُّها عليَّ ؟ فقال : صدقتَ ، والله خدعتني .

رأى عمرُ بنُ الخطّابِ رضـيالله عنه ابنَه عبدَ الله جالساً مع رجلٍ فقال له : يابنيَّ ، احذرْ هذا ، لاتشترينَّ

---

(١) شريك بن عبد الله النخعي القاضي ، فقيه إمام توفي سنة ١٧٧هـ .

منه شيئاً ، فإنه يتبرأ إلى الرجلِ من العيب ، والرَّجلُ لا يفطن لذلك .

قال : فمرَّ عبدُ الله بنُ عمرَ بذلك الرّجلِ يوما ومعه غلامٌ وَضيءٌ ، فقال له : تبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بكذا . قال له : هل به عيبٌ . قال : ماعلمت أنّ به عيباً إلا أنّا ربما أرسلناه في الحاجةِ فيبطىءُ فلا يأتينا حتى نبعثَ في طلبه . فقال عبد الله : وماهذا ؟ فاشتراه منه .

فلما صار إليه أرسله في حاجة فهرب ، فطلبه أيّاماً حتّى وجده ، فأتى صاحبَه ليردَّه عليه بالإباق ، فقال له : ألم أخبرْك أنّا ربّما أرسلناهُ في الحاجةِ فلا يرجعُ حتّى نرسلَ في طلبه ؟ فعلم أنه قد خدعه .

قيل لأعرابي : أتشرب قدحاً من لَبَنٍ حازرٍ(١) ولا تتنحنح ؟ قال : نعم . فأخذه في حلقه مثلَ الزجاج ، فقال : كَبْشٌ أملحْ . فقيل له : إنك تَنحنَحْتَ . فقال : من تنحنحَ فلا أفلح . ومدَّ صوته فقضى وطره .

---

(١) الحازر . الحامض .

قال عبَيْد الله بن زياد بن ظبيان(١) : إياكم والطّمعَ فإنه يردي . والله لقد هممت أن أفتك بالحجّاج ، فإني لواقفٌ على بابه بدَيْرِ الجَماجِم(٢) ، إذا بالحجاج قد خرجَ على دابة ، ليس معه غيرُ غلام ، فأجمعتُ على قتله فكأنه عرَف مافي نفسي فقال : ألقيتَ ابنَ أبي مُسلم ؟ قلت : لا . قال فالقَه ، فإن عهدَك معه على الريّ . قال : فطمعتُ وكفَفْتُ فأتيتُ يزيدَ بنَ أبي مسلم فسألتُه فقال : ماأمرني بشيء .

وقال عمرو بن يزيد الأسَيِّدي : خِفنا أيّام الحجاج ، وجعلنا نودِّع متاعَنا ، وعلم جارٌ لنا ، فخشيتُ أن يُظْهِرَ أمرَنا ،فعَمَدْتُ إلى سَفَطٍ فجعلتُ فيه لبنا ودفعته إليه ، فمكثَ عنده حتى أمِنّا . فطلبت منه ، فقال لي : أمَا وجدت أحدا تودعه لبناً غيري .

توجَّه عمرو بن العاص حث فتح قيْسَاريَّة(٣) إلى

---

(١) أحد فتاك العرب ، ومن خطبائهم وهو الذي حمل رأس مصعب ابن الزبير إلى عبد الملك .

(٢) دير بظاهر الكوفة على بعد سبعة فراسخ منها .

(٣) هناك مدينتان بهذا الاسم في فلسطين والروم والمراد هنا التي من أعمال فلسطين .

مصر وبعث إلى علْجها(١) فأرسل إليه : أن أرسلْ إليّ رجلاً من أصحابك أكلّمْه . فنظروا فقال عمرو : ماأرى لهذا أحداً غيري . فخرج ودخل على العلْجِ ، فكلّمه فسمعَ كلاماً لم يسمعْ مثلَه قطُّ ، فقال : حدّثني . هل في أصحابك مثلك ؟ قال : لاتسل عن هواني عليهم ، إلاّ أنهم بعثوني إليك وعرّضوني لماعرّضوني لايدرُون ماتصنع بي .

فأمر له بجائزة وكسوة وبعثَ إلى البوّاب : إذا مرَّ بك فاضربْ عُنُقَهُ ، وخُذْ مامعَه .

فخرج من عنده ، فمرَّ برجلٍ من نصارى العرَبِ من غَسّانَ فعرَفه فقال : ياعمرو ، إنك قد أحسنتَ الدخولَ فأحسنِ الخروجَ . فرجعَ فقال له الملكُ : ماردّك؟ قال : نظرتُ فيما أعطيتَني فلم أجدْهُ يسعُ بني عمّي ، فأردتُ أن أجيئكَ بعشرة منهم تعطيهم هذه العطيّةَ ، وتكسوهم هذه الكُسْوَةَ ، فيكون معروفُك عند عشرةٍ خيراً من أن يكونَ عند واحدٍ . قال : صدقتَ . فاعجَلْ بهم . وبعث إلى البوّاب أن خلّ سبيلَه ، فخرجَ عمرو

---

(١) العلج : الرجل من كفار العجم .

وهو يلتفتُ حتى إذا أَمِنَ قال : لا أُعود لمثلها أبدا .
فما فارقها عمرو حتى صالحه ، فلما أُتِيَ بالعلجِ قال :
أنت هو ؟ قال عمرو : نعم على ما كان من غَدْرِكَ .

قُدِّم هُدْبة بنُ الخَشْرمِ(١) ليُقَادَ بابن عمّه
زِيادَةَ ، وأخذ ابنُ زيادَ السَّيفَ وقد ضُوعِفَتْ
له الديَةُ حتى بلغتْ مئة ألفِ دِرْهَمٍ فخافت أمُّ الغلامِ
أن يقبلَ ابنُها الديَةَ ولا يقتلَه فقالت : أُعطي اللّهَ
عهداً لئن لم تقتله لأتزوّجنّه فيكون قد قتلَ أباك ونكحَ
أمّكَ . فقتله .

وحدّث المدائنيّ أن قوماً من المسلمين أسروا قوماً من
الرّومِ وكان فيهم فتَيانِ إخوة فضربوا أعناقَهم ،
وأخذوا أمّهم وهم لا يعرفونها ، فأحبّت أن تُقتلَ
ولا تبقى بعدَ ولدِها ، فقالت للذي صارتْ إليه :
إنْ علّمتُكَ شيئاً تتّخذُهُ فلا يحيك فيكَ السِّلاحُ ،
تُخلّي سبيلي ؟ قال : نعم . فأخذت أشياءَ سترتْها عنه
فطلتْ بها رقَبتها وقالت : دونك اضربْ وشُدَّ ،

(١) هدبة بن الخشرم بن كرز شاعر فصيح من بادية الحجاز ، كان راويه للحطيئة .

فإن السَّيفَ لا يعملُ فيَّ . فضرب رقبتها فحزَّ رأسها فعلم أنها خدعته .

لما بلغ يزيدُ ومروانُ ابنا عبدِ الملك لعاتكةَ بنتِ يزيدَ بنِ معاويةَ(١) قال لها عبد الملك : قد صار ابناك رجلين ، فلو جعلتِ لهما من مالك ما يكونُ لهما به فضيلةٌ على إخوتهما . قالت : اجْمَعْ لي أهلَ مَعْدَلةٍ من مواليَّ ومواليك . فجمعهم وبعث معهم روحَ بنِ زِنْباع الجُذاميّ – وكان يدخل على نسائهم – فدخل كهولتُهم وجلَّتهم وقال له : أخبرها برضائي عنها ، وحَسِّنْ لها ما صنعتْ . فلمَّا دخلوا عليها أخذَ روحٌ في ذلك فقالت : يا روحُ ، أتراني أخشى على ابنيَّ عَيْلة وهما ابنا أمير المؤمنين ، أشهدكم أني قد تصدّقت بمالي وضياعي على فقراءِ آل أبي سفيان . فقام رَوْح ومن معه . فلمَّا نظر إليه عبدُ الملك مقبلاً قال : أشهدُ باللّه لقد أقبلتَ بغير الوجهِ الذي أدبرتَ به . قال : أجلْ . تركتُ معاويةَ في الإيوان آنفاً . وخبّره بما كان . فغضب .

---

(١) عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، أم يزيد بن عبد الملك توفيت حوالي سنة ١٢٠هـ .

فقال : مَه يا أمير المؤمنين ، هذا العقلُ منها في ابنيكَ خير لهما ممّا أردْتَ .

قال المدائني : أتيَ عليٌّ عليه السلام برجل ذي مروءة قد وجبَ عليه حدٌّ . فقال لخصمائه : ألكم شُهود؟ قالوا : نعم . قال : فأتوني بهم إذا أمسيتمْ ولا تأتوني بهم إلاّ مُعْتَمّين . فلما أمسوا اجتمعوا فأتوه ، فقال لهم علي عليه السلام : نشدتُ اللّه رجلاً للّه عندَه مثلُ هذا الحدّ إلاّ انصرفَ قال : فما بقي أحدٌ فدرأ الحدّ .

عرض شُرَيْحٌ ناقةً للبيع ، فقال له المشتري : كيف غزارتُها ؟ قال : احلبْ في أيِّ إناء شئتَ .قال : فكيف وثاقتُها : قال : احملْ على الحائط ما شئتَ . قال : فكيف وطاؤها ؟ قال : افرشْ ونمْ . قال : كيف نَجاؤها (١) قال : هل رأيتَ البرقَ قَطُّ ؟

قال بعضهم : ركضَ رجلٌ دابّةً وهو يقول : الطّريقَ ، الطّريقَ . فصدمَ رجلاً لم يُنَحِّ ، فاستعدى عليه فتَخَارسَ الرجلُ فقال العاملُ : هذا أخرسُ .

---

(١) النجاء : السرعة والسبق .

قال : أصلحك الله . يتخارسُ عمداً ، والله مازال يقول : الطّريقَ . الطَّريقَ . فقال الرجلُ : فما تريدُ وقد قلت لك الطَّريقَ ؟ قال العامل : صدقَ .

قال : كانت ابنةُ عبدِ الله بنِ معروفٍ عند أبي حَرْثان فماتَ ، ولم يصل إليها لقُوّتها . فتزوجها أبو دُلَفٍ(١) . فكانت تمانعه سنة لا يصلُ إليها . فقال له مَعْقِلٌ أخوه : ما أنت برجل . وقد عجزت عن امرأة . فقال : أحبُّ أن تبعثَ جاريتك فلانَة تكلّمُها . فبعث بها وأمر أبو دُلَفٍ امرأته أن تلويَ العمودَ في عنقِ الجارية إذا أتتْها وتتركَهُ . ففعلت فرجعت إلى مَعقل فقال : أشهدُ أنّ أخي معذورٌ . فما قدر عليها أبو دلفٍ حتّى احتالَ عليها . بأن قال لها يوما : ما أظنّك ببكرٍ . فأمكنتْ من نفسها .

كان بالكوفة لعبد الملك بن رامين مولى بشر بن مروان(٢) جارية يقال لها : سَلاّمةُ الزّرقاء . وكان

(١) أبو دلف بن عيسى العجلى ، أمير شاعر ممدح ، توفي سنة ٢٢٥ هـ .
(٢) بشر بن مروان أخو عبد الملك ، ولي العراقين بعد مصعب .

روحُ بنِ حاتمٍ المهلَّبيُّ(١) يهواها ولا تهواه ، ويُكثر غِشْيانَ منزل مولاها . وكان محمدٌ بن جَميل(٢) يهواها وتهواه . فقال لها : إن روْح بن حاتم قد ثَقُل علينا . قالت : فما أصنعُ ؟ قد غَمَرَ مولايَ ببرّه . قال : احتالي .

فبات عندهم روحٌ ليلة من اللّيالي فأخذت سَراويلَه فغسلته . فلمَّا أصبحَ سأل عن سراويله . فقالت : غسلناه . فظنَّ أنه قد أَحْدَثَ فيه فاحتيجَ إلى غسله ، واستحيا من ذلك . وانقطع عنها . وخلا وجهُها لابن جميل .

لما استُخلف سليمانُ بن عبد الملك دفع عُمّال أخيه الوليدِ إلى يزيدَ بن المهلّب وأمره ببسْط العذاب عليهمْ ، واستخراج المال منهم . وكان فيهم رجلٌ من بني مرّة ، فقال ليزيد : أمّا أنا فلست بذي مال ، ولا تنتفعُ بتعذيبي ولكن عشيرتي تَفُكُّني بأموالهم ، فأذن لي في أن أجولَ فيهم . فأذن له فقال لهم : إنَّ أمير المؤمنين قد أخذني

---

(١) روح بن حاتم بن قبيصة المهلبي ، تولى على السند للخلفاء العباسيين ، وعزله الرشيد توفي سنة ١٧٠هـ .

(٢) محمد بن جميل كان أحد المقربين للمنصور .

بمال . والمالُ عندي . ولكن أكره أن أقِرَّ بالخيانة . فاضمنوا له هذا المالَ عنّي وأطلقوني من حبسه . ولا غُرمَ عليكم فإنيّ مضطلع بأداء هذا المال .

فنهض وجوهُ عشيرته في أمره ، وضمنوا المال عنه وأطلقوه . فلمّا أُخذوا بالمال قالوا للرّجل : أدِّ المال كما زعمت . فقال : يا نوكى(١) . أتظنّون أنّي اختنْتُ مالاً تعرّضتُ فيه للمأثم ، وسُخْطِ الخليفة وعقوبته ، وأؤديه اليومَ طائعاً ، وقد صيرتُ ما أطالَبُ به في أعناقكم. ابئسَ ما ظننتم ، إغرَمُوه من أعطياتكم وأنا فيه كأحدكم ففعلوا ذلك وهو كأحدهم .

هَمَّ الأزارقة(٢) بقتل رجل فنزَعَ ثوبَه واتّزَرَ ولبّى وأظهرَ الإحرامَ فخلّوا سبيلَه لقول اللّه جلّ وعزّ «لاَ تُحِلّوا شَعَائِرَ اللّه» (٣) .

غضب المأمونُ على رجل وقال : لأقتلنّك ولآخذنّ

(١) النوكى : الحمق .
(٢) الأزارقة : فرقة من الخوارج .
(٣) سورة المائدة : ٢ .

مالك . اقتلوه . فقال أحمدُ بنُ أبي دؤاد(١) : إذا قتلتَه فمن أين تأخذ المال ؟ قال : من ورثته . فقال : إذاً تأخذ مال الورثة . المالُ للورثة . وأمير المؤمنين يأبىَ ذلك . فقال : يؤخَّرُ حتى يُستَصفى ماله . فانقرض المجلسُ وسكنَ غضبُه وتوصَّلَ إلى خلاصه .

جاءت امرأةٌ إلى أبي حنيفة فقالت : إنّ زوجي حلف بطلاقِي أن أطبخَ قِدرا أطرحُ فيها مكّوكا(٢) من الملح فلا يتبين طعم الملح فيما يؤكل منها . فقال لها : خذي قِدْراً واجعلي فيها الماء واطرحي فيها مكوك ملح ، واطرحي فيها بيضاً واسلقيه ، فإنّه لا يُوجد طعم الملح في البيض .

افتعلَ رجلٌ كتاباً عن المأمونَ إلى محمد بن الجَهْم في دفع مال إليه ، فارتابَ به محمد ، وأدخله على المأمون . فقال المأمونُ : ما أذْكُرُ هذا . فقال الرجلُ : أكلَّ

---

(١) أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة للمعتصم ، كان مذهبه الاعتزال ، وكان جواداً فصيحاً ممدحاً توفي سنة ٢٤٠ هـ .

(٢) المكوك . مكيال يسع صاعاً ونصفاً .

معْروفَكَ تذكر يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : فلعلّ هذا ممّا نسيتَ وقد فعلتَ . قال : ادفع إليه يا محمد ما في الكتاب .

كان حُوثَة الضّمريّ صديقاً لعبد الملك وخرج مع ابن الزبير فلمّا قُتل ابنُ الزبير استاء من النّاس وأحضرَ حوثةُ فقال له عبد الملك : كنتَ منّي بحيث علمتَ فأعنتَ ابنَ الزّبير . قال : يا أمير المؤمنين ، هل رأيتني قطّ في حرب أو سباقٍ أو نضالٍ إلاّ والفئةُ مغلوبة بخرقي ، وإنّما خرجت مع ابن الزبير لتغلبه بي على رسمي . فضحك عبد الملك وقال : قد والله كذبت ولكنّي قد عفوت عنك .

قالت خيرة بنت ضَمْرة القُشيرية امرأة المهلّب للمهلّب : إذا انصرفت من الجمعة فأحبّ أن تمرّ بأهلي . فقال لها : إن أخاك أحمق . قالت : فأحب أن تمرّ بنا . فجاء وأخوها جالس فلم يوسّعْ له فجلس المهلّبُ ناحيةً ثم أقبلَ عليه فقال : ما فعل ابنُ عمّك فلانٌ ؟ قال : حاضرٌ : قال : أرسلْ إليه . ففعل فلمّا نظر إلى المهلّبِ غيرَ مرفوعِ المجلسِ قال : يابنَ اللّخناء ، المهلّب

جالسٌ ناحية ، وأنتَ في صدرِ المجلس وواثبه . فتركهُ المهلّب وانصرفَ فقالت له خيرةُ : أمررت بأهلي ؟ قال : نعم وتركتُ أخاكِ الأحمقَ يُضرَبُ .

قالوا : إنّ الحجّاج بن يوسف قال ذات يوم لمحمّد ابن عُمير بن عطارد (١) : اطلُب لي امرأة حسيبةً أتزوّجها : قال : طلبتُها إن زُوِّجتهَا . قال : ومن هذا هذا الّذي يمتنع من تزويجي ؟ قال : أسماءُ بن خارجة (٢) . يدّعي أنّه لا كُفءَ لبناته إلاّ الخليفةُ .

قال : فأضمرها الحجّاج إلى أن دخلَ إليه أسماءُ فقال : ما هذا الفخرُ والتّطاولُ ؟ قال : أيّها الأمير ؛ إنّ تحتَ هذا سبباً . قال : بلغني أنّك تزعُمُ أن لا كفء لبناتِك إلا الخليفةُ . فقال : والله ما الخليفةُ بأحبِّ أكفائِهن إليّ ، ولَنُظرائي من العشيرةِ أحبّ إليّ منه ، من خالطني منهمْ حفِظنِي في حرمتي ، وإن لم يحفظْني

(١) محمد بن عمير بن عطارد ، كان سيد أهل الكوفة .

(٢) أسماء بن خارجة بن حذيفة ، من أشراف العرب ، توفي سنة ٦٦ هـ .

قدرت على أن أنتصف منه والخليفة لا تَنتصف إلاّ بمشيئته . وحُرمته متضيمة مطّرحة يقدم عليها من ليس مثلها . ولسانُ ناصرها أقطع . قال : فما تقول في الأمير ؟ . فإنّ الأمير خاطبٌ هنداً . قال : قد زوّجته إيّاها بصداق نسائها . وحوّلتها إليه .

فلما أتى على الحديث حولان دخل إلى الحجّاج فقال : هل أتى الأميرَ ولدٌ ، نُسَرُّ ونَحْمَدُ الله على هبته . قال : أما من هند فلا . قال : ولد الأمير من هند وغير هند عندي بمنزلة . فقال : والله إني لأحبُّ ذلك من هند . قال : فما يمنع الأمير من الضَّرْ (١) ، فإن الأرحامَ تتغاير . قال : أو تقول هذا القول وعندي هندٌ قال : أحبّ أن يَفْشُوَ نَسْلُ الأمير . قال : فمِمَّنْ ؟ قال على الأمير بهذا الحيّ من تميم ، فنساؤهم مناجيب . قال : فأيّهنّ ؟ قال : ابنةُ محمد بن عمير . قال : إنه يزعمُ أن لا فارغةَ له . قال : فما فعلتْ فلانة ابنته ؟

فلما دخل إليه محمدُ بن عمير قال : ألا تزوّج الأمير ؟ قال : لا فارغةَ لي : قال : فأين فلانةُ ؟ قال : زوّجتُها

---

(١) الضر : اتخاذ الضرة .

من ابنِ أخي البارحة . قال : أحضر ابنَ أخيك ؛ فإن أقرّ بها ضربتُ عنقَه . فجيء بابن أخيه ، وقد أُبلغ ما قال الحجاجُ . فلما مَثُل بين يديه قال : باركَ الله لك يا فتى . قال : في ماذا ؟ قال : في مصاهرتك لعمِّك البارحة . قال : ما صاهرته البارحة ولا قبلَها . قال : فانصرف راشداً . ولم ينصرفْ محمدٌ حتّى زوّجه ابنته .

وحضر بعد ذلك يوماً من الأيّام جماعةٌ من الأشرافِ بابَ الحجاجِ فحجب الجميعَ غير أسماءَ ومحمدٍ . فلما دخلا قال : مرحباً بصهري الامير سلاني ما تريدان أسعِفكما فلم يُبقيا عانياً إلاّ أطلقاه . ولا مُجَمَّراً (١) إلا أقفَلاه (٢)

فلما خرجا أتبَعهُما الحجّاجُ بمن يحفظُ كلامهما . فلما فارقا الدار ضرب أسماءُ يدَه على كتفِ محمدٍ وأنشأ يقول :

---

(١) تجمير الجند : إبقاؤهم في الثغور . والعاني : الأسير .
(٢) أقفلاه : أرجعاه .

جزيتُك ما أسديتَه يابنَ حاجب
وفاءً كعرْفِ الديكِ أوقُنْذُةِ (١) النّسر

في أبيات كثيرة . فعاد الرجل فأخبر الحجاج فقال : لله درّ ابنِ خارجة ! إذا وُزن بالرّجال رَجَحَ .

أُتي زيادٌ برجل فأمر بضرب عُنقه . فقال : أيّها الأميرُ ؛ إن لي بك حرمةً قال : وما هي ؟ قال : كان أبي جارَك بالبصرة . فقال : ومَن أبوك ؟ قال : قد والله نسيتُ اسمَ نفسي ، فكيف اسمَ أبي ؟ قال : فردَّ زيادٌ كُمَّه إلى فمه وضحك وخلّى سبيلَه .

مرّ زيادٌ بأبي العُريان (٢) فقال : مَن هذا ؟ فقالوا زياد بن أبي سفيان . فقال : رُبَّ أمر قد نقضه الله ، وعبدٍ قد ردّه الله . فسمعها زيادٌ فكره الإقدامَ عليه وكتب بها إلى معاويةَ ، فأمره بأن يبعث إليه بألفِ دينار ، ويمرّ به ويسمع ما يقول . ففعل زياد ذلك ، ومرَّ به فقال من هذا ؟ قالوا : زياد . فقال رحم الله أبا سفيان ، لكأنّها تسليمتُه ونَغمته . فكتب بها زياد إلى معاوية فكتب إلى أبي العريان :

---

(١) قذة النسر : مقطع ريشه .
(٢) أبو العريان . شاعر .

مـالَبـِّشـتـاكَ دنانيرٌ رُشـيـتَ بها
أن لَوْنـتـلـك ـــ أبا العُريانِ ـــ ألـْوانا

فدعا أبو العريان ابنَه وأمْلَى عليه إلى معاوية :

مَن يُسدِ خيراً يجدْهُ حيثُ يطلُبُه
أو يُسدِ شرّاً يجدْه حيثما كانـــا

تقدَّم رجلٌ إلى سَوَّارٍ ، وكان سوَّارٌ له مبغضا فألحَّ عليه فقال له سوَّار في بعض مخاطبته : يابن اللّخناء (١). فقال : ذاك خَصْمي . فقال الخصم : أعْدنِي عليه . فقال له الرّجل : خذْ له بحقّه وخذ لي بحقّي . ففهم . وسأله أن يغفرَ له .

قالوا : لما حُبس الحلاَّجُ (٢) عندَ القشْوريّ ، مَرِضَ ابنٌ له ، واشتهى التفاحَ الشَّاميّ ، وكان لا يصابُ لفوتِ أوانِه ، فتلطَّف الحلاج واحتال حتى سأله القشْوريّ تفّاحة شاميّةً ، قصد بها ليعرف أمر الحلاج في صدقِه وكذبه ، وأراد أيضاً بلوغ مراده في

---

(١) اللخناء : المنتنة الرائحة .

(٢) المنصور بن الحسين الحلاج ، كان يقول بتناسخ الأرواح والحلول ، وقيل أنه ادعى الألوهية ، وافتتن به كثير من الناس ، صلب ثم قتل سنة ٣٠٩هـ . وأحرقت جثته .

ولده . وكان الحلاجُ قد أعدَّ تفاحةً لذلك فحينَ سأله أومأ بيده هكذا وأعادها بتفاحةٍ . وتناولها القشوري يقلّبها ويتعجبُ منها والحلاج يقولُ : السّاعةَ قطعتُها من شجرِ الجنّةِ . قال القشوريُّ : إني أرى في موضع منها عَيباً . قال الحلاّج غيرَ مُطرِقٍ ولا مُكترِثٍ : أما علمتَ أنها إذا خرجتْ من دارِ البقاءِ إلى دار الفناءِ ، لحقها جزءٌ من البلاء . فكان جوابُه أحسنَ من فعله وحيلته .

أُتي مصعبُ بنِ الزُّبير برجلٍ من أصحاب المختار (١) . فأمرَ بضرب عنقه . فقال : أيُّها الأميرُ ، ما أقبحَ بكَ أن أقومَ يومَ القيامة إلى صورتك هذه الحسنةِ ، ووجهك هذا الذي يُستَضاءُ به . فأتعلّقَ بأطرافك وأقول : يا ربِّ . سلْ مُصعباً لماذا قتلني ؟ فقال : أطلقُوه فقال : أيها الأميرُ ، اجعل ما وهبتَ لي من حياتي في خفضِ عيشٍ . قال : أعطوه مئة ألف درهم .

* * *

---

(١) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي ، من زعماء الثائرين على بني أمية قتله مصعب وهو أمير البصرة عام ٦٧ هـ .

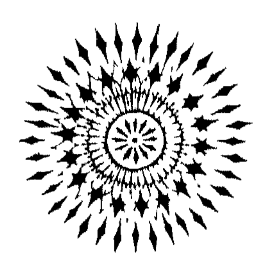
فهارس السفر الثاني من نثـر الدر

الموضـــوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

٥٠٠٠ ط ١٩٩٧/٥/١



طبع في مطابع وزارة الثقافة

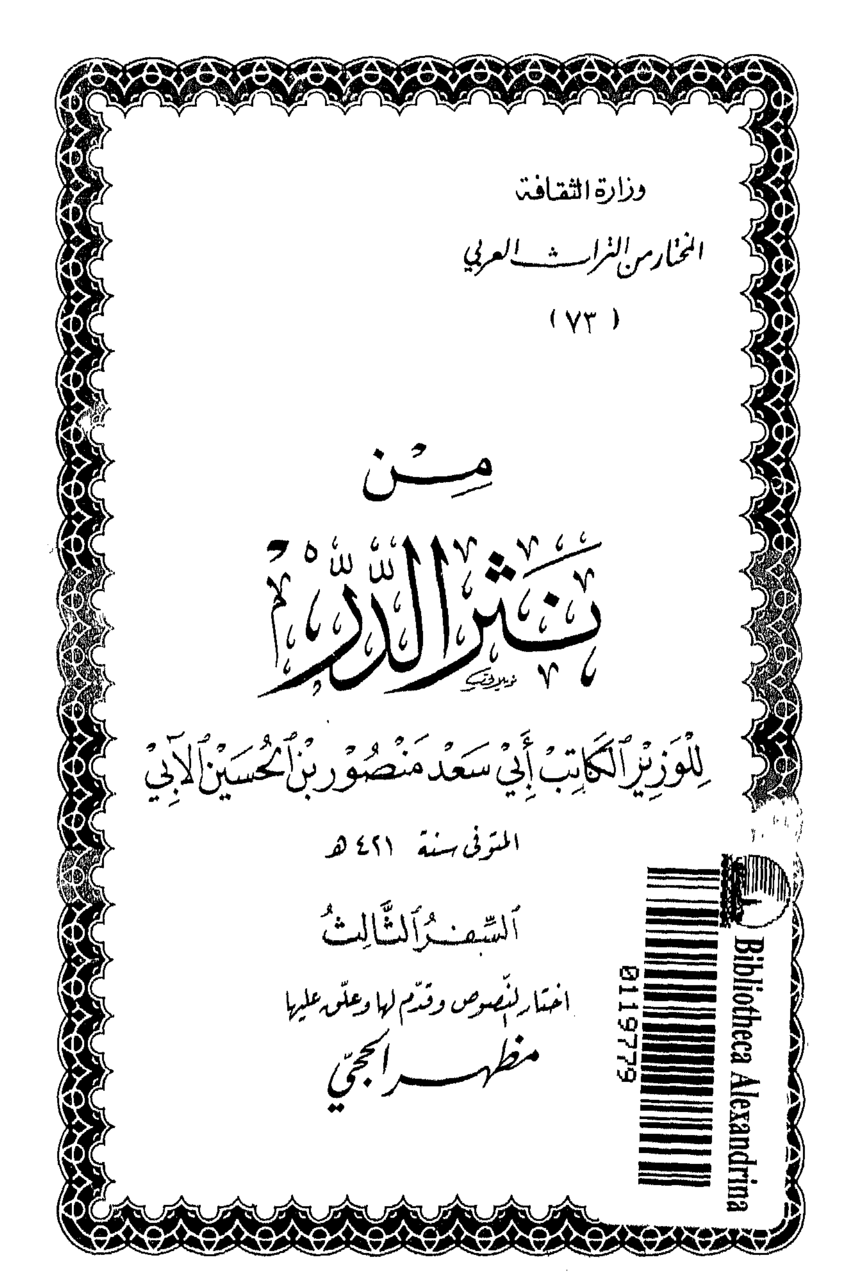
دمشق ١٩٩٧

سعر النسخة داخل القطر

١٧٥ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل

٣٥٠ ل.س



وزارة الثقافة

المختار من التراث العربي

(٧٣)

من نثر الدر

للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الثالث

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الحجي

الإشراف الفني : زهـــير أبو شـــايب

وزارة الثقافة
المختار من التراث العربي
٧٣

من نثر الدر

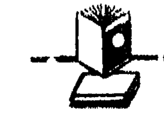
للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الثالث

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الحجي



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٧

من نثر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها مظهر الحجي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج؛ ٢٠ سم. - (المختار من التراث العربي؛ ٧١ - ٧٤).

١- ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢- العنوان ٣- أبو سعد الآبي
٤- الحجي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الرابع

(*) من الجزء الرابع من « نثر الدر » وقد تقدمت الأبواب الثلاثة في السمر الثاني من هذه الاختيارات .

نُكَتٌ من كلامِ الحُكَماء

قيلَ لبعضهم : أخرجْ هذا الغمَّ من قلبكَ . فقال : ليس بإذني دَخَلَ

قال رجلٌ لشَبيب بنِ شَيْبَةَ (١) : أنا والله أحبُّك يا أبا مَعْبَد . قال : أشهدُ على صدقِكَ . قال : وكيفَ ذاك ؟ قالَ : لأنّكَ لستَ بجارٍ قريبٍ ، ولا ابنِ عمٍّ نسيبٍ ، ولا مُشاكِلٍ في صِناعة .

وقالوا : صاحبُ السّوء قطعةٌ من النّار . ولذلك لمّا قال القائلُ : ما رأينا في كلِّ خيرٍ وشرٍّ خيراً من صاحبٍ . قال الآخر : ولا رأينا في كلّ خيرٍ وشرٍّ شرّا من صاحب .

(١) شبيب بن شيبة المنقري البصري ، فصيح بليغ إخباري توفي سنة ١٦٢هـ .

قال بعضهم : العالمُ يعرفُ الجاهلَ لأنه كان جاهلاً ، والجاهلُ لا يعرفُ العالِمَ لأنَّه لم يكنْ عالماً .

سُئل بعضُهم عن الغِنَى فقال : شرٌّ محبُوبٌ . وعن الفقرِ فقال : مُلكٌ ليس فيه مُحاسبةٌ .

الفُرصةُ ما إذا حاولتَه فأخطأك نفعُه لم يصلْ إليك ضُرُّهُ .

بلوغُ أعلى المنازل بغيرِ استحقاقٍ مِنْ أكبرِ أسبابِ الهلَكة .

كل شيء يعزّ إذا قلّ ، والعقلُ كلَّما كان أكثرَ كان أعزَّ وأغلى .

قال عامرُ بنُ عبدِ القيْس (١) : الكلمةُ إذا خرجتْ من القلبِ وقعتْ في القلب ، وإذا خرجتْ من اللِّسانِ لم تجاوزِ الآذانَ .

قالوا : مَقْتَلُ الرَّجلِ بين لِحْيَيه .

---

(١) عامر بن عبد قيس العنبري ، تابعي ، هو الذي علم أهل البصرة القرآن وتوفي حوالي سنة ٥٥ هـ .

التثبّتُ نصفُ العفو .

قال أكثمُ : الكرمُ حُسنُ الفِطْنة . واللّؤمُ سوءُ التّغافُلِ .

قيل : أسوأ الناسِ حالا من اتّسعت معرفتُه ، وبعُدَت همّتُهُ ، وضاقتْ مَقْدرته .

كان عبدُ الملكِ بنُ الحجاجِ يقول : لأنا للعاقلِ المدبِرِ أَرْجى منّي للأَحمقِ المُقْبِلِ .

وقالوا : أمرانِ لا ينفكّانِ من الكذبِ : كَثْرَةُ المواعيدِ وشدّةُ الاعتذارِ .

قال خالدُ بنُ صفوانَ (١) : السَّفرُ ثلاثُ عتبات ؛ فأوَّلُها : العزمُ ، والثّانيةُ : العُدّةُ ، والثالثةُ : الرَّحيلُ ، وأشدُّ هنّ العزمُ .

قال أكثمُ بنُ صَيْفيّ : العافيةُ الملكُ الخفيّ .

وقال الفضلُ بنُ سهلٍ : ليستِ الفرصةُ إلاّ ما إذا أخطأكَ نفعُه لم ينلكَ ضررُه .

---

(١) خالد بن صفوان أحد فصحاء العرب ، توفي بعد سنة ١٢٠هـ .

قالوا : سوءُ حمل الغنى يورثُ مقتاً ، وسوءُ حمل الفاقةِ يضعُ شرفاً

وقال أكثمُ : مَن جزعَ على ما خرج من يده فليجزعْ على مالم يصلْ إليه

قال بعضُهم : ظفرُ الكريمِ عفوٌ ، وعفوُ اللئيمِ عقوبةٌ .

كان يقال : لا ينبغي لأحدٍ أن يدعَ الحزمَ لظفرٍ نالَه عاجزٌ ، ولا يرغبَ في التضييع لنكبة دخلتْ على حازمٍ .
وكان يقال : ليس من حُسنِ التوكّلِ أن تُقالَ عثْرةٌ ثمّ يركبَها ثانية .

قيل : لولا الإغضاءُ والنسيانُ ، ما تعاشرَ النّاسُ لكثرة الأضغان .

قالوا : ثلاثٌ يرغمن العدوَّ : كثرةُ العبيدِ ، وأدبُ الولَدِ ، ومحبّةُ الجيرانِ .

يُقال : سوءُ القالةِ في الإنسانِ إذا كان كذبا نظيرُ الموت ؛ لفساد دنياه ، وإذا كان صِدْقا أشدُّ من الموت لفساد آخرته .

قالوا : يُرضِي الكرامَ الكلامُ ، ويُصادُ اللّئامُ بالمال ، ويُسبَى النبيلُ بالإعظام ، ويُستصاحُ السَّفَلَةُ بالهوانِ .

قالوا : أمران أنسٌ بالنّهار وحشةٌ بالليل : المالُ والبستانُ .

قالوا : لا يزالُ المرءُ مستمراً مالم يعثر ، فإذا عَثَر مرّةً في الخبار (١) لجّ به العِثار ولو كان في جَدَد (٢) .

قال بعضهم : ما شيّبتني السّنون ، لكنْ شُكري مَن أحتاجُ أنْ أشكره .

قالوا : المتواضعُ كالوَهْدَةِ يجتمعُ فيها قَطْرُها وقَطْرُ غيرها ، والمتكبِّرُ كالرَّبوةِ لا يقرُّ عليها قطرُها ولا قطر غيرها .

يُقال : إنّه لا يصبرُ ويصدُق في اللِّقاء إلاّ ثلاثةٌ : مستبصرٌ في دينٍ ، أو غَيْرانُ على حُرْمَةٍ ، أو ممتعضٌ من ذُلٍّ .

---

(١) الخبار : الأرض الناعمة .

(٢) الجدد : الأرضه المستوية .

قال بعضهم : في مجاوزتاكَ مَنْ يكفياك فقرٌ لا مُنْتَهَى له حتى تنتهي عنه .

وكان يُقال : العفافُ زينةُ الفقرِ ، والشُكْرُ زينةُ الغنى .

اعتذارٌ مِنْ مَنْعٍ خيرٌ من وَعْدٍ ممطولٍ .

خيرُ المُزاحِ لا يُنالُ ، وشرُّه لا يُقالُ . وإنما سُمّي مُزاحا لأنَّه أُزيحَ عن الحقّ .

اليأسُ من أعوانِ الصَّبر .

قيل لبعضِ الحكماءِ : أيُّ الأمورِ أعجلُ عقوبةً وأسرعُ لصاحبها صرعةً ؟ قال : ظالمٌ من لا ناصرَ له إلاّ اللهُ عزّ وجلّ ، ومجاورةُ النّعم بالتقصيرِ واستطالةُ الغنيّ على الفقيرِ .

يقال : من سَعادة المرءِ أن يضعَ معروفَه عند مَن يشكره .

قالوا : شيئان لا يُعرفُ ظغنُهما إلاّ بعدَ فقدهما : العافيةُ والشبابُ .

نظر شابٌّ إلى شيخٍ يقاربُ خُطاه فقال له : مَنْ قَيَّدَكَ ؟ قال : الذي تركتُه يفتلُ قَيْدَكَ .

قيل لشيخٍ قد ذهبَ منه المأكلُ والمشرب والنّكاحُ : هل تشتهي أن تموتَ ؟ قال : لا . قيل: ولِمَ ذاك ؟ قال : أحبُّ أن أعيشَ وأسمعَ الأعاجيبَ .

قيل لبعضهم : ما بالُ الشّيخ أحرصُ على الدّنيا من الشّاب ؟ قال : لأنه قد ذاقَ من طعمِ الدنيا مالم يذقْه الشابُ .

قالوا : الدَّيْنُ عُقْلةُ الشَّريفِ ، ما استرقَّ الكريمَ أفظُّ من الدَّيْن .

اختصمَ رجلان إلى سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ (١) في النُّطقِ والصمتِ : أيُّهما أفضلُ ؟ فقال : بماذا أُبَيِّنُ لكما ؟ فقالا : بالكلام . فقال : إذاً الفضلُ له .

وقيل لبعضهم : السكوتُ أفضل أمِ النُّطْقُ ؟ فقال : السكوتُ حتى يُحْتاجَ إلى النطقِ .

---

(١) سعيد بن المسيب المخزومي المدني أحد الأعلام العلماء ، وفقيه المدينة جمع بين الحديث والفقه ، والورع . توفي سنة ١٩٤ .

قيل : العقلُ يأمركَ بالأنفعِ ، والمروءةُ تأمركَ بالأجملِ .

قيل لبعضهمْ : ما جِماعُ العقلِ ؟ فقال : ما رأيتُه مجتمعاً في أحدٍ فأَصِفَه ، ومالا يوجدُ كاملاً فلا حَدَّ له .

قال الزُّهْرِيُّ : إذا أنكرتَ عقلكَ فاقدحْه بعاقلٍ .

وقيل : عظمتِ المؤونة في عاقل متجاهل ، وجاهلٍ مُتَعاقلٍ .

وقيل : إنكَ تحفظُ الأحمقَ مِنْ كُلِّ شيءٍ إلا مِنْ نَفْسِهِ .

قيل لبعضهم : العقلُ أفضلُ أمِ الجَدُّ ؟ فقال : العقلُ من الجَدِ .

قال بعضهم : ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيرهِ وطاعةُ نفسه عليه ممتنعةٌ .

قيل لآخر : أتحبُّ أنْ تُهدى إليك عيوبُك ؟ فقال : أمَّا من ناصحٍ فنَعَمْ ، وأمَّا من شامِتٍ فلا .

قيل لآخر : هل شيءٌ أضرُّ من التّواني ؟ قال : الاجتهادُ في غير موضعه .

وقيل : العجزُ عجزانِ عجزُ التّقصيرِ . وقد أمكن الأمرُ ، والجدُّ في طلبه وقد فاتَ .

وقيل لآخر : أسأتَ الظنَّ . فقال : إن الدّنيا لمّا امتلأت مكارهَ وجبَ على العاقلِ أن يملأها حَذَراً .

تأمّل حكيمٌ شَيْبَتَهُ فقال : مرحباً بزهرةِ الحِنكةِ ، وثمرةِ الهدى ، ومقدِّمَةِ العفّةِ ، ولباسِ التّقوى .

قيل : لا يسود الرّجلُ حتى لا يبالي في أيِّ ثوبيه ظهرَ .

سمع حكيمٌ رجلاً يدعو لآخرَ ويقول : لا أراكَ اللّهُ مكروها . فقال : دعوتَ له بالموتِ فإنّ من عاش لابد له في الدنيا من مكروه .

قالوا : من صفاتِ العاقلِ ألاّ يتحدّثَ بما يُستطاعُ تكذيبهُ .

قيل لبعضهم : متى يُحْمَدُ الكذبُ ؟ فقال : إذا قرّبَ بين المتقاطعين . قيل : فمتى يُذمُّ الصّدقْ : قال : إذا كان غيبة .

صَحِبَ رجلٌ آخر سيّئَ الخلُقِ فلما فارقه قال : قد فارقته وخُلقُه لا يُفارقُه .

المُزاحُ فَحْلٌ لا يُنتج إلاّ الشرَّ .

المروءةُ التامَّةُ مُباينةُ العامةِ .

أسوأُ ما في الكريم أن يمنعك نداه ، وأحسن ما في اللّئيم أن يكفَّ عنك أذاه .

السَّفَلُ إذا تعلَّموا تَكَبَّروا ، وإذا تمولوا استطالوا ، والعِلْيَةُ إذا تعلَّموا تواضعوا ، وإذا افتقروا صالوا .

ثلاثٌ لا يُستصلحُ فسادُهُنَّ بشيءٍ من الحِيَلِ : العداوةُ بين الأقاربِ ، وتحاسُدُ الأكفاءِ ، وركاكةُ الملوكِ(١) .

قيل لحكيم : أي شيء مِنْ أفعال العبادِ يُشبه أفعالَ اللّهِ ؟ قال : الإحسانُ إلى الناسِ .

يُقال : السَّخي شجاعُ القلبِ ، والبخيلُ شُجاعُ الوجه .

البخيلُ يعيشُ عَيْشَ الفقراءِ ، ويحاسبُ مُحاسَبَةَ الأغنياءِ .

---

(١) الركاكة : الضعف .

العُزلةُ توفِّرُ العرضَ ، وتسترُ الفاقةَ ، وترفعُ ثِقلَ المكافأة .

ما احتنكَ أحدٌ قطُّ إلا أحبَّ الخلوةَ .

خيرُ الناسِ مَنْ لم تجرِّبه ، كما أنَّ خيرَ الدُّرِّ مالم تَثْقُبْهُ .

قيل : أجلُّ ما ينزلُ من السّماءِ التوفيقُ ، وأجلُّ ما يصعدُ إلى السماءِ الإخلاصُ .

قيل : كلُّ مالٍ لا ينتقلُ بانتقالِكَ فهو كفيلٌ(١) .

وقيل : ما دارُ مَنْ يشتاق إلى السّفر بدارِ سلامةٍ .

قال حكيمٌ : مَنِ الذي بلغَ جَسيماً فلم يبطَرْ ، واتَّبعَ الهوى فلم يعطَبْ ، وجاورَ النّساءَ فلم يفتتِنْ ، وطلبَ إلى اللِّئامِ فلم يَهُنْ ، وواصلَ الأشرارَ فلم يندَم ، وصَحِبَ السُّلطانَ فدامتْ سلامتُه ؟ .

اثنان يهونُ عليهما كلُّ شيء ؛ العالمُ الّذي يعرفُ العواقبَ ، والجاهلُ الّذي يجهلُ ما هو فيه .

---

(١) كفيل : ضامن .

وقيل : شرٌّ من الموتِ ما إذا نزلَ تمنَّيت لنزوله الموتَ ، وخيرٌ من الحياةِ ما إذا فقدتَه أبغضتَ لفقده الحياةَ .

لِتَكُن النوائبُ منك ببالٍ ؛ فأكثرُ المكارهِ فيما لم يُحْتَسبْ .

قال سُفيانُ : ما وضعَ أحدٌ يدَه في قصعةِ غيرهِ إلاّ ذَلَّ له .

وقال أبو حمزةَ السَّكُّوني : قال لي أبوُ عبيدِ اللّه : من أكلَ من ثَريدِنا وَطْئِنَا رقبتَه .

قال رجلٌ لمعروفٍ (١) : يا أبا محفوظٍ ، أتحرّكُ لطلبِ الرِّزْقِ أم أجلسُ ؟ قال : لا بلْ تحرَّكْ ؛ فإنّه أصلحُ لك . فقال : أمِثلُك يقولُ هذا يا أبا محفوظ ؟ فقال : ما أنا قلتهُ ولا أمَرْتُ به ، ولكنَّ اللّه تعالى قالَه وأمرَ به حيثُ قال لمريمَ : « وَهُزِّي إليْكِ بِجذْعِ

---

(٢) معروف الكرخي صاحب الأحوال والكرامات أسلم على يد علي بن موسى الرضا وتوفي سنة ٢٠٠هـ .

النَّخْلَةِ تَسَّاقَطْ عَلَيْكَ رُطَباً جَنِيّاً » (١) ولو شاءَ أن يُنزلَه عليها بلا هزٍّ لفعَلَ .

قال بعضهم : رأيت عِكْرِمةَ بباب بَلْخ(٢) فقلتُ له : ما جاءَ بكَ إلى هَهنا ؟ فقال : بَنَاتي .

قال وهبٌ : الدراهمُ خواتيمُ ربِّ العالمينَ بمعاشِ بني آدمَ ؛ لا تُؤكلُ ولا تُشربُ ، وأينَ ذهبْتَ بخاتمِ ربك قُضِيتْ حاجتُكَ .

قيل لبعضهم : لِمَ تُحِبُّ الدراهمَ وَهي تُدْنيكَ من الدنيا ؟ فقال : هي وإنْ أدنتني من الدّنيا فقد صانَتْني عنها .

قيل لسُفيانَ بنِ عُيَيْنةَ(٣) : ما أشدَّ حُبّكَ للدّرهم ! فقال : ما أحبُّ أن يكون أحدٌ أشدَّ حبّاً لما ينفعُه مِنّي .

---

(١) سورة مريم : ٢٥ .

(٢) من أجمل مدن خراسان ، قيل بناها الاسكندر ، افتتحت في أيام عثمان .

(٣) سفيان بن عيينه الهلالي ، شيخ الحجاز وأحد أعلامه ، عابد فقيه عالم توفي ١٩٨هـ .

قيل لبعضهم : أين بلغتَ في العلومِ ؟ قال : إلى الوقوفِ على القصورِ ، عنها .

قال ابنُ السّماكِ : الكمالْ في خمْسٍ ؛ ألاّ يعيبَ الرَّجلُ أحدا بعيبٍ فيه مثلهُ حتى يُصلحَ ذلك العيبَ من نفسه ، فإنّــه لا يفرغُ من إصــلاحِ عيبٍ واحدٍ حتى يهجُمَ على آخر فتشغلَه عيوبُه عن عيبِ النّاسِ ، والثانيةُ ألاّ يُطْلقَ لسانَه ويدَه حتّى يعلمَ أفي طاعة ذاكَ أو في معصية ، والثّالثةُ الا يلتمسَ من النّاسِ إلاّ مثلَ ما يُعطيهم من نفسه ، والرابعةُ أن يَسْلَم من النّاس باستشعارِ مُداراتهم ، وتَوْفيَتِهم حقوقَهم ، والخامسةُ أن يُنفقَ الفضلَ من ماله ويُمسكَ الفضلَ من قَوْله .

قالوا : إذا أقبلتِ الدنيا أقبلتْ على حمارٍ قَطُوفٍ(١) مَديني ، وإذا أدبرتْ أدبرتْ على البُراق .

التُّؤَدَةُ حَسَنَةٌ في كلِّ شيء إلا في المعروفِ فإنَّها تُنَغِّصُه .

---

(١) القطوف : البطيء .

أصابَ متأمِّلٌ أو كادَ ، وأخطأ مستعجلٌ أو كادَ .

قيل لبعضهم : كيفَ لا يجتمعُ المالُ والحكمةُ ؟ قال : لعزّة الكَمالِ .

كان يقال : لكلّ جديدٍ لذّةٌ إلاّ من الإخوانِ .

العجزُ عجزانِ : التقصيرُ في طلبِ الأمرِ وقد أمكنَ ، والجِدُّ في طلبه وقد فاتَ .

قال يزيدُ بنُ أسَيّدٍ : أسَرُّ السّرور قَفْلَةٌ على غَفْلَةٍ .

قيل : ستّةٌ لا تُخطئهم الكآبةُ : فقيرٌ حديثُ عهدٍ بالغنى ، ومُكْثِرٌ يخافُ على مالِه ، وطالِبُ مَرْتَبَةٍ فوقَ قُدْرتهِ ، والحسودُ والحقودُ وخليطُ أهل الأدبِ وهو غيرُ أديبٍ .

قال خالدُ بنُ صفوانَ : مَنْ لم تكنْ له دابةٌ كثُرَتْ ألوانُ دوابِّهِ (١) .

قال عبدُ اللّهِ بنُ أبي بكرٍ : لو كنتُ شاعرا لبكيتُ على المروءةِ .

---

(١) لأنه يستعير أو يكتري كل يوم دابة .

وقال بعضهم : طلبتُ الرّاحةَ لنفسي فلم أجد شيئاً أرْوحَ لها من تركِ مالا يعنيها ، وتَوحّشْتُ في البَرّيّةِ فلم أرَ وَحشةً أشدَّ من قرينِ سوء، وشهدتُ الزحوفَ(١) ولقيتُ الأقرانَ فلم أر قِرْناً أغلب للرّجل من امرأةِ سوء ، ونظرتُ إلى كلِّ ما يُذلُّ العزيزَ ويَكسرُه فلم أرَ شيئاً أذلَّ له ولا أكسرَ من الفاقة .

قالوا : أوّلُ أمرِ العاقلِ آخرُ أمرِ الجاهلِ .

قال رجلٌ لعبد الحميد : أخوك أحبُّ إليك أمْ صديقُك ؟ قال : إنّما أحِبُّ أخي إذا كان صديقاً .

قالوا : أسوأ ما في الكريم أن يكفَّ عنك خيرَه ، وأحسنُ ما في اللئيمِ أنْ يكفَّ عنكَ شرَّه .

كان الكنديُّ يقول : المسترشدُ مُوَقّى والمحترسْ مُلَقّى (٢) . وكان يقول : العبدُ حر ما قنعَ والحُرُّ عبْدٌ ما طمعَ .

---

(١) الزحوف : الحروب .

(٢) ملقى : ممتحن لا يزال يلقاه مكروه .

قيل لمحمَّدِ بنِ الجَهْمِ (١) بعدَ ما أخذَ مالُه : أما تُفكِّر في ذهاب نعمتك ؟ فقال : لابدَّ من الزّوالِ ، فلأنْ تزولَ نعمتي وأبقَى خيرٌ من أن أزولَ عنها وتبقَى .

قال الشّافعيُّ : اغتنموا الفرصةَ فانها خُلسٌ أو غُصصٌ .

أغاظَ سفيهٌ حليم فقيل له : لِم لَمْ تغضبْ ؟ فقال : إنْ كان صادقا فليس ينبغي أن أغضبَ ، وإنْ كان كاذبا فبالحرَى ألاَّ أغضبَ .

قال بعضُهم : ما أحسَن حُسْنُ الظنّ إلا أنَّ منه العجزَ ، وما أقبحَ سوءَ الظن إلاّ أنّ فيه الحزمَ .

لما قَبضَ ابنُ عُيَيْنَةَ صِلَةَ الخليفةِ قال : يا أصحابَ الحديثِ ، قد وجدتم مقالاً فقولوا . متى رأيتمْ أبا عيالٍ أفلحَ ؟ وقال : كانت لنا هِرّة ليس لها جِراءٌ فكانت لا تكشفُ القدورَ ، ولا تعيثُ في الدور ، فصارَ لها جراءٌ فكشفتْ عن القدورِ ، وأفسدتْ في الدورِ .

---

(١) محمد بن الجهم البرمكي ولي للمهدي بعض الولايات .

قال بعضهم : إذا أنا فعلتُ ما أُمِرْتُ به وكان خطأً لم أُذْمَمْ عليه ، وإذا فعلتُ مالم أُومرْ به وكان صَوابا لم أُحْمَدْ عليه .

قال آخرُ ما استُنْبِطَ الصّوابُ بمثل المشورة ، ولا حُصِّنَتِ النّعمُ بمثل المواساة ، ولا اكتُسِبَتِ البغضةُ بمثل الكِبْرِ .

قيل لرَوْح بن زِنْباعٍ : ما معنى الصّديقِ ؟ قال : هو لفظٌ بلا معنى . يعني لِعَوَزِه .

وقال آخر : السّفرُ ميزانُ الأخلاق .

قال عليُّ بنُ عُبيدةَ : العقلُ مَلِكٌ والخِصالُ رعيته ، فإذا ضَعُفَ عن القيام عليها وصلَ الخللُ إليها .

قال : الكذّابُ يُخيفُ نفسهَ وهو آمنٌ .

قال بعضُهم : لو لم أدعِ الكذبَ تأثُّما لتركتُه تكرّما .
وقال آخرُ : لو لم أدعِ الكذبَ تعفُّفاً لتركته تظرُّفا .
وقال آخرُ : لو أدعِ الكذبَ تحوُّباً(١) لتركته تأدُّبا .
وقال آخر : لو لم أدع الكذب تورُّعاً لتركتُه تصنُّعاً .

---

(١) التحوب : البعد عن الإثم .

قال بعضهم : الإفراطُ في الزِّيارة مملٌّ كما أن التَّفريطَ فيها مُخِلٌّ .

قال العتبيُّ (١) : إذا تناهَى الغَمُّ انقطعَ الدَّمعُ .

وقال إبراهيمُ بنُ أدهم (٢) : أنَا منذُ عشرينَ سنةً في طلب أخٍ إذا غضبَ لم يقلْ إلاّ الحقَ فما أجدُ .

وقال غيره : إذا وَلِيَ صديقٌ لك ولايةً فأصبتَه على العُشْرِ من صداقته فليس بأَخٍ سوءٍ .

قصدَ ابنُ السَّماكِ رجلاً في حاجةٍ لرجل فتعسَّر ، فقال له : اعلم ، أنّي أتيتُكَ في حاجةٍ ، وإنّ الطّالبَ والمطلوبَ إليه عزيزان إن قُضِيتْ ، وذليلان إن لم تقضِ ، فاخْتَرْ لنفسكَ عزَّ البَذْلِ على ذُلِّ المنعِ ، واخترْ لي عزَّ النُّجحِ على ذُلِّ الردِّ . فقضاها له .

وقصدَ آخرُ آخرَ مرَّةً في حاجة فتلوَّى ، فكاد ينكلُ عن الكلام ، ثم سبقَ إلى معْنىً فخبَّره وقال للمسئول :

---

(١) محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي ؛ أخباري أديب شاعر توفي سنة ٢٢٩هـ .

(٢) إبراهيم بن أدهم الزاهد صاحب الكرامات والأحوال توفي سنة ١٦٢هـ .

أخبرني حينَ غدوتُ إليك في حاجتي ، أُحسنُ بك الظنّ ، وأصوغُ فيك الثّناء ، وأتخيرُ لكَ الشكرَ ، وأمشي إليك بقدمِ الإجلالِ ، وأكلّمُك بلسانِ التّواضعِ ، أصبتُ أم أخطأتُ ؟ قال : فأفحمَ الرّجلُ وقال : بل أصبتَ . وقضى حاجته وسأله المعاودةَ .

قال أبو العتاهيةِ : قلتُ لعليّ بن الهيثمَ (١) : ما يجبُ للصديقِ ؟ قال : ثلاثُ خِلالٍ : كتمانُ حديثِ الخلْوةِ ، والمواساةُ عند الشّدةِ ، وإقالةُ العثْرَةِ .

قيل : سوءُ حمْلِ الغِنى يورثُ المدحَ ، وسوءُ حملِ الفاقةِ قد يضَعُ الشّرفَ .

قيل : الهوى شريكُ العمى .

قيلَ لصوفيّ : ما صناعتُك ؟ قال : حُسْنُ الظنّ بالله وسوءُ الظنّ بالنّاس .

ثلاثةٌ لم يَأْمَنَ بها أحدٌ فسلم : صحبةُ السّلطان ، وإفشاءُ السرّ إلى النساءِ وشُرْبُ السُّمَ للتجربةِ .

---

(١) علي بن الهيثم المعروف بجونقا كاتب شاعر ، كان أحد الكتاب المستخدمين بديوان المأمون .

لكلِّ شيءٍ محلٌّ ، ومَحلُّ العقل مُجالسةُ النّاسِ .

أعجبُ الأشياء بديهةُ أمْنٍ وردتْ في مقامِ خوفٍ .

قال ابنُ المقفّعِ : الحِرصُ مَحْرمةٌ ، والجُبنُ مَقْتَلَةٌ ، فانظرْ فيمن رأيتَ أو سمعتَ : من قُتِلَ في الحربِ مُقبلاً أكثرُ أم قُتِلَ مُدْبراً ، وانظرْ مَنْ يَطْلبُ بالإجمال والتكرُّم أحقُّ أن تسخُوَ نفسكَ له أم مَن يطلبُ بالشّرَهِ والحِرْصِ .

قال بكرُ بنُ المعتمرِ (١) : إذا كان العقلُ تسعةَ أجزاءٍ احتاجَ إلى جزءٍ من جهل ليُقْدِمَ على الأمور ؛ فانّ العاقل أبداً مُتوانٍ متوقّفٌ مترقّبٌ متخوّفٌ .

قال ابن المقفّع : عملُ الرّجلِ بما يعلمُ أنّه خطأٌ هوًى ، والهوى آفةُ العفافِ ، وتركُه للعمل بما يعلمُ أنّه صوابٌ تهاونٌ ، والتّهاونُ آفةُ الدّينِ . وإقدامه على ما لا يدري أصوابٌ هوَ أمْ خطأٌ لِجاجٌ ، واللّجاجُ آفةُ العقلِ .

سُئل بعضُهم : أيُّ الصّدقِ السكوتُ عنه أمثلُ ؟ قال : تزكيةُ المرءِ نفسَه .

---

(١) بكر بن المعتمر كان مقربا للأمين ، قلده ديوان الخاتم ، ولأبي العتاهية شعر في مدحه .

وكان يقال : ثلاثةٌ يؤثرون المال على أنفسهم : تاجرُ البحرِ ، والعاملُ بالأجرِ ، والمرتشي على الحُكم .

قالوا : قبّح اللهُ الدّنيا ، فإنّها إذا أقبلتْ على الإنسان أعطتْه محاسن غيره ، وإذا أدبرتْ عنه سلبته محاسن نفسه .

أعجزُ الناسِ من قصّر في طلبِ صديقِه ، وأعْجَزُ منه مَنْ وجَده فضيّعَه .

قال رجل لأبي عبيد الله (١) : لئِن أصبحتِ الدنيا بك مشغولة لتمسينّ منك فارغةً . فقال : أنفَقُ مايكون التعبُ إذا وعد كذّابٌ حريصا .

اجتمع علماءُ العربِ والعجمِ على أنّه لايُدْركُ نعيمٌ إلا ببؤسٍ ، ولاراحةٌ إلا بتعبٍ .

العاداتُ قاهراتٌ ، فمن اعتاد شيئا في سِرّه وخلواته فضحَه في علانيته وعند الملأ .

قيل : المنى تُخْلِقُ العقل ، وتُفْسِدُ الدِين ، وتُزري بالقناعة .

---

(١) معاوية بن عبيد الله كاتب المهدي ووزيره توفي سنة ١٧٠ هـ .

قال قتيبةُ لحُصين : ماالسُّرورُ ؟ قال : عقلٌ يُقيمك ، وعلمٌ يُزينُك وولدٌ يَسرُّك ، ومالٌ يَسعُك ، وأمْنٌ يريحُك ، وعافيةٌ تجمعُ لك المسرَّاتِ .

أسرَّ رجلٌ إلى صديقٍ له حديثاً فلما استقصاه قال له : أفهمْتَ ؟ قال : بل نسيتُ .

وقيل لآخر : كيف كتمانُك للسرِّ ؟ فقال : أجْحدُ المخبر وأحْلفُ للمُستَخْبِرِ .

والعربُ تقول : من ارتاد لسرّهِ فقدْ أذاعَهُ .

وقالوا : الأخُ البارُ مَغيضُ الأسرارِ .

قيل لبعضهم : إن فلاناً لايكتبُ ، قال : تلك الزَّمانَةُ الخفيَّةُ (١) .

قال بعضهم : قديمُ الحُرْمَةِ وحديثُ التوبةِ يَمْحقَانِ مابينهمَا من الإساءةِ .

قالوا : ركوبُ الخيلِ عزٌّ ، وركوب البراذينِ (٢) ذِلة ، وركوبُ البغلِ مَهْرمةٌ ، وركوبُ الحميرِ ذُلٌّ .

---

(١) الزمانة : مرض يدوم .

(٢) البراذين : جمع برذون وهو الجواد الهجين غير العربي .

قالوا : أربعٌ يسوّدْن العبد : الصّدقُ والأدبُ والفِقهُ والأمانةُ .

قال الزُّهريُّ : الكريمُ لا تُحكِّمه التّجاربُ .

قالوا : العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشِيَمُ الرّجالِ تُعرفُ بالولاية .

قال رجلٌ من قريش لشيخٍ : علّمْني الحلم . فقال : هو الذّلُّ ، أفتصبرُ عليه ؟ .

ويقال : ماقلّ سُفهاءُ قومٍ إلاّ ذلُّوا .

وعزّى رجلٌ الرشيد فقال : ياأمير المؤمنين ، كان لك الأجرُ لابك وكان العزاءُ لك لاعنك .

كان يقال : لك ابنُك ريحانُك سبعاً ، وخادمُك سبعا ، ثم عدوٌّ أو صديقٌ .

قيل لبعض الحكماء : ماالشيءُ الذي لايَحسُنُ أن يُقال وإنْ كان حقّاً ؟ فقال : مدحُ الإنسانِ نفسَهُ .

جلس بعضُ الزُهّادِ إلى تاجرٍ ليشتري منه شيئاً ، فمرّ به رجلٌ يَعرِفه ، فقال للتاجرِ : هذا فلان الزّاهدُ

فأرْخصُ ماتبيعهُ منه . فغضب الزاهدُ وقام وقال : إنما جئْنا لنشري بدراهمنا لابمذاهبنا .

قيل لبعضهم : ماالشيء الذي لايُستغْني عنه في حالٍ من الأحوال ؟ فقال : التوفيقُ .

قيل لبعضٍ مَنْ يطابُ الأعمال : ماتصنعُ ؟ قال : أخدمُ الرجاءَ ، حتى ينزل القضاءُ .

قال بعضهم : أوسعُ مايكون الكريمُ مغفرةً ، إذا ضاقتْ بالمذنبِ المعذرةُ .

قال آخرُ : أمتعُ الجلساءِ الذي إذا عَجَّبْتَه عجب ، وإذا فكَّهتَه طرب ، وإذا أمسكت تحدث ، وإذا فكَّرْت لم يَلُمْك .

قيل لبعضهم : متى يُحْمَدُ الغِنَى ؟ قال : إذا اتصل بكرم . قيل : فمتى تُذمّ الفِطْنَةُ ؟ قال : إذا اقترنتْ بلُؤمٍ .

قال مالكُ بنُ دينارٍ (١) : من طَلَب العلم لنفسه فالقليلُ يكفي ، ومن طلبه للناسِ فحوائجُ النَّاسِ كثيرةٌ .

---

(١) مالك بن دينار البصري الزاهد الراوية . توفي سنة ١٢٧هـ .

قال رجلٌ لآخر : إني أتيتُك في حاجةٍ فإن شئت قضيتَها وكنّا جميعا كريمينِ ، وإن شئت منعتَها وكنا جميعا اثيمينِ .

قال بعضُ النُّساكِ : قد أعياني أنْ أنزل على رجلٍ يعلمُ أني لا آكلُ من رِزْقِهِ شيئاً .

قيل : مَثَلُ شُرْبِ الدّواءِ مَثَلُ الصابونِ للثّوب يُنَقّيه ولكنْ يُخْلِقه .

كان يقال : النظرُ يحتاجُ إلى القَبول ، والحسبُ إلى الأدبِ ، والسُّرورُ إلى الأمنِ ، والقُربى إلى المودة ، والمعرفةُ إلى التجاربِ ، والشَّرفُ إلى التواضعِ والنجدةُ إلى الجدّ .

قال بعضهم : أعناقُ الأمور تشابه في الغيوبِ ، فربَّ مَحبوبٍ في مكروهٍ ومكروهٍ في محبوبٍ . وكم من مغبوطٍ بنعمةٍ هي داؤه ، ومرحومٍ من داءٍ فيه شفاؤه .

وقيل : ربَّ خيرٍ في شرٍّ ، ونَفعٍ في ضُرٍّ .

قال ابنُ المقفّعِ : الحسدُ خُلق دنيٌّ ، ومن دناءته أنه يُوكَّلُ بالأقربِ فالأقربِ .

قال قَتَادةُ(١) : لو كان أحدٌ مكتفيا من العلم لاكتفى نبيُّ اللهِ موسى عليه السلامُ إذ قال : « هَلْ أتَّبِعُكَ عَلَى أنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رشْداً(٢) » .

قال دغْفَلُ بنُ حنظلة (٣) : إنَّ للعلم أربعاً : آفةً ونكداً وإضاعةً واستجاعةً فآفتُه النّسيانُ ، ونكَده الكذبْ ، وإضاعتُه وضعُه في غير موضعه ، واستجاعته أنك لاتشبعُ منه .

قال بعضهم : عيادةُ النوكَى الجلوسُ فوق القدر ، والمجيء في غير وقت .

قال أكثمُ بنُ صيفِيّ : ماأحبُّ أن أكْفَى كُلَّ أمرِ الدّنيا . قالوا : وإن أسمَنْتَ وأَلْبَنْت ؟ قال : نعم . أكرهُ عادةَ العجزِ .

قال أبو عثمانَ : كتبَ شيخٌ من أهل الرّيّ على بابِ داره : جزى اللهُ مَنْ لايعرفُنا ولانعرفهُ خيرا ، فأمّا

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسي ، حافظ ثقة ، وعالم جليل ، توفي سنة ١١٧هـ .

(٢) سورة الكهف : ٦٦ .

(٣) دغفل بن حنظلة الشيباني السدوسي ، نسابة العرب .

أصدقاؤنا الخاصّةُ فلا جزاهم الله خيرا ، فإنا لم نُؤْتَ قطُّ إلا منهم .

قيل لرجلٍ من أهلِ البصرةِ : مالَكَ لايَنمى مالُك ؟ قال : لأني اتخذتُ العيال قبل المالِ ، واتخذ الناسُ المالَ قبلَ العيالِ .

كان خالدُ بنُ صفوانَ يكره المُزاحَ ويقول : يصيبُ أحدهم أخاهُ ويصكُّهُ بأشدَّ من الحديدِ ، وأصلبَ من الجَنْدَلِ ، ويفرغُ عليه أحرَّ من المِرجَلِ ثم يقول إنّما مازَحْتُهُ .

كان يقال : لا ينبغي لعاقلٍ أن يشاورَ واحداً من خمسةٍ : القطّانَ والغزّالَ والمعلّمَ وراعيَ الضّأنِ ولا الرجُلَ الكثيرَ المحادثةِ للنّساءِ .

قال رجلٌ لابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ : ما تركَ لكَ أبوك ؟ قال : تركَ لي مالاً كثيراً . فقال : لا أعلّمك شيئاً هو خيرٌ لك مما ترك أبوك ؟ إنه لا مالَ لعاجز ، ولا ضياعَ على حازم ، والرّقيقُ جمالٌ وليس بمال ، فعليكَ من المال بما يَعُولُكَ ولا تعولُه .

وقيل لخُرَيم النّاعم (١) : ما النّعمةُ ؟ فقال : الأمنُ ؛ فإنه ليسَ لخائفٍ عيشٌ ؛ والغِنى ؛ فإنّه ليسَ لفقيرٍ عيشٌ . والصّحةُ ، فإنه ليس لسقيمٍ عيشٌ قيل : ثمَّ ماذا ؟ قال : لا مزيدَ بعدها .

قيل : خيرُ الكلام ما أغنى اختصارُه عن إكثارِه .

أراد رجل الحَجَّ . فأتى شُعْبَة بن الحجاج(٢) فودَّعه فقال له شُعبَة : أمَا إنّك إن لم ترَ الحِلْمَ ذلاًّ ، والسفَهَ أنَفَا سَلِم حجُّكَ .

رُوِيَ عن بعضِ الأئمةِ أنه قال : الإنصافُ راحةٌ ، والإلحاحُ قِحَةٌ ، والشُّحُّ شناعةٌ ، والتَّواني إضاعةٌ ، والصحّةُ بضاعةٌ ، والخيانةُ وَضاعةٌ ، والحرصُ مَفْقَرةٌ والدّناءةُ محقرةٌ ، والبُخْلُ غلٌّ ، والفقرُ ذلٌّ ، والسخاءُ قُربةٌ ، واللؤمُ غُرْبَةٌ ، والذّلّةُ استكانةٌ ، والعَجْزُ مَهانةٌ ، والأدبُ رياسةٌ ، والحَزْمُ كياسةٌ ،

(١) هو خريم بن عامر بن الحارث المري لقب بالناعم .

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام ، شيخ البصرة ، والمحدث الأشهر موصوف بالعلم والزهد والرحمة والقناعة ، كان رأسا في العربية والشعر بجانب معرفته بالحديث . توفي سنة ١٦٠هـ .

والعُجْبَ هلاكٌ ، والصبرُ ملاكٌ ، والعجلةُ زلَلٌ ، والإبطاءُ مَلَلٌ .

ثلاثةُ أشياء لاثباتَ لها : المالُ في يدِ من يبذِّرُ ، وسحابةُ الصيّفِ ، وغضبُ العاشقِ .

قيل للشّبلي(١) : ما الفرقُ بينَ رقّ العبوديةِ ورِقّ المحبّةِ ؟ فقال : كم بين عبدٍ إذا أُعتقَ صار حُرّاً ، وبين عبدٍ كُلما أُعتقَ ازداد رِقّاً ؟ .

قالوا : الزّاهدُ في الدّينار والدّرهم أعزُّ من الدّينار والدّرهم .

وقيل لمحمد بن واسع : كيف أنت ؟ قال : كيف أكون ، وأنا إذا كنتُ في الصّلاةِ فدخلَ إنسانٌ غنيٌّ أُوسّعُ له بخلافِ ما أُوسّعُ للفقيرِ .

سُئل بعضهم : أيُّما أحمدُ فيَ الصّبيِّ الحياءُ أم الخوفُ ؟ فقال : الحياءُ لأنّ الحياءَ يدلُّ على عقلٍ والخوفُ يدلّ على جُبنٍ .

---

(١) الشبلي قيل اسمه دلف بن جحدر وقيل : جعفر بن يونس ، زاهد متصوف ، له مقامات وأحوال توفي سنة ٣٣٤ .

قالوا : ربَّ حرْبٍ جُنيَتْ بلفظةٍ ، وربَّ وُدٍّ غُرس بلحظةٍ .

شكا رجلٌ إلى بشرِ بنِ الحارثِ (١) كثرةَ العيالِ فقال له : فرَّغكَ فلم تشكره ، فعاقبكَ بالشُّغلِ .

كان يُقال : إذا تزوَّج الرّجلُ فقد ركِبَ البحرَ ، فإن وُلِدَ له فقد كُسِرَ به .

قالوا : أصبرُ النّاس الّذي لا يُفشي سرَّه إلى صديقه مخافةَ أن يقعَ بينهما شيءٌ فيُفشيَه .

قالوا : ثمانيةٌ إذا أُهينوا فلا يلوموا إلاّ أنفسَهم : الآتي طعاماً لم يُدْعَ إليه والمُتَأمّرُ على ربِّ البيتِ في بيته ، وطالبُ المعروفِ من غير أهله ، وراجي الفضلِ من اللئام ، والدّاخلُ بين اثنين لم يُدخلاه ، والمُستخفُّ بالسلطانِ ، والجالسُ مجلساً ليسَ له بأهلٍ ، والمقبلُ بحديثه على مَنْ لا يسمعهُ .

قالوا : ثمرةُ القناعةِ الرّاحةُ ، وثمرةُ التّواضعِ المحبّةُ ، وثمرةُ الصبرِ الظّفَرْ .

---

(١) بشر بن الحارث المروزي المشهور ببشر الحافي ، زاهد له مناقب ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٢٧هـ .

قال بعضهم : نحن في دهرٍ الإحسانُ فيه من الإنسانِ زلّةٌ ، والجميلُ غريبٌ ، والخيرُ بِدعةٌ ، والشفقةُ مَلَقٌ . والدعاءُ صِلةٌ ، والثناءُ خِداعٌ ، والأدبُ مَسألةٌ ، والعلمُ شَبَكةٌ ، والديّنُ تلْبيسٌ ، والإخلاصُ رياءٌ ، والحِكمةُ سَفَهٌ ، والقولُ هَذَرٌ ، والإطراقُ ترهّبٌ ، والسكوتُ نفاقٌ ، والبذلُ مكافأةٌ ، والمنعُ حَزمٌ والإنفاقُ تبذيرٌ .

جلس رجلٌ إلى سهلِ بنِ هارونَ فجعل يُسمِعهُ كلاما سخيفاً من صنوفِ الهزلِ ، فقال له : تنحَّ عنّي ؛ فإنّه لا شيءَ أميلُ إلى ضدّه من العقلِ .

قيل لبعضِ العلماءِ : أيُّ عِلْقٍ(١) أنْفَسُ ؟ فقال : عقلٌ صُرِف إليه حظ .

قالوا : الاعتبارُ يفيدُكَ الرّشادَ ؛ وكَفاكَ أدباً لنفسك ما كرهتَ من غيرك . الجَزَعُ من أعوان الزّمان . الجودُ حارسُ الأعراضِ . العفوُ زكاةُ القلبِ . اللّطافةُ في الحاجةِ أجدى من الوسيلةِ . مِنْ أشرفِ أفعالِ الكريم غَفْلَتُهُ عمّا يعلمُ .

---

(١) العلق : النفيس من كل شيء .

احتمالُ نخوةِ الشّرَفِ أشدُّ من احتمال بَطَرِ الغنَى وذلّةُ الفقرِ مانعةٌ من الصّبر .

قيل لبعضهم : مَنْ أبعدُ النّاسِ سَفَراً ؟ قال : من كان في طلبِ صديقٍ يرضاه .

قال يونسُ بنُ عُبيد (١) : أعياني شيئان : درهمٌ حلالٌ وأخٌ في اللّه . .

استشارةُ الأعداءِ من باب الخذلانِ .

قالوا : إذا أرادَ اللّهُ بعبدٍ هلاكا أهلكه برأيهِ ، وما استغنى أحدٌ عن المشورةِ إلا هَلَكَ .

قال أكثمُ بنُ صيفيّ : الحرُّ لا يكون صريعَ بطنه ولا فَرْجِهِ .

قيل : ستُّ خِصالٍ تُعْرَفُ في الجاهلِ : الغَضَبُ من غير شيء ، والكلامُ في غير نَفْعٍ ، والعَطِيّةُ في غير موضعٍ ، ولا يعرفُ صديقهُ من عدوّه . وإفشاءُ السِّرِ ، والثّقةُ بكلّ أحدٍ .

---

(١) يونس بن عبيد بن دينار حدث عن أنس ، وتوفي سنة ١٣٩هـ .

قال محمدُ بنُ واسعٍ : إني لأغبطُ الرجلَ ليس له شيء وهو راضٍ عن الله .

قالوا : سوءُ العادةِ كمينٌ لا يُؤْمَن .

التجنّي وافدُ القطيعةِ .

مِنك مَنْ نهاكَ ، وليس منك مَنْ أغراكَ .

يا عجباً من غفلةِ الحُسّادِ عن سلامةِ الأجسادِ .

من سَعادةِ المرءِ أن يطولَ عُمُرُه ويرى في عدوّه ما يسرُّه .

تُورَثُ الضغائنُ كما تورثُ الأموالُ .

كم من عزيزٍ أذلّه خُرْقُه ، وعزيزٍ أذلّه خُلُقُه .

لا يَصْلُحُ اللّئيمُ لأحدٍ ولا يستقيمُ إلاّ من فَرَقٍ أو حاجةٍ ؛ فإذا استغنى أو ذهبت الهيْبَةُ عادَ إلى جَوهره .

قيل لبعضهم : ما أبقى الأشياء في أَنْفُس النّاسِ ؟ قال : أمّا في أنفسِ العلماءِ فالنّدامةُ على الذنوبِ ، وأمّا في أنفسِ السُّفهاء فالحقدُ .

إذا انقضى مُلْكُ القومِ جُبِّنوا في آرائهم .

الضعيفُ المحترسُ من العدوّ القويّ أقربُ إلى السّلامةِ من القويّ المغترّ بالعدوّ الضعيف .

الحزنُ سوءُ استكانةٍ والغضبُ لؤمُ قدرةٍ .

كل ما يُؤكلُ يَنْتُنُ ، وكلُّ ما يُوهَبُ يأرَجُ(١) .

لا يصعبُ على القويّ حملٌ ، ولا على اللبيبِ عملٌ ، ولا على المتواضع أحدٌ .

الطرشُ في الكرام ، والهَوَجُ والشجاعةُ في الطوالِ ، والكَيّسُ في القصارِ والملاحةُ في الحُولِ ، والنُبْلُ في الرّبَعةِ ، والذّكاءُ في الخُرسِ ، والكِبْرُ في العُورِ ، والبَهتُ في العميانِ .

بالكُلفةِ يُكتسَبُ الأصدقاءُ وبكلّ شيء يُمكنُ اكتسابُ الأعداءِ .

أفقرُ النّاسِ أكثرهم كسباً من حرام ؛ لأنه استدانَ بالظلم مالا بدَّ له من ردّه ، وأنفدَ في اكتسابه أيّامَ عُمره ، ومنعَه في حياته من حقّه ، وكان خازناً لغيره ،

---

(١) يأرج : يفوح طيبه .

واحتملَ الدَّيْنَ على ظهرهِ ، وطُولبَ به في حين فَقْرِهِ .

ألأمُ النّاس من سعى بإنسانٍ ضعيفٍ إلى سلطانٍ جائرٍ .

أعسرُ الحيلِ تصويرُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ عند العاقل المُمَيِّزِ .

الرِّيبةُ ذلٌّ حاضرٌ ، والغَيْبَةُ لؤمٌ باطنٌ .

القلبُ الفارغُ يبحث عن السّوءِ ، واليدُ الفارغةُ تنازِعُ إلى الإثم .

لا يَصْرِفُ القضاءَ إلاّ خالقُ القضاءِ .

لا كثير مع إسرافٍ ، ولا قليل مع احترافٍ ، ولا ذنبَ مع اعترافٍ .

من كل شيء يقدرُ أن يُحْفَظَ الجاهلُ إلاّ من نفسه .

المتعبدُ على غير فقهٍ كحمار الرَّحى يدور ولا يَبرحُ .

المحرومُ من طالَ تَصَبُّه ، وكان لغيره مَكسبُه .

كيفَ يحبُّ الدنيا من تغرُّه ، وتسوؤه أكثرَ ممّا تَسُرُّه .

مع العجلةِ الخِطَارُ ، وربّما خَطِيء المخاطرُ بالقضاء .

شرُّ أخلاقِ الرّجالِ البخلُ والجُبن وهما خيرُ أخلاقِ النساءِ .

إذا جاءَ زمانُ الخذلانِ انعكستِ العقولُ .

سَعَة السمحاءِ أحد الخِصْبَين ، وكثرةُ المالِ عند البخلاءِ أصعب الجَدْبَين .

من سوء الأدب مؤانسةُ من احتشمكَ ، وكَشْفُ خلّةِ من سَتَرَها عندكَ ، والنزوعُ إلى مشورةٍ لم تُدعَ إليها .

قال إبراهيمُ التيميُّ(١) : نِعْمَ القومُ السؤّال ؛ يدقّون أبوابكم ويقولون : هل تُوجّهون إلى الآخرة شيئاً بشيء ؟ .

* * *

(١) ابراهيم بن أبي يزيد التيمي العابد ، قتله الحجاج سنة ٩٢هـ .

الباب الخامس

جِنْسٌ آخرُ من الأدَبِ والحِكَمِ
وهو ما جاء لَفْظُهُ على لَفْظِ الأمْرِ والنَّهْيِ

كان يُقال : إذا غضبَ الكريمُ فألِنْ له الكلامَ ، وإذا غضبَ اللئيمُ فخذْ له العَصَا .

وقال بعضهم : غَضَبُ العاقلِ في فِعله ، وغضبُ الجاهل في قَوله .

قال بعضُهم وقد رأى رجلا يَتكلّم فَيُكْثِرُ : أنصفْ أذنيكَ من فَمِكَ ؛ فإنَّما جُعِل لكَ أذنان وفَمٌ واحدٌ لتسمعَ أكثرَ ممّا تقولُ .

قالوا : دَعِ المعاذرَ فإنّ أكثرَها مَفَاجِرُ .

وقال إبراهيمُ النَخَعيُّ(١) : دعِ الاعتذارَ فإنّه يخالطه الكذبُ .

---

(١) إبراهيم النخعي : فقيه العراق ، توفي سنة ٩٦هـ عن تسع وأربعين سنة .

قالوا : مكتوبٌ في الحكمة : أشكرْ لمن أنعمَ عليك ، وأنعمْ على من شكركَ .

قال إبراهيمُ النخعيُّ : سلْ مسألةَ الحمقى ، واحفظْ حفظَ الأكياسِ . يعني العلم .

قالوا : مُروا الأحداثَ بالمِراء ، والكهولَ بالفكرِ ، والشيوخَ بالصمتِ .

وقال : عوِّد نفسكَ الصّبرَ على جليسِ السوء ؛ فإنّه لا يكاد يُخطِئكَ .

قال حاتمٌ لعديّ ابنه : يا بُنَيَّ إني رأيتُ الشرَّ يتركُك إن تركتَه ، فاتركْه .

وكان يقال : لا تطلبوا الحاجةَ إلى ثلاثةٍ : إلى كذوبٍ ، فإنّه يقرّبها وإن كانت بعيدةً ويباعدُها وهي قريبةٌ ، ولا إلى أحمقَ ؛ فإنّه يريدُ أن ينفعَك فيضرّك ؛ ولا إلى رجلٍ له إلى صاحبِ الحاجةِ حاجةٌ ، فإنّه يجعلُ حاجتَكَ وقايةً لحاجته .

وقالوا : لا تصرفْ حاجتَك إلى مَنْ معيشتُه من رؤوسِ المكاييلِ وألسنةِ الموازينِ .

وكان يقال : إيّاكَ وصدرَ المجلسِ وإنْ صَدَّرك صاحبُه ، فإنّه مجلسُ قُلْعَةٍ (١) .

قالوا : احذرُوا صولةَ الكريمِ إذا جاعَ ، واللئيمِ إذا شبعَ .

قال بعضهم : سِرُّكَ دمُك ، فلا تُجْرِيَنَّهُ في غيرِ أوداجِكَ .

كان يقال ، إيّاكَ وعزّة الغضبِ ؛ فإنّها تُصَيِّرُكَ إلى ذلَّةِ الاعتذارِ .

قال بعضهم : إذا أُرسلتَ لتأتيَ ببعرٍ فلا تأتِ بتمرٍ ، فيؤكَل تمرُك ، وتعنَّفَ على خلافك .

قالو : إذا وقَعَ في يدِكَ يومُ السّرورِ فلا تُخْلِه فإنَّك إذا وقعتَ في يدِ يوم الغمِّ لم يُخْلِكَ .

قالوا : إذا أردتَ أن تُؤاخيَ رجلاً فانظرْ مَنْ عدوُّه . وإذا أردتَ أن تعاديَ رجلاً فانظرْ مَنْ وليُّه .

قيل : إذا قلدتَ أحدا مهمّاً فعجّلْ له مَنْفَعَةً ، وأجمل له في العِدَةِ ، وابسُط له في المُنْيَةِ .

---

(١) قلعة : يتحول عنه .

قال بعضُهم : الانقباضُ من النّاسِ مكسبةٌ للعداوة ، والانبساطُ مجلبةٌ لقرينِ السّوء ، فكنْ بينَ المنقبضِ والمسترسلِ ؛ فإن خيرَ الأمورِ أوساطُها .

كان يقال : اجعلْ عمركَ كنفقةٍ دُفعتْ إليك . فأنتَ لا تحبُّ أن يذهبَ ما تُنْفِقُ ضياعاً ، فلا تُذْهِبْ عمرَك ضَياعاً .

قيل : مَنْ أظهرَ شكرَكَ فيما لم تأتِ إليه فاحذرْ أنْ يكفُرَكَ فيما أسديتَ إليه .

لا تستعنْ في حاجتك بمن هو للمطلوبِ أنصحُ منه لكَ .

لا يؤمننّكَ من شرِ جاهلٍ قرابةٌ ولا إلفٌ ، فإن أخوفَ ما تكونُ لحريقِ النارِ أقربُ ما تكونُ منها .

لا ترفعْ نفسَكَ عن شيء قرّبك إلى رئيسكَ .

كُنْ في الحرصِ على تَفَقّدِ عَيبكَ كعدوكَ .

عليكَ بسوءِ الظّنَ فإنْ أصابَ فالحزمُ ، وإن أخطأَ فالسّلامةُ .

رِضا النّاسِ غايةٌ لا تُدركُ ، فتحرَّ الخيرَ بجهدِك ، ولا تكْرهْ سُخطَ مَنْ يرضيهِ الباطلُ .

إذا رأيتَ الرجلَ على باب القاضِي من غيرِ حاجةٍ فاتّهِمْهُ .

رأى رجلٌ ابنه يماكسُ في ابتياعِ لحمٍ ، فقال : يا بنيَّ ، ساهِلْ فما تُضَيِّعُهُ من عِرْضِكَ أكثرُ ممّا تنالُه من غَرَضِكَ .

وقال بعضهم : الدَّيْنُ رِق ، فلا تبذلْ رقَّكَ لمن لا يعرفُ حَقَّكَ .

وقال بعضُهم : احذَرْ كلَّ الحذرِ أن يخدعَكَ الشَّيطانُ فيمثّلَ لكَ التّواني في صورة التَّوكّلِ ، ويورثَكَ الهُوينا بالإحالةِ على القَدَرِ ، فإنّ اللهَ أمرنا بالتوكّلِ عند انقطاعِ الحِيَلِ ، وبالتّسليم للقضاءِ بعدَ الإعذارِ فقال : (خُذُوا حِذْرَكُمْ) (١) (وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (٢) .

وقال النبيّ عليه السلام : « اِعْقِلْ وتوكّلْ » .

---

(١) سورة النساء : ٧١ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٥ .

قالوا : لتكنْ عنايتُكَ بحفظِ ما اكْتَسَبْتَهُ كعنايتكَ باكتسابِهِ ، ولا تصحبْ غَنياً ؛ فإنَّكَ إنْ ساويتَهُ في الإنفاقِ أَضَرَّ بِكَ ، وإن تفضَّل عليك استذلَّكَ .

إذا سألتَ كريماً حاجةً فدَعْهُ يتفكَّرْ ؛ فإنه لا يُفكِّرُ إلاّ في خيرٍ . وإذا سألتَ لئيماً حاجةً فَغَافِصْهُ(١) ولا تَدَعْهُ يتفكّرُ فيتغيّرُ . وفي ضدّ ذلك : إذا سألتَ لئيماً حاجةً فأَجِّلْهُ حتى يروضَ نفسه .

العدوّ عدوان : عدوٌّ ظلمتَه ، وعدوٌّ ظلمَكَ . . فإن اضطرَّكَ الدّهرُ إلى أحدِهما فاستعنْ بالّذي ظلمَكَ ؛ فإنّ الآخرَ مَوْتورٌ .

لا تستصغرنَّ أمرَ عدوِّك إذا حاربتَه ، لأنكَ إنْ ظفرتَ به لم تُحْمَدْ ، وإن ظفر بك لم يُعْذَرْ ، والضعيفُ المحترسُ من العدوّ القويّ أقربُ إلى السلامةِ من القويّ المغترِّ بالضّعيفِ .

لا تصحبْ مَنْ تحتاجُ أنْ تكتمَه ما يعرفُه اللهُ منكَ .

صُنِ الاسترسالَ منكَ حتّى تجدَ له مُستحقّاً ، واجعلْ أُنْسَكَ آخرَ ما تبذلُه من وُدِّكَ .

---

(١) غامض : أخذ على غرة .

قال آخرُ : لا تجاهدِ الطّلبَ جهادَ المغالبِ ، ولا تتّكلِ اتّكالَ المستسلمِ ؛ فإنّ ابتغاءَ الفَضْلِ من السُّنّة ، والإجمالَ في الطّلبِ من العِفّةِ . وليستِ العفّةُ بدافعةٍ رزقا ، ولا الحرصُ بجالبٍ فَضلا .

سمعَ بعضُهم إنساناً يتكلمُ بما لا يعنيه فقال له : يا هذا إنّما تُملي على حافِظَيْكَ ، وتكتبُ إلى ربّكَ ؛ فانظرْ على مَنْ تُملي ، وإلى مَنْ تكتبُ .

قال بعضُهم : أقِمِ الرغبةَ إليكَ مَقامَ الحرمةِ بكَ ، وعَظّمْ نفسَكَ عن التعظُّم ، وتطَوَّلْ ولا تَتَطاولْ (١) .

قال آخرُ : عامِلُوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضةِ ، والأوساطَ بالرّغبةِ والرّهبةِ والسّفْلَ بالهوانِ .

كُنْ للعدوّ المكاتِمِ أشدَّ حذَراً منكَ للعدوّ المبارزِ .

قال سَلْمُ بنُ قُتَيبةَ (٢) : لأهلِ بيته : لا تَمازحوا

---

(١) التطول : التفضل ، والتطاول : الترفع على الناس ، والتطول ممدوح ، والتطاول مذموم .

(٢) سلم بن قتيبة الباهلي : قائد ولي خراسان أيام هشام وولاه المنصور البصرة مات سنه ١٥٩ .

فيستخفَّ بكم السُّوقةُ ، ولا تدخلوا الأسواقَ فتدقَّ أخلاقكم ولا تترجَّلوا فيزدريكم أكفاؤكم .

قال آخرُ : احفظْ شيئاك ممّن تستحيي أن تسأله عن شيءٍ إنْ ضاعَ لكَ .

إذا كنتَ في مجلسٍ فلم تكنِ المحدِّثَ ولا المحدَّثَ فقُمْ .

قالوا : لا تُدخِلْ في مشورتكَ بخيلاً فيقصرُ بعقلكَ ، ولا جباناً فيُخوِّفكَ مالا يُخافُ .

قال ابنُ المُقفَّعِ : الختْمُ حتْمٌ ، فإذا أردتَ أن تختِمَ على كتابٍ فأعدِ النظرَ فيه فإنما تختمُ على عقلكَ .

كان يقال : إذا قال أحدكم : واللهِ . فلينظُرْ مايضيفُ إليها .

دخلَ عبدُ العزيزُ بنُ زُرارةَ الكِلابيُّ على معاويةَ فقال : ياأميرَ المؤمنينَ جالِس الألباءَ ، أعداءً كانوا أو أصدقاء ، فإنَّ العقلَ يقعُ على العقلِ .

كان بعضهم يقول : أحيوا الحياءَ بمُجالسةِ مَنْ يُستحيا منه .

كان يقال : إذا وجدتَ الشيءَ في السوقِ فلا تطلبْه من صديقٍ .

قال العبَّاسُ بنُ الحسنِ العلويُّ(١) : اعلمْ أنَّ رأيكَ لايتّسعُ لكلِ شيءٍ ، ففرغْه للمهمِّ من أمورِكَ ، وأنّ مالكَ لايُغني النَّاسَ كلَّهم ، فاخصصْ به أهلَ الحقِ ، وأنّ كرامتَك لاتُطبّقُ العامةَ ، فتوخَّ بها أهلَ الفضلِ ، وأنّ ليلكَ ونهارَكَ لايَستوعبانِ حوائجَك فأحسنْ قِسمتَكَ بين عملِكَ ودَعتِكَ .

وكان يقال : أحيوا المعروفَ بإماتته .

وقال قيسُ بنُ عاصمٍ(٢) : يابنيَّ اصحبُوا مَنْ يذكرُ إحسانَكُم إليه وينسَى أياديَه لديكم .

وكان مالكُ بنُ دينارٍ يقول : جاهدوا أهواءكُم كما تجاهدونَ أعداءكُم .

إذا رغبتَ في المكارمِ فاجتنبِ المحارمَ .

* * *

(١) العباس بن الحسين العلوي شاعر بني هاشم وأديبهم . عاش في عصر الرشيد .

(٢) قيس بن عاصم المنقري أسلم سنة ٩هـ ، وكان مشهوراً بالحلم ، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية .

أراد رجلٌ سفرا فقال له بعضُهم : إنّ لكلّ رفقةٍ كلباً يَشرَكُهم في فضلة الزّادِ ، ويَهرّ دونَهم ، فإن قدرتَ ألا تكونَ كلبَ رفقتِكَ فافعلْ ، وإيّاكَ وتأخيرَ الصّلاةِ عن وقتِها فإنّك مُصَلّيها لامحالةَ ، فصَلِّها وهي تُقْبَلُ منكَ .

قال ابنُ السماكِ : إنّ مِنَ النّاسِ ناساً غرّهم السّترُ ، وفتَنَهُم الثّناءُ . فلا يغلبَنّ عليكَ جهلُ غيرك بكَ عِلْمَكَ بنفسكَ .

قيل : لاتثقنّ كلّ الثّقةِ بأخيكَ ، فإنّ صرعةَ الاسترسالِ لاتُسْتقالُ .

من أمثال التّركِ : اسكتْ تربحْ ماعندكَ ، وشاورْ تربحْ ماعند غيركَ .

قيل : لاتكنْ مثلَ من تغلبُه نفسُه على مايظنُّ ولايغلبُها على مايستيقنُ انتقمْ من الحرصِ بالقناعةِ كما يُنْتَصَرُ من العدو بالقصاصِ .

أوصى أبُو الهُذَيْلِ(١) أصحابَه فقال : لاتدخلوا

---

(١) أبو الهذيل هو محمد بن الهذيل بن عبد الله ، مشهور بكنيته وهو شيخ المعتزلة توفي سنة ٢٣٥هـ .

في الشهادةِ فتصيروا أُسرَاءَ الحكّامِ ، ولافي القضاءِ ، فإنّ فرحةَ الولايةِ لاتفي بترْحةِ العزْلِ ، ولافي روايةِ الحديثِ فيكذّبكُم الجهّالُ والصبيانُ ، ولا في وصيّةٍ فيُطْعَنَ عليكم بالخيانةِ ، ولا في إمامةِ الصّلاةِ فمَنْ شاءَ صلّى وراءكم ومن شاء لم يُصلِّ . وقال : لاتُجالسوا مَن لايوثقُ بدينه وأمانته ، ولاتبدأوا المخالفينَ بالسّلامِ فإنهم إنْ لم يجيبُوا تقاصَرتْ إليكم نفوسُكُم ولحقَتْكم خَجْلَةٌ .

عَوِّدْ نفسكَ السّماحَ ، وتخيّرْ لها من كلّ خُلُقٍ أحسنَه ، فإنّ الخيرَ عادةٌ ، والشّرَّ لجاجةٌ ، والصُّدودَ آيةُ المقتِ ، والعِللَ آيةَ البخلِ .

كُنْ سَمْحاً ولاتكنْ مُبَذِّرا ، وكُنْ مُقَدِّرا ولاتَكُنْ مقتّراً .

إيّاكَ والمُرْتَقَى السّهلَ إذا كان المُنْحَدَرُ وَعْراً .

احترسْ من ذِكْرِ العِلْمِ عند مَنْ لايريدُه ، ومن ذِكْرِ القديمِ عند من لاقديمَ له ، فإنّ ذلك يُحدِثُ التغْييرَ ، وبالحَرى أن تتّخذه سلّما إلى الضّغْنِ عليكَ .

إذا زللْتَ فارجِعْ ، وإذا ندمتَ فأقْلِعْ ، وإذا أسأتَ فاندَمْ ، وإذا مَننتَ فاكْتُمْ ، وإذا مَنَعتَ فأجْمِلْ . ومن يُسلفِ المعروفَ يكنْ ربحُه الحمدَ .

اطلبِ الرّحمة بالرّحمةِ .

اتّقِ العِثارَ بحسنِ الاعتبار .

لاتستأنسْ بمن لم تَبْلُ خلائقِه .

لاتأمنِ العدوَّ على حال .

لاتفرح بالرّجاءِ فإنه غرورٌ ، ولاتتعجّلِ الغمَّ بالخوف فإنّه شكٌ .

حاسِبْ نَفْسَكَ تَسْلَمْ وتَسْعَدْ .

لن يخلوَ أحدٌ من ذمّ ، فاجهدْ أن تخلوَ من ذَمّ الأخيارِ .

حاربْ عدوَّكَ ماحارَبكَ بشخصِه ، فإذا أخفَى شخصَهُ فاحرُسْ نفسَكَ منه ، لأنّ مَنْ يعلمُ أنهُ لاينجيهِ منكَ إلا الموتُ لاينجيكَ منه إلاّ مثلُ ذلك ، والمستسلمُ للموتِ لايبالي على ماأقدم .

احذرْ فلتاتِ المِزاح وصرعاتِ البَغْيِ .

لاتجاهدِ الطَّلبَ جهادَ المُغالِبِ ، ولاتتكلْ على القَدَرِ اتكالَ المُسْتَسْلِمِ فإنّ ابتغاءَ الفضلِ سُنّةٌ ، وإجمالُ الطلبِ عفّةٌ ، وليستِ العِفّةُ بدافعةٍ رِزقا ، ولا الحرصُ بجالبٍ فضلا ، والرزقُ مقدُورٌ والأجلُ موقوفٌ ، وفي استعجالِ الحريصِ اكتسابُ المآثمِ .

لاتشبهنَّ رضاكَ بغضبكَ ، فتكون ممّن لايضرَّ غضبُه ولا ينفعُ رضاه .

اغتنم العملَ مادامت نفسُكَ سليمةً ، واجعلْ كل ساعةٍ بشغلها لآخرتك غنيمةً .

لاتكونَنَّ لغيرِ الله عبداً ماوجدتَ من العبوديّةِ بُدّاً .

احمِ نفسَكَ القُنوطَ ، واتّهمِ الرّجاءَ .

لاتُعَيِّرْ أخاكَ واحمدِ الذي عافاكَ .

انظر ماعندك فلا تَضَعْهُ إلا في حقّه ، وماليس عندك فلا تأخذْه إلا بحقّه .

احتملْ مِمّنْ أدلَّ عليكَ ، واقْبَلْ ممّن اعتذرَ إليك.

ليَكُنْ عَمَلُكَ فيما بينكَ وبينَ أعدائكَ العدلَ ، وفيما بينك وبين أصدقائك الرضا ، فإنّ العدوَّ خَصْمٌ تصْرِفُه بالحجّة ، وتغلبُه بالحُكْم . والصّديقُ ليس بينك وبينه قاضٍ ، وإنما هو رضاه وحُكْمُه .

إذا أردتَ أن تخدعَ النّاس فتغلبَ عليهم .

إذا صافاكَ عدوُّك رياءً منه فتلقَّ مصافاته إيّاكَ بأوكدِ مودّةٍ ، فإنّه إذا ألفَ ذلكَ واعتادَه خلَصَتْ لكَ مودّتُه .

فكّرْ قبل أن تعزِمَ ، وأعرِضْ قبل أن تصرِمَ ، وتدبّرْ قبلَ أن تهجُمَ ، وشاورْ قبلَ أن تُقْدمَ .

* * *

الباب السادس

جِنْسٌ آخرُ مِنَ الحِكَمِ والأمْثَالِ والآدابِ وهو ما كانَ في أوّلِهِ «مَنْ»

مَنْ كَثُرَتْ نِعمةُ اللّهِ عنده كَثُرَ عَدُوّه .

مَن يصحب الزّمانَ يرَ الهوانَ .

مَنْ لم يمتْ لم يفُت .

من صَدَق النّاسَ كرهوه .

من يطُلْ ذيلُه ينتطِقْ به .

من فَسَدَتْ بطانتُه كان كمن غُصّ بالماءِ ، فإنّه لو غُصّ بغيره أجازَ به غُصّتَهْ .

من أكثر أسقط .

من اتّبعَ غيَّ النّاس كان أغوى .

من لَقِيَ النّاسَ بما يكرهونَ ، قالوا فيه مالا يعلمونَ .

من أحبَّ الذّكرَ فليستعملِ الصّبرَ .

ومَن شَحَّ على دينه فليستعمل الخوفَ ، ومن ضَنّ بعِرْضِهِ فليمسكْ عن المِرَاءِ .

من صَفا قلبُه صفا لسانُه .

من خالَطَ خُولِطَ له .

من لم يَضِنّ بالحقّ عن أهله فهو عينُ الجَوادِ .

وقال الصّادقُ(١) رضيَ اللّه عنه : مَنْ أيقظَ فتنةً فهو أكْلُها .

ومن كلامِ أميرِ المؤمنينَ رضيَ اللّهُ عنه : من اشتاقَ إلى الجنّةِ سَلا عن الشهواتِ ، ومن أشفقَ من النّارِ كفَّ عن المحارمِ ، ومن زهِدَ في الدّنيا تهاوَنَ بالمصائبِ ، ومن ارْتَقَبَ المَوْتَ سارعَ في الخَيْرِ .

وقالوا : من استغْنى كَرُمَ عن أهلِهِ .

من قَرّب السَّفِلَةَ واطّرَحَ ذوي الأحسابِ والمروءات استحقّ الخِذْلانَ .

---

(١) جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أحد الأئمة الأثني عشر عند الشيعة ، وسيد بني هاشم في زمانه توفي سنة ١٤٨هـ .

مَن انتقمَ انتصفَ ، ومن عفا تفضَّلَ ، ومن شفا غَيظَه لم يُذْكَرْ في النَّاسِ فضلُهُ .

من كظَمَ غيظَه فقد حَلُمَ ، ومَن حلُمَ فقد صبَرَ ، ومَن صبرَ فقد ظَفِرَ .

من طلبَ الدُّنيا بعملِ الآخرة خَسِرَهما ، ومن طَلبَ الآخرةَ بعمل الدُّنيا ربحَهما .

قال بعضهم : مَن مَلكَ نفسَه عندَ أربعٍ حرَّمه اللّه على النَّار : حين يغضبُ وحين يرغبُ ، وحين يَرْهَبُ ، وحين يَشْتَهي .

قال بكرُ بنُ عبدِ اللّهِ : مَن كان لهُ من نفسِهِ واعظٌ عارضَه ساعةَ الغفلةِ وحينَ الحَمِيَّةِ .

من أمَّل أحداً هابَه ، ومن قصُر عن شيء عابَهُ .

قيل لحكيم : مَنْ أسوأ النَّاس حالاً ؟ قال : من لم يثقْ بأحدٍ لسوء ظَنِّه ، ولا يثقُ به أحدٌ لسوء أَثَرِهِ .

قيل لبعضهم : من أحبُّ النَّاس إليكَ ؟ قال : من كَثُرَتْ أياديه عندي قال : فإن لم يكنْ ؟ قال : مَن كَثُرَتْ أياديَّ عندَه .

كان يُقال : من طالَ صمتُه اجتلبَ من الهيبةِ ما ينفعُه ، ومن الوحشةِ مالا يضرُّه .

من طلب موضعاً لسرِّهِ فقد أفشاهُ .

قيلَ لحكيم : مَن أنعمُ النَّاسِ عيْشاً ؟ فقال : من كُفِيَ أمرَ دنياه ، ولم يهتمَّ بأمرِ آخرتهِ .

وقيل : من زاد عقلُه نقَصَ حظُّه . وما جعلَ اللّهُ لأحدٍ عقْلاً وافراً إلاّ احْتَسَبَ عليه مِنْ رِزْقِهِ .

مَن قال : لا أدري . وهو يتَعلَّمُ أفضلُ مِمَّنْ يدري وهو يتَعَظَّمُ .

مَن انتحلَ من العلمِ الغايةَ لم يكنْ لجهلهِ نهايةٌ .

من يَدَّعِ العلمَ جُلَّهُ أعقلُ ممّن يدّعيه كُلَّهُ .

مَن جاعَ باعَ .

من أحسنَ الاستماعَ استعجلَ الانتفاعَ .

من حَلُمَ سادَ . من اعترفَ بالجريرَةِ فقد استحقَّ الغفيرةَ (1) .

---

(1) الغفيرة والغفران بمعنى واحد .

من رَغِبَ عن الإخوانِ جَسُرَ على الزّمانِ .

من اتّبعَ هواهُ أضلّهُ .

من جَهِلَ النِّعَمَ عرفَ النِّقَمَ .

من كانت له فكرةٌ فله من كلِّ شيء عِبْرَةٌ .

من انتهزَ الفرصةَ أمِنَ الغُصَّةَ .

من سكتَ فسلِمَ كان كمن قال فغنِمَ .

من كرهَ النطاحَ لمْ ينل النّجاحَ .

من كان له من نفسه واعظٌ كان له من اللّهِ حافِظٌ .

من كساه الحياءُ ثوبَه ، حجبَ عن العيون عَيْبَهُ .

من كَرُمَ محتِدُه حَسُنَ مَشْهدُهُ .

من خَبُثَ عُنْصُرُه ساءَ مَحْضَرُه .

من خانَ هانَ .

من أدمنَ قرعَ الباب وَلَجَ .

من استوطأ مركبَ الصّبرِ فَلَجَ(١) .

من أخذَ في أمورِه بالاحتياطِ سَلِمَ من الاختلاطِ .

من نَشَرَ صبرَه طوى أمرَه .

---

(١) فلج : ظفر .

منْ امتنَّ بمعروفه أفسدَهُ .

من قلَّ حياؤه كَثُرَ ذَنْبُه .

من لان عودُه كَثُرَتْ أغصانهُ .

من حَسُنَ خلقُه كَثُرَ إخوانُه .

من يُبْرِئُ بصيرتَكَ من العَمى أكملُ ممَّن يُصِحّ بصرَكَ من القَذَى .

مَنْ غرَّه الشبابُ تقطّعت به الأسبابُ .

من ختَمَ البِضَاعَةَ أمِنَ الإضاعةَ .

من نَظَرَ بعينِ الهوى حارَ ، ومن حَكَمَ بحُكْمِ الهوى جارَ .

من ساءَ خلقُه عذَّبَ نفسَه . من أحبَّكَ نَهاكَ ، ومن أبغضَكَ أغراكَ . من أحسنَ الاعتذارَ استوجبَ الاغتفارَ .

من طال صبرُه ضاقَ صدرُه .

من احتاجَ إليكَ ثقُل عليكَ .

من زرعَ شيئا حَصَدَهُ ، ومن قدَّمَ خيراً وجدَه .

منْ تنزّه عن المطامعِ لم يُعْتَبدْ .

من لم يحتمل بشاعةَ الدواء دامَ ألمُه .

من تعلّل بالمُنى أفلس .

مَن اغتاب خرَقَ ، ومن استغفرَ رقَعَ .

من بَخُلَ عليك ببشرِه لم يَجُدْ عليك ببِرِّه .

من كَفَّ عنك شرَّه فاصنعْ به ما سرّه .

من تشاغَلَ بالسّلطانِ لم يتفرّغْ إلى الإخوان .

من استَغْنَى برأيه فقد خاطَرَ .

من عرف الأيّامَ لم يُغْفِلِ الاستعدادَ لها . من أحبَّ مَنْ لا يعرفهُ فإنما يُمازحُ نفسه .

من حصَّنَ شَهْوَتَهُ صانَ قدرَه . من ضاقَ خلقُه ملّه أهلُه .

من تقدَّمَ بحُسْنِ النيّةَ نَصَرَهُ التّوفيقُ . من قاربَ النّاس في عقولهم سَلِمَ من غَوَائِلِهمْ . مَن التحفَ بالقناعة حالفَه العزّ

من كانت له إلى الناس حاجةٌ فقد خُذِلَ .

مَن عالجَ الشَّوقَ لم يستبْعِدِ الدّارَ . من يزرع الشّوك لا يحصد به العنب .

من اطمأنَّ قبلَ الاختبارِ ندمَ .

من وصَلَكَ وهو مُعْدِمٌ(١) خيرٌ ممّن جفاكَ وهو مُكْثِرٌ .

من لم يغضِ على القَذَى لم يرضَ أبداً .

من تقلّبتْ به الأحوالُ علم جواهرَ الرّجال .

من حفظَ ماله فقد حفظَ الأكْرَمَيْنِ : الدِّينَ والعِرضَ .

من تأدّبَ صَغيراً انتفعَ كبيراً .

من عذَلَ سَفيها عرَّضَ للشتّمِ نَفْسَهُ .

مَنْ زَنَى زُنِيَ به .

من عتَبَ على الدهرِ طالتْ معْتِبَتُه .

من سألَ فوقَ قدرِه استحقَ الحرمانَ .

من شتمَ حليماً رجعَ ذَميماً .

من كَفَرَ النِّعمةَ مُنِعَ الزِّيادة .

---

(١) المعدم : الفقير أو قليل المال .

مَن لم يُدارِ عيشَه مات قبلَ أجَلِه .

من لاحَى الرّجالَ ذهبتْ كرامتُه . من اتَّخذَ التّقوى صاحباً كانتْ له رِدْءاً من المُلِمّاتِ .

من كتَم الأطبّاءَ مرضَه فقد غَشَّ نفسه .

من أحَبَّ أن يصرِمَ أخاه فَلْيُقْرِضْه ثم يتقاضاه .

مَن أحبَّك لشيءٍ زال حبُّه بزوالِه .

مَن قال في الناسِ ما يكرهونَ قالوا فيه مالا يعلمون .

من طلبَ ما عندَ السلطانِ بالغِلْظَةِ لم يزدَدْ منه إلا بُعْداً .

من عاملَ الناسَ فلم يظلمْهم ، وحدّثهم فلم يكذبْهم ، ووعدَهم فلم يُخالفْهم ، فقد حَرُمتْ غيبتُه ، وكَمُلَتْ مُروءتُه ، وظهرتْ عدالتُه ، ووجبتْ أُخوتُه .

من استحيا من غَيره ولم يَسْتَحْيِ من نفسه فليسَ لنفسِه عنده مقدارٌ .

من أدّبَ ولدَه صغيراً سُرَّ به كبيراً .

مَن كَثُرَ خيرُه كثرَ زائِرُه .

من أطال الحَديثَ عَرَّضَ نفسَه للملالَة وسوءِ الاستماعِ .

من أظهرَ شُكْرَكَ فيما لم تأتِ إليه فاحذر أنَ يَكْفُرَ نعمتَكَ فيما أسديتَ إليه .

مَن تحدَّثَ بحديثٍ قبل أن يتدبَّره لم يسلمْ من عيبه .

من نَظَرَ في العواقبِ لم يَشْفِ غيظَه .

من زوَّج كريمتَه من سَفيهٍ فقد عقَّها .

من مَنع بِرَّهْ قلَّ أنصارُهُ .

من أطلقَ لسانَه أهدرَ دمه .

من تذكَّرَ قُدْرَةَ اللّهِ عليهِ لم يستعملْ قُدْرتَه في ظلم عبادِه .

من منعَ النَّاسَ ما يريدُ منهم مثلَه ظلمَ نفسَه .

من استقصىَ على النّاسِ قلَّ صديقُه ، ومن أغضَى على العوراء(١) سَهُلَ طريقُهُ .

---

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .

من نظر في دينه إلى من هو فوقه يستصغرُ عملَه ، ونظر في دنياه إلى من هو دونَه ليستكثِرَ ما أعطى فقد وُفِّقَ لحظّه .

قال يَحيى بنُ أكْثَمَ : من لم يَرْجُ إلا ما هو مُسْتَوجِبٌ كان قَمِنا أن يُدركَ حاجتَه . من عرَف ثمار الأعمالِ فهو جَديرٌ ألاّ يغرس ألا طَيِّباً . من صحِب الحُكماءَ ظَفر بحُسنِ الثّناءِ .

من اغترّ بالعدوِ الأريبِ خان نفسَه .

من عَدِم مالَه أنكره أهلُه ومعارفُه . من جانب هواه صحّ رأيُه .

من عاقب بريئا فنفسَه عاقَب .

من عَرَضتْ له بَليّةٌ رُحِم ، ومن جناها ذُمَّ .

من لم يجلس في شَبيبته حيثُ يَهوَى جلسَ في كِبَرِه حيثُ لا يهوى .

من لم يركبِ المصاعبَ لم ينل الرّغائبَ .

من كان أغلبُ خصاله عليه الإحسانَ اغتُفِرَتْ زَلّتُه ، وأُقيلتْ عثرَتُه .

مَن ردَّ الكرامةَ نصبَ شَرَكاً وثيقاً للعداوة .

من بخل بدينه عَظُمَ رجحُه .

من قاهَرَ الحقَّ قُهِرَ .

من تركَ التّوقّي فقدِ استسلمَ لقضاءِ السُّوءِ .

من لم تؤدّبه المواعظُ أدّبتْهُ الحوادثُ .

من تعوَّدَ الكفايةَ لم يعرفْ مقدارَ الرّاحةِ .

من لم يعرفْ قدَره أوشك أن يَذِلَّ ، ومن لم يدبّرْ مالَه أوشكَ أن يفْتَقِرَ

من رَقَّ وجهُه رقَّ علمُه .

من لم يتحرَّزْ بعقله من عقلِه هلكَ من قِبَلِ عقله .

من حُرِمَ العقلَ فلا خيرَ له ولا للنّاس في حياتِه ، ومن حُرِمَ الجُودَ فلا خيرَ له ولا للناسِ في سُلطانِه ، ومن حُرِم الفهم فلا خيرَ له ولا للنّاسِ في قضائِه .

من رَضِيَ عنه الجميعُ المختلفُونَ استحقّ اسمَ العَقْلِ .

* * *

الباب السابع

فِي سِيَاسَةِ السُّلْطَانِ وَأَدَبِ الرَّعِيَّةِ

قال بعضُ الحكماء : إنّ قلوبَ الرّعيّةِ خزائنُ واليها فما أودعَه وجدَه فيها .

قالوا : صِنْفانِ مُتَبايِنانِ إنْ صَلُحَ أحدُهما صلحَ الآخرُ : السلطانُ والرعيّةُ .

قال بعضُ الحكماء : إذا صحبتَ السلطانَ فلتكنْ مداراتُكَ له مداراةَ المرأةِ القبيحةِ لزوجها ؛ فإنّها لا تدعُ التّصَنُّع له في كلّ حالٍ .

قال الأعمشُ : إذا رأيتَ العالِمَ يأتي بابَ السلطان فاعلمْ أنه لِص . قال بعضُ الحكماءِ : لِيُغْلِقِ السلطانُ بابَ الأُنسِ بينَه وبين كُفَاتِهِ الّذينَ تَنفُذُ أمُورُهم في ملكه ؛ فإنّ مؤانستَه إيّاهم تبعثُ عليه بهم الجرأةَ وعلى الرّعيّةِ الغشمَ .

قالوا : صِنفانِ لو صلُحا صَلُحَ جميعُ الناسِ الفقهاءُ والأُمراءُ .

قيل : من داخلَ السلطانَ يحتاجُ أن يدخلَ أعمى ويخرجَ أخرسَ .

قيل للعتّابي : لم لا تقصدُ الأميرَ ؟ قال : لأنّي أراه يُعطي واحدا لغيرِ حسنةٍ ولا يدٍ ، ويقتلُ آخرَ بلا سيّئةٍ ولا ذنبٍ ولستُ أدري أيّ الرجلين أكونُ أنا ، ولستُ أرجو منه مقدار ما أُخاطرُ به .

قيل : العاقلُ مَنْ طلبَ السّلامةَ من عملِ السلطانِ ، إن عفَّ جنى عليه العفافُ عداوةَ الخاصّةِ ، وإن بَسَطَ جنى عليه البَسْطُ ألسنةَ العامةِ .

قال سعيدُ بن حُميد : (١) مجلسُ السلطانِ كالحمّامِ ؛ مَنْ فيه يريدُ الخروجَ ومن هو خارجٌ يريدُ الدخولَ فيه .

ابنُ المقفّعِ : إقبالُ السلطانِ تعبٌ ، وإعراضُهُ مَذَلّةٌ .

---

(١) سعيد بن حميد ، شاعر عباسي ، من أولاد الدهاقين ، كان فصيح اللسان وعاش إلى أيام الواثق .

قالوا : ينبغي للملك أن يتفقّد أمرَ خاصته في كلّ يومٍ ، وأمرَ عامّته في كلّ شهرٍ ، وأمرَ سلطانه في كلّ ساعةٍ .

قال بعضُهم : إذا كنتَ حافظاً للسّلطانِ في ولايتك ، حذراً منه عند تقريبه لك ، أميناً له إذا ائْتمنكَ ، تَشْكُرُ لهُ ولا تكلّفُه الشكرَ لكَ ، تعلّمُه وكأنك تتعلمُ منه ، وتؤدبُه وكأنّه يُؤدّبُك ، بصيراً بهواه ، مُؤْثِراً لمنفعته ، ذليلاً إن ضامكَ ، راضياً إذ أعطاكَ ، قانعاً إن حرمكَ ، وإلاّ فابعدْ منه كلّ البعدِ .

قال حكيمٌ : محلُّ الملكِ من رعيّته محلُّ الرّوحِ من البدنِ ، ومحلُّ الرعيّةِ منه محلّ البدنِ من الرّوح . فالروحُ تألمُ لألمِ كلّ عضوٍ من أعضاءِ البدنِ ، وسائرُه لا يألمُ لألمِ غيره ، وفي فسادِ الروحِ فسادُ جميعِ البدنِ ، وقد يَفْسُدُ بعضُ البدن وغيرُه من سائرِ البدنِ صحيحٌ .

قال سهلُ بنُ هارون : ينبغي للنديمِ أن يكونَ كأنّما خُلِق من قلبِ الملكِ ، يتصرفُ بشهواته ، ويتقلّبُ بإرادته ، إذا جدّ جدّ ، وإذا تطلّق تطلّقَ ، لا يملّ

المعاشرةَ ، ولا يسأمُ المسامرةَ ، إذا انتشى تحفّظَ ، وإذا صحا تيقّظَ ويكونُ كاتماً لسرِّهِ ، ناشراً لبرِّهِ ، ويكونُ للملِكِ دونَ العبدِ ؛ لأنّ العبدَ يخدمُ نائباً والنّديمُ يحضرُ دائباً .

كان مسروقٌ بنُ الأجْدَعِ (١) ينهى عن عملِ السلطانِ ، فدعاه زيادٌ وولّاه السلسلةَ ، فقيل له في ذلك ، فقال : اجتمع عليّ زيادٌ وشريحٌ والشّيطانُ ، فكانوا ثلاثةً وكنتُ واحداً فغلبوني .

قيل لبعضِ مَنْ يتصرّفُ مع السلطانِ : لا تصحبْهم (٢) ؛ فإنّ مَثَلَهم مَثَلُ قِدْرٍ أسودَ كلّما مسّه إنسانٌ سوّده . فقال : إن كان خارجُ القدرِ أسودَ فانّ داخلَه لحمٌ سمين ، وطعام لذيذ .

كان يُقال : لا سلطانَ إلّا برجالٍ ، ولا رجالٌ إلّا بمالٍ ، ولا مالَ إلا بعمارةٍ ، ولا عمارةَ إلّا بعدلٍ وحُسْنِ سياسةٍ .

---

(١) مسروق بن الاجدع الهمداني ، ادرك الجاهلية ، وهو تابعي مات سنة ٦٣ هـ .

(٢) اي السلاطين .

قال بعضُ الملوك في خطبة : إنما نملكُ الأجسادَ لا النياتِ ، ونحكُم بالعدلِ لا بالرضا ، ونفحصُ عن الأعمالِ لا عن السرائرِ .

قيل : أفضلُ ماعُوشِرَ به الملوك قِلَّةُ الخلافِ وتخفيفُ المؤونةِ .

قيل : لايقدرُ على صُحبةِ السلطانِ إلاّ مَنْ يَستثقِلُ لما حملوه ، ولايُلحفُ إذا سألهم ، ولايغتر بهم إذا رضُوا عنه ، ولا يتغيرُ لهم إذا سَخطوا عليه ، ولا يطغَى إذا سلَّطوه ، ولا يبطَرُ إذا أكرموه .

قال فيلسوفٌ : إذا قرَّبَك السلطانُ فكنْ منه على حدِّ السّنانِ ، وإن استرسلَ إليكَ فلا تأمنْ انقلابَه عليكَ ، وارفُقْ به رفقكَ بالصبيِّ ، وكلِّمْه بما يَشتهي .

ودخلَ يزيدُ بنُ عمرَ بنِ هُبَيرةَ (١) على المنصورِ فقال له : ياأمير المؤمنين ، توسَّعْ توسُّعاً قُرشياً ، ولاتَضِقْ ضِيقاً حِجَازيا . وقال : ياأميرَ المؤمنينَ ،

---

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقين لمروان بن محمد ، كان جوادا كريما ، وقتل سنة ١٣٢هـ .

إنَّ سلطانَكم حديثٌ ، وإمارتكُم جديدةٌ ، فأذيقوا النَّاسَ حلاوةَ عَدْلها ، وجنِّبوهم مرارةَ جَوْرِها(١) ، فو اللهِ ياأميرَ المؤمنينَ لقد مَخَضْتُ(٢) لك . ثم نهضَ فنهضَ معه تسعُماثةِ من قَيْسٍ ، فأتأرَه(٣) المنصورُ بصرَه ثم قال : لايعزُّ مُلكٌ فيه مثلُ هذا .

قالوا : عَدْلُ السلطانِ أنفعُ للرَّعيةِ من خِصْبِ الزَّمانِ .

كان الفضلُ بنُ الرَّبيعِ يقول : مساءلةُ الملوكِ عن أحوالهم من كلامِ النَّوْكَى(٤) ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبَح الأميرُ ؟ فقلْ : صبَّحَ اللهُ الأميرَ بالكرامةِ . وإنْ أردتَ أن تقولَ كيفَ يجدُ الأميرُ نفسَه ؟ فقل : وَهَبَ اللهُ للأميرِ العافيةَ ونحو هذه الأشياءِ فإنَّ المسألةَ توجِبُ الجوابَ فإن لم يجبْكَ اشتدَّ عليكَ وإنْ أجابَكَ اشتدَّ عليه .

---

(١) الجور : الظلم .
(٢) مخض الرأي : قلبه وتدبر عواقبه . والمقصود هنا : نصحت لك .
(٣) أتأره النظر : أتبعه إياه .
(٤) النوكى : الحمقى .

قيلَ لابنِ عباسٍ : إن الناسَ قد فسدوا ولا يُصلحهم إلاّ الشرُّ . قال : باللهِ الذي لا إلهَ إلاّ هُو لَلجَوْرُ أشبُّ للشَّرِّ ، والعدلُ أطفأ للجورِ . وفي العدلِ كِفايةٌ ، وإليه انتهتِ السّياسةُ . وقد يصيبُ الوالي في رعيّتهِ بأربَعٍ من نفسهِ وأربَعٍ من أنفسهم ، فأمّا الأربعُ اللّواتي منهمْ فالرّغبةُ والرّهبةُ والأمانةُ والنصيحةُ . وأمّا الأربعُ اللّواتي من نفسهِ فإعطاءُ مَنْ نَصَحه ، والجزاءُ لمن أبْلاهُ ، وعقوبةُ ذي الذنبِ بقَدْرِ ذَنْبِهِ ، والتّنْكيلُ بمن تَعَدّى أمرَه . فإن هو لم يفعلْ ذلك وتراخَى ابتُلِيَ منهم بأربعٍ : بالغِشِّ والخذلانِ والخيانةِ والنّكدِ .

قيل : لِيَعْلَمْ من نالَ شرفَ المنزلةِ من السلطانِ وهو دنيُّ الأصلِ أنه ثأرُ الأشْرافِ ، وأنه لا نجاةَ له منهم إلا أن يَغْمُرَهم بالإحسانِ إليهم .

إذا كان الملكُ ضعيفاً ، والوزيرُ شَرِهاً ، والقاضي كَذوباً ، فرقوا المُلْكَ شعَاعاً(١) .

---

(١) شعاع : متفرق .

إذا قنعَ الملكُ بإفسادِ دينه لم تقنعْ رعيّتُه إلا بإزالةِ مُلْكِهِ .

ظلمُ الرعيةِ استجلابُ البليّةِ .

أحزمُ الملوكِ من ملَكَ جِدُّهُ هزْلَه ، وقهرَ رأيُه هواه ، وعبّرَ عن ضميرِه .

دخلَ أبو مِجلَزٍ (١) على قُتيبةَ بخراسانَ وهو يضربُ رَجُلاً بالعصا فقال : أيّها الأميرُ ، إنّ اللهَ جعلَ لكلّ شيءٍ قَدْراً ، ووقتَ له وقتاً ، فالعصا للأنعامِ والهوامِ والبهائمِ العظامِ ، والسّوطَ للحدودِ (٢) والتّعزيرِ (٣) ، والدِّرَّةُ للأدبِ ، والسيفَ لقتال العدوّ والقَوَدِ (٤) .

قالوا : عمَلُ السلطانِ حديثٌ فكنْ حديثاً حسناً .

---

(١) أبو مجلز لاحق بن حميد البصري أحد علماء البصرة ، وكان ينزل خراسان . توفي سنة ١٠٧هـ .

(٢) أي لمعاقبة الذين يستحلون ماحرم الله كشرب الخمر أو غير ذلك من المحرمات .

(٣) التعزير : تأديب المذنب تأديبا لا يبلغ الحد الشرعي .

(٤) القود : القصاص .

إذا ضيعَّتِ الملوكُ سننَ أديانها فلتعلمْ أنَّها تهدمُ أساسَ مُلكها .

لاينبغي للملكِ أن يكونَ سَفيهاً ومنه يُلتمسُ الحِلْمُ ، ولاجائراً ومنه يُلتمسُ العَدْلُ .

إذا لم يُثِبِ(١) الملكُ على النَّصيحةِ غشَّتْه الرعيَّةُ .

وفدَ على معاويةَ عُبيدُ بنُ كعبٍ النُّميَريِّ فسأله عن زيادٍ وسياستِه فقال : يَستعملُ على الجدِّ والأمانةِ دونَ الهَوى ، ويعاقبُ فلا يعدُو بالذَّنبِ قدرَه ويَسْمُرُ ليستجمَّ بحديثِ الليلِ تدبيرَ النَّهار قال : أحسن . إن التثقيلَ على القلبِ مَضَرةٌ بالرأي . فكيف رأيُه في حقوقِ النّاسِ فيما عليهِ ولَهُ ؟ قال : يأخذُ مالَه عفواً ويُعطي ماعليه عَفوا . قال : فكيف عطاياه ؟ قال : يعطي حتّى يقال جوادٌ ، ويمنعُ حتى يقال بخيلٌ .

قالوا : التذلّلُ للملوكِ داعيةُ العزِّ والتعززُ عليهم ذلُّ الأبدِ .

---

(١) أثاب : كافأ .

كثرةُ أعوان السّوءِ مَضَرَّةٌ للأعمالِ .

الدّالةُ على الملوك تُعرِّضُ للسّقوطِ .

خيرُ الملوك من مَلَكَ جَهْلَه بحِلْمِه ، وخَرَقَهُ برِفقِه ، وعَجَلَتَه بأناتِه ، وعُقوبتَه بعفوِه وعاجِلَه بمراقبةِ آجِلِه ؛ وأمَّنَ رَعيَّتَه بعدِله ، وسدّ ثُغورَهم بهيبتِه ، وجَبَرَ فاقتهم بجُودِه . يَعْلمُ وكأنَّه لايعلمُ ، ويحسمُ الدّاءَ مِنْ حيثُ استبْهَمَ .

السلطانُ في تَنَقُّلِه وتنقّلِ الناسِ معه كالظلِّ الذي تأوي إليه السَّابلةُ .

شدَّةُ الانقباضِ من السلطانِ تورثُ التُّهمةَ ، وسهولةُ الانبساطِ تورثُ الملالةَ .

من سعادةِ جَدِّ(١) المرءِ ألاّ يكون في الزمانِ المختلطِ مُدبّراً للسّلطانِ .

من سَكَراتِ السلطانِ أن يرضَى عمَّن استوجَبَ

---

(١) الجد : الحظ .

السّخطَ ، ويسخطُ على من استوجبَ الرِّضا من غير سَبَبٍ معلومٍ .

بلغ بعضَ الملوك حُسنُ سياسةِ مَلِكٍ فكتبَ إليه :

قد بلغتَ من حُسنِ السّياسة مَبلغاً لم يبلغه مَلِكٌ في زمانك ، فأفدني الذي بلّغكَهُ . فكتبَ إليه :

« لم أهزِلْ في أمرٍ ولانَهيٍ ، ولاوعدٍ ولاوَعيدٍ ، واستكفيتُ أهلَ الكِفايةِ ، وأثَبْتُ على الغَناءِ لا على الهَوى ، وأودعتُ القلوبَ هيبةً لم يشُبْها مَقْتٌ(1) ، ووُدّاً لم يَشُبْهُ كَذِبٌ ، وعَمَمْتُ بالقُوت ومنعتُ الفُضولَ(2) » .

أمران جليلانِ لا يَصلُحُ أحدُهما إلاّ بالتَفَرُّدِ به ، ولا يصلحُ الآخرُ إلا بالتعاونِ عليه : وهما المُلْكُ والرأي ، فإن استقامَ المُلْكُ بالشّركاءِ استقامَ الرّأيُ بالتفرّد به .

لاشيءَ أهلكُ للسّلطانِ من صاحبٍ يُحسن القولَ ولا يُحسنُ العملَ .

---

(1) لم يشبها مقت : لم يخالطها بغض .

(2) الفضول : مالا فائدة فيه .

اِصْحَبِ السلطان بإعمال الحذرِ ، و رفضِ الدّالة ، والاجتهادِ في النُّصْحِ واصْحَبْهُ بثلاثٍ : بالرّضا والصّبرِ والصّدق .

اِعلمْ أنّ لكلّ شيء حدّاً ، فما جاوزه كان سَرفا ، وما قصَّر عنه كان عَجْزاً . فلا تبلغْ بك نصيحةُ السلطانِ أن تُعادي حاشيتَه من أهله وخاصّته ؛ فإنّ ذلك ليس من حقّهِ عليك . ولكنّ أقْضى لحقّه عنك ، وأدْعى للسّلامةِ إليك أن تستصلح أولئك جَهدك ، فإنك إذا فعلت ذلك شكرت نعمته ، وأمنْت حُجّتَهُ ، وفَلَلْت عدوّك عنده .

إذا جاريت عند السّلطانِ كُفْئا من أكفائك فلتكُنْ مجاراتُك إيّاه بالُحجّةِ ، وإنْ عَضهَك (١) ، وبالرفق وإن خَرُق بك؛واحذرْ أن يستلجّك (٢) فتحمَى ، فإنّ الغضب يُعمي عن الفرصةِ ، ويقطعُ عن الُحجّةِ ، ويُظهرْ عليك الخَصْمُ .

احترسْ أن يعرفَك السّلطانُ باثنين : بكثرةِ الإطراءِ

(١) عضه : كذب وادعى عليه الإفك .

(٢) يستلجك : يتمادى في خصومتك .

للنّاس عنده ، وبكثرةِ ذمّهم ؛ فيعدّ ذلك غلاًّ منك فإنه إذا رأى كثرة إطرائك للنّاس وذمّهم ضرّ ذلك صديقَك وإنْ كان حقّاً،وأمن عدوُّك كيْدك وإن كان مُعوِرا(١) وعليك بالقصدِ والتحرز ؛ فإنّه إن يعرفْك به كنت لعدوّك أضرَّ ولصديقك أنفع .

لا تتوردْ على السّلطان بالدّالة وإنْ كان أخاك ، ولا بالُحجّة وإن وثقت أنّها لك ، ولا بالنصيحة وإن كانتْ له دونَك فإنّ السّلطان تعرضُ له ثلاثٌ : القُدرةُ دون الكرمِ ، والحميَّةُ دون النَّصفَةِ ، واللّجاجُ دون الحظّ .

سُئل بعضهم : أيُّ شيء أرفعُ بذكرِ الملوكِ ؟ قال : تدبيرُهم أمر البلاد بعدلٍ ، ومنعهُم إيّاها بعزّ . قيل : فما الّذي على الملوك لرعيتّهم ، وما الّذي على الرعيّةِ لملوكهم؟ قال : على الملوك لرعيتّهم ماتأمنُ عليه أنفسُهم ويرغدُ عليه عيشُهم . وللملوكِ على رعيّتهم الشّكرُ والنّصيحةُ .

اعلمْ أن الملوك تحتاجُ إلى الوزيرِ ، وأشجعُ الرّجالِ يحتاجُ إلى السلاحِ وأجودُ الخيلِ يحتاج إلى السّوطِ ، وأحدّ الشّفار يحتاج إلى المِسنّ .

صلاحُ الدّنيا بصلاحِ الملوكِ . وصلاحُ الملوك بصلاحِ

---

(١) معوراً : أعور الفارس : بدا فيه موضع خلل للطعن والضرب .

الوزراء ، ولا يصلحُ المُلْكُ إلاّ لأهله ولا تصْلُحُ الوزارةُ إلاّ لمستحقّها .

خيرُ الوزراءِ أصلحهُم للرّعيّة ،وأصدقُهم نيّةً في النّصيحة، وأشدُّهم ذبّاً(١)عن المملكة ، وأشدُّهم بصيرةً في الطّاعة ، وآخذُهم لحقوقِ الرّعيةِ من نفسه وسلطانه .

ليس شيءٌ للملوك أوْلى بالفرحِ والسّرورِ به في مُلكها من سيرةٍ حَسَنَةٍ يسيرُونها ، وسُنّةٍ صالحة يُجرونها ، ووزيرٍ صالح يُؤيّدون به .

الوزيرُ الخيّر لا يرى أنّ صلاحَه في نفسه كائنٌ صلاحاً حتّى يتّصل بصلاحِ المَلِكِ ورعيّته ، وتكون عنايتُه فيما عَطّف الملك على عامّته ، وفيما استْعطف قلوب العامة على الطّاعةِ لملكه،وفيما قوّم أمرَ الملكِ والمملكةِ من تدبيرِه ، حتّى يجمع إلى أخذِ الحقّ وتقديمه عُموم الأمنِ والسّلامةِ ، ويجمع إلى صلاح الملك صلاح أتباعه وإذا طرقتِ الحوادثُ ، ودهَمَتِ العظائمُ ، كان للملك عُدّةً وعَتادا ، وللرعية كافياً محتاطا، ومن ورائها ذاباً ناصرا، يَعنْيه من صلاحها مالا يَعنْيه من صلاح نفسه دونها.

* * *

(١) الذب : الدفاع .

الباب الثامن

نَوادرُ للنِّساءِ المَواجِنِ والجَواري

استعرض رجُلٌ جاريةً فقال : في يديكِ عمل ؟ قالت : لا ولكن في رِجليّ .

وأُدخل على المنصور جاريتانِ فأعجبتاه . . فقالت الّتي دخلت أولا : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله قد فضّلني على هذهِ بقوله : « والسّابقُون الأوّلُونَ » (١) فقالت الأخرى : لا بلْ قد فضّلني بقولهِ : « وللآخِرةُ خيرٌ لك مِن الأولى » (٢) ،

طُلبتْ جاريةُ محمود الورّاق (٣) للمعتصمِ بسبعةِ آلاف دينار ، فامتنع من بيعها ، واشْتُريتْ له بعد ذلك من ميراثه بسبعمائةِ دينار ، فذكر المعتصمُ لها ذلك يوما

---

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٢) سورة الضحى : ٤

(٣) محمود الوارق شاعر عباسي له حكم وأمثال ومواعظ ، توفي في حدود المائتين والثلاثين .

فقالتْ : إذا كان الخليفةُ ينتظرُ بشهواته المواريث فسبعونَ دينارا في ثمني كثيرٌ . فكيف سبعمائة ؟

وطلب آخرُ من عشيقته خاتماً كان معها فقالتْ : يا سيّدي هذا ذهبٌ وأخافُ أن تذهب ، ولكن هذا العودُ حتى تعودَ .

وقال بعضهم لأخرى: أرى شفتيكِ مُتشققةً ، فقالت : التينُ إذا احلَوْلى تشقق .

عُرِضتْ على المعتزّ (١) جاريةٌ فقال لها : ما أنتِ من شَرْطي قالت : ولكنك من شَرْطي واللهِ . فاشتراها وحَظِيَتْ عنده .

غاب رجلٌ عن امرأته ، فبلغها أنه اشترى جارية ، فاشْترتُ غلامَين ، فاتّصل الخبرُ بزوجها ، فجاء مُبادراً وقال لها : ما هذا ؟ فقالت : أما علمت أن الرَّحَا إلى بغلين أحوجُ من البغلِ إلى الرحا . بعِ الجارية حتّى أبيع الغلامين ففعل ذلك .

خطب ثُمامةُ العَوفيُّ امرأةً فسألتْ عن حرفته فكتب إليها :

---

(١) الملك : ما يملك ، أي يمضغ من صمغ الصنوبر والفستق ونحوهما .

وسائلةٍ ما حِرْفَتي ؟ قلتُ : حرْفَتي
مقارعَةُ الأبطـالِ في كلِّ مـأْزقِ

وضربي طُلى الأبطالِ (١) بالسّيفِ مُعْلِماً
إذا زحفَ الصَّفَّان تحت الخوافقِ

فلمَّا قرأتِ الشعر قالتْ للرسول : قل له : فديتُك أنتَ أسدٌ فاطْلبْ لنفسكَ لَبُؤَةً ؛ فإني ظَبْيَةٌ أحتاجُ إلى غَزالٍ .

قال رجلٌ لجارية اعترضها – وكان دميماً فكرهته وأعرضتْ عنه : إنما أريدُكِ لنفسي . قالت : فمن نفسك أفرُّ .

وذكر بعضُهم قالَ : مرَّت بي امرأةٌ وأنا أصلي في مسجدِ رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم ، فاتقيتُها بيدي ، فوقعتْ على فَرْجِها فقالت : يا فتى ، ما أتيتَ أشدُّ ممَّا اتَّقَيْتَ .

دخلتْ عَزَّةُ على عاتكةَ بنتِ يزيدَ فقالتْ : أخبريني عن قولِ كُثَيِّرٍ :

---

(١) الطلى : جمع طلية وهي العنق أو أصوله .

قَضَى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفَّى غريمَه
وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها

ما هذا الدَّيْنُ الّذي كُنتِ وعدته ؟ قالت : كنتُ وعدتُه قُبْلةً ، فلم أفِ له بها . فقالت : هلاّ أنجزتِها له وعليّ إثمها .

وقال عُقيلُ بنُ بلال : سمعتني أعرابيةٌ أنشد :

وكَمْ ليلةٍ قد بتُّها غيرَ آثم
بمهضومةِ الكَشْحَيْنِ ريَّانة القُلْبِ(١)

فقالت لي : هلاّ أثِمت أخزاك الله .

* * *

(١) القلب : السوار .

الباب التاسع

نَوادِرُ القُصَّاصِ *

قيلَ لأبي القُطوفِ وكان يُفتِي ويُحدِّثُ ويَقُصُّ وهو قاضي حرّان . ماترى في السّماعِ ؟ فقال : أما على الخَسْفِ (١) فلا . وقيل له : ماتقولُ في نبيذِ العَسلِ ؟ قال : لاتشرْبه . قيل : ولِمَ ؟ أحَرامٌ هو ؟ قال : بل هو نعمةٌ لاتقومُ بشكرِها .

وقيل لِطِرْبال : ماتقولُ في الإبطِ يُمَسّ ، أيُتوضأ منه ؟ قال : يابنْ أخٍ ، كما يكونُ الإبطُ يُغْتَسلُ منه .

وكان أبو سِنانٍ السَّدُوسيُّ يقولُ : فلانٌ عندي أكْفَرُ من رامَهُرْمُز .

(*) حافظ المؤلف على كلام القصاص على الرغم ما فيه من تخليط . والقصاص : مفردها : قاص ، وهو من يجلس في مسجد للوعظ .

(١) السماع على الخسف : على غير أكل .

وبكى حوله ولده وهو يريدُ مكّة فقال : لاتبكُوا ، بأبي أنتم . فإنّي أريدُ أن أضحّي عندكم .

قال أبو عثمانَ : وكان عندنا قاصٌّ يقال له : أبو موسى فأخذ يوماً في ذِكْرِ قِصَرِ أيّام الدّنيا وطُولِ أيّام الآخرةِ ، وتصغيرِ شأن الدنيا وتعظيمِ شأن الآخرة ، فقال : هذا الذي عاشَ خمسينَ سنةً لم يعشْ شيئا وعليهِ فضلُ سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : خمسٌ وعشرونُ سنة ليلٌ هو نائمٌ فيها ، لايعقلُ قليلاً ولاكثيراً ، وخمسُ سنين قائلةٌ(١) ، وعشرُون سنةً إمّا أن يكونَ صبياً ، وإمّا أن يكونَ معهُ سُكْرُ الشّبابِ وهو لايعقلُ ، ولابدَّ من صُبحةٍ بالغداةِ ، ونَعْسَةٍ بين المغربِ والعشاء ، وينالُه فيها كالغَشْيِ الذي يصيبُ الإنسانَ مرارا في دهره ، فإذا حصّلْنا ذلك فقد صحَّ الذي عاش خمسين سنة لم يعشْ شيئاً وعليه فضلُ سنتين .

قرأ سيفويه القاصُّ : « ثُمَّ في سِلْسلةٍ ذرَعُها

---

(١) قال : نام وسط النهار .

تسعونَ ذراعاً » فقيل له : فإن اللهَ يقولُ : « سَبْعُون ذراعاً(١) » ، وقد زدت أنت عشرين ذراعا فقال : نعمْ هذه عشْرات ابُغا(٢) ووصيف(٣) ، فأمّا أنتم فيكفيكم شريطٌ بدانِق ونِصْفٍ .

سأل واحدٌ سيفويهِ عن حِفْظِه القرآنَ فقال : أحفظُه آيةً آيةً ، قيل له : فما أوّلُ الدُّخانِ ؟ قال : الحَطَبُ الرَّطْبُ .

وكان أبو كعبٍ القاصُّ يقول في دعائه : اللّهمَّ صلِّ على جبريلَ ، واغفرْ لأمنا عائشةَ ، وعافني من وجعِ البَطْنِ .

كان أبو عقيلٍ القاصُ يقول : الرَّعْدُ مَلَكٌ أصغرُ من نحْلةٍ وأعظمُ من زُنبور . فقالوا : لعلّكَ

---

(١) الآية : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » سورة الحاقة : ٣٢ .

(٢) بغا الشرابي : قائد تمرد وطغى واستبد في الدولة العباسية قتل سنة ٢٥٤ هـ .

(٣) وصيف التركي أكبر أمراء الدولة في عهد المعز ، استصفى أمواله المعز ، وسجنه وقتل وصيف سنة ٢٥٣ .

تريدُ أصغرُ من زنبور وأعظمُ من نحلة . فقال : لو كان كذا لم يكن بعجبٍ .

وسأله رجلٌ وهو في الجامع عن مسألةٍ في الحيْضِ لم يعرفْها فقال : ويلك . خرّجْ هذه القاذورات من المسجدِ حتى نخرجَ .

وكان بعضهم يقول : اللّهم اغفر لنا كلّ نعمةٍ وحسنةٍ ، واحشُرني في جملة سيّدي أبي عبدِ اللهِ بنِ حنبلٍ ، ولا تغفرْ للرّافضةِ .

كان بعضهم يقولُ . يامعشرَ النّاسِ ، إنّ الشيطانَ إذا سمّى الإنسانُ على الطّعام والشّرابِ لم يأكلْ معه . وإذا لم يُسَمِّ أكلَ معه ، فكلوا خبزَ الأرْزِ والمالحِ ولاتسمّوا ليأكل معكم ، ثم اشربوا وسمّوا ليموت عطشاً.

حلَقَ بعضهم لحيتَه وقال : إنّها نبتت على المعصية .

وكان بعضُهم يحجّ عن حمزةَ ويقول : استُشْهد قبل أن حجّ ، ويضحّي عن أبي بكرٍ وعُمرَ يقولُ أخطأ السُّنّة في تركِ الأضحيةِ .

وقَيَّد آخرٌ إحدى عينيه وقال : النَّظر بهما إسرافٌ .

وكان بعضُ القصّاص يتشددُ في خَلْقِ القرآنِ ، فسُئِلَ عن معاويةَ : هل كان مخلوقاً ؟ فقال : كان إذا كتبَ الوحيَ غيرَ مخلوق ، وإذا لم يكتبْ كان مخلوقا .

قال بعض القُصَّاص يوما : ياقومُ ، هل علمتم أنّ الله قد ذكرَ الهَرِيسَة في القرآن لفضلها ؟ فقالوا : أين ذكرها ؟ فقال : اذْبَحُوا بَقَرَةً(١) « واضْرِبوهُ ببَعْضِها(٢) » ، « وفار التَّنُّور(٣) » : « ولتركَبُنَّ طبقاً عَنْ طبَق(٤) » .

سأل رجلٌ سيفَوَيهِ القاصَّ : ماالغِسْلِين(٥) في كتابِ الله تعالى ؟ فقال : على الخبيرِ سقطت . سألتُ عنهُ شيخاً من فقهاءِ الحجازِ مُنذ أكثرَ من ستين سنةً فقال : لا أدري .

---

(١) الآية : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » « سورة البقرة » : ٦٧ .

(٢) سورة البقرة : ٧٣ .

(٣) سورة هود : ٤٠ .

(٤) سورة الانشقاق : ١٩ .

(٥) في الآية : « ولاطعام إلا من غسلين » سورة الحاقة : ٣٦ .

وجاءت امرأةٌ إلى واحدٍ منهم فقالت : ياجعفرُ ، مريمُ بنتُ عِمرانَ كانت نبيّةً ؟ قال : لا يافاعلةُ . قالت له : فإيش كانتْ ؟ قال : كانت ملائكةً .

كان عبدُ الأعلى قاصاً : فقال يوماً : تزعمون أنّي مُراءٍ ، وكنتُ واللهِ أمسِ صائماً ، وقد صُمتُ اليومَ وماأخبرتُ بذلك أحداً .

ومرّ عبدُ الأعلى بقوم وهو يتمايل سُكراً فقال إنسان : هذا عبدُ الأعلى القاصُّ . فقال : ماأكثرَ من يُشَبِّهني بذلك الرّجلِ الصّالحِ !

قال قاصٌّ بالمدينةِ في قصَصَه : ودّ إبليسُ أن لكلِّ رجلٍ منكم خمسين ألفَ درهمٍ يطغى بها . فقال رجل من القوم : اللّهمّ أعطِ إبليسَ سُؤْله فينا .

حُكي عن شيخٍ منهمْ ببغداد كان يُعرفُ بختَنِ حمامةَ أنّه كان يقول : خلفاءُ اللهِ في الأرضِ ثلاثةٌ : آدمُ لقوله : « إنّي جاعلُك في الأرضِ خليفةً »(١)

---

(١) هكذا كتبت والآية : وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » سورة البقرة : ٣٠ .

وداودُ : « إنّا جَعَلْناكَ خَليفَةً في الأرضِ(١) »
وأبو بكر ، لقول الأمةِ : أيا خَليفَةَ رسولِ اللهِ .
والأمناءُ ثلاثةٌ : جبريلُ لأنّه تحمّل عن اللهِ ، ومحمدٌ
لأنّه بلّغَ الأمةَ ، ومعاويةُ لأنّه كتب الوحْيَ .

وبلغَ من عقلِه أنه رأى عَقْرباً في داره فقال لها :
يامشؤومة ، اخرجي لاتقتلْكِ أمّي .

وكان مولعاً بإطعامِ الكلابِ ويقول إذا أطعمها :
هؤلاءِ أولى من الرافِضةِ .

قال الأصمعي : اختصمتِ الطّفاوةُ وبنو راسبٍ
في صبيٍّ يدّعيهِ كلٌّ واحدٍ من الفريقين إلى ابنِ عرباضٍ ،
فقال : الحُكْمُ في هذا بَيِّنٌ . قالوا : وماهو ؟ قال :
يُلْقى الصَّبيُّ في الماءِ ، فإن طفا فهو طفاويّ ، وإن رسبَ
فهو راسبيّ .

كانت أمُّ عيّاشٍ تُحْسِنُ إلى سيفويهِ وتتعهّدُه ،
فكان إذا اجتمع إليه النّاسُ قال : يامعاشرَ المسلمينَ
اُدْعُوا الله لأمّ عيّاشٍ ، فإنها صديقتي . فبلغَ عيّاش

---

(١) سورة ص : ٢٦ .

فبعثَ إليه وقال : قد فضحتَني بهذا القول فأمْسِكْ عنه . فقال : سُبحانَ اللهَ ! لو أنّها معي في إزارٍ واحدٍ ما كنتَ تخافُ عليَّ .

قال أبو العَنْبَسِ : سمعتُ قاصّاً بالكوفة يقول في قصصه : تحت رأسِ وليّ الله في الجنّةِ سبعون ألفِ مخدّة ، والمخدّةُ سبعون ألف حجابٍ ، ما بين الحجاب والحجاب سبعون ألفِ عامٍ . قال : فقلتُ : فإن سقطَ من فوقِ تلك الفرشِ كيف يعملُ ؟ فقال : إلى النّار يا صفْعانُ .

قال بعضهم في قصصه : كان أبو جهلٍ خُوزيّاً (١) ، فقيل له : بلْ هو قرشيٌّ مخزوميٌّ ولكنّه كافرٌ . فقال : يتكلّمُ أحدُكم بما لا يعلم ، كلُّ كافرٍ خوريٌّ .

قال آخر في مجلسه : زعم قومٌ أني لا أحسنُ القرآنَ . وهل في القرآن أشرفُ من : « قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ » . وأنا أقرؤه مثلَ الماء ، وابتدأ وقرأ فلما بلغَ قوله : « ولَمْ

(١) الخوز : تطلق على خوزستان ، وأهلها مشهورون قديما بأنهم أسقط الناس نفساً .

يكن له » أرتج عليه فقال : من أراد أن يحضر ختمة السورة فليحضر يوم الجمعة .

دفع واحد قطعة إلى قاص وقال : ادع لي ولأبوي بالمغفرة ، فرفع القاص رأسه وقال : ثلاثة أنفس بقيراط ؟ واراخصاه !

قيل لبعضهم : في لحيتك هريسة (١) فقال : هذه من تلك الجمعة .

ومات عيسى بن حماد الطلحي وقد أوصى بأكثر من ثلث ماله ، فأجاز ذلك ولده وامرأته ، فأتوا أبا أسيد ليكتب بذلك كتابا ، فقال لهم : يا فتيان أمكم قد بلغت مبلغ النساء أم لا .

ومر بقوم يصيدون السمك ، فقال : يا فتيان ؛ مالح أو طري .

ودخل يوماً في الماء إلى كعبه فصاح : الغريق ، الغريق . فقيل له : ما دعاك إلى ذاك ؟ فقال : أخذت بالوثيقة .

(١) الدقيق المهروس جيداً أو المخلوط .

قيل لبعضهم : أيسرُّك أن اللهَ أدخلكَ الجنّةَ وأنتَ شاةٌ ؟ قال : نعمْ بشرط ألا يذهبُوا بي إلى التيّاس .

جاء رجلٌ إلى واحد منهم فقال : ما تقولُ في شُرب النّبيذ ؟ قال : لا يجوز. قال : فإن كان الرجلُ قد أكل المالحَ ؟ قال : قد رجعتْ مسألتك إلى الطّبِّ .

صلى سيفويه بقوم وسلّمَ عن يمينه ولم يسلّمْ عن يساره ، فقيل له في ذلك فقال : كان في ذلك الجانب إنسانٌ لا أكلِّمُه .

جلس أبو ضَمْضَم ينسُبُ قبائل العربِ فقال له بعضهم : يا أبا ضمضم : آدمُ من أبوه ؟ فحملَه استقباحُ الجهلُ عنده بشيء من الأنساب على أن قال : آدمُ بنُ المضاءِ بنِ الخليجِ وأمُّه ضُباعةُ بنُ قرْزام . فتضاحك القوم وثابَ إليه عقلُه فقال : إنّما نسبتُ أخاً لآدمَ من أمه .

رأى بعضُ أهل نيسابور جنازةً فقال : ربي وربُّك اللهُ لا إله إلاّ الله فسمعه آخرُ فقال : أخطأتَ . قل : اللّهمّ ألبسنا العافيةَ ، وتشاجرا فتحاكما إلى قاضٍ لهم فقال : لم يُصبْ واحد منكما . إذا رأيتمْ جنازةً فقولوا : سبحانَ من يسبِّحُ الرّعدُ بحمدِهِ والملائكةُ من خيفتِهِ .

كان عبدُ الأعلى القاصُ يتكلَّفُ لكلّ شيءٍ اشتقاقاً فقال : الكافرُ إنّما سُمّيَ كافراً لأنّه اكتفى وفرّ . قيل له : بماذا اكتفى ومن أيّ شيء فرّ ؟ قال : اكتفى بالشّيطانِ وفرّ من الله . وقال : سمّيَ الزّنديقُ زِنْديقاً لأنّه وَزَن فدقّق . وسمّيَ الباغمُ بلغماً لأنّه بلاءٌ وغمّ . وسمّي الدّرهمُ درهماً لأنه داءٌ وهمّ . وسمّي الدّينارُ ديناراً لأنّه دَينٌ ونار . وسمّيَ العُصْفُور عصفوراً لأنّه عصا وفرّ . وسمّي الطّفَيْشَلُ طَفَيْشَلاً لأنّه طفا وشال (١) . وسمي نوحٌ نوحاً لأنّه كان ينوحُ على قومه . وسُمّي المسيح مسيحاً لأنّه مسحَ الأرض .

جاء رجلٌ إلى بعضهم فقال : أفطرتُ يوماً من شهرِ رمضان ساهياً ، فما عليّ ؟ قال : تصومُ يوماً مكانه . قال : فصمتُ . فأتيتُ أهلي وقد عملوا حَيْساً (٢) ، فسبقتني يدي إليه فأكلتُ منه . قال : تقضي يوماً آخرَ . قال : فقضيتُ يوماً مكانه ، وأتيتُ أهلي وقد عملوا هريساً

(١) الطفيشل : نوع من الطعام أو المرق .

(٢) الحيس : طعام من التمر المعجون بالسمن .

فسبقتني يدّي إليه فأكلت منه فما ترى ؟ قال : أرى ألا تصومَ إلاّ ويدُك مغلولةٌ إلى عنقك .

ماتت أمُّ ابنِ عياشٍ فأتاه سيفويهِ معزّياً فقال : يا أبا محمدٌ ، عَظّمَ اللهُ مصيبتَك . فتبسّم ابن عيّاش وقال : قد فعل . فقال : يا أبا محمّد ؛ هل كان لأُمّك ولدٌ ؟ فقام ابنُ عيّاش عن مجلسِهِ وضحكَ حتّى استلقى على قفاه .

* * *

الباب العاشر

نَوادِرُ القُضاةِ لِمَنْ تَقَدَّمَ إليهم

اختصم رجلٌ وامرأةٌ إلى سوّار ، فقال الزّوجُ لسوّار : أصلحَ الله القاضي ، لو عرفتها لبصقْتَ في استِها . فقال سوّار : أُغْرُبْ ، عليك لعنةُ اللهِ .

قال بعضُهم : سمعتْ رجلاً جِيءَ به إلى التيميِّ القاضي ، فقال : يا معشرَ القاضي . كم يَجُرُّونَكَ إليَّ بحالٍ أنّهم واحدٌ وأنا ستّةٌ ، لا يجدون أحدا يظلمونَكَ إلاّ غيري .

اختصمَ رجلان إلى قاضٍ ، فدنا أحدهما منه وقال له سرّاً : قد وَجَّهْتُ للدّارِ فراريج كَسْكَرية (١) ، وحِنْطَةً بلدّيةً كذا وكذا . فقال القاضي بصوت عالٍ : كانتْ لك بينةٌ غائبةٌ انتظرناها ، ليس هذا مِمّا يُسارُّ به .

---

(١) نسبة إلى كسكر ، كورة واسعة قريبة من البصرية ، ينسب إليها نوع من الفراريج يكثر بها .

قال محمدُ بنُ رباحٍ القاضي : تقدم إليَّ قُثَمُ مع ابنِ أخيه ، فادَّعى عليه خمسةَ آلافِ دينارٍ فقال قُثَم : نعم له عليَّ ذلك من أيِّ وجهٍ . فقلتُ : قد أقررتَ له بالمال ، فإن شاءَ فسَّرَ الوجه ، وإن شاءَ لم يفسّر . فقال ابن أخيه : أشهدُ أنَّه بريءٌ منها إن لم أُثْبِتْها . فقلت : وأمّا أنتَ فقد أبرأته إلى أن تُثْبِتَ ذلك. فما رأيتُ أضعفَ منهما في الحُكْمِ .

قال بعضُ القضاةِ الحمْقى : قد عزمتُ على أن أخْصِيَ عَدْلين للشّهادةِ على النساءِ .

لما خرجَ المأمونُ إلى فَمِ الصِّلْحِ (١) لينقُل بورانَ بنتَ الحسَنِ ، إذا جماعةٌ على الشّطِّ وفيهم رجلٌ ينادي بأعلى صوته : يا أميرَ المؤمنين ؛ نعْمَ القاضي قاضي جَبُّل (٢) جزاه الله عنّا أفضلَ ما جزى أحداً من القضاة ؛ فهو العفيفُ النّظيف ، النّاصحُ الجيب ، المأمونُ الغيب .

---

(١) فم الصلح : نهر يستمد من دجلة ، ويمر بكورة تسمى الصلح بها منازل الحسن بن سهل .

(٢) بليدة بين النعمانية وواسط ، وبقاضيها يضرب المثل .

وكان يحيى بنُ أكثم يعرفُ قاضي جَبُّل وهو ولاّهُ وأشارَ به . وإذا هو القاضِي نفسُه ، فقال : يا أميرَ المؤمنينَ : إنّ هذا الذي ينادِي ويُثْني على القاضِي هو القاضي نفسُه . فاستضحكَ المأمونُ واستَطْرفهَ وأقرّهُ على القضاء .

وقد كان أهلُ جَبُّلَ رفعُوا عليه وذكروا أنّه سفيهٌ حَديدٌ يعَضُّ رؤوسَ الخصومِ فوقّعَ المأمونُ : يُشْنَقُ (١) إنه شاء الله .

جلسَ أبو ضَمْضَمٍ القاضي للحُكْمِ فلمحَ في مَجْلِسه رجلاً معه ألواحٌ يعلّقُ نوادرَه فرماهُ بالدّواة وشجّه ثمّ أمَرَ به إلى الحَبْسِ . فقال كاتبُه : ما أكتبُ قصّتَه في الدّيوان . قال : اكتبْ : استرَق السَّمْعَ فأتْبَعَهُ شهابٌ ثاقِبٌ .

اختصم إلى أبي ضَمضمٍ رجلان فأقرّ أحدهما لصاحبه بما ادّعاه عليه وقال : أعزَّ اللهُ القاضي . إنّي كلّما طلبتُه لأوفّيَه حقّه لا أجدُه فإنّه رجلٌ شرّيبٌ منهمكٌ في الشُّرْبِ أبداً عندَ أصحابه وأصدقائه ، وأنا رجل مُعْيِلٌ

---

(١) يشنق : يؤخذ من الشنق ، وهو الأرش .

أحتاجُ أن أكسبَ قوتَ عيالي ، ولا يتهيّأ لي أن أتعطّلَ عن كسبي وأدور في طلبه . فأمر أبو ضمضم بحبسِ صاحبِ الحقّ . وقال لغريمه : اذهبْ فاشتغلْ بطلبِ معاشكَ ومكسبكَ ، فإذا حضرَكَ ما تردّه عليه فاحملْه إلى الحبسِ حتّى لا تحتاج أن تدورَ في طلبه . فبقيَ الرّجلُ في الحبسِ ثمانين يوماً وصاحبُه يحمل إليه الشيءَ بعد الشيءِ إلى أن بقيَ له عشرةُ دراهمَ فأرسلَ إلى القاضي وقال : إن رأيتَ أن تفرجَ عنّي فلم يبق لي على غريمي إلاّ عشرةُ دراهم فقال : لا واللهِ لا تبرحُ حتّى تأخذَ حقّكَ !

غابَ رجلٌ في بعض أسفاره ، وطالتْ غيبتُه فأُرجِفَ به وبموته ، وأتى على ذلك مدّةٌ ، وبلغَ قاضيَ البلدِ جمالُ امرأته فخطبها وتزوّجها فصار إليه أهلُ بيتِ زوجِها وبنو أعمامِه وقالوا : أعزَّ اللهُ القاضي . لم يصحَّ عندنا موتُ هذا الرّجلِ ونحنُ في شكٍّ منه ، فكيف تتزوّجُ بامرأته ؟ فغضب القاضي وقال : أنتم تسخَرُون بالنّساء . والله ما يغيبُ أحدُكم إلاّ تزوّجت بامرأته .

تقدّم رجلان إلى قاضٍ وادّعى أحدهما على صاحبه درهماً من ثمن رَيْحانٍ اشتراه فأنكر واستحلفه فقال القاضي : قل : والله الّذي لا إله إلاّ هو . فقال الرّجل : أصلحَكَ اللهُ ليست هذه يمينَ أصحابِ الرّياحين . قال القاضي : وما يمينهم ؟ قال : أن يقول أُمّه فاعلةٌ إن كان لهذا عليه شيءٌ . قال القاضي : ما أشكُّ في صِدْقِكَ ، وغَرِمَ الدّرهمَ مِنْ عِنده .

قال الأصمعيّ : اقيتُ قاضي سُبذان (١) فقلت : على من تقضي ؟ فقال على الضّعيفِ .

كان أبو السّكينة قاضياً للحجاجِ بنِ يوسفَ وكان طويلاً فقال يوماً : بلغني أنّ الطّويلَ يكون فيه ثلاثُ خلالٍ لابدّ منها قال : قلت : ما هي ؟ قال : يَفْرَقُ من الكلابِ ولا واللهما خَلَقَ اللهُ دابةً أنا لَها أشدُّ فَرَقاً من الكلاب ، أو تكونُ في رجله قرحةٌ ولا والله ما فارقتْ رجلي قرحةٌ قط أو يكونُ أحمقَ وأنتم أعلمُ بقاضيكم .

---

(١) سبذان : بلدة على أربعة فراسخ من البصرة .

وولي عُكابة النميريُّ قضاءَ البحْرين فالتاث أهلُها عليه فركب فرسَه وأخذ رُمْحَهُ وقال : والله لا أقضي إلا هكذا من خالفني طعنتُه برمحي .

كان بالبصرة قاضٍ ، فاحتكم إليه حائكٌ في حمامة فأخذها ومسح عينها ثم أرسلها . فقال الحائكُ : ما فعلت أيها القاضي ؟ قال : تَذهبُ إلى بيت صاحبها .

وتقدّم إليه رجلانِ ومعهما امرأةٌ فقال أحدهما : أصلحكَ الله . هذه امرأتي تزوّجتُها على ستّين درهماً وهذا يدّعي أنّه يتزوّجُها على سبعينَ فقال القاضي : عليَّ بثمانينَ . فقالا : أصلحكَ اللهُ جئناك لتقضيَ بيننا ، لم نجئْكَ لتزايدنا . قال القاضي : فأنتما في شرىً وبيعٍ ، قُوما في لعنةِ الله .

تقدّم إلى قاضٍ اثنان فادّعى أحدهما على صاحبه ثلاثةَ أرباعِ دينارٍ . فقال القاضي : ما تقول ؟ قال له : عليَّ دينارٌ غيرَ ربعٍ ، ففكّرَ ساعةً ثم قال : أما تستحيان

في هذا القدر . إنّما بينكما ثُلثُ دينار ! قوما فاصطلحا فالصُّلحُ خيرٌ .

واختصم إليه رجلان في ديك ذبحه أحدهما فقال : ارتفعُوا إلى الأمير ، فإنّا لا نحكُم في الدّماءِ .

وعزلَ يحيى بنُ أكثَمَ قاضياً كان له على حمص من أهلها فلمّا قدم إليه رأى شيخاً وسيماً فقال له : من جالستَ يا شيخُ ؟ فقال : أبي . فظنّ أنَّ أباهُ من أهلِ العلمِ . قال : فمن جالسَ أبوك : قال : مكحولاً (١) قال : فمن جالس مكحول ؟ قال : سفيانَ الثّوري . قال : ما كان يقول أبوك في عذابِ القبر ؟ قال : كان يكرهه .

تزوّج بعضُ الخصيان في زمن شُرَيْحٍ بامرأة فأتت بولد فتبرأ الخصيّ منه وترافعا إلى شُرَيْح . فألحق

---

(١) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الولدَ به وألزمَه أن يحمله على عاتِقه فخرج على تلك الصورة واستقبله خصيٌّ آخر . فقال له : انجُ بنفسك فإنَّ شُوَيحاً يريدُ أن يفرّقَ أولادَ الزِّنى على الخصيانِ .

* * *

الباب الحادي عشر

نَوادِرُ لأصحابِ النِّساء والزُّناة والزَّواني

قال بعضُهم لأعرابيٍّ : هل يَطَأ أحدُكم عشيقتَه ؟ فقال : بأَبي أنت وأمّي ذاك طالبُ ولدٍ ليس ذاكَ بعاشقٍ .

سمعَ إسماعيلُ بنُ غزْوانَ قولَ اللهِ تباركَ وتعالى « قالتِ إمْرأةُ العزيز الآن حَصْحَصَ الحقُّ أنا راودْتُهُ عَنْ نفْسِهِ وَإنّهُ لمِن الصّادِقِين * ذلِك ليِعْلَم أني لم أخُنْه بالغيْبِ وَأنّ الله لايَهْدِي كيْدَ الخائِنين »(١) فقال : لا وَاللهِ إنْ سمعتُ بِأَغْزلَ مِنْ الفاسقةِ . ولما سَمِع بكثْرة مُراودتها ليوسفَ واستعصامِهِ بالله قال : أما والله لو بي محكت(٢) .

أشارَ ضيفٌ لقوم إلى بنتٍ لهم بقُبْلَةٍ وهي خلفَ الحياء ، فلما سمع الشّيخُ قولَ الجاريةِ : إنّي إذا الطويلةُ العنُقِ قال : وبيتِ الله لقد أشارَ إليها بقُبلةٍ .

(١) سورة يوسف : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) محك : لج في المنازعة .

أُتِي نوفلُ بابنِ أخيه وقد أحبلَ جاريةً لغيره فقال : ياعدوَّ الله ، هلاّ إذا ابتليتَ بالفاحشةِ عزَلْتَ . قال : بلغني أنَّ العزلَ مكْروه . قال : أفما بلغكَ أن الزِّنى حرامٌ .

جاء رجلٌ إلى عابدٍ فسأله عن القُبلة للصّايم ، فقال : تُكْرهُ للحدَثِ ، ولابأسَ بها للمُسِنّ ، وفي اللّيل لك فُسْحَةٌ . فقال : إنّ زوجَها يعودُ إلى منزله ليلاً فقال : يابنَ أخٍ ، هذا يُكره في شوّالَ أيضاً .

أخِذَ رجلٌ مع زنجيّة وكان قد أعطاها نصفَ درهمٍ ، فلمَّا أُتَي به إلى الوالي أمرَ بتجريدهِ وجعل يضربُه ويقول : ياعدوَّ اللهِ ، تزني بزنْجيَّة ! فلمَّا أكثر قال : أصلحكَ اللهُ ، فبنصفِ درهم إيشْ أجدُ ، ومَن يعطيني ؟ فضحكَ وخلاّه .

وجدَ شيخٌ مع زنجيّة في ليلة الجمعةِ في مَسجدٍ ، وقد نَوَّمَها على الجِنازةِ (١) فقيل له : قبَّحكَ الله ياشيخُ . فقال : إذا كنت أشتهي وأنا شيخٌ لاينفعني

(١) الجنازة — بكسر الجيم — السرير الذي يحمل عليه الميت .

شبابِكم ، قالوا : فزنجيّةٌ : قال : من يزوجني منكم بعربيّةٍ ؟ قالوا : ففي المسجدِ ! قال : مَن يُفرّغُ لي بيته منكم ساعةً ؟ قالوا : فعلى جنازةٍ ! قال : من يعطيني سريرَه . قالوا : فليلةَ جُمُعَةٍ قال : إن شئتمْ جئتكُم ليلةَ السَّبتِ فضحكوا منه وخلّوه .

وكان بعضُهم في مَجلسِ شُرْبٍ فيه مغنّياتٌ فقامت واحدة منهن فكانت مليحةً ، فوضعتِ الطبل وقعدتْ عليه ، فقال : ياإخوتي . ماكنتُ أحسبُ أنّي أحبُ يوماً ما أن أكون طبلاً حتى الساعة !

كان بشيرازَ رجلٌ وله زوجةٌ فاسدةٌ ، فنزلَ به ضيفٌ فأعطاها دراهمَ وقال لها : اشتري لنا رؤوساً نتغدّى بها ، فخرجت المرأةُ ولقيها حَريفٌ(١) فأدخلها إلى منزله وأحسَّ بهما الجيرانُ ، فرفعوهما إلى السّلطانِ . وضُرِبتْ المرأةُ وأركبتْ توراً ليُطَافَ بها في البلدِ فلمّا أبطأتْ على الرجل خرج في طلبها ، فرآها على تلك الحالِ فقال لها : ماهذا وَيْلَكِ ؟ قالت : لاشيء انصرفْ

(١) الحريف : المعامل في الحرفة ، والمقصود هنا القواد .

أنت إلى البيت فإنّما بقي صَفّان : صفُ العطارينَ وصفُ الصّيادلةِ ثم أشتري الرءوسَ وأجيئُكَ .

قال بعضهم : مررت ذات يوم بشارع السريّ بسرَّ مَنْ رَأى فرأيت امرأتي تمشي فظننتها من البادية ، فتعرضتْ لها وقلت : إلى أين يقصد الغزالُ ؟ فقالت لي : إلى مغزلها ياقليلَ المعرفةِ بأصحابه .

كان فُلان مفلساً فقال لامرأةٍ : أنا أحبُك . قالت : وما الدّليلُ على ذلك ؟ قال : تعطيني قفيزَ دقيقٍ حتى أعجنَه بدموعِ عيني . قالت : على أن تجيءَ بخبزه إلينا . قال : ياسيّدتي ، فأنتِ تريدين خبّازاً لاتريدين عاشقاً .

تزوج رجل بشيرازَ امرأةً فلما كان في اليومِ الخامس من زفافها وَلَدَتْ ابناً ، فقامَ الرّجل وصارَ إلى السّوق واشترى لوحاً ودواةً فقالوا له : ماهذا ؟ قال : من يُولَدُ في خمسةِ أيّام يذهبُ إلى الكُتّابِ في ثلاثةِ أيامٍ .

* * *

الباب الأوّل

(*) من الجزء الخامس من نثر الدر .

كَلامُ زيادٍ وَوَلَدِهِ (١)

قال : إن تأخيرَ جزاءِ المحسنِ لؤمٌ ، وتعجيلَ عقوبةِ المُسيءِ دناءةٌ . والتثبُّت في العُقوبةِ ربَّما أدَّى إلى سَلامةٍ منها ، وتأْخيرَ الإحسانِ رُبَّما أدَّى إلى ندمٍ لم يُمكِن صاحبه أن يتلافاهُ .

وقال زيادٌ لو أن لي ألفَ ألفِ درهم ، ولي بعيرٌ أجربُ لقمتُ عليه قيامَ رجل لا يملكُ غيرَهُ . ولو أن لي عشرةَ دراهمَ لا أملكُ غيرَها ، ولزمني حقٌ لوضعتُها فيه .

وقال لابنه : عليكَ بالحجابِ ، فإنما تَجرَّأتِ الرُّعاةُ على السباعِ بكثرةِ نظرِها إليها .

وخطبَ فقال : الأُمورُ جاريةٌ بأقدارِ الله ، والناسُ متصرِّفون بمشيئةِ اللهِ ؛ وهمْ بين مُتَسَخِّطٍ وراضٍ ،

(١) ولد زياد : هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، ولد بالبصرة سنة ٢٨ﻫ ، وتوفي سنة ٦٧ﻫ .

وكل يجري إلى أجلٍ وكتابٍ ، ويصيرُ إلى ثوابٍ أوْ عقابٍ . ألا رُبَّ مسرورٍ بنا لا نسرُّه ، وخائفٍ ضدَّنا لا نضُرُّه .

وكان في مجْلسه الذي يأْذنُ فيه الناسِ أربعةُ أسْطُر في نواحيه ، أولُها : الشِّدةُ في غير عُنفٍ ، واللينُ في غيْر ضَعْفٍ . والثاني : المُحْسِنُ يُجازَى بإحسانه ، والمسيءُ يكافأُ باساءته . والثالثُ : العَطِيّاتُ والأرزاقُ في إبّانها وأوقاتها . والرابعُ : لا احتجابَ عن صاحبِ ثَغْرٍ ولا طارقِ ليلٍ .

قدمَ رجلٌ خصْما إلى زياد في حقٍّ له علَيْه ، فقال : إن هذا يُدلُّ بخاصَّةٍ ذكرَ أنها له منكَ . فقال زيادٌ : صدَقَ . وسأُخبرُكَ بما ينفعه عندي منْ مودته إن يكُنِ الحقُّ له آخذُكَ به أخْذاً عنيفاً ، وإن يكُنِ الحقُّ لكَ عليه أقْضِي عليه ثُم أقْضي عنه .

وقال : ليس العاقلُ الذي يحتالُ للأَمْر إذا وقعَ ، ولكن العاقل الذي يحتالُ للأَمر ألاّ يقعَ فيه .

قالوا : قدم زيادٌ البصْرة (١) والياً لمعاويةَ والفسقُ بالبصْرةِ ظاهرٌ فاشٍ فخطبَ خطبةً بتْرَاءَ لم يحمدِ الله فيها. ويُقالُ : بلْ قال : الحمدُ لله على أفْضاله ، ونسألُه المزيدَ منْ نِعَمِه وإِكرامِه . اللهُمَّ كما زدْتنا نعَماً فألْهِمْنا شكراً . أما بعدُ :

فإن الجاهليةَ الجهْلاءَ ، والضلالةَ العمْياءَ والغَيَّ المُوفدَ لأَهله على النارِ ، ما فيه سفهاؤُكمْ ، ويشتملُ عليه حُلماؤكم ، من الأُمور العظامِ ، ينبتُ فيها الصغيرُ ، ولا يتحَاشى منْها الكبيرُ . كأنكم لم تقْرأوا كتابَ اللهِ ، ولم تسمعُوا ما أعدَّ اللهُ من الثوابِ الكريمِ لأَهلِ طاعته ، والعذابِ الأَليمِ لأَهلِ معْصيته في الزمنِ السرمديِّ الذي لا يزُولُ .

أتكونون كمنْ طرفتْ عينه الدُّنيا ، وسَدَّتْ مَسامعَه الشهواتُ ، واختارَ الفانية على الباقيةِ ولا تذْكُرونَ أنكم أحْدثتُم في الإِسلامِ الحدَثَ الذي لم تُسْبقُوا إِليْه : مِنْ ترْككُمْ الضعيفَ يُقْهَرُ ، ويُؤخَذُ مالُه ،

(١) البصرة : بلد بالعراق ، وأحد موانيه .

ألم يكنْ منكم نُهاةٌ تمنعُ الغُواة عنْ دلَجِ الليلِ ، وغارةِ النهارِ ؟ قرَّبْتُم القرابةَ ، وباعدتُمُ الدِّينَ . تعتذرُون بغير العُذْرِ وتُغْضُون على المُختلسِ ، كلُّ امرىء منكم يذُبُّ عن سفيهه صَنيعَ مَنْ لا يخافُ عاقبةً ، ولا يرجوُ مَعاداً . ما أنتُم بالحُلماءِ ، ولقد اتَّبعتُم السُّفهاءَ ، فلم يزَلْ بهم ما ترَوْن من قيامِكم دونَهمُ ، حتى انتهكُوا حُرَمَ الإِسلام ، ثم أطرَقُوا وراءكم كُنُوساً في مَكانِسِ الرِّيَبَ . حَرُمَ عليَّ الطعامُ والشرابُ حتى أُسَوِّيَها بالأرضِ هدماً وإِحراقاً ، إِني رأيتُ آخر هذا الأمر لا يصلحُ إِلا بما صلُح به أوَّلُه : لينٌ في غير ضعيف ، وشدةٌ في غير عنْف . وإِني أُقسمُ بالله لآخُذنَّ الوليَّ بالمولَى ، والمقيمَ بالظاعنِ ، والمقبلَ بالمُدبر ، والصحيحَ منكم في نفسه بالسقيم حتى يَلْقَى الرجلُ منكم أخاه فيقول : « انجُ سعدٌ فقد هلكَ سُعَيد » (١) أو تستقيمَ لي قناتُكُم .

---

(١) أصل المثل : أنه كان لضبة بن أد ابنان : سعد وسعيد ، فخرجا يطلبان إبلا لهما ، فرجع سعد ، ولم يرجع سعيد فكان ضبة إذا رأى سواداً تحت الليل قال : سعد أم سعيد .

إنَّ كذبةَ المنبر بلقاءُ (١) مشهورةٌ ، فإذا تعلقتم عليَّ بكذبة فقد حلَّ لكم معصيتي . مَنْ نُقِبَ عليه منكم فأنا ضامنٌ لما ذهبَ منه ، فإيايَ ودَلجَ الليل ، فإنِّي لا أُوتَى بمُدلِج (٢) إلا سفكْتُ دمَه وقد أجّلتكُمْ في ذلك بقدر ما يأتي الخبرُ إلى الكوفة ، ويرجعُ إليكم . وإيايَ ودعوى الجاهلية (٣) ، فإنِّي لا أجدُ أحداً دَعَا بها إلاَّ قطعتُ لسانَهُ . وقد أحدَثْتُم أحداثاً لمْ تكن ، وقد أحْدثْنا لكلِّ ذنبٍ عقوبةً ؛ فمَنْ غرَّق قوماً غرَّقْناه ، ومن أحرْق على قومٍ أحْرَقناه ومَنْ نقَبَ على قوم بيتاً نقَبْنا عنْ قلبه ، ومَنْ نبَش قبراً دفنَّاه فيه حيّاً كفُّوا عني أيديكُم ، وألسنتكُم أكُفَّ عنكم يدي ولساني . ولا يظْهرْ منْ أحدكم خلافُ ما عليه عامّتكم إلاَّ ضربْتُ عُنُقَهُ . وقد كانت بيني وبيْن أقوام إِحَنٌ (٤) فجعلْتُ ذلك دَبْرَ أذُني ، وتحت قدمي ، فمنْ كانَ منكم

(١) بلقاء : البلق : السواد والبياض . والمعنى : واضحة و ظاهرة .
(٢) المدلج : من أدلج : سار أول الليل .
(٣) المراد هو التعصب الأعمى للقبيلة .
(٤) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

مُحْسناً فليزدَدْ إحساناً ، ومَنْ كان مُسيئاً فليرْتدعْ عن إساءته . إني لو علمتُ أن أحدَكُم قد قتلهُ السُّل من بُغْضي لم أكشفْ عنه قناعاً ، ولم أهتكْ له ستراً حتى يُبْديَ لي صفحتهُ ، فإذا فعلَ لمْ أُناظرْهُ فاستأنفُوا أمُوركُم ، وأعينُوا على أنفُسكم ، فرُب مُبْتئسٍ بقُدُومنا سيُسرُّ ، ومسرورٍ لقُدومنا سيبْتئسُ .

أيُّها الناسُ : إنَّا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادةً ، نسُوسُكم بسُلْطان الله الذي أعْطاناهُ ، ونذُودُ عنكم بفيْءِ الله الذي خوَّلنا . فلنا عليكم السمْعُ والطاعةُ فيما أحبَبْنا ، ولكم علينا العدْلُ فيما ولينا . فاستوْجبُوا عدْلنا وفيْئنا بمُناصحتِكُمْ لنا .

واعلموا أنِّي مهمَا قصَّرتُ عنه فلن أقصِّرَ عن ثلاثٍ : لستُ مُحْتجباً عن طالبِ حاجةٍ منكم ، ولو أتاني طارقاً بليلٍ ، ولا حابساً عطاءً ولا رزْقاً عن إبانه ، ولا مُجمِّراً (١) لكم بعثاً ؛ فادْعوا الله بالصلاح لأئمتكم ، فإنهم ساستُكُم المؤدِّبون ، وكهفُكُم الذي إليه تأْوُون .

---

(١) يقال : جمر الجيش أي حبسه .

ومتى صلحوا تصالحوا ، ولا تُشرِبوا قلوبَكُم بغضَهم فيشتدَّ لذلك غيظكُم ، ويطولُ لذلك حزْنكمُ ، ولا تُدْركُوا حاجتَكم مع أنه لو استُجيب لكم فيهم كان شراً لكم . أسألُ الله أنَّ يُعينَ كُلاًّ على كُلٍّ .

وإذا رأيتُموني أُنفذُ فيكم الأمرَ فأنفذُوه على أذْلاله(١) ، وأيمُ اللهِ إنّ لي فيكم لصَرْعى كثيرةً فليحذرْ كلُّ امرئٍ أنْ يكون من صَرْعاي .

قال : فقام عبدُ الله بنُ الأهتم ، فقال : أشهدُ أيُّها الأميرُ لقد أُوتيتَ الحكمةَ وفصْلَ الخطابِ . فقال له : كذبْتَ . ذاكَ نبيُّ اللهِ داودُ صلى الله عليه وسلم .

فقامَ إليه الأحنفُ بنُ قيسْ ، فقال : إنما الثناءُ بعدَ البلاء ، والحمدُ بعد العطاء ، وإنا لا نُثني حتى نَبتلي ، ولا نَحمدُ حتى نُعطَى .

فقال زياد : صدَقْتَ .

قال : فقام أبوُ بلال يهمسُ وهو يقولُ : أنبأنا اللهُ — جل وعز — بغير ماقُلت . قال اللهُ تباركَ وتعالى :

---

(١) على أذلاله : أي على وجوهه وطرقه . وأذلال جمع ذل بالكسر .

« وَإِبْراهيمَ الذي وَفّى . ألاّ تَزِرُ وَازرة وِزْرَ أُخْرَى . وأن لَيْسَ لِلإنسانِ إلاّ ماسَعَى . وأنّ سَعْيَهُ سوف يُرَى . ثُمّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأوْفَى(١) » وأنت تزعُم أنك تأخُذُ الصحيحَ بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصي ، والمُقْبِلَ بالمُدْبِرِ .

قال زيادٌ لحاجبه : ياعجلانُ ، إنّي وليْتُكَ هذا البابَ ، وعزلْتُكَ عَن أربعةٍ : عزلتُكَ عن هذا المنادي إذا دَعَا للصلاةِ ، فلا سبيلَ لكَ عليه ، وعن طارقِ الليل ، فشرٌّ ماجاء به . ولو جاء بخير ماكنتَ من حاجبه . وعن رسولِ صاحبِ الثغرِ(٢) فإن إبطاءَ ساعةٍ يُفسدُ تدبيرَ سنة فأدخله عليّ وإن كنتُ في لِحَافي . وعن هذا الطباخِ إذا فرغَ من طعامه فإنه إذا أُعيدَ عليه التسخينُ فسَدَ .

وقال يُعجِبُني من الرجل إذا سيمَ خُطة الضيم أن يقول : لا بملءِ فيه وإذا أتى نادِيَ قومٍ علمَ أين ينبغي لمثله أن يجلسَ ، فجلسَ . وإذا ركب دابةً حمَاها على مايُحب ، ولم يتبعْها إلى ما يكرَهُ .

---

(١) سورة النجم من ٣٧ — ٤١ .

(٢) صاحب الثغر : قائد الجيش المواجه للعدو .

وكان حارثةُ بنُ بدر(١) الغُدانيُّ قد غلبَ على زياد — وكان الشرابُ قد غلب عليه(٢) — فقيل لزيادٍ : إن هذا قد غلبَ عليك وهو مُستهترٌ بالشرابِ فقال زياد : كيف باطّراح رجل هو يُسايرُني ؟ قد دخلتُ عليه العراقَ ، فلم يصكّ ركابي ركابَه وماراكبني قطّ فمسّتْ رُكبتي ركبتَه ولاتقدمني فنظرتُ إلى قفاه ، ولاتأخّر عنّي فلويتُ عُنقي إليه ، ولا أخذ عليّ الشمسَ في شتاءٍ قطّ ، ولا الرَّوْحَ في صيفٍ قطّ ، ولاسألتُه عن علمٍ إلا ظننتُه لم يُحسن غيرهَ .

فلما مات زياد جفاهُ عبيد الله ، فقال له حارثةُ : أيها الأميرُ . ماهذا الجَفاء . مع معرفتكَ بالحال عند أبي المُغيرة ؟ فقال له عُبيدُ الله : إن أبا المغيرةِ كان قد برع بُروعاً لايلحقُه معَهُ عيبٌ وأنا حَدَثٌ ، وإنما أُنسَبُ إلى مَن تغلّب عليّ ، وأنت رجلٌ تُديم الشرابَ ، فمتى

---

(١) حارثه بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها . وكان زياد مكرما له قابلا لرأيه فلما ولي عبيد الله بن زياد أخر حارثة بعض التأخير .

(٢) أي على حارثة بن بدر .

قرَّبتُك ، فظهرتْ رائحةُ الشرابِ مناك لم آمَنْ أن يُظَنَّ بي . فدعِ النبيذَ ، وكُنْ أولَ داخلٍ ، وآخرَ خارجٍ .

فقال له حارثةُ : أنا لاأدَعُه لمن يملكُ ضرِّي ونفعي . أفأدعُه للحال عندكَ ؟ قال : فاخترْ من عملي ماشئت . قال : تُولِّيني رامَهُرمز (١) فإنها أرضٌ عَذِيَة (٢) وسُرَّق(٣) وإنَّ بها شراباً وُصِفَ لي عنه . فولّاه إياه . وفيه قيل :

أحارِ بنُ بدرٍ قدْ وَليتَ ولايةً
فكُن جُرذاً فيها تَخُونُ وتَسرِقُ (٤)

• • •

(١) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

(٢) أرض عذية : العذاة : الأرض الطيبة البعيدة من الماء ، والوخم .

(٣) سرق : إحدى كور الأهواز .

(٤) قائل هذا البيت أبو الأسود الدؤلي من قصيدة يشيع بها حارثة ابن بدر . وحار : منادى مرخم .

الباب الثاني

كلامُ الحَجّاجِ (١)

خَطب فقال : أيُّها الناسُ . مَنْ أعْياه داؤُه فعنْدي دَواؤُه ، ومن استْبطأ أجلَه ، فعليَّ أنْ أعجِّله . ومَنْ ثَقُلَ عليه رأسُه وَضعتُ عنه ثِقلَه ، ومن استطال ماضي عمره قَصَّرْتُ عليه باقيَتَهُ .

إنّ للشيطانِ طيْفاً(٢) ، وللسُّلطان سَيْفاً ، فمن سَقمتْ سريرتَهُ صَحَّتْ عقوبتهُ ، ومَن وضعَه ذنبُه رفعهُ صَلبُه ، ومَن لم تسَعْهُ العافيةُ(٣) لم تضق عنه

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي . ولي الحجاز سنين ، ثم العراق ، وخراسان عشرين سنة ، وأقره الوليد على عمله بعد أبيه عبد الملك بن مروان . توفي في رمضان سنة ٩٥هـ عن خمسين سنة .

(٢) المراد بطيف الشيطان : المس من الشيطان ، وقولهم : طيف من الشيطان كقولهم : لمم من الشيطان .

(٣) العافية : السلامة .

الهلكةُ . ومن سبقتهُ بادرَةُ(١) فَمِهِ سَبقَ بدنَهُ بسفكِ دَمه .

إني أُنذرُ ثم لاأُنْظِرُ(٢) ، وأُحذّرُ ثم لا أُعْذِرُ ، وأتوعّد ثم لاأغْفِر إنمّا أفْسدكُم تَرْنيقُ(٣) ولاتكُم . ومَنْ استرخى لببُه(٤) ساء أدبُه .

وخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته : واللهِ مابقي من الدنيا إلا مثلُ مامَضى ، ولهُو أشبهُ به من الماء بالماء . والله ماأُحبُّ أنّ مامضى من الدنيا لي بعمامتي هذه .

وقال على المنبرِ يوماً : والله لألحونَّكم(٥) لحوَ العصَا ، ولأعصبنَّكُم عصبَ السَّلَمَةِ ، ولأضْربنَّكم

---

(١) بادرة فمه : البادرة ما يخرج من الفم من غير قصد في غضب أو غيره ، والمراد بسبق بدنه سفك دمه : سرعة قتله انتقاما منه .

(٢) نظره : تأنى عليه ، وأنظره : أخره .

(٣) الترنيق : كسر جناح الطائر من داء أو رمي حتى يسقط والمراد : الضعف في الأمر .

(٤) اللبب : ما ينشد في صدر الدابة أو الناقة ، ويكون للرحل والسرج يمنعهما من الاسترخاء .

(٥) لألحونكم : لحا العصا : قشرها .

ضربَ غَرائبِ الإبل(١) . ياأهلَ العراقِ ، ياأهلَ الشّقاقِ والنّفاقِ ، ومساوىء الأخلاقِ . إني سمعتُ لكم تكبيرا ليس بالتكبيرِ الذي يُراد به اللهُ في الترغيبِ ، ولكنّه التكبيرُ الذي يُراد به الترهيبُ . وقد عرفْنا أنها عجَاجةٌ تحتها قصْفٌ . أي بَني اللّكيعة(٢) ، وعبيدَ العصا ، وأبناءَ الإماء . إنما مَثَلي ومثلكم ماقال ابنُ برّاقة الهمدَاني(٣) :

وكنت إذا قومٌ غزوني غزوتُهم
فهل أنا في ذا يَالَ هَمدانَ ظالمُ ؟

متى تجمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً
وأنفاً حميّاً ، تجتنبْكَ المظالمُ

أما والله لاتقرعُ عَصاً عصاً إلا جعلتُها كأمسِ الذّاهب .

---

(١) غرائب الإبل : هذا مثل ضربه لنفسه مع رعيته يهددهم ؛ وذلك أن الإبل إذا وردت الماء فدخلت عليها غريبة من غيرها ، ضربت وطردت حتى تخرج عنها .

(٢) المراد وصفهم باللؤم .

(٣) هو عمرو بن براقة بن براق .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : رُبَّما سمعت الحجاجَ يذكرُ ماصنع به أهلُ العراق ، وما صنَع بهم ، فيقعُ في نفسي أنهم يظْلمُونه لبيانه ، وحسنِ تخلُّصه للحُجَج .

وخطبَ الحجاجُ مرةً فقال : اللهم أرِني الغَيَّ غيّاً فأجتنبَه ، وأرني الهُدى هدى فأتبعَه ، ولا تكلِنْي إلى نفْسي فأضلَّ ضلالا بعيدا .

قال مالكُ بنُ دينار : غدَوتُ إلى الجمعة ، فجلستُ قريباً من المنبر ، فصَعد الحجاجُ ثم قال : امرؤٌ زوَّر عملَهُ(١) ، وامرُؤٌ حاسب نفْسَه ، امرؤ فكَّر فيما يقرؤُه غدا في صَحيفته ، ويراه في ميزانه . امرُؤٌ كان عند قلبه زاجرٌ ، وعند همه آمرٌ ، آخذٌ بعنان قلبه كما يأخُذُ الرجلُ بخِطام جمَله ، فإن قادهُ إلى طاعةِ الله تَبِعَه ، وإن قادَهُ إلى معصيةِ الله كَفَّه .

وكان يقول : إنا والله ماخُلقنا للفناء ، وإنما خُلقنا للبقاء ، ولكنْ نُنقلُ من دارٍ إلى دار .

---

(١) زور عمله : حسنه .

وخطب يوما فقال : إن الله أمَرنا بطلبِ الآخرةِ ، وكفانا مؤونةَ الدنيا، فليتنا كُفينا مؤونةَ الآخرةِ ، وأمِرْنا بطلبِ الدنيا .

فقال الحسنُ : ضالةُ المؤمنِ خرجتْ من قلبِ المنافق .

وأهدى إلى عبد الملك(١) فرساً وبغلةً وكتب إليه : وجهتُ إلى أمير المؤمنين فرساً سَهْلَ الخدِّ ، حَسَنَ القدِّ ، يسبقُ الطَرْفَ ، ويستغرقُ الوصفَ . وبغلةً هواها زِمامُها وسوطُها .

وكان يقول : العفوُ عن المُقرِّ لا عن المُصرِّ .

وقال : الكوفةُ امرأةٌ حسناءُ عاطل(٢) ، والبصرةُ عجوزٌ درداءُ(٣) ، قد أُوتيتْ من كُلِّ شيء .

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد ، من أعظم الخلفاء ودهاتهم . استعمله معاوية على المدينة وسنه ١٦ سنة ، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ .

(٢) العاطل : الخالية من الزينة .

(٣) العجوز الدرداء : الدرداء : مؤنث أدرد ، والأدرد : رجل ليس في فمه سن .

وقال له بعضُ ولاة الحجاز : إن رأى الأميرُ أن يستهديني ما شاء فليَفعلْ .

قال : أستهديك بَغلةً على شَرْطى . قال : وما شَرْطُك ؟ قال : بغلةٌ قصيرٌ شعرُها ، طويلٌ عِنانُها ، همُّها أمامَها ، وسوطُها لجامُها ، تستبينُ فيها العلفةُ ، ولا تهزلها الركبةُ .

وقال يوماً لجلسائه : ما يُذهبُ الإعياء ؟ فقال بعضهم : التمرُ . وقال آخر : التمزُّحُ وقال آخر : النومُ . قال : لا ، ولكن قضاءُ الحاجة التي أعيْيا بسببها .

كتب الحجاجُ إلى قُتيبة : لا تهجِّنَنَّ بلاء أحد من جُندك وإن قلّ ؛ فإنك إذا فعلت ذلك لم يرغبْ أحدٌ منهم في حُسْن البلاء . وأعْط الذي يأْتيك بما تكره صادقا مثل الذي يأْتيك بما تحبُّ كاذبا ، فإنك إن لم تفعل غرُّوك ولم يأْتوك بالأمر على وجهه . واعلمْ أنه ليس لمكذوبٍ رأيٌ ، ولا في حسودٍ ، حيلةٌ .

وقال لكاتبه : لا تجعلنَّ مالي عند من لا أستطيع أخذه منه . قال : ومَنْ لا يستطيع الأميرُ أن يأخذه منه ؟ قال : المُفلس .

وكتب الوليدُ بن عبد الملك إليه يأمُرُه أن يكتب إليه بسيرته. فكتب إليه: إني قد أيقظتُ رأيي، وأنمتُ هواي، فأدنيتُ السيِّد المطاع في قومه، وولَّيتُ الحرب الحازم في أمره، وقلَّدتُ الخراج الموفِّر لأمانته، وقسمتُ لكلِّ خصمٍ من نفسي قسْماً أعطيه حظَّاً من نظري، ولطيف عنايتي، وصرفتُ السيف إلى النَّطف (١) المسيء والثواب إلى المُحسن البريء، فخاف المُريب صولة العقاب، وتمسَّك المحسنُ بحظّه من الثواب.

وقال: لأطلبنَّ الدنْيا طلب من لا يموتُ أبداً ولأُنْفِقَنَّها كمَنْ لا يعيش أبداً.

قال بعضُهمْ: رأيتُ الحجاج وعنبسة بن سعيد واقفَيْن على دجْلة. فأقبل الحجاجُ، وقال: يا عنبسةُ، إذا كنت في بلد يضعُفُ سلطانُه، فاخرجْ عنه، فإن ضعْف السلطان أضرُّ على الرعية من جُوْده.

وكان يقُول: خيرُ المعْروف ما نعشت به عثرات الكرام.

---

(١) النطف: العيب. يقال: هم أهل الريب والنطف: التلطخ بالعيب.

وضرب رجلاً فقال : اعتديت أيُّها الأميرُ . فقال : ((فلا عُدْوان إلا على الظالمين)) (١) .

وقف رجلٌ له فقال : أصْلح اللهُ الأمير ، جنَى جنّان في الحيِّ ، فأُخذتُ بجريرته ، وأُسْقط عطائي . فقال : أمَا سمعت قول الشاعر :

جانيك مَن يَجْني عليك وقدْ
تُعْدي الصِّحاح مباركُ الجُرْبِ

ولرُبَّ مأْخوذٍ بذنبِ صديقِــــه
ونَجَا المُقارِفُ صاحِبُ الذَّنْبِ

فقال الرجلُ : كتابُ الله أولى ما اتُّبع . قال الله تعالى : ((مَعاذ اللهِ أُن نأْخُذ إلاّ مَنْ وجَدْنا متاعَنا عنده)) (٢) . فقال الحجاجُ : صدقت . وأمَر بردِّ عطائه .

وقيل له — وقد احتُضر — : ألا تَتُوبُ ؟ فقال : إن كنت مُسيئاً فليستْ هذه ساعة التّوبة ، وإن كنتُ مُحْسناً فليستْ ساعة الفزع .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٣ وأولها « فان انتهوا فلا .... »

(٢) سورة يوسف : ٧٩ وأولها : « قال معاذ الله » .

وقال على المنبر : اقدعوا هذه الأنفس فانها أسأل شيء إذا أعطيت ، وأعصى شيء إذا سُئلت . فرحم الله أمرأً جعل لنفسه خطاماً وزماماً ، فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وعطفها بزمامها من معصية الله ؛ فإني رأيت الصبر عن محارمه أيسر من الصبر على عذابه .

وكان يقول : إنّ أمرأً أتتْ عليه ساعةٌ من عُمُره لم يذكر ربَّه ، ولم يستغفرْ من ذنبه ، أو يفكرْ في معاده . لجديرٌ أنْ تطول حسرتُه يوم القيامة .

كان الحجاجُ إذا استغرب ضحكاً والى بين الاستغفارِ . وكان إذا صعد المنبر تلفَّع بمطرفه (١) ، ثم تكلَّم رويداً فلا يكادُ يُسمعُ منه ، ثم يتزيّدُ في الكلام حتى يُخرج يده من مطْرفه يزجرُ الزَّجرة فيقرعُ بها أقصى مَنْ في المسجد . وكان يُطْعِمُ في كلِّ يوم على ألفِ مائدةٍ ، على كل مائدة ثريدٌ وجنبٌ من شِواءٍ ، وسمكةٌ طريّةٌ . ويطافُ به في مِحَفّةٍ (٢) على تلك

(١) والمطرف : رداء من خز مربع ، ذو أعلام ، والمطرف من الثياب : ما جعل في طرفيه علمان .

(٢) المحفة بالكسر مركب من مراكب النساء كالهودج إلا أنها لا تقبب كالهودج .

الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرةٌ . ثم يقول : يأهل الشّامِ . كَسِّرُوا الخُبز (١) لئلا يُعاد عليكُم .

وكان له ساقيان : أحدُهما يسقي الماء والعسل ، والآخر يسقي اللَّبن .

يُروى عن محمد بن المُنتشِر الهمداني ، قال : دفع إليّ الحجاج « أزادْ مَرْد بن الهزبذِ » وأمرني أن أستخرج منه ، وأُغلِظ له . فلما انطلقتُ به قال لي : يا محمدُ . إن لك شرفاً ودينا ، وإني لا أُعْطي على القسْرِ شيئاً ، فاستأْدِني (٢) ، وارفُق بي . قال : ففعلت : قال : فأدّى إليّ في أُسبوع خمسْمائة ألف . قال : فبلغ ذلك الحجاج ، فأغضبَه ، وانتزعَه من يدي ، ودفعه إلى رجل كان يتولّى له العذاب ، فدقّ يديه برجليه ، ولم يعطهم شيئاً .

قال محمد بن المُنتشر : فإني لأَمُرُّ يوما في السوق إذا صائح بي : يا محمدْ . فالتفتُّ فإذا به معرُوضاً على

---

(١) كناية عن كثرة الطعام ووفرة الخيرات .

(٢) استأداه : طلب منه أداء ما عليه .

حمار ، مَوْثوق اليدين والرجلين فخِفْتُ الحجاج إن أتيتُه ، وتذممت (١) منه . فملتُ إليه فقال لي : إذاك وليت منّي ما ولي هؤلاء ، فَرفَقْت بي فأحسنت إلي ، وإنهم صنعوا بي ما ترى ، ولم أعْطِهم شيئا . وها هنا خمسمائة ألف عند فلان . فخذْها ، فهي لك .

قال : فقلت : ما كنتُ لآخذ منك على معروفٍ أجْراً ، ولا لأرْزأك على هذه الحالِ شيئاً .

قال : فأما إذ أبَيْتَ فاسمع أُحدِّثك : حدثني بعض أهل دينك عن نبيِّك صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا رضيَ اللهُ عن قوم أمطرهم المطرَ في وقته ، وجعلَ المال في سُمحائهم ، واستعملَ عليهم خيارَهم ، وإذا سَخِطَ الله على قوم استعملَ عليهم شِرارَهم ، وجعلَ المال عند بخلائهم ، وامطر المطرَ في غير حينه .

قال : فانصرفتُ ، فما وضعتُ ثوبي حتى أتاني رسولُ الحجاج يأمرني بالمسيرِ إليه . فألفيته جالساً على فرْشه . والسيفُ مُنْتَضى في يده . فقال لي : اُدْنُ .

---

(١) تذممت منه : أي استحييت منه ، واستنكفت .

فدنوتُ شيئاً ، ثم قال : اُدْنُ . فدنوتُ شيئا . ثم صاح الثالثة : اُدْنُ . لا أبالكَ ! ! فقلت : مابي إلى الدُّنوِّ من حاجة . وفي يد الأمير ماأرى . فأضحكَ الله سِنَّهُ ، وأغمدَ عني سيْفَه . فقال لي : اجلس . ماكان من حديث الخبيث ؟

فقلت له : أيُّها الأميرُ . والله ماغششتُك منذ استنصحتني ، ولا كذبتُك منذ استخبرْتني ، ولا خنتُك منذ ائتمنتَني . ثم حدّثتُه الحديث .

فلما صرتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده أعرضَ عنّي بوجهه ، وأومأَ إليَّ بيده . وقال : لاتُسَمِّه . ثم قال : إنَّ للخبيثِ نفساً ، وقد سمعَ الأحاديثَ ! !

* * *

الباب الثالث

كَلامُ الأحْنَف(١)

رأى مع رجل درهماً ، فقال : تحبُّه ؟ قال : نعم . أما إنه لاينفعكُ حتى تفارقَه .

قال : ماعرضتُ الإنصافُ على رجل فقبلَه إلا هِبْتُهُ ، ولا أباهُ إلا طمعتُ فيه .

وقال : لأَذىً تحكك في ناحية بيتي أحبُّ إليَّ من أيِّم رددتُ عنها كُفواً .

وقيل له : من السيِّدُ ؟ قال : الذليلُ في نفسه ، الأحمقُ في ماليه ، المعْنيُّ بأمر قومه ، الناظر للعامَّة .

وقال : رُبَّ رجلٍ لاتُملُّ فوائده وإنْ غاب ، وآخر لايسلمُ جليسُه وإنْ احْترس .

وقال : كلُّ ملك غَدَّار وكلّ دابَّة شرودٌ وكل امرأة خَؤوفٌ .

---

(١) الأحنف : هو الضحاك بن قيس بن معاوية يضرب به المثل في الحلم حتى قيل : « أحلم من الأحنف . » .

وقال : سهرتُ ليلةً في كلمة أرضي بها سُلطاني ، ولا أُسخطُ بِها ربيّ فما وجدتها .

وقيل له : ماالحلمُ ؟ قال : الرّضاءُ بالذّل .

وقيل لرجل : ليت طولَ حِلمنا عنك لايدعُو جهل غيرنا إليك .

وقال : أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكُم العار والنـــارَ .

وقال : وإياكَ والكسلَ والضجرَ ، فإنك إن كسلتَ لم تُؤدِّ حقاً ، وإن ضَجِرت لم تصبرْ على حقّ .

وذكرَ رجلا فقال : لايحقر ضعيفاً ، ولا يحسدُ شريفاً.

وقال : الشريفُ مَن عُدّت سقطاتُه .

وقيل له : مااللؤمُ ؟ قال : الاستعصاءُ على الملهوف(١) .
قيل : فما الجود ؟ قال : الاحتيالُ للمعروف .

وسمع رجلا يقول : مابتُّ البارحة من وَجَع ضرسٍ .

---

(١) الاستعصاء على الملهوف : يقصد التلكؤ في نجدة صاحب الحاجة .

وجعل يُكثر ، فقال له الأحنفُ : كم تكثرُ ! ! فوالله لقد ذهبتْ عيني منذ ثلاثين سنة ، فما قلتُ لأحد .

وقال : لستُ بحليم ولكني أتحالم .

وقال يومَ قُتل مُصْعَبْ : انظروا إلى المُصْعَبِ ، على أي دَابـَّة يخرجُ ؟ فإن خرج على بِرْذَوْن(١) فهو يريد الموتَ ، وإن خرج على فرس فهو يريد الهربَ .

قال : فخرج على برذونٍ يجرُّ بَطْنَه .

وقال الأحنفُ : استميلُوا النِّساء بحسنِ الأخلاق وفُحْشِ النِّكَاح .

وقال : وجدتُ الحلمَ أنصرَ لي من الرِّجال .

وقال له رجلٌ : بِمَ سُدْتَ ؟ قال : بتَرْكي من أمرك مالا يَعنيني ، كما عَنَاكَ من أمري مالا يعنيكَ .

وقال : من حقِّ الصديق أن تُحتمل له ثلاثٌ : ظلمُ الغضب ، وظلمُ الدالّة ، وظلمُ الهَفْوةِ .

خطب معاويةُ مرة ، فقال : إن الله يقول في كتابه :

---

(٢) البرذون : تطلق هذه التسمية على غير العربي من الخيل .

« وإن مِّن شَيءٍ إلاَّ عندنا خزائنُه » (١) فعلامَ تلومونني إذا قصرتُ في أعطياتكم ؟

فقال الأحنفُ : فجعلته أنت في خزائنك ، وحُلْتَ بيننا وبينه ولم تُنزله إلا بقدرٍ مَعْلومٍ .

وقال : مانازعني أحدٌ قطُّ إلا أخذتُ عليه بأمورٍ ثلاثةٍ : إن كان فوقي عرفتُ له قدرَهُ . وإن كان دوني أكرمتُ نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلتُ عليه .

وقام بصفِّين ، فاشتد ، فقيل له : أينَ الحِلْمُ ياأبا بَحْرٍ ؟ قال : ذاك عند عُقْر الحيِّ(٢) .

وقال : لاتشاور الجائعَ حتى يشبعَ ، ولاالعطشانَ حتى يَرْوى ، ولا الأسيرَ حتى يُطلقَ ، ولا المضَلَّ حتى يجدَ ، ولا الراغبَ حتى ينجحَ .

وأتى مصعبَ بنَ الزبير(٣) يكلِّمه في قوم حبسهم ، فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إن كانوا حُبسُوا في باطل فالحقُّ يُخرجُهم وإن كانُوا حُبسوا في حقٍّ فالعفوُ يسعُهم ، فخلاهُم .

---

(١) سورة الحجر : ٢١ .

(٢) يقصد بقوله : عقر الحي وقت السلم لا وقت الحرب حيث يكون مقيماً بحيه وبلده .

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام ، وأخوه عبيد الله بن الزبير وأمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

وقال : السُّؤدَدُ ، مع السوادِ . يريد أن السيّدُ مَن أتتهُ السّيادةُ في حداثته وسَواد رأسه ولحيته .

وجلس على باب زياد ، فمرّتْ به ساقيةٌ ، فوضعت قربتها ، وقالت : ياشيخُ . احفظْ قربتي حتى أعود ، ومضتْ ، وأتاهُ الآذنْ(١) فقال : انهضْ . قال : لا ، فإن معي وديعةً . وأقام حتى جاءت .

وشتمه يوماً رجلٌ وألحَّ عليه فقال لهُ : يابنَ أمّي . هل لك في الغداء ؟ فإنك منذُ اليوم تَحْدُو بجَمَلٍ ثَفالٍ(٢).

وقال : كُنا نختلفُ إلى قيسِ بنِ عاصم(٣) في الحِلْم ، كما يُختلفُ إلى الفُقهاءِ في الفقه .

---

(١) الآذن : الحاجب .

(٣) جمل ثفال بفتح الثاء والثفال من الإبل البطيء الثقيل الذي لا يكاد ينبعث .

(٣) قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟! قال من قيس بن عاصم المنقري ، رأيته قاعدا بفناء داره ، محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه ، حتى أتي برجل مكتوف ورجل مقتول . فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ، فو الله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه فقال : يا ابن أخي ، أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : يا بني قم فوار أخاك ، وحل كتاف ابن عمك ، وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة .

وشتمه رجلٌ ، فسكت عنهُ ، فأعاد ، فسكت ، فقال الرجلُ : والهفاهُ . مايمنعهُ أن يردَّ عليَّ إلا هَواني عليه .

وقال الأحنفُ : مَن لم يصبر على كلمة سمعَ كلماتٍ ، ورُبَّ غيظٍ قد تجرَّعتُه مخافةَ مَا هُوَ أشدُّ منهُ .

وكان إذا أتاهُ إنسانٌ أوسعَ لهُ ، فان لم يجد موضعاً تحركَ ليريه أنه يوَسعُ له .

وقال : ماجلستُ قطُّ مجلساً . فخفتُ أن أقامَ عنهُ لغيري .

وكان يقولُ : إياك وصدرَ المجلس فإنه مجلسٌ قُلعةٌ(١) .

وقال : خيرُ الإخوان مَنْ إذا استغنيتَ عنه لم يزدْكَ في المودةِ ، وإن احتجتَ إليه لم يَنقصْكَ منها ، وإن كُوثرتَ عَضَّدَكَ ، وإن احتجتَ إلى معونته رَفَدَك .

وقال : العتابُ مفتاحُ التَّقالي ، والعتابُ خيرٌ من الحقد .

---

(١) مجلس قلعة : إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرة بعد مرة .

وكان يقول : ما تزالُ العربُ بخير ما لبستِ العمائمَ ، وتقلدتِ السيوف ولم تَعُدَّ الحِلْمَ ذُلاً ولا التواهبَ بينها ضعةً .

قوله : لبست العمائمَ ؛ يريد ما حافظتْ على زيِّها .

وقال : ما شاتمتُ أحداً منذُ كنتُ رجلاً ، ولا زحَمتْ رُكبتايَ ركبتيه ، وإذا لم أصل مُجتاديَّ حتى ينتح جبينه ، كما تنتح الحميتُ (١) ، فوالله ما وصلتُه .

وقال : إني لأُجالسُ الأحمقَ الساعةَ فأتبيَّنُ ذلك في عقلي .

وقال له معاويةُ : بلّغني عنك الثقةُ . فقال : إن الثقةَ لا يبلِّغُ .

وعُدَّت على الأحنف سقطةٌ ؛ وهو أن عمرو بن الأهتم (٢) دسَّ إليه رجلاً ليسفّهه . فقال : يا أبا بحر : مَن كان أبوك في قومه ؟ قال : كان من أوسطهم ،

---

(١) الحميت من كل شيء : المتين ، والحميت : وعاء السمن .

(٢) هو عمر بن سنان الأهتم التميمي المنقري ، ولقب أبوه بالأهتم لأن ثنيته هتمت يوم الكلاب . وكان عمرو هذا من عظماء بني تميم وساداتهم ، ومن شعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام وقد وفد على الرسول عليه السلام هو والزبرقان بن بدر وأسلما . وقد توفي عمرو سنة ٥٧هـ .

لم يسدْهم ولم يتخلف عنهم . فرجع إليه ثانيةً ، ففطِن الأحنفُ أنه من قِبل عمرو . فقال : ما كان مالُ أبيك ؟ قال : كانت له صِرمةٌ (١) يمنح منها ، ويقري (٢) ولم يكُن أهتَم سلاَّحا .

وسمع رجلاً يقول : التعلُّم في الصِّغر ، كالنَّقْشِ على الحجر . فقال الأحنفُ: الكبيرُ أكبرُ عقْلا ، ولكنه أشْغلُ قلْباً .

ولما قدمَ على عُمَرَ في وفْد أهْل البصره وأهل الكُوفة فقضَى حوائجهُم قالَ الأحْنفُ : إن أهل هذه الأمصار نزلُوا على مثل حدَقةِ البعيرِ ، من العيون العِذَابِ تأتيهم فواكهُهم لم تتغيرْ . وإنا نزلنا بأرض سبخة نشاشة (٣) ؛ طرَفٌ لها بالفلاة ، وطرفٌ بالبحر الأُجاج (٤)

---

(١) صرمة يمنح منها : الصرمة القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين .

(٢) قرى الضيف يقريه قرى بالكسر والقصر ، والفتح والمد : أضافه ، كاقتراه.

(٣) أرض سبخة نشاشة : لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ، والذي يقصده الأحنف بقوله « نزلنا سبخة نشاشة » : البصرة . أي نزازة تنز بالماء .

(٤) الأجاج : الملح المر .

يأْتينا ما يأْتينا في مثل مَرِيء النعـامة ، فإن لم ترفع خَسيستنا(١) بعطاءٍ تُفَضّلُنا به على سائر الأَمصار نَهلك.

قيل : لما أجمعَ معاويةُ على البيعة ليزيدَ جمع الخطباءَ فتكلموا — والأحنفُ ساكتٌ — فقال : يا أبا بحر . ما منعَك من الكلام ؟ قال : أنت أعلمُنا بيزيدَ ليلِه ونهارِه وسرِّه ، وعلانيتِه ؛ فإنْ كنتَ تعلمُ أن الخلافةَ خيرٌ لهُ فاستخلفْه وإن كنت تعلمُ أنها شرٌّ له فلا تُوَلِّه الدُّنيَا وأنت تذهبُ إلى الآخرة ؛ فإنما لك ما طابَ ، وعلينا أن نقُول : سمعنا وأطعنا .

وقال الأحنفُ : المروءةُ كلُّها إصلاحُ المالِ ، وبذلُه للحقوق .

* * *

(٣) ترفع خسيستنا : رفعت من خسيسته : إذا فعلت به أمراً يكون فيه رفعته .

البــاب الرابــع

كلامُ المُهلَّبِ وولَدِه (١)

قيل للمهلَّب : ما النُّبلُ ؟ قال : أن يخرجَ الرجلُ من منزله وحده ، ويعود في جماعة .

وقال : ما رأيتُ الرجال يضيقُ قلوبُها عند شيء كما تضيقُ عند السرِّ .

خطب يزيدُ بنُ المهلب بواسطٍ (٢) فقال : إنِّي قد أسمع قول الرَّعاع : قد جاء مسلمةُ وقد جاء العباسُ ، وقد جاء أهلُ الشام . وما أهلُ الشام إلا تسعةُ أسياف : سبعةٌ منها معي ، واثنان عليَّ . وأما مَسْلَمَةُ فجرادةٌ

(١) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي البصري . نشأ في دولة بني أمية ، ثم أمره مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه عبد الله بن الزبير ، ثم ولاه عبد الله خراسان ، وهو الذي قاتل الخوارج ، وكسر شوكتهم ، وقد توفي زمن ولاية الحجاج الثقفي سنة ٨٣هـ وأما أولاده فهم : المغيرة ، ويزيد ، وقبيصة ، وعبد الملك ، وحبيب ، ومحمد ، والمفضل ، ومدرك .

(٢) واسط : موضع بين البصرة والكوفة .

صفراءُ ، وأما العباسُ فنسطوسُ (١) بنُ نسطوس ، أتاكم في بَرابرة (٢) وصقالبة (٣) .

ومن كلام المهلّب : عجبتُ لمن يشتري المماليك بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعْرُوفه .

وقال يزيدُ بن المهلب لابنه مُخَلّد — حين ولاه جُرجَان : استظرفْ كاتبك ، واستعقلْ حاجبَك .

قال حبيبُ بن المهلب : ما رأيت رجلا مُستلئماً (٤) في الحرب إلا كان عندي رجُلين ، ولا رأيت حاسرين (٥) إلا كانا عندي واحداً .

---

(١) نسطوس : اسم رومي يشير إلى أصل العباس بن الوليد حيث كانت أمه رومية .

(٢) البرابرة : جمع بربري ، وهي تطلق في مصر على النوبيين أو البرابرة ، كما يعرفون عادة بهذا الاسم الآن . وموطنهم الوادي العلوي لنهر النيل من الجهات المجاورة لأسوان . وهم جنس خفيف الحركة ، نشط ، يتعلمون بسرعة اللغة العربية أو أية لغة . ودينهم الإسلام . والبرابرة جيل بالمغرب .

(٣) الصقالبه : هم جيل من الناس بين بلاد البلغار والقسطنطينية .

(٤) رجلا مستلئما : أي لابساً اللأمة ، وهي لباس الحرب .

(٥) الحاسر : من لا مغفر له ، ولا درع ، أو لا جنة له .

فسمع بعض أهل المعرفة هذا الكلام ، فقال : صدق : إن للسلاح فضيلةً . أمَا تراهم ينادون عند الصَّريخ : السِّلاح السلاح ، ولا ينادُون : الرِّجال ، الرجال .

قيل ليزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ؟ فقال : مَنزلي دار الإمَارة أو الحبس .

أغلظ رجلٌ للمهلب ، فحلم عنه ، فقيل له : جَهِل عليك وتحلُمُ عنه ؟ فقال : لم أعرف مسَاويَه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

قال يزيدُ بن المهلب : ما رأيتُ عاقلا ينوبُه أمرٌ إلا كان مقولُه على لَحْييه (١) .

وقيل له : إنك لتُلْقي نفسَك في المهالك. قال : إني لَسْتُ آتي الموت من حُبِّه ، وإنما آتيه من بغضه ، ثم تمثل :

تأخَّرْتُ أستَبْقي الحياة فلمْ أجِدْ
لنَفْسي حَياةً مثل أنْ أتَقَدَّمَا (٢)

---

(١) لحييه : اللحي : منبت اللحية . والمراد : بدا على وجهه ما يريد أن يقوله .

(٢) قائل البيت : هو الحصين بن الحمام من قصيدة مشهورة .

كتب المهلب إلى الحجاج لما ظفر بالأزارقة (١) :
الحمدُ لله الذي كفَى بالإسلام فقدُ ما سواه ، وجعل الحمد متصلا بنعَمه ، وقضى ألا ينقطع المزيدُ من فضله ، حتى ينقطع الشكرُ من عبَاده ثم إنا وعَدوّنا كنا على حالين مُختلفتين ؛ نرى فيهم ما يسرُّنا أكثر مما يسوءُنا ، ويرون فينا ما يسُوءُهم أكثر ممَا يسرُّهم . فلم يزل الله يكثّرُنا ويمحقُهم ، وينصرنا ويخذلُهم ، على اشتداد شوكتهم ؛ فقد كان عَلَنَ أمرُهم حتى ارتاعَت له الفتاة ، ونُوِّم به الرضيع ، فانتهزْتُ منهم الفرصة في وقت إمكانها ، وأدنَيْتُ السواد ، من السَّواد حتى تعارفَت الوُجوهُ . فلم نزلْ كذلك حتى بلغ بنا وبهم الكتابُ أجَله . ((فقُطِع دابرُ القوم الذين ظَلَموا والحمدُ لله ربِّ العالمين)) (٢) .

وقال المهلب لبنيه : يا بَنيَّ ؛ إذا غدا عليكم الرجل ، ولاح مُسلِّماً ، فكفَى بذلك تقاضياً .

---

(١) الأزارقة : إحدى فرق الخوارج ، وتنسب إلى نافع بن الأزرق .

(٢) سورة الأنعام : ٤٥ .

وقيل له : أيُّ المجالس خيرٌ ؟ قال : ما بَعُد فيه مَدى الطرْف ، وكَثُرتْ فيه فائدةُ الجَليس .

قال المهلبُ : العيش كلُّه في الجليس المُمتع .

وكتب إليه الحجاجُ : أما بعدُ . فإنك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رُسلي . فيرجعوا بعُذْرك ، وذلك أنك تُمسكُ حتى تبرأ الجراحُ ، وتُنسى القتْلى ، ويجُمَّ الناسُ ، ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثْل ما يحتملون منك من وحشة القَتْل ، وألمِ الجراح . ولو كُنت تلقاهُم بذلك الجد لكان الداءُ قدْ حُسم ، والقرنُ قد قُصِم . ولعَمْري ما أنت والقومُ سواءٌ ؛ لأن من ورائك رِجالاً ، وأمامَك أموالا . وليس للقوم إلا ما معهم ، ولا يُدركُ الوجيفُ (١) بالدبيب ولا الظفَر بالتعذير .

فكتب المهلب إليه : أما بعدُ . فإني لم أعطِ رسلَكَ على قول الحقّ أجراً ، ولم أحتجْ منهم مع المشاهدةِ إلى تلقين . ذكرت أني أجُمُّ القوم ، ولابدَّ من راحةٍ يستريح فيها الغالبُ ، ويحتال فيها المغلوبُ ،

---

(١) الوجيف : ضرب من سير الإبل والخيل ، وأوجف دابته إذا حثها .

وذكرت أنَّ في الجمام ما يُنسي القتلى ، ويُبرِئُ الجراح . وهيهات أنْ يُنسى ما بيننا وبينهم ؛ تأْبَى ذلك قتلى لم تُجبَر ، وقروح لم تُتقرف (١) . ونحن والقوم على حالة وهم يرقُبون منا حالاتٍ ، إن طمعُوا حاربوا ، وإن ملّوا وقفوا ، وإن يئسُوا انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، ونتحرز إذا وقفُوا ، ونطلب إذا هربوا ؛ فإنْ تركتني والرأي كان القِرن (٢) مفصُوما ، والداءُ – بإذن الله – محسُوماً ، وإن أعجلتني لم أُطعْك ، ولم أعصِ ، وجعلتُ وجهي إلى بابك وأنا أعوذ بالله من سَخط الله عزّ وجل ومقت النّاس !

* * *

(١) تقرفت القرحة : تقشرت .

(٢) كان القرن مفصوما : القرن من معانيه السيف أو النصل ، والجمع قرون وقران . مفصوماً : مقطوعاً .

البـــاب الخامس

كلام أبي مُسْلِمٍ (١)

قيل له : ماكان سبَبُ خروجِ الدولة عن بني أُميةَ ؟ فقال : ذلك لأنهم أبعدُوا أولياءهم ثقةً بهم ، وأدنَوْا أعداءهم تألُّفاً لهم ، فلم يصر العدوُّ بالدُّنو صَديقاً وصار الصديقُ بالبعاد عدُوّاً .

وقيل له في حداثته : إنا نراك تأرق كثيراً ، ولا تنام كأنك مُوَكلٌ برَعي الكوَاكب ، أو مُتوقّعٌ للوَحي من السماء . فقال : والله ماهو ذاك ، ولكن لي رأيٌ جوالٌ ، وغريزةٌ تامةٌ ، وذهنٌ صافٍ ، وهمةٌ بعيدةٌ ونفسٌ تتَوُقُ إلى معالي الأمور مع عيشٍ كعيش الهمَج والرّعاع ، وحَالٍ مُتناهية من الاتّضاع ، وإنّي لأرى بعضَ هذا مصيبةً لاتُجبرُ بسهر ، ولاتُتَلافى بأرقٍ .

قيل له : فما الذي يُبْرِدُ عَليك ، ويشفي أجَاج صدرك ؟ قال : الظفرُ بالمُلك .

---

(١) أبو مسلم الخراساني : أحد أعلام الفرس الخارجين على بني أمية ، والثائرين على حكمهم ، والممهدين لقيام دولة بني العباس سنة ١٣٣هـ قتله أبو العباس السفاح خوفا منه سنة ١٣٦هـ .

قيل له : فاطلبْ . قال : إن المُلك لايطلب إلا بركوب الأهوال . قيل : فاركب الأهوال : قال : هيهاتَ . العقلُ مانعٌ من ركوب الأهوال . قيل فما تصنع وأنت تبلَى حسرةً وتذوب كمداً ؟ قال : سأجعلُ من عقلي بعضه جهلاً ، وأحاول به خطراً ، لأنالَ بالجهل مالا يُنال إلا به . وأدبِّر بالعقل مالا يحفظ إلا بقوته ، وأعيش عيشاً يُبين مكان حياتي فيه من مكان موتي عليه ، فإنّ الخمولَ أخوُ العدم والشُّهرةَ أبو الكون .

قال رجلٌ من أهل العراق : أوصاني أبو مُسلم وآنسني ، ثم سألني ، فقال : أيُّ الأعراض أدنى ؟ فقلت : عِرْضُ بخيل . قال : كلاّ . رُبَّ بُخْلٍ لم يَكْلم عِرْضاً . قلت : فأيها أصلح الله الأمير ؟ قال : عرضٌ لمَ يرتع فيه حربٌ ولادمٌ .

قال أبو زيد : سمعت رؤبة (١) يقول : مارأيت أروى لأشعارنا من أبي مُسلم من رجل يرتضخ لُكْنةً .قال أبو زيد : وإذا قال رؤبة لرجل يرتضخ لكنة فهو من أفصح الناس .

* * *

(١) رؤبة بن العجاج المصري التيمي السعدي . كان هو وأخوه من المدونين في الرجز ، وكان عارفا باللغة ، وحشيها وغريبها . والروبة : جريرة اللبن ، والرؤبة بالهمزة : القطعة من الخشب يشعب بها الإناء، توفي سنة ١٤٨هـ .

الباب السادس

كلامُ جماعةٍ مِنَ الأمراءِ

خطب يوسفُ بنُ عُمر(١) ، فقال : اتقوا الله عبادَ الله . فكم من مُؤمِّلٍ أملاً لايبلغُهُ ، وجامعٍ مالاً يأكلُه ، ومانعٍ ماسوف يتركُه ، ولعلّه من باطلٍ جمعَهُ ، ومن حقٍّ منعه . أصابه حراما وورَّثه عدُوا ، واحتمل إصرُه(٢) ، وباءَ بوزرِه ، ووردَ على ربِّه آسفاً لاهفاً خسر الدُّنيا والآخرة « ذلك هُوَ الخسْران المبينُ » (٣).

صَعِدَ وَرْدُ بنُ حاتم المنبرَ ، فلما رآهم قد فتحُوا أسماعهم ، وشَقُّوا أبْصارهم نحوه قال : نكِّسوا رؤوسكم ، وغُضُّوا أبْصاركم ، فإن أوَّل مركبٍ صعبٌ ، وإذا يسّر اللهُ فتْحَ قُفْلٍ تَيسَّر .

---

(١) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ، وهو ابن عم الحجاج .

(٢) الإصر : العهد الثقيل . وأصل الإصر : الثقل والشد ؛ لأنها أثقل الأيمان وأضيقها مخرجا

(٣) سورة الحج : ١١ .

كان يوسفُ بنُ عُمر يقول : كان الحَجّاج الدُّخانَ وأنا اللهب ؟

قام خالدُ(١) بنُ عبد الله على المنبر بواسط خطيباً . فحمدَ الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى اللهُ عليه وسلم ثم قال : أيُّها الناسُ تنافسُوا في المكارم ، وسارعُوا إلى المغانم ، واشترُوا الحمدَ بالجُود ، ولاتكتسبُوا بالمَطْل ذماً ولاتعتدُّوا بالمعروف مالم تُعجِّلُوه ، ومهما يكُن لأحدكم عند أحد نعمةٌ فلم يبلُغ شكرَها فالله أحسنُ لها جزاءً وأجزلُ عليها عطاءً . واعلمُوا أن حوائجَ النّاس إليكُم نِعَمٌ من الله عليكُم ، فلا تملُّوا النِّعم فتتحولَ نقماً . وأعلمُوا أن أفضلَ المال ما أكسبَ أجراً ، وورَّث ذكراً ، ولو رأيتُم المعروف رجلاً رأيتموهُ حسناً جميلا يسرُّ الناظرين ويفُوقُ العالمين . ولو رأيتم البُخل رجلاً رأيتمُوه مُشوَّهاً قبيحاً تنفر عنهُ القلُوبُ وتغضِي عنهُ الأبصارُ . أيها الناسُ : إن أجودَ الناس من أعطى مَنْ لايرجُوهُ ، وأعظمَ الناس عفواً مَن عفا عن قُدرة ، وأوصلَ الناس من وصلَ من قطعهُ ومن لم

---

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري . ولاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩هـ ، وولي العراقين في عهد هشام بن عبد الملك.

يطبْ حرثُه لم يَزْكُ نبتُه . والأصولُ عن مغارسها تنمُو ، وبأصولها تسمو . أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكُم .

أراد رجلٌ أن يمدحَ رجلاً عند خالد بن عبد الله ، فقال : والله لقد دخلتُ إليه فرأيته أهدى الناس داراً وفرشاً وآلةً . فقال خالدٌ : لقد ذممتهُ من حيثُ أردت مدحهُ هذا والله حالُ من لم تدعْ فيه شهوتُهُ للمعروف فضلاً .

حدث بعضْهم قال : لما وَلِيَ أبُو بكر بنُ عبد الله المدينة وطال مُكثُهُ عليها كان يبلُغُهُ عن قوم من أهلها تناولٌ لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعافٌ من آخرين لهُم على ذلك ، فأمر أهل البُيوتات ووجوه الناس في يوم جُمعة أن يقربُوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجُمعة قال : « أيُّها الناسُ : إنِّي قائلٌ قولاً ، فمن وعاهُ وأداهُ فعلى الله جزاؤه ومن لم يعه فلا يَعْدَمَنَّ ذماً مهما قصرتُم عنْهُ من تفْصيله فان تعجزُوا عن تحصيله ، فارْعُوه أبصاركُم ، وأوعُوهُ أسماعكُم ، وأشْعرُوه قُلُوبكُم ، فالموعظةُ حيَاةٌ والمؤمنُون

إخْوةٌ . وعلى الله قصدُ السبيل . ولو شاء لهداكُم أجمعين(١) فأتوا الهدى تهتدوا . واجتنبوا الغيَّ ترشُدوا «(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)»(٢). والله جلَّ ثناؤه ، وتقدستْ أسماؤه أمركم بالجماعة ، ورضيَها لكم ، ونهاكم عن الفرقة ، وسخطها منكم «(اتقوا الله حق تُقاته ولاتموتنَّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتمْ أعداء فألّفَ بين قلوبكم فأصبحتُمْ بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حُفْرةٍ من النارِ فأنقذكمْ منها)»(٣) جعلنا اللهُ وإياكم ممن تتَبَّعَ رضوانه ، وتجنبَ سخطه ، فإنما نحن به وله .

إن الله بعثَ محمداً صلى الله عليه وسلم بالدِّين ، واختاره على العالمين ، واختار له أصحابا على الحقِّ ،

---

(١) يقتبس من الآية ٩ من سورة النحل « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين » .

(٢) سورة النور : ٣١ . واولها : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ... » .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣ .

ووزراءَ دونَ الخلق ، اختصهم به ، وانتخبهم له ، فصدَّقوه ، ونصروه ، وعَزروه(١) ، ووقروه ، فلم يُقدموا إلا بأمره ، ولم يُحْجِموا إلا عن رأيه ، وكانوا أعوانه بعهده ، وخلفاءه من بعده ، فوصفهم فأحسنَ صفتهم ، وذكرهم فأثنى عليهم ، فقال وقوله الحقُّ : «(محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداءُ على الكفارِ رُحَمَاءُ بينهم تراهم رُكَّعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فضلاً من اللهِ ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السُّجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرجَ شطأه فآزره فاستغلظَ فاستوى على سوقه يُعجبُ الزُّراعَ ليغيظَ بهم الكفارَ وعدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ منهم مَغْفِرَةً وأجراً عظيماً))» (٢) .

فمن غاظوه فقد كفرَ ، وخابَ ، وفجرَ ، وخسرَ ، وقال عز وجل : ((للفقراءِ المهاجرينِ الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغونَ فضلاً من الله وَرضواناً وينصرونَ اللهَ ورسولَه أولئك هُمُ الصادقون . والذين تبوءُوا

---

(١) عزروه : نصروه وقووه .

(٢) سورة الفتح : ٢٩ .

الدارَ والإيمانَ من قبلهم يحبُّون مَن هاجرَ إليهم ولا يجدونَ في صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويؤثرونَ على أنفسهم ولو كانَ بهم خصاصَةٌ ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأُولئك هُمُ المفلحون . والذينَ جاءُوا من بعدهم يقولون ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذين سبَقونا بالإيمان ولا تجعَلْ في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤُفٌ رحيمٌ)) (١)

فمن خالف شريطة الله عليه لهم ، وأمْرَه إياه فيهم ، فلا حقَّ له في الفيءِ ، ولا سَهمَ له في الإسلام في آيٍ كثيرةٍ من القرآن . فمَرَقتْ مارقةٌ من الدِّين وفارقوا المسلمين ، وجعلوهم عِضين (٢) وتشعّبوا أحزاباً أُشابات (٣) ، وأوشابا ، فخالفوا كتاب الله فيهم ، وثناءَه عليهم ، وآذوا رسولَ الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فيهم ، فخابوا ، وخسروا الدنيا والآخره ، ذلك هو الخسران المبين . ((أفمن كان على بيِّنة من ربّه كمَنْ زيِّن له سوءُ عَمله واتَّبعوا أهواءَهم)) (٤) .

---

(١) سورة الحشر : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) عضين : العضة — كعدة : الفرقة ، والقطعة ، والكذب .

(٣) أشابات : الأشابة — بالضم : الأخلاط ، ومن الكسب : ما خالطه الحرام .

(٤) سورة محمد : ١٤ .

وقال قتيبةُ : إِن الحريصَ يستعجلُ الذلة قبلَ إِدراكِ البُغيةِ .

أهدى عبيدُ الله بن السّدي إلى عبدِ الله بنِ طاهر لما وَلي مصرَ ، مائةَ وصيفٍ ، مع كلِّ وصيف ألفُ دينارٍ ، ووجهَ بذلك ليلاً . فردَّه ، وبَعَث إليه : لو قبلتُ هديتَك ليلا لقبلتُها نهاراً وما ((آتانيَ اللهُ خيرٌ مما آتاكم بلْ أنتم بهديتكم تفرَحُون)) (١) .

قال المأْمونُ لطاهرِ بنِ الحسين : صفْ لي عبدَ الله ابنَك . قال : إن مدَحتُه هجَنتُه ، وإن هجوتُه ظلمتُه . ولدَ الناسُ ابناً ، وولدت ابناً يُحسِن ما أُحسن ولا أُحسن ما يحسن .

ولىّ عبدُ الله بن طاهر رجلاً بريد ما وراء النهر ، فكتب إليه : إنَّ ها هنا قوماً من العرب قد تَعَصَّبُوا ، وتأَشَّبوا (٢) ، وأظنُّ أمرَهم سيرتقي إلى ما هو أغلظ منه .

---

(١) سورة النمل ٣٦ . وأولها « فما آتاني .. » .

(٢) تأشبوا : اجتمعوا واختلطوا .

فكتب إليه عبدُ الله : إنّما بُعِثْتَ للأخبار السابقةِ والحوادثِ الظّاهرَة لا للكهانة والتظنّي (١) .

قال عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر : لا ينقضي عَجبي من ثلاثة : إفلاتِ عبّاس بن عمرو من القرمطيّ ، وهُلْكِ أصحابه ، ووقوعِ الصغار ، وإفلاتِ أصحابه . وولاية ابني الجسريْن وأنا متعطّل" .

وقال محمدُ بن عبد الله بن طاهر لولده : عِفُّوا تشرُفوا ، واعشقوا تَظْرُفوا

وقال عُبيدُ الله بن عبد الله في علته : لم يبق علي من بأْس الزمانِ إلا العلةُ والخَلةُ (١) وأشدُّهما علي أهونُهما على الناس . ولأنَّ ألمَ جسمي بالأوجاع أهون عليَّ من ألم قلبي للحقّ المُضاع .

جرَى ذكرُ رجل في مجلس سَلم بنِ قُتيبة (٢) ،

---

(٣) التظني : إعمال الظن ، وهو اتهام الإنسان بلا دليل ، والكهانة القضاء بالغيب .

(١) الخلة : الحاجة والفقر ، والخصاصة .

(٢) سلم بن قتيبة : هو سلم بن قتيبة الباهلي الخرساني ، أبو عبد الله : ولي البصرة ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد ، ثم وليها في أيام أبي جعفر المنصور ، فكان من الموثوق بهم في الدولتين (الأموية والعباسية) وكان من عقلاء الأمراء ، عادلا حسنت سيرته ، ومات بالري .

فنال منه بعضهم ، فأقبل سَلمٌ فقال : يا هذا ؛ أوحَشْتَنا من نفسك ، وأيأستنا من مَودَّتِك ، ودَلَلْتَنا على عورتِك.

قال بعضهم : كنت عند يزيد بن حاتم بإفريقية ، وكنتُ به خاصّاً فعرضَ عليه تاجرٌ أدْراعاً ، فأكثر تَقليبها، ومزاولةَ صاحبها . فقلت له : أصلحَ الله الأمير . فعلامَ تلوم السُّوقَ ؟ فقال : ويحَك ! ! إنّي لست أشتري أدراعاً إنما أشتري أعماراً .

قال المأمون لطاهر بنِ الحسين : أشرْ عليّ بإنسان يكفيني أمرَ مصرَ والشّام . فقال له طاهرٌ : قد أصبته . قال : من هو ؟ قام : عبدُ الله ابني ، وخادمُك ، وعبدُك . قال : كيف شجاعتُه ؟ قال : معه ما هو خيرٌ من ذلك . قال له المأمون : وما هو ؟ قال : الحزمُ .

قال : فكيف سخاؤه ؟ قال : معه ما هو خيرٌ من ذلك . قال : وما هو ؟

قال : التنزُّه وخُلْفُ النفسِ .

مرضَ عبيدُ الله بنْ عبدِ الله بنِ طاهر ، فركبَ إليه الوزيرُ ، فلما انصرف عنه كتب إليه عبدُ الله :

ما أعرف أحداً جَزى العلّة خيراً غيري ، فإني جزيتُها الخيرَ ، وشكرتُ نعمتَها على ، إذ كانت إلى رُؤيتك مؤدِّيةً .

وكتب المأمونُ إلى طاهر يسألُه عن استقلالِ ابنه عبدِ الله .

فكتب طاهرٌ إليه : عبدُ الله — يا أميرَ المؤمنين — ابني . وإن مدحتُه ذممتُه وإن ذممتُه ظلمتُه . ولنعم الخلَفُ هو لأمير المؤمنين من عبده .

فكتبَ إليه المأمونُ : ما رضيتَ أنْ قرّظته في حياتك حتى أوصيتَنا به بعدَ وفاتك .

قال طاهرٌ : طولُ العمر ثائرٌ (١) مولاه لأنه لا يُخْليك من رؤية محبة في عدو .

قال الكلبيُّ : قال لي خالدُ بنُ عبد الله بن يزيد القسري : ما يُعدُّ السؤددُ فيكُم ؟ فقلتُ : أما في الجاهلية فالرِّياسةُ ، وأما في الإسلام فالولايةُ ، وخيرٌ من هذا وذاك التقوى .

---

(١) الثائر : من لا يبقي على شيء حتى يدرك ثأره . والمراد أن طول عمر الإنسان ينيح له التشفي من خصومه لما ينزل بهم من مكروه .

فقال لي : صدقتَ .

كان أبي يقولُ : لم يُدرك الأوّلُ الشرفَ إلا بالفعل ، ولا يُدركُ الآخِرُ إلا بما أدرك به الأوَّلُ .

قال : فقلت : صدقَ أبُوك . ساد الأحنفُ بحلمه ، وساد مالكُ بنُ مِسمع بمحبة العَشيرة له ، وساد قُتيبةُ بدهائه ، وسادَ المهلَّبْ بجميع هذه الخِلال .

فقال لي : صدقتَ . كان أبي يقولُ : خيرُ الناسِ للناس خيرُهُم لِنفسه . إنه إذا كان كذلك أبقى على نفسه من السرَق لئلا يُقطع ، ومِن القتْل لئلا يُقادَ ، ومِن الزِّنى لئلا يُحد ، فسَلِمَ الناسُ منه بإبقائِه على نفسِهِ .

قيل : وكان عَبدُ الله بنُ يزيدَ أبو خالد مِن عقلاء الرِّجال .

وقال له عبدُ الملك يوما : ما مالُكَ ؟ فقال : شيئان لا عَيْلةَ (١) عليّ معهما : الرِّضا عن الله عزّ وجل ، والغِنى عَن الناس .

---

(١) لا عيلة : العيلة : الفقر .

فلما نهض مِن بين يَدَيه قيل له : هلا خبرته بمقدار مالِكَ ؟

فقال : لم يَعْدُ أن يكونَ قليلاً فيَحقِرَني ، أو كثيراً فيحسُدني .

وقيل لنصرِ بنُ سيَّار (١) : إن فلاناً لا يكتُبُ . فقال : تلك الزَّمانةُ الخفيةُ (٢) .

وقال : لولا أن عمرَ بن هُبيرةَ كان بَدويّاً ما ضبَط أعمالَ العراق ، وهو لا يكتُبُ .

اعتذر رجلٌ إلى مُسلمِ بنِ قتيبةَ مِن أمرٍ بلغهُ عنه ، فعذرهُ ثم قال له : يا هذا : لا يحمِلنك الخروجُ مِن أمر تخلصْتَ منه على الدُّخول في أمرٍ لعلك لا تتخلصُ منه .

وقال مُسلمُ بنُ قتيبة : الشباب الصِّحةُ ، والسُّلْطانْ الغنى ، والمروءةُ الصبرُ على الرجال .

وقال خالدُ بنُ عبدِ الله القسْريّ : يُحمَدُ الجودُ

---

(١) هو نصر بن سيار بن أبي رافع بن ربيعة الليثي قلده هشام أمر خراسان .

(٢) الزمانة الخفية : الزمانة : العاهة ، والمراد العيب المستمر الذي لا برء منه .

مَالمْ يسْبقْه مَسْأَلةٌ ومالم يتْبعْه مَنٌّ ، ولم يُزْر به قُصُورٌ ، ووافق موضع الحاجة .

قال الرشيدُ لسعيد بن سَلْم : يا سعيدُ ، مَنْ بيتُ قيس في الجاهلية ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين . بنُو فَزارة . قال : فمَنْ بيْتُهم في الإسلام ؟

قال : يا أميرَ المؤمنين : الشريفُ من شرّفتُموه . قال : صدقتَ : أنْت وقومُك .

قال بعضهم : رأيتُ نصْرَ بنَ سَيّار(١) على المنبر بسَرْخس(٢) . وقد حسَر ذراعيه — وكان أشعرَ طويلَ الساعدَين — وهو يقول : اللهم إنك تعلمُ أن جعْفرَ بنَ محمد حدثني عن آبائه أن رسولَ اللّه — صلى اللّه عليه وسلم — قال : ما منْ أحد أنْعمَ على قوم نعمةً فكفرُوا نعمتَه ، فدعا الله عليهم إلا أُجيبتْ دعوته .

---

(١) نصر بن سيار : أحد ولاة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان نصر واليا على إقليم خراسان . وفي أيامه قام أبو مسلم الخراساني يدعوا لبني العباس ، فأرسل نصر إلى مروان يخبره بأمره في رسالة طويلة .

(٢) سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ، ومرو .

اللهم إنَّك تعلمُ أنيّ أحسَنْتُ إلى آلِ بسَّام فكفروا نعْمَي .

اللهمَّ افعل بهم . ودَعَا عليهم :

قال : فلم يَحُلِ الحولُ وعلى الأرض منهم عين تطرف(١) ، وكانوا سبعين رجلاً ، كلُّهم قد ركبَ الخيلَ

كان أبو هُبَيرة يقول : أعوذ بك من كلّ شيطان مُسْتَغْرِب وكل نبطيٍّ مُستعرِب .

خطب بلالُ بنُ أبي بُردَةَ بالبصرة ، فعرف أنهم قد استحسَنوا كلامَه . فقال : لا يمنعنَّكم أقبحُ ما تعلمون فينا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منا .

* * *

---

(١) كناية عن فنائهم .

الباب السابع

فضولُ الكتّابِ والوزراءِ وتوقيعاتٌ ونكتٌ من كلامِهِمْ ونوادرُهمْ

أمرَ المأمونُ أحمدَ بنَ يوسفَ(١) أن يكتبَ في الآفاق بتعليق المصابيح في المساجد في شهرْ رمضان . قال : فأخذتُ القرْطاس لأكتب ، فاستعْجم عليّ ، ففكّرْتُ طويلاً ، ثم غشيتْني نعْسة فقيل لي : اكتبْ : فإنّ في كثرة المصابيح إضاءةً للمتهجّدين ، وأنْساً للسّابلة (٢) ، ونفياً لمكامن الرِّيب ، وتنزيهاً لبيوت اللّه عن وحْشة الظُّلم .

أهدى سعيدُ بنُ حُميْدٍ إلى المأمون في يوم

---

(١) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم ، كاتب المأمون ، وكان عالي الطبقة في البلاغة . ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد .

(٢) السابلة : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم . والجمع السوابل .

مهرجان خوان جزع (١) ، واتخذ ميلاً من ذهب بقدر ، وحمله معه . وكتب إليه : قد أهديتُ إلى أمير المؤمنين خوانَ جزع ميلاً في ميل . فاستحسن ذلك وقبله .

وقّع جعفر بنُ يحيى(٢) في رُقعة مُتحرِّم به : هذا فتىً له حرمةُ الأمل ، فامتحنه بالعمل ؛ فإن كان كافيا فالسلطانُ له دوننا ، وإن لم يكن كافيا . فنحنُ له دونَ السُّلطان .

كتبَ أحمدُ بنُ يوسفَ إلى إسحاق الموصليّ(٣) — وقد زاره إبراهيمُ بنُ المهدي : عندي مَنْ أنا عندَه ، وحجتُنا عليك إعلامُنا إياك ذلك . قد آذنّاك .

---

(١) خوان جزع : يقصد مائدة مطلية باللون الأصفر ، أو مائدة ذات تقاسيم .

(٣) جعفر بن يحيى : هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، وزير هارون الرشيد . ولما قتله الرشيد رثاه الشعراء بقصائد كثيرة تدل على شدة حزنهم عليه ، وأملهم لديه . وكان قتله سنة ١٨٧ هـ .

(٣) إسحاق بن إبراهيم الموصلي : يكنى أبا محمد عالم أديب راوية للشعر بارع بالغناء والموسيقى .

فصل لأحمدَ بن يوسفَ .

أكثرُ من يلجأُ إلى الحيلةِ مَنْ عجز عن المبادأة والإصحار(١) ؛ وأكثر مَنْ يروم المنابذةَ مَنْ قصَّرَ عن لطيف الخُدَعِ ، وخَفيِّ الاستدراج . والقَصْدُ مؤدّ إلى الرشَد .

تأخر إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصلي عن إبراهيمَ ابن المهدي ، فكتب إليهِ : لا عذْر لكَ في التأخُّرَ عنِّي ؛ فإنِّي لا أخلو من حالَيْنِ : سَخط أمير المؤمنين عليَّ فهو لا يكرهُ أن يضرّني ، أو رضاه عَنِّي فهو لا يكْرَه أن يسرني .

أمرَ المأمونُ عمْرَو بن مسعدةَ أن يكتبَ كتابَ عناية ، ويوجز . فكتب : كتابي كتابُ واثق بمن كتبْتُ إليه ، مَعْنيّ بمن كتبت له ، ولنْ يضيع بين الثِّقةِ والعنايةِ موُصّله .

كتب أحمدُ بنْ يوسفَ إلى صديق له : كتبتُ إليك في الظُّهر تفاؤلاً بأنْ يُظهرَكَ اللهُ على مَنْ ناوأك ، ويجعلك ظهراً لمن وَلاك .

---

(٢) الأصحار : أصحر : دخل الصحراء .

كتب بعضُهم إلى رئيسٍ : تختمُ كُتُبَكَ لأنّها مَطايا البر ، ولا أختمها لأنها حوامل الشُّكر .

وقَّع جعفرُ بنُ يحيى إلى عاملٍ له : وأنْصِفْ من وَليت أمْرَهُ ، وإلا أنْصَفَهُ مِنْكَ مَنْ وَلِي أمرَك .

وقّع أحمدُ بنُ هشام في قصّةِ مُتظلمٍ : اكْفني أمْرَ هذا . وإلاّ كَفيْتهُ أمرَك .

استشهدَ ابنُ الفُرات(١) في أيام وزارتهِ عَليَّ بْن عيسى ، فلم يشْهَدْ لهُ ، وكتَبَ إليهِ لما عادَ إلى بيتهِ : لا تلُمنّي على نُكُوصي عن نُصْرتك بشَهادة زُور ، فإنّه لا اتّفاق على نفاق . ولا وفاءَ لذي مَيْنٍ (٢) واختلاق. وأحْرِ بمَنْ تعدّى الحقّ في مسرّتك إذا رضِيَ، أن يتعدّى إلى الباطل في مَساءَتك إذا غضِب . والسلام .

وَقّع إبراهيمُ ابنُ العباس(٣) في ظهرِ رُقعة : إذا

---

(١) ابن الفرات : هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن الفرات ، أبو العباس ، وزير من بيت فضل ورياسة ، ووزارة .

(٢) المين : الكذب .

(٣) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، وكان صول رجلا من الأتراك ففتح يزيد بن المهلب بلده ، وأسلم على يديه .

كان للمحسن من الحقِّ ما يقنعه ، وللمسيء من النكال ما يقمعه ، بذلَ المُحسنُ الحقَّ رغبةً وانقادَ المُسيءُ له رهبةً .

كتب القاسمُ بنُ عُبيدِ اللّه الكرْميّ إلى بعضِ الوُزراءِ : ولي فيما جدّدَ اللّهُ من هذه النعمةِ للوزيرِ منْ بلوغِ النهاية ، ما انتزعتهُ من كتابِ اللّه تعالى في قولِه : « (اليومَ أكملتُ لكم دينكُمْ وأتممْتُ عليكم نعمَتي) »(١) . وقد علمَ أنّ دينَ اللّهِ بعد نزولِ هذهِ الآيةِ لم يزلْ نامياً عالياً على كل دين ، وأنّه إنما ضرب بجِرانهِ وقهرَ الأممَ شرقاً وغربا بعد كمالِه .

وقع ذُو الرياستين(٢) إلى طاهرِ بْنِ الحسين : يا نصْفَ إنسان . واللّهِ لئنْ أمرتُ لأنفذنَّ ، ولئنْ أنفذتُ لأبرمنَّ ، ولئنْ أبرمتُ لأبلغنَّ .

فأجابَهُ : أنا — أعزك اللّه — كالأمَةِ السوداءِ ،

(١) سورة المائدة : ٣ . وأولها : « حرّمت عليكم الميتة .. » .

(٢) ذو الرياستين : لقب لقب به المأمون الفضل بن سهل . ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة التدبير . وعقد له المأمون على سنان ذي شعبتين .

إن حمل عليها دمْدَمتْ(١) وإن رُفِّه عنها أَشرتْ(٢) :
وإن عُوقبتْ فباستحقاق ، وإن عُفِيَ عنها فبإحسَان .

كتب إبْرَاهيم بنْ العباسِ إلى أهل حِمْصَ :
أمَّا بعدُ فإن أميرَ المؤمنين يرث مِنْ حَقِّ اللّهِ عليْهِ استعمالَ ثلاثٍ يُقدّمُ بعضُهنَّ على بعْض : الأولى تقديمُ تنبيهٍ وتوجيه ، ثم ما يستظهرُ به من تحذيرٍ وتخويف . ثم التي لا ينفعُ لحسْم الداءِ غيرها .

أناةٌ فإنْ لم تُغْنِ أعقبَ بعدَها
وَعِيداً فإنْ لم تُجْدِ أغنتْ عزائِمهُ

ويقالُ : إنَّ هذا أوّلُ كتاب صدَرَ عن خليفة من بني العباس وفيه شِعْرٌ .

وقيل : إن إبراهيمَ بنَ العباسِ لم يتعمَّدْ أنْ يقول شعراً ، ولكنّهُ لما رآه موزُوناً ترَكهُ .

---

(٢) دملمت : هلكت .

(٣) الأشر : البطر وكفر النعمة .

وَقَّعَ جوهرُ (١) مولى الفاطميين لما افتتحَ مصرَ في قصةٍ رَفَعها إليه أهلُها : سُوءُ الاحترامِ أوْقعَ بكم حُلُولَ الانتقامِ . وكفرُ الإنْعام أخرَّكُم من حفظ الذِّمام : فالواجبُ فيكم ترْكُ الإيجاب ، واللازمُ لكم ملازمة الاجتناب ؛ لأنكم بدأتُم فأسأتُم ، وعدْتُم فتعديتُم . فابتداؤكم ملوم ، وعوْدكم مذْموم ، وليس بينهما فُرْجةٌ تقتضي إلا الذمَّ لكم ، والإعراضُ عنكم ليرى أميرُ المؤمنين — صلواتُ اللّه عليه — رأيهُ فيكم .

كتب عليٌّ بن هشام إلى المَوْصليِّ : ما أدري كيف أصنع ؟ أغيب فأشتاقُ ، وألْقَى فلا أشتفي . ثم سيُحدِث لي اللِّقاءُ نوعاً من الحُرقة ، للوعة الفرقة .

كتب آخر : من العجبِ إذ كان مُعنَّى(٢) ، وحثٌّ متيقِّظٍ ، واستبطاءُ دائبٍ إلا أنَّ ذا الحاجة لا يَدَعُ أن يقولَ في حاجته .

---

(١) هو جوهر الصقلي القائد الذي أرسله المعز لدين الله الفاطمي لفتح مصر ، ففتحها ، وبنى القاهرة ، والجامع الأزهر ، وبعض القصور . وقد توفي بالقاهرة .

(٢) المعنى : المهموم .

كتبَ بعضُهم إلى ابن الزيات(١) : إن مما يطمعني في بقائنا عليكَ ويزيدني بصيرة في دوامها لك ، أنك أخذتَها بحقك ، واستدمتها بما فيك من أسبابها . ومن شأن الأجناس أن تتقاومَ ، والشيءُ يتقلقلُ إلى معدنه ، ويحنُّ إلى عنصره ، فإذا صادف منبتِه ركَن في مغرسه ، وضربَ بعِرقه ، وسمقَ بفرعه ، وتمكّن للإقامة ، وثبتَ ثبات الطبيعة .

آخر : إلى ابن خاقان (٢): رأيتُني فيما أتعاطَى من مَدحك كالمُخبِر عن ضوء النهار الباهر ، والقمرِ الزاهر ، الذي لا يخفى على ناظر ، وأيقنت أنّي حيث أنتهي من القول منسوبٌ إلى العجز ، مقصّرٌ عن الغاية ، فانصرفت عن الثناءِ عليك إلى الدُّعاءِ لكَ ، ووكلتُ الإخبار عنك إلى علم الناس بكَ .

---

(٣) ابن الزيات : هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات من أهل الأدب وقد كان وزيراً للمعتصم .

(٢) ابن خاقان : هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان الإشبيلي ، صاحب كتاب قلائد العقيان . وكلامه في كتبه يدل على غزارة فضله وسعة مادته وقد توفي سنة ٥٣٥ هـ بمدينة مراكش .

كتب الحسن(١) بن وهْب إلى صديق له يدعوه :

افتتحت الكتاب ـ جعلني الله فداك ـ والآلات معدةٌ ، والأوتار ناطقةٌ ، والكأس محثوثة ، والجوُّ صاف ، وحواشي الدهر رقاقٌ ، ومخايل السرور لائحةٌ ؛ ونسأل الله إتمام النِّعمة بتمام السلامة من شوْب العوائق ، وطروق الحوادث ، وأنت نظام شمْل السرور ، وكمال بهاء المجلس . فلا تخترمْ(٢) ما به ينتظم سروري وبهاء مجْلسي .

كاتب : قد أهديتُ لكَ مودّتي رغبةً ، ورضيت منك بقبولها مثوبةً ، وأنت بالقبول قاضٍ لحقٍّ ، ومالكٌ لرقٍّ .

كاتبٌ : كان لي أملان : أحدهما لكَ ، والآخر بكَ ، أما الأملُ لكَ فقدْ بلغته ، وأما الأملُ بكَ فأرجو أن يحقِّقَه اللهُ ويوشِكَهُ .

---

(١) هو الحسن بن وهب بن سعد ، شاعر كاتب مترسل فصيح أديب .

(٢) اخترمهم الدهر وتخرمهم : اقتطعهم واستأصلهم . والمراد : لا تحرمني طلعتك التي هي سبب سروري وزينة مجلسي .

آخر : ودّعتُ قلبي بتوديعك ، فهو يتصرّفُ بتصرفك ، وينصرفُ بِمُنْصَرَفِكَ .

آخر : قد كنتَ لنكباتِ الدهرِ مُستعدا ، ولغدَراته متحرّفا(١) ، فهل زاد على أنْ صدقَكَ عن نفسه ، وأتاكَ بما كنتَ عالماً أنه يأتيك؟ فكيف تجزعُ وأنت تعلمُ أنه ليسَ لما وقع مَرَدٌّ ولا لمّا ذَهَبُ مُرْتَجَعٌ ؟

تهنئة بابنْة : ربَّ مكروهٍ أعقبَ مَسَرَّةً ، ومحبةٍ أعقبت معَرَّةً ، وخالقُ المنفعةِ والمضرةِ أعلمُ بمواضعِ الخيرة .

آخر : إنه ليتربّصُ بكَ الدوائرَ ، ويتمنّى لكَ الغوائلَ(٢) ، ولا يؤمّل صلاحاً إلا بفساد حالك ، ولا رفعةً إلا بسقوط قدْرك .

فصل : حَسَرَ الدهرُ عن تجمُّلي قِناعَ القَناعَة ،

---

(١) أي صادا لغدرات الزمان . يقال : تحرف وحارفه بسوء : جازاه.

(٢) الغوائل : الدواهي ، والمفرد غائلة .

ولكنني – مع الظمأ عن دَنيِّ الموارد –نافرٌ ، ومع الفاقةِ بغنيِّ النفس مُكاثر .

فصل : من تهنئة بإملاك : وكيف يرتاع لهجومِ غُربةٍ ، أو يجاور توحُّش نُقلة مَن لم يقطعه اتصاله بي عنك ، ولا باعده انتقاله إليَّ منك ، فهو مخاطبٌ على البعد بألفاظكَ ، مرموقٌ بالمرَاعاة من ألحاظك ، غير نازح عما أَلِفَه من عَواطفِ الولادَة ، ورأفةِ التربيةِ ، وانبساط الأنسة ، والله يُسْعدها بمن سارتْ إليْه كما سرَّ بها من وفدتْ عليْه ، ويُريني من المحبَّة فيها مثلَ ما أرانيه من المحبة بها ، وكيف يُوصَى الناظرُ بنوره ، أم كيف يُحضُّ القلب على حفظِ سُروره .

وُجد في كتاب لجعفر بن يحيى أربعةُ أسطرٍ بالذهب : الرزقُ مقسومٌ ، والحريصُ محرومٌ ، والبخيلُ مذمومٌ ، والحسودُ مَغْمومٌ .

قال منصورُ بنُ زياد (١) الكاتبُ : للمعلّى بن

---

(١) منصور بن زياد الكاتب : أديب معاصر ليحيى بن خالد وكان على صلة طيبة به .

أيّوبَ : واللّه إنّي لأبذلُ ، وإني لأقدر وإني لأختارُ ، وإني لأستشيرُ ، وإني لأحبُّ مع طيب الخبرِ ، وحسن المنظرِ ، وإني لأعشقُ البهاءَ كما تتعشقُ المرآة الحسناءُ ، وإني مع ذلك لأدخُل دارك فأحقرُ كل شيء في داري . فما العلةُ ؟ قال : أو ما تعلمُ ؟ قال : لا . قال لأني أقدَمُ غنىً منك .

كان نقشُ محمدِ بنِ داودَ الجرَّاح(١) : من نمَّ إليك نمَّ عليك .

قال مسلمُ بنُ الوليدِ(٢) : سألتُ الفضلَ بنَ سهلٍ حاجةً . فقال : أشوقكَ اليومَ بالوعد ، وأحبوك غداً بالإنجاز ، فإني سمعتُ يحيى بنَ خالدٍ يقول : المواعيدُ شبكةٌ من شباك الكرامِ ، يصيدون بها محامدَ الأحرار ولو كان المعطِي لا يَعِدْ ، لارتفعت مفاخرُ إنجاز الوَعْد ، ونقَص فضلُ صِدْقِ المقالِ .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن داود الجراح ، ولد عام ٢٤٣هـ ، وتولى الوزارة للخليفة ابن المعتز وقد اشتهر بأدبه . ومات سنة ٢٩٦هـ .

(٢) مسلم بن الوليد : هو المعروف بصريع الغواني . وكان من أشعر شعراء العباسيين .

ووقع الفضلُ إلى تميمِ بنِ مخرمَةَ : الأمورُ بتمامها ، والأعمال بخواتيمها ، والصنائع باستدامتها ، وإلى الغايةِ ما يجْرى الجَوادُ ، فهنالك كشفتِ الخبرةُ قناعَ الشّكِ ، فحميد السابقَ ، وذمَّ السّاقطَ .

كان يحيى بنُ خالد : يقول لستَ ترى أحداً تكبّرَ في إمارة إلا وقد دَلّ على أن الّذي نالَ فوقَ قدرِه ، ولستَ ترى أحداً تواضعَ في الإمارة إلاّ وهو في نفسِه أكبرُ مما نالَ من سُلطانه .

احتاج يحيى في الحَبْس إلى شيء فقيل له : لو كتبتَ إلى صديقك فلانٍ فقال : دعُوه يكُنْ صَديقاً .

وحضرَ الفضلُ بنُ الربيع جنازةَ ابنِ حمدون بعْدَ نكبة البرامكة(١) ، فذكرَهم ، وأطراهم ، وقرّظهمَ ،

---

(١) البرامكة : إحدى الأسر الفارسية التي نشطت في الدولة العباسية ، وكان لها من أدبها ، وكرمها وحسن سياستها ما جعلها تحترف الوزارة لخلفاء العباسيين أول الأمر . الأمر الذي أوغر صدور الطامحين عليهم ، فوشوا بهم إلى هارون الرشيد فبطش بهم بطشته الكبرى وسجنهم ، وقتل بعضهم ، وصادر أموالهم . .

وقال : كنا نعتبُ عليهم ، فصرنا نتمنّاهمْ ونبكي عليهمْ ، ثم أنشد متمثّلاً .

عتبتُ على سَلْمٍ فلمّا فقدْتُه
وجرّبتُ أقواماً بكيتُ على سَلْمِ

قال الفضلُ بنُ سهل : رأيت جملةَ السَّخّاءِ حسنَ الظنِّ باللّه ، وجملةَ البخل سوءَ الظنِّ باللّه ، قال اللّه تعالى : «(الشّيْطان يَعِدُكمُ الفقْرَ)»(١) . وقالُ : (« وما أنفقتمْ من شيء فهوَ يخلفه)»(٢) . احتيجَ أن يُكتَب على المعتضد كتابٌ يشهدُ عليه فيه العدولُ ، فلما عرضتْ النسخةُ على عبيد اللّه بنِ سليمانَ(٣) ، وكان ابنُ ثوابةَ قد كتبها كما يكتبُ في الصّكاك(٤) « في صحةِ عقله ، وجوازِ أمْره له وعليه» فضربَ عليه عبيدُ اللّه وقال : هذا لا يجوز أنْ يقالَ للخليفةِ ، وكتبَ : « في سلامةٍ من جسْمه ، وأصالةٍ منْ رأيه » .

---

(١) سورة البقرة ٢٦٨ .

(٢) سورة سبأ ٣٩ . وأولها : « قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء » .

(٣) عبيد الله بن سليمان : هو أحد وزراء الموفق بن جعفر المتوكل العباسي .

(٤) الصكاك : جمع صك ، وهو الكتاب ، فارسي معرب .

قالَ الحسنُ بنُ سهلٍ : لا يكسدُ رئيسُ صناعةٍ إلاّ في شرِّ زمانٍ ، وأخسِّ سلطانٍ .

اعتلَّ ذو الرِّياستين بخُراسانَ مدةً طويلةً ثم أبَلَّ واستقلَّ(١) وجلس للناس فدخلُوا إليه وهنؤوه بالعافيةِ ، فأنصتَ لهمْ حتى تَقَضَّى كلامُهم ، ثم اندفعَ فقال : إنَّ في العِللِ نِعماً لا ينبغي للعقلاءِ أن يجهلُوها ، منها تمحيصٌ للذنبِ ، وتعريضٌ لثوابِ الصَّبْرِ ، وإيقاظٌ مِن الغفلةِ ، وإذكارٌ بالنعمةِ في حال الصحة ، واستدعاءٌ للتوبة ، وحضٌّ على الصَّدَقةِ ، وفي قضاء اللّهِ وقدره بعد الخيارُ . فانصرفَ الناس بكلامه ، ونسوا ما قال غيرُه .

كتبَ ابنُ الفراتِ عليُّ بن محمد ، ومحمدُ بنُ داودَ ، ومحمد بنُ عبدون رُقعةَ إلى العباسِ بنِ الحسنِ الوزيرِ يستزيدون فيها ، فوقَّع بخطٍّ على ظهرِها « ما حالُكُمْ حالُ مُستزَيدٍ ، ولا فوقَ ما أنا عليْهِ لكم مِن مزيد ، فإن تكن الاستزادةُ من مال فهُو موفورٌ عليكُم ، وإن تكُن من رأي فالاعمالُ لكُم ، ولي اسْمها ،

---

(١) استقل : يقال : استقل القوم : ذهبوا أو ارتحلوا .

وعليَّ عبثُها ، وثقلُ تدبيرِها وأقولُ لعليِّ بنِ محمد من بَيْنكمْ : ما يطيقُ نفسه تدلُّلاً واعتداداً أمِنْ بؤُسٍ كانت هذه الاستزادةُ أم من بطرِ النِّعمةِ ، ودلالِ التَّرفة ، ولي في أمْرِ جماعتِكم نظرٌ ينكشِفُ عن قريبٍ، حَسْبي ، وحسْبُكم اللّهُ ونعمَ الحسيبُ .

عتبَ أحمدُ بنُ خالد على أحمدَ بنِ هشام في أمر كان بينهُما فاعتذر إليه ، فقال ابنُ خالد : لا أقبلُ لكَ عُذراً حتّى آتي إليك . فقال : واللّه لئنْ فعلتَ لااستعَديتُ عليْك إلا ظُلْمَك ، ولا أطمعني فيك إلا بغْيُك .

قال الفضلُ بنُ يحيى لبعضِ المتحرِّمين(١) به : أعتذرُ إليك بصالح النيةِ ، وأحتجُّ عليك بغالبِ القَضاء .

وكتب إلى عاملٍ له : بئسَ الزادُ إلى المعاد العدوانُ على العباد .

وقال لرجلٍ استبْطأ عنْدَهُ الرشيدَ — وكان منْ آهل بيتْه — : إنّما شغلَ عنك أميرَ المؤمنين حُقوقُ أهل الطاعة دونك ، ولو قد فرغَ فيهمْ إليكَ لم يُؤثرْ مَن دونَك عليكَ . فقام أبوه يحيى ، فقبَّل رأسَه .

---

(١) المتحرم . الممتنع ، من تحرم بمعنى تمنع وتحمى .

كتب محمدُ بن عبد الملك إلى عبدِ اللّه بنِ طاهر : او لم يكن من فضلِ الشُكرِ إلا أنَّه يُرى بين نعمةٍ مقصورةٍ عليه أو زيادة مُنْتَظَرةٍ . فقال : عبدُ اللّه الكاتبه(١) : كيف ترى مَسْمعَ هاتين الكلمتين ؟ فقال : كأنهُما قُرطان بينهما وجْهٌ حَسَنٌ .

وقّع جعفرُ بنُ يحيى على ظهر كتاب لعليِّ بنِ عيسى : حبّبَ اللّه إليك الوفاءَ — يا أخي — فقد أبغضته ، وبغّضَ إليك الغَدْرِ فقد أحببته . إني نظرتُ في الأشياءِ لأجدَ فيها ما يُشبهُكَ . فلمَّا لمْ أجدْ رجعْتُ إليك فشبَّهتُك بك . ولقد بلغ من حسْن ظنك بالأيّام أن أمِنْتَ السّلامَة مع البغْي ، وليسَ هذا منْ عَادتِها .

قال يحيى بنُ خالد : ذُلُّ العَزْلِ يضْحَكُ مِنْ تيهِ الولايةِ .

وقال الفضلُ بنُ مروانَ : إنَّ الكاتِب مثلُ الدُّولاب إذا تعطَّل تكسَّرَ .

قال المأمونُ لأحمدَ بنِ يوسُف : إنَّ أصْحَاب

---

(١) هو محمد بن رباح .

الصَّدقاتِ تظلموا مِنْك ، فقال : يا أميرَ المؤْمنين واللّه ما رضِي أصحابُ الصدقاتِ عنْ رسول اللّهِ صلى اللّهُ عليْه وسلْمَ حتى أنزل اللهُ فيهم : «(ومنهمْ مَن يَلمزُك في الصَّدقاتِ فإن أعْطُوا منها رَضوا ، وإن لمْ يُعْطَوْامنها إذا همْ يَسْخطون)»(١)فكيف يرضوْن عنّي ؟ فاستْضحك المأمونُ ، وقال لهُ : تأمَّل أحْوالهُم ، وأحْسن النَّظرَ في أمرهمْ .

وَلّى الرشيدُ عاملاً خراجَ طسَاسيج(٢) السَّواد ، فقال بجعفرٍ ويحيْى : أوْصِياه . فقال جعفرٌ : وفّرْ واعْمُر . وقال يحيى : أنصِفْ وانتصف . وقال الرشيدُ يا هذا : أحْسِنْ واعْدلْ . ففضَّل الناسُ كلامَ الرَّشيد . فقيل لهما : لمَ نقصَ كلامُكما عن كلامه ؟ فقال جعفرٌ : لا يعتدُّ هذا نُقصانا إلا مَن لا يعرفَ ما لَنا وما عَلينا . إنما أمَرنْا بمَا عليْنا أن نأمرَ به ، وأميرُ المؤمنين بما له أن يأمرَ به ؟

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(١) الطساسيج : جمع طسوج – كسفود : الناحية .

قال رجلٌ ليحيى بن خالد —وكان مِن صنائعه— : إنّي سمعتُ الرشيدَ وقد خرجتَ من عنده يقولُ : قتلني اللّهُ إنْ لمْ أقتلْكَ ، فاحتلْ لنفسِكَ . فقال : اسكُتْ يا أخي ، إذا جاءَ الإدبارُ كان العطبُ في الحيلة(١).

أمرَ يحيى كاتبين من كُتّابه أن يكتُبا كتاباً في معنىً واحد ، فكتَبا ، واختصر أحدهُما ، وأطال الآخرُ ، فلمّا قرأ كتاب المختصِر ، قال : ما أجدُ موضع مزيدٍ . ثم قرأ كِتاب المطيلِ ، فقال : ما أجدُ موضِع نُقصان ؟

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيدِ اللّه ، فلما أبرَم(٢) قالَ : ما رأيتُ عُذْراً أشبَه باستِنان(٣) ذنبٍ من هذا .

قال بعضُهم لابنِ الزياتِ : أنا أمتُّ إليك بجِوارِي لكَ ، وأرغبُ في عَطفك . فقال : أمّا الجِوارُ فنسبٌ بين الحيطانِ ، وأمّا العَطفُ والرقةُ فهُما للصبيانِ والنساء.

---

(١) المراد : إذا كان الحظ غير موات ، والدنيا مولية ، فالحيلة لمنع ذلك قد تعجل الضرر ولا تدفعه .

(٢) أبرم : برم بالأمر : إذا سئمه فهو برم : ضجر .

(٣) سننت السنة واستننتها : سرتها . فهو يريد : أنه فعل الذنب ، وأغرى به ، وجعلها سنة لغيره .

وناظرَه رجل فصَالحهُ على مال ، فقال له : عجِّلْ به . فقال الرجلُ . . أظُلمٌ وتعجيلٌ ؟ قال : فصُلحٌ وتأْجيل ؟

قيل ليحيى بنِ خالد : غيِّر حاجِبَك . قال : فمَنْ يعرفُ إخواني القُدماءَ ؟

قال عُبيد الله بنُ عبد الله بنِ طاهر : أتاني كتابُ المعْتز (١) ، وكتابُ أحمدَ بنِ إسْرائيل (٢) . مَع رسول ، ومعهُ رأْس بُغا وفي الكُتُب أن أنصبَهُ عَلى الجانبين ، فلمْ أفعَل وكتبتُ إلى أحمدَ بن إسرائيل : قد أوجَبَ اللهُ عليَّ نُصحَ أمير المؤمنين من جهاتٍ : منها مَا تقتضيهِ الدِّيانةَ ، وتوجبُهُ الإمامةُ ، ومنْها اصطناعُ آبائه لخادميهم مِن أسْلافي ، ومنها اختصاصُه إيَّايَ بجميل رأيهِ ، ومَع هذا فلمْ أكُن لأُؤَخر عَنك رأياً مع ما أنا عليه من المناصَحةِ والشُّكر . وإنَّ الكُتُب وردت عليَّ بنصب رأسِ بُغا في الجانبيْن، وقد أخرْتُ ذلك حتّى يعودَ

---

(١) لما كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، قلد المعتز وزارته جعفر ابن محمود الجرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد بن إسرائيل .

(٢) بغا : أحد زعماء الأتراك الذين جلبهم الخليفة العباسي .

إليَّ الأمرُ بما أعملُ عليْه « وبغا » فقدْ علمْتُ أنَّه لم تُتَّهموا فيه ، وأخافُ أن تتبعكُم الأتراكُ عند أوَّل شَغْبة به ، ويطالبوكم بدمِه . ويجعلُوا ذلك ذريعةَ إلى إيقاع سُوءٍ ، وكان الصَّوابُ عندي أن يغسِله أميرُ المؤمنين ويُصلِّي عليْه . ويدفنه ويُظهر حزناً ، ويقول : ما أُحبُّ أن يصاب صغيرٌ منْكم ولا كبيرٌ ، وقد غمَّني أمرُ بُغا ولو وَصَل إليَّ لزدتُ في مرْتبتِه ، وما يُشبهُ هذا .

فوردَ عليَّ كتابُ أحمدَ بنِ إسرائيل يشكُر ما كان مني ويحلف أنَّهُ سبقني إلى هذا الرأْي ، واجتهدَ فيهِ فما أمكنه إلاَّ أن يفعلَ ما فعَل ، ولم يقبل قوله . وفي آخر كتابه : واعلمْ أنَّه قد حدثَ بعدَك ـ وهو مما لا نعرْفه نحنُ ، ولا أنت ـ رأيٌ للحُرَم والخدَم يُقبَل ويُعمَلُ عليه ، وهذا فتحٌ للخطأ وإغلاقٌ للصوَّاب فانصبِ الرأسَ قليلاً ، ثمَّ أنفِذهُ إلى خراسَان .

كُتِب إلى جعْفر بن يحيى أنَّ صاحبَ الطريق قد اشتطَّ فيما يطالبُ من الأموال ، فوقَّع جعفرٌ : هذا رجلٌ

منقطعٌ عن السلطان ، وبين ذُؤبانِ (١) العَرَبِ ، بحيثُ العددُ والعُدَّةُ ، والقلوبُ القاسيةُ ، والأُنوفُ الحميةُ ، فليُسْدَدْ من المال بما يَستصلحُ به من معه ليدفعَ به عدوَّه فإن نفقاتِ الحروبِ يُستَظهرُ لها ولا يُستظهرُ عليها (٢) .

وأكثرَ الناسُ شكيةَ عاملٍ فوقع إليه في قصَّتهم يا هذا قد كَثُرَ شاكُوكَ ، وقلَّ حامِدوكَ ، فإمَّا عدلتَ وإمّا اعتزلتَ .

وكان يقول : إن قدرتُم أن تكُون كتبُكُم كلُّها توْقيعاتٍ فافعلوا .

كتب الفضلُ بنُ سهل في كتابِ جوابِ ساعٍ : ونحن نرى أنَّ قبولَ السِّعاية شرٌ من السعاية ، لأنَ السعايةَ دلالةٌ ، والقبولَ إجازةٌ ، فاتقوا الساعيَ فإنَّهُ لو كان في سعَايته صادقاً لكان في صدقِه لئيماً ؛ إذْ لم يحفَظِ الحرمةَ ولم يستُرِ العورةَ .

* * *

(١) ذؤبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم .

(٢) لا يستظهر عليها : المعنى : يتعاون في دفعها بجمع نفقاتها من القادرين ، لا بالتساهل في جمع تلك النفقات ، الأمر الذي يؤدي إلى وقوع الكارثة .

الباب الثامن

نكتٌ مستحسنةٌ للقُضَاة

قال شُرَيْحٌ (١) : إنَّا لا نَعيبُ الشهودَ ، ولا نلقِّن الخصومَ ، ولم نُسلَّط على أشْعاركم وأبْشاركم ، إنما نَقْضِي بينكم ؛ فمن سَلَّم لقضائنا فَبِها ، ومَنْ لا ، أمَرْنا به إلى السِّجن .

كتب الفضلُ بن الربيع إلى عبدِ الله بن سوَّار (٢) يسأله أن يشتري له ضيعة. فكتب إليه : إن القضاء لا يُدَنَّسُ بالوَكالة.

قال الزُّهري (٣) : ثلاثٌ إذا كُن في القاضي فليسَ بقاضٍ : إذا كره اللَّوائمَ ، وأحبَّ المحامدَ ، وكَرِهَ العزْلَ .

---

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث الكندي ، ولي قضاء الكوفة لعمر رضي الله عنه ، فمن بعده خمساً وسبعين سنة ، ولم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين ، وكان له درجة في القضاء .

(٢) هو عبد الله بن سوار العبدي ، استشهد سنة ٢٦٠هـ .

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله الزهري ، أبو مصعب .

قال أيُّوب : إِن مِنْ أصحابي مَنْ أرجو دعوتَه ، ولا أجيز شهادَته .

وقال سَوار (١) : ما أعْلَم أحداً من أصحابي أفضلَ من عَطاء السُّلمي ، ولو شَهد عنْدي على فَلْسين ما أجَزْتُ شهادتَه يذهبُ إلى أنَّه ضعيفٌ ليس بالحازم .

وكان أبو هريرة (٢) لا يُجوِّز شهادةَ أصحاب الحمير .

وسُئل قتادةُ عن شهادةِ الصَّيرفيِّ . فقال : لا تَجوز شهادتُه .

وليَ عبيدُ الله بنُ أبي بكرةَ (٣) قضاءَ للبصرة فجعل يُحابي الناسَ . فقيل له في ذلك ، فقال : وما خيرُ رجل لا يقطعُ لأخيه مِن دينه ؟

قال شريح : الحِدَّةُ كنيةُ الجهل .

---

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار القاضي .

(٢) أحد رواة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الذين كانوا يحفظون السنة ويبلغونها الناس .

(٣) هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابنُ شُبْرُمة لرجل : أتشربُ النبيذَ ؟ قال : أشربُ الرِّطلين والثلاثة .

فقال : والله ما شربتَه شُربَ الفِتْيان ، ولا تركتَه تركَ القُرآن .

وقيل لهُ : لم تركتَ النبيذَ ؟ فقال إن كان حلالا فحظِّي تركتُ ، وإن كان حراماً فبالحزْم أخذتُ .

وسُئل شَريكٌ عَن النبيذ . فقال : قد شربَه قومٌ صالحون يُقتدَى بهم . فقيل : كَمْ أشربُ ؟ قال : مَالا يَشْرَبُك (١) .

لما ولي يحيى بنُ أكثم قضاءَ البصْرَة استصْغروا سنَّهُ ، فقال لهُ رجلٌ كمْ سنٌّ القاضِي أعزَّهُ الله ؟ فقال : سِنُّ عتَّاب بن أسِيْدٍ (٢) حين ولاَّهُ رسولُ اللهِ صلّى الله عليْهِ وسلم مكةَ ، فجعل جوابه احتجاجاً .

---

(١) المراد : مالا يذهب بوعيك وإدراكك .

(٢) عتاب بن أسيد : ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مكة وهو ابن خمسة وعشرين سنة .

ساوَم عُمَرُ بنُ الخطّاب أعرابيّاً بفرسٍ له فلمّا قامَتْ على ثمنٍ أخذها منهُ عمرُ على أنّهُ فيها بالخيار ، إن رضِي أمسَكَ ، وإن كره ردّ ، فحمَل عُمَرُ عليها رجلاً يُشوِّرُها (١) فوقعتْ في بئر فتكسّرتْ ، فقال الأعرابيُّ ضمنتَ فرسي يا أميرَ المؤمنين ، قال : كلاّ ، فإنّي لمْ أرْضَها . فقال الأعرابيُّ فاجْعل بيني وبينك رجُلاً من المسلمين . فجعلا بينهما شُريحاً ، فقصّا عليهِ القصّة ، فقالَ شريحُ ضمِنْت يا أميرَ المؤمنين فرسَ الرجُل ، لأنّك أخذتَها على شيءٍ معْلُوم ، فأنتَ لها ضامِنٌ حتى تردّها عليهِ ، فقبل ذلك عمرُ ، وبعثَ شُريحاً على قضاءِ الكوفة .

سئل الشّعْبيُّ عَنْ مَسْألة فقال : لا عِلمَ لي بها . فقيل : لا تستحِي ؟ قال : ولم أستَحِي ممّا لم يستحي منهُ الملائِكةُ حين قالت : «(لا علمَ لنا إلاّ ما علّمْتنا)» (٢) ؟

كان شريحٌ يقولُ : مَنْ سأل حاجةً فقد عَرض

---

(١) شار الدابةَ يشورها : راضها أو ركبها عند العرض على مشتريها .

(٢) سورة البقرة : ٣٢ . وأولها : « قالوا سبحانك » ..

نفسه على الرِّقّ فإنْ قضاها المسئولُ استعبدَهُ بها ، وإنْ ردَّه عنها رجع حُرّاً ، وهُمَا ذليلان : هذا بذُلِّ اللُّؤْم ، وذاك بذُلِّ الرَّدِّ

قال بكارُ بنُ محمد رأيتُ سَوَّار بنَ عبدِ اللهِ — وأراد أن يحكمَ فرفعَ رأسَهُ إلى السَّماء ، وترقْرقتْ عيناهُ ثمَّ حكم .

قيل للشعبيّ(١) : ما أحسنَ البراعةَ في الإماءِ ! فقال : تَوَرُّدُ ماءِ الحياءِ في وجه الحُرِّ أحسنْ .

دخل شُرَيْحٌ على بعض الأمراء ، فقال الأميرُ : يا جاريةُ : هاتي عوداً فجاءته بعُود يضربُ . فلما بَصُرَ به الأميرُ خَجِلَ ، وقال : نِعْم هذا ، أُخِذَ البارحةَ مع إنسان في الطَّوف . اكسروهُ . ثم صبر قليلاً ، وقال : يا جاريةُ . هاتِي عوداً للبُخور . فقال شُرَيح : أتخافُ أن تغلطَ مرَّة ثانيةً ؟؟

---

(١) الشعبي : هو أبو عامر بن شراحيل اليمني الكوفي ، تابعي جليل القدر ، وافر العلم . ولد سنة ٢١هـ تقريباً بالكوفة ، وكان عالما باللغة والسنة .

شهد رجلٌ من جلساءِ الحسنِ بشهادة عند إياسِ بنِ معاوية ، فردَّه ، فشكا الرجلُ ذلك إلى الحسن . فأتاه الحسنُ فقال : يا أبا واثلةَ ، لِمَ رددْتَ شهادةَ فلان ؟

فقال : يا أبا سعيد ؛ إن اللّهَ يقول «(مِمّن ترضوْن مِن الشهداء)»(١) وليس فلان مِمَّن أرضَى ؛

وشهد عند عُبيدِ اللّه بنِ الحسن رجلٌ من بني نهشلٍ على أمر ، فقال له : أتروْي قول الأسْود بن يعْفر(٢) :

* نام الخليُّ فما أُحِسُّ رُقادي *

فقال له الرجل : لا . فقال : تُردُّ شهادتُه . وقال : لو كان في هذا خيرٌ لروَى شرفَ أهلِه .

جاء رجلٌ إلى شُريح فكلَّمه بشيء ، وأخفاهُ .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ . وأول الآية : « يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ... » .

(٢) هو الأسود بن يعفر :

نام الخلي وما أحس رقادي والهم محتضر لدي وسادي

وهو شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية .

فلما قام قال له رجلٌ : يا أبا أميَّة ، ما قال لك ؟ قال : يا بنَ أخي . أو ما رأيته أسرَّهُ منك ؟

كان شُريح عند زياد — وهو مريض — فلمَّا خرجَ مِن عنده أرسل إليه مسروقُ بنُ الأجدع رسولا وقال : كيف تركتَ الأميرَ ؟ فقال : تركتُه يأمرُ وينهَى . قال مسروقٌ : إنه صاحبُ عَويص(١) ، فارجِعْ إليه وأسألْهُ : ما يأمر وما ينهى ؟

قال : يأمُر بالوصية وينهى عن النَّوْح .

ومات ابنٌ لشريح فلم يشعرْ بموته أحدٌ ، ولم تصرخْ عليه صارخةٌ ، فقيل له : يا أبا أميّة ، كيف أمسى ابنُك ؟ قال : سكَنَ علزُه(٢) ورجاهُ أهله . وما كان منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

حكِي عن الشعبي أنه قال : شهدتُ شُرَيْحاً ، وجاءته امرأةٌ تُخاصمُ زوجَها ، فأرسلتْ عينيها ،

---

(١) أي كلام ملتو لا يفهم .

(٢) علزه — العلز — بالتحريك : الضجر . والعلز : شبه رعدة تأخذ المريض .

فبكت . فقالتُ : يا أبا أُميّة ، ما أظنُّ هذه البائسةَ إلا مظلومةً .

فقال : يا شعبيُّ ، إنَّ إخوة يوسف «(جاءوا أباهم عشاءً يبْكُون)» (١) .

كان شُريح إذا قيل له : كيف أصبحْت يا أبا أُميّة ؟ قال : أصبحتُ ونصفُ الناسِ غضابٌ .

كان لشُرَيح حائطٌ مائِلٌ ، فقال له جارٌ له : حائِطُكَ هذا مائِلٌ . قالَ : لا تُفارقني أو يُنْقَض . قال : فنقضَهُ مِن ساعته .. فقال الرجلُ : لا تعْجَلْ يا أبَا أمية ، فذاكَ إليْكَ . قال : بعْد أن أشْهدتَ عليَّ ؟

قال الشعبْيُّ : وجَّهني عبدُ الملك بن مروان إلى مِلك الرُّوم ، فلمَّا قدِمتُ عليه ودفَعْتُ إليه كتابَ عبدِ الملك جعل يُسائِلُني عن أشياءَ فأُخبرُهَ بها ، فأقمتُ عنده أياماً ، ثم كَتب جوابَ كتابي ، فلمَّا انصَرفتْ رفعتُه إلى عبدِ الملك فجعل يقرؤُه ، ويتغَيَّر لونُه ، ثم قال :

---

(١) الآية : ١٩ من سورة يوسف « وجاءوا ... » .

يا شعْبِيُّ : علمتَ ما كتب الطاغيةُ ؟ قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ . كانت الكتُبُ مختومةً ولو لمْ تكُن مختومةً ما قرأتُها . وهي إليكَ . قال : إنه كتب : إنّ العجبَ من قوم يكُونُ فيهم مثلُ من أرْسَلتَ به إليَّ فيملِّكون غيْره . قال : فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، ذاك لأنَّه لم يركَ . قال : فَسرِّيَ عنه ، ثم قال : حسدني عليْكَ ، فأرادَ أن أقْتلك .

قال الشعْبيُّ : قدِمتُ على عبدِ الملك ، فما رأيتُ أحسن حديثاً مِنْه إذا حدَّثَ ، ولا أحسَنَ إنْصاتا منه إذا حُدِّثَ ، ولا أعْلَمَ منه إذا خُولِفَ ، وأخطأتُ عنده في أربعٍ : حدثني يوماً بحديث ، فقلتُ : أعِدْهُ عليَّ يا أمير المؤمنين ، فقال : أمَا علمتَ أنه لا يُستعادُ أميرُ المؤمنين ؟ وقلت له حين أُذنَ لي عليه : أنا الشعْبي يا أميرَ المؤمنينَ . فقالَ : ما أدْخلناكَ حتى عرفْناك . وكَنيتُ عنده رجلاً فقال : أمَا علمتَ أنه لا يُكْنَى أحدٌ عند أمير المؤمنين . وسألتُه أنْ يكْتِبَني حديثاً . فقال : إنّا نُكْتِبُ ولا نَكْتُبُ .

لما أخذ الحجاجُ الشعبيَّ ـ وكان خرج عليه مع ابنِ

الأشعث – قال : يا شعبيُّ ، ألمْ أرفعْ مِن قَدْرِك ، وبلغتُ بك شرفَ العطاءِ ، وأوْفدتُك على أمير المؤمنين ، ورضيتُك جليساً لي ومحدِّثاً ؟ قال : بلى ، أصلح اللّهُ الأميرَ . قال : فما أخرجَك مع ابنِ الأشعثِ تقاتلُني على غير دِين ولا دُنيا ؟ فأين كنتَ مِن هذه الفِتنةِ ؟ فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، أوْحشَ الجنابُ ، وأحْزن بنا المنزلُ ، واستشعرْنا الخوفَ ، واكتحلنا السهر ، وفقدنا صالِحَ الإخوان ، وشملتنا فتنةٌ لم نكن فيها بررةً أتقياءَ ، ولا فجرةً أقوياءَ . فضحك الحجاجُ ، وعفا عنه .

قال الشعبيُّ : مَنْ أمِن الثِّقَل ثَقُل .

أسْمَع رجلَ الشعبيَّ كلاماً ، وعدَّد فيه خِصالاً قبيحةً – والشعبيُّ ساكتٌ – فلما فرغ الرجلُ مِن كلامه ، قال : واللّهِ لأغيظنَّ مَن أمرَك بهذا . إن كُنتَ صادقاً ، فغفرَ اللهُ لي ، وإن كنتَ كاذِباً فغفرَ اللّهُ لك .

قيل : يا أبا عامر : ومَن أمرهُ بهذا ؟ . قال : الشيطانُ

وقال ابن شبرمة : مَنْ بالغَ في الخُصومة أثِمَ ، ومن قصَّر خصِم .

وقال: منْ لَزِمَ العفَافَ هانت عليه موْجِدةُ الملوك .

دخل رجلٌ على عيسى بن موسى بالكوفة فكلَّمه ، وحضر عبدُ اللّه بنُ شُبْرمةَ فأعانه ، وقال : أصلحك اللّهُ . إنّ له شرفاً ، وبيتاً وقَدَماً . فقيل لابنِ شبرمة : أتعْرِفُه ؟ قال : لا . قالُوا : فكيف أثنيتَ عليه ؟

قال : قلتُ ؛ إن له شرفاً ، أي : أُذُنين ومَنكبين ، وبيتاً يأوي إليه ، وقدماً يطأُ عليها .

وقال له رجلٌ : صنعتَ إلى فُلان ، وصنعت ، فقال : اسكت ، فلا خيرَ في المعروفِ إذا أُحصِيَ . وكان إذا وُلِدَ له غلامٌ يقول : اللهمَّ اجعلْه برّاً تقيّاً ، واجعل الدَّته في بلدِه .

قيل : بينا رقبةُ بنُ مَصْقلةَ القاضي في حلقة إذ مرَّ رجل غليظُ العُنق ، فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبدِ اللّه ، هذا الذي ترى مِن أعبدِ الناس . فقال رقبةُ : لأرى لهذا عُنُقاً قائما وَقَذَتْها(١) العبادةُ .

---

(١) وقذتها : من معاني وقذه : سكنه ، وتركه عليلا .. والمراد : أن العبادة لم تؤثر عليه بدليل أن عنقه مازالت ممتلئة وغير مستقرة .

قال : فمضى الرجلُ ، ثم عاد قاصداً إليهم ، فقال رجلٌ لرقبةَ : يا أبا عبد الله ، أخبرُهُ بما قلت ؛ لا تكون غيبْةً . قال : نعم . أَخْبِرْهُ حتى تكون نميمةً .

وكان رقبةُ يقول : أيُّ مجلسٍ المسجدُ لو كان عليكَ فيه إذنٌ !

خاصم رجلٌ خالدَ بنَ صفوانَ(١) إلى بلال ، فقضى للرجلِ عليه . فقام خالدٌ وهو يقولُ :

* سحابةُ صَيْفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ *

فقال بلالٌ : أما إنها لا تتقشع حتى يصيبك منها شُؤبوبُ(٢) بَرْد . وأمر به إلى الحبس .

فقال خالد : علامَ تحبسُني ؟ فو الله ما جنيتُ جنايةَ . فقال بلال : يخبرنا عن ذلك بابٌ مُصمَتٌ ، وأقيادٌ ثقالٌ ، وقيِّمٌ يقال له : حفصٌ .

قال بلال : إذا رأيتَ الرجل لجُوجاً ممارياً ، معجَباً برأيه ، فقد تمَّت خسارتُه .

---

(١) خالد بن صفوان : هو أحد بخلاء العرب .

(٢) شؤبوب برد : الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والدفعة من كل شيء.

كان إياسُ بنُ معاويةَ بنِ قرَّةَ(١) صادقَ الظنّ ، لطيفاً في الأمور ، وتولَّى قضاءَ البصرة في أيام عمرَ بنِ العزيز . واختصم إليه رجلان في مُطْرَفِ خزٍّ وأنبجانيٍّ(٢) ، فادَّعى كلٌّ واحد منهما المُطْرَفَ الخزَّ أنه له ، وأنَّ الأنبجاني للآخر . فدعا إياس بمشط وماء ، فبلَّ رأسَ كلّ واحد منهما . ثم قال لأحدهما : سرِّح رأسك . فخرج في المُشط غفرُ المطرف(٣) ، وفي مشط الآخر غفرُ الأنبجاني . فقال : يا خبيثُ ؛ الأنبجاني لك . فأمر. فدفع المطرف إلى صاحبه .

استودعَ رجلٌ رجلاً من أمناءِ إياسٍ مالاً ، وخرجَ الرجلُ إلى مكةَ . فلما رجع طالبه بالمال فجَحَده ، فأتى إياساً فأخبرهُ ، فقال إياسٌ : علِم أنك أتيتني ؟ قال : لا . قال : فنازعته عند أحد ؟ قال : لا . لا يعلم أحدٌ

---

(٣) هو إياس بن معاوية بن قرة المزني الليثي ، وكنيته أبو واثلة . يضرب بذكائه المثل .

(٢) الأنبجاني : ثوب من الكتان ونحوه وليس غالي القيمة .

(٣) غفر المطرف : يقال : غفر الثوب غفراً : ثار زئبره . والمطرف : الثوب والمعنى : ظهر غبار الثوب .

أحدٌ بهذا . قال : فانصرِفْ ، واكتُمْ أمرك ثم عُدْ إليَّ بعد يومين . فمضى الرجل ، ودعا إياسٌ أمينَه ذلك ، فقال : قد حضرَ مالٌ كثيرٌ ، وأريد أن أصيِّرَه إليك أتحصِّنَنَّ منزلَكَ ؟ قال : نعم . قال : فأعِدَّ موضعاً للمال ، وقوماً يحملونه . وعاد الرجلُ إلى إياس ، فقال له : انطلقْ إلى صاحبك ، فاطلُب مالكَ . فإن أعطاكَ فذاكَ ، وإن جَحَدكَ فقلْ له : إنِّي أخْبِرُ القاضي . فأتى الرجلُ صاحبهُ ، فقال : مالي ، وإلاَّ أتيتُ القاضي ، وشكوتُ إليه ، فدفعَ إليه ماله ، ورجعَ الرَّجلُ إلى إياس فأخبره ، وجاء الأمينُ لموعِدهِ ، فزجرَه إياسُ وقال : لقد بانَ يا خائنْ .

قال إياسٌ لقوم من أهل مكّة : قدمنا بلادكم ، فعرفنا خيارَكم ، وشراركم قالوا : وكيف عرفتم ؟

قال : كان معنا أخيارٌ ، وأشرارٌ نعرِفُهم ، فلحِق كلُّ جنسٍ بجنسه .

كان إياسُ يقول : الخبُّ (١) لا يخدعُني ، ولا يخدع ابنَ سيرين ، ويخدع الحسَن ، ويخدعُ أبي .

---

(١) الخب : المخادع الغاش .

أخذَ الحكمُ بنُ أيُّوب(١) إياسَ بنَ معاويةَ في ظِنَّة الخَوارج ، فقال له الحكَم : إنك خارجيٌّ منافقٌ ، وأوسَعه شتماً . ثم قال له : إيتني بكَفيل . فقال : أكفُل أيُّها الأميرِ . فما أحَدٌ أعرف منكَ بي . قال : وما علمي بك وأنا من أهل الشام ، وأنتَ من أهل العراق ؟ فقال له إياس : ففيمَ هذه الشَّهادةُ منذُ اليوم ؟ فضحكَ وخلَّى سَبيله .

كان ابن أبي ليلى وِليَ القضاء لبني أُمية ، وبعدهم لبني العباسِ . وقيل : هو أولُ من تولّى قضاءَ بغداد . وقيل : بل أولُ من تولاها من القُضاة شَريك .

وقال سفيان بن عُيَيْنةَ : شهد محمد بن عبد الرحمن ابنِ الأَسودِ عند ابن ليلى بشهادة ، فتوقَّف في شهادتِه . قال ابْن عيينة : فناظرت ابن أبي ليلى في ذَلِك ، وقلت له : أنيَّ لك بالكوفة رجلٌ مِثلهُ ؟ ؟ فقال : هو كذَلك ، إلاّ أنّ الذي شهد به عظيمٌ ، والرجل فقيرٌ . قال : فأعجبني هذا من قوله .

---

(١) هو الحكم بن أيوب الثقفي عامل الحجاج .

وأخذ على ابنِ ليلى رجلٌ من جُلَسائه كلمةً ، فقال له ابن أبي ليلى : أهدِ إلينا مِن هذا ما شئتَ . وكان يقول : أحذِّركم الثِّقات (١) .

دعا المنصور ابن أبي ليلى ، فأرادَه على القضاء ، فأبَى ، فتوعّده إن لم يفعلْ . فأبَى أن يفعل، ثم إنَّ غداء المنصور حضرَ ، فأتي فيما أُتي بصحفة فيها مثالُ رأس . فقال لابن أبي ليلى : خُذ أيها الرجلُ مِن هذا . قال ابنُ أبي ليلى : فجعلتُ أضربُ بيدي إلى الشيء ، فاذا وضعتُه في فَمِي سال ؛ لا أحتاجُ إلى أن أمضغهُ . فلما فرَغَ الرجلُ جعلَ يلحسُ الصَّحفةَ . فقال لي : يا محمدُ . أتدري ما كنتَ تأكُل ؟ قلتُ : لا — والله — يا أميرُ المؤمنين . قال : هذا مخُّ النِّينان (٢) معقودٌ بالسكّر الطّبَرزَذ (٣) . وتدري بكم تُقَوَّم هذه الصَّحفةُ علينا ؟

(١) المراد أنه لا يليق أن يثق الإنسان بغيره ثقه مطلقة ، بل يأخذ كلامه بحرص وتأمل وتشكيك حتى يثبت صدقه .

(٢) النينان : جمع (نون) وهو الحوت .

(٣) السكر الطبرزذ : الطبرزد : السكر ، معرب ، كأنه نحت من نواحيه بالفأس .

قلت : لا ، يا أميرَ المؤمنين . فقال : تقوَّم بثلاث مائة وبضعةَ عشر . أتدري : لِمَ ألحسُها ؟ هذه صحفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أطلبُ البَركةَ بذلك . فلما خرجَ ابنُ أبي ليلى من عنده رفعَ رأسَه إلى الربيع فقال : لقد أكل الشّيخ عندنا أكلةً لا يفلِحُ بعدها أبداً .

فلما كان عَشِيُّ ذلك اليوم راح ابنُ أبي ليلَى إلى المنصور ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، فكرتُ فيما عرضتَ عليَّ ، فرأيتُ أنه لا يسَعُنِي خِلافُك . فولاَّه القضاءَ . ثم قال للربيع : كيف رأيت حَدسي ؟

رُوي عن العباس بن محمد (١) أنّه قال : لمّا أرادَ المنصورُ شريكَ بنَ عبد الله علَى القضاءِ قالَ : أُريدُ أن تكلّم أميرَ المؤمنين ليُعفيَني فقلت له : إنَّ أبا جعفر إذا عزمِ أمراً لم تُردَّ عزَماتُه . قال : فلما قام ، وأقرَّه على القضاءِ قلتَ له : إنَّ أميرَ المؤمنين المهديَّ أليَنُ عَريكةً من الماضي . فقال : أما الآنَ فلاَ ، فإني أخشى شماتَة الأعداء .

---

(١) هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : أخو المنصور .

قال بعضُ أصحاب الحديث: سألتُ شريكا عن النبيذ، فقال لي : أمّا أنا فلا أتركُهُ حتى يكونَ أسوأ عملي .

وسئل عن أبي حنيفة (١) ، فقال : أعلمُ الناسِ بما لا يكونُ ، وأجهلُهم بما يكونُ .

ودخل على المهديّ فقال له : يا شريكُ ، بلغني أنك فاطميٌ . فقال : أتحبُّ فاطمةَ ؟ أعثرَ اللهُ مَن لا يحبُّ فاطمةَ . فقال المهديُّ : آمين . فلما خرج شريكٌ قال المهديُّ لمن عنده : لعنَه اللهُ ، ما أظنُّه إلا عنَاني .

وقال له يوما : أيُّنا أشرفُ : نحن أم ولدُ عليٍّ ؟ فقال شريك : هات أمّاً مثلَ فاطمة حتى تُساويَهُم في الشّرف .

ولما دعاه المهديُّ إلى القضاء قال له : لا أصلُحُ لذلك . قال : ولِمَ ذاك قال : لأنّي نسّاءٌ . قال : عليك بمضغِ

(١) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه ، الإمام الفقيه ، الكوفي ، أدرك بعض الصحابة وكان عالما ، زاهد ، عابدا ، ورعا تقيا ، دائم التضرع إلى الله . وقد أبى أن يتولى القضاء على الرغم من إلحاح الخلفاء عليه في ذلك حتى حبس من جراء امتناعه . ومذهبه يعتنقه الكثير من المسلمين . توفي سنة ١٥٠ هـ .

اللُّبان (١) . قال : إني حَديدٌ . قال : قد فرضَ لكَ أمير المؤمنين فالُوذَجةَ (٢) توقرك . قال : إني امرؤ أقضي على الوارد ، والصادر .

قال : اقضِ عليَّ ، وعلى والدي . قال : فاكفني حاشيتَك . قال . قد فعلتُ .

فكانت أول رقْعة وردت عليه خالِصة جاريةُ المهديّ . فجاءتْ لتتقدَّم الخصْمَ ، فقال : وراءَكِ مع خصْمِكِ مِراراً . فأبَتْ . فقال : وراءكِ يالخَنْاء (٣) قالت : يا شيخُ ، أنت أحمقُ .

قال : قد أخبْرتُ مولاكِ ، فأبى عَليَّ . فجاءت إلى المهديِّ تشكوُ إليه . فقال لها : الزمي بيتَكِ ، ولا تعْرِضي له .

---

(١) اللبان — بضم اللام : نبات من الفصيلة البخورية يفرز صمغا ويسمى الكندر .

(٢) الفالوذج : والفالوذ : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، وتصنع الآن من النشا والماء والسكر ، وهو معرب .

(٣) يالخناء : اللخن : قبح ريح الفرج . واللخناء : التي لم تختن . وقيل : اللخن : النتن .

قال ابن أبي ليلى إلى قوله : ليست من الإيمان . وقال : كيف أجيزُ شهادةَ قومٍ يزعمونَ أن الصَّلاةَ ليستْ من الإيمان .

وكان ابنُ شُبْرُمة يقول : لأنْ أستعملَ خائناً بصيراً بعمله أحبُّ إليَّ من أن أستعمل مُضيِّعاً لا يُبصر العملَ .

ودخل سوَّارُ بن عبد الله على المنصور — والمصحفُ في حجْره ، وعيناه تهملان (١) — فقال : السلام عليكم . يا أميرَ المؤمنين . فقال : يا سوَّارُ ، ألا مرةً على المؤمنين !! هدمتُ ديني ، وذهبتُ بآخرتي ، وأفسدتُ ما كان من صالح عملي . قال سوَّارُ : فانتهزتُها فُرصةً ، وطلبتُ ثوابَ اللهَ في عظته فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إناك جديرٌ بالبُكاءِ ، حقيقٌ بطُول الحزن ما أقمتَ في الدنيا . وقد استرعاكَ الله أمرَ المسلمين ، واستحفظكَ أموالَهم ؛ يسألك عما عملت فيما استرعاك في اليوم الذي أعلمك في كتابه ، فقال « يومئذ يَصْدُرُ الناسُ أشتاتاً ليُروْا

---

(١) عيناه تهملان : هملت : فاضت وسالت .

أعمالَهم . فمَن يَعمل مِثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَه . ومن يَعمل مِثقالَ ذرَّة شرَّاً يَرَه)) (١) . فازداد بُكاءً ، وقال : ((يا ليتني مِتُّ قبلَ هذا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسياً))(٢).

ثم قال يا سوَّارُ إني أُعالجُ نفسي ، وأُعاتبها منذ وَليتُ أمورَ المسلمين على حَمْلِ الدِّرَّة على عُنقي ، والمشي في الأسواق على قدمي ، وأن أسدَّ بالجريش (٣) من الطعام جَوْعتي وأواريَ بأخشن الثَّوْب عورتي ، وأضعَ قدرَ من أراد الدُّنيا ، وأرفعَ قدْر من أراد الآخرة ، وسعى لها ، فلم تُطاوعني ، وعصتْني ، ونفرتْ نُفوراً شديداً .

قال سوّارُ لا تجشَّمها يا أمير المؤمنين صعابَ الأُمور ، ولا تُحمِّلها ما لا تُطيق ، وألْزمها أربعَ خِصالٍ تسلمْ لكَ دنياكَ وآخرتُك : أقِمِ الحدودَ واحكُم بالعدلِ ، واجْبِ الأموالَ من وجوهها ، واقسمها على أهلها بالحقِّ .

خاصمَ عبدُ الله بنُ عبدْ الأعلى الكريزيُّ (٤) مولىَ

---

(١) سورة الزلزلة : ٦ — ٨ .

(٢) سورة مريم : ٢٣ وأولها : « فأجاءها المخاض ... » .

(٣) الجريش : دقيق فيه غلظ . والمعنى الطعام الخشن .

(٤) هو عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز ، القرشي .

له في أرض إلى سوَّار — وكان جدُّهُ أقطعها جدَّه — فقال سوارٌ : إني لأرغبُ بك عن هذا ؛ تُنازعُه في أرض أقطعها جدُّك جدَّه ؟ فقال الكريزيُّ : الشحيحُ أغدرُ من الظالم . فنكس سوارُ طويلاً ، ثم رفع رأسَه ، فقال : اللهمَّ اردد على قريش أخطارها .

دعا الرشيد أبا يوسفَ القاضي (١) ليلا فسأله عن مسألة ، فأفتاه . فأمر له بمائة ألف درهم . فقال : إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصُّبح . فقال : عجّلوها له . فقيل : إن الخازنَ في بيته ، والأبواب مغلقةٌ . فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيتي والدُروبُ مُغلَّقة ، فحين دعيَ بي فُتِحت .

وقال له الرشيدُ : بلغني أنَّك لا ترى لُبس السّواد(٢) فقال : يا أمير المؤمنين . ولِم ؟ وليس في يدي شيءٌ أعزَّ عليَّ منه . قال : ما هو ؟ قال : السوادُ الذي في عيني .

---

(١) القاضي أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، ولد سنة ١١٣هـ . وهو من أهل الكوفة ، وكان صاحبا للإمام أبي حنيفة ، وقد أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وقد توفي سنة ١٨٢هـ .

(٢) كان شعار العباسيين لبسهم العمائم السوداء ، تشبها بما فعله النبي عليه السلام في بعض غزواته .

وسُئل مرةً عن السَّواد ، فقال : النُّورُ في السَّوادِ . يريد سواد العين .

وكان خالدُ بنُ طليقٍ الخُزاعيُّ قاضياً ، فاختصم إليه اثنان ، فكان أحدُهُما كلما أراد أن يتكلّم غمزه الشرطي ألاّ يتكلم . فلما كثُر ذلك عليه قال : أيُّها القاضي ، أتقضي على غائبٍ ؟ فقال : لا . فقال : أنا غائبٌ إذا لم أُترك أن أتكلّم .

وكان خالدٌ تيّاهاً صلِفاً(١) ، وقال يوماً لمحمد بنِ سليمان — مع محلّه وشرفه وثروته — نحنُ وأنتمُ في الجاهلية كهاتين . وجمع بين إصبعيه .

كان عُبيدُ بنُ ظبيان قاضي الرقّة ، فجاءه رجلٌ واستعداه على عيسى بنِ جعفر ، وكان الرشيدُ إذا ذاك بالرَّقة فكتب ابنُ ظبيان إلى عيسى أمّا بعد أطال اللّه بقاءَ الأمير وحفظه وأتمَّ نعمتَه عليه . أتاني رجلٌ فذكر أنّ له على الأمير خمسمائة ألف درهم . فإن رأى الأميرُ —

---

(٢) الصلف : الصلف مجاوزة القدر في الظرف والادعاء فوق ذلك تكبر .

أعزّه اللّه — أن يحضر مجلس الحكم ، أو يُوكّل وكيلا يُناظر عنه فعل .

ودفع الكتاب إلى الرّجل ، فأتى باب عيسى ، فدفع كتابَه إلى الحاجبِ ، فأوصله إليه ، فقال له : كُلْ هذا الكتاب !! فرجع إلى القاضي فأخبره . فكتب إليه : أبقاك اللّه وحفظك ، وأتمّ نعمتهُ عليك . حضر رجلٌ يقال له فلانُ بنُ فلان وذكر أنّ له عليك حقّا ، فصر معه إلى مجلس الحكم ، أو وكيلَك إن شاء اللّه .

تقدم رجل إلى أبي خازم ، وقدّم أباهُ يطالبُه بدينٍ له عليه . فأقرّ الأبُ بذلك . فأراد الابنُ حبس أبيه بالدين . فقال له أبو خازم : هل لأبيك مالٌ ؟ قال : لا أعلمهُ . قال : فمُنْذ كمْ داينْتَهُ بهذا المال ؟ قال : منذ كذا وكذا . قال . فقد عرضتُ عليك نفقة أبيك من وقتِ المُداينة . فحبس الابن ، وخلّى عن الأب .

وكان إسماعيلُ بنُ إسحاق(١) قاضياً للمعتمد بمدينة

---

(١) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي ، فقيه مالكي المذهب جليل التصانيف ، .

السلام(١) . فدخل على الموفّقِ ، فقال له : يا إسماعيلُ : ما تقول في هذا النبيذِ ؟ فقال له : أيها الأميرُ ، إذا أصبح الإنسانُ وفي رأسه منه شيءٌ ، قال ماذا ؟ قال الموفق : يقُولُ : أنا مخمورٌ . قال : فهو كاسمه .

قدم البلاذُريُّ(٢) إلى الحسنِ بنِ أبي الشّوارب في ديْن عليه ، فادّعى غريمهُ مائتي دينار . فذكر البلاذري معاملةً بينهما . وعادة جرت بالنّظِرة . فقال له القاضي : أَنْظِرْهُ . فقال : لم أطالبه إلا وقد علمتُ الساعة نعمته . فقال البلاذُري : صدق أيها القاضي ، إني من الله لفي نعم ، لا أقومُ بشكرها ، أولها : نعمةُ الإسلام ، وهي التي لا تعادلُها نعمةٌ ثم نعمةُ العافية — وهي أفضلُ النّعم

---

(١) مدينة السلام : بغداد .

(٢) البلاذري : هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري أبو الحسن ، وقيل أبو بكر ، من أهل بغداد ، مات في أيام المعتمد على الله ، في أواخرها ، وأهم كتبه فتوح البلدان .

بعدها – وما يُقضى من هاتين الدينْ . فقال القاضي لغريمه : انصرفْ ، ورُحْ إليَّ . فراح إلى القاضي ، فأعطاه عنه مئتي دينار .

كان يحيى بنُ سعيد الأنصاريُّ(١) قاضياً للرشيد ، وكان خفيف الحال وكان له مجلسٌ من السُّوق . فلما ولي القضاء ، وارتفع شأنْه لم يترك مجلسه في السوق . فقيل له في ذلك ، فقال : مَن كانت له نفسٌ واحدةٌ لم يغيِّره الإقتارُ ، ولا المالْ .

كان البَرْقيُّ عفيفاً ، صالحاً ، وولي قضاء مدينة السلام أيام المعتمد ، وكان قد ولاه قبل ذلك يحيى بنُ أكثم . فقيل له : ولّيت البرقي القضاء وهو رجلٌ من أهل السواد ؟

فقال يحيى : ألم تسمعْ قول اللّه تعالى : «(ومَا أرْسلْنا مِن رَّسُول إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمه)»(٢) .

---

(١) هو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري البخاري أبو سعيد ، قاض ، من أكابر أهل الحديث ، من أهل المدينة ولي القضاء بالمدينة زمن بني أمية .

(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

قال بعضُهم : رأيتُ البرقيّ يوماً وهو يقرأُ علينا شيئاً من حديث سفيان فقال له رجل كان معنا يا أبا العباس . فقام إليه البرقي ، وضرب لحيته ، وقال له : أنا قاضٍ مُذ كذا وكذا سنةً ! ! تقولُ : هيا يا أبا العباس .

وكان أبوُ العيناء(١) يقول : كان أحمدُ بنُ أبي دُواد إذا رأى صديقه مع عدوّه قتل صديقَه .

وقال أبو العيناء : ما رأيتُ مثل ابن أبي دُواد من رجلٍ قد مُكّن في الدنيا ذلك التمكين ، كنتُ أراهُ في مجلس سقفهُ غير مُغَرَّى ، جالساً على مِسح(٢) وأصحابهُ معه يتَدَرَّنُ(٣) القميصُ عليه فلا يبدّلهُ ، حتى يعاتب في ذلك ، ليست له همةٌ ولا لذةٌ من لذات الدنيا إلا أن يحمل رجلاً على منبر ، وآخر على جِذْع .

وقال له المعتصم في أمر العباس بن المأمون : يا أبا عبد الله ، أكرهُ أن أحبسَه ، فأهتكه وأكرهُ أن أدعَه

---

(١) أبو العيناء هو : محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان من بني حنيفة أهل اليمامة ، وكان ضريرا وهو ممن اشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستطرفة .

(٢) جالسا على مسح : المسح بكسر الميم : الكساء من الشعر .

(٣) يتدرن القميص : درن الثوب : أصابه الدرن ، وهو الوسخ ، أو تلطخ .

فأهملته . فقال له ابن أبي دُواد : الحبسُ — يا أمير المؤمنين — فإن الاعتذار خيرٌ من الاغترار .

وكان الأفشينُ(١) يحسدُ أبا دُلف(٢) ، ويبغضُه للعربيةِ ، والشجاعةِ والجُود ، فاحتال عليه حتى شُهد عليه بخيانةٍ فجلس له ، وأحضرهُ ، وأحضر السيّاف لقتله . وبلغ ذلك أحمد بن أبي دواد ، فركب مع من حضره من عُدُوله . ودخل على الأفشين وقد جيء بأبي دلف ليُقتل . فوقف ، ثم قال : إني رسولُ أمير المؤمنين إليك بألا تحدث في القاسمِ حدثاً حتى تحمله إليه مسلّماً . ثم التفت إلى العُدُول ، فقال : اشهدوا أنّي أديتُ الرسالة والقاسمُ حيٌّ مُعافى . وخرج فلم يَقْدم الأفشينُ عليه .

وصار ابنُ أبي دُواد من وقته إلى المعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أدّيتُ عنك إلى الأفشين رسالةً لم تقُلها لي ، لا أعتدُّ بعمل عملته خير منها ، وإنّي لأرجُو

---

(١) حيدر بن كاوس من أجل قواد المعتصم .

(٢) أبو دلف : القاسم بن عيسى .

لك يا أمير المؤمنين بها الجنة . وخبره الخبر ، فصوَّب رأيَه، وأمر بالإفراج عن أبي دُلف .

وكان أحمدُ بنُ أبي دُواد بعد ذلك يقرّظُ أبا دلف ويصفهُ للمعتصم ، فقال له : يا أبا عبد الله ؛ إن أبا دلف حسَنُ الغناء ، جيِّدُ الضَّربِ بالعود . فقال : يا أمير المؤمنين ، القاسمُ في شجاعته وبيته في العرب يفعَلُ هذا !! .

ثم أحبَّ المعتصمُ أن يَسمعهُ ابنُ أبي دُواد . فقال له يوما : يا قاسمُ ، غنِّي . فقال ، والله ما أستطيع ذلك — وأنا أنظرُ إلى أمير المؤمنين — هيبةً وإجلالاً . قال : فاجلس من وراءِ ستارة . ففعل وغنى .

وأحضر ابن أبي دُواد ، وأجلَسه وقال : كيف تسمعُ هذا الغناء ؟ . قال : أميرُ المؤمنين أعلمُ به، ولكنِّي أسمعُ حسناً . فغمز غلاماً ، فهتَك السِّتارة ، فإذا بو دلف .

فلما رأى أبو دلف ابن أبي دُواد وثب قائماً ، وأقبل على ابن أبي دُواد ، فقال : إني أُجْبرتُ على هذا ؛ فقال : يا ماجنُ . لولا دُربتُك في الغناءِ ؛ من أيْن

كنت تأتي مثل هذا ؟ هبْك أجْبرت على أن تُغنّي ، مَنْ أجْبرك على أن تُحسن ؟ .

قال الحسنُ بنُ وهب : شكرتُ أبا عبد اللّه أحمد ابن أبي دواد على شيء كان منه . فقال لي : لا أحْرجك اللهُ ، ولا إيّانا إلاّ أن نعرف مَا لنا عند الأصدقاء .

وتخطّى بعضُ بني هاشم رقاب الناسِ عند ابن أبي دواد ، فقال : يا بُنيّ ، إن الأدب ميراث الأشراف ولستُ أرى عندك من سلفك ميراثا . فاستحسَن كلامَه كلُّ من حضر .

قال الواثق لأحمد بنِ أبي دواد في رجل حُمِل إليه من بعض النواحي : قد عزمتُ على ضربِ عُنقه . فقال : لا يحِلّ لك يا أمير المؤمنين . قال : فأضربْه بالسّياط . قال : ظَهْرُ المسلمِ حِمى(١) إلا من حدّ . قال له : أنت أبدا تعترضُ عليّ . قال : يا أمير المؤمنين ، أخافُ عليك العامّة . قال : وما عسَى العامّةُ تفعلُ ؟ قال : أقولُ يا أمير المؤمنين ولا تغضبْ . قال : قُلْ . قال : إذا رأوْك قد جُرْت في الحكم ، أخذوا بيدك

(١) الحمى : ما يجب حمايته . والمعنى : لا يحل عقوبة المسلم الا بسبب تنفيذ حد من حدود الله .

فأقامُوك عن مجْلِسِك ، واجْلُسوا غيرَك . قال : فأمْسَكَ الواثِقُ ، ولم يحرْ جَوابا(١) ، وزال المكروه عنْ ذلك الرجل .

وقال ابنُ أبي دُواد : موتُ الأحرار أشدُّ من ذهابِ الأموال .

وقال : الشجاعةُ شجاعةٌ في القلب ، والبخلُ شجاعةٌ في الوَجْهِ .

قال رجلٌ لابن شُبْرُمة : ذهب العلمُ إلا غُبَّرات في أوْعيةِ سوء(٢) .

* * *

(١) أفحم فلم يجد ما يجيب به .

(٢) المعنى : لم يبق منه إلا القليل الذي لا ينتفع به ؛ لأنه عند أناس غير حسني الخلق .

الباب التاسع

كلامُ الحَسَنِ البَصْرِي (١)

كان الحجاجُ يقولُ : أخطبُ الناس صاحبُ العمامة السوداء بين أخصاص(٢) البصرة ؛ إذا شاءَ تكلمَ ، وإذا شاءَ سكت . يعني « الحسن » .

كتب إليْه عُمر بنُ عبد العزيز : أنْ أعنِّي ببعض أصحابك . فكتبَ إليه الحسنُ : أما بعد . فإنه مَن كان مِن أصحابي يريد الدنيا فلا حاجةَ لك فيه ، ومَن كان يريد الآخرة فلا حاجةَ له فيما قِبَلك ، ولكن عليك بذوي الإحسان فإنهم إن لم يَتَّقوا استحيُوا ، وإن لم يستحيُوا تكرموا .

---

(١) الحسن البصري هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ونشأ الحسن بوادي القرى ، وتلقى الفصاحة عن أعرابه ، وكان من سادات التابعين وكبرائهم بارعاً في الفقه ، معروفاً بالورع والزهد والعبادة . وهو شيخ واصل بن عطاء الله رأس المعتزلة . وكانت وفاته بالبصرة سنة ١١٠ھ في خلافة هشام بن عبد الملك .

(٢) أخصاص البصرة : المفرد خص ، وهو بيت من شجر أو قصب ، والبيت يسقف بخشب .

وقال : كُنْ في الدنيا كالغريب الذي لا يجزعُ من ذُلِّها ولا يشارك أهلها في عزِّها . للناس حالٌ وله حالٌ أخرى ، قد أهمَّتْه نفسه ، وعمل لما بعد الموت ؛ فالناسُ منه في عافية ، ونفسُهُ منه في شُغل .

ذكروا أنه سمع رَجلاً يقولُ : أهلكَ اللّهُ الفُجّارَ فقال : إذن نَستوحِشُ(١) في الطُّرق .

قال أعرابي للحسن : علّمني ديناً وسُوطاً(٢) ، لا ذاهباً شَطُوطاً ، ولا هابطاً هبوطاً .

فقال الحسنُ : لئن قُلت ذلك ؛ إن خيرَ الأُمور لأَوْساطُها .

وقال له رجل : إني أكرَه الموتَ . قال : ذاك أنك أخّرّتَ مالَكَ ولو قدمته لسرَّك أن تلحقَ به .

وقال : اقدَعُوا (٣) هذه النُّفوسَ فإنها طُلَعةٌ ، واعْصُوها فإنكُمْ إن أطعتموها تنزع بكُمْ إلى شر غاية ، وحادثُوها بالذُّكر فإنها سَريعةُ الدُّثور (٤) .

---

(١) المراد أنه لن يجد من يؤنسه لكثرة من يهلك بسبب الفجورة .

(٢) الوسوط : المتوسط ، والجمع وسط .

(٣) قدعه : منعه وكفه . والمعنى امنعوها وحدوا من نوازعها .

(٤) الدثور : دثور القلوب : إمحاء الذكر منها .

وقال الحسنُ : لا تزُولُ قدمُ ابن آدَم حتى يُسْأل عَن ثلاث : شبابِه : فيم أبلاه ؟ وعمرِه : فيمَ أفناهُ ؟ ومالهِ : من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟

ورأى رجلاً يكيدُ (١) بنفسه فقال : إن امرأً هذا آخرهُ لجديرٌ أن يزهدَ في أوله ، وإن امرأً هذا أولُه لجدير أن يخافَ آخرَه .

وقال : بعْ دنياك بآخرتاك تربحْهما جميعاً ، ولا تبعْ آخرتاك بدنياك فتخسرَهُما جميعاً .

وقال : مَن أيقنَ بالخلفِ جادَ بالعطية .

وقال : مَن خافَ اللهَ أخافَ اللهُ منه كلَّ شيءٍ ، ومَن خافَ الناسَ أخافهُ اللهُ من كلُ شيءٍ .

وقال : ما أُعطِيَ أحدٌ شيئاً من الدُّنيا إلا قيل لهُ : خذه ومثله من الحرْص .

قال الحسنُ : إن قوماً جعلُوا تواضُعَهُمْ في ثيابهم، وكبرَهُمْ في صدورُهم حتى لصَاحبُ المدْرعة في مدْرعته أشدُّ فرحاً من صاحب المُطرف (٢) بمطْرفه .

---

(١) هو يكيد بنفسه كيداً : يجود بها .

(٢) المطرف ، بضم الميم وكسرها : واحد المطارف ، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام ،

قيل لخالد بن صفوان : مَن أبلغُ النّاس ؟ قال : الحسَنُ البصريّ لقوله : فضحَ الموْتُ الدُّنيا . لوْ عقل أهلُ الدُّنيا خربت الدُّنيا .

وقال : أهينُوا الدُّنيا فوالله لأهنأُ ما تكونُ حين تُهينُونها .

وقال له رجلٌ : ما تقول في الدُّنيا ؟ قال : حلالُها حسابٌ ، وحرامُها عذابٌ . فقال له : ما رأيتُ أوْجز من كلامك . فقال الحسنُ : بل كلامُ عمرَ بن عبد العزيز أوجزُ من كلامي . كتب إليه بعضُ عُمّال حِمْصَ (١) : أما بعد : فإنّ مدينة حِمْصَ قد تهدمت ، واحتاجَت إلى إصلاح . فكتب إليه عمرُ : حصنها بالعدْل ، ونقّ طُرقها من الجوْر . والسلامُ .

قال الحسن لفرْقد (٢) : يا أبا يعقُوب . بلغني أنّك لا تأكل الفالوُذج . قال : يا أبا سَعيد . أخافُ ألاّ

(١) حمص : مدينة وسط سوريا .

(٢) فرقد : هو فرقد السبخي النصراني ، وكنيته أبو يعقوب .

أُؤَدي شُكرَهُ . قال : يا لُكَعُ ! ! وهل تؤدِّي شكرَ الماءِ البارد .

وسَمعَ رجلاً يشكُو علَّةً به إلى آخر . فقال : أمَا إنَّك تشكُو مَن يرحمك إلى مَن لا يرْحَمك .

وقيل لهُ : مَن شرُّ الناس ؟ قال : الذي يرى أنَّهُ خيرُهم .

وقال : قدْ ذمَّ اللهُ الثَّقَل في القُرآن بقوله ((فإذا طَعِمْتُمْ فانتشروا)) (١)

وقال : الدُّنيا كُلُّها غمٌّ ، فما كانَ فيها من سرور فهو ربحٌ .

وقال : إن الله — جلَّ ثناؤُهُ — لم يأْمرْ نبيَّه عليه السلامُ بمشاوَرة أصحابه لحاجة منهُ إلى آرائهمْ ، ولكنَّهُ أحبَّ أن يُعَلِّمه ما في المشورة مِن البركة .

ويُرْوي عَنهُ أنه قال منذُ دَهر ندْعُو الله فنقولُ : اللهمَّ استعملْ علينا أخيارنا فأعظمْ بها مصيبةً ألا يُستْجاب

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ وأولها « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » .

لنا ، وأعظمُ من ذلك أن يكون استُجِيبَ لنا فيكون هؤلاءِ خيارنا .

وذكر الدنيا فقال : المؤمنُ لا يجزعُ من ذُلِّها ولا يُنافس في عزها .

وقال : أربعٌ قواصمُ للظهر : إمامٌ تُطيعهُ ويُضلُّك ، وزوْجةٌ تأْمنُها وتخزنُك ، وجارٌ إنْ علمَ خيراً ستره ، وإن علمَ شرّاً نشرَهُ وفقرٌ حاضرٌ لا يجدُ صاحبُه عنه شارداً (١).

ووصفَ الأَسواقَ ، فقال : الأَسْواقُ موائدُ اللهِ مَن أتاها أصاب منها .

وقال : من عمل بالعافية فيمَن دونه رُزق بالعافية مِمَّنْ فوقهُ .

وقيل لهُ : وكيف رأيتَ الوُلاةَ يا أبا سعيد ؟ قال رأيتهُمْ يبنُون بكلِّ ريع (٢) آيةً يعْبثُون . ويتخذُون مصانعَ لعلَّهُمْ يخلدون . وإذا بطشُوا بطشُوا جبارين (٣) .

(١) الشارد : النافر . والمراد لزوم الفقر لصاحبه .
(٢) الريع — بكسر الراء : المرتفع من الأرض .
(٣) انظر الآيات ١٢٨ — ١٣٠ من سورة الشعراء .

وكان يقولُ : ذمُّ الرجلِ نفسَهُ في العَلانية مدَحٌ لها في السرِّ .

وقال : مَن وسَّع اللهُ عليه في ذات يده فلم يخفْ أنْ يكُون ذلك مكراً من الله به فقد أمن مَخُوفاً ، ومَن ضيق اللهُ عَليه في ذات يده فلم يرْجُ أن يكُون ذلك نظراً من الله لهُ فقد ضيَّع مأْمولاً .

وقال : إن من عظيمِ نِعَمَ اللهِ على خلقه أنْ خلقَ لهُمْ النار يحُوشُهم (١) بها إلى الجنة .

وقال لرجُل : كيْف طَلَبُكَ للدُّنيا ؟ قال شديدٌ . قال : فهل أدْركتَ منها ما تُريد ؟ قال : لا . قال : فهذه التي تطلُبها لم تدركْ منها ما تريد فكيف بالتي لا تطلُبها ؟

وقال : ابنُ آدم أسيرُ الجُوع ، صريعُ الشِّبع .

وذَكَر يوماً الحجاجَ فقال : أتانا أُعيْمش َأُخيفش َ(٢)

(١) يقال : حاش الصيد يحوشه : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة .

(٢) أخيفش : تصغير الأخفش ، وقد يكون الخفش علة ، وهو الذي يبصر الشيء بالليل ، ولا يبصره بالنهار .
والأعيمش : تصغير الأعمش ، والعمش ألا تزال العين تسيل الدمع ، ولا يكاد الأعمش يبصر بها .

له جُمَيْمة (١) يرجّلُها فأخرج إلينا لِماماً (٢) قِصاراً ، والله ما عرق فيها عِنانٌ في سبيل الله . فقال : بايعوني . فبايعناه ، ثم رقى هذه الأعوادَ ينظر إلينا بالتصغير ، وننظرُ إليه بالتعظيم ، يأمُرنا بالمعروف ويجتنبه ، وينهانا عن المنكر ويرتكبُه .

وسُئل عن قوله تعالى : ((إنَّ الّذينَ يَشْتَرُونَ بعَهْدِ الله وأيْمانِهِم ثمناً قليلا)) (٣) ما الثمنُ القليلُ ؟ قال : الدُّنيا بحذافيرها .

وقال : الدنيا تطلبُ الهاربَ منها ، وتهرُبُ من الطالب لها ، فإن أدْركتِ الهارب منها جرحَتهُ ، وإن أدركها الطّالبُ لها قتلتْهُ .

وقال : رُبَّ هالكٍ بالثناء عليْه ، ومغرورٍ بالسترِ عليْه ، ومستدرَجٍ بالإحْسان إليْه .

(١) والجميمة : تصغير الجمة ، وهو مجتمع شعر الرأس .

(٢) اللمام : جمع لمة وهي شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن . واللمة (بضم اللام) : الصاحب أو الأصحاب في السفر .

(٣) سورة آل عمران : ٧٧ .

وقال : إن لمْ تُطعْك نفسُك فيما تحملُها عليْه ماتكرَهُ فلا تُطعْها فيما تحملُك عليه مما تهوى .

وقال تَشبَّه زيادٌ بعمرَ فأفرطَ ، وتشبه الحجاجُ بزيادٍ فأفرطَ ، وأهلكَ الناسَ .

وقال : المؤمنُ لا يَحيفُ (١) على مَن يُبْغِضُ ، ولا يأثَمُ فيمَن يُحبُّ .

وقال لهُ بعضُ الجُند في زمن بني أُميّة : ترَى أن آخذَ أرزاقي أوْ أتركَها حتى آخذَ من حَسَناتهم يومَ القيامَة ؟ . قال : مُرْ فخُذ أرزاقك ، فإن القومَ يومَ القيامة مفاليسُ .

وكتب إلى أخٍ له : أما بعدُ : فإن الصدق أمانةٌ ، والكذب خيانةٌ والإنصاف راحةٌ ، والإلحاح وقاحةٌ ، والتواني إضاعةٌ ، والصِّحة بضاعةٌ ، والحزم كياسةٌ ، والأدب سياسة .

وقال : يابن آدم . اصحبِ الناس بأيِّ خُلق شئت يصحَبُوك بمثله .

---

(١) الحيف : الظلم والجور .

وقال : الرِّجالُ ثلاثةٌ ، رجلٌ بنفسه ، وآخر بلسانه وآخر بماله .

وقال له رجُل : لي بُنيَّةٌ وأنها تُخطبُ . فممَّن أزوِّجُها ؟ قال : زوِّجها ممن يتقي الله فإنْ أحبها أكرمَها ، وإن أبغضها لمْ يظلمْها .

وقال : كنا في أقوام يخزُنُون ألسنتهُم ، ويُنفقُون أوراقهم ، فقد بقينا في أقوام يخزنُون أوراقهُم(١) ، وينفقُون ألْسِنتهم .

وكتب إلى عُمر بن عبدِ العزيز . أمّا بعدُ : فكأنَّك بالدنُّيا لم تكُن ، وكأنَّك بالآخِرة لم تَزلْ .

وقيل له في أمير قَدِم البصرة ، وعليه ديْنٌ قد قضاهُ . فقال : ماكان قطُّ أكثر ديْناً منه الآن .

وقال : ينادي منادٍ يوم القيامةِ : من لهُ علَى اللهِ أجرٌ فليقُمْ ، فيقُومُ العافُون عن النَّاس . وتلا قوله تعالى : « فمن عفا ، وأصْلح فأجْرُهُ على اللهِ(٢) ».

---

(١) الأوراق : جمع ورق ، وهو المال .
(٢) سورة الشورى : ٤٠ . وأولها « وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

اجْتازَ نخّاسٌ(١) مع جارية بهِ . فقال أتبيعُها ؟ قال : نعَمْ . قال : أفترضى أنْ تقبض ثمنَها الدِّرهم والدِّرهمَين حتى تستوفي ؟ قال : لا : قال : فإن الله عزَّ وجلَّ قد رضِي في الحُور العين بالفلسِ والفلسَين .

وقيل له : مابالُ الناس يُكرمون صاحب المال ؟ قال : لأن عشيقهُم عنده .

وكان بلالُ بن أبي بُردة أكُولاً . فقال الحسنُ فيه : يتكيء على شمالِهِ ويأكل غير مالَه ، حتّى إذا كظَّه الطعامُ يقولُ : ابغُوني هاضُوماً . ويلَكَ ! ! وهل تهضم إلا دينَك ! !

وكان الحسنُ إذا دخل خَتَنُه(٢) تنحّى عن مكانه له ، ويقول : مرحبا بمن كفى المؤنة ، وستر العورة .

ومن كلامه : مسكينٌ ابنُ آدم ، مكتومُ الأجَل والعِلل ، أسيرُ الجُوع والشِّبع .

---

(١) النخاس : تاجر الرقيق .

(٢) الختن : كل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج البنت وزوج الأخت . والمراد هنا : زوج البنت أو الأخت .

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناسُ عليها ، فقال : مالكُم تزدحمُون ؟ ؟ هاهي تلك ساريتهُ(١) في المسجد . اقعدوا تحتها ، واصنعُوا ماكان يصنعُ حتى تكونوا مثله .

وقال لشيخ في جنازة : أتُرى أن هذا الميِّت لو رجع إلى الدنيا يعملُ عملاً صالحا ؟ قال : نعمْ . قال له : إن لم يكن ذاك فكنْ أنت ذاك .

ونظر إلى قصور المهالبة ، فقال : ياعجباً رفعوا الطِّين ، ووضعُوا الدِّين ، وركبُوا البراذين ، واتَّخذوا البساتين ، وتشبَّهوا بالدَّهاقين(٢) « فذرهم في غمْرتهم حتى حين(٣) » .

وكان يقول في دعائه : اللّهم إنّا نعوذُ بك أن نملَّ معافاتك . فقيل له في ذلك .

فقال : أن يكون الرجلُ في خفض عيش فتدْعُوه نفسهُ إلى سفر .

---

(١) السارية : الاسطوانه أوالعمود الذي يقام عليه المسجد .

(٢) الدهاقين : المفرد : دهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم .

(٣) سورة المؤمنون : ٥٤ .

ودخل إلى مريض قدْ أبلَّ من علّته ، فقال له : إنَّ الله ذكرك فاذكُره . وأقالك(١) فاشكُره .

ويقالُ : إنَّ أوَّل كلامه أنَّه صلَّى يوماً بأصحابه ، ثم انفتل ، وأقبل عليهم ، فقال : أيها الناسُ ، إنيّ أعظُكُم ، وأنا كثيرُ الإسْراف على نفسي ، غيرُ مصلح لها ، ولا حاملُها على المكروه من طاعة ربِّها . قد بلوْتُ نفسي في السَّراء والضَّراء ، فلمْ أجدْ لها كثير شُكر عند الرَّجاء ، ولا كبير صبر عند البلاء ، ولو أنَّ الرجل لم يعظْ أخاهُ حتّى يحكم أمْر نفسه ، ويكمل في الذي خُلق له من طاعة ربّه لقلَّ الواعظونُ الساعون إلى الله بالحثِّ على طاعته ، ولكن في اجتماع الإخوان واستماع حديث بعضهم من بعض حياة للقلوب ، وتذكير من النِّسيان . أيها الناسُ إنما الدنيا دارُ مَن لادار له ، وبها يفرحُ من لاعقل لهُ ، فأنزلُوها منزلتها . ثم أمْسَك .

---

(١) أقالك فاشكره : يقال : أقلته البيع إقالة : قبلت فسخه للبيع . والمعنى : أنقذك فقدم شكرك له .

ولمَّا مات أخوهُ بكى ، فقيل له : أتبكي ياأبا سعيد ؟ فقال : الحمد لله الذّي لمْ يجعل الحزن عاراً على يعقُوب(١)

وقال : إذا خرجت من منزلك فلقيت من هُو أسنُّ منك فقُل : هذا خيرٌ منّي عبَد الله قبْلي ، وإذا لقيت من هُو دونك في السّنّ فقل : هذا خيرٌ منّي عصيْتُ الله قبلهُ . وإذا لقيت منْ هُو مثلُك فقل : هذا خيْرٌ منّي أعرفُ من نفسي مَالا أعرفُ منه .

وكان يقولُ : ياعجباً لقوم قد أُمروا بالزاد ، وأُوذنُوا بالرّحيل ، وأقام أوّلهُم على آخرهم . فليْت شعري ماالذّي ينتظرون ؟

ونظر إلى النّاس في مصلّى البصرة يضحكُون ، ويلعبون في يوم عيد ، فقال : إنّ الله — عزّ وجل — جعَل الصّوم مضماراً لعباده ليستبقُوا إلى طاعته ، ولعمري لو كُشف الغطاءُ اشْغل محسْنٌ بإحسانه ، ومسيءٌ بإسَاءته عن تجْديد ثوب ، أو ترطيل شعر(٢) :

(١) يشير إلى بكاه يعقوب عليه السلام حزنا على يوسف وأخيه حتى ابيضت عيناه .

(٢) رطل شعره : لينه بالدهن وكسره وثناه .

وكان يقول : اجعل الدُّنيا كالقنطرة تجوزُ عليها ولا تعمُرُّها .

وقال : تلقى أحَدهُم أبْيض بضًّا يملُخْ في(١) الباطل ملخاً ، ينفض مذرويْه(٢) ، ويضربُ أصْدريه ، يقولُ هأنذا فاعْرفُوني . قد عرفناك ، فمَقتك اللهُ ومقتك الصَّالحون .

وقال : نِعمُ اللهِ أكثرُ من أن تُشكر إلا ماأعان عليه . وذنُوبُ ابن آدم أكثر من أن يسْلم منها إلا ماعفا عنه .

وكان يقولُ : ليس العجبُ ممَّن عطب كيف عطب ؟ إنما العجبُ ممَّن نجا كيف نجا ؟

وكان يقولُ : حَادثُوا هذه القُلُوب فإنَّها سَريعةُ الدُّثُور ، واقدعُوا هذه الأنفس فإنها طُلَعَةٌ(٣) ، فإنَّكم إلا تقدعُوها تنزع بكُم إلى شرِّ غاية .

---

(١) يملخ في الباطل : الملخ – كالمنع : السير الشديد ، والتردد في الباطل وإكثاره .

(٢) المذروان : فرعا الأليتين ، والمنكبين ، وطرفا كل شيء . والمراد بهما هنا فرعا المنكبين . ويقال ذلك للرجل إذا جاء باغيا يتهدد .

(٣) طلعة : كثيرة التطلع إلى الشيء .

وقال لمطرّف(١) بن عبد الله بن الشّخّير : يامطرّفُ ، عظْ أصحابك . فقال مطرّفُ : إنيّ أخافُ أن أقول مالا أفعلُ . فقال الحسنُ : يرحمك اللهُ وأيُّنا يفعلُ مايقُولُ ؟ يودُّ الشّيطانُ أنه ظفر بهذهِ منكم ، فلمْ يأمرْ أحدٌ بمعروف ، ولم ينه عن منكر .

وكان يقولُ : ماحاجةُ هؤلاءِ ، السلطان إلى الشُّرَط . فلمَّا ولي القضاة ، كثرُ عليه الناس فقال : لابُدَّ للنّاسِ مِن وزعَةٍ(٢) .

وكان يقُولُ : لِسَانُ العاقِل مِن وراءِ قلبهِ فإن عرض له القولُ نظر ،فإن كان لهُ أن يقول قال،وإنْ كان عليه القولْ أمْسك ، ولسانُ الأحمق أمام قلبه فإذا عرض لهُ القولُ قال عليهِ أوْ لهُ .

وقال : او لم يُصب ابنُ آدم إلا الصحة والسَّلامة لأوشكا أن يرداه إلى أرذل العمرُ فحدَّثَ بذلك محمدٍ بن

(١) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف .. كان فقيها ، وكان لوالده عبد الله صحبة ، وكان مطرف من أعبد الناس وأنسكهم . وقد توفي سنة ٨٧هـ .

(٢) وزعة : جمع وارع ، وهو الحابس العسكر الموكل بالصفوف .

جعفر فأعجبه ، وقال : سبحان الله ما أعجب كلام العرب وأشبه بعضه ببعض ؟؟ والله لكأن النمر بن تولب(١) سمع هذا . فقال :

يسرُّ الفتى طولُ السلامة جاهداً
فكيف ترى طولُ السلامة يفعلُ ؟

وقال حُميد بنُ ثور(٢) .

* وحسبُك داءً أنْ تصحَّ وتسلما *

وكان يدعو ويقول : اللهُم أعطنا قوةً في عبادتك ، وبصراً في كتابك ، وفهماً في حكمك ، وآتنا كفلين(٣) مِنْ رحمتك . بيِّضْ وجوهنا بنورك ، واجعلْ راحتنا في لقائك ، واجعلْ رغبتنا فيما عندك من الخير . اللهمَّ إنّا نعوذُ بك منْ العجز والكسل ، والهرم ، والجُبْن ، والبُخْل . اللهم إنّا نعوذُ بك مِنْ قلوب

---

(١) هو النمر بن تولب بن أقيش ، شاعر ، مقل ، مخضرم أدرك الجاهلية ، وأسلم فحسن إسلامه ،

(٢) صدر البيت :

(*) أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحميد بن ثور شاعر مخضرم

(٣) الكفل : النصيب .

لا تخشع ، وأنفُس لا تشبع ، اللّهُم إنّا نعوذُ بك أنفسنا وأهلينا وذرارينا من الشّيطان الرّجيم .

وقال : إنّما تعظُ مُسترْشداً ليفهمَ ، أو جاهلاً ليتعلّمُ ، فأمّا منْ وضع سيفه وسوْطهُ وقال : احذرني فما لك وله ؟

وقال : إنّ قوماً لبسُوا هذه المطارفَ العتاق ، والعمائمَ الرّقاق ، وأوْسعُوا دُورهم ، وضيّقُوا قبورهُم ، وأسْمنُوا دوابّهم ، وأهزلوا دينهُم ، طعامُ أحدهمْ غصْبٌ ، وخادمُه سُخرة ، يتكىء على شماله ، ويأكل من غير ماله ، حتّى إذا أدركتْهُ الكظّةُ ، قال : هلميّ يا جارية هاضُوماً ، ويلك !! وهل تحطمُ إلا دينَكَ ؟ .. أين مساكينك ؟ أيْن يتاماك ؟ أيْن ما أمرك الله به . أين ؟ أين ؟؟ .

ورأى رجلاً يمشي مِشْيةً منْكرةً . فقال : يخْلجُ(١) في مشْيه خلَجان المجنُون . للّه في كلّ عضْو منهُ لقمةٌ ، وللشّيطان لعبةٌ .

---

(١) يخلج في مشيه : يضطرب .

كان أبو الحسن اسمه يسار ، واسم أمه خيرة ، مولاة لأم سلمة أم المؤمنين ، وكانت خيرة ربما غابت فيبكي الحسن فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به ، إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها . فيرون أن تلك الحكمة ، والفصاحة ، من بركة ذلك . ونشأ الحسن بوادي القرى(١) .

وشكا إليه رجل ضيق المعاش ، فقال : ويحك !! أهاهنا ضيق أو سعة إنما الضيق والسعة أمامك .

وقال : لولا قصر همم الناس ما قامت الدنيا .

وقال : يا بن آدم : إنما أنت عدد أيامك إذا مضى يوم مضى بعضك .

وتذاكروا عنده أمر الصحابة . قال الحسن : رحمهم الله ، شهدوا وغبنا وعلموا وجهلنا ، وحفظوا ونسينا . فما أجمعوا عليه اتبعناه ، وما اختلفوا فيه وقفناه .

وقال : حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم .

---

(٣) وادي القرى : مكان قريب من المدينة ، ولد به الحسن البصري .

وقال : عاشرْ أهلَك بأحسن أخلاقك ، فإن الثّواء فيهم قليلٌ(١) .

وقال : السؤالُ نصفُ العِلْم ، ومُداراةُ النّاس نصفُ العَقْل ، والقصدُ في المعيشة نصفُ المعيشة . وما عال مُقْتصِدٌ .

وقال : خفِ اللّه خوفاً ترى أنّك لو أتيتهُ بحسنَاتِ أهْلِ الأرض لم يقبلْها منْك وارْجُ اللّه رجَاءً ترى أنّك إنْ أتيتهُ بسيّئاتِ أهْلِ الأرض غفرها لك .

وقال : مَا استوْدَع اللّهُ رجلاً عقْلاً إلاّ استنْقذهُ بهِ يوماً ما .

وقال : المؤْمنُ لا يَحيفُ على مَنْ يُبغْض ، ولا يأثمُ فيمَنْ يحب .

ودخل إليْهِ أمْردُ حسَنُ الوجْهِ : فالتفت إلى أصْحابه ، فقال : لقد ذكّرني هذا الفتى الحُور العِين .

ووُلِدَ لهُ غُلامٌ فقال لهُ بعْضُ جُلسَائِهِ :

---

(١) الثواء فيهم قليل : الإقامة بينهم قصيرة .

بارك اللّه لكَ في هيبَتِهِ ، وزادَكَ في نعْمتِهِ . فقال الحسنُ : الحمدُ للّهِ على كلِّ حَسنة ، ونسألهُ الزيادَةَ مِنْ كلِّ نعْمةٍ ، ولا مرْحباً بمَن إنْ كُنْتُ مُقِلاً أنْصبنَي ، وإن كُنْتُ غنيّاً أذْهلني لا أرْضَى بِسَعْيي له سَعْياً ، ولا بكدِّي عليه في الحياة كدّاً ، حتى أشْفِق عَاشْيهِ بعدَ وفاتي منْ الفاقةِ ، وأنا في حَال لا يصِلُ إليَّ مِنْ همِّهِ حزنٌ ، ولا مِنْ فرَحه سُرُورٌ .

وقال : عِزُّ الشَّرِيف أدبُهُ ، وعزُّ المؤمنِ استِغْناؤه عن الناسِ .

وقال : العامُ في الصِّغر كالنَّقْش على الحجَر ، وفي الكبرَ كالرَّقْم على الماءِ .

وقال : ما أنْعَمَ اللّهُ على عبد نعْمةً إلا وَعَليْهِ فيها تبِعةٌ إلا سُليمان فإنَّ اللّه قال : « (هذا عطاؤنا فامنُنْ أو أمْسِكْ بغير حساب) »(١) .

---

(١) سورة ص ٣٩ .

وقال : لا أبالك ، إنْ لم تكُنْ حليماً فتحلَّمْ فإنَّه قلَّ رجلٌ يتشبّهُ بقوم إلاَّ أوْشك أنْ يكُون منْهُمْ .

وقال : لا تشتريَنَّ عداوة رجل بمودَّة ألْف رجُل.

وقيل أهلك فلانٌ فجْأةً . فقال : لوْ لمْ يهلِكْ فجأةً لمرض فجأةً .

وقال : منْ زهِدَ في الدُّنْيا ملكها ، ومنْ رغِب فيها عبدَها .

قال له رجلٌ : يا أبا سعيد ، ما تقُولُ في الغناء ؟ قال : نِعْم الشيءُ الغِنَى تصلُ بهِ الرَّحِمَ ، وتفُكُّ بهِ العانِي ، وتُنفّسُ به عن المكرُوب .

قالَ : لستُ عنْ هذا أسْألُكَ ، إنّما أسْألُكَ عن الغِناء . قالَ : وما هُو أتعرفُ منْهُ شيئاً ؟ قالَ : نعمْ : قالَ : فهاتِهِ : فانْدفع يُغنّي ، ويلْوي شِدْقيْهِ ، ومِنخرَيْهِ ، ويكسِرُ عيْنيْهِ : قالَ : فبُهِتَ الحسَنُ ، وجعل يعزُبُ عنهُ بعْضُ عقْله حتّى فعل كما فعل الرَّجلُ بتحريكِ عيْنيْهِ ،

وكَسَرَ حاجبيهِ ، ثم قالَ لما تَنبَّهَ مِنْ سِنَتِهِ : أمْسِكْ ياهذا ، قَبَّح اللهُ هَذَا ، مَا كُنْتُ إلاَّ في حُلْمٍ .

قالُوا : وَلِيَ الحسَنُ القضَاءَ فَمَا حُمِدَ . يريدُ أنَّه لَوْ حُمِدَ إنْسانٌ في ولاَيةٍ أوْ قَضاءٍ لَحمِدَ الحسَنُ ؛

وقال : يا بْنَ آدَمَ تعففْ عنَ مَحارمِ الله تكُنْ عابداً ، وارْضَ بمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ مِنْ الرِّزْقِ تكُنْ غَنيّاً . وصَاحِبِ الناسَ بما تُحبُّ أنْ يُصاحِبُوكَ بهِ تكُنْ عَدْلاً ، وإيَّاكَ وكثْرةَ الضَّحِكِ فإنَّه يُميتُ القَلْبَ . لقَدْ كانَ قَبلَكَ أقْوامٌ جَمَعُوا كَثيراً ، وأمَّلوا بَعيداً ، وبَنَوْا شَدِيداً ، فأَصْبحَ جمْعُهم بُوراً ، ومَسَاكنهُم قُبوراً ، وأمَلُهُمْ غُرُوراً .

وقالَ : يا بْنَ آدَمَ لاَ تُجاهِدِ الطَّلبَ (١) جهادَ الغَالِبِ ، وَلاَ تَتَّكلْ علَى القَدَرِ اتكَالَ المُسْتَسْلِمِ ؛

---

(١) الطلب : الجري والسعي وراء الرزق ، والمراد : لا تحاول الإلحاح في الحصول على طلبتك .

فإنَّ ابتغاءَ الفضْل مِنَ الشِّرَّةِ (١) ، والإجْمالَ في الطَّلب مِنْ العِفَّةِ ، وليْسَتِ العِفَّةُ بدافعةٍ رزْقاً ، ولا الحرصُ بجالبٍ فضْلاً ، وإنَّ مِن الحرْص اكتسابَ الإثْم .

* * *

(١) الشرة : شرة الشباب : حرصه ونشاطه .

الباب العاشر



نُكَتٌ مِنْ كلامِ الشِّيعَة

خطَبَ عبْدُ الملك ، فلمَّا بلَغ إلى العظَة قَامَ إليه رُجُلٌ من آل صُوحانَ (١) . فقالَ : مَهْلاً مَهْلاً . تأْمُرونَ فلا تأْتَمِرونُ ، وتَنْهَوْنَ ولا تنتهُون ، وتعظُون ولا تتَّعظُونَ . أفَنَقْتَدي بسيرتكُمْ في أنفُسكُم أمْ نُطيع أمْرَكُمْ بألْسنتكمُ ؟ فإنْ قُلْتُم : اقتَدُوا بسيرتنَا فأنَّى ؟ وكَيْفَ ؟ ومَا الحجَّةُ ؟ ومَا النصيرُ منَ الله باقتداءِ سيرَة الظَّلَمَة الفَسَقة ، الجَوَرَة الَّذين اتَّخَذُوا مالَ الله دُوَلاً (٢) ، وعبيدَهُ خَوَلاً (٣)

(١) آل صوحان : ينسبون إلى صعصة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي من سادات عبد القيس من أهل الكوفة كان خطيبا بيناً عاقلا اه شعر .

(٢) اتخذوا مال الله دولا : جمع دولة بالضم ، أي جعلوه متداولا بينهم ، مرة لهذا ومرة لهذا .

(٣) خولا : الخول : ما أعطاك الله من النعم — محركة — والعبيد والإماء وغير ذلك من الحاشية ، وهو يطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى .

وَإِنْ قُلْتُم : اقبلُوا نَصيحتَنَا ، وأطيعُوا أمْرَنَا ، فكيْفَ يَنْصَحُ لغيره مَنْ يَغُشُّ نَفْسَهَ . أمْ كيْفَ تَجِبُ الطَّاعةُ لمنْ لمْ تَثْبتْ عنْدَ الله عدالَتُه ؟ وإِنْ قلْتُم خُذُوا الحكمَةَ من حَيْثُ وجَدْتُموهَا ، واقْبلُوا العظَةَ ممَّن سَمعتُموهَا فَعلامَ وَلَّيْنَاكم أمْرَنَا ، وحَكَّمْنَاكُمْ في دمَائنَا وأمْوالَنا ؟ أمَا علمتُمْ أنَّ فينَا مَنْ هُوَ أنْطَقُ منْكُم باللغَات ، وأفْصَحُ بالعِظَاتِ ؟ فَتحلْحلَوا (١) عنها أولاً ، فأَطْلِقُوا عِقَالَها ، وخَلُّوا سَبيلَها يَبْتدِرْ إِلَيْهَا آلُ رَسولِ الله صلى اللهُ عليه وعليهم الذينَ شَرَّدْتُموهُمْ في البلاد ، وفرَّقْتُموهُمْ في كُلِّ وَاد ؛ بل تثبت في أيْديكُمْ لانْقضَاءِ المُدَّةِ وبُلُوغ المُهْلَةِ ، وعِظَمِ المحنةِ . إِن لكُلِّ قائم قَدَراً لاَ يعْدُوهُ ويوْماً لا يخْطوه ، وكتاباً بعدَه يتلُوهُ «(لا يُغادِرُ صغيرةً ، ولا كَبيرةً إِلاَّ أحْصاها)» (٢) .

---

(١) أي تحولوا .

(٢) سورة الكهف : ٤٩ .

« وسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أيَّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبون » (١) .
قال ثُمَّ أُجْلِسَ الرَّجُلُ فطُلِبَ فلَمْ يُوجَدْ .

قال يونس (٢) : قلت للخَليلِ (٣) : ما بالُ أصْحَابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم كأنهم بَنو أُمٍّ وإِخوة ، وعلِيٌّ كأنَّه ابن عَلَّة (٤) فقالَ لي : منْ أين لَكَ هَذا السؤال ؟ فقلْت : أُريد أن تجيبني . قالَ عَلَى أنْ تكتم عليَّ ما دمتْ حياً . قلْت : أجَلْ . قالَ : تقدَّمَهم إِسلاماً ، وبذَّهم شَرَفاً ، وفاقَهم عِلْماً ، ورَجَحَهم حلْماً ، وكَانَ أكثرَهم زهْداً ، فَحَسروه والناسُ إلى أشْكَالِهم أميل .

سُئِلَ أحمدُ بنُ حنبل (٥) عَنْ قول الناسِ :

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ وأولها : « إلا الذين آمنوا وعملو الصالحات
(٢) هو يونس بن حبيب من أعلام النحاة في العصر العباسي .
(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض ، وصاحب كتاب العين وكتاب الخيل .
(٤) العلة : الضهرة
(٥) هو الإمام أبو عبيد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي الأصل . ولد ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤هـ . وكان إمام المحدثين .

عليٌّ قسيمُ الجنَّةِ والنَّار . فقالَ : هذا صحيحٌ لأنَّ النَّبيَّ عليه السلامُ قالَ لعليٍّ : « لا يحبُّك إلا مؤمنٌ ولا يُبغضكَ إلا منافقٌ » والمؤمنُ في الجنَّةِ والمُنافقُ في النَّار .

* * *

الباب الحادي عشر

كَلامُ الخَوارِج (١)

مِنْ كَلامِ أبي حمْزَةَ (٢) : تَقْوَى اللهِ أكرمُ سَرِيرة ، وَأفْضَلُ ذَخِيرة ، مِنْها ثِقَةُ الوَاثِق ، وعليْها مِقَةُ الوَامِق . ليعمل امرؤ في فِكَاك نَفْسِهِ وهو رخيٌّ (٣) اللَّبَب ، طويلُ السَّبَب ، وليعرفَ مَمدَّ يَدِهِ ، ومَوْضِعَ قَدَمِهِ ، وليَحْذَر الزَّلَلَ والعلَلَ التي تقْطَعُ عَن العمَل . رَحِمَ اللهُ عَبْداً آثَرَ التَّقْوىَ ، واسْتَشْعَرَ شِعَارَهَا واجْتَنَى ثِمارَها . باعَ دَارَ النَّفَدِ بدار الأَبَدِ . الدُّنْيَا كروْضَة اعتَمَّ مَرْعَاهَا ،

(١) الخوارج : هم أتباع أقدم الفرق الإسلامية . وترجع أهميتهم إلى أقوالهم ، في نظرية الخلافة ، وفي الإسلام الصحيح ، وهل يكون بالإيمان والعمل ؟ وقد ترتب على معتقدهم هذا قيامهم بثورات محلية عكرت صفو السلام في الدولة الإسلامية .

(٢) أبو حمزة هو : يحيى بن المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السليمي البصري ، ثائر فتاك ، من الخطباء القادة .

(٣) المراد : وهو في مقتبل عمره .

واعْجَبَتْ مَنْ يَراهَا ، تَمُجُّ عروقُها الثَّرَى ، وتنطفُ(١) فروعها النَّدَى ، حَتَّى إذا بَلَغَ العُشْب إناهُ(٢) ، وانْتَهَى الزِّبْرِج (٣) منتهاه ، ضعفَ العمُودُ ، وذَوَى العُودُ ، وتوالَى مِنَ الزَّمان مالا يعود ، فَحتَتِ الرِّياحُ الورقَ ، وفرَّقَتْ ما اتَّسَقَ ، « فَأَصْبَحَ هَشِيماً تذْرُوهُ الرِّياحُ « وكانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ مُقْتَدِراً »» (٤)

كان شَبِيبُ (٥) يقُولُ : الليلُ يكْفيكَ الجَبَانَ ونِصْفَ الشُّجَاع .

أُتِيَ الحجَّاجُ بامْرَأة مِنْ الخَوارج ، فقالَ لِمنْ حَضَر : ما ترونَ فيها ؟ قالُوا : اقْتُلْها . فقالَتْ :

---

(١) تنطف فروعها : تنطفت : تقرملت ، ووصيفة منطفه أي مقرطة .

(٢) بلغ أناه : - ويكسر - بلغ غايته أو نضجه وإدراكه .

(٣) انتهى الزبرج منتهاه : الزبرج - بكسر الزاي- الزينة من وشي أو جوهر .

(٤) سورة الكهف : ٤٥ .

(٥) شبيب الخارجي هو : شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني ، أبو الضحاك من أبطال العالم ، وأحد كبار الثائرين على بني أمية ومات غرقا .

جُلَسَاءُ أخيكَ خيرٌ مِنْ جُلَسَائكَ : قال : ومَنْ أخي ؟ قالَتْ : فِرْعَوْنُ : لمَّا شَاوَرَ جُلَسَاءَهُ في مُوسى «(قَالُوا أرْجِهْ وأخَاهُ وأبْعَثْ في المدَائِنِ حَاشِرِين)» (١) فأمَرَ بقَتْلِهَا .

مرَّ رجلٌ من الخوارج بدارٍ تُبْنَى ، فقال : مَنْ هذا الذي يُقيم كفيلا ؟

أخذ ابنُ زيادٍ ، ابنَ أديَّةَ (٢) : أخَاأبي بلال ، فقطع يديه ، ورجليه ، وصلبه على بَابِ دارِه فقال لأهله وهو مصْلوبٌ : انظروا إلى هؤلاء الموكَّلين بي فأحسِنُوا إليهم فإنهم أضيافكم .

أُتِيَ عتَّابُ (٣) بنُ وَرْقَاء بامرأة من الخوارج فقال لها : يا عدوةَ الله ، ما دعاكِ إلى الخروج ؟ أمَا سمعتِ اللهَ تعالى يقول :

---

(١) سورة الشعراء : ٣٦ .

(٢) عروة بن أدية هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٨هـ .

(٣) هو عتاب بن ورقاء الرياحي .

كُتبَ القتلُ والقتالُ علينـــا
وعلى المُحْصَنات جرُّ الذيول

فقالت : يا عدوَّ الله، أخرجني قلةُ معرفتك بكتاب الله.

خُطْبَةُ قَطَرِيّ بنِ الفُجَاءةِ (١)

أمَّا بعدُ : فإني أحذِّرُكم الدنيا فإنها حُلوةٌ خَضِرةٌ ، حُفَّتْ بالشهواتِ وراقتْ بالقليل ، وتحبَّبتْ بالعاجلة ، وحلَّت بالآمال ، وتزيَّنت بالغُرور ولا تدُومَ حَبْرَتها(٢) ، ولاتُؤْمَنُ فجيعتُها ، غرَّارةٌ ضرَّارةٌ ، وحائلةٌ زائلةٌ ، ونافِدةٌ بائدةٌ ، أكَّالةٌ غوَّالة ، لاتعْدُو — إذا تناهت إلى أُمنية أهلِ الرغبة فيها ، والرِّضا عنها — أنْ تكونَ كما قال اللهُ تعالى : « كماءٍ أنزَلْناهُ من السماء ، فاختلطَ به نَبَاتُ الأرض فأصْبحَ هَشِيماً تذْروه الرياحُ وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقْتدِراً(٣) » .

---

(١) هو أبو نعامة قطري بن الفجاءة ، واسمه جعونة بن مازن بن يزيد ، والفجاءة أمه وكان أطول الخوارج أياما وأحدهم شوكة وكان شاعرا جوادا وخطيبا مشهورا وقد توفي سنة ٧٨هـ .

(٢) الحبرة : النعمة .

(٣) سورة الكهف : ٤٥ . وأولها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا » .

مع أنَّ أمْراً لم يكُنْ منها في حَبْرة(١) إلا أعْقَبَتْهُ بَعدها عَبرة ، ولمْ يلْقَ مِنْ سَرَّائها بطْناً إلاَّ منحتْه مِنْ ضَرائها ظهْراً ، ولم تَظِله غيمَةُ رَخَاءٍ إلاَّ هَطلتْ عليه مُزْنةُ بلاء ، وحَرِيَّةٌ إذا أصبحَتْ له منتصِرةً ، أنْ تُمسيَ له خاذلةً متنكِّرة ، وإنْ جانبٌ مِنْها اعْذَوْذَبَ واحْلَوْلَى أمرَّ عليه منها جانبٌ وأَوْبَى(٢) .

وإنْ آتتْ امرَأً مِنْ غضَارتِها ورقاً أرهقتْه مِنْ نوائبها تعباً ولم يُمْسِ منها امرُؤٌ في جنَاحِ أمْنٍ إلاَّ أصبحَ مِنْها على قَوادمِ خوف . غرارةٌ ، غرورٌ مافيها ، فَانيةٌ فانٍ مَنْ علَيْها . لاخَيْرَ في شيءٍ مِنْ زَادِها إلاَّ التّقوى . مَن أقلَّ منها استكثرَ مما يؤمِّنُه ، ومَنْ استكثر منْهَا استَكْثَر مِمّا يُوبِقُه(٣) ويطيل حُزنه ، ويُبْكي عينَه ، كَم واثقٍ بها فجعتْه ، وذي طمأنينة إليها قد صرعتْه ، وذي احتيال فيها قد خَدَعتْه ، وكمْ

---

(١) الحبرة : البهجة والنضارة .

(٢) أوبى : أي صار فيه الوباء فهو مسهل من أوبأ .

(٣) يوبق : يهلك .

ذي أبَّهة فيها قد صيَّرتْه حقيرا ، وذي نخْوة قد ردَّتْه ذليلا ، ومنْ ذي تاج قد كبَّتْه لليدين ، وللفم .

سلطانُها دُوَلٌ ، وعيشُها رَنق(١) وعذبها أجاجٌ ، وحُلوُها صَبِرٌ(٢) ، وغذاؤها سِمامٌ ، وأسْبابها رِمامٌ(٣) ، وقطافُها سَلَع(٤) ، حيُّها بعَرَض ِموت ، صحيحُها بعرَض ِ سقْم ، منيعُها بعرَض ِ اهتضام . مَليكُها مسْلُوب ، وعزيزُها مغْلوبٌ ، وسليمُها منْكُوب ، وجارُها مَحْروبٌ(٥) ، مع أنَّ وراءَ ذلك سكرات ِ الموت ، وهولَ المطَّلَع ، والوقوفَ بينَ يَدي الحكم العدل « ليَجْزِيَ الذِّينَ أساءُوا بِما عَملوا ويجْزِيَ الذِّينَ أحْسنُوا بالحُسْنَى(٦) » .

ألستُم في مساكن مَنْ كانَ قبْلكم أطْولَ

---

(١) عيشها رنق : كدر .

(٢) حلوها صبر : الصبر ككتف : عصارة شجر مر .

(٣) أسبابها رمام : واهية .

(٤) وقطافها سلع : السلع – بتحريك اللام – شجرمر .

(٥) محروب : مسلوب .

(٦) سور النجم : ٣١ .

أعماراً ، وأوضح منكم آثاراً ، وأعدّ عديدا ، وأكثفَ جُنوداً ، وأشدّ عُنودا .

تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد ، وآثروها أي إيثار ، وظعنوا عنها بالكُره والصّغار فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية ، أوْ أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب ؟ بلْ قدْ أرهقتهم بالفوادح ، وضعضعتهمْ بالنوائب ، وعقرتهم بالفجائع . وقد رأيتم تنكّرها لمنْ دانَ لها ، وآثرها وأخلدَ إليها ، حين ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المُسْند(١) .

هل زوّدتهم إلا السّغب ، وأحلّتهم إلا الضنْك ، أوْ نوّرت لهم إلاّ الظّلمةَ أو أعقبتهم إلاّ النّدامة ؟ أفهذه تؤثرون أمْ على هذه تحْرِصون ؟ أم إليها تطمئنّون ؟

يقولَ الله عزّ وجل : « منْ كان يُريد الحياةَ الدنيا وزينتها نُوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخسون(٢) » . فبئستْ الدارُ لمنْ أقامَ فيها .

---

(١) آخر المسند : المراد الدهر يقال لا آتية أبد المسند أي أبداً .

(٢) سورة هود : ١٥ .

فاعلموا — وأنتم تعلمون — أنكم تاركوها لابُدّ ، فإنما هي كما وصفها الله باللعب ، واللهو . وقد قال الله تعالى : « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين »(١) .

ذكر الذين قالوا : « مَنْ أشدُّ مِنَّا قوةً(٢) » ثم قال : حُمِلُوا إلى قبورهم فلا يُدعَوْن ركباناً ، وأُنزِلوا فلا يُدعَوْن ضيفاناً ، وجعل الله لهم من الضّريح أجناناً(٣) ، ومن التراب أكفانا ، ومن الرفات جيراناً ، وهم جيرةٌ لا يُجيبون داعياً ، ولايمنعون ضيماً . إن خصبوا لم يفرحوا ، وإن قحطوا لم يقنطوا . جميعٌ وهم آحاد ، جيرةٌ وهم أبعادٌ ، متناءُون لايزورون ولا يُزارون .

---

(١) سورة الشعراء : ١٢٨ — ١٣٠ .

(٢) سورة فصلت : ١٥ « فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة » .

(٣) الأجنان : جمع جنين ، وهو الستر والمراد القبر .

حُلماءُ قد ذهبتْ أضْغانُهم ، وجُهلاءُ قد ماتتْ أحقادهُمْ ، لا يُخشى فجْعهُمْ ، ولا يُرْجى دَفْعُهُم ، وكما قال الله تعالى : « فتلْكَ مساكنُهم لم تُسْكَنْ منْ بعْدِهِم إلاَّ قليلا وكُنّا نحنُ الوارثين(١) » .

واستبدَلوا بظَهْرِ الأرض بطْناً ، وبالسّعة ضيقاً ، وبالأهل غُربةً ، وبالنُّور ظُلمة ، ففارَقُوها كما جاءُوها حُفاةً ، عُراةً ، فُرادَى . غيرَ أنْ ظعنُوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، وإلى خلود الأبَد . يقولُ الله تبارك وتعالى : « كَمَا بَدَأنا أوّلَ خلْق نُعيدُهُ وَعْداً علَينا إنّا كُنّا فاعِلينَ(٢) » .

فاحْذَروا ما حذَّركُم الله ، وانتفِعُوا بمواعظه ، واعتصِمُوا بحبْله . عَصَمنا اللهُ وإياكم بطاعته ، ورزَقنا وإياكُم أداءَ حقّه .

قالوا : لمّا أخِذ (أبو) بَيْهس(٣) الخارِجيُّ ،

---

(١) سورة القصص : ٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) هو أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي الخارجي وأتباعه يسمون البيهسية إحدى فرق الخوارج .

وقُطِعتْ يداهُ ، ورِجْلاهُ ، ثُمَّ تُرِكَ يتمرَّغُ في التُّراب . فلمَّا أصْبح قال : هل أحدٌ يُفْرِغُ عليَّ دَلْوين ؟ فإنِّي احتلمتُ في هذه اللَّيلةِ . هذا إنْ كان صَادقاً فهو عجيبٌ ، وإنْ كان قالهُ استهانةً بمَنْ فَعلَ ذلك فهو أعجبُ .

قال بعضُهم : سمعتُ أبا بلال في جنازة وهو يقولُ : ألا كلُّ ميتةٍ ظنُونٌ(١) إلاَّ ميتةَ الشَّجَّاء . قالوا : ومامِيتةُ الشَّجَّاء ؟ قالَ : امرأةٌ أخذهَا زيادٌ فقطعَ يديْها ، ورجليها ، فقيل لها : كيف تريْنَ ياشجَّاءُ ؟ قالتْ : قد شَغلني هولُ المطَّلَعِ عن بَرْدِ حديدكم .

قال الحجاجُ لامرأةٍ من الخَوارج : اقْرئي شيئاً من القرآن . فقالتْ : « إذا جاء نَصْرُ الله والفتْحُ ، ورأيتَ النَّاسَ « يخرجون(٢) » فقَالَ : ويحك يدخُلُون .

قالت : قد دَخلُوا ، وأنتَ تُخْرِجُهم .

---

(١) كل ميتة ظنون والمراد كل ميتة تدل على ضعف الميت إلا هذه المرأة الخارجية .

(٢) سورة النصر : ١ ، ٢ .

وقال الحجَّاجُ لأخرى : لأحصدنَّكُم حصْداً . قالتْ : أنت تحصُدُ ، واللّهُ يزرعُ ، فانظُرْ أينَ قُدْرةُ المخلُوقِ مِنْ قُدرةِ الخالق ؟

رأتْ أخرى منهُمْ رجلاً بَضّاً فقالتْ إنيّ لأرَى وجْهاً لم يُؤَثّرْ فيه وُضُوء السَّبَرَاتِ(١) .

كان شَبيبُ الخارجِي(٢) يُنْعَى لأمّه : فَيُقَالُ : قُتِلَ : فَلاَ تُصَدِّقُ ، إلى أنْ قِيلَ لَهَا : غَرِقَ فَوَلْوَلَتْ ، وصدَّقَتْ : فَقِيلَ لَهَا في ذلِكَ . فقَالَتْ إنّي رأيتُ حين ولَدتُهُ أنّهُ خَرَجَ مِنّي نَارٌ فَعَلِمْتُ أنّهُ لا يُطفِئُهُ إلاّ الماءُ .

وقَفَ رجُلٌ علَى أبي بيْهَسَ وقَدْ أُمِرَ بقَطْعِ يَدَيْهِ ورجْلَيهِ فقال : ألاَ أُعْطِيكَ خاتِماً تتختَّمُ بِهِ ؟ فقالَ لَهُ أبو بيْهسُ : أشْهَدُ أنَّكَ إنْ كُنت مِنَ العَرب فأنت مِن هذيل ، وإن كنت مِن العجَم فأنت بَرْبَرِيٌّ . فَسُئِل عَنه فإذا هوَ منْ هذيل وأُمهُ بَرْبَرِيّةٌ .

---

(١) السبرات : جمع السبرة — بفتح السين ، وهي الغداة الباردة .

(٢) هو شبيب بن يزيد الخارجي صاحب الشبيبية .

أتى رجُلٌ منَ الخوارج الحسنَ البصري ، فقالَ لَهُ : ما تقولُ في الخوارج قالَ : هُمْ أصْحابُ دُنيا ، وقالَ : ومن أينَ قُلتَ وأحدهُمْ يمشي في الرمح حتّى ينكسر فيه ، ويخرج من أهله وولده ؛ فقالَ الحسنُ : حدّثني عَن السُّلطان أيمنعُكَ من إقامَة الصّلاة ، وإيتاءِ الزّكاة ، والحجّ والعُمْرة ؟ قالَ : لا : قالَ : فأراهُ إنّما منعَكَ الدُّنيا فقاتلتَ .

نزَل رجُلٌ منَ الخوارج علَى أخٍ لهُ منهُمْ في استتارةٍ منَ الحجّاجِ ، وأرادَ صاحبُ المنزل شُخُوصاً إلى بلدٍ آخرَ لحاجةٍ لهُ ، فقالَ لامرأته : يا زرقاءُ أُوصيكِ بضيفي هذا خيراً . وبَعُدَ لوجهتِهِ . فلمّا عادَ بعْدَ شهرٍ قالَ لها : يا زرقاءُ . كيْفَ رأيْتِ ضَيْفَنَا ؟ قالتْ ما أشْغَلَهُ بالعمى عَنْ كُلّ شَيء . وكانَ الضّيفُ أطبَقَ عينَهُ فلمْ ينْظُرْ إلى المرْأة والمنزلِ إلى أنْ عادَ زَوْجُهَا .

اجْتمعَ ثَلاثَةٌ مِنَ الخوارج فعقد اثْنَان لِواحِدٍ ، وخرَجُوا يمشُونَ خلْفَهَ يلْتمِسونَ شيئاً يركَبُهُ ،

فجعلَ الاثنان يتلاحيان(١) ، فالتفتَ إليهما وقالَ :
ما هذه الضوضاءُ التي أسمعُها في عسكري ؟؟

كبرَ رجلٌ منهم وهرمَ حتى لم يكنْ بهِ نهوضٌ ،
فأخذَ منزلاً على ظهرِ الطريق ، فكلَّما جاءَ مطرٌ
وابتلَّتْ الأرضُ أخذَ زُجاجاً ، وكسرَهُ ، ورماهُ
في الطريق ، فإذا مرَّ إنسانٌ وعقرَ(٢) رِجْلَهُ الزُّجاجُ
قالَ الخارجيُّ مِنْ وَرَاءِ البابِ ، لاحُكْمَ إلاَّ لِلَّهِ
ثُمَّ يقولُ : اللَّهُمَّ إنَّ هذا مجهودي .

لقيَ رجلٌ بعضَ الخوارجِ بالموقفِ عشيَّةَ عرفة(٣)
فقال لهُ : مَنْ حجَّ في هذهِ السَّنةِ مِنْ أصْحابكم ؟
فقالَ : ما حجَّ غيري . فقالَ لَه : إنَّما باهَى اللَّهُ
عزَّ وجلَّ ملائكتَهُ في هذهِ السَّنةِ بشقِّ محمليهِ .

أحضرَ الحجَّاجُ رجُلاً مِن الخوارجِ ، فمنَّ عليهِ ،
وأطلقَهُ ، فلما عادَ إلى أصْحابهِ ، قالُوا لَهُ : إنَّ اللَّهَ

---

(١) يتلاحيان : لحاه يلحوه : شتمه .
(٢) عقر الزجاج : أي جرحه ، والعقر : الجرح .
(٣) أي يوم عرفة آخر النهار ، وهو يوم التاسع من ذي الحجة .

مخلِّصك من يده ليزيدك بصيرة في مذهبك ، فلا تُقصِّرْ في الخروج عليه . فقال . هيهات . « غلَّ يداً مطلقُها ، واسترق رقبةً معتقُها(١) » .

وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد ، وله آدابٌ محفوظة عنه .

كان يقول : إذا أفضيتُ بسرّي إلى صديقي فأفشاه لم ألمه لأني كنتُ أولى بحفظه .

وكان يقول : لا تفشِ إلى أحدٍ سراً . وإن كان لك مخلصاً إلاَّ على جهة المشاورة .

وكان يقول : كن أحرص على حفظ السرّ صاحبك منك على حقن دمك .

وكان يقول : أقلُّ ما يدلُّ عليه عائب النَّاس معرفته بالعيوب ولا يعيبُ إلاَّ معيبٌ .

وكان يقول : المال غيرُ باقٍ فاشترِ به من الحمد ما يبقى عليك .

---

(١) غل يدا مطلقها ، واسترق رقبة معتقها ، غل يدا : أي وضع فيها الغل واسترق رقبة : أي ملكها بالرق ويضرب لمن يستعبد بالإحسان إليه .

وكان يقول : بَذْلُ المالِ في حقّه استدعاءٌ للمزيد من الجَواد .

وكانَ يُكثِرُ أنْ يقولَ : لو ملكت الدُّنْيا بحَذافيرها(١) . ثم دُعيتُ إلى أنْ أستقيلَ(٢) بها خطيئةً علي لفعلْت .

ولمّا أُتيَ عبيدُ اللّه بن زياد بعروةَ بنِ أُديَّة — وكانَ قد أُصيبَ في سَريَّةٍ(٣) للعلاء بنِ سُويد في استتاره — قال له عبيدُ اللّه : جهَّزْتَ أخاكَ عليَّ : فقال : واللّه لقد كنتُ به ضَنيناً وكانَ لي عزًّا ، ولقد أردتُ له ما أريده لنفسي ، فعزَم عزْماً فمضَى عليه ، وما أُحبُّ لنفسي إلاَّ المقامَ وتَرْكَ الخروج . قال له : أفأنتَ على رأيه ؟ قال : كنّا نعبد ربّا واحداً . قال أمَا لأمثِّلَنَّ بكَ . قال فاخْتَرْ لنفسك منَ القصاص ما شئْت . فأمرَ به

(١) بحذافيرها : جمع حذفور أو حذفار ، وهو أعلى الشيء وناحيته والمراد جميعها .

(٢) أستقيل خطيئة علي : أطلب الصفح عن خطيئة حسبت علي .

(٣) السرية : القطعة من الجيش .

فَقطعوا يَديْه ورجْلَيه . ثم قال : كيفَ تَرى ؟ قال أفسدتَ عليَّ دنْيايَ وأفسدتُ عليك آخرتَك .

وفي كتاب لنافع بن الأزرق(١) كتبه إلى قَعَدَةِ الخوارج : ولا تطْمَئِنّوا إلى الدنيا فإنها غرّارةٌ ، مكّارة، لذّتها نافدةٌ ، ونعيمها بائد . حُفّت بالشهواتِ اغترارا ، وأظهرتْ حَبْرةً ، وأضمرتْ عَبرة ، فليس لآكلٍ منها أكلةٌ تسرهُ ، ولا شربة تُونقُه إلاّ دنَا بها درجةً إلى أجله ، وتباعدَ بها مسافةً منْ أمله . وإنما جعلها الله داراً لمنْ تزوَّد منها إلى النَّعيم المقيم ، والعيش السَّليم ، فلَنْ يرضَى بها حازمٌ داراً ، ولا حكيمٌ بها قرارا ، فاتقوا اللّه ، «(وتَزَوَّدوا فإنَّ خَيْرَ الزادِ التّقْوَى)» (٢) والسلامُ على من أتَّبع الهدى .

ولما حاربهم المهلب بسلّى ، وسلّيرى(٣) فُقُتِل

(١ نافع بن الأزرق هو: نافع بن الأزرق الحنفي صاحب فرقة الأزراقة من الخوارج .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٣) في معجم البلدان : سلى وسليرى، - بكسر السين وتشديد اللام فيهما وقصر الألف كذلك : جبل بمناذر من أعمال الأهواز .

رئيسهم : ابن الماخور(١) اجتمعوا علىّ الزبير بن علي من بني سليط ، وبايعوه ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، فقال لهم : اجتمعوا . فحمد اللّه وأثنى عليه، وصلّى على محمد صلى اللّه عليه — ثم أقبل عليهم فقال: إن البلاءَ للمؤمنينَ تَمحيصٌ وأجرٌ ، وهو علَى الكافرين عقوبةٌ وخزْي ، وإنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خلّف . وقد أصبتم فيهم مسلمَ بن عُبيس ، وربيعاً الأجْذم ، والحجّاجَ بن بَاب ، وحارثةَ(٢) ابنَ بَدْر ، وأشجيتم بالمهلّب ، وقتلتم أخاه المعارك . واللّه يقول لأخوانكم من المؤمنين : «(إنْ يَمْسَسْكم قَرْحٌ فقد مَسّ القومَ قَرْحٌ مثلُه وتلكَ الأيامُ نداولُها بيْنَ الناسِ)»(٣)فيوم سلّى كان لكم بلاءً وتمحيصا،ويوم سولاف(٤) كان لهم عقوبة ونكالا. فلا تُغْلَبُنّ عن الشُّكرِ

(١) عبيد الله بن الماخور أمير الخوارج وكانوا يسمونه أمير المؤمنين وقد قاتله المهلب بن أبي صفرة بجيش كبير قتل فيه ابن الماحور هذا وسبعة آلاف معه .

(٢) هو حارثه بن بدر الفزاري ، كان ذابيان وجهارة وكان شاعرا عالما بالأخبار والألقاب .

(٣) سورة آل عمران ١٤ .

(٤) سولاف — بضم أوله وسكون ثانيه وآخره فاء قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان .

في حينه . والصَّبْر في وقته . وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض والعاقبة للمتقين .

ولمّا استردَّ مصعبٌ المهلبَ من وَجْه الأزارقة ، وولاه الموصلَ(١) شاور الناسَ فيمن يستكفيه أمْرَ الخوارج ، قال قومٌ ، وَلِّ عبيدَ اللّه بنَ أبي بكرة . وقال قوم : ولِّ عمرَ(٢) بنَ عبيد اللّه بنِ مَعْمَر . وقال قوم : ليس لهم إلا المهلبُ فارْدده إليهم .

كَانَ بالمْدينة رجلٌ منَ الخَوارج قالَ بعْضهم : فرأيته يَحْذفُ قنَاديلَ المسْجدِ بالحَصَى ، فيكْسرَهَا فقلْت له : ما تصْنَعُ ؟ قَالَ : أنَا – كَمَا تَرَى – شيْخٌ كبيرٌ ، لاَ أقْدر لهُمْ عَلَى أكثْرَ منْ هَذَا ، أغرمُهُمْ قنْديلاً ، قنْديلَيْنِ في كل يَوم . وصلَّى اللّه على محمد وآله .

---

(١) الموصل : إحدى مدن العراق تقع في الشمال .

(٢) عمر بن عبيد الله بن معمر : ولاه مصعب بن الزبير قتال الخوارج بعد المهلب بن أبي صفرة .

وهذا مُخْتَصَرٌ عمله الصَّاحِبُ رحمة اللّه وسماه
(الكَشْفُ عن مناهجِ أصنافِ الخَوارجِ)

الحمد للّه رب العالمين. وصلى اللّه على النبي محمد ، وآله أجمعين . سألتَ أنْ أذكرَ لكَ ألقابَ طوائفِ الخوارج ، وذَرْواً من اختلافها . وأنا أثبتُ ما يحضر حفْظي . علَى أنَّ هذه الألقابَ تجمع أصولا ، وفروعاً : فربَّ طائفة لحقَها لقبٌ ثم تفردَّ من جملتها فريقٌ فلحقَهم لقبٌ آخر .

والذي يجمعهم من القول تكفيرُ أميرِ المؤمنين(١) — صلواتُ اللّه عليه — وتكفيرُ عثمانَ ؛ وإنكارُ الحَكَمينِ(٢) والبراءةُ منهما ، وممّن حكّمهما أو تولّى أحداً ممن صوّبهما. وأولُ من حَكّمَ بصفّينَ عُروةُ بنُ حُدَير: أخُو أبي بلال مرْداس ، وقيل عاصمُ المحاربيّ ، وأوّل مَن تشَرى(٣) رجلٌ من يشكُرَ ، وكان أميرُهم — أولَ

---

(١) هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) الحكمان هما : عمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعري .

(٣) تشرى : تفرق : أو لعله صار من فرقة المحكمة التي لقبت أنفسها الشراة فيكون معنى تشرى : حكم .

ما اعتزلوا — عبدَ اللّه بنُ الكَوَّاء ، وأميرُ قتالهم شبثٌ ابن ربعيٍّ ، ثم بايعوا لعبدِ اللّه بنِ وهب الراسبيّ .

ذكرُ ألقابَ فرقهم مع جُمَلٍ منْ مذاهبهم

الأزارقةُ : أصحابُ نافع بنِ الأزرق(١) ، ويبرؤون من القَعَدَةِ .

النَّجْديَّة : أصحابُ نَجْدَةَ(٢) بْنِ عامر الأسَدي . تتولَّى أصْحَاب الكَبائر منَ الخوارج إذْ لمْ يُصِرُّوا . ومَنْ أصرَّ منهمُ فَهُوَ مُشْرِكٌ عنْدَهُمْ .

الإباضيَّة : أصحابُ عبد اللّه بْنِ إباضٍ التَّميميّ . فأما عبدُ اللّه بنُ يحيى الإباضي المنقَّبُ بطالبِ الحق فهُوَ منسُوبٌ إليهِم . ومعَهُ خَرَجَ أبُو حمزَةَ الخارِجيُّ .

الصُّفْريَّة : أصحابُ زِياد بنِ الأصْفرِ . وقيلَ أصحابُ عبْد اللّه الصفَّارِ

---

(١) هو نافع بن الأزرق الحنفي رئيس جماعة الأزراقة . وكانت الخوارج قبله على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء والشاذ .

(٢) هو نجدة بن عامر الأسدي الحروري الحنفي من بني حنيفة من بكر بن وائل .

العَطويَّة: أصْحابُ عطيةَ بنِ الأسْود الحنفيّ منْ المنكرينَ علَى نَافع .

العَجَاردةِ : أصحابُ عبدِ الكَريم بنِ عجرد ، وهم عَطوية ، إلا أنهم يوجبُونَ دُعاءَ الأطفَالِ عندَ بُلُوغهم والبراءةَ منهُمْ قبْلَ ذلكَ .

الميمُونيَّةُ : ميْمونٌ هذَا عبدٌ لعبدِ الكَريم بنِ عجردَ . ويقولُ بالعَدْلِ ويَرَى قتْلَ السُّلطانِ خاصَّة ، ومَنْ رَضيَ ظلْمهَ ، وأعَانَهُ دُونَ سائر النَّاس ويُحكَى عنْهُمْ أنَّ التَّزوَّجَ ببنَات الابْنِ وبنَات البنَات ، وبنَات بنَات الأخَوات وبنات بني الإخوَةِ جائزٌ ، وأنَّ سُورةَ يوسُفَ ليستْ منَ القرآنِ ، وأكثَرُ مَنْ بسجِسْتانَ ميمُونيَّةٌ ، وعَجاردَةُ . وقيلَ ميمونُ رجلٌ منْ أهْلِ بَلْخ .

الخلفيَّة : يقولُون بالجَبْرِ (١) ، ويخالفُون الميْمونيَّةَ في العَدْلِ .

---

(١) أي أن الإنسان مجبور على كل ما يأتيه من خير وشر وليس له اختيار في أفعاله .

الحمزية : أصحابُ حمزة بن أدرك . يقولون . بالعدل . وله فارقوا الخليفية .

الخازمية : وهم الشعيبية أصلهم عجاردة ، وهم أصحابُ شعيب يقولون : إنّ الولاية والعداوة صفتان في ذات القديم . وهم مجبرة .

المعلومية : من الخازمية يقولون : من لم يعلم الله بجميع أسمائه ، وعرفه ببعضها فهو عارفٌ به .

المجهولية يقولون : من لم يعلم الله عز وجل بجميع أسمائه فهو جاهلٌ به .

الصلتية : عجاردةٌ أصحابُ عثمان بن أبي الصلت : يقولون : إذا استجاب الرجلُ للإسلام برئنا من أطفالهم حتى يدركوا .

الثعالبة : عجاردةٌ ، وصاحبهم ثعلبةُ ، خالف عبد الكريم بن عجرد فيما قاله في الطفل .

الأخنسية : أصحابُ ، الأخنس يحرمون البنات ، والغيلة ويقفون عمن في دار التقية حتى يعرفوه .

العَبْدية : رأوا أخْذَ زكاةِ أمْوالِ عبيدهم إذا استَغْنَوا ، وإعْطاءهُم إذا افتقروا .

الشَّيبانيةُ أصحابُ شَيبانِ بنِ سَلَمة .

الزيادية : أصحابُ زيادِ بنِ عبد الرحمن .

العُشْريَّة : وهم الرَّشيدية ، كانوا يرون فيما سُقي بالأنهار الجارية نصفَ العَشر ، وخالفت الزياديةَ في إيجابها العُشرَ .

المكرمية : أصحاب أبي مكرم . قالت : تارك الصلاة كافرٌ . ومن أتى كبيرةً فهو جاهلٌ باللّه . وقالت بالموافاة .

* * *

الباب الثاني عشر

الغَلطُ والتَّصحيف (١)

قال بعضهم : خَالِفْ تَذْكُرْ . فقيل له : إنّما هو تُذْكَرَ فقال ؛ : هذا أول الخِلاف .

وقرأ بعضهم في كتاب : أنّ النبيّ عليه السلام بَلعَ قَدِيداً ، وإنّما بَعَ قُدَيداً(٢) .

وقَرأ آخرَ : أنّه كان يُحِبُّ العسَل يومَ الجمعة ، وإنّما هو « الغُسْلَ » .

وقرأ آخر : أنه كان يكره النّوم في القِدْر ، وإنّما هو الثُّوم .

---

(١) التصحيف لغة : الخطأ والتحريف هو الخطأ كذلك ، غير أن بعض الباحثين يرى التصحيف خاصا بالخطأ الناشيء عن نقط الحروف زيادة أو نقصا . أما التحريف فخاص بالخطأ في حروف الكلمة تقديما أو تأخيرا أو صورة أو ضبطاً .

(٢) قديد . اسم موضع قرب مكة .

وقرأ آخر : ولا يرث جميلٌ(١) إلاَّ بُثينةَ ، وإنما هو لا يُورَّثُ حميلٌ(٢) إلا ببيِّنة .

وقال آخر : إذا أردْتَ أن تُنْعظ(٣) فادخلِ المقابرَ ، وإنما هو تتَّعِظُ .

وقرأ رجلٌ على ابن مجاهد : بل عَجَنْتَ ، ويَسْجرون(٤) . فقال : أحسنْتَ ، مع العَجْنِ يُسْجَرُ التَّنُّور .

كتب صاحبُ الخبر بأصْبهانَ إلى محمد بنِ عبد اللّه بنِ طاهر : إنَّ فلانا القائدَ يَلْبَسُ خُرنْجيةً ، ويقعد مع النساء فكتب إلى العامل : ابعث إليَّ بفُلانٍ وخرنجيته فصحَّفَ القارئ . وقرأ : وجزَّ لحيتَهُ ، ففعل ذلك به ، وأشخصَهُ .

---

(١) هو جميل بن معمر صاحب بثينة التي أغرم بها وشبب بها في شعره وكان في أيام دولة بني أمية مثالا للغزل العذري العفيف .

(٢) الحميل : الذي يحمل من بلده صغيراً ولم يولد في بلد الإسلام .

(٣) أنعظ الرجل : علاه الشبق والرغبة في الجنس الآخر .

(٤) سجر التنور : أحماه . وهو يشير إلى الآية الكريمة « بل عجبت ويسخرون » .

وكانَ كافي الكُفاة يكرهُ أنْ يكونَ في مخاطباتِ النِّساء حراستُها ونظرُها وعقالُها ، ويقول : لا يُؤمَنُ أنْ يُصَحَّفَ فيقرأ : حِراسْتُها ، وعَقْالُها ، وبظْرها .

وكانَ حمّادٌ الراويةُ(١) لا يقرأُ القرآنَ فاستقرىء فقرأ ، ولمْ يَزِلْ إلاّ في أربعة مَواضِعَ : عذابي أُصيبُ به منْ أساءَ . وما كانَ استِغفارُ إبراهيم لأبيه إلاّ مَوْعِدةٍ وعدَها أباه . ومِنَ الشَّجر ومما يغرسون . بل الذين كفَروا في غِرّةٍ وشِقاق(٢) .

وقد رُوِيَ أنه صحَّفَ في نيِّفٍ وعشرين موْضعاً كلها متشابهة وأنا أذكُرها جميعاً مِنْ بعدُ بإذن الله .

---

(١) حماد الراوية : هو حماد بن ميسرة . وقيل بن سابور مولى بني شيبان ، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها .

(٢) صحة الآيات :

« عذابي أصيب به من أشاء » سورة الأعراف : ١٥٦ .

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » سورة التوبة : ١١٤ .

« ومن الشجر ومما يعرشون » سورة النحل : ٦٨ .

« بل الذين كفروا في عزة وشقاق » سورة ص : ٢ .

غضب كاتبُ المأمون على غلامه فرماه بالدَّواةِ ، وشجَّه ، فلما رأى الدَّمَ يسيلُ قال : صدقَ اللّه تعالى : والذين «(إذا ما غَضِبوا هم يَغْفِرون)»(١) . فبلغ ذلك المأمونَ . فأنّبه . وقال : ويلكَ ! أمَا تُحسِنُ أن تقرأ آيةً مِن القُرآنِ ؟ فقال : بلَى . واللّهِ إني لاقرأ مِن سُورة واحدة ألفَ آية(٢) .

قال بعضُهُم : قرأ عبدُ اللّه بنُ حنبل في الصَّلاة : اقرأ باسمِ ربِّك الذي خُلِق(٣) .

فقيل له : أنت وأبوك في طَرفي نقيض . زعَم أبُوك أنَّ القرآنَ ليس بمخْلوق ، وأنت قد جعلْت ربَّ القرآنِ مخلوقاً .

---

(١) صحة الآية « والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون » سورة الشورى : ٣٧ .

(٢) وجه العجب في هذه الإجابة : أن القرآن ليس فيه سورة عدد آياتها ألف آية .

(٣) صحة الآية « اقرا باسم ربك الذي خلق » سورة العلق : ١ ببناء خلق للمعلوم .

وحُكي أنَّ المحامليَّ(١) المحدث قرأ : وفاكهةً وإبّاً(٢) . فقيل له : الألفُ مفتوحةٌ . فقال : هو في كتابي محذوظٌ مضْبوطٌ .

وحُكِيَ أنَّ ابنَ حاتم قرأ : فصيامَ ثلاثةِ أيامٍ في الحجِّ وتِسْعةٍ إذا رجعتُم ، تلكَ عشرةٌ كاملةٌ(٣) .

كان اسمَ أبي العتاهية(٤) « زيدٌ » فنقش على خاتمه أيا زيد « ثق » فكانَ الناس يتنادلُونَه : أنا زِنْدِيق .

قال بعضُهم : سمعتُ ابْنَ شاهين المحدِّثَ في جامع المنْصور يقول في الحديث : نهى النْبيُّ عليه السلام

---

(١) هو القاضي أبو عبيد الله الحسن بن إسماعيل بن محمد الضبي من الثقات لم يكن أشد منه في عصره مع الصدق والستر والتوثق . توفي ببغداد سنة ٣٣٠هـ .

(٢) وصحة الآية « وفاكهة وأبا » سورة عبس : ٣١ .
والأب : الكلأ أو المرعى أو ما أنبتت الأرض والخضر .

(٣) صحة الآية « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم » سورة البقرة : ١٩٦ .

(٤) أبو العتاهية هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة . توفي سنة ٢١١هـ .

عن شقيقِ الحطب . فقال بعض الملاّحين : يا قومُ ، فكيف نعملُ والحاجةُ ماسّةٌ ؛ وهو شقيق الحطب .

قال : وسمعتُه مرةً أخرى وهو يفسِّر قولَه تعالى : «(وثيابَك فَطَهِّر) » فقال : قيل لا تَلْبسها على غادرة . وهو لا تلبسها على عَذِرة(١) .

وكان كيسانُ مستمِلي ابن الأنباري ، وكانَ أعمَى القلبِ ، فَسَمِع ابنُ الأنباري وهو يقول : كيسانُ يسمعُ غيرَ ما أقولُ ، ويكتبُ غير ما يَسمعُ ويقرأ غيرَ ما يكتُبُ ، ويحفظُ غيرَ ما يقرؤُه .

وحُكي عنه أنه كان يكتبُ ما يسمعُ في الخزف ، ويجمعهُ في حُبٍّ ، فاشْترى راويةَ ماءٍ فغلطَ السَّقّاء بيْنَ حُبِّ الماء وحُبِّ الخَزف ، فصبَّ الماء في حبِّ العِلْم فرأيْنا كيسانَ وقد وضع يدَه على رأسِه ، وذهب علمه كلُّه .

---

(١) عذرة : العذرة : الغائط وانظر سورة المدثر : ٤ .

وقالوا تقدَّمتِ امرأةٌ إلى عمرَ فقالت : أبا غَفَرَ حَفْصٍ اللهُ لكَ(١) . فقال : مالك : أغْفَرتِ ؟ قالت : صلَعَتْ فرقتُك .

ورَوَى أبُو ربيعة المحدِّثُ أنَّ النبيَّ عليه السلامُ كان يغْسِلُ خُصَى الحمار . قيل : ولِمَ ذاكَ يا أبا ربيعةَ ؟ قال : كان يُظْهر تواضُعَه بذلكَ . والخبر أنَّه « كانَ يغْسِلُ حَصَى الجمار(٢) » .

قال بعضُ المحدِّثين : حدَّثني فلانٌ عن فُلان عن سَبْعة وسبْعينَ ، يريد عن شُعبَة وسفيان .

كان « يزْدَا نفا ذار » فيه لُكْنةٌ ، وكان يجْعلُ الحاءَ هاءً ، أمْلى على كاتبٍ له : والهَاصلُ ألفُ كُرٍّ . فكتبها الكاتب بالهاء . كما لفَظَها ، فأعادَ عليه الكلام ، فأعاد عليه الكاتب الكتاب ، فلما فطن لاجتماعهما على

---

(١) صحة العبارة أبا حفص غفر الله لك .

(٢) حصا الجمار : الحصيات التي يحذفها الحاج في منى يرمي بها الجمار الثلاث وهذا الرمي أيام العيد من مناسك الحج .

الجهل ، قال : أنت َلا تُهْسِين تكتبُ . وأنا لا أُهسِنُ أمْلي . فاكتُبْ : الجاصل ألف كرٌ فكتبها بالجيم معجمةً .

قالتْ أمُّ ولد لجرير لبعضَ ولدِها : وقَع الجرْدانُ في عجّان أمّكم . أبْدلتْ الذال دالاً وضمت الجيمَ ، وجعلت العجين عيجّاناً. وإنما أرادتْ وقَع الجرذانُ في عَجين أمّكم .

ورَوَى آخر : عمُّ الرجل ضيقُ أبيه(١) . وإنما هو صِنْوُ .

ورَوَى آخرُ : لُعِن اليهودُ ، حرّمتْ عليهم الشحومُ فحملُوها . وإنما هو فجمَّلُوها(٢) ، أي أذابُوها .

وروى بعضُهم : أنَّ الحارثَ(٣) بنَ كَلَدة كان يقولُ الشمسُ تُشْقِلُ الريحَ ، وإنّما هو تَنْفُلُ الريحُ(٤)

---

(١) هذا حديث عن النبي عليه السلام . والصنو المثل .

(٢) جمل الشحم : أذابه .

(٣) الحارث بن كلدة من أحذق أطباء الجاهلية وهو من بني ثقيف من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس وأخذ الطب من جند يسابور . وقد أدرك الإسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة أن يأتية فيستوصفه وقد توفي سنة ١٣هـ .

(٤) الشمس تنفل الريح يقال تفل يتفل – كفرح يفرح – بمعنى تغير والمعنى هنا تغير الشمس رائحة الريح .

وقالوا : كان يجلسُ في مَقْشاة . وإنما هو في مَقْناة(١) .

ورووْا : أنه نُهِيَ عن لُبْس القَسِيّ وإنما هو القُسِيّ(٢) لضَربٍ من الثياب .

ورووْا : أن أعرابيّاً أتى النّبي صلى اللّه عليه وسلّم وعلى يدِه سَخْلَة(٣) تبْعَر . وإنّما هو تَيْعَرُ من اليَعَار . وهو صوتُها .

قال بعضُهمْ : قال الرِّياشي(٤) لي يوما — وقد جئتُ مِنْ مجلس ابن أبي الشّوارب : أرني ما أُملي عليكُمْ ، فأريتُهُ ، فمرَّ به هذا الحديثُ : آخرِ ما يجازفُ به المؤمن عَرقُ جَبينه .

---

(١) المقناة : المكان الذي لا تكاد تغيب عنه الشمس .

(٢) نهى عن لبس القسي وإنما هو القسي وذلك لأن القسي هو الدرهم الزائف أما القسي فهو جمع قوس آلة النبل .

(٣) السخلة : ولد الشاة .

(٤) الرياشي : هو أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي اللغوي .

فقال الرِّياشي : ما أحوجَ هؤلاء إلى بعض علمنا إنما إنما هو يُحارفُ ، والحريفُ : الشَّريكُ ، يقالُ : فُلان حَريفُ فلان ، أي شريكُه ومُحاسِبُه .

وقال بعضُهم : حضرتُ رجلاً من الكُبراء ، وقد قرأ في المصحف : يا عيسى ابنَ مريم اذكُرْ نِعمتي عَليك وعلى والديك(١) .

وقرأ بعضهم : والعاديات صُبْحاً(٢) .

وقال آخر : فكذَّبُوهما فَغادرْنا بثالث(٣) .

وقيل : إنَّ سليمانَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله على المدينة : أحْصِ المخنَّثينَ . يريدُ : عُدَّهم .

فقرأ الكاتب : اخْصِ ، فَخَصَاهُمْ .

ومِمَّنْ أخْجلَهُ التَّصحيفُ في مجالس الخُلفاء أحمدُ بنُ أبي خالد وزير المأمون ، فإنَّه حضرَ مجلسَه

---

(١) صحة الآية : « إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك » سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) صحة الآية « والعاديات ضبحا » سورة العاديات : ١ .

(٣) صحة الآية « فكذبوهما فعززنا بثالث » سورة يس : ١٤ .

للمظالم يقرأ عليه القصص ، وكان فهماً ، فمرت به قصة مكتوب عليها : فلان البريدي(١) ، فقرأها : الثريدي فقال المأمون أبو العباس جائع . هاتوا له ثريدة . فقدمت إليه ، وأكرهه على أكلها ، وغسل يده ، وعاد إلى أن تصفح القصص ، فمرت به قصة مكتوب عليها : فلان الحمصي(٢) فقرأها : الخبيصي . فقال المأمون : كان غداء أبي العباس غير كاف ؛لابد للثريدة من أن تتبع بخبيصة(٣) ، فقدمت إليه ، وأكلها.

* * *

(١) البريدي : أي صاحب البريد .

(٢) الحمصي : منسوب إلى حمص إحدى مدن الشام .

(٣) الخبيصة : طعام يصنع من التمر والسمن .

ونذكرُ الآنَ بعضَ ما أُخِذَ على العلماء مِنَ التَّصْحيفِ

قال كَيْسانُ : سمعتُ أبا عبيدة يُنشدُ(١) :

مازالَ يَضْرِبُني حتّى خَزِيتُ له
وحالَ من دُونِ بَعْضِ البغية الشَّفقُ(٢)

قال : فقلتُ خزيت خَزَيتَ ؟ ؟ ، وضحكتُ ، فغضِبَ وقال : فكيفَ هُوَ ؟ قلتُ : إنّما هو خَذِيتُ . قال : فانْخَزَلَ ، وما أحارَ جَواباً .

ورَوَى أيضاً أبُو عُبَيْدةَ أبياتَ لَقيط(٣)في يوم جَبَلَةَ

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولى بني تيم من قريش . ولد سنة ١١٠ﻫ وهو أجمع سائر الرواة لعلوم العرب وأخبارهم وأنسابهم ، وله مؤلفات كثيرة .

(٢) البيت لأبي شجرة . والتصحيف في خزيت . والرواية : خذيت بمعنى خضعت .

(٣) لقيط بن زرارة من أشراف تميم وفرسانها وقد قتل في يوم جبلة بعد أن تم النصر فيه لعبس وعامر على تميم وغطفان .

يا قَوْم قد حرّقتموني باللَّوْمْ
ولم أقاتِل عامرا قبلَ اليومْ

سيّان هذا والعِناقُ والنَّوم
والمَشْرَبُ الباردُ في ظلّ الدَّوْمْ

وقال يعني في ظل نخل المُقْل (١) : فقال الأصمعيّ : قد أحال ابنُ الحائِك لأنه ليسَ بنجد دَوْمٌ . وجبلةُ بنَجْد ؛ وإنّما الرّواية في الظّل الدَّوْم ، أي الدّائِم .

وروى الأصمعيُّ بيتَ أوسِ بنِ حَجَر (٢)

أجَوْنُ تدَارَكْ ناقَتي بِقِرىً لها
وأكبرُ ظنّي أنّ جَوْناً سيَفعَلُ

فقال ابْنُ الأعرابي : صَحّفَ الدعيّ ؛ إنّما هو تدَارَكْ نَاقَتي بقُرَابها ، أي مادُمتُ أطْمعُ فيها . وفي مَثَلِ للعرَب : « الفِرارُ بقُرَاب أكيسُ » (٣) .

---

(١) المقل : ثمر الدوم .

(٢) أوس بن حجر ، من نمير أحد بعلون تميم من فحول الشعراء الجاهليين .

(٣) المثل لجابر بن عمر المازني . ومعنى القراب : الغمد .

ورُوِيَ بَيْتَ الحارثِ بنِ حِلِّزة (١) .

عَنَتاً باطلاً وظُلْماً كما تُعْتَ
ز عن حَجْرة الرَّبيضِ الظِّباءُ

وقال : العَنزة : الحَرْبةُ يُنْحر بها . فردَّ عليه أبُو عَمْرو وقال : إنما هو تُعْتَر ، من العَتيرة وهي ذَبيحةُ الصَّنم (٢) .

ورُوي بيتُ الحُطيئة :

وغَرَرتَني وزعمْتَ أنْ
لكَ لاتَنِي بالضَّيفِ تأْمر

وقال أبو عمرو : إذا صحَّفتُم فصحِّفوا مِثلَ تصحيفه وإنَّما هو لابنٌ بالصَّيف تامِرٌ .

ورُوي بيت عنترة (٣) :

---

(١) الحارث بن حلزة بن بكر بن وائل ، اشتهر بمعلقته التي أولها :

آذنتنا بينها أسماء
رب ثاو يمل منه الثواء

(٢) ومعنى البيت : إنكم تأخذوننا بذنب غيرنا كما كانت العرب إذا وجب عليها نذر في شائها ذبحت الظباء مكانها ، فتظلمها بذلك . والتصحيف ظاهر بين تعتز وتعتر .

(٣) هو عنترة بن شداد العبسي نسبة إلى عبس من قيس وهو من الشعراء الفرسان الشجعان .

وآخَرُ منهم أجْرَرْتُ رُمْحِي
وَفي البَجَلي مِعْبَـــلةٌ وقِيعُ

فقال كيسانُ له : إنما هُوَ في البجْلي — بإسكان الجيم — منسوبٌ إلى بجْلةَ بطْن مِنْ بَنِي سُلَيم

ورُوي لذي الرُّمّةِ (١) :

عَيْنٌ مطحلبةُ الأرْجاءِ طَامِيةٌ
فيها الضّفادعُ والحيتانُ تَصْطَخِبُ

فقيل : هو يَصْطحِبُ ، لأَنَ الحيتانَ لا تصْطخبُ ، ولا صوتَ لها .

ورُوي لرؤْبةَ :

« شمطاءُ تَنْوي الغيظَ حين تَرْأَمْ »

فقيل : إِنما هو تَبْوي ؛ أي تجعلُه بمنزلةِ البَوّ (٢)

---

(١) ذو الرمة : هو غيلان بن عقبة بن نهيس من مضر ويعد من الشعراء المتيمين وصاحبته مية بنت مقاتل المنقري .

(٢) البو ولد الناقة ، وجلد الحوار يحشى تبنا أو ثماما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر .

رَوى أبو عمْرو بنُ العَلاء بيتَ امْرىء القَيْس (١)

تأوَّبني دائي القديمُ فَغلَّسا

أحاذرُ أن يشتدَّ دَائي فأنْكَسَا

فقال أبو زَيد : هذا تصْحيفٌ لأنَّ المتأوِّبَ لا يكونُ مغلِّساً في حالٍ واحدة لأنَّ غلَّس : أتي في آخرِ اللّيل ، وتأوَّبَ جاءَ في أوَّله ، وإنما هُو معلِّساً ، أي اشْتدَّ وبرَّح .

ورَوى المفضّلُ للمخبَّل (٢) :

وإذا ألمَّ خيالُها طَرفتْ

عيْني فماءُ شؤونها سَجمُ

---

(٣) وامرؤ القيس أشهر شعراء الجاهلية وقد توفي بالجدري سنة ٥٤٠ قبيل ميلاد الرسول .

(٣) المفضل الضبي بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي ، أبو العباس أديب نحوي لغوي عالم بالشعراء وأيام العرب ، من أهل الكوفة لزم المهدي العباسي وعمل له الأشعار المختارة المسماة (المفضليات) وقد ولد سنة ١٦٨هـ .

فقال له خلفٌ (١) : إنّما هو طَرفَتْ عَيْنِي .

فرجَع عنْه .

*　*　*

(٤) خلف الأحمر : هو خلف بن حيان وقد أخذ الأصمعي وسائر أهل البصرة عنه ، وكان له قوة عجيبة على تمييز الأشعار وتعيين أصحابها .

هذه حروفٌ وكلماتٌ من المُصَحَّفِ
الذي يستعمله الناسُ عَمْداً لا سهواً

كتب أبو تمام(١) الطائي رُقعةً إلى محمدِ بنِ عبد الملك ابنِ صالح يسأله فيها مُحالاً ، وكتب على عُنْوانها « حبيب »

فأخذه محمد ونقطه « خبيث » .

ورفعَ آخر رقعةً إلى محمد بنِ عبد الله بنِ طاهر (٢) ، وعليها « حريثُ بنُ الفارس » وكان اسمَ الرجل ، فجعلَه محمد « خريتَ في الفراش » وكتب تحته : « بئسما فعلتَ » .

---

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، ولد بمنبج في بلاد الشام وجاء مصر صغيرا فجالس الأدباء بجامع عمرو ، فأخذ عنهم وتعلم ، وكان فطنا فهما بالشعر .

(٢) هو الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي نائب بغداد . كان جواداً ، جيد الشعر . مات بالجواليق سنة ٢٢٣هـ .

وَقَفَ رجلٌ على الحسنِ البصريِّ فقال : أعتسِرُ ، أخْرجُ ، أبادِرُ . فقال الحسنُ : كذبوا عليه ؛ ما كان ذلك . يريد السائلُ : أعثمانُ أخرج أبا ذرٍّ ؟

ومن تصحيف محمد بن طاهر : متملْمِل . يريد : مَنْ ملَّ مَلَّ .

وقال المعتصمُ يوماً لطبَّاخٍ له فارسيٍ : حَاسِبْتَ رشيد . فقال : زِنْ نبيذ .

أراد المعتصمُ : جاء شتَيت رسيد ، أي أدركَ غذاؤك . وقال الآخر : رسيد ، أي أدْرَك .

وقال المتوكِّلُ يوماً ليحيى بنِ ماسَوَيْه : بعثْ بيتي بِقَصْرَين . فقال له يحيى : أخِّر الغِذَاء . أراد المتوكلُ : تعشَّيتُ فضرني . فأجابه ابنُ ماسويهِ بالعلاج .

* * *

ومن هذا الجنس
حروفٌ وكلماتٌ من المصحَّفِ عَمْداً لا سهواً

الخِنْصَرُ : الحبُ ضَرَ . مَتَى ألجُ بِبيتِ هند ؟ : مَيتٌ الحب شهيدٌ . نرجسٌ طري : برَّحَ بي نظري . بِطرَف تَستَرِي : نَمَّ طَرْفي بسِرِّي . طَسْتٌ حسَنٌ : طبيبي : حبيبي . القَبَعْثَرَى وحَلَنْبس (١) : ألفْتِ غَيْرِي وخلَّيتني . فنعت بتكفيلي : في عينَيْكَ قتْلي . وحموه حدَّثك بشأني : حمر خدَّيك سباني . خشخاشٌ (٢) : حبيبٌ خانني . مِشْمشةٌ ثقيلةٌ : مَنْ يَنَمْ يُنَبِّه بقُبلة . صينيَّةٌ حَسَنةٌ : صَبٌّ نبَّه حَبيبه . محبرَةُ آبنوس : مُحِبٌ زها يبوس .

---

(١) القبعثري ، بالقصر : من معانيها : الجمل العظيم ، الفيصل المهزول — والحلبس — بوزن جعفر : الشجاع ، والأسد ، والملازم للشيء .

(٢) الخشخاش : منوم ، مخدر ، مبرد ، وقشره يفيد في قطع الإسهال .

كأني بيدينك فبعثني بحبتين : كلُّ شيء منك في عيني حسن . لببُ سرجُ مُضري : ليس ترحم ضرّي . مسعودٌ : متى تعود ؟ . الثوبُ يماني بثوب : التوتْ ثم استوتْ . سعيد بنُ جبير (١) : نبتتْ عند نرجس . فرّوج مُسمّن بحبه : تودُّ جمشَ (٢) من تُحبه . تحت الفيل مِروحةُ خيشٍ : تحبُّ القُبل من وجهٍ حسن . حبشُ بنُ حنين: حبيبي بتّ بخير . سكباج (٣): ثنياك (٤) بساخ . كشكيّة : كنتُ نكتة . قلنسوة خضرا : قلبي يتوهجُ ضرّا . لمازحٍ مقالٌ يغمُ : لمّا رحم قال : نعمْ .

* * *

(١) سعيد بن جبير : كان كاتبا وزيرا لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري بأمر الحجاج الثقفي .

(٢) الجمش : المغازلة .

(٣) السكباج : طعام يصنع من اللحم والمرق ، وهو معرب (سكبا) بالفارسية ، .

(٤) الثني : الطاقة والقوة . وباخ : سكن . والمعنى : سكنت قوتك .

البـــاب الثالث عشـــر

نوادرُ من النحو واللحن(١)

سمع رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلّم رجُلا قرأ ، فلّحنَ . فقال : أرشدوا أخاكم .

قال الأَصْمَعِيُّ : قلتُ لأَبي مَهْدِيَّه (٢) : كيف تقولُ : لا طِيبَ إلاّ المسكُ ؟ قال : فأَينَ أنت عن العنبر ؟ قلت : فقل لا طِيبَ إلا المسك والعنبر . فقال : أين أنتَ عن البان ؟ قلتُ : قُلْ لاَ طِيبَ إلا المِسكُ والعنبرُ والبَانُ . قَال : فأَيْنَ أنْت عن أدْهان (٣) مُحْمر قال قلتُ : فقل لا طِيبَ إلا المسكُ والعنبر والبان وأدهان مُحمّر . قال : فأين أنت عن فارة (٤) الإِبل صادرةً ؟

(١) النوادر : لون جميل من التعبير الأدبي تفتن فيه الأمم ، ويتبارى في حلبته أصحاب الصناعات وكلما كانت النادرة غير مصطنعة ، ولا متكلفة ، كانت أجلب للسرور ، وأمتع للنفس ، وأجدر أن يتناقلها الأفراد والجماعات .

(٢) أبو مهدية : أعرابي ، صاحب غريب ، يروي عنه البصريون .

(٣) أدهان محمر : نوع من العشب أطيب رائحة من غيره .

(٤) الفأرة : المسك . وقد تخفف (الفارة) .

عمِلَ بعضُ النَّحْويين كتاباً في التَّصغير ، وأهداهُ إلى رئيس كان يختلفُ إليه ، فنَقَصَ عطيَّتَه ، فصنَّفَ كتاباً في العَطْف ، وأهداهُ إليه ، وكتبَ معه : رأيت بابَ التصغير قد صغَّرني عِنْدَ الوزير ، وأرجُو أنْ يعطِفَهُ عليَّ باب العطفِ .

سمعتُ الصاحبَ — رحمهُ اللهُ — يقول : كانَ سببُ اتصال ابنِ قريعَةَ(1) القاضي بالوزير أبي محمد المهلَّبي أنَّ ابنَ قريعةَ كان تَيمَّمَ رحى له ، فرفعَ إليه حِساباً ، فيه درهمان ودانقان ، وحَبّتان ، فدعاهُ ، وأنكرَ عليه الإعرابَ في الحساب .

فقال : أيُّها الوزيرُ ، صارَ لي تابِعاً ، فلستُ أستطيع له دَفْعاً . فقال : أنا أُزيلُه عنك صَفْعاً ، ثم استدناهُ بعد ذلك ، وقرَّبَه .

قال نحوي لرجل : هل ينصرفُ إسماعيلُ ؟ قال : نعم . إذا صلَّى العشاءَ فما قُعوده ؟

(1) أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة ، قاض ، من أهل بغداد .

وحُكي أنَّ جماعةً عند محمد بنِ بحرٍ(١) اختلفُوا في بناء سَراويل ، فدخل البرقيُّ وقال : فيم كنتُم ؟ قالُوا : في بناء سَراويلَ . فما عندَك فيه ؟ قال : مثلُ ذراعِ البكْرِ أو أشدُّ .

قال النوشجَانُ(٢) : حضرتُ مجْلِسَ المبرِّدِ ، فسمِعنا واحِداً يقول : في حرامِ أصْبهانْ .

فقال أبُو العباس : هذا قد شتمَك على مذْهب قول الله تعالى : « واسْأَلِ القريةَ »(٣) .

سمع ذو الرُّمة رجلاً يقول : على فُلانْ لعْنةَ اللهِ . فقال : لم يرْضَ بواحدة حتى شفَعَها بأخْرى . وذلك أنَّه لما سَمِعهُ مفتوحاً قدَّر أنَّه أرادَ التَّثنيةَ : لعنتَا الله .

قيل لرجل كانَ يَكْثُر اللَّحنُ في كلامِه : لو كنتَ إذا شككتَ في إعراب حَرْف تخلصْت مِنْه إلى

---

(١) محمد بن بحر الأصفهاني ، وال من أهل أصفهان ، توفي سنة ٣٢٢

(٢) النوشجان : علم فارسي .

(٣) سورة يوسف : ٨٢ . ومعنى اسال القرية : أي أهل القرية .

غيره . مِنْ غير أنْ تُزيلَ المعنى عن جهته ، كان الكلامُ واسِعاً عليكَ . فلَقِيَ رجلا كانَ مشْهوراً بالأدب . فأراد أنْ يسألَه عنْ أخيه ، وخَشِيَ أنْ يَلْحنَ في مُخَاطَبَتِه ، فذهبَ إلى أنْ يتخلَّص عِنْدَ نفْسِه إلى الصَّواب . فقال : أخُوك ، أخيك ، أخاك هَا هُنا ؟ فقال له الرجلُ : لا ، لُو ، لِي ، ماهو حاضر .

وقف نحوي على صاحب باذِنْجان ، فقال له : كيف تبيعُ ؟ قال : عِشرين بدانق . قال : ماعليك أن تقولَ : عشرون بدانق ! ! فقدَّر أنَّه يستزيدُه . فقالَ : ثلاثين بدانق . فقال : وماعليكَ أن تقولَ : ثلاثون ؟ فما زالاَ على ذلك إلى أنْ بلَغَ تِسْعين . فقال : وماعليْكَ أنْ تقُولَ تسعُون ؟ فقال : أراكَ تَدورُ على المائتون ، وهذا مالا يكون .

ومر نحوي بقصَّاب — وهو يسْلُخ شاةً — فقال : كيفَ المسْتَطْرَقُ(١) إلى درْب الرَّسين ؟ فقال القصَّابُ : اصبرْ قليلاً حتى يخرجَ الكرْشُ ، وأدلّك على الطَّريق .

---

(١) أي كيف الوصول إلى تجار لحم الرؤوس . والرآسون القصابون الذين يبعون لحم الرأس .

وقدَّم نحوي خَصْماً له إلى القاضي ، وقال له : لي عليكَ مائتان وخَمْسون درهماً .

فقال لخَصْمه : ماتقول ؟ فقال : أصلحَ اللهُ القاضِيَ ، الطَّلاقُ لازمٌ له إنْ كان إلا ثَلاثَمائة . وإنَّما تَرك منها خمْسين ليُعلِمَ القاضي أنه نحْويٌّ .

قدِم رجلٌ على بعض الوُلاة ، فقال له : مِن أين أقبلتَ ؟ قال : مِن أَرض اللهُ قال : وأين تُريد ؟ قال : بيتَ اللهُ . قال : ومِمَّن أنت لا أمَّ لك ؟ قال : مِن « تيم » الله . فأمَر بوجْيءِ عُنُقِه . فقال : بسم الله . فقال : اتركوا ابن الخبيثةِ . فاو ترك الرفعَ وقتاً تركهُ الساعة .

قال أبو العَيْناء : دخل رجلٌ إلى عَليل : فقال له : لا إله إلاَّ اللهُ ، وإن شئتَ لا إلهٌ إلاَّ اللهُ ، والأولى أحبُّ إلى سيبويهِ (١) . فقال أبو العليل : حَرَمني اللهُ أجْرَه إن لم يكن مَشهدُك له أشدَّ عليَّ مِن موتِه .

---

(١) سيبويه : من الموالي ، واسمه أبو بشر عمرو بن عثمان ، نشأ بالبصرة ، وتعلم الفقه ، ثم طلب النحو حتى برع فيه وألف كتابه الذي لم يسبق إليه ، وقد اشتهر هذا الكتاب حتى صار لفظ « الكتاب » علما عليه . وقد توفي سيبويه سنة ١٨٣هـ .

قال رجلٌ لآخر : تأمرُ « بشيئا » ؟ قال : بتقوى الله ، وإسقاط الألف .

قال خلَفٌ : قلتُ لأعرابيٍّ : أُلقِي عليكَ بيتاً ؟ قال : على نفسِك فألقِه .

قال رجلٌ من البلديِّين لأعرابي — وأراد مسألته عن أهلِه — كيف « أهلِكَ ؟ » .

قال بكسْرِ اللام فقال الأعرابي : صَلْباً(١) . لأنه أجابه على فهمِه ، ولم يعلمْ أنه أرادَ المسألة عن أهله .

سُئِل نحويٌّ عن تصغير عُبَيْد الله . فقال : ليس في سَجدتي السَّهو سَهوٌ(٢) .

وذُكر أنَّ معاوية قال : كيف أبو زياد ؟ فقالوا : ظريفٌ على أنه يلحنُ .

فقال : أو ليس ذاك أطرف له ؟ أرادوا اللّحن الذي هو الخطأ . وذهب معاوية إلى اللّحن الذي هو الفِطْنَةُ .

---

(١) الصلب : قتلة معروفة ، وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه على جذع .

(٢) يريد أن المصغر لا يصغر ، كما أن الساهي عن سجدتي السهو لا يسجد للسهو .

قالوا : كان سبب عَمل أبي الأسود الدُّؤلي(١) النَّحوَ وهو أول من وضعهُ ، وقيل إنَّ أميرَ المؤمنين عليّاً — عليه السلامْ — جعل له مِثالاً فبنى عليه واحْتذاه — أن أبا الأسود سمع رجلا يقرأ : « إن الله بريءٌ مِن المشركين ورسولُه(٢) » بالخفض . وسمع ابنته تقول : ماأطيبُ الرُّطَب ؟ وهي تُريد التَّعجب ، وظنَّ أنها تريد الاستفهام ، فعمل شيئاً من النَّحو ، وعرضهُ على أمير المؤمنين عليه السلام . فقال : ماأحسنَ هذا النحوَ الذي أخذتَ فيه . فسُمِّي نحْوا .

مرَّ الشعبيُ بناس من الموالي يتذاكرون النَّحوَ ، فقال : لئنْ أصْلحتموه إنَّكُم لأوَّلُ من أفسدَه .

وروي أن الحجاجَ قرأ : إنا مِن « المجرمون(٣) » مُنتقِمون .

---

(١) أبو الأسود الدؤلي : هو : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس ... وهو من وجوه التابعين وفقائهم ومحدثيهم . وهو الأصل في وضع علم النحو وعقد أصوله .

(٢) سورة التوبة : ٣ . وصحة اللفظ رفع رسوله بدلا من الخفض وأول الآية : « وأذان من الله ورسوله ... » .

(٣) صحة الآية « إنا من المجرمين منتقمون » . سور السجدة : ٢٢ .

وكان محمَّد بنْ سليمانَ يقول في خُطبته : إن اللهَ وملائكتُه(١) برفع الملائكة . فقيل له في ذلك . قال : فخرِّجُوا لها وَجها ، ولم يدعِ الرَّفع .

* * *

(١) صحة الآية : «إن الله وملائكته» بفتح التاء سورة الأحزاب : ٥٦

الباب الرابع عشر

نَوادِرُ المُخَنَّثِينَ (١)

قال بعضُهم : شهدتُ مجْلساً فيه قينة تغنّي ، فذهبتْ تتكلّفُ صيحةً شديدةً فانقطعتْ . فصاحتْ من الخجل : اللصوصَ اللصوصَ . فقال لها مُخنَّثٌ كان في المجلس : والله يازانيةُ ماسُرق من البيت شيءٌ غيرُ حَلقِك .

استوهب رجلٌ من مخنّث في الحمّام خِطمياً(٢) ، فمنعَه . فقال : سُبحان الله ! ! تمنعني الخطميَّ وقفيزٌ منه بدرهم ؟ ؟ فقال المخنّثُ : فاحسبْ حِسابك أنت على أربعة أقفزة بدرهم ، كم يصيبك بلا شيء ؟

قال المتوكل لعِبادة : ماتقول في تَطْبيل سَمانَ المخنَّث ؟ قال : هو حسنٌ ، ولكنّه مثلُ الهيْضة(٣) يأتي بأكثرَ مما يُحتاجُ إليه .

---

(١) المخنثون : هم الذين يتشبهون بالنساء ، فيتكسرون في مشيتهم ويلينون في آحاديثهم ، ويبالغون في رقتهم .

(٢) الخطمي – بفتح الخاء وكسرها – ضرب من النبات يغسل به .

(٣) الهيضة : معاودة الهم والحزن ، والمرضة بعد المرضة .

سمع آخرُ رجلاً يقولُ : دعَا أبي أربعةَ أنفسٍ ، وأنْفَقَ عليهم أرْبعمائة دينار ، فقال : يابنَ البَغيضة لعلّه ذَبحَ لهم مُغَنّيتين ، وزامرةً ، وإلاّ فأربعمائة في « أيْش » أنفقَها ؟

قال شيخٌ لقَرْقَرِ المخنَّثِ : أبُو مَنْ أنت ؟ قال : أمُّ أحمد . فديتُك ! !

تاب مخنثٌ ، فلقيه مخنَّث آخرُ ، فقال : ياأبا فلان : أيْش حَالُك ؟ قال : قد تُبتُ .

قال : فمن أين معَاشُك ؟ قال : بقيتْ لي فضيلةٌ من الكَسْب القَديم فأنا أتمزّزُ لها(١) .

قال : إذا كانت نفقتُك مِنْ ذلك الكَسْب فلحمُ الخنْزيرِ طريٌّ خيرٌ من قَديد .

رأى عبادةُ دابةَ مُخَارِق — وهي تُقرْمِط مَشْيهَا(٢) — فقال : يامخارقُ برذونُك هذا يمشي على استحياء .

---

(١) أتمزز : يقال : مزه بمعنى مصه والتمزز : تمصص الشراب قليلا قليلا .

(٢) دابة تقرمط مشيها : القرمطة : مقاربة الخطو ، ومعنى تقرمط مشيها : تقارب في خطوها . وهذا كناية عن بطء سيرها .

قُدِّم إلى عُبادةَ رغيفٌ يابسٌ ، فقال : هذا نُسِج في أيام بني أميةَ ولكنْ بلا طراز .

نَظَرَ مخنَّثٌ إلى مسجد صغيرٍ لطيفٍ ، فقال لآخر : أما تريدُ هذا المسجد ؟ ما أملحَهُ ، لا يَصلحُ والله إلاَّ أن يُحْمل في السَّفر .

نظر مخنثٌ إلى رجل مِنْ ولدِ أبي موسى الأشعري يَمْشي وهُو يتبخْترُ ، فقال : انظروا إلى مشيَةِ مَنْ خدَعَ أباه عمرُو بن العاص .

تَقَرَّى(١) مخنَّثٌ فأتى جبلَ(٢) لُكام على أن يتعبَّد فيه ، فأخذ زادَه وصَعِدَ ، وسار على سهل ، فنفدَ زادُه وجلس قد أعيَا فرفع رأسَه فإذَا بينَه وبين الجبل مسافةٌ ، وتطلَّع إلى أسْفلَ ، فإذَا هُوَ قد قطَع أكْثره ، فنظر إلى الجبل وقال : واشماتتي بكَ في يوم أراك كالعِهْن المنْفُوش .

جلس قومٌ في مجْلس — ومعهُم مخنَّثٌ — وقال

---

(١) تقرى : تتبع .
(٢) جبل لكام — بضم أوله : جبل بالشام .

رجلٌ منهم : أنا أشتهي كشكيةً حامضةً ، وضرطَ .
فقال المخنثُ : قطع اللهُ ظهرَ الكشكيّة : ما أسرعَ ما تنفخُ البطنَ !!

لقي مخنث آخر ليودّعه ، فقال : أحمدُ اللّه على بُعْد سفرك ، وانقطاع أثرك ، وشدّة ضررك .
فقال له : أنا أستودعك العمى . والضّنى ، وانقطاعَ الرّزق من السّما .

وقال مخنّثٌ لآخر : أراني اللهُ في وجهك السّاطورَ ، وفي عينيكَ الكافورَ ، وفي شقّ استكَ النّاسورَ(١) .

قال علاّنُ شدق — وكان قبيحاً جدّاً — مررتُ بمخنّث يعزلُ على حائط ، فقال لي : من أين أتيت ؟
قلتُ : من البصرة . فقال . لا إله إلاّ اللّهْ !! تغيّر كلُّ شيء حتى هذا !! كانت القرودُ تُجلبُ من اليمن . الآن تجيء من العراق .

وحجّ مخنّثٌ فرأى إنساناً قبيحاً يرمي بالجمار ، فقال له المخنّثُ : بأبي أنت .. ليتُ أشيرُ عليك أنْ

---

(١) والناسور مرض معروف .

تعودَ إلى هذا المكان . قال : ولِمَ ؟ ألستُ مسلماً ؟ قال : بلى ، ولكنْ لا أرى لك أن تبْخل على أهْل النار بهذا الوجْهِ .

نظرَ مُخَنَّثٌ إلى رجل قصير على حمار صغير ، فقال : هُما توْأمان .

وقال بعضُ المخنثين : كان لي أُستاذٌ مخنّثٌ يقالُ له زائدةُ ، فمات . فرأيتهُ في النّوم فقلتُ له: ما فعل اللهُ ربُّك بك ؟ قال : أدخلني النار .

قلت : فمَنْ توْرُك(١) فيها ؟

قال : هيهات !! انقلبتْ المسألةُ أنا « توْرُ » فرعون .

ركبَ المتوكّلُ يوما زَلالاً(٢) ومعه جماعةٌ ، فعصفَت الريحُ ، وفزعَ الناسُ . فقال عبادة . يا أميرَ المؤمنين . أما كُنيزُ(٣) دُبَّةَ فإنه لا يخافُ الغرق . فقال المتوكّلُ : وكيفَ ذاك ؟

---

(١) التور : من معانيه الرسول بين القوم .

(٢) الزلال : نوع من السفن .

(٣) كنيز : مغن مشهور في عصر المتوكل العباسي .

قال : لأنه يسبحُ على رَقٍّ . وكان كنيزٌ مخنثاً آدَر(١)

كان بعضُ ولد الفضلِ بنِ الربيع يتخنّثُ ، فوكَل به أبُوه غُلاماً يمنعُه مِن نَتْف لحيْته ، فبات ليلة . فلما أصبح رآه منتوف اللحيةِ ، فقال : أهلكْتني — واللّهِ — أيْن لحيتُك ؟ قال .. «(فطاف عليها طائفٌ مِنْ رَبِّك وهُمْ نائمون . فأصْبحَتْ كالصَّريم)»(٢) .

أدْخلَ مخنثٌ على العُرْيان بنِ الهيثم — وهو أميرُ الكوفة — فقالُوا : إنه يَفعلُ ويصنعُ . فقال له العريانُ : يا عدوَّ اللّهِ . لمَ تفعلُ هذا ؟ قال : كذّبوا عليَّ — أيها الأمير — كما كذّبوا عليكَ . فغضب العريانُ ، واسْتوى جالساً ، وقال : وما قيلَ فيَّ ؟ قال : يُسمُّونك العُرْيانَ وعليك عشرون قطعةَ ثياب . فَضحِك . وخلاه .

قال هيتُ(٣) المخنّثُ لِعُمَرَ بنِ أمِّ سلمةَ : إن فتحَ اللّه عليكُم الطّائِف(٤) فسلْ رسولَ اللّه صلى

---

(١) وكان آدر : الآدر : من يصيبه فتق في إحدى خصيبه .

(٢) سورة القلم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) هيت المخنث : أحد المخنثين المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم

(٤) الطائف من نواحي مكة المكرمة ، وجوها جميل وبها بعض البساتين.

اللّه عليه وسلّم أن يهبَ لك بادنةَ بنتَ غيلان بن سلمة ، فإنها كحلاءُ ، سموعٌ ، نجلاءُ ، خُمصانةٌ ، هيفاء(١) إنْ مشتْ تثنّت ، وإن جلست تدنّتْ ، وإن تكلّمتْ تغنّت ، تُقبِلُ بأربع ، وتدبرُ بثمان ، فخذيها كالإناء المكفأ .

فروي أنّ كلامه بلغَ رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فمنع المخنّثين من الدّخول على النساء .

* * *

(١) خمصانة هيفاء : ضامرة البطن ، دقيقة الخاصرة .



البـــاب الخامس عشـــر

نوادرُ جُحا(١)

حَكَى الجاحظُ أنَّ اسمهُ نوحٌ ، وكُنيته أبو الغُصن ، وأنه أرْبي على المئة .

ثم أدْركَ أبَا جعْفر ، ونزلَ الكوفةَ .

قيلَ لجحا : أتعلمتَ الحسابَ ؟ قال : نعمْ . فما يُشْكلَ عليَّ شيءٌ منه. قال له : اقْسِمْ أربعةَ دراهمَ علَى ثلاثةَ . فقال : لرجلين درهمان ، درهمان ، وليس للثالثِ شيءٌ .

وأرادَ المهديُّ أنْ يعبث به فدَعا بالنِّطع(٢) والسَّيفِ ،

---

(١) في كتب الأدب العربي شخصيتان عرفتا بالنوادر والملح . وكل منهما يسمى جحا : الأولى جحا العربي والثانية جحا التركي ، وقد اختلف مؤرخو الأدب العربي في إثبات شخصية جحا العربي نظراً لكثرة ما روي عنه من نوادر تختلف في الزمان والمكان وفي الدلالة على ذكائه الخارق ، أو على غبائه المفرط ، أو على غفلته وحمقه .

(٢) النطع : بساط من الجلد .

فلما أُقْعِد في النِّطع ، وقام السيَّافُ على رأسه وهزّ سيفه ، رفع إليه رأسَه . فقال : انظرْ لا تُصيبْ محاجمي(١) بالسّيف ، فإني قد احتجمتُ . فضحك المهديُّ وأجازه .

وماتت لأبيه جارية حبشيّة : فبعث به إلى السُّوق ليشتري لها كفنا ، فأبطأ عليه حتى أنفذ غيره ، وحمل الكفن ، وحُمِلتْ جنازتُها ، فجاء جُحا — وقد حُملتْ — فجعل يعدو في المقابر ، ويقول : رأيتم جنازة جارية حبشية ، كفنُها معي ؟

وجمحت به بغلةٌ يوماً ، فأخذتْ به في غير الطريق الذي أرادَه ، فلقيه صديقٌ له . فقال : أينَ عزمْت يا أبا الغُصْنِ ؟ فقال : في حاجةٍ للبغْلةِ .

ومرت به جنازة ، فقالَ : باركَ اللهُ لنا في الموت وفيما بعدَ الموتِ . فقيل : إنها جنازةُ نَصْرانيٍّ . فقال : إذنْ لا باركَ اللهُ لنا في الموتِ ، ولا فيما بعد الموت .

---

(١) المراد بها مكان الحجامة عند جحا .

وصلّى بقوم ، وفي كُمّه جَرْوُ كلْب ، فلما ركعَ سقط الجروْ ، وصاح ، وتنحنحَ الناسُ . فالتفتَ إليهم ، وقال : إنّه سلُوقيٌّ (١) عافاكم اللهُ .

وحمل جرّةَ خضراءَ إلى السوق يبيعُها . فقالوا : هي مثقوبةٌ . فقال : ليس تسيلُ ، فإنّه كان فيها قُطنٌ لوالدتي . فما سالَ منه شيءٌ .

وأعطاه أبوه درهماً يزنُه ، فطرحَهُ في الكِفَّة ، وطرَحَ في الكِفّةِ الأُخرى سَنْجة درهمين ، وهو يحسبهما سَنْجةَ درهم ، فلم يستويا ، فطرح سَنجةَ الدِّرهم على رأس الدِّرهم ، فكانَ أقلَّ ، فطرح حبّتين أيضاً ، ثم قال لأبيه : ليس فيه شيءٌ ، وينقُص حبّتين .

ونظر يوماً إلى السَّماء ، فقال : ما أخْلَقها بالمطر لو « كان » متغيمةً .

ورأوهُ يوماً في السوق يَعْدو فقالوا : ما شأنُك ؟ قال : مرّت بكم جاريةُ رجلٍ مخضوبِ اللحيةِ ؟

واجتازَ يوماً بباب الجامع فقال : لِمَنْ هذا القصر ؟

(١) سلوقي : نوع من الكلاب غالي الثمن .

قالوا له : هَـٰذا مسجدُ الجامع . قال : رحِمَ اللهُ جامعاً .
ما أحسنَ ما بَنَى مسجدَه ؟ ؟

وذهبتْ أمُّه في عرس ، وتركَتْه في البيْت ، وقالتْ
له : احفَظِ البابَ . فجلَس إلى الظهر . فلما أبطأَتْ عليه
قامَ ، فقلَع البابَ ، وحملَه على عاتِقِه .

وماتتْ خالتُه ، فقالــوا : اذْهبْ ، واشــتر لها
حَنُوطا (١) . فقال : أخْشى ألاَّ ألحقَ الجنازةَ .

وتبخَّر يوما فأحرِقتْ ثيابُه . فقال : واللهِ لا تبخرتُ
أبداً إلاَّ عُرْياناً .

* * *

(١) الحنوط – كعصبور : كل طيب يخلط للميت .

البــاب السادس عشــر

نَوادِرُ أشْعَبَ(١)

كان يقول : كلْبي كلبُ سَوْء ، يبصبصُ للأضياف وينبحُ أصحابُ الهدايا .

وأشعبُ هذا هو الموصوف بالطمع . وقيل له : ما بلغ مِنْ طمعك ؟ قال : لم تقُلْ هذا إلاَّ وفي نفسِكَ خيرٌ تصنعه لي .

ومِن عجيب أخباره أنه لم يمتْ شريفٌ قط من أهل المدينة إلا استعدَى (٢) أشعبُ علَى وَصِيِّه ، أو وارثه ، وقال له : احلف أنه لمْ يُوصِ لي بشيء قبل موته .

وقيل له: لقدلقيتَ رجلاً من أصْحاب النّبي صلى الله

(١) أشعب : هو أشعب بن جبير . ولد سنة تسع للهجرة ومات في أيام المهدي ، وكان أطيب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم نادرة ، وكان أقوم أهل دهره لحجج المعتزلة ، وكان من القراء حسني الصوت ، وكان قد نسك وغزا وروى الحديث عن عبد الله بن جعفر .

(٢) استعدى : استعان ، واستنصر .

عليه وسلم ، فلو حفظتَ أحاديث تتحدّثُ بها؟؟ قال : أنا أعلمُ الناسِ بالحديث . قيل : فحدّثنا . قال : حدّثني عِكرمةُ (١) عن ابن عباس ، قال : خلّتان لا تجتمعان في مؤمن إلاّ دخلَ الجنةَ . ثم سكتَ . قيل له : هاتِ ، ما الخلّتان ؟ قال : نسِي عكرمةُ إحداهُما ، ونسيتُ أنا الأُخرى .

قال بعضُهم : قلت له : لو تحدثتَ عِندي العَشيّةَ ! ! فقال : أخافُ أن يجيء إنسانٌ ثقيل : قلتُ : ليس معنا ثالثٌ . فمضَى معي . فلما صلّيتُ دعوتُ بالعَشاء ، فلم يلبثْ أنْ جاء صديق يدقّ البابَ ، فقال أشعَبُ : تُرى قد صِرْنا إلى ما نكره ؟ قال : قلتُ له : عِنْدي فيه عشرُ خِصال لا يُكرهُ منها خَصْلةٌ ، فإن كرهتَ واحدةً لمْ آذَنْ له . قال . هات . قلتُ : أولاهُن أنه لا يأْكلُ . فقال التِّسعُ الباقيةُ لكَ . أدْخِله .

وكان أشعبُ لا يُغِبُّ (٢) طعام سالم بنِ عبد الله بنْ عُمَر (٣) فاشتهى سالمٌ أنْ يأْكل مع بناته . فخرج إلى

---

(١) هو عكرمة بن عمار اليمامي روى الحديث عن طاوس وجماعة .

(٢) لا يغب : أغب القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً .

(٣) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان معاصراً لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

بُستان له ، فجاء أشعب فَخَبرّ بالقصة ، فاكْتَرى جملاً بدرهم . فلما حاذَى حائطَ البستان . وثبَ ، فصار عليه فغطّى سالمٌ بناتِه بثوبه . وقال : بناتي بناتي . فقال أشعبُ : إنك لتعلَم « ما لنا في بناتك من حقٍ وإنَّك لتعلم ما نُريد » (١) .

قيل : بغَتْ أمُّ أشعب ، فضُربتْ ، وحُلِقتْ ، وحملت علَى بعير يُطاف بها ، وهي تقول : منْ رآني فلا يزْنينَّ . فأشرفتْ عليها ظريفةٌ من أهل المدينة . فقالت لها : إنك لمطاعةٌ ! ! نهانا اللهُ عنهُ ، فما ندعهُ ، وندعهُ لقولك ؟ ؟

كان زياد بنُ عبدِ الله الحارثيُّ علَى شُرطةِ المدينةِ ، وكان مبخَّلاً على الطَّعام فدعا أشعبَ في شهر رمضانَ ليفطرَ عنده ، فقدِّمتْ إليه في أول ليلة بَصَابيَّةٌ معْقُودةٌ ، وكانتْ تُعجبه ، فجعل أشعبُ يُمعِنُ فيها — وزيادٌ يلمحه — فلما فرَغوا من الأكل قال زيادٌ : ما أظُنُّ

(١) مقتبس من الآية « وقالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق و إنك لتعلم ما نريد » سورة هود : ٧٩ .

أن لأهل السّجن إماماً يصلّي بهم في هذا الشهر فليُصَلِّ بهم أشْعَبُ . فقال أشْعبُ : لو غيّر ذلك — أصلحَك الله — ؟ قال : وما هو ؟ قال : أحلِفُ أنيّ لا أذوقُ بصلاتهِ أبداً . فخجلَ زيادٌ ، وتغافلَ عنه .

قال أشعَب : جاءتني جاريةٌ بدينار ، وقالتْ هذه وَديعةٌ عندكَ . فجعلتُه بيْن ثِنْتي الفراش . فجاءتْ بعد أيّام فقالتْ : بأبي . الدينارَ . فقلتُ : ارفعي الفراشَ . وخُذي ولدَهُ . وكنتُ تركتُ إلى جَنْبه دِرهماً . فتركتِ الدينَارَ ، وأخذت الدرَهم وعادتْ بعد أيام فوجدتْ معهُ درهماً آخرَ ، فأخذته .

وعادت في الثالثة كذلك . فلما رأيتُها في الرابعة بكيتُ . فقالتْ : ما يُبكيكَ ؟ قلتُ ماتَ دينارُك في النِّفاس . قالت : وكيف يكون للدينار نِفَاسٌ ؟ ؟ قلتُ : يا فاسقةُ تُصدِّقين بالولادة ، ولا تصدقين بالنِّفاس ! ! !

سأل سالم بنُ عبدِ الله بن عمر أشعبَ عنْ طمعِه ، فقال : قلتُ لصبيان مرَّةً : اذهبُوا . هذا سالم قد فتح

بيتَ صدَقَة عمرَ حتَّى يُطعمكم تمراً . فلمَّا احتبسوا ظننتُ أنه كما قلتُ لهم فغدوتُ في أثَرهم .

وقيل له : ما بلغ مِنْ طَعَمِكِ ؟ قال : أرى دُخانَ جاري فأثرُدُ (١) .

وقيل له أيضاً : ما بلغَ من طمعك ؟ قال : لم أر اثنين قطُّ يتسارَّان إلاَّ ظننتُ أنهما يأمران لي بشيء .

وقيل أيضاً : ما بلغ من طمَعكَ ؟ قال : ما رأيتُ عروساً بالمدينةِ تُزفُّ إلاَّ كنستُ بيتي ، ورششتُه طمعاً في أن تُزفَّ إليَّ .

ووقف على رجل خيزُراني — وكان يعمل طَبقاً — فقال له : وسِّعْه قليلاً . قال الخيزُرانيّ : وما تُريد بذلك ؟ كأنَّك تُريد أنْ تشتريَه ؟ قال : لا ، ولكنْ يشتريه بعضُ الأشراف ، فيُهدي إليَّ فيه شيئاً .

* * *

(١) أثرد : ثرد الخبز فتة .

البـــاب السابع عشـــر

نَوادِرُ السُّؤّالِ

قال بعضهم : رأيتُ سائلاً ببغدادَ في الزيّاتين – وهم أنْصَبُ (١) منْ في الأرض – يسأل ، ويقول : تَصَدَّقوا عليَّ حُبّاً وكرامةً لأمير المؤمنين عليّ بنِ أبي طالب . وليس يلتفتُ إليه أحد ، ولا يُعطيهِ شيئاً . فدفعتُ إليه درهماً ، وقلتُ في نَفْسي : إن هذا المسكين لا يعرف هؤلاء ، وبُغْضَهم لعليّ – عليه السلام – فأخذ الدرهمَ منّي ، وقال : يا صاحبَ الصَّدَقةِ ، إنْ كنتَ تصدّقتَ بها عليَّ وفي قلبك بُغْضٌ لأبي بكر ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وفلانٍ ، وفلانٍ ومعاويةَ خالِ المؤمنين رديفِ المصْطفَى ، وكاتبِ **الوحي** فقطعَ اللهُ يديكَ ورجلَيْك وأعْمى عَيْنيكَ .

قال : فأخذَتْهُ الدراهمُ مِنْ كل جانبٍ ، وبقيتُ أنا متحيِّراً . ثُمَّ مضَى فلحظتُه . فَعلِم ما في قلبي . فقال

---

(١) نصب : احتال.

يا فتَى . غلى رَسْلِكَ !! عِنْدك أنَّ هؤلاء القَرانِنةَ (١) لا يصَّدّقون عليّ إلاّ بمثْل هذِه الحيلةِ .

جاء سائلٌ إلى قوم فسألهم ، فَردّوا عليه ، وألح عليهم فردّوا . فألحّ ، فخرجَ إليه بعضُهم فقال: عَافاك اللهُ . أمَا سمعتَ الرَّدّ ؟ قال : ولكنكم غَممْتُموني فأردفُ أنْ أغمّكم يا قَرانِنةُ .

أُعطِيَ سائلٌ كسرةً صغيرة . فقال : رحمَ الله من تمّمها لُقمةً .

قال بعضهم: رأيتُ ببغداد مكفوفاً يقول : من أعطاني حَبّةً سقاهُ اللهُ من الحوض علَى يَدِ معاويةَ . فتبعته حتى خَلوتُ به ، واطمَتُه ، وقلتُ : يا كذا (٢)، عَزلتَ أميرَ المؤمنين عن الحوض . فقال : أردْتَ أن أسْقيهُمْ بحبة على يد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ؟ لا ، ولا كَرامةَ .

---

(١) القرانة : المفرد قرنان : الديوث المشارك في قرينته .

(٢) يا كذا : كناية عن مناداته بلفظ قبيح ..

سأل أبو فرعونَ رجلاً ، فمنعهُ . فألحَّ عليْه فأعطاه فقال : اللهم اخْزنَا وإيَّاهُمْ . نسألُهم إلحافاً ، ويعطوننا كُرْهاً ، فلا يُبَارِكُ اللهُ لنا فيها ، ولا يأجُرُهم عليها .

وقف سائل علَى باب ، فقال : يا أهلَ الدار . فبادر صاحبُ الدار قبلَ أن يتمَّ السائلُ كلامه ، وقال : صنَعَ اللهُ لكَ . فقال السائلُ : يا بنَ البَظْراء كُنتَ تصبرُ حتى تسمعَ كلامي عسى جئتُ أدعوك إلى دَعوة .

وقف أعرابيٌّ سائلٌ علَى باب ، وسأل . فأجابه رجلٌ : ليس ها هُنا أحدٌ . قال : إنّاك لأَحدٌ اوْ جعلَ اللهُ فيك بَرَكةً .

قال الجمَّازُ (١) : سمعتُ سائلاً يقول : مَنْ يعطيني حَبّاً لأَمينين : جبريل ومعاوية ؟

وكان آخر يقول مَنْ يعطيني قطعةً حُبّاً لهندٍ (٢) حماة النَّبي .

---

(١) الجماز : هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد عطاء بن ياسر وكان من أحلى الناس حكاية وأكثرهم نادرة .

(٢) هي هند أم معاوية ، وزوج أبي سفيان وقد تزوج الرسول – عليه السلام – ابنتها أم حبيبة .

ووقف سائلٌ بباب (المافروخي) عاملِ الأهواز ، وسأل فأعطوه لقمةً مِنْ خُبز ، فسكتَ ساعةً ، ولم يبرحْ . ثم صاحَ ، وقالَ : هذا الدّواءُ لأيّ شيءٍ ينفعُني ؟ وكيف آخذُه ؟

وقف سائلٌ على باب قوم فقال : تصدّقُوا عليَّ فإني جائع . قالوا : لم نَخبزْ بعدُ . قال : فكفٌّ سَويق ؟ قالوا : ما اشترينا بعدُ . قال : فشربةَ ماء فإني عطشانُ . قالوا : ما أتانا السقّاء بعدُ . قال : فيسيرَ دُهْن أضعهُ على رأسي . قالوا : ومِنْ أين لنا الدهنُ ؟ فقال : يا أولادَ الزّنى ، فمَا قعودُكم ها هُنا ؟ ؟ قومُوا وسَلُوا معي .

وقف سائل على باب دارٍ فقال : تصدّقوا عليّ . فقالو جاريةٌ من الدار : ما عِندنَا شيءٌ نعطيكَ ، وستّي في المأتم . فقال السائلُ : أيُّ مأتم أعظَم مِنْ مأتمكُم إذا لم يكن عِندكم شيءٌ ؟ ؟

وقفَ آخر بباب فقال : أوسعُوا عليَّ مما رَزَقكم اللهُ فإنيّ في ضِيقٍ . فقالَ صاحبُ الدار : إن كُنتَ في الدهليز في ضيق فادخل الدار فإنــه أوســع لك فقال السائل : إنـّما قُلت : تأمر لي بشيء . قالَ : قد أمرتُك أنْ تشتريَ لابني قَلنسوة .

* * *

الباب الثامن عشر

نَوادِرُ المعلِّمين

قال بعضُهم : مررتُ ببعضِ سِكَكِ البصرةِ وإذ معلِّمٌ قد ضربَ صبيّاً ، وأقام الصبيانَ صفّاً ، وهو يقولُ لهم : اقرؤُوا . ثم جاء إلى صبيٍّ بجنب الصبيّ الذي ضربه ، فقال : قُل لهذا يقرأ ، فإنّي لستُ أكلِّمه .

قال أبو عثمان : كان ابنُ شُبرمة لا يقبلُ شهادة المعلِّم ، وربّما قبل شهادةَ المؤدِّب .

وكان يحيى بنُ أكثمَ أسوأ رأياً فيهم .

وكان السِّنديُّ بنُ شاهك لا يستحلِفُ المكاريَ(١) ، ولا الحائكَ ، ولا الملاّحَ ، ويجعلُ القولَ قولَ المدّعِي ويقولُ : اللّهم إنّي أستخيرُكَ في الحمّال ومعلّمِ الكُتّاب .

---

(١) المكاري : الذي يؤجر الناس الدواب يقال كاراه مكاراة ، وكراه : استأجره .

وصفَ بعضُهم معلّماً فقال : هو أفرهُ الناسِ وَصِيفاً(١) ، وأكثر هَم رغيفاً .

قال بعضهم : مررْتُ بمعلم وإذا صِبيانُه يلعبُون ويقتتِلُون ؛ فقلتُ للمعلّم : ما بالُ صبيانِكَ ليسُوا يَفرَقُون منك !! قال : وأنا أيضاً لستُ أفرقُ منهم .

قال : وقال غُلامٌ لأبيه : لا أريد هذا المعلّمَ . فقال له أبُوه : ما لَهُ ؟؟ قال : يصْنَعُ بي أمراً عظيما . قال : يستخدِمُك ؟ قال : أشدّ مِنْ ذلك . قال : فيضربُك ؟ قال : أشدّ منْ ذاك . قال : فيعفجُك(٢) ؟ قال : أشدّ مِن ذَاك . قال : فأيّ شيء ويلك يفعلُ بك ؟ قال : يأكُل غَدايَ .

قال : كان معلمٌ يُقيمُ الصبيانَ صَفّين ، ويتّكِيء صبيين بيديه ، ويقولُ : أربعةُ وأربعةٌ : ستّةٌ . فقلت له : إذا كانَ أربعةٌ وأربعةٌ ستةً ، فكم يكونُ ثلاثةٌ وثلاثةٌ ؟ قال : صدقتَ . لم آخذْ جذْره .

---

(١) هو أفره الناس وصيفاً : أحذقهم خادماً .

(٢) يعفج : يلوط .

وكان لأبي دواد المعلِّم ابنٌ ، فمرض ، فلما نزَعَ قال : اغسِلوه . قالوا . لم يمتْ بعد . قال : إلى أنْ يُفرَغَ من غَسله ما(١) قد ماتَ .

وقال شريكُه : تعلِّم الصبيانَ وعليك قميصٌ جديدٌ فيسوِّدونه عليك ؟ قال : قد اشتريتُ قطناً ، وقلت لأهلِنا : يغزلُون قميصاً خَلَقاً(٢) .

قال : مررتُ يوماً بمعلِّم – والصبيانُ يحذِفُون عينَه بالقَصَب – وهو ساكتٌ فقلت : ويحكَ !! أرى منك عَجَباً . فقال : وما هُو ؟ قلتُ : أراكَ جالِساً والصبيانُ يَحذفُون عَينك بالقَصب !! فقال : اسكتْ : ودَعهُم . فما فَرحِي واللّه إلاّ أنْ يُصيبَ عَينِيَ شيءٌ ، فأُريكَ كيفَ أنتِفُ لِحَى آبائهم .

كان بحمص مُعلِّم يُكنَى أبا جعفر يتعاطَى عِلمَ الحساب ، فصارتْ إليه يوماً امرأةٌ ، فقالتْ : يا أبا جعفر :

---

(١) (ما) هنا لا معنى لها ولعلها زائدة والمراد : إلى أن يتم غسله يكون قد مات .

(٢) خلقاً : بالياً .

قفيزُ دقيقٍ بثمانيةِ دراهم كم يُصيبُني بأربعة دراهمَ ؟
فقال لها ، بعد أن فكّرَ : في هذه المسألةِ ثلاثةُ أقوال :
أحدهما أنْ تُعطي الرجُل أربعةً أخرى ، وتأخُذي
قفيزاً ، والآخر : لك قفيزٌ إلا بأربعةِ دراهم . والثالث :
تدفعين دِرْهمَ درهمَ ، وتأخذين مَكُّوكَ(١) مكُّوكَ
حتى تستوفين(٢) .

وصار إليه ثلاثةُ « روز جارتين(٣) » قد أخذوا
أجرتَهم دِرهمين فقالوا : يا أبا جعفر ، كيف نَقتسِم
الدِّرهمين ونحنُ ثلاثةٌ ؟ قال : أسقطِوا منكم واحداً ،
وخُذوا دِرهماً درهماً . قالوا : سبحانَ اللّه !! كيفَ
نُسقِط أحدَنا وقد عمِلَ ؟ قال : فزيدوا واحداً
وخذوا نِصْفَ نصفَ . قالوا : كيف نزيد فينَا من لم
يعمل ويأخذ كرانَا ؟ قال : فخذوا نِصْفاً نصْفاً واشتروا
بالباقي تمراً ، وكُلوه .

---

(١) المكوك — كتنور — : مكيال يسع صاعا ونصف صاع .

(٢) في هذه العبارة من الخطأ النحوي ما هو ظاهر ويستوي في ذلك عبارة المعلم وعبارة السائله

(٣) لفظ فارسي . ولعله علم على نوع من العمال

وسألته امرأةٌ ، فقالت : أربعةُ أرطال تمر بدرهم ، كم يُصيبُني بدانق ونصف ؟ فتفكّر ساعةً طويلةً ، وأدخلَ يديه تحت ذَيلِه ، وجعلَ يحسبُ بهما ثم أخرْج يديْه وقد جمعهُما ، وقال : كُتلةٌ مثلُ هذه كبيرةٌ .

قال بعضهم مررتُ بمعلم وهو جالسٌ وحده ، وليس عِنْده من الصّبيان أحدٌ ، فقلتُ له : يا معلّمُ ، ما فعل صبيانُك ؟ فقال : خلْف الدّور يتصافَعُون . فقلتُ : أريد أن أنظرَ إليهم . فقال : إن كان ولا بُدّ فغطِّ رأسَكَ ، لا يحسبُونك أنا فيصفعُوك .

قال : ورأيت مُعلّماً وقد جاء غلامان قد تعلّق أحدهما بالآخر ، وقال : يا معلّمُ ، هذا عضّ أذُني . فقال الآخرُ : واللّهِ ما عضَضْتُها ، وإنّما هو عضّ أُذن نفْسِه . فقال له المعلم : يا بنَ الخبيثةِ . صار جَمَلاً حتى يعضّ أذنَ نفسِه ؟

وقال : رأيتُ معلماً بالكوفة — وهو شيخٌ مخضوبُ الرأس واللّحْيَةِ — وهو يجلس يبكي فوقفتُ عليه ،

وقلتُ : يا عمّ : مِمَّ تبكي ؟ فقال : سرقَ الصبيانُ خُبْزي .

قال : وسمعتُ معلّما وهو يقرىء صبياً «(وما أمْرُنَا إلا واحدةٌ كَلَمحٍ بالبَصَرِ)»(١) والصبيُّ يقول : كاحم بالبَصِلِ فقال له : يا فاعلُ ، أحسبُكَ تشتهي بصَليّةً .

قال : وقرأ صبي على معلّم «(الذين يقولون لا تُنفقُوا على مَنْ عند رَسُولِ اللّهِ)» (٢) فقال المعلمُ : من عِند أبيك القَرْنَان(٣) أوْلى ؛ فإنه كثيرِ المال يا بنَ الفاعلة ، هو ذا ؟؟ تُلْزِمُ النبيَّ نفقةً لا تَجِبُ عليه . أعجبكَ كثرةُ ماله ؟؟

قال : ورأيتُ معلما وقد جاء صبيٌّ ، فصفَعه صفعةً محكمةً . فقال له المعلمُ : أيهّما أصْلبُ : هذه أمْ التي صَفعتُكَ أمْسِ ؟

---

(١) سورة القمر : ٥٠ .

(٢) سورة (المنافقون) ٧ وأولها « هم الذين يقولون » .

(٣) القرنان : الديوث المشرك في قرينته .

قال : وكان بالمدينة معلّم يُفْرط في ضرْبِ الصبيان ، ويشتمهُم . فلاموه على ذلك ، فسألني أنْ أقْعدَ عنده ، وأُشاهدَ حالَه معهم ، فقعدْتُ عنده ، فإذا بصبيٍّ يقول : يا معلمُ : «(وإنَّ عليك اللعنةَ إلى يومِ الدينِ)»(١) فقال : عليكَ وعلى أبويْكَ .

وجاء آخرُ ، فقال : يا معلم : «(فاخرجْ منها فانك رجيمٌ)» (٢) قال : ذاكَ أبُوك الكَشْخَانُ(٣) .

وجاء آخر ، فقال : يا معلّم : «(إني أريد أن أنكِحَكَ)»(٤) قال : انكح أمَّك الفاعلةَ .

وقال آخرُ : يا مُعَلّمُ : (« ما لنا في بَنَاتِكَ من حقٍّ)» (٥) قال : لا ، ولا كرامَةَ . فلا يزالُ معهم في مثل هذا وهو يَضْرِبُهم ، ويُزَنِّيهم(٦) .

---

(١) سورة الحجر : ٣٥ .

(٢) سورة الحجر : ٣٤ وأولها : « قال ... »

(٣) الرجل الكشخان : الديوث .

(٤) سورة القصص : ٢٧ . وقرأها أنكحك بفتح الهمزة .

(٥) سورة هود : ٧٩ وأولها « قالوا لقد علمت » .

(٦) يزنيهم : يقذفهم بالزنا .

قال : ومررت بمعلّم وقد جاء صبي صغير ، فصفعه . فقلت له : لِمَ تَدَعُ هذا الصبيَّ يجترىء عليك ؟ فقال : دعْهُ فإني أشكُوه غدا إلى أبيه .

واستفتحَ غلامٌ ، فقال : يا معلّم « (إن أبي يدعوكَ) » (١) فقال : هَاتُمْ (٢) نعلِيَ . فقال الغلامُ : إنما استَفْتحتُ . فقال : قد أنكرتَ أن يُفْلِح أبُوك .

قال معلم لغلام : قُلْ « (قد أفلح مَنْ زَكَّاهَا . وقد خَابَ مَن دسَّاها) » (٣) . فقال : وقد داس مَنْ خبَّاها . فلم يزل يكرِّرُ ذلك عليه إلى أن أعْيَتْه العِلَّةُ . فقال المعلم : وقد داسَ مَنْ خبّاها . فقال الغلامُ « (وقد خاب مَنْ دسَّاها) » . فقال المعلم لأبيه : وقد قلتُ لكَ إنه لا يُفْلِح .

* * *

---

(١) سورة القصص : ٢٥ .

(٢) الصحيح نحوا : هاتوا .

(٣) سورة الشمس : ٩ ، ١٠ .

البـــاب التاســـع عشـــر

نوادرُ الصِّبْيانِ

قال رجلٌ لابنه : ما أراكَ تُفْلح أبداً . فقال الابنُ : إلاّ أنْ يرزقني اللّهُ مؤدّباً غيرَك .

قال بعضهم : أحضِرتُ لتعليم المعتزّ — وهو صغيرٌ — فقلت له : بأيِّ شيء تبدأُ اليوم ؟ فقال : بالانصرافِ .

قال بعضهم : رأيتُ أعرابياً يعاتبُ ابناً له صغيراً ، ويذكر حقَّه عليه . فقال الصبي : يا أبَهْ إنّ عظِيمَ حقّك عليّ لا يُبطلُ صغيرَ حقّي عليك ، والذي تَمُتُّ به إليّ أمتُّ بمثله إليك ، ولست أقولُ : إنا سواءٌ ، ولكن لا يَجْمُل الاعتداءُ .

عرْبدَ(١) غلام على قوم ، فأراد عمُّه أنه يعاقبَه ، ويؤدّبَه ، فقال له : يا عمّ : إني قد أسأتُ ، وليسَ معي عقلي ، فلا تُسيء بي ومعَك عقلُك .

---

(١) العربدة : سوء الخلق .

ونظر دَميم يوماً في المرآة ، وكان دَميماً ، فقال : الحمدُ للّه ، خلقني فأحسن خلْقي وصوّرني فأحسن صورتي ، وابنٌ له صغيرٌ ، يسمع كلامه . فلمّا خرجَ سألهُ رجلٌ — كان بالباب — عنْ أبيه فقال : هو بالبيتِ يكْذبُ على اللّهِ .

كان الفتحُ بنُ خاقان — وهو صبي — بين يدَي المعتصمِ(١) ، فقال له ، وعرضَ عليه خاتَمَهُ : هل رأيتَ — يا فتحُ — أحسنَ من هذا الفَصّ ؟ قال : نعم : يا أميرَ المؤمنين اليدُ التي هو فيها أحسنُ منه .

وعاد المعتصمُ أباه — والفتحُ صغيرٌ — فقال له : داري أحسنُ أمْ دارُ أبيك ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، دارُ أبي مادُمتَ فيه (٢) .

---

(١) المعتصم العباسي : هو ثامن خلفاء العباسيين ببغداد ، ويدعى أبا إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي وقد حارب الروم وانتصر عليهم ، وفتح عمورية سنة ٢٢٣هـ وفي هذا الفتح نظم أبو تمام قصيدته المشهورة . وقد توفي سنة ٢٢٧هـ .

(٢) أي في الدار ، والدار مؤنثة وقد تذكر .

قال ابنُ أبي ليلى : رأيتُ بالمدينة صبيًّا قد خرجَ من دار ، وبيدِه عُودٌ مكشوفٌ . فقلتُ له : غطِّه لا ذُعِرْتَ. قال : أَوَ يُغَطَّى من اللهِ شيءٌ ؟ لا تَلِفْتَ .

قال البلاذُري : أدخِل الركاضُ وهو ابنُ أربع سنين إلى الرَّشيد ليعجبَ من فطنته ، فقال له : ما تحبُّ أنْ أهبَ لك ؟ قال : جميلَ رأيك فإني أفوزُ به في الدُّنيا ، والآخره ؛ فأمر له بدنانيرَ ودراهمَ فصُبَّتْ بين يديه . فقال : اختر الأحبَّ إليك . قال : الأحبُّ إلى أمير المؤمنين ، وهذا مِنْ هذَين ، وضربَ يدَه إلى الدَّنانير فضحكَ الرشيدُ ، وأمر أن يُضَمَّ إلى وَلدِه ، ويُجْرَى (١) عليه .

اجتازَ عمرُ بنُ الخطاب — رضي الله عنه — بصبيان يلعبون ، وفيهم عبدُ الله ابن الزّبير فتهاربُوا إلاَّ عبدَ الله

---

(١) يجري عليه : أي يرتب له جراية : أي راتب .

فإنه وقفَ . فقال له عمرُ : لِمَ لمْ تَفِرَّ مع أصحابك ؟
قال : لم يكُنْ لي جُرمٌ فأفرَّ منكَ ، ولا كان الطريقُ
ضيِّقاً فأوسِّعَهُ عليكَ .

* = *

البـــاب العـــشرون

نوادرُ للعبيدِ والمماليكِ

ولى بعض الأُمراء مولىً بعد غيبة طويلة فقال : أنت في الأحياء بعد . فقال : وأنا أستخير أن أموت قبل مولاي الأمير .

قال الدّارميّ (١) لغلامه : بأبي أنت وأمّي لو كان العتقُ مثلَ الطّلاقِ لسررتُك بواحدةٍ (٢) .

اعترض بعضهم غلاماً أرادَ شراءَه فقال يا غلام : إذن اشتريتك تُفلحْ ؟ فقال : فإن لم تشترِ .

قال أبو العيناء : اشتُريَ للواثق (٣) عبدٌ فصيحٌ من البادية ، فأتيناه وجعلنا نكتبُ عنه كلّ ما يقولُ ، فلما رأى ذلك منّا قلّب طرفَه وقال : « إنّ تُرابَ قعرِها لملتهب » .

---

(١) هو مسكين الدارمي الشاعر .

(٢) يقصد أن العتق لا يتجزأ ولا ينفذ على مرات كالطلاق .

(٣) الواثق : هو أحد خلفاء الدولة العباسية .

يقال ذلك للرَّجُل يُسَرُّ الناسُ برؤيته لا نتفاعهم به وأصل ذلك : أنَّ الحافرَ يحفرُ فإنْ خرجَ التّرابُ مُرّاً علمَ أنَّ الماءَ مِلحٌ وإن كان طيِّباً علم أنّ الماء عذبٌ فأنْبَطَ (١) وإذا خرج طيّباً انتهبه الصبيان .

اشترى بعضُ الهاشميّين غلاماً فصيحاً فبلغ الرّشيدَ خبرُه ، فأرسلَ إليه يطلبه . فقال يا أميرَ المؤمنين : لم أشتره إلاّ لكَ ، فلمّا وقف الغلامُ بين يدي الرّشيدِ قال له : إنَّ مَولاكَ قد وهبكَ لي . فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ما زِلْتُ ولا زُلْتُ .

قال : فَسِّرْ . فقال : ما زِلتُ لكَ وأنا في ملكه ولا زُلتُ عن ملكه ، فأعجبَ الرّشيدُ به وقدّمه .

قال أبو العيناء : مررت بسُوق النخّاسين (٢) بالبصرة ، فإذا غلامٌ يُنادَى عليه ثلاثين ديناراً والغلامُ يُساوي خمسمائة دينار ، فاشتريته وكنت أبني داراً فدفعت إليه عشرين ديناراً على أن يُنفقها ، فلم أزل أصُكُّ عليه

---

(١) نبط الماء : نبع ، والمراد هنا : استنبط الماء وأخرجه .

(٢) النخاسة : تجارة الرقيق .

حتى أنفقَ نحوَ العشرة . ثم صككتُ بشيءٍ آخر . فقال لي : فأين أصلُ المال ؟ قلت : ارفعْ إليَّ حسابك ، فرفعَ حِساباً بعشرة دنانير . فقلت : فأين الباقي ؟

قال : اشتريت ثوبا مُصْمتاً (١) وقطعته . قلت : من أمرك بهذا ؟

قال : إنّ أهل المُرَوّات والأقدارِ لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعودُ زينةً عليهم . قال : فقلتُ في نفسي : اشتريتُ الأصمعيّ وابنَ الأعرابيّ ولم أدرِ . وكانت في نفسي امرأةٌ أردتُ تزوّجها فقلت يا غلامُ فيك خيرٌ . قال : وهل الخيرُ إلاّ فيَّ . فقلتُ له : قد عزمتُ على كذا . وتزوجتها ودفعتُ إلى الغلام ديناراً وقلتُ له : خُذ لنا سمكاً هازبي (٢) ، فأبطأ واشترى مارماهي (٣) فأنكرت عليه خلافي . فقال يا مولاي : فكّرتُ فإذا بُقْراطُ (٣) يقول : الهازبي يُولّد السّوداءَ والمارماهي

---

(١) الثوب المصمت : الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(٢) والهازبي : الثعباني .

(٣) السمك المارماهي : المعروف بالقرموط .

أقلُّ غائلةً . قلت : لا الذي بُقراط أنت أم جالينوس (١) وأدخلته البيت وضربته عشرةً ، فلما قام أخذني وضربني سبعةً وقال يا مولاي : الأدبُ ثلاثةٌ وسبعةٌ لها قِصاص ، فغاظني ورميته فشججتُه (٢) ، فمضى إلى ابنةِ عمي وقال لها : « الدينُ النصيحةُ » وقال النبيُّ صلّى الله عليه : « من غشَّنا فليس منّا » . وقال : « مولى القوم منهم » : وأُعلِمُكِ أنَّ مولايَ تزوّج واستكتمني ، فلمَّا أعلمتُه أني مُعرفَّتُكِ ما فعلَ شجّني ، فوجّهتْ إليَّ بنتُ عمّي بغلمانٍ ، فبُطِحْتُ في الدّار وضُرِبْتُ وسمَّته النَّايح ، فما كان يتهيَّا لي كلامه . فقلت : اعتقه ، فلعلَّه يمضي عنّي ، فلزمني ولدّ بي وقال : الآن وجبَ حقُّكَ عليّ ، ثم إنَّه أرادَ الحجّ ، فجهَّزته ، فغاب عني عشرين يوماً ورجعَ فقلت : لم رجعْتَ ؟ فقال : قُطِعَ علينا وفكَّرتُ ، فإذا الله جل وعز يقول :

---

(١) بقراط وجالينوس : من أكابر الأطباء .

(٢) شجني : جرحني في رأسي .

«(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)» (١) .

وكنتُ غير مُستطيعٍ وإذا حقّكَ أوجبْ عليّ فرَجَعْتُ ثم إنه أراد الغزو فجهّزتُه ، فلما صار على عشرةِ فَراسخَ بعتُ ما كان لي بالبصرة وخرجت عنها خوفاً أن يرجَع وصرتُ إلى بغداد .

قال بعضهم : استعرضْتُ غلاماً فقلت له : يا غلام تحبُّ أن أشتريك . فقال : حتى أسألَ عنك .

أعتق عبدُ الله بنُ جعفر (٢) غلاما ، فقال الغلامُ : أكتُبْ كما أملي .

قال : فَأَمْلِ . قال : اكتُبْ : كنتَ بالأمسِ لي ، فوهَبْتُكَ (٣) لمن وهبَكَ لي ، فأنت اليومَ واليومَ صرتَ مثلي فكتبَ ذلك واستحسنه وزاده خيراً .

---

(١) سورة آل عمران : ٩٧ ، أولها « فيه آيات بينات مقام إبراهيم » .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

(٣) ضمير الرفع يعود على عبد الله بن جعفر .

قال حَمَّادُ بنُ إسحاق الموصلي : كان لأبي غلامٌ يستقي الماء لمن في داره على بغْلَين ، فانصرف أبي يوماً وهو يَسُوقُ البغلَ وقد قَرُب من الحوض الذي يصُبّ فيه الماء . فقال : ما خبرُكَ يا فتحُ (١) ؟ قال : خبري أنّه ليس في الدّار أشقَى منّي ومنك .

قال : وكيف ؟ قال : لأنّك تُطعمهم الخُبز وأنا أسقيهم الماء ، فضحك منه وقال : فما تحبُّ أن أصنعَ بك ؟ قال : تعتقني وتَهَبُ لي هذين البغلين ، ففعلَ ذلك .

* * *

(١) اسم الغلام .

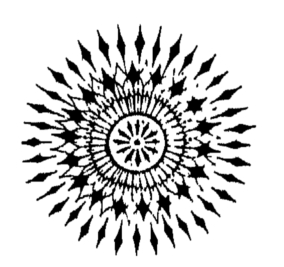
فهارس السفر الثالث

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الباب الثالث :	١٥٣
كلام الأحنف	١٥٥
الباب الرابع :	١٦٥
كلام المهلب وولده	١٦٧
الباب الخامس :	١٧٣
كلام أبي مسلم	١٧٥
الباب السادس :	١٧٧
كلام جماعة من الأمراء	١٧٩
الباب السابع :	١٩٣
فصول الكتاب والوزراء وتوقيعات ونكت من كلامهم ونوادر لهم	١٩٥
الباب الثامن :	٢١٧
نكت مستحسنة للقضاة	٢١٩
الباب التاسع :	٢٥١
كلام الحسن البصري	٢٥٣
الباب العاشر :	٢٧٧
نكت من كلام الشيعة	٢٧٩
الباب الحادي عشر :	٢٨٣
كلام الخوارج	٢٨٥
مختصر الصاحب في الكشف عن مناهج أصناف الخوارج	٣٠٣
الباب الثاني عشر :	٣٠٩
الغلط والتصحيف	٣١١

الموضوع	الصفحة

٥٠٠٠ ط ١٩٩٧/٥/١

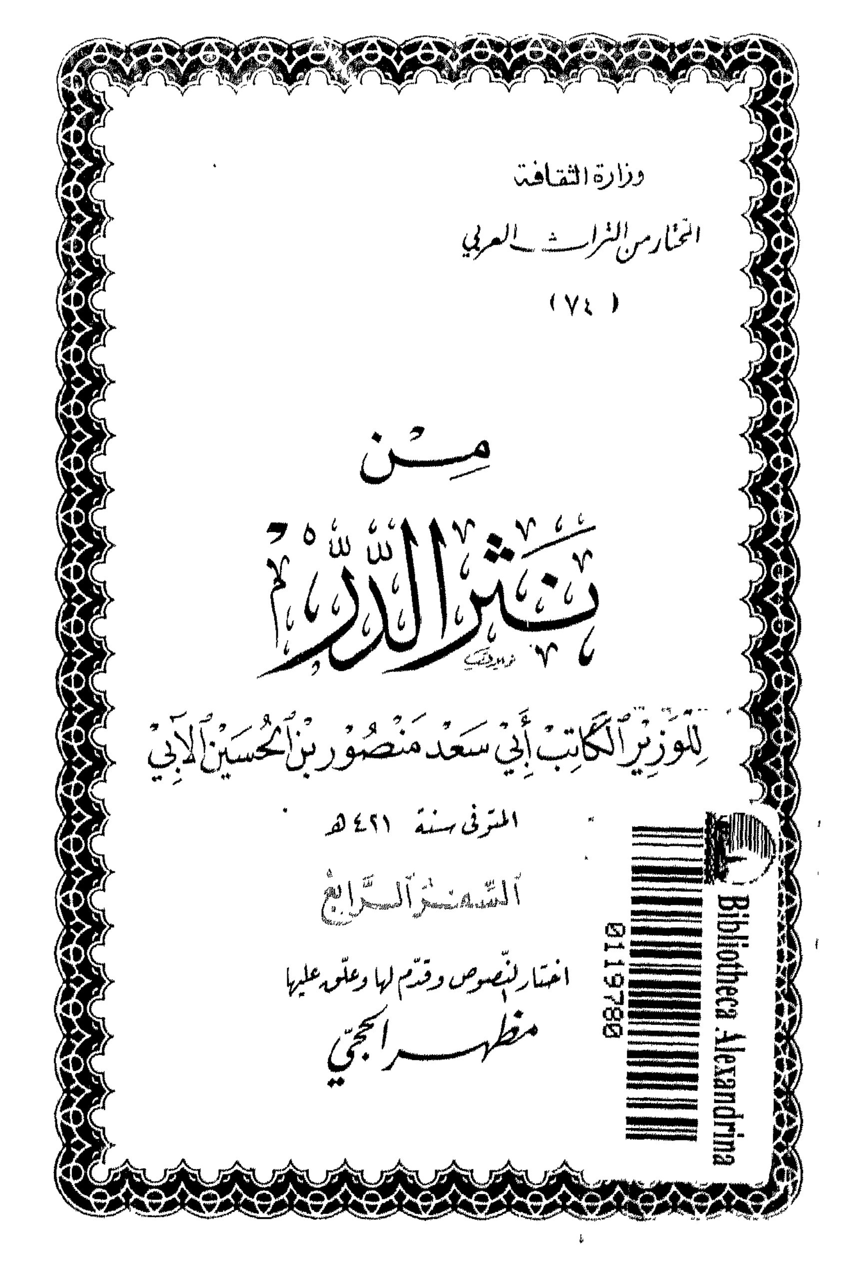


طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

سعر النسخة داخل القطر ٢٢٥ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل ٤٥٠ ل.س



وزارة الثقافة

المختار من التراث العربي

(٧٤)

من
نثر الدر

للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الرابع

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الحجي

الاشراف الفني : زهير الحمو

من نثر الدر

السفر الرابع

وزارة الثقافة
المختار من التراث العربي
٧٤

من نثر الدر

للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي
المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الرابع

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها
مظهر الحجي

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٧

من نثر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها مظهر الحجي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج؛ ٢٠ سم. - (المختار من التراث العربي؛ ٧١ - ٧٤).

١- ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢- العنوان ٣- أبو سعد الآبي
٤- الحجي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الأوّل (*)

(*) من الجزء السادس من الكتاب الأصل (نثر الدر) .

نُكتٌ من فَصيحِ كلامِ العَرَبِ وخُطَبِهمْ

حدّثنا الصاحب كافي الكُفاةِ(١) — رحمةُ الله عليه — عن الأبْجَرَ عن ابن دُريد (٢) عن عَمّه عن ابنِ الكلبيّ(٣) عن أبيه(٤) . قال : وردَ بعضُ بني أسَد

---

(١) كافي الكفاة : هو أبو القاسم اسماعيل بن عباد الطالقاني ، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة لعلمه بالأدب والتدبير وجودة الرأي .

(٢) ابن دريد : هو محمد بن الحسين بن دريد الأزدي ، من أئمة اللغة والأدب ، ولد في البصرة وتوفي ٣٢١هـ .

(٣) ابن الكلبي : هو هشام بن محمد بن أبي النضر بن السائب بن الكلبي أبو المنذر ، مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها ، ولد بالكوفة ومات بها ٢٠٤هـ .

(٤) هو محمد بن أبي النضر السائب الكلبي النسابة ، راوية عالم بالتفسير والأخبار ، توفي بالكوفة ١٤٦هـ .

من المُعَمَّرين عَلَى معاوية(١) فقال له : ماتذكرُ ؟ قال : كنتُ عشيقاً لعقيلة من عقائل الحيِّ ، أركبُ لها الصَّعبَ والذَّلولَ ، أُتهِمُ وأُنجِدُ(٢) وأغورُ لا آلو مَرْبأة(٣) في مَتْجرٍ إلا أتيتُه ، يلفِظُني الحَزْنُ(٤) إلى السهل ، فخرجتُ أقصِدُ دهماءَ الموسمِ ، فإذا أنا بقبابٍ ساميةٍ على قُلَلِ الجبالِ مجللةٍ بأنطاعِ(٥) الطائف وإذا جُزُر تُنْحَر ، وأخرى تساقُ ، وإذا رجلٌ جَهْوَريّ الصوتِ على نَشزٍ(٦) من الأرض ينادي : ياوَفْدَ اللهِ : الغداءَ ، الغداءَ إلا مَنْ تغدَّى فليَخْرُج للعشاء . قال : فجَهَرَني مارأيْتُ فدلفْتُ أريد عميدَ

(١) معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن عبد مناف القرشي الأموي ، مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب ، اشتهر بالفصاحة والحلم والوقار . ولد بمكة وأسلم يوم فتحها ، كان من كتاب الرسول وأحد العظماء الفاتحين في الإسلام . توفي بدمشق عام ٦٠ ھ .

(٢) أتهم وأنجد : أتى تهامة ونجد أي المنخفض والمرتفع من الأرض .

(٣) المربأة : المكان المرتفع .

(٤) الحزن : ما غلظ من الأرض .

(٥) أنطاع : جمع نطع وهي المرتفعات .

(٦) النشز من الأرض : المرتفعة .

الحيّ ، فرأيْته على سريرِ ساسَمٍ(١) على رأسِه عمامةُ خزٍّ سوداءُ كأنّ الشّعرَى العَبور(٢) تطلعُ من تحتها ، وقد كان بلغني عن حَبْرٍ من أحبارِ الشامِ أن النبيَّ التهاميَّ هذا أوانُ مَبْعَثِه . فقلتُ : علّه . وكدتُ أفقَه به . فقلت : السلامُ عليكَ يارسولَ الله . فقال : لستُ بِه ، وكأنْ قد وليتني به ، فسألتُ عنه فقيل : هذا أبو نضلةَ هاشمُ بنُ عبدِ مَناف(٣) . فقلتُ هذا المحبّرْ والسناءُ والرفعةُ لامجد بني جَفْنَةَ . فقال معاويةُ : أشهدُ أن العربَ أوتيَتْ فصلَ الخطاب .

وصفَ أعرابيٌّ قوماً فقال . كأنّ خدودَهم ورَقُ المصاحف ، وكأنّ حواجبهم الأهِلّةُ ، وكأن أعناقَهم أباريقُ الفِضّة .

---

(١) الساسم : شجر يتخذ منه القسي وقيل هو الأبنوس .

(٢) الشعرى العبور : هما شعريان : إحداهما الغميصاء وهو أحد كوكبي الذراعين ، وأما العبور فهي مع الجوزاء تكون نيرة ، سميت العبور لأنها عبرت المجرة .

(٣) هو جد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

دخل ضِرارُ(١) بنُ عمرو والضَّبّي(٢) على المنذر(٣) بعد أنْ كانَ طعنَه عامرُ بنُ مالكٍ(٤) فأذْراهُ عن فرسِهِ فأشبلَ(٥) عليه بنوه حتى استشالوهُ فعندها قال : من سرَّه بنوه ، ساءته نفسُه . فقال له المنذرُ : ماالذي نحّاك يومئذٍ ؟ قال : تأخيرُ الأجلِ ، وإكراهي نفسي على المُقِّ(٦) الطِّوال .

قال معاويةُ لصُحار العبديّ(٧) : ماهذه البلاغةُ التي فيكم ؟ قال : شيءٌ تجيشُ به صدورُنا فتقذفُه على

---

(١) ضرار بن عمرو الغطفاني : قاض من كبار المعتزلة .

(٢) الضبي : جرير بن عبد الحميد بن قرط الرازي ، محدث في عصره واسع العلم ثقة .

(٣) المنذر بن ماء السماء اللخمي ، أحد ملوك الحيرة ، أبوه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي .

(٤) عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري : فارس قيس وأحد أبطال العرب في الجاهلية .

(٥) أشبل عليه : عطف عليه وأعانه .

(٦) المق : النساء الطوال .

(٧) صحار العبدي : هو ابن عياش بن شراحيل بن منقذ العبدي من بني عبد القيس ، خطيب ، شهد فتح مصر .

ألسنتنا . فقال له رجلٌ من عرضِ القوم: هؤلاء بالبُسْر(١) أبصرُ منهم بالخُطَب . فقال صُحارٌ : أجلْ والله إنّا لنعلمُ أنّ الريحَ لتُلْقِحُه ، والبَردَ ليَعقِدُه ، وأنّ القمرَ ليَصْبِغُه ، وأن الحَر ليُنْضِجُه . قال معاويةُ : فما تَعدُّونَ البلاغةَ فيكم ؟ قال : الإيجازُ . قال : وماالإيجازُ ؟ قال : أن تجيبَ فلا تبطئَ ، وتقولَ فلا تخطئَ . قال معاويةُ : أو كذا لي تقول ؟ قال صحار : أقِلْني ياأميرَ المؤمنين لاتبطيء ولاتخطيء .

تكلم صعصعةُ(٢) عند معاويةَ فَعَرِقَ ، فقال معاويةُ : بَهَرَكَ القولُ ؟ قال صعصعةُ : إن الجيادَ نَضّاحةٌ بالماء(٣) .

قيل لبَعْضِهِم : من أين أقبلْتَ ؟ قال : من الفجِّ العميقِ . قال : فأين تريدُ ؟ قال : البيتَ العتيقَ . قالوا :

---

(١) البسر : جمع بسرة وهو التمر قبل أن ينضج لغضاضته .

(٢) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي ، من سادات عبد القيس من أهل الكوفة ، توفي سنة ٥٦ هـ .

(٣) بهرك : غلبك .

وهل كان ثمَّ من مطرٍ ؟ قال : نعم حتى عفى الأثرَ ، وأنضرَ الشجرَ ، ودهدَه الحجرَ .

قال الجاحظُ(١) : ومن خُطباءِ إيادٍ ، قس بنُ ساعدةَ(٢) الذي قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : رأيته بسوقِ عكاظ . على جملٍ أحمرَ وهو يقول : أيها الناسُ اجتمعوا واسْمَعوا وَعُوا ، من عاشَ ماتَ ، ومن مات فات ، وكل ماهوَ آتٍ آتٍ . وهو القائلُ في هذه : الآياتُ محكماتٌ ، مطرٌ ونباتٌ ، وآباءٌ وأمهاتٌ ، وذاهبٌ وآتٍ ، ونجومٌ تمورُ(٣)وبحارٌ لاتغورُ . وهو القائلُ : يامعشرَ إياد : أين ثمودٌ وعادٌ ؟ أين الآباءُ والأجدادُ ؟ وأين المعروفُ الذي لم يُشكَرْ ؟ وأين الظالمُ الذي لم يُنْكَر ؟ أقْسَمَ قُس قسماً إن لله لدينا هو أرضى له وأفضلُ من دينكم هذا .

---

(١) الجاحظ : هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ، كبير أئمة الأدب وزعيم الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، توفي ٢٥٥هـ .

(٢) قس بن ساعدة بن نزار بن معد بن عدنان ، من أجواد العرب في الجاهلية ينسب إليه بنو إياد كان قس أخطب قومه

(٣) نجوم تمور : تذهب وتجيء

وكان عامرُ بنُ الظّربِ (١) العَدَواني حكماً ، وكان خطيباً رئيساً وهو الذي قال : يامعشرَ عَدْوان ، الخيرُ ألوفٌ عَروفٌ ولن يفارقَ صاحبَه حتى يفارِقَه ، وإني لم أكنْ حكيماً حتى اتبعتُ الحكماءَ ولم أكن سيدكم حتى تَعَبّدْتُ لكم .

وسُئل دَغْفلُ (٢) عن المماليك فقال : عزٌ مستفادٌ ، وغيظٌ في الأكباد كالأوتادِ .

قال أبو بكرٍ لسعيد ، أخبرني عن نفسكَ في جاهليتِكَ وإسلامِكَ فقال ، أما جاهليتي فواللهِ ماخِمتُ عن بُهمةٍ (٣) ، ولاهَمَمْتُ بأمةٍ ولانادَمْتُ غيرَ كريمٍ ، ولا رُئيتُ إلا في خيلٍ مُغيرةٍ أو في حَمْلِ جَريرةٍ (٤) أو في نادي عَشيرة ، وأما مُذ خَطَمني الاسلامُ فلن أذكّيَ لكَ نفسي .

---

(١) عامر بن الظرب العدواني ، حكيم ، خطيب ، كان إمام مضر ومن حرم الخمر في الجاهلية وهو أحد المعمرين في الجاهلية .

(٢) دغفل : بن حنظلة بن زيد بن عبدة الذهلي النسيباني .

(٣) ماخمت عن بهمة : ما جبنت أو تراجعت عن مقاتل شجاع .

(٤) الجريرة : الجناية والذنب .

قال رجلٌ لغلامه ، إنك ماعلمتُ لضعيفٌ قليلُ الغَناء . قال : وكيفَ أكون ضعيفاً قليلَ الغَناء ، وقد كفيتُك ثمانين بعيراً نزوعاً(١) وفرساً جَروراً ورمحاً خَطِّيّاً وامرأةً فاركاً .

قيل لأعرابي : صِفْ لنا خَلوتكَ مع عَشيقتك قال : خلوتُ بها والقمرُ يُرينيها ، فلما غابَ القمرُ أرَتْنيه . قيل . فما أكثرُ ماجرى بينكما ؟ قال : أقربُ ماأحلَّ الله مما حرَّم ، الإشارةُ بغير بأسٍ ، والتعرُّضُ لغير مَساسٍ ، ولئن كانت الأيامُ طالت بعدَها، لقد كانت قصيرةً معها.

وذكر بعضُهم مسجدَ الكُوفة فقال : شاهدنا في هذا المسجدِ قوماً كانوا إذا خَلعوا الحِذا ، عقدوا الحُبا(٢) وقاسوا أطرافَ الأحاديثِ ، حَيّروا السامعَ وأخرسُوا الناطقَ .

سُئل أعرابيٌّ عن زوجته — وكان حديثَ عَهدٍ

---

(١) نزوع : أي ينزع عليه الماء من البئر وحده .

(٢) الحبا : جمع حبوة وهو الجمع بين الظهر والساقين بعمامة أو نحوها ليستند ، إذ لم يكن للعرب في البوادي جدران تستند إليها في مجالسها .

بعرسٍ . كيفَ رأيتَ أهلكَ ؟ فقال : أفنانَ أثلةٍ (١) ، وجَنى نخلةٍ ، ومَسّ رملةٍ ، ورُطبَ نخلةٍ ، وكأنيّ كلّ يوم آئبٌ من غيبةٍ .

وصفَ آخر مَرَحَ فرسٍ فقال : كأنه شيطانٌ في أشطانٍ (٢) . وقيل لآخر : كيف عَدْوُ فرسك ؟ قال : يعدو ماوجدَ أرضاً .

وقال الآخر لأخيه ورأى حِرْصَهُ على الطلبِ : ياأخي ، أنتَ طالبٌ ومطلوبٌ ، يَطْلبُكَ من لاتفوتَه ، وتَطْلبُ ماقد كُفيتَهُ ، فكأنّ ماغابَ عنك قد كُشِفَ لكَ ، وما أنت فيه قد نُقِلْتَ عنه . ياأخي : كأنك لم ترَ حريصاً مَحْروماً ، ولا زاهداً مَرْزوقاً .

ذَمّ أعرابي رجلاً فقال : أنتَ واللهِ مِمّن إذا سأل ألْحَفَ(٣) ، وإذا سُئل سَوّفَ(٤) ، وإذا حدّث

---

(١) أفنا : جمع فنن وهو الغصن . والأثلة : الشجرة الطويلة المستقيمة ، تشبه بها المرأة إذا تم قوامها واستوى خلقها .

(٢) الأشطان : جمع شطن وهو الحبل الطويل يستقى به وتربط الدابة .

(٣) ألحف : ألح في السؤال وهو مستن .

(٤) سوف : مطل .

خلَف(١) ، وإذا وَعَد أخْلَف ، تَنْظُر نظرةَ حسودٍ ، وتُعْرِض إعراضَ حقودٍ .

قال بعضُهم : مضى سلفٌ لنا اعتقدوا مِنَناً ، واتّخذوا الأيادي عندَ إخوانِهم ذخيرةً لمن بعدَهم ، وكانوا يَرَوْن اصطناعَ المعروفِ عليهم فرضاً وإظهارَ البِرِّ والإكرامِ عندهم حقّاً واجباً ، ثم حالَ الزمانُ عن نَشْءٍ آخر حَدَثوا ، اتخذوا مِنَنَهم صناعةً ، وأياديهم تجارة ، وبرُّهم مرابحة ، واصطناعَ المعروف بينهم مقارضةَ ، كنقدِ السوقِ ، خُذ مِنّي وهات .

افتتحَ بعضُهم خطبةً فقال : بحمدِ الله كبُرَتِ النِّعمُ السوابغُ ، والحُجَجُ البوالغُ ، بادروا بالعمل ، بوادِرَ الأَجلِ ، وكونوا من الله على وجلٍ ، فقد حَذّر ونذرَ ، ومَهلَ حتى كأنْ قد هملَ .

وَفَدَ هانيءُ بنُ قَبيصةَ (٢) على يزيدَ بنِ معاويةَ (٣)

---

(١) خلف : حيق .

(٢) هانيء بن قبيصة بن مسعود بن عمير العامري ثم النميري ، سيد قومه في خلافة يزيد بن معاوية ، أحد شجعان العصر الأموي .

(٣) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد بالماطرون ، ولي الخلافة ٦٠هـ وتوفي ٦٤هـ .

فاحتجبَ عنه أياماً ثم إن يزيدَ ركبَ يوماً يتصيَّدُ ، فتلقَّاه هانيءٌ فقال : إن الخليفةَ ليسَ بالمحتجبِ المتخلّي ، ولا بالمتطرّفِ المتنحيّ ، ولا الذي ينزلُ على العدواتِ والفلواتِ ، ويخلو باللذاتِ والشهواتِ ، وقد وُلِّيتَ أمرَنا ، فأقمْ بين أظهرِنا ، وسَهِّلْ إذْنَنا واعملْ بكتابِ اللهِ فينا ، فإن كُنْتَ عَجَزْتَ عَمّا ها هنا ، واختَرْتَ عليه غَيْرَه ، فارْدُد علينا بَيْعتَنا ، نبايعْ من يعملُ بذلك فينا ونُقيمْه ، ثم عليك بخلواتِك ، وصيدِك وكلابِك . قال : فغضبَ يزيدُ وقال : والله لولا أن أَسُنَّ بالشامِ سُنَّةَ العراقِ لأقمتُ أودَكَ . ثم انصرفَ وما هاجهُ بشيءٍ وأذِنَ له ولم تَتَغير منزِلَتُه عنده ، وتَرَكَ كثيراً مما كان عليه .

كان العياشي (١) يقول : الناسُ لصاحبِ المالِ ألزمُ من الشّعاعِ للشمسِ ومن الذّنَبِ للمُصِرّ ، ومن الُحكْمِ للمُقِرّ ، وهُو عندهم أرفع من السماء .

(١) العياشي : هو محمد بن مسعود السلمي أبو النضر ، فقيه من كبار الإمامية من أهل سمرقند .

ذكر أعرابيٌّ امرأةً فقال : رَحِمَ اللهُ فلانةَ إنْ كانتْ لقريبةً بقولها ، بعيدةً بفعلها ، يكفُّها عن الخَنى أسلافُها ، ويدعونا إلى الهَوى كلامها كانت والله تقصرُ عليها العينُ ولا يُخاف من أفعالِها الشَّيْنُ .

وصفَ أبو العاليةِ امرأةً فقال : جاءَ بها والله كأنّها نُطْفَةٌ عذبةٌ في شنٍّ (١) خَلَقٍ ينظر إليه الظمآنُ في الهاجرة .

وقال أبو عثمان : رأيتُ عبداً أسود لبني أُسَيْد قدِم علينا من شِق اليمامة فبعثوه ناطوراً (٢) وكان وَحْشياً يغربُ في الإبل ، فلما رآني سَكَن إليَّ ، فسمِعْتُه يقول : لعن الله بلاداً ليس بها عرب ، قاتل الله الشاعر حيث يقول (٣) :

---

(١) الشن : القربة الصغيرة الخلق يكون الماء فيها أبرد من غيرها .

(١) الناطور : حافظ الكرم والنخل .

(٣) القائل هو الشاعر جندل بن المثنى الطهوي .

* حُرُّ الثرى مُسْتَعْرَبُ التراب *

إِن هذه العُريب في جميع الناس ، كمقدارِ القَرحة في جِلد الفرس فلولا أن الله رقَّ عليهم فجعلهم في حَشاه (١) ؛ لطمسَتْ هذه العُجمان آثارهم . ترى الأَعيار إِذا رأت العتاق (٢) لا ترى لها فضلاً ، واللهُ ما أمَرَ نَبيَّهُ بقتلِهم إِلا لضَنِّهِ بهم ولا تركَ قبولَ الجزيَةِ منهم إِلا لتَرْكِها لهم .

قال حصنُ (٣) بنُ حذيفةَ : إياكُمْ وصرعاتِ البغي ، وفضحاتِ المزاحِ .

وقف جَبَّارُ بنُ سُلْمى (٤) على قبرِ عامرِ بنِ الطُّفَيْل (٥) فقال : كان واللهِ لا يضلُّ حتى يضلَّ

---

(١) جعلهم في حشاه : أي استبطنهم .

(٢) العتاق : الخيل العربية الأصيلة .

(٣) حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري كان قائد ذبيان يوم شعب جبلة وأبوه حذيفة الذي دارت عليه حرب داحس .

(٤) جبار بن سلمى (بضم السين) أحد الصحابة الفرسان .

(٥) عامر بن الطفيل بن جعفر العامري من بني عامر بن صعصعة ، أحد فتاك العرب وفرسانهم وشعرائهم أدرك الاسلام ولم يسلم .

النَّجْمُ ، ولا يعْطشُ حتى يَعطشَ البعيرُ ، ولا يهابُ حتى يُهابَ السَّيلُ ، وكان واللهِ خيرَ ما يكون حين لا تظُنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً .

قيل لشيخٍ : ما صَنَعَ بكَ الدّهرُ فقال : فقدْتُ المَطعمَ وكانَ المُنعِمِ وأجِمْتُ (١) النساءَ وكُنّ الشفاءَ ، فنومي سباتٌ ، وسَمْعي خفاتٌ ، وعقلي تاراتٌ .

وسُئِلَ آخرُ فقال : ضَعْضَعَ قناتي (٢) وأَوْهَنَ شَواتي وجرّأَ عليّ عِداتي .

صعِدَ أعرابيٌّ منبراً ، فلما رأى الناسَ يرمقونَه صَعُبَ عليه الكلامُ فقال : رَحِمَ اللهُ عبداً قَصّرَ من لفْظِهِ ، ورشقَ الأرضَ بلحْظِهِ ، ووَعَى القوْلَ بحِفْظِهِ .

قدِمَ وفدٌ من العراق على سُلَيْمانَ بنِ عبدِ الملك فقام خَطيبُهُم فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما أَتَيْنَاكَ رَهْبةً ولا رغبةً . فقال سليمانُ : فلم جِئْتَ لا جاءَ الله

---

(١) أجمت : كرهت ومللت .

(٢) القناة : القامة . والشوى : أطراف الجسم .

بكَ . قال : نحنُ وفودُ الشُّكرِ ، أمَّا الرغبةُ فقد وَصَلَتْ إلينا في رِحَالِنا ، وأما الرهبةُ فقد أمِنَّاها بعدْلِك ، ولقد حَبَّبْتَ إلينا الحياةَ ، وهوَّنْتَ علينا الموتَ فأما تحبيبُك الحياةَ إلينا فبما انْتَشَرَ من عدلِكَ وحُسْنِ سيرَتِك وأما تهوينُك علينا الموتَ فلِمَا نثقْ به من حُسن ما تخلفنا به في أعقابنا الذين تُخلّفهم عليك . فاستحيى سليمان وأحْسَنَ جائِزَتَه .

ذكر أعرابيٌّ في ظُلم والٍ وليَهم فقال : ما تَرَكَ لنا فِضَّةً إلا فَضَّها ولا ذَهَباً إلا ذَهَب بهِ ، ولا غَلّةً إلا غلَّها ، ولا ضيْعةً إلا أضاعها ، ولا عقاراً إلا عَقَره ، ولا عِلْقا إلا اعْتَلَقَهُ (١) ، ولا عرضاً إلا عَرَضَ له ، ولا ماشيةً إلا امتَشّها (٣) ، ولا جليلا إلا جَلَّهُ (٣) ، ولا دقيقاً إلا دَقَّه .

---

(١) العلق : النفيس من الشيء . واعتلقه : أي أحبه .

(٢) امتش الماشية : أكلها أكلا شرها أو حلب ما في ضروعها جميعه ولم يترك شيئاً .

(٣) جله : أي أخذ معظمه .

قال عُمَرُ لعمرِو بنِ معدِ يكرب (١) : أخبرني عن قومِك . فقال : نِعْمَ القومُ قومي ، عند الطعام المأكولِ ، والسيفِ المسلولِ .

دخل خالدُ بنُ صفوانَ (٢) التميميُّ على السفّاحِ (٣) وعنده أخوالُه من بني الحارث بنِ كَعب فقال : ما تقول في أخوالي ؟ قال : هم هامةُ الشرفِ وخُرطومُ (٤) الكرمِ ، وغرسُ الجودِ . إنّ فيهم لخصالاً ما اجتمعَتْ في غيرِهم من قومِهم ، إنهم لأطولُهم أمَماً (٥) ، وأكرمُهم شِيَماً ، وأطيبُهم طُعْماً ، وأوفاهم ذِمَماً وأبعدهم هِمَماً ، هم الجَمْرةُ في الحربِ ، والرِّفدُ (٦)

(١) عمرو بن معد يكرب : فارس اليمن وشاعرها وصاحب الغارات المعروفة ، وفد على المدينة وأسلم ، وشهد اليرموك والقادسية .

(٢) خالد بن صفوان التميمي المنقري من فصحاء العرب المشهورين . ولد ونشأ بالبصرة وتوفي سنة ١٣٣هـ .

(٣) السفاح : هو عبد الله بن محمد بن علي . أول خلفاء الدولة العباسية .

(٤) المراد : الأنف أو ما صلب من عظمه .

(٥) الأمم : البين من الأمر والقصد الوسط .

(٦) الرفد : هو العطاء والصلة .

في الجذْبِ، والرأْسُ في كل خطْب ، وغيْرهم بمنزلةِ العَجْب (١) . فقال له : وصفْتَ أبا صفوانَ فأحسنْتَ فزاد أخوالُه في الفخر ؛ فغضب أبو العباس لأعمامه فقال : أفخْرٌ يا خالد ؟ فقال : أعَلى أخوال أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، وأنتَ من أعمامِه . فقال : وكيف أُفاخِرُ قوماً هُم بين ناسجِ بردٍ ، وسائِس قِرْد ، ودَابغ جِلْدٍ ، وراكبِ عَرْد (٢) . دلَّ عليهم الهُدهُد (٣) ، وغرَّقتهم فأرةٌ (٤) ، وملكتْهم امرأةٌ (٥) ؟ فأشرقَ وجهُ أبي العباس وضَحِك .

---

(١) العجب : أصل الذنب ومؤخر كل شيء .

(٢) العرد : الحمار .

(٣) يشير إلى حديث الهدهد مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى : « وتفقد الطير فقال : مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين » . سورة النمل آية ٢٠ .

(٤) يزعم المؤرخون أن سيل العرم الذي أغرق اليمن كان سببه قرض الفأر لسد مأرب .

(٥) المقصود بالمرأة : بلقيس ملكة سبأ .

لما ظفر المهلّب (١) بالخوارج وجّه كعب (٢) بن معدان إلى الحجاج فسأله عن بني المهلّب فقال : المغيرةُ (٣) فارسهم وسيّدُهم ، وكفى بيزيدَ (٤) فارساً شجاعاً ، وسخيُّهم قبيصةُ (٥) ، ولا يستحي الشُّجاعُ أن يَفِرَّ من مُدْرِك (٦) ، وعبدُ الملك سمٌّ ناقع ، وحبيبٌ (٧) مَوْتٌ ذُعاف ، ومُحمَّدٌ (٨) ليثُ غاب ، وكفاك

---

(١) المهلب بن أبي صفرة بن سراقة الأزدي . أمير ، جواد بطاش ، ولد في دبا ونشأ بالبصرة حارب الأزارقة وتولى خراسان وهو أول من أتخذ الركب من الحديد . مات بخراسان ٨٣هـ .

(٢) كعب بن معدان أبو مالك الأشقري فارس شاعر من خطباء خراسان. من أصحاب المهلب بن أبي صفرة . توفي نحو ٨٠هـ .

(٣) المغيره بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي أبو فراس ، أمير من شجعان العرب ، كان أبوه يقدمه في قتال الخوارج .

(٤) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، أمير شجاع ، ولي خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٣هـ .

(٥) قبيصة المهلبي له أخبار وروايات في فتح جرجان وطبرستان .

(٦) مدرك بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، قائد من الشجعان ، له أخبار في حروب أبيه مع الأزارقة ولد سنة ٥٣هـ ، وتوفي ١٠٢هـ .

(٧) حبيب ن المهلب بن أبي صفرة أحد شجعان العرب وأشرافهم ، كانت له ولاية كرمان .

(٨) محمد بن المهلب بن أبي صفرة .

بالمفضّل نجدةً ، قال : فكيف خلّفتَ جماعةَ الناس ؟ قال : خلّفتهم بخير ، قد أدركوا ما أمّلوا ، وأمنوا ما خافوا . قال : وكيف كان بنو المهلّب فيهم ؟ قال : كانوا حماةَ السّرج نهاراً ، فاذا أليلُوا ففرسان البيّات(١) قال : فأيُّهم كان أنجدَ ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرَغة لا يُدرى أين طرفُها . قال : فكيف كنتم أنتم وعدوُّكم ؟ قال : كنا إذا أخذْنا عفَوْنا جدّوا فيئسنا منهم ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم . فقال الحجاجُ : إن العاقبةَ للمتقين . كيف أفلتكُم قطريٌّ (٢) ؟ قال : كِدْناه ببعضِ ما كادَنا به فصِرْنا منه إلى التي نُحبُّ . قال : فكيف كان لكم المهلبُّ وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شَفَقَةُ الوالد ، وله منّا برّ الولدِ . قال فكيف اغتباطُ الناسِ ؟ قال : فشا (٣) فيهم الأمْنُ ، وشملهم

---

(١) أليلوا : دخلوا في الليل . والبيات : مهاجمة العدو ليلا .

(٢) قطري بن الفجاءة واسمه جعونة بن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي من الخوارج من أهل قطر . كان خطيباً فارساً شاعراً . توفي ٧٨هـ .

(٣) فشا : انتشر .

النّفل . قال : أكنتَ أعددْتَ هذا الجوابَ ؟ قال : لا يعلمُ الغيبَ إلا اللهُ عزّ وجلّ . فقال : هكذا واللهِ يكون الرجالُ ، المهلبُ كان أعلمَ بكَ حيثُ وجّهكَ .

كانت خطبةُ النّكاحِ لقُريْشٍ في الجاهليةِ : باسْمِكَ اللّهُمَّ ذُكِرَتْ فلانةُ ، وفلانٌ بها شغوفٌ لكَ ما سألْتَ ، ولنا ما أعطيْتَ .

دخل الهُذَيْلُ(١) بنُ زُفر على يزيدَ بنِ المهلّبِ في حَمالاتٍ لزِمَتْه ، ونوائبَ نابتْه . فقال له : أصلحكَ اللهُ قد عظمَ شأنُك عن أن يُسْتَعانَ بكَ ، ويستعانَ عليك ، ولستَ تصنعُ شيئا من المعروفِ وإن عَظُم إلا وأنت أعظمُ منه ، وليس العجبُ أن تفعلَ وإنما العجبُ ألا تفعلَ . فقال يزيدُ : حاجتُك ؟ فذكرَها ، فأمر له بها وبمائةِ ألفِ درْهَمٍ فقال : أما الحمالاتُ فقد قبلْتُها ، وأما المالُ فليس هذا موضعَه .

وسأل عمرُ رضيَ اللهُ عنه عمرَو بنَ معدِ يكرِب

---

(١) الهذيل بن زفر بن الحارث بن عبد عمرو الكلابي ، من الفصحاء في العصر المرواني .

عن سعدٍ(١) فقال : خيرُ أميرٍ ، نبطيٌّ في حَبْوَته ، عَرَبيٌّ في نَمِرتِه(٢) أسدٌ في تامورته(٣) يعْدِلُ في القضيةِ ، ويَقْسِمُ بالسَّويّةِ ، ينقلُ إلينا حقّنا ، كما تَنْقل الذّرّةُ . فقال عمرُ : لِيسيرٌ ماتقارضْتُما الثّناء .

قيل لواحدٍ من العربِ : أين شبابُك ؟ فقال : من طال أمدُه وكثُر وَلدُه ، ودَفّ عددُه ، وذهبَ جَلَدُه(٤) ، ذهَبَ شبابُه .

وقال رجلٌ من بني أسَد : ماتَ لرجل منّا ابْنُ ، فاشتد جَزَعُه عليه ، فقام إليه شيخٌ منا فقال : اصبرْ أبا مَهْديّةَ فإنه فرَطٌ افْتَرطْتَهُ(٥) ، وخيرٌ قدّمْتَه ، وَذُخرٌ أحْرَزْتَهُ ، فقال مجيباً له: بلْ وَلدٌ وَدَفنْتُه ، وثُكلٌ تَعَجّلْتُه ، وَغيْبٌ وُعِدْتُه ، واللهِ لئِن لمْ أجْزَعْ مِنَ النّقْصِ ، لم أفْرَحْ بالمزيدِ .

---

(١) يريد سعد بن أبي وقاص الصحابي الجليل .

(٢) كساء فيه خطوط بيض وسود .

(٣) التامورة : عرين الأسد ، والصومعة .

(٤) الجلد : القوة .

(٥) الفرط : الولد لم يبلغ الحلم ، وافترطته : فقدته .

وقال أبو العباس لخالدِ بنِ صفوانَ : ياخالدُ ، إنَّ الناسَ قد أكثروا في النساءِ ، فأيُّ النساء أحبُّ إليكَ ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، أحبها ليستْ بالضَّرَعِ الصغيرةِ ، ولا بالفانيةِ الكبيرةِ ، وحَسْبي من جمالِها أن تكون فخمةً من بعيدٍ ، مليحةً من قريبٍ ، أعلاها قَضيبٌ . وأسفلُها كَثيبٌ ، غُذيتْ في النعيمِ ، وأصابتها فاقَةٌ فأدَّبها النعيمُ ، وأذلَّها الفقرُ ، لم تَفْتِكْ فتمجِّن ، الهلوكُ على زوجها ، الحصانُ من جارها ، إذا خلوْنا كنا أهلَ دنيا ، وإذا افترقْنا كنا أهلَ آخرة .

قال عمارةُ بنْ عَقيل(١) : أصابتنا سنونٌ ثلاثٌ لم نحتلبْ فيهن رثلاً ، ولم نلقحْ نَسْلاً ، ولم نزرعْ بقلاً .

تكلَّم الوفودُ عند عبدِ الملك حتى بلغَ الكلامُ إلى خَطيبِ الأزْدِ(٢) فقام فقبضَ على قائمِ سيفِهِ ثم قال : قد علِمت العربُ أنّا حيٌّ فَعَالٍ ، ولسْنابِحيٍّ

(١) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي . شاعر مقدم فصيح من أهل اليمامة بقي إلى أيام الواثق ، من أحفاد جرير الشاعر الأموي .

(٢) الخطيب هو صبرة بن شيمان الأزدي من قحطان قائد الأزد في وقعة الجمل .

مَقالٍ ، وأنَّا نجزي بِفعْلِنا عند أحسن قولهم ، ونُعْمِلُ السيفَ . فمَنْ مالَ قَوَّم السيفُ أودَه ، ومَن نَطَق الحقَّ أرده . ثم جلس . فحُفِظَتْ خُطبتُه دونَ كل خُطبةٍ .

قال الأصمعيُّ(١) : بلغني عن بعض العرب فصاحةٌ فأتيتُه لأسمعَ من كلامِه فصادَفْتُه يَخْضِبُ(٢) فلما رآني قال : إن الخِضابَ لمن مُقدَّماتِ الضَّعفِ ، ولئن كنتُ قد ضعفتُ فطالما مَشَيْتُ أمَامَ الجيوشِ ، وعَدَوْتُ على صيدِ الوحوشِ ، ولهوتُ بالنساء ، واختلْتُ في الرِّداء ، وأَرْوَيْتُ السيفَ ، وقَرَيْتُ الضَّيْفَ ، وأبيْتُ العارَ ، وحَمَيْتُ الجارَ ، وغلبْتُ القُرومَ ، وعاركْتُ الخُصومَ ، وشربتُ الراحَ ، ونادمْتُ الجَحْجاحَ(٣) ، فاليومَ قد حَنَاني الكِبَرُ ، وضَعُفَ البصرُ ، وجاءني بعد الصفاءِ الكدرُ .

---

(١) الأصمعي : عبد الملك بن قريب .

(٢) يخضب : يصبغ شعره أو لحيته بالحناء .

(٣) الجحجاح : سيد قومه .

قال : سمعتُ أعرابيا يُعاتِبُ أخاه ويقول : أما والله لربَّ يومٍ كتنُّورِ(١) الطَّهاةِ رقّاص بالحمامةِ قدْ رَمَيْتُ بنفسي في أجيجِ سَمومِهِ أتحمَّلُ منه ماأكْرَهُ لما تُحِبُّ .

*　　*　　*

(١) التنور : الكانون يخبز فيه .

الباب الثاني

فِقَرٌ وحِكَمٌ للأعرابِ

ذكروا أن قوماً أضلّوا الطريقَ ، فاستأجروا أعرابياً يدلُّهم على الطريقِ فقال : إني واللهِ ماأخرجُ معكم حتى أشْتَرِطَ لكم وعليكُم . قالوا : فهاتِ مالكَ . قال : يَدي مع أيديكم في الحارّ والقارّ(١) ، ولي موضعٌ في النارِ موسعٌ عليّ فيها ، وذِكْرٌ والدي مُحَرَّمٌ عليكم . قالوا : فهذا لكَ ، فما لنا عليكَ إنْ أذنبتَ ؟ قال : إعْرَاضةٌ لاتؤدّي إلى عَتْبٍ ، وهِجْرَةٌ لاتمنعُ من مُجامعةِ السّفْرةِ(٢). قالوا : فإن لم تُعْتِبْ؟(٣) قال : حَذْفَةٌ بالعَصَا أصابتْ أم أخطأتْ .

(١) القار : البارد .

(٢) السفرة : الطعام .

(٣) يعتب عن الشيء : ينصرف عنه .

كان الرشيدُ (١) مُعْجَباً بخطّ إسماعيلَ بنِ صُبيح فقال لأعرابيّ حضَره : صِفْ إسماعيلَ . فقال ما رأيْتُ أطيَشَ من قلَمِهِ ، ولا أثبتَ من حِلْمِه .

مدح أعرابي رجلا برقّةِ اللسانِ فقال : كان واللهِ لسانُه أرقّ من ورقةٍ ، وألين من سَرَقَةٍ (٢) .

وقال آخر : أتيناه فأخرجَ لسانه كأنه مِخْراق لاعِبٍ .

نظر عمرُ بنُ الخطابِ إلى نهشل بنِ قَطَن(٣) وكان

---

(١) هارون (الرشيد) بن محمد المهدي بن المنصور العباسي ، أبو جعفر خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق ، ولد بالري ، نشأ في دار الخلافة ولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية . وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ . ازدهرت الدولة في أيامه . كان حازماً كريما ، متواضعا ، يحج سنة ويغزو سنة. استمرت ولايته حوالي ٢٣ سنة توفي سنة ١٩٣هـ .

(٢) السرقة : شقة الحرير .

(٣) نهشل بن حرى بن ضمرة بن جابر بن قطن ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وعاش في الإسلام وكان من خير بيوت درام، توفي حوالي ٤٥هـ .

مُلْتَفًّا في بتٍّ(١) ، في ناحيةِ المسجدِ ، وزادُه آهبةٌ(٢) وَقُلَّةٌ . وعرفَ تقديمَ العربِ له في الحكم والعلم فأحبَّ أن يكشفَه ويسْبُرَ ما عنده فقال : أرأيْتَ لو تنافرا إليك اليوم لأيِّهما كنت تَنفر ، يعني علقمةَ بنَ علاثة(٣) وعامرَ بنَ الطفيل . قال : ياأميرَ المؤمنين لو قلتُها فيهما كلمة لأعدتْها جَذَعة(٤) . قال عمرُ : لهذا العقل تحاكمتْ إليك العربُ .

قال عامرُ بنُ الظربِ : الرأيُ نائمٌ ، والهوى يقظانُ فمن هناك يغلبُ الهوى الداني .

قال أعرابي لهشام بنِ عبد الملك بنِ مروان : أتت علينا أعوامٌ ثلاثٌ ، فعامٌ أكلَ الشَّحْم ، وعامٌ أكل اللَّحْم ، وعام أنقَى العَظْم(٥) وعندكم فضولُ

---

(١) البت : كساء غليظ من صوف أو وبر .

(٢) الآهبة : نوع من الطعام يأكله العرب القدماء .

(٣) علقمة بن علاثة بن عوف الكلابي العامري ، صحابي من بني عامر بن صعصعة تولى حوران في خلافة عمر بن الخطاب توفي نحو سنة ٢٠ هـ .

(٤) الجذعة : القطع البائن ، والمقصود هنا الخصومة .

(٥) وأنقى العظم : أي وصل إلى نقيه وهو مخ العظم .

أموال ، فإن كانت لله فأقسموها بين عبادِ الله ، ولو كانت لكم فتصدّقُوا ، إنّ الله يجزي المتصدّقين . قال : هل من حاجة غير ذلك ؟ قال : ماضربْتُ إليك أكبادَ الإبلِ ، أدّرعُ الهجيرَ ، وأخوضُ الدُّجى لخاصٍّ دونَ عامٍّ .

قيل لأعرابي : مالَكَ لاتضع العمامةَ عن رأسك ؟ قال : إنّ شيئاً فيه السمعُ والبصرُ لحقيقٌ بالصَّوْنِ .

كان هشامٌ يسير ومعه أعرابيٌّ إذ انتهى إلى ميل(١) عليه كتاب ، فقال للأعرابي أنظر أيُّ ميلٍ هذا ؟ فنظر ثم رجَع . فقال : عليه مِحْجَنٌ ، وحَلْقةٌ ، وثلاثةٌ كأطباءِ الكَلْبة ، ورأسٌ كأنه مِنقار قَطاة . فعرّفه هشام بصورة الهِجَاء ولم يعرفه الأعرابي ، وكان عليه (خمْسَة) .

قال الهيثمُ بنُ عديّ(٢) : يمينٌ لايحلفُ بها الأعرابيُّ أبداً أن يقول له : لا أَوْرَدَ اللهُ لك صادراً ، ولا أصدر لك وارداً ، ولا حططْتَ رَحْلَكَ ، ولا خلَعْتَ نَعْلَكَ .

---

(١) الميل : منار يبنى للمسافر على مشارف الطرق .

(٢) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الثعلبي الطائي الكوفي ، مؤرخ ، عالم بالأدب والنسب .

خرج عثمانُ من داره فرأى أعرابياً في شَمْلَة ، فقال : ياأعرابيّ أين ربُّكَ ؟ قال : بالمرصاد . وكان الأعرابيُّ عامرَ بنَ عبدِ قيس(١) وكان ابنُ عامر سيَّره إليه .

سأل الحجاجُ أعرابياً عن أخيه محمدِ بنِ يوسفَ فقال : كيف تركتَهُ ؟ قال : عظيماً سميناً . قال : ليس عن هذا أسألك . قال : تركته ظلوماً غشوماً . قال : أما علمت أنه أخي ؟ قال : أتراه بكَ أعزّ منّي بالله .

وقال آخر لبعض السَّلاطين : أسألك بالذي أنت بين يدَيْه ، أذلُّ مني بين يديكَ ، وهو على عقابِك أقدرُ منكَ على عقابي ، ألاَ نظرْتَ في أمري نَظَرَ مَنْ يَرَى براءتي ، أحبَّ إليه من سُقْمي .

قال إسحاق المدني : جلَسَ إليَّ أعرابيٌّ فقال : إني أحبُّ المعرفةَ ، وأجلُّك عن المسألة .

قال أعرابي : ما غُبِنْتُ قطُّ حتى يُغبنَ قومي . قيل : وكيف ؟ قال : لا أفعلُ شيئاً حتى أشاورَهم .

---

(١) عامر بن عبد قيس : هو عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبري ، تابعي من بني العنبر .

قال أعرابي ، ورأى إبلَ رجلٍ كثُرتْ بعد قلّةٍ ، فقيل له أنه قد زوّجَ أمّهُ فجاءتْه بمال . فقال : اللّهمَّ إنّا نعوذ بك من بعضِ الرّزق .

سأل أعرابي رجلاً حاجةً فمنعَه فقال : الحمدُ لله الذي أفقرني من معروفِك ولم يُغْنِك عن شكري .

قال أعرابي لابنه وتكلم فأساء : اسكتْ يا بنيّ ، فإن الصمتَ صَونُ اللسانِ ، وستْرُ العيّ .

قال آخر : ابذل لصديقِك كُلَّ مودّةٍ ، ولا تبْذُلْ له كُلَّ طمأْنينة وأعْطِه من نفْسِك كُلَّ مُواساة ، ولا تُفْضِ إليه بِكُلِّ الأسْرارِ .

اجتمع قومٌ بباب الأوزاعي (١) يتذاكرون ، وأعرابي من كلب ساكتٌ ، قال له رجل : بحقٍّ ما سُمّيتُم خُرْسَ العرب . فقال : يا هذا أما سَمِعْت أن لسانَ الرجل لغيرِه وسَمْعَه له .

---

(١) الأوزاعي : هو عبد الرحمن بن عمرو بن عمير الأوزاعي ، من قبيلة الأوزاع ، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، ولد في بعلبك وتوفي ببيروت ١٥٧هـ .

وشتم رجلٌ أعرابياً فلم يُجبه فقيلَ له في ذلك فقال : أنا لا أدخل في حربٍ الغالبُ فيها شر من المغلوب .

أتى الحجاجُ بأعرابي في أمرٍ احتاج إلى مسألته عنه ، فقال له الحجاجُ : قُلِ الحقَّ وإلا قتلتُك . فقال له : اعمل أنتَ به فإن الذي أمرَ بذلك أقدرُ عليك منك عليّ . فقال الحجاجُ : صَدَق ، فخلُّوه .

مدحَ أعرابيٌّ قوماً فقال : يقتحمون الحربَ حتى كأنَّما يَلْقَوْنَها بنفوس أعْدائِهم .

قال أعرابي في حُكْمِ جليسِ الملوكِ : أن يكونَ حافِظاً للسَّمَر ، صابِراً على السَّهر .

وقال بعضُهم : قُلْتُ لاعْرابي : كيف رأيْتَ الدَّهْرَ ؟ فقال : وَهُوبا لما سَلب ، سَلُوبا لما وَهب ، كالصَّبِيِّ إذا لعب .

وقال أعرابيّ : لا يقُوم عَنِ الغضبِ بذُلّ الاعتذار .

ووصفَ آخر رجلاً فقال : ذاك ممّن ينْفعُ سِلْمُه ، ويتواصَفُ حِلْمُه ، ولا يُستَمْرأُ ظُلْمُه .

وقال آخر : فُلانٌ حَتْفُ الأقرانِ غداةَ النِّزالِ ، وربيعُ الضِّيفانِ عَشيَّةَ النُّزُول .

قال رجلٌ لشيخ بدَوِيّ : تَمْرُنا أجودُ مِنْ تَمْرِكم . فقال : تَمْرُنا جُرْدٌ فُطْسٌ (١) ، عِراضٌ كأنها ألسُنُ الطّير ، تَمْضغُ التمرةَ في شِدْقِكَ فتجدُ حلاوَتَها في عَقِبِكَ .

قال أعرابي : سألتُ فُلاناً حاجةً أقَلَّ من قيمتِه ، فَرَدَّني رَدّاً أقْبحَ من خِلْقَتِه .

وقال : مُواقَعةُ الرَّجُلِ أهْلَهُ — من غَيْرِ عبث — ، من الجفاء .

قيل لأعْرابي : ما تصنَعُ بالبادية إذا اشتدَّ القيظُ وحَمِيَ الوَطيسُ . فقال : يمشي أحدُنا ميلاً ، حتى يَرْفَضَ عَرَقاً ثم يَنْصُبُ عصاه ، ويُلقي عليها كِساهُ ، فكأنه في إيوان كِسْرَى .

---

(١) جرد : ناعمة فطس : صغار الحب لاطئة الأقماع .

قال الأصمعيُّ : سألتُ أعرابياً عن الدنيا فقال :
إِن الآمالَ قطَّعتْ أعناقَ الرجالِ ، كالسَّرابِ ، غرَّ
من رآه ، وأخلفَ من رجاه ، ومَن كان الليلُ والنهارُ
مطيَّته ، أسرعا السير به والبلوغَ . ثم أنشد يقول :

المرءُ يَدْفَعُ بالأيّامِ يدفعُها
وكُلُّ يومٍ مَضَى يُدْني من الأجَلِ

ذكر أعرابي رجلا بقِلَّةِ الحياء فقال : لو دُقَّتْ
بوجههِ الحجارةُ لرَضَّها ولو خلا بالكعبةِ لسرَقها .

قال عبدُ الملكِ لأعرابي : تَمنَّ . قال : العافيةُ .
قال : ثم ماذا ؟ قال : رزقٌ في دَعةٍ . قال : ثم ماذا ؟
قال : الخمولُ ، فإنيّ رأيتُ الشرَّ إلى ذوي النباهةِ أسرعَ .

قيل لأعرابي من بني يربوع : ما لكم على مثال واحدٍ ؟
قال : لأنّا من بني فحلٍ واحد .

ذم أعرابي رجلاً فقال : عليه كلَّ يوم قسامةٌ من
فعله تَشْهَدُ عليه بفِسْقِه ، وشهاداتُ الأفعالِ ،
أعْدَلُ من شهاداتِ الرجال .

قال الأصمعيُّ : نظـر أعرابيٌّ إلى الهلال فقال : لا مرحباً بكَ عقفان (١) يُحِل الدَّيْن ، ويقرب الآجال.

سُئِلَ أعرابيٌّ عن ألوانِ الثيابِ فقال : الصُفْرَةُ أَشْكَلُ (٢) والحُمْرَةُ أجملُ ، والخُضْرَةُ أنبلُ ، والسَّوَادُ أَهْوَلُ ، والبَيَاضُ أفْضَل .

وصف أعرابيّ الكُتَّاب ، وقد دخَلَ الديوانَ فرآهم فقال : أخلاقٌ حُلْوَةٌ وشمائلُ مَعْشُوقةٌ ، ووقارُ أهل العلم ، وظرفُ أهل الفَهْمِ ، فإن سبكتهم وجدتَهم كالزَّبَدِ يذهبُ جفاء .

وذَمَّ أعرابي رجلاً فقال : عبدُ البَدَنِ ، حرُّ الثيابِ ، عظيمُ الرواق (٣) صغيرُ الأخلاقِ ، الدهرُ يرْفَعُه ، وهِمَّتُه تَضَعُه .

قال الأصمعي : كانت العرب تستعيذُ من خَمْشَةِ الأسد ، ونَفْثَةِ الأفعى وضَبْطَةِ الفالجِ .

---

(١) الأعقف : المنحني المعوج .
(٢) أشكل : أي مختلط بلون آخر .
(٣) رواق البيت : مقدمه أو سقف في مقدم البيت .

قال أَبو زيد (١) : رُبَّ غَيْثٍ لم يكُ غوثاً ، وربَّ عجلةٍ تهب ريثاً (٢) .

وقال آخر لرجل رآه يذم قرابته : أَما سمعت ما يقول العرب ، فإنّها تقول : الرحم بكدرها ، والمودّةُ بصفائها .

قدم هوذةُ (٣) بن عليّ ، على كسرى فسأله عن بنيه ، فذكر عدداً فقال : أيّهم أحبُّ إليكَ ؟ قال : الصغيرُ حتى يَكْبُرَ ، والغائبُ حتّى يقدمَ ، والمريضُ حتى يصحَّ . فقال له كسرى : ما غذاؤك في بلدك ؟ قال : الخبزُ . قال كسرى لجُلسائِه : هذا عقلُ الخبز يفضله على عقولِ أهلِ البوادي ، الذين يغتذون اللبنَ والتّمر .

قال الأَصمعي : كنتُ بالباديةِ فجاءني أعرابي معه عبدٌ أسودُ فقال : يا حضريّ ، أتكتبُ ؟ قلتُ : نعمْ .

---

(١) أبو زيد الأنصاري : هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري أحد أئمة الأدب واللغة .

(٢) الريث : البطء .

(٣) هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي من بني حنيفة من بكر بن وائل شاعر بني حنيفة وخطيبها .

قال : أكتبْ : بسمِ الله الرحمن الرحيم من عرفجةَ التغلبيّ لميمون مولاه ، إنك كنتَ عبدَ اللهِ فوهبَك لي ، فرددتُكَ ووهبتُك لواهبِك للجواز على الصِّراطِ ، قد كنتَ أمسِ لي ، وأنتَ اليومَ مثلي ولا سبيلَ لي عليك إلا سبيلُ ولاءٍ .

أُتيَ معاويةُ برجلٍ من جُرهم قد أتت عليه الدّهورُ فقال له : أخبرني عمّا رأيتَ في سالِف عُمرِكَ ؟ قال : رأيتُ بين جامعٍ مالاً مفرقاً ، ومفرّقٍ مالاً مجموعاً ، ومن قويٍّ يظلمُ ، وضعيفٍ يُظلَم ، وصغيرٍ يكبر ، وكبيرٍ يهرمُ ، وحيٍّ يموتُ ، وجنينٍ يُولد ، وكلّهم بين مسرورٍ بموجودٍ ومحزون بمفقود .

قدمَ وفدُ طيّ على معاويةَ فقال : من سيّدُكم اليومَ ؟ قالوا : خُزيمُ بنُ أوسِ بنِ حارثةَ بنِ لأم ، مَنْ احتملَ شتمَنا ، وأعطى سائلَنا وحلمَ عن جاهلنا ، واغتفرَ ضربَنا إياه بعصيّنا .

حلف أعرابي على شيء فقيل له : قلْ إنْ شاءَ اللهُ . فخضعَ نفسَه حتى لصقَ بالأرض ثم قال : إنْ شاء الله

تذهبُ بالحنثِ ، وترضي الربَّ ، وترغم الشيطانَ ، وتُنْجِح الحاجةَ .

قال أعرابي لابنِ عمٍّ له : مالكَ أسرعُ إلى ما أكْرَهُ من الماءِ إلى قرارةٍ (١) ولولا ضنّي بإخائك ، لما أسرعتُ إلى عتابِك . فقال الآخرُ : واللهِ ما أعرفُ تقصيراً فأُقْلِعُ ، ولا ذنباً فأَعْتَبُ ، لستُ أقولُ لك كذَبْتَ ، ولا أُقِرُّ إني أذنبتُ .

وقال أعرابي : مازال يعطيني حتى حَسِبْتُه يَرْدعني ، وما ضَاع مَالٌ أودَعَ حَمْداً .

وقال أعرابي : شرّ المالِ ، مالا أُنْفِقَ منه ، وشَرُّ الاخوانِ الخاذِلُ في الشدائد وشَرُّ السلطانِ من أخافَ البريءَ ، وشَرُّ البلادِ ماليس فيه خصبٌ وأمْنٌ .

---

(١) القرارة : المكان المنخفض يندفع اليه الماء فيستقر فيه .

وقال : سمعتُ آخرَ يقول لابنه : صُحْبةُ بليدٍ نشأ مع الحكماء ، خيرٌ من صُحْبةِ لبيبٍ نشأ مع الجُهَّال .

قال أعرابيٌّ لابنه : إياك يا بنيَّ وسؤالَ البلغاء في الردّ .

قيل لإعرابيّ : كيف كتمانُك السرّ؟ قال : ما جَوْفي له إلا قَبْرٌ .

* * *

الباب الثالث

أدْعيةٌ مُختارةٌ وكلامٌ للسُّؤّالِ
من الأعرابِ وغيرهم

وقف أعرابيٌ في بعض المواسم(١) فقال : اللهمَّ إنَّ لك حُقوقاً فتصدَّقْ بها عليّ ، وللناسِ تَبِعاتٌ قِبلي فتحمَّلْها عنّي ، وقد أوجبْتَ لكلِّ ضَيْفٍ قِرى ، وأنا ضيفُك ، فاجعلْ قِرايَ في هذه الليلةِ الجنّةَ .

قال آخرُ لرجل سأله : جعلَ اللهُ للخير عليكَ دليلاً ، ولاجعلَ حظَّ السائلِ منكَ عذرةً صادقةً .

وقال آخر : اللهمَّ لاتُنْزِلْني ماءَ سَوءٍ ، فأكونَ امْرَءَ سَوْءٍ .

وقف سائلٌ منهم فقال : رَحِمَ اللهُ امَرءً أعطَى من سَعَة ، وواسى من كَفاف(٢) ، وآثَر من قُوت .

(١) المواسم : أسواق العرب حيث يجتمعون .

(٢) الكفاف : مقدار الحاجة لا زيادة ولا نقصان .

ومن دعائهم : أعوذُ بكَ من بَطَرِ الغِنى ، وذِلّةِ الفَقر .

وقال آخر : أعوذُ بك من سُقمٍ وعَدْواه ، وذِي رَحِمٍ ودَعْواه ، وفاجرٍ وَجَدْواه(١) ، وعملٍ لا تَرضاه .

وسأل أعرابي فقال له صبيٌ في جَوْفِ الدار : بُورِكَ فيك ، فقال : قَبَّحَ الفمَ(٢) ، لقد تَعَلّمَ الشرَّ صَغيراً .

وقال آخر : اللهم أمْتِعْنَا بخيارِنا ، وأعِنَّا على شِرارِنا ، واجْعَلِ الأموالَ في سمَحائنا .

وقال آخر : اللهم إنْ كان رِزْقي في السَّماء فأنزِله ، وإن كان في الأرض فأخرِجْه ، وإن كان بعيداً فقَرِّبه ، وإن كان قريباً فيَسِّرْه ، وإن كان قليلاً فكثِّرْه ، وإن كان كثيراً فبارِكْ فيه .

سَمِعَ عمرُ بنُ الخَطّابِ ــ رضي الله عنه ــ رجلاً يقول في دعائه : اللّهُم اجْعَلْني من الأقلّين . فقال له

(١) الجدوى : العطية .

(٢) فاعل (قبح) محذوف ، والأصل : قبح الله الفم .

عمرُ : وماهذا الدعاء ؟ قال سمعْتُ الله يقول : « وقليلٌ ماهم(١) » وقال ذكره جلَّ وعزَّ : « وما آمنَ معَهُ إلاَّ قَلِيل » (٢) . وقال تعالى « وقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(٣) » . فقال عمرُ : عليك من الدعاءِ بما يُعرف .

دعا الغنوي في حَبْسِهِ : أعوذُ بكَ من السِّجن والدَّيْن ، والغُلّ والقَيْد والتعذيبِ والتحبيسِ ، وأعوذُ بك من الجَوْر بعد الكَورِ (٤) ، ومن سوء الخلافة في النفسِ والأهلِ والمال ، وأعوذُ بك من الحُزْنِ والخَوْف ، وأعوذْ بك من الهَمِّ والرِّقِ ، ومن الهَرَبِ والصّلَب(٥) ، ومن الاستِخْفاءِ ، ومن الاستِخْذاء ، ومن الأطراد(٦) والأعراب ، ومن الكَذِبِ والعيضهة ،

---

(١) « إلا الذين آمنو وعماوا الصالحات وقليل ماهم » سورة ص آية ٢٤ .

(٢) سورة هود آية ٤٠ .

(٣) سورة سبأ . آية ١٣ .

(٤) الكور : الزيادة . والمعنى : من النقص بعد الزيادة .

(٥) الصلب : الشديد .

(٦) الأطراد : المطرودين من بلادهم .

ومن السّعاية والنّميمة ، ومن لُؤم القُدرة ومقامِ الخِزْي في الدنيا والآخرةِ : إنك على كل شيء قدير .

وكان بعضُهم يقول في دعائِه : اللّهم احفَظْني من صَديقي . وكان في دعاء آخر : اللّهمّ اكْفِني بواثقَ الثّقاتِ .

قال أعرابي في دعائه : تظاهرتْ على بادىء منك النعمُ ، وتكاثفت مني عندك الذنوبُ ، فأحْمَدُكَ على النعمِ التي لايحصيها أحدٌ غيرك ، واستغفرُك من الذنوب التي لايحيط بها إلا عفوُك .

قال منصورُ بن عمّار (١) صاحبُ المجالسِ : اللهم اغفرْ لأعظمنا جُرماً وَأقسانا قلْباً ، وأقربِنا بالخطيئة عهداً ، وأشدّنا على الذنبِ إصراراً . فقال له الخُرَيْمي وكان حاضراً . امرأتي طالقٌ ، إنْ كُنْتَ أرَدْتَ غيرَ إبليس .

يقال إنه كان من دعاء يونسَ في الظلمات : لا إلهَ إلا أنتَ سبحانَكَ إني كنتُ من الظالمين ، وإلا تغفرْ لي

---

(١) منصور بن عمار بن كثير أبو السري .

وترحمْني ، أَكنْ من الخاسرين . مسَّني الضُّرُّ وأنت أرْحمُ الرَّاحمين .

قال أعرابي في دعائه : اللهمَّ إني أعوذُ بك من حاجةٍ إلاَّ إليك ، ومن خوفٍ إلا منكَ ، ومن طمعٍ إلا فيما عندك .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقول وهو مُتَعلِّقٌ بأستارِ الكَعْبَة : إلهي ! مَنْ أولى بالزَلَل والتقصيرِ مني وقد خلقتني ضَعيفاً ، إلهي ! مَنْ أولى بالعفو عني منك ، وقضاؤك فيَّ نافذٌ ، وعلمك بي محيطٌ ، أطعتك بإذنك ، والمِنَّةُ لك عليّ ، وعَصَيْتُكَ بعِلْمِك ، والحُجَّة لك عليَّ ، فبثبات حجَّتِكَ ، وانقطاع حُجَّتي ، وبفقري إليك ، وغِناك عنّي ، ألاغفرتَ لي ذنوبي .

دعا أعرابي فقال : اللهمَّ إنك أحصيتَ ذنوبي فاغفرها ، وعرفْتَ حوائجي فاقضِها .

وكان بعضهم يقولُ في دعائه : اللهم أعنّي على دَيْني بدِينٍ ، وأعنّي على آخرتي بتَقْوَى .

كان مِن دعاء ابنِ السَّماك(١) : اللهمَّ إنّا نُحِبُّ طاعتَك وإن قَصَّرْنا ، ونكرهُ معصيتَك وإنْ ركبناها ، اللهمَّ فتفَضَّلْ علينا بالجنّةِ وإنْ لم نكن أهْلَها ، وخَلِّصْنا من النارِ وإنْ كنّا قد استَوْجَبْناها .

ووقفتِ امرأةٌ مِن الأعرابِ من هَوازِن على عُبَيْد الرحمن بنِ أبي بَكْرَةَ(٢) فقالت : أصْلَحَك الله ، أقبلتُ من أرض شاسِعة ، يَرْفَعُني رافِعة ، ويخفضني خافضة بملمات من البلاء ، وملمات من الدهور بَرَيْنَ عَظْمِي وأذْهَبْنَ لَحمي ، وتركنني والهةً أمشي بالحضيض ، وقد ضاق بي البلدُ العريضُ ، لاعشيرةَ تحميني ، ولاحميمَ يكفيني ، فسألْتُ في أحياءِ العرب مَنِ المرْجُوُّ سَيْبُه ، المأمونُ عَيبُه ، المكفِيُّ سائلُه ، الكريمةُ شمائلُه ، المأمولُ نائلُه ، فأرشِدْتُ إليكَ ، وأنا امرأةٌ من هَوازن ، ماتَ الوالدُ

---

(١) ابن السماك : هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بني عجل .

(٢) أبو حاتم عبيد الله أبي بكرة الثقفي ، تابعي من أهل البصرة ولي سجستان سنة ٥٠هـ ، توفي ٧٩هـ .

وغابَ الرّافِدُ ، وأنتَ بعدَ اللهِ غِياثي ، ومُنْتَهى أملي ، فاصْنَع إليّ إحدى ثلاثٍ : إما أن تُقيمَ أودِي(١) أو تُحْسِنَ صَفَدِي(٢) ، أوتَرُدَّني إلى بَلدي . قال : بلْ أَجْمَعُهُنّ لك وَحِيّاً (٣) .

ووقفتْ أعرابية على قومٍ فقالت : بَعُدَتْ مَشَقَّتي ، وظهرتْ محارمي ، وبَلغَتْ حاجتي إلى الرَّمق ، والله سائلكم عن مقامي .

وقال بعضهم : اللهم أَعنّي على الموتِ وكُرْبَتِه ، وعلى القبرِ وغُمَّتِه ، وعلى الميزان وخُفَّته ، وعلى الصِّراطِ وذِلَّتِهِ ، وعلى يَوْمِ القِيامَةِ وَروْعَتِه .

وقال آخر : اللَّهُمَّ أَغْنِني بالإفْتِقارِ إليك ، ولاتُفْقِرْني بالاسْتِغْناءِ عَنْك .

---

(١) أقام أودها : قوم اعوجاجها .

(٢) الصفد : العطاء .

(٣) الوحي : (كغني) العجل المسرع .

وقال آخر : اللّهُمَّ أَعِنّي على الدُّنْيا بالقناعَة ، وعلى الدِّينِ بالعِصْمَة .

وقال آخر : اللهم أمتعنا بخِيارِنا ، وأَعِنا على أشرَارِنا ، واجْعَلِ المالَ في سُمَحائِنا .

* * *

الباب الرابع

أمثالُ العَرَبِ

هذا البابُ نذكر فيه صُوَراً من أمثال العرب مما يَحسُنُ المحاضرةُ به في المحاورات ، وإيرادُه في أثناء المكاتبات ومُجتَنّسٌ أجناساً ، ويَتتبَعُ في تجنيسه الألفاظ دون المعاني . يقدّم في كل باب ماجاء منها على لفظ : « أفْعَل » فإنها أكثر تكرارا في الكلام ، والحاجةُ إليها أمَسُّ ، والنَّاسُ بها ألْهَجُ .

* * *

في أسماء الرجال وصفاتهم

آبَلُ من حُنيْفِ الحناتِمِ (١) .

أبْخلُ من مادِرٍ (٢) .

---

(١) آبل : من الأبالة وهي حذق رعية الإبل والشاء . وحنيف : هو أحد بني حنتم بن عدي بن الحارث بن تيم الله .

(٢) مادر : اسمه مخارق أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة ، سقى إبله ، وبقي في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ، ومدر به الحوض أي طينه لتعافه إبل غيره فلا ترده .

أبْلَغُ من سَحْبان وائِلٍ (١) .

أبْيَنُ من قَسّ (٢) .

أبْخَلُ من ذِي مَعْذِرة (٣) .

أبْخلُ من الضَّنين بنائلِ غيرِه (٤) .

أبرٌ من فَلْحَس . وهو رَجُلٌ من شيبان ، حمل أباه على ظَهْرِه وحَجَّ به .

أبْطَأُ من فِنْد : بَعَثَتْهُ مولاتُه ليقتبِسَ ناراً فعاد إليها بعد سنة (٥) .

---

(١) خطب في صلح بين حيين شطر يوم فما أعاد كلمة . وهو جاهلي أدرك الإسلام .

(٢) أبين : أي أفصح ، من البيان . وهو قس بن ساعدة الإيادي الجاهلي ، أسقف نجران ، كان حكيما بليغاً .

(٣) وهو الذي إذا سئل أخذ في تلفيق المعاذير .

(٤) مأخوذ من قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي :

وإن امرءا ضنت يداه على امرىء . . . بنيل يد من غيره لبخيل .

(٥) هو مخنث من أهل المدينة مغن يكنى بأبي زيد . وكان مولى لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، بعثته ليقتبس ناراً ، فأتى مصر فأقام سنة ، ثم جاءها بنار وهو يعدو ، فعثر فتبدد الجمر فقال : تعست العجلة .

أَجَلُّ وَأَجمَلُ من ذِي العَمامة : وهو سعيدُ بنُ العاصِ بنِ أميةَ (١) .

أجْوَدُ من حاتم (٢) .

أَجْوَدُ مِن كَعْبِ بنِ مَامَة (٣) .

أَجْوَدُ من هَرِم (٤) .

أَجبَنُ من دُقَّةَ : هو دُقَّةُ بنُ عبادِيةَ بنِ أسماءَ بنِ خارجةَ .

أَحْمَقُ من هَبنَّقة : ذِي الوَدعات (٥) .

---

(١) لقب بذي العمامة لسيادته قومه ، وكان في الجاهلية ، إذا لبس العمامة لا يلبس قرشي عمامة على لونها هيبة منه .

(٢) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، كان جواداً شجاعاً .

(٣) هو كعب بن مامة الإيادي ، وهو الذي جاد بروحه في إيثار النمري على نفسه في يوم شديد الحرارة .

(٤) هرم بن سنان بن أبي حارثة المري ، كان لفرط جوده يلومه قومه .

(٥) هو يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة ، ضل بعيره فجعل يطلبه وينشده ويقول : من وجده فهو له . فقيل له : فلم تطلبه ! فقال : أين حلاوة الوجدان .

أَحْمَقُ من شَرَنْبَث (١) .

أَحْمَقُ من بَيَهْس (٢) .

أَحْمَقُ مِنْ حُجَيْنة ، رجل من بني الصَّيْداء .

أَحْمَقُ من أَبي غَبْشان : باع مفاتيحَ الكعبة لقصي بزقِّ خمر . (٣)

أَحْمَقُ من حَذُنَّة (٤) .

أَحْمَقُ من شيخ : فهو بطْنٌ من عبد القيس اشترى الفسْوَ من إياد ، وكانوا يُعَيَّرُون به ، فعُيِّرتْ بعد ذلك عبد القيس بالفسوة .

أَحْمَقُ من رَبيعةَ البكّاء : هو ربيعةُ بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ بنِ صعصعةَ ، رأى أُمَّهُ — وهو رجل — تحت زوجها ، فقرر أن يَقْتُلَها فبكى ، وصاح ، فقيل له : أهونُ مقتولٍ أمٌّ تحتَ زوجٍ .

* * *

---

(١) ويقال جرنبذ وهو من بني سدوس .

(٢) هو رجل من بني فزارة بن ذبيان بن بغيض .

(٣) هو المحترش بن حليل بن حبشية بن سلول بن كعب من خزاعة .

(٤) حذنة : يقال إنه أحمق من كان في العرب على وجه الأرض .

مِن الحِكمة

أَحْكَمُ من لُقْمان (١) .

أَحْكَمُ من هَرِم بن قُطْبَة (٢) .

أَحْمَى من مُجِير الجَراد : وهو مُدلِجُ بنُ سُوَيْد الطائي (٣) .

أَحْمَى من مُجير الظُّعْن : وهو ربيعةُ بنُ مُكَدَّم (٤) .

أَحْلَمُ من الأَحنف (٥) .

---

(١) هو لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم .

(٢) هذا من الحكم لا من الحكمة ، وهو الفزاري الذي تحاكم إليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة الجعفريان .

(٣) ويقال إن المجير هو حارثة بن مر أبا حنبل ، رأى قوماً من طيىء ومعهم أوعية ليأخذوا الجراد الذي وقع في فنائه فمنعهم حتى طلعت الشمس فطار .

(٤) لقي ربيعة نبيشة بن حبيب السلمى وقد خرج غازياً ، فأراد احتواء ظعن من بني كنانة فمانعه فطعنه نبيشة في عضده ، فظل يقاتل والقوم محجمون عنه ، وهو ينزف حتى خر لوجهه ، وطلبوا الظعن فلم يلحقوهن ، فضرب به المثل .

(٥) هو أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية سمى بالأحنف لأن في رجله حنف أي ميل .

أَحْلَمُ من قَيْس بنِ عاصم (١) .

أَحْزَمُ من سِنان بن أبي حارِثَة (٢) .

آدلُّ من دُعَيمِيص الرَّمْل (٣) .

أدهى من قَيسِ بنِ زُهَيْر (٤) .

أرمى من ابنِ تيقَن . وهو رجلٌ من عاد (٥) .

أَرْوَى من مُعجِلِ أَسْعَد : كان رجلاً أحمقَ وقع في غديرٍ فجعل ينادي ابنَ عم له يقال له « أَسعد » ويقول : ناوِلْني شيئاً أَشربُ به الماء ويصيح بذلك حتى غَرِق (٦) .

---

(١) هو قيس بن عاصم المنقري ، جاؤوا يوماً بابن له قتيل ، وابن عم له كتيف فقالوا : ان ابن عمك هذا قتل ابنك . فما قطع حديثه ، ولا حل حبوته والتفت إلى أحد بنيه فقال له : يا بني ، قم إلى ابن عمك فاطلقه ، وإلى أخيك فادفنه ، وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة فانها غريبة عساها تسلو عنه ، ساد في قومه وتوفي نحو ٢٠ هـ .

(٢) هو أبو هرم بن سنان ، قيل لم يجتمع الحزم والحلم في رجل إلا في سنان .

(٣) كان رجلا خريتا داهيا ، يستاف التراب فيعرف الطريق .

(٤) قيس بن زهير سيد عبس .

(٥) هو رجل من عاد ، كان أرمى رماة زمانه .

(٤) معجل : بتشديد الجيم — الذي يجلب الإبل جلبة ، ثم يحدرها إلى أهل الماء قبل أن ترد الإبل ، وأسعد : قبيلة .

أزنى من قِرد (١) .

أسألُ من فَلْحس (٢) : وهو رجلٌ من بني شَيْبان كان سيداً عزيزاً يسأل سهْما في الجيش وهو في بيته فيُعطَى لعزِّه فإذا أُعْطِيَه ، سأل لامرأتِه ، فإذا أُعْطِيَه سأل لبعيرِه ، وكان له ابن يقال له « زاهرٌ » فكان مثله فقيل فيه : العصا من العُصَيّة . هكذا رواه ابنُ حبيب ، فأما أبو عبيد فإنه يقول : الفَلْحَسُ : الذي يتحيَّن طعامَ الناس يقال : أتانا فلان يَتَفَلْحَسُ ، كما يَتَطَفَّلُ .

أَضْبَطُ من عائشةَ بنِ عَثْم : هو رجل من بنيِ عبد شَمس بنِ سعد من حديثه أنه كان يسقي إبلَه يوماً ، فأنزل أخاه في الركِيَّة ليميحَه ، فازدحمتِ الإبلُ فهوتْ بَكْرَةٌ في البئر ، فأخذ ذَنَبها ، وصاح بها أخاه : يا أخي : الموتُ ! فقال : ذلك إلى ذَنَبِ البَكرة ثم اجتذبها فأخرجَها .

---

(١) قيل هو قرد بن معاوية الهذلي ، وقال بعضهم : إن القرد إن أزنى الحيوانات .

(٢) هو الذي يتحين طعام الناس كالطفيلي . والفلحس : الحريص .

أَطمعُ من أَشْعَب (١) .

أَظلمُ من جُلَنْدي (٢) .

أَطْمَعُ من مَقْمُورٍ (٣) .

أَعَزُّ من قنُوعٍ (٤) .

أَفرسُ من ملاعِب الأَسِنَّة (٥) .

أَفْرَغُ من حَجَّام سَابَاط (٦) .

أَعَزُّ من كُلَيْب وَائِل (٧) .

---

(١) هو رجل من أهل المدينة وهو أشعب بن جبير مولى عبد الله ابن الزبير . وهو صاحب النوادر المشهورة في الطمع .

(٢) مثل من أمثال أهل عمان في الجاهلية ، والجلندي ملكهم .

(٣) قيل هذا لأنه يطمع أن يعود إليه ماقمر .

(٤) هو من قول الشاعر .

وكنت أعز عزاً من قنوع   ترع عن مط ة ؛ ول

(٥) هو أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس .

(٦) كان حجاماً ملازماً لساباط وهو موضع بالمدائن بفارس ، فاذا مر به جند قد ضرب عليهم البعث حجمهم نسيئة بدانق واحد إلى وقت رجوعهم .

(٧) هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير ، كان سيد ربيعة وقائد نزار كلها بلغ عن عزه أنه كان يحمي الكلأ ويجير الصيد .

أعزُّ من مَرْوانَ القرظِ (١) .

أَعْدَى من الشَّنْفَرَى (٢) .

أَعْدَى من السُلَيْك (٣) .

أَعْيَى من البَاقِل (٤) .

أغْزلُ من امْرِىء القَيْس (٥) .

أَغْدَرُ من قَيْسِ بنِ عَاصِم (٦) .

أغْدَرُ مِنْ عُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ (٧) .

---

(١) هو مروان بن زنباع العبسي .

(٢) أعدى : من العدو ، والشنفرى هو اسم شاعر جاهلي من الأزد ، من العدائين الصعاليك .

(٣) السليك هو عمير بن يثربي صعلوك جاهلي عداء تميمي من بني سعد ، وسلكه أمه وكانت سوداء وإليها ينسب . والسليك والشنفرى كانا يسبقان الأفراس ويصيدان الظباء عدوا .

(٤) هو رجل من إياد وقيل من ربيعة ، بلغ من عيه أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبي . فمد يديه وأخرج لسانه يريد أحد عشر ، فشرد الظبي .

(٥) أغزل هنا : من الغزل وهو التشبيب بالنساء .

(٦) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر التميمي .

(٧) من بني يربوع من تميم .

أغلى فِداءً من حاجِب بنِ زُرارة (١) .

أغلى فِداءً من بِسْطامِ بنِ قيْسٍ .

أوفى من الحارِث: تقول مُضَرُ : هو الحارث بن ظالم . وتقول ربيعةُ : هو الحارثُ بنُ عبّاد .

أَوْفَى من عَوْفِ بنِ مُحَلِّم (٢) .

أَوْفَى من السَّمَوْأل (٣) .

أَوْفرُ فِداءً من الأَشْعَث : أَسَرَتْهُ مَذْحِجُ فَفَدَى نفسه بثلاثةِ آلافِ بَعيرٍ (٤) .

أَهْوَنُ من تبالة على الحجّاجِ . تَبالة : بلدةٌ صغيرةٌ من بلدان اليمن يقال إنها أَوّلُ بَلْدةٍ وَليها الحجّاجُ ، فيقال إنه لما سار إليها قال للدّليلِ : أَيْن هِي : قال : قد سترتها هذه الأَكَمَةُ عنك . فقال : أَهْوِنْ عَليّ بعملٍ بلدة تسترها أكمةٌ ، ورجع .

---

(١) كان فداء حاجب وبسطام فيما يقول المقلل مائتي بعير ، وفيما يقول المكثر أربعمائة بعير .

(٢) جاهلي من بكر .

(٣) هو السموأل بن حيان بن عادياء .

(٤) هو قيس بن معدي كرب وكان فداء الملك ألف بعير .

أَجْرَأُ من فارسِ خَصافِ (١) .
أَجْرَأُ من خاصي الأَسدِ .
أَجْرَأُ من الماشي بتَرْجٍ : وهي مَأْسَدَة .

* * *

سائر ما جاء من الأمثال في أسماء الرجال

مَواعيدُ عُرْقُوب . يُضْرَبُ في الخُلْفِ والمَطْلِ (٢).

يَلْتَقي مالاتي يسارُ الكَواعِب : يُضْرَبُ لمن يطمع فيما يورِّطُه (٣) .

---

(١) هو رجل غساني كان له فرس لا يجارى ، خصاف : قبيلة .

(٢) عرقوب : رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله فقال له : إذا طلعت النخلة فلك طلعها ، فلما أطلعت أتاه للعدة فقال : دعها حتى تصير بلحا ، فلما أبلحت قال له : دعها حتى تصير زهوا ، فلما زهت قال له دعها حتى تصير رطبا ، فلما أرطبت وأتمرت ، جدها عرقوب في الليل ولم يعط أخاه شيئاً . فضرب في المماطلة والتسويف .

(٣) كان يسار عبداً أسود ، يرعى لأهله إبلا . وكان لمولى يسار بنت ، فمرت بإبله وسقاها اللبن وكان يسار أفجج . — وهو تباعد ما بين الرجلين — فأشار عليه أحد العبيد بالتقرب إليها فعاقبته وقطعت أنفه وأذنيه وتركته .

أَسَعْدٌ أَمْ سُعَيْدٌ(١) ؟

إنْ تسمَعْ بالمُعيدِيّ خيرٌ من أن تراه(٢) .

نَفْسُ عصامٍ سَوَّدَتْ عصاماً(٣) .

كَبُرَ عَمْرو عن الطَّوق(٤) .

أَوْرَدَها سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ(٥) .

جزاء سِنِمّار(٦) .

أَوْدَى كما أَوْدَى دَرِمٌ(٧) .

---

(١) هما ابنا ضبة أد ، خرجا في طلب إبل لهما ، فرجع سعد ، ولم يرجع سعيد ، فكان ضبة إذا رأى شخصاً مقبلا قال ذلك أي : أي ابني هو الموجود .

(٢) المثل للمنذر بن ماء السماء ، قال لشقة بن ضمرة التميمي ، وكان سمع بذكره فلما رآه تقحمه عينه .

(٣) هو عصام بن شهير حاجب النعمان .

(٤) هو عمرو بن عدي اللخمي ، ابن أخت جذيمة بن مالك الأبرش الأزدي من ملوك الحيرة .

(٥) تزوج مالك بن زيد مناة وشغل بعروسه ، فأورد أخوه سعد الإبل ، وأخل بالرفق بها ، فقال له :

أوردها سعد وسعد مشتهل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

(٦) هو بناء بنى للنعمان امرىء القيس الخورنق ، فقتله لئلا يعمل لغيره مثله .

(٧) هو درم بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان ، قتله النعمان .

إن الشَّقِيَّ وافدُ البَراجم(١) .

شَاكِهْ أَبا يَسار(٢) .

يحْمِلُ شَنٌ وَيُفدَّى لُكَيْز(٣) .

* * *

الأمثال في النساء

أَبْصَرُ من الزَّرْقاء : يُريد زرْقاءَ اليمامة وهي معروفة(٤) .

أَبذى من المُطَلَّقة(٥) .

---

(١) البراجم هم : عمرو وقيس وغالب وكلفة ومرة وحنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ذلك لأن رجلا قال لهم : تعالوا فلنجتمع كبراجم يدي هذه .

(٢) المشاكهة : المشابهة .

كان رجل له فرس كثيرة العيوب فأراد بيعها فقال صاحب له يكنى أبا يسار إذا عرضتها فامدحها ، فقال عند عرضه لها : أهذه فرسك التي كنت تصيد عليها الوحش ؟ يضرب في إفراط المدح والمبالغة .

(٣) هما ابنا أفصى بن عبد القيس ، كانا مع أمهما ليلى بنت قران في سفر حتى نزلت ذا طوى ، فلما أرادت الرحيل فدت لكيزا ودعت شنا ليحملها ، فحملها وهو غضبان ، حتى إذا وصلا في الثنية رمى بها عن بعيرها فماتت . والمثل يضرب للرجلين يهان أحدهما ويكرم الآخر .

(٤) هي من بنات لقمان بن عاد ، ملكة اليمامة ، وسميت البلدة بها . كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام .

(٥) بذي : ساء خلقه .

أَحْيَى من هَدِيّ(١) .

أَحْلَى من ميراث العمة الرَّقُوب(٢) .

أَخْرقُ من ناكِثَةِ غَزْلِها : وهي امرأةٌ من قُرَيش(٣)

أَخْزَى من ذاتِ النِّحْيَيْن(٤) .

أَحْمَقُ من دُغة(٥) .

أَخْيَلُ من مُذالة : يعنون الأمَة لأنها تُهان وهي تَتبخترُ .

أَزْنَى من سَجَاح(٦) .

أَزنَى من هر . وهي امرأةٌ يهودية ، وهي إحدى

---

(١) من الحياء وهي المرأة التي تهدى إلى زوجها .

(٢) هي التي لا يعيش لها ولد .

(٣) هي أم ريطة القرشية المعنية بقوله تعالى : « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا » سورة النحل آية ٩٢ .

(٤) هي امرأة من بني تيم الله بن ثعلبة ، كانت تبيع السمن في الجاهلية فأتاها خوات بن جبير الأنصاري يبتاع منها سمناً ، فلم ير عندها أحدا ، وساومها فحلت نحيا وحل النحي الآخر وشغل يديها وساورها فلم تستطع دفعه.

(٥) هي مارية بنت معنج العجلية .

(٦) هي امرأة تميمية تنبأت ، وتزوجت من مسيلمة .

من قطع المهاجرُ يدها حين شَمتَت بموت النبي صلى الله عليه وسلم .

أَسْرَعُ من نكاحِ أُمّ خارِجة(1) .

أَشْأَمُ من البَسُوسِ(2) .

أَسْرَعُ من المُهتَشْهِتة(3) .

أَشْأَمُ من مَنْشم : قيل هي النمامة(4) .

أَشْأَمُ من رغيفِ الحَولاء(5) .

أَشأم من ورْقاء(6) .

أَشْبَقُ من حُبّى المَدِينية(7) .

---

(1) هي عمرة بنت سعد بن عبد الله الأنمارية ، وخارجة ابنها ، كنيت به وتزوجت نيفا وأربعين زوجا .

(2) هي بنت منقذ التميمية ، وهي التي قامت حرب البسوس بسببها ودامت أربعين عاما .

(3) هي النمامة .

(4) ومنشم امرأة عطارة ، غمسوا أيديهم في عطرها وتحالفوا على الاستماتة في الحرب .

(5) هي امرأة خبازة كانت في بني سعد بن زيد بن مناة .

(6) يعنون الناقة وهي مشئومة .

(7) هي إمرأة مزواج .

أَذَلُّ من قيسي بحمص(١) .

أَضَلُّ من قارظِ عَنزة(٢) .

أبطش من دَوْسَر . كَتيبةِ النُّعمان(٣) .

أَحْنَى من الوالد .

أَحْنَى من الوالدة .

أَخْرَقُ من صَبيّ .

أَظْلَمُ من صبي(٤) .

أَبْخَلُ من صبي .

أَبْكَى من يتيم .

أَسْرَعُ من دَمعة الخَصِيِّ .

* * *

---

(١) يقال إن حمص كلها اليمن ، ليس بها من قيس إلا بيت واحد ولهذا فهو ذليل .

(٢) هو يذكر بن عنزة ، بسببه كان خروج قضاعة من مكة .

(٣) دوسر : مشتقة من الدسر وهو الطعن ، وهي إحدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب .

(٤) لأنه يسأل مالا يقدر عليه .

القَبائِلُ

لايدري أَسعدُ اللهِ أَكثرُ أَمْ جُذَامُ(١) .

وافَقَ شَنٌّ طَبَقَةَ(٢) .

لولا وِئامٌ هلكتْ جُذَامُ .

بُعْدُ الدّارِ كبُعْدِ النَّسَبِ(٣) .

ارعَيْ فَزارةَ لاهَنَاكِ المَرْتعُ(٤) .

ياشَنُّ أَثْخني قاسطاً(٥) .

لاتعدمُ من ابنِ عَمِّكَ نَصراً(٦) .

---

(١) سعد الله قبيلة عظيمة ، وجذام قبيلة بليت وفنيت .

(٢) طبقة قبيلة من إياد كانت لا تطاق ، فوقع بها شن بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن نزار ، فانتصف منها وأصابت منه فصار مثلا للمتفقين في الشدة وغيرها .

(٣) أي إذا غاب عنك قريبك فلم ينفعك فهو كمن لا نسب بينك وبينه .

(٤) المثل يضرب لمن يصيب شيئا ينفس به عليه .

(٥) أثخن : أوهن .

عندما وقعت الحرب بين ربيعة بن نزار عبأت شن لأولاد قاسط .

يضرب لإغراء فيما يكره الخوض فيه .

(٦) أي أن ابن عمك يغضب لك إذا رآك مظلوما ، حتى لو كنت تعاديه.

يا بعضي دَع بَعضاً : يُضرب في عَطف ذي الرَّحم(١)
رُبّ ابنِ عم ليس بابن عَمٍّ لك .
ربْضُك منْك وإنْ كان سَمَاراً(٢) .

* * *

الأخُ

رُبَّ أَخ لم تلدْه أُمُّكَ(٣) .
هذا التصافي لاتصافي المحلب(٤) .
إذا عَزَّ أَخوكَ فهُن(٥) .

---

(١) أول من قاله زرارة بن عدس التميمي ، وذلك أن ابنته كانت إمرأة سويد بن ربيعة ولها منه تسعة بنين ، وإن سويداً قتل أخاً لعمرو بن هند الملك وهو صغير ، ثم هرب فلم يقدر عليه ابن هند ، فأرسل إلى زرارة فقال : ائتني بولده من ابنتك فجاء بهم ، فأمر عمرو بن هند بقتلهم فتعلقوا بجدهم زرارة فقال : يا بعضي ... وأراد بقوله : يا بعضي ، أنهم أجزاء ابنته وابنته جزء منه . وأراد بقوله « بعضا » نفسه .

(٢) الربض : قوت الإنسان من اللبن . السمار : اللبن الممذوق بالماء. أي منك أهلك وإن كانوا مقصرين .

(٣) قاله لقمان العادي لامرأة معها رجل غريب . يضرب في الاتهام .

(٤) يضرب في التصافي بين الأخلاء .

(٥) بضم الهاء وكسرها ، أي إذا تعزز وتعظم ، فتذلل أنت وتواضع ، أما بكسر الهاء من وهن يهن ، أي إذا صعب أخوك واشتد فلن .

النَّاسُ إخوانٌ وشتّى في الشِّيَم .

« انْصُرْ أخاكَ ظَالِماً أوْ مَظْلُوماً(١) » .

مُكْرَهٌ أخُوكَ لابَطَل .

مَن لكَ بأخيكَ كُلِّه .

أخوكَ مَنْ صَدَقَكَ .

إن أخَاكَ لَيُسَرُّ بأنْ يَعْتَقِل ، يقال في الذم(٢) .

مِنْ كُلِّ شَيء تَحْفَظُ أخَاكَ إلاَّ مِنْ نَفْسِهِ(٣) .

لاتَلُم أخاك ، واحْمَد ربّاً عَافاك .

إذا تَرَضَّيْتَ أخَاكَ فَلاَ إخَاءَ لكَ بهِ(٤) .

لايُدْعى للجُلَّى إلا أخوها(٥) .

---

(١) حديث شريف تكملته : قيل : كيف أنصره ظالما . قال : « تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره » .

(٢) قاله رجل قتل له قتيل فعرض عليه الدية فرفض وهو يريدها .

(٣) المقصود : أنك تحفظه من الناس ، فاذا أساء إلى نفسه ، لم تدر كيف تحفظه منها .

(٤) أي إذا ألجأك إلى تكلف طلب رضاه ، فليس بأخ لك .

(٥) الجلى : الأمر العظيم .

أي لايندب للأمر العظيم إلا من يقوم به ويصلح له ، ويضرب للعاجز أيضا . أي ليس مثلك يدعى إلى الأمر العظيم .

النّفسُ تعلمُ مَنْ أخوها .

* * *

الشيوخ

بئسَ مقامُ الشَّيْخِ أمْرِسِ أمْرِسِ(١) .

كل امرئ سيعود مُرَيْئاً(٢) .

من العناءِ رياضةُ الهَرِمِ(٣) .

تِرْكَتُه تُقاسُ بالخِداع : يضربُ للشيخ ، أي هو شاب في جلده(٤) .

أهونُ هالِكٍ عَجُوزٌ في عامِ سَنَةٍ(٥) .

---

(١) المرس : مصدر مرس الحبل يمرس مرسا ، وهو أن يقع في أحد جانبي البكرة بين الخطاف والبكرة وأمرسه : أعاده إلى مجراه . وهو أن يعجز عن الاستقاء لضعفه ، يضرب لمن يحوجه الأمر إلى مالا طاقة له به .

(٢) أي تحقره حوادث الدهر وتصغر شأنه . يضرب في تنقل الدهر بأهله .

(٣) دخل بعض الشراة على الخليفة المنصور فقال له شيئا في توبيخه ، فقال الشاري :

أتروض عرسك بعد ما كبرت ومن العناء رياضة الهرم

(٤) يضرب للرجل المسن ، أي هو شاب في عقله وجسمه .

(٥) أي في عام جدب ومغبة .

يضرب للشيء يستخف به وبهلاكه .

أَهونُ مظلومٍ عجوزٌ مَعْقُوقَةٌ (١) .

* * *

الشابُّ والصَّبيُّ

كان ذلك من شَبَّ إلى دَبَّ(٢) .

كُلُّ امْرِىءٍ في بَيْتِهِ صَبِيٌّ(٣) .

اتقِ الصبيانَ لاتُصِبْكَ بأعْقائِها(٤) .

أَدْرِكْ القُوَيِّمةَ لاتأكلها الهُوَيِّمَةُ(٥) .

* * *

---

(١) يضرب لمن لا يعتد به لضعفه وعجزه .

(٢) شب : أي كنت شابا . دب : أي توكأت على العصا .

(٣) قال عمر بن الخطاب : ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي ، فاذا التمس ما عنده وجد صبياً . يضرب في حسن المعاشرة .

(٤) الأعقاء : جمع عقي وهو أول ما يخرج من بطن المولود . والمثل يضرب في التحذير .

(٥) القويمة : تصغير قامة ، أي الصبي . الهويمة : تصغير هامة أي أدرك الصبي حتى لا تعضه هامة . يضرب في إدراك الرجل الجاهل حتى لا يقع في الهلاك .

عبدٌ صريخُهُ أَمَةٌ .

استَعَنْتُ عَبْدِي فاستعانَ عَبْدِي عَبْدَهُ .

الحُرُّ يُعطي والعبدُ يألمُ قَلْبُهُ(١) .

ياعبدَ مَنْ لاعبدَ له(٢) .

حَبيبٌ إلىَ عَبْدٍ سَوْءٍ مَحْكِدُهُ(٣) .

احْمِلِ العبدَ على فَرَسٍ إنْ هَلَكَ ، هَلَكَ ، وإن عاش فَلَكْ(٤) .

عبدٌ أُرْسِلَ في سَوْمِهِ(٥) .

هو العبد زُلْمَةً(٦) .

* * *

(١) يضرب لمن يبخل ويأمر الناس بالبخل .

(٢) يضرب في ذلة من ليس له ناصر ولا معين .

(٣) حكد إلى أصله : رجع . والمحكد : المحتد والملجأ .

(٤) يضرب لمن يهون على صاحبه .

(٥) السوم : الإهمال . وذلك إذا وثقت بالرجل وفوضت إليه أمرك فأتى فيما بينك وبينه غير السداد .

(٦) زلمت القدح إذا أبريته وسويته ، والمقصود أن قدره قدر العبيد .

الإماء

لاتُفْشِ سِرَّكَ إلى أَمَةٍ .

لاتُفاكِهْ أَمَةً ، ولاتَبُلْ على أَكَمَة(١) .

كالأَمَةِ تَفْخَرُ بِحِدْجِ رَبَّتِها(٢) .

* * *

الغِلْمانُ

لاتَغْزُ إلاّ بغلامٍ قد غَزا .

تُبَشِّرُني بغلامٍ قد أَعياني أَبوه .

* * *

الأحرارُ

لاحُرَّ بوادي عَوْفٍ .

تجوعُ الحُرَّةُ ولاتأكلُ بثَدْيَيْها(٣) .

---

(١) لأن الأمة تفضحك كمن بال على مكان عال فالناس تراه .

(٢) الحدج : مركب للنساء .

(٣) قيل في زبا بنت علقمة الطائي زوج الحارث بن سليل الأسدي .

أَنجزَ حُرٌّ ماوَعَدَ(١) .

* * *

الوَلَدُ

وَلدُكِ من دَمَّى عَقِبَيْكِ(٢) .

ابنُكَ ابنُ بَوحِك(٣) .

مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ ، ساءَتْهُ نفسُهُ(٤) .

ه * *

النَّفْسُ والجَسَد

أَلْقَى عليه شراً شَرَّه : أي أَلقى نَفْسَه عليه من حُبِّهِ .

---

(١) قال الحارث بن عمرو بن حجر الكندي لصخر بن نهشل وكان له مرباع حنظلة فجعل للحارث الخمس منه ، إن دله على غنيمة ، ففعل ، ووفى بوعده .

(٢) أي ولدك الذي نفست به فأدمى النفاس عقبيك أي من ولدته فهو ابنك .

(٣) البوح : جمع باحة الدار أي ابنك من نشأ عندك لا عند غيرك .

(٤) رأى ضرار بن عمرو الضبي من بنيه ثلاثة عشر رجلا كلهم يطعن في الخيل ويحمل القناة الثقيلة فسره ذلك ، وأخذ قناة ليطعن بها فعجز لكبره .

أَلقى عليه أَرْوَاقَهُ (١) .

مثل ذلك :

هجم عليه نِقَاباً : أَي بنفسه .

ضربَ على ذلك الأَمر حاشَهُ : أَي نفسَه .

أَلقى عليه أَجرامَه وأَجْرانه : أَي هواه .

ضربَ عليه جَرْوَتَه : أَي وَطَّنَ عليه نَفْسَه .

ما أَنتَ بأَنجاهم مَرَقَةً : يعني نفساً .

النفسُ أَعلمُ مَنْ أَخوكَ النَّافِعُ .

أَكْذِبِ النفسَ إذا حَدَّثْتها .

النفسُ مولعةٌ بِحُبِّ العاجِل .

* * *

الرَّأْسُ والعُنُقُ

هو في مِلْءِ رأْسِهِ : أَي هو فيما يشغله .

جاحَشَ عن خيطِ رَقَبَتِهِ : يُضرب للذي يدافع عن دَمِهِ (٢) .

---

(١) أي أحبه حبا شديداً .

(٢) خيط رقبته : هو النخاع وهو العرق الذي يستبطن الفقار من الدماغ إلى الظهر يضرب في دفاع الرجل عن نفسه .

أعطاهُ بقُوفِ رَقَبَتِهِ : أي بجملته (١) .

وأخذه بظوفِ رقبته (٢) .

بُولِغَ به المُخَنَّقُ (٣) .

* * *

الوَجْهُ

وجه المُحَرِّشِ أقْبَحُ (٤) .

قبلَ البُكاءِ كانَ وجهُك عابِساً .

* * *

اللِّحْيَةُ والشَّعْرُ

فلمَ خُلِقَتْ إذا لم أخدَع الرجالَ : يعني لِحْيَتَه .

أصْهبُ السِّبال : من أسْماءِ العدوّ (٥) .

---

(١) هو جلدتها وقيل شعرها وقيل المخ وقيل القذال .

(٢) أي بجلد رقبته .

(٣) يضرب في بلوغ الجهد .

(٤) أي وجه المبلغ قبيح ، أقبح من وجه قائله .

(٥) لأن الصهبة من ألوان الروم .

اقْشَعَرَّتْ منه الذّوائبُ : يُضرب في الجبان .

* * *

العَيْنُ

نظرْتُ إليه عَرْضَ عَيْنٍ .

نظرةٌ من ذي عَلَقٍ (١) .

عينُهُ فرارةٌ (٢) .

أعْوَرُ ، عينَكَ والحجرُ (٣) .

بعينٍ ما أرَيَنَّكَ : أي اعجلْ وكُنْ كأني أنظرُ إليكَ .

* * *

الأُذُنُ

لا يُسْمِعُ أذُناً خَمَشاً : أي لا يقبلُ نصحاً .

أساءَ سمعاً ، فأساءَ إجابةً .

---

(١) أي ذو مودة.يضرب في نظر المحب .

(٢) اختبار الشيء ومعرفة حاله . أي أن منظره يغنيك عن مسألته .

(٣) أي : يا أعور احذر عينك ، واتق الحجر .

مَنْ يسمعْ يَخَلْ .

جاء بأُذُنَيْ عَنَاقِ الأَرض : أي بالباطلِ والكذبِ ويُقال في الداهيةِ أيضاً .

جَعَلْتُ ذلك دَبْرَ أُذُنِي (١) .

جاء ناشراً أُذُنَيْه : أي طامعاً .

* * *

الأنْفُ

كلُّ شيء أخطأ الأَنفَ جَلَل (٢) .

أنفكَ منك وإن كان أجدعاً (٣) .

مات حتفَ أنفه (٤) .

أنفٌ في السماءِ وإستٌ في الماء .

* * *

---

(١) أي ألقيته خلفي .

(٢) أصله أن رجلا صرع رجلا وأراد جدع أنفه فأخطأه وجرح وجهه فحدث بذلك .

(٣) الأجدع : المقطوع .

(٤) أي مات على فراشه .

الأسْنَانُ

إنه لَيَتَحَرَّقُ عليه الأُرَّمَ (١) .

قد تَحَدَّثَه من بَنَاتِ النواجذ .

قد عضّ على نواجذه .

متى عهدُك بأسفلِ فيك . أي متى أبعدتَ . فضُرِبَ مثلاً للأمر القديم .

ما في فيه حاكَّةٌ ولا تاكَّة (٢) :

جاء تَضِبُّ لِثَتُه . يراد به الحرص (٣) .

جاء وهو يقرَعُ سِنَّ نادمٍ .

أَعيَيْتَني بأُشُرٍ فكيف بُدُرْدُرٍ (٤) ؟

أَهدِ بجارِك أَشَدُّ لمضغِكَ : يقول إذا أهديتَ أهدوا إليكَ .

---

(١) الأرم : الأضراس . أي من الغيظ .

(٢) أي ضرس ولا ناب . من قولهم تكه تكا إذا قطعه .

(٣) أي تسيل دما .

(٤) الأشر : بضم الشين وفتحها تحدد الأسنان ورقة أطرافها ، ويكون ذلك في أسنان الأحداث وتفعله المرأة الكبيرة تشبها بهم .

الصبي أعلمُ بمَضْغِ فيه (١) .

عليه من اللهِ لسانٌ صالحةٌ : يقال ذلك في الثَّناء .

سكتَ ألفاً ونطق خَلفا (٢) .

مَقْتَلُ الرجلِ بينَ فكَّيْه (٣) .

* * *

الذَّقْنُ

ذليلٌ استعان بذقنه .

أفْلَتَني جُرَيْعَةَ الذَّقْنِ (٤) .

* * *

الفَمُ

كلُّ جبانٍ يدُه إلى فيهِ .

فاهًا لفيكَ (٥) .

---

(١) يضرب في إقدام الرجل على مبلغ وسعة .

(٢) أطال رجل الصمت عند الأحنف حتى أعجبه ثم تكلم فكان رديئا .

(٣) المقصود : اللسان .

(٤) إذا كان قريبا منه كقرب الجرعة من الذقن ثم أفلته .

(٥) أي جعل الله فاه الداهية لفيك فأضمر الفعل .

أفواهُها مَجاسُّها (١) .

أَراكَ بَشَرٌ ما أحارَ مِشْفَرُ (٢) .

حيَّاكَ من خلاَ فُوهُ (٣) .

حَدَّثِنِي فَاهُ إلى فِيَّ (٤) .

فُلاَنٌ خَفِيفُ الشَّفَةِ : أي قليل المسألة .

* * *

اليـد

أطْعَمَتْكَ يدٌ شبِعتْ ثم جاعتْ ثم شَبِعتْ ، ولا أطعمتْكَ يدٌ جاعَتْ ثمَّ شبعتَ (٥) .

هُمْ عليه يَدٌ : أي مجتمعون .

---

(١) المقصود أفواه الإبل التي تحسن الأكل تدل على سمنها ، والمجاس المواضع التي يجس بها .

(٢) المعنى : إذا رأيت بشر الحيوان سمينا كان أو هزيلا استدللت به على كيفية أكله .

(٣) يضرب للمشتغل عن الاهتمام بصاحبه .

(٤) أي حدثه مشافهة .

(٥) أول من قالته امرأة ، قال لها ابنها : إني أخرج فأطلب من فضل الله فدعت له بهذا .

أشدُدْ يَدَيْكَ بغرزِه : أي ألْزَمْهُ (١) .

عِيٌّ أبْأسُ من شَلَل (٢) .

* * *

الصَّدْرُ

شَدَّ للأمر حزيمهُ (٣) .

جاء يضربُ أَصْدَرَيْهِ : إذا جاءَ فارغاً (٤) .

تأبى ذلك بنات لبَبي (٥) .

صَدرُك أوْسَعُ لسِرِّك .

* * *

الجَنْبُ

عركْت ذلك بجنبي .

---

(١) الغرز : ركاب الرحل .

(٢) خطب رجلان امرأة وكان أحدهما عي اللسان كثير المال ، والآخر أشل لا مال له ، فأختارت الأشل .

(٣) الحزيم : موضع الحزام .

(٤) أصدريه : من الصدر .

(٥) اللبب : الصدر ، يضرب لمن يود من لا يوده .

ما أبالي على أي قُطْرَيه وَقَعَ . وقطريه أيضاً (١) .

بِجَنْبِهِ فلتَكُنِ الوَجْبَةُ (٢) .

من كِلا جَنْبَيْك لا لَبَّيْكَ (٣) .

* * *

البَطْنُ والظَّهْرُ

انقطعَ السَّلى في البطنِ : أي فاتَ الأَمرُ (٤) .

ما في بطنِها نُعرَة : أي ليس بها حَبَل (٥) .

بطْنِي فعطِّري ، وسائري فذري (٦) .

نَزتْ به البِطْنَةُ (٧) .

قلَبَ الأَمرَ ظهراً لبَطْن .

---

(١) يضرب لمن لا يشفق عليه .

(٢) أي السقطة ، يقال عند الدعاء على الانسان .

(٣) أي من كل جهة دعاء عليك .

(٤) هو الذي يكون فيه الولد .

(٥) هو الجنين قبل تمام خلقه .

(٦) نزل رجل جائع بقوم فأمروا الجارية بتطييبه فقال لها ذلك .

(٧) يضرب لمن لا يحتمل النعمة .

إنْ كنتَ تَشُدُّ بي أَزْرَكَ فأَرْخِه .

ماتَ بِبِطْنَتِه لم يتغَضْغَضْ منها شيءٌ : يقال للبخيل (١) .

ماتَ وهو عريضُ البِطان .

لا تجعلْ حاجتي منكَ بظَهرٍ (٢) .

ما حَكَّ ظَهْري مثلُ يدي (٣) .

عرَفَ بَطْنِي تُرْبَهُ .قيل في ذروته وغاربه (٤) .

* * *

القلْبُ والكَبِدُ

يستمعُ المرءُ بأَصْغَرَيْهِ (٥) .

اجعلْه في سويداءِ قلْبِك .

---

(١) البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام .

(٢) أي لا تجعلها خلفك فتنساها .

(٣) يضرب في اعتناء الرجل بشئون نفسه .

(٤) غاب رجل عن بلاده ثم قدم فألصق بطنه بالأرض فقال ذلك . يضرب في كل شيء وصل إليه بعد تمنيه وإرادته .

(٥) الأصغران : القلب واللسان .

ما أَبْرَدَها على الكَبِدِ ،

هو بَيْنَ الخِلْبِ والكبِدِ (١) .

هو أَسْوَدُ الكَبِدِ (٢) .

* * *

الرِّجْلُ والسَّاقُ

رَمَاهُ فأَشْواه من الشَّوَى وهي القَوائِمُ (٣) .

قَدَحَ في ساقِه (٤) .

* * *

العُرُوقُ

أَخبَرْتُه بعجَري وبُجَري (٥) .

فتح صَدْرَكَ بعِلْمِ عُجَرِكَ وبُجَرِكَ .

---

(١) الخلب : لحمه لا صقة بالكبد . يضرب للقريب من النفس .

(٢) أي عدو وكأن كبده محترقة .

(٣) يضرب لمن يقصدك بسوء تسلم منه . والشوى : جمع شواة ، وهي الطرف من الجسم .

(٤) أي عمل ما يكره .

(٥) العجرة : نفخة في الظهر . ويقال : هي العروق المتعقدة في الجسد . والبجر : العروق المتعقدة في البطن خاصة . والمراد أخبرته بكل شيء ولم أستر عنه شيئاً .

أيُعَيِّرُني ببجري ويَنسَى بُجَرَهُ (١) .
إن العروقَ عليها يَنبتُ الشَّجَرُ .

*   *   *

السَّه (٢)

العين وِكاء السَّه (٣) .
طار باستٍ فَزِعةٍ .

*   *   *

النِّكَاحُ

لَقْوةٌ صادفت قبيصاً (٤) .

---

(١) يضرب لمن عير غيره بعيب هو فيه .
(٢) السه : الاست ، حلقة الدبر .
(٣) جاء في الحديث النبوي: «إن العين وكاء السه ، فإذا نام أحدكم فليتوضأ». والوكاء : كل سير أو خيط يشد به فم الوعاء .
(٤) اللقوة : العقاب السريعة . والقبيص : الجواد السريع .

بالرِّفاءِ والبَنين (١) .

هُنِئْتَ فلا تُنْكَهُ (٢) .

من يَنْكِحِ الحسناءَ يُعْطِ مَهْراً (٣) .

* * *

الأمثالُ في الإبلِ والخيلِ والبغالِ والحميرِ

أَحْقَدُ من جَمَل .

أَحْسَنُ من شَنَف الأَنْضُر (٤) .

أَخَفُّ حلماً من بعير .

أَخْيَبُ من ناتجِ سَقْبٍ من حائل (٥) .

أَخْلَقُ من بَوْل البعير .

أَذلُّ من السُّقبان بين الحلائب (٦) .

---

(١) يقال للتهنئة بالزواج .

(٢) أي لا تضعف .

(٣) أي من طلب نفيساً بذل فيه الكثير .

(٤) الأنضر : جمع نضر وهو الخالص من الذهب .

(٥) السقب : ولد الناقة الذكر ، وكل حامل ينقطع عنها الحمل سنة ، أو سنوات فهي حائل حتى تحمل .

(٦) السقبان : جمع سقب وهو ولد الناقة الذكر ساعة يولد . الحلائب : جمع حلوب : ذات اللبن .

أذلُّ من الحوار (١) .

أخبَطُ من عَشْواء (٢) .

أذلُّ من بَعير سانِيةٍ (٣) .

أروى من بكر هبنّقة (٤) .

أصْولُ من جمل (٥) .

أسْمَعُ من فَرَس .

أشأمُ من خُمَيْرة (٦) .

أطوعُ من فَرس .

أعدَى من فَرس .

أقصرُ من ظاهرة الفرس . (٧)

---

(١) الحوار : ولد الناقة الذي لم يفصل .

(٢) وهي الناقة التي لا تبصر بالليل .

(٣) وهو البعير الذي يستقى عليه الماء .

(٤) هو يزيد بن ثروان كان يروي فيصدر مع الصادر ثم يرد مع الوارد قبل الوصول إلى الكلأ .

(٥) أصول معناها : أعض .

(٦) خميرة : هو فرس شيطان بن مدلج الجشمي .

(٧) هو السقي كل يوم ولابد للفرس منه .

أَجْرَأُ من فارس خَصَافٍ (١) .

أَجرأ من خاصي خَصَافٍ (٢) .

أَتعبُ مِن رائض مُهْرٍ .

أَحْسَنُ من الدُّهُم الموقّفة (٣) .

أَبصرُ من فَرس .

أَخْلَفُ من وَلَد الحِمار (٤) .

أَذلُّ من حمارٍ مُقَيَّد .

أَجهلُ من حِمار .

* * *

الإبِلُ

صَدَقَني سِنّ بَكْرِهِ .

---

(١) هو مالك بن عمرو الغساني .

(٢) هو رجل باهلي كان له فرس اسمه خصاف فطلبه بعض الملوك للفحلة فخصاه .

(٣) وهي التي في قوائمها بياض .

(٤) وهو البغل لأنه لا يشبه أباه ولا أمه .

كانت عليهم كراغيةِ البَكْرِ (١) .

أَكْرَمُ نَجْرِ النَّاجياتِ نَجْرُهُ (٢) .

كلُّ نُجار إِبل نُجارُها (٣) .

نُجارها نارها (٤) .

لا تنسبُوها وانظروا ما نارُها : قالوا ذلك للبعير .

أَصُوصٌ عليها صُوصٌ : الأَصوص الناقة الحائل السمينة . والصوص الرجل اللئيم .

أَخذت الإبلُ أَسْلِحَتَها .

يُهَيِّجُ لي السَّقامَ ، شَوَلانُ البَروق في كلِّ عامٍ (٥).

أَصْبَرُ من عَوْد (٦) .

* * *

---

(١) الراغية مصدر بمعنى الرغاء . والبكر : سقب ناقة صالح عليه السلام ، وذلك أنه لما عقرت الناقة صعد الجبل فرغا فأتاهم العذاب . يضرب في الشؤم .

(٢) أي أكرم أصل الإبل السراع ويضرب الكريم .

(٣) النجار : الأصل .

يضرب لمن كان له كل لون من الأخلاق .

(٤) أي أصلها سمتها . يضرب في ظاهر الشيء الدال على باطنه .

(٥) البروق : الناقة التي تشيل بذنبها .

(٦) العود : المسن من الجمال .

الخَيْلُ

هذا أوانُ الشَّدِّ ، فاشْتَدّي زِيَمُ : زِيَمُ اسمُ فَرَسٍ (١) .

كان جِذْعاً باسقاً من صَوْرِهِ ، ما بين لِحْيَيْهِ إلى سِنَوْرِهِ (٢) .

إنه لحثيثُ التوالي وسريعُ التوالي : يقال للفرس ، وتواليه : مآخيرُه (٣) .

لا يعلمُ شقيٌّ مُهْراً (٤) .

طَلَبَ الأَبلقُ العقوقَ (٥) .

كان جَوادي فخُصِي (٦) .

---

(١) هذا المثل قاله الحجاج بن يوسف على المنبر عندما أراد أن يحمس الناس لقتال الخوارج .

(٢) يضرب في وصف الفرس بطول عنقه .

(٣) المآخير : رجلاه وذنبه . وتوالي كل شيء : أواخره . يضرب للرجل الجاد المسرع .

(٤) يضرب للرجل يعنى بالأمر فيطول نصبه وتعبه .

(٥) أعقت الفرس : أي حملت .

الأبلق : الذي لا يحمل .

(٦) يضرب للرجل الجلد ينتكث فيضعف .

جَرْيُ المُذَكِّياتِ غِلابٌ (١) .

الخَيْلُ تَجْرِي على مَسَاوِيها (٢) .

قد تبلغُ القَطُوفُ الوَسَاع (٣) .

جاء فلانٌ وقد امَطَّ لِجَامَهُ (٤) .

إن الجوادَ عَيْنُه فُرارُه (٥) .

هُما كفرسَي رِهان (٦) .

---

(١) الغلاب : المغالبة أي أن المذكي يغالب مجاريه فيغلبه لقوته ، ويجوز أن يكون المقصود : أن ثاني جريه أبداً أكثر من أوله . وثالثه أكثر من ثانيه فجريه أبداً غلاب ، يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه في حلبة الفضل .

(٢) أي إذا كان بها عيب فان كرمها يحملها على الجري مثلها كمثل الحر الكريم . المساوي : لا واحد له مثل : المحاسن والمقاليد .

(٣) القطوف من الدواب : الذي يقارب الخطو . الوساع : ضده . يضرب في قناعة المرء ببعض حاجته دون بعض .

(٤) إذا انصرف عن حاجته مجهوداً من الإعياء والعطش .

(٥) عينه فراره : اختبار الشيء ومعرفة حاله كما تفر الدابة أي ينظر لأسنانها لمعرفة سنها .

(٦) يضرب للاثنين في سباق واحد ، يستويان في الأول ، ويختلفان في النهاية .

الخيلُ أعلمُ بفرسانِها (١) .
أحُشُّك وتروثُني (٢) .

* * *

الأمثالُ في الحمارِ

أكرمتَ فارتبِطْ .
إذا أدنيْتَ الحمارَ من الرَّدْهةِ فلا تقُلْ له سأْ(٣) .
ودِقَ العيرُ إلى الماء : يُضرب في المستسلم(٤) .
أدْنَى حِمارَيْكِ فأزجُري (٥) .
دونَ ذا أو يَنْفُقُ الحِمارُ (٦) .
قد يَضْرُطُ العَيْرُ والمكواةُ في النارِ (٧).

* * *

(١) أي هي تعرف فارسها بالكفء .
(٢) أراد تروث علي . يضرب لمن يحجر إحسانك إليه .
(٣) الردهة : مستنقع الماء . سأ : زجر الحمار ويقال سأسأت بالحمار إذا دعوته ليشرب . يضرب للرجل يعلم ما يضع .
(٤) ودق : أي قرب ودنا . يضرب لمن خضع بعد الإباء .
(٥) أي اهتمي بأمرك الأقرب ثم تناولي الأبعد .
(٦) أي ينفق الحمار دون القول الذي تقول عنه . يضرب عند المبالغة في المدح إذا كان بدونه اكتفاء . ينفق : يباع .
(٧) يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه .

الأمثالُ في البَقَرِ والغَنَمِ والظِّباء

أعجلُ من نَعْجَةٍ إلى حَوْضٍ (١) .

أصْرَدُ من عَيْرٍ جَرباءَ (٢) .

أغرُّ من ظَبْيٍ مُقْمِرٍ (٣) .

أصحُّ من ظَبْيٍ .

أشْقَى من راعي ضَأنٍ ثمانين .

أشغلُ من مُرْضِعٍ بَهْمٍ ثَمانين .

آمنُ من ظَبْيٍ مُقْمِرٍ .

أنْوَمُ مِن غَزالٍ (٤) .

أوْقَلُ من وَعْلٍ (٥) .

أسْخَى من لافظة (٦) .

*   *   *

(١) لأنها إذا رأت الماء زجرت ما في طريقها حتى توافيه .

(٢) وذلك لأنها لا تدفأ لقلة شعرها ، ورقة جلدها ، فالبرد أضر لها .

(٣) وذلك لأن صيده في القمراء أسرع منه في الظلمة لأنه يعيش في القمراء .

(٤) لأنه إذا رضع أمه فروي ، امتلأ نوما .

(٥) توقل في الجبل : صعد .

(٦) اللافظة : قيل هي العنز ، وقيل هي الحمامة لأنها تخرج ما في بطنها لصغارها .

الغَنَمُ والضَّأنُ

لايَنفطُ فيه عَناق(١) .

عند النطاحِ يقلبُ الكَبْشُ الأجم(٢) .

لاتنطحُ بها ذاتُ قَرْنٍ جَمّاء(٣) .

لاينتطحُ فيه عَنْزانِ (٤) .

* * *

الأمثالُ في الأسدِ والسِّباعِ والوُحُوشِ

أبخَرُ مِن أسد(٥) .

أجرأ من خاصي أسد .

أجرأ من ذي لُبَد(٦) .

أجرأ من أُسامة(٧) .

---

(١) أي لا تعطس . النفيط من العناق مثل العطاس من الانسان .

(٢) يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

(٣) يضرب عند اشتداد الزمان وقلة النشاط .

(٤) أي لا يكون فيه تغيير ولا يختلفان عليه .

(٥) البخر : رائحة الفم الكريهة .

(٦) هو الأسد . ولبدته : ما تبلد على منكبيه من الشعر .

(٧) أسامة : من أسماء الأسد .

أجرأُ مِن قَسْوَرة(١) .

أجرأُ من لَيْثٍ بخَفَّان .

أجْوَعُ من ذِئْب(٢) .

أحْمَى من أنْفِ الأسَدِ .

أخفُّ رأساً من الذِّئْبِ .

أخبثُ من ذِئْب الغَضَى .

أخْتَلُ من ذِئب .

أخْوَنُ من ذِئب .

أجْوَعُ مِن كَلْبَةِ حَوْمَل(٣) .

أشْجَعُ مِن كَلْب .

أبْوَلُ من كَلب(٤) .

---

(١) قسورة : هو الأسد .

(٢) لأنه دهره جائع .

(٣) امرأة من العرب كانت تجيع كلبة لها وهي تحرسها حتى أكلت الكلبة ذنبها من الجوع .

(٤) قالوا : يجوز أن يراد به البول بعينه ويجوز أن يراد به كثرة الولد . لأن البول في كلام العرب يكني عن الولد .

أحْمَقُ من جُهَيْزة(١) .

أحْذَرُ من ذِئب(٢) .

أحْوَلُ من ذئب(٣) .

أخْرَسُ من كلب .

أخْتَلُ من ثُعالةَ(٤) .

أسلطُ من سِلْقَة : وهي الذّئبةُ .

أعقّ من ذئبة . .

أعْيَثُ من جعار(٥) .

أحمقُ من ضَبُع .

أغْزَلُ من الفُرعُل(٦) .

أفحشُ من كَلب(٧) .

* * *

(١) المقصود هنا بالجهيزة : الذئبة ، وحمقها أنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع .

(٢ لأنه عندما ينام يغمض عيناً ويفتح الأخرى .

(٣ أحول هنا : من الحيلة .

(٤ ثعالة : علم جنس للثعلب .

(٥ العيث : الفساد . الجعار : الضبع .

(٦ الفرعل : ولد الضبع .

(٧ لأنه يهر على الناس وفي أي مكان .

الذِّئْبُ

من استَرْعَى الذئبَ ظَلَمَ(١) .

الذئبُ أدغمُ : يُضرب لمن يُظَنُّ به الخيرُ وليس كذلك لأن الذئابَ دُغْمٌ(٢) .

لبستُ له جِلْدَ النَّمِرِ(٣) .

* * *

الضَّبُعُ

أَطْرِقي أُمَّ عامر .

خامري أُمَّ عامر(٤) .

عيثي جَعارِ(٥) .

الضَّبُعُ تأكلُ العظامَ ولاتدري ماقَدْرَ اسْتِها .

---

(١) أي ظلم الغنم : يضرب لمن يولي غير أمين .

(٢) الدغمة : السواد .

(٣) يضرب في إظهار العداوة وكشفها .

(٤) خامري : أي استتري . وأم عامر : الضبع .

(٥) جعار : الضبع لكثرة جعرها عندما تهجم على الغنم .

كمجير أم عامر(١) .

* * *

الثَّعْلَبُ

لقد ذَلَّ من بالَتْ عليه الثَّعالبُ(٢)

كذلك النَّجارُ يختلفُ : مثل يُنسبُ إلى الثعلب .

زمانٌ أَرِبَتْ بالكلاب الثعالبُ(٣) .

* * *

الهِرُّ

إذا اعترَضْتَ كاعتراض الهِرَّة ، أَوشكْتَ أن تسقطَ في أُفُرة(٤) .

---

(١) أم عامر هنا : هي الضبع التي أجارها أعرابي فأكلت واستراحت وعندما نام مجيرها بقرت بطنه وشربت من دمه وهربت .

(٢) أصله أن رجلا من العرب يعبد صنماً فنظر يوماً إلى ثعلب جاء حتى بال عليه فقال :

أرب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

(٣) أرب : إذا ألفه ولزمه . أي اشتد الزمان فسمن الكلب من أكل الجيف فلم يتعرض ويطارد الثعالب . يضرب لمن يوالي عدوه لسبب ما .

(٤) اعترض : افتعل من العرض وهو النشاط . الأفرة : الشدة . يضرب النشيط يغفل عن العاقبه .

ما يعرفُ هرّاً من برٍّ .

* * *

الأمثالُ في الهَوامِ والحَشَراتِ

آكَلُ من السُّوس(١) .

أَجوَلُ من قُطْرُب(٢) .

أَفسدُ من السُّوس .

أَجوعُ من قُراد(٣) .

أَسمعُ من قُراد(٤) .

أَجْهَلُ من فَراشَة(٥) .

أَضْعَفُ من فَراشة .

أَطْيَشُ من فراشة .

---

(١) قاله خالد بن صفوان بن الأهتم في ابنه للدلالة على البخل و نهم لاعتقاده بان العيال سوس المال .

(٢) قطرب : ذبابة لا تفتر عن الحركة ، وتضيء في الليل كالشعلة .

(٣) لأنه يلزق ظهره بالأرض سنة وبطنه سنة لا يأكل شيئا حتى يجد إبلا .

(٤) وذلك لأنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها .

(٥) لأنها تطلب النار فتلقى نفسها فيها فتهلك .

أخطأُ من فراشة .

أَجْهَلُ من عَقْرب(١) .

أَعْدَى من العَقْرب .

أجمعُ من الذَّرَّة .

أضبطُ من ذَرَّة .

أَكْسَبُ من ذَرة .

أَجردُ من جَراد(٢) .

أَصْفَى من لُعاب الجراد .

أَصْرَدُ من جَرادة(٣) .

أَسْرَى من جراد .

أَزْهَى من ذُباب .

*　　*　　*

---

(١) لأنها تمشي بين أرجل الناس ولا تكاد تبصر .

(٢) يقال : أرض مجرودة إذا أكل الجراد نبتها .

(٣) الصرد : البرد . وذلك لأن الجرادة لا تتحمل البرد فهي لا ترى في الشتاء أبداً .

الضَّبُّ

أَطْعِمْ أخاك من عَقَنْقَلِ الضَّبِّ ، إنك إنْ تمنعْه منه يغضبْ(١) .

هذا أجلُّ من الحَرْشِ(٢) .

أتعلّمني بضَبٍّ أنا حَرَشْتُه(٣) .

ماأبالي مانَهِىءَ من الضبِّ ومانضَجَ(٤) .

كل ضَبٍّ عنده مِرْداتُه(٥) .

لا أفعلُ ذلك سِنَّ الحِسْلِ(٦) .

إن تكُ ضبّاً فأنا حِسْلَةٌ(٧) .

---

(١) العقنقل : قانصة الضب .

(٢) يضرب لمن يخاف الشيء ثم يقع في أشد منه . وحرش الصيد : هيجه ليصيده .

(٣) مثل يخاطب به العالم من يريد تعليمه ما هو عليم به .

(٤) أن يكون لحم ضبك نيئاً لا ينشوي .

(٥) المرداة : الصخرة .

(٦) الحسل : الضب الطويل العمر لا تسقط له سن أبداً .

(٧) يضرب في أن يلقى الرجل مثله في العلم والدهاء .

أَخَذَهُ أَخْذَ الضبِّ وَلَدَهُ(١) .

إذا أَخَذت برأسِ الضَّبِّ أَغْضَبتُه(٢) .

* * *

الظَّرِبَانُ

هما يتماشيان جِلْدَ الظَّرِبان(٣) .

فَسَا بينهم ظَرِبان(٤) .

* * *

القُنْفُذُ

ذهبوا إسْراءَ قُنفُذٍ(٥) .

---

(١) وذلك لأن الضب يحرس بيضه عن الهوام ، فاذا خرجت أولاده من البيض ظنها بعض أحناش الأرض فجعل يأخذ ولده واحد واحدا ويقتله فلا ينجو منه إلا الشريد .

(٢) يضرب لمن يلجيء غيره إلى ما يكره .

(٣) يضرب للمتفاحشين . والظربان : حيوان لاحم أصغر من السنور منتن الرائحة .

(٤) يضرب لقوم تقاطعوا .

(٥) أي تفرقوا لأن ذهابهم في الليل .

الفأرُ

أَضلَّ دُرَيْصٌ نَفَقَهُ (١) .

سقط في أمِّ أدْراصٍ بليلٍ مضللٍ (٢) .

بات بليلةِ أنْقدَ (٣) .

بَرِّزْ نارَكَ ، وإنْ هزَلْتَ فارَكَ (٤) .

* * *

الحُوتُ

أَحُوتاً تُماقِسُ ؟ (٥) .

* * *

---

(١) الدرص : ولد الفأرة .

(٢) يضرب لمن وقع في داهية . وأم أدراص : حجر الفأرة .

(٣) أنقد : هو القنفذ يضرب لمن سهر طول ليله .

(٤) الفار هنا : عضل العضدين تشبيها بالفار لانتفاخهما .

يضرب في إيثار الضيف بما عندك وإن نهكت جسمك .

(٥) أي تغايظ ويضرب المثل للرجل الداهية يعارضه مثله .

الحَيَّةُ

شَيْطانُ الحماطَةِ : يضرب به المَثَلُ فهو الحيَّةُ (١).

إِنه لهِتْرُ أَهْتارٍ ، وصِلُّ أَصْلالٍ (٢) .

* * *

القُرادُ

فلاناً يقرد فلاناً : أي يحتال له بخدعة .

لا يليق هذا بصَفَرَى . والصَّفَرُ : حَيَّةٌ تكون في البَطْنِ (٣) .

ما الذُّبابُ وما مَرَقَتُه ؟

كلَّفتني مُخَّ البَعوضِ .

لا أَفعلُ ذلك حتى يَحُجَّ البُرْغوثُ .

* * *

---

(١) يضرب للرجل إذ كان ذا منظر قبيح . والحماط : شجر يشبه التين تألفه الحيات . وشيطان الحماط : جنس من الحيات . يألف هذا الشجر .

(٢) الهتر : الداهية . وهتر أهتار : داهية دواه .

الصل : الحية تقتل لساعتها إذا نهشت والمثل يضرب للرجل الداهية .

(٣) يضرب في قلة الموافقة .

الأمثالُ في الطُّيورِ : ضَوارِيها وبُغاثِها

آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ .

آلَفُ مِنْ حَمامِ مَكَّةَ (١) .

أَحْمَقُ من حَمامَةٍ (٢) .

آلفُ من غُرابِ عقدةٍ (٣) .

أبصرُ من بَاز .

أَبْصَرُ من عُقاب مَلاع (٤) .

أَحذرُ من فَرْخِ عُقاب .

أَخْطَفُ من عُقاب .

أَزْهَى من غُراب .

أعز من الغُراب الأعْصَم (٥) .

---

(١) لأنها لا تثار ولا تهاج .

(٢) لأنها تبني عشها بثلاثة أعواد في مهب الريح ، فبيضها أضيع شيء .

(٣) وهي أرض كثيرة النخل لا يطير غرابها لخصبها .

(٤) ملاع : هي الصحراء . لأنها تعرف أنثى الأرنب من ذكرها فتخطفها ليلا ، لأن الذكر يلتوي على عنقها فيقتلها .

(٥) الغراب الأعصم : قيل : هو الذي إحدى يديه بيضاء ، أو الأبيض الجناحين ، أو الأحمر الرجلين .

أعز من عُقاب الجوّ .

أبصرُ من نَسْرٍ (١) .

أبصرُ من غُرابٍ (٢) .

* * *

العَنْقاءُ والعُقابُ

حلّقت به عَنْقاءُ مُغْرِب .

أوْدَتْ بهم عُقاب مَلاعٍ .

إنَّ البُغاثَ بأرضِنا يَسْتَنْسِرُ (٣) .

وقعت رَخَمَتُه : إذا وافقَه وحبَّه .

* * *

النَّعامُ

الأوْبُ أوْبُ نَعامةٍ (٤) .

---

(١) ليس في الطير أبصر منه يرى الفريسة من مسافة أربع مائة ميل تقريبا .

(٢) لأن الغراب يغمض إحدى عينيه اكتفاء بواحدة لحدة بصره .

(٣) أي من جاورنا عز بنا . والبغاث : طائر بطيء الطيران .

(٤) يضرب لمن يعجل الرجوع ويسرع فيه .

ما يجمع بين الأَرْوَى والنَّعام (١) .

خَفَّتْ نَعامته (٢) .

شَالَتْ نعامتُهم (٣) .

* * *

الصَّقْرُ والبَازِي

صُقْرٌ يلوذُ حَمامهُ بالعَوْسَجِ (٤) .

وهل ينهض البازي بغير جناح (٥) ؟ !

تقلّدَها طوقَ حمامة (٦) .

* * *

---

(١) يضرب في غير المتفقين .

(٢) إذا ارتحل عن منهله .

(٣) اي تفرقوا ، لأن النعامة خفيفة الجري وسريعة الهرب .

(٤) العوسج : نبات متداخل الأغصان ولهذا تلوذ به الطير الجوارح . يضرب للرجل الذي يهابه الناس .

(٥) يضرب لمن قل أنصاره ولمن يدعي علما ليس معه آلته ، وفي الحث على التعاون .

(٦) اي تقلد النعمة تقلداً لازما باقيا .

الغُراب

هم في خَير لا يطيرُ غُرابُهُ .

لا يكونُ كذا حتى يَشيب الغُرابُ .

الحُبَارَى

كلُّ شيَء يحبُّ وَلَدَه حتى الحُبارى .

أَطرِقْ كراً ، إنَّ النَّعامَ في القُرى (١) .

بات فلانٌ كَمَدَ الحُبارَى .

أَطرِقْ كراً إِنكَ لن تُرى

وَعِيدُ الحُبَارى الصَّقْرَ (٢) .

* * *

القَطَا

لو تُرِكَ القَطَا ليلاً لنَامَ .

---

(١) كرا : ترخيم كروان ، أي إذا أراد الكروان ألا يصاد فعليه أن يخفض عنقه فان الأطول عنقا وهي النعام اصطيدت . . يضرب لمن يتكبر وقد تواضع من هو أشرف منه .

(٢) المثل يضرب للضعيف يتوعد القوي .

ليس قَطاً مِثْلَ قُطَيٍّ (١) .

* * *

الطَّيْرُ

إِنَّه لواقِعُ الطَّيْرِ . يُقالُ للحَليم (٢) .

كأَنَّ على رَأسِه الطَّيْرَ (٣) .

خَلا لكِ الجَوُّ فبيضي واصْفِري .

ليس هذا بِعُشِّكِ فادْرُجي (٤) .

لا تأْكلْ حتى تطيرَ عصافيرُ نَفَسِكَ .

طارَ أَنْضَجُها (٥) .

انْقَطَعَ قُوَيٌ من قاويةٍ ، ويقال : قابية من قوبها (٦) .

---

(١) يضرب في اتضاع الصغير من الكبير .

(٢) يضرب هذا لمن يوصف بالحلم والوقار .

(٣) يضرب للحلماء وأهل التأني .

(٤) أي ليس هذا مباتك فاخرج منه . يضرب لمن يدعي أمراً ليس من شأنه .

(٥) يضرب حينما يفلت من الرجل أفضل صيده أو مغنمه .

(٦) يضرب في انقطاع صحبة الأخوين .

كانت بَيْضَةَ الدِّيك (١) .

فلانٌ بيضةُ البَلَدِ : يقال في المدحِ والذمِّ .

أَبْعَدُ مِنْ مَناط العَيُّوق (٢) .

أرقُّ من الهواء .

أطولُ صحبةً من الفَرْقَدَيْن .

أَضْيَعُ من قَمَرَ الشِّتاءِ .

* * *

السَّماءُ والهَواءُ

لا أفعلُ ذلك ما إنّ السَّماءَ سماءُ .

لا أفعلُ ذلك ما إنّ في السَّماء نَجْماً .

رأى فلانٌ الكوكبَ ظهراً ومُظهِراً (٣) .

---

(١) هي آخر بيضه تبيضها الدجاجة ثم تصير عاقراً لا تبيض بعدها . يضرب لمن فعل شيئاً ثم قطعه آخر الدهر .

(٢) يقال لبعده عن مجرى القمر . وتزعم العرب أن القمر رام المسير عليه فعاقه عن ذلك فسمي العيوق .

(٣) أي أظلم يومه لاشتداد الأمر به حتّى لاحت الكواكب . يضرب في الشدائد .

أريها السُّهَى وتُريني القمرُ (١) .

جَلاءُ الجَوْزاءِ : يُضرب للذي يتوعّدُ ولا يَصنعُ شيئاً .

جاء بالضِّحِّ والرِّيح . الضح : الشمس (٢) .

لا أفعلُ ما ذَرَّ شارِقٌ (٣) .

إنْ يَبْغِ عليكَ قومُك لا يبغِ القمرُ (٤) .

هلْ يَخْفَى القَمَرُ ؟ ! .

* * *

في اللّيل والنّهار والغَداةِ والعَشيِّ والزّمانِ والدّهْرِ والأحْوالِ

أَبْقَى من الدَّهْرِ .

---

(١) السهى : كوكب صغير خفي في نجوم بنات نعش ، وأصله أن رجلا كان يكلم امرأة بالخفي الغامض من الكلام وهي تكلمه بالواضح . يضرب لمن اقترح على صاحبه شيئاً فأجابه بخلاف مراده .

(٢) أي جاء بالمال الكثير .

(٣) أي أشرقت الشمس .

(٤) تراهن بنو ثعلبة في الجاهلية على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة فيما إذا رئي القمر مع طلوع الشمس وتحاكموا إلى رجل فقال : إن قومي يبغون علي . فقال العدل : إن يبغ عليك . . . .

أَبْيَنُ من فَلَقِ الصُّبْحِ .

* * *

اللَّيلُ والنَّهارُ

لا أفعل ذلك ما اختلف الجَدِيدان والمَلَوَان والفتيان(١)

لا أفعل ذلك ما اختلف الصَّرْفان (٢) .

السَّميراتُ عليك (٣) .

باتَتْ بليلةٍ حُرَّة .

باتت بليلةٍ شيباءِ .

ليلةٌ ليلاء .

يومٌ أَيْوَم .

المكثار كحاطب الليل (٤) .

الليلُ أخفَى للوَيْلِ .

---

(١) الملوان : الليل والنهار .

(٢) الصرفان : الليل والنهار .

(٣) السمر : الدهر والشدائد . وهو دعاء عليه .

(٤) لأنه لا يرى ما يجمعه فيخلط بين الجيد والرديء وربما نهشته حية في الظلام . يضرب للمخلط في كلامه .

اتَّخِذِ الليلَ جَمَلاً تُدْرِكْ (١) .

لقيتُه صَكَّةَ عُمَيٍّ(٢) .

بَرْدُ غَداةٍ ، غرَّ عبداً من ظمأٍ(٣) .

عند الصَّباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرَى(٤) .

عَشِّ ولا تَغْتَرَّ(٥) .

يأتيكَ كلُّ غَدٍ بما فيه .

لقيتُه ذاتَ العُوَيْمِ(٦) .

---

(١) أي عليك بركوب الليل ، وكابد السرى تنل بغيتك . يضرب في الحث على مزاولة الجهد للظفر بالمطالب .

(٢) صكة : أي نصف النهار في الهاجرة . عمي : اسم رجل من العماليق أغار في هذا الوقت على حي فنسب إليه .

(٣) سافر عبد بكرة فلم يستصحب الماء لما رأى من البرد . فلما حميت الشمس عليك هلك عطشا فقيل ذلك . يضرب في عدم الاحتياط للأمر .

(٤) يضرب في الحث على مزاولة الأمر بالصبر وتوطين النفس حتى تحمد عاقبته .

(٥) أراد رجل أن يفوز بإبله من غير أن يعشيها ثقة بعشب سيجده فقيل ذلك . أي احتط ولا تغتر بما لست على يقين منه . يضرب في الاحتياط .

(٦) العويم : تصغير عام .

عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً(١)

*   *   *

الأمثالُ في : الأرضِ والجبالِ والرِّمالِ والحِجَارَةِ والبُلْدانِ والمواضعِ والماءِ والنار والزنادِ والترابِ والبحرِ

آمَنُ مِنَ الأرضِ(٢) .

أَصْبَرُ مِنَ الأرضِ .

أَوثقُ مِنَ الأرضِ .

أَوطأُ من الأرضِ .

أَحفظُ من الأرضِ .

أَحملُ من الأرضِ .

آكَلُ من النّارِ .

---

(١) أي رويداً حتى ينقضي رجب وهو من الأشهر الحرم لترى أهوالها يضرب في تنقل الدهر .

(٢) آمن : من الأمانة لأنها تؤدي ما تودع .

أَثْقَلُ من ثَهْلان(١) .

أَكْتَمُ من الأَرضِ .

أَكثرُ من الرَّمْلِ .

أَثقلُ من نُضَارٍ (٢) .

أَثقل من عمايةٍ (٣) .

أَثقلُ من شَمام(٤) .

أَثقل من أُحُد(٥) .

أَسرعُ من الماء إلى قَرارِهِ .

أَرقُّ من الماءِ .

* *

الأَرْض

قتلَ أَرضاً عالِمُها(٦) .

---

(١) جبل لبني نمير يقال له : ثهلان الجوع ليبسه ، وقلة خيرانه .

(٢) النضار : الذهب .

(٣) العماية : جبل بالبحرين .

(٤) شمام : اسم جبل .

(٥) جبل بيثرب دارت بجانبه موقعة أحد .

(٦) يضرب في المعرفة وحمدهم إياها .

مَن سلكَ الجَدَدَ أمِنَ العِثارَ (١) .

قتلتْ أرضٌ جاهلَها .

النَّقْدُ عند الحافِرَةِ : قالوا : الحافرةُ : الأرضُ وقيل غير ذلك(٢) .

إنَّه لأرْيَضٌ للخيرِ (٣) .

لقيتُهُ بين سَمْعِ الأرضِ وبَصَرِها(٤) .

لقيتُه بوَحْشِ أصْمِتَ(٥) .

أخذَتِ الأرضُ زَخارِفَها(٦) .

بَرِحَ الخَفَاءُ . الخفاءُ : المتطأطئُ من الأرضِ .

إنْ جانبٌ أعياكَ ، فالحقْ بجانبٍ .

---

(١) الجدد : الأرض المستوية .

(٢) أي لا يزول حافر الفرس حتى ينقد ثمنها لأنها كانت لكرامتها لا تباع نسيئة . يضرب في تعجيل قضاء الحاجة .

(٣) أي خليق له قريب منه ، يضرب للرجل الخير .

(٤) أي بمكان قفر ، حيث لا سامع ولا مبصر .

(٥) وحش : أي المكان الموحش وهو الخالي . وأصمت : علم للفلاة . يضرب لمن لا ناصر له .

(٦) إن طال النبت والتف : يضرب لمن صلح حاله بعد فساد .

منْ تَجَنَّبَ الخَبارَ ، أَمِنَ العِثَارَ(١) .

جاء بالطِّمِّ و الرِّمِّ : الطِّمُّ : البحر . والرِّمُّ : الثرى(٢) .

أَفِقْ قبلَ أَنْ يُحفرَ ثَراكَ .

خُذ من الرَّضْفَةِ ماعليها(٣) .

مايَبيضُ حَجَرُهُ .

رُمِيَ فلانٌ بِحَجَرِهِ .

كانتْ وَقْرَةً في حَجر(٤) .

* * *

الأمثالُ في السَّحابِ والرَّعدِ والبرقِ والرياح والسَّرابِ والمطر والثلجِ والسَّيْلِ والنسيم

أَبردُ من ثَلْجٍ .

---

(١) الخبار : التراب المجتمع بأصول الشجر .

(٢) الطم والرم : البحر والبر ، وقيل الرطب واليابس ، والماء والتراب . للدلالة على العدد الكثير والأمر العجيب .

(٣) أصله : أن الرضفة تلقى في اللبن فيلزق بها شيء منه فتحمله . يضرب في اغتنام عطاء البخيل .

(٤) يضرب لمصيبة احتملها المصاب ولم تؤثر فيه .

أبردُ من الغبِّ : وهو البَرَد .

أبرد من عَضْرَس(1) .

أبْردُ من حَبْقُرٍّ(2) .

أبردُ من عَبْقُرٍّ .

أبردُ من غِبِّ المطرِ .

أخفُّ من النَّسيمِ .

أخفُّ من الهَباء .

أرقُّ من الهباء .

أرقُّ من دَمع الغَمامِ .

أسرعُ من الريحِ .

أسرعُ من البرق .

أسرعُ من السَّيْلِ إلى الحَدُورِ .

هم دَرْجُ السُّيولِ .

---

(1) العضرس : البرد .

(2) الحبقر والعبقر : البرد ، حب الغمام .

مَن يَرُدُّ السيلَ على أدراجِه(١) ؟

* * *

الأمثال في الشَّجَرِ والرَّوْضَةِ والصَّمْغِ والنباتِ والمَرْعَى والشَوْكِ

أَطْيَبُ نَشْراً من رَوْضَةٍ .

أَمَرُّ من العَلْقَمِ .

أَذَلُّ من فَقْعٍ بِقاع (٢) .

أَمَرُّ من الدِّفْلَى .

أَحْمَقُ من رِجْلَةِ(٣) .

أَكْسَى من البَصَلِ (٤) .

أَبْعَدُ خيراً من قَتَادَةِ(٥) .

* * *

(١) أدراج : جمع درج وهو السيل . يضرب فيمن لا يقاوم ولا يدافع .

(٢) الفقع : الكمأة البيضاء ، وذلك أنه لا يمتنع على من اجتناه .

(٣) هي البقلة الحمراء ،تنبت في مسيل الماء فيقلعها السيل. والرجله: المسيل فسميت باسمه .

(٤) لأنه متضاعف القشر .

(٥) القتادة : واحدة القتاد وهو نبات له شوك كالإبر.

طَمِعوا بخَيْر أن ينالوه فأصابوا سَلَعاً وقاراً(١) .

ذليلٌ عاذَ بقَرْمَلَة(٢) .

في عِضَة مايَنْبُتَنَّ شَكِيرُها(٣) .

تحمل عِضَةٌ جناها(٤) .

في عَيْصِهِ مايَنْبُتُ العُود(٥) .

عِيصُكَ مِنْك وإنْ كان آشِبًا(٦) .

---

(١) السلع والقار شجرتا سم. يضرب المثل لمن يتوقع خيرافأصابه شر .

(٢) القرملة : شجرة ضعيفة لا ورق لها .

(٣) الشكير : هو ما ينبت حول الشجرة من أصولها .

(٤) أصله أن امرأة عمدت إلى قدحين متشابهين فحطت فيهما سويقا ، وجعلت في أحدهما سما فوضعت الذي فيه السم عند رأس ضرتها لتشربه ففطنت لذلك فلما نامت حولت الذي فيه السم إليها فأخذته فشربته فماتت . يضرب لمن ينصب الشر لغيره فيصاب هو به .

(٥) العيص : الشجر الكثيف الملتف. فاذا كان العيص كريما كان العود كريما ، وإن كان لئيما كان عوده لئيما .

(٦) العيص : جماعة من السدر تجتمع في مكان واحد . الأشب : شدة التفاف الشجر حتّى لا مجاز فيه . والأشب : عيب لأنه يذهب بقوة الأصول وإذا قصد به المدح فلكثرة العدد . وإذا قصد الذم : أي كثرة لاغناء عندها ولا نفع . المقصود : منك أصلك وإن كان أقاربك على خلاف ما تريد .

النَّبعُ يقرعُ بعضُه بعضاً(١) .

استَغْنَتِ الشَّوكةُ عن التَّنْقيحِ(٢) .

من دونِ ذلك خَرْطُ القَتادِ(٣) .

أَساء رَعْياً فَسَقَى(٤) .

رعَى فأَقْصَبَ(٥) .

شَرُّ الرِّعاءِ الحُطَمةُ(٦) .

كَثُرَ الحَلَبَةُ وقَلَّ الرِّعاءُ .

أمْرَعْتَ فانْزِل(٧) .

---

(١) يضرب في تدافع ذوي القوة . والنبع : شجر تتخذ منه القسي والسهام .

(٢) الشوكة : هي شوكة النخلة ، يضرب في إرادة تقويم ما هو مستقيم .

(٣) القتاد : نبات له شوك كالإبر .

(٤) يسيء الراعي رعي الإبل ويفرط فيه ثم يذهب فيسقيها ملء أجوافها ليحسبها أربابها شباعا .

يضرب لمن لا يحكم الأمر ثم يريد إصلاحه بسوء التدبير فيزيده فساداً .

(٥) أقصب : أي امتنع من الورد ، أي رعى فأساء الرعي .

(٦) أي الذي يحطم الماشية أي يكسرها ويضربها إذا ساقها بعنف . يضرب في سوء الملكة والسياسة .

(٧) يقال لطالب الحاجة ، أي أصبت حاجتك فانزل .

أَصابَ قَرْنَ الكَلأ(١) .

اختلط المرْعيُّ بالهُمَل(٢) .

* * *

الأمثال في الذَّهَبِ والفِضة والحَديدِ والسَّيفِ والرُّمحِ وأَصنافِ السلاحِ

أَحسنُ مِنْ شَنَفِ الأنْضُر(٣) .

أَشدُّ من الحَديد .

أَرقُّ من شِق الجَلم(٤) .

أَنفذُ من الإبرة .

أَضْيَقُ من خَرْت الإبرة(٥) .

أَضْيَقُ من سَمِّ الإبرة .

أَمضَى من الصَّمصَامَةِ(٦) .

---

(١) قرن الكلأ : أنفه لمن أصاب مالا وفيراً .

(٢) أي تساوي النعم الذي له راع وما لا راعي له لسوء الرعية .

(٣) الأنضر : جمع نضر وهو الخالص من الذهب .

(٤) جلم : قطع وجز . الجلم : أداة القطع أو الجز .

(٥) خرت الإبرة : ثقبها . وكذلك سم الإبرة .

(٦) هو سيف عمرو بن معد يكرب أشهر سيوف العرب وأمضاها .

أَمضى من النَّصْل .

أَمضى من سِنان .

أَطولُ من الرُّمْحِ .

أَضيقُ من ظِلِّ الرمحِ .

أنفذُ من خازِقٍ (١) .

أسرعُ من السَّهم .

أَنفذُ من السَّهم .

* * *

الجِلْدُ

خُذْه ولو بِقُرطَيْ ماريةَ (٢) .

ما يَحْسُنُ القُلْبانُ في يديْ حالبةِ الضَّأْن (٣) .

---

(١) الخارق : السهم .

(٢) ومارية : هي بنت ظالم بن وهب بن الحارث أم الحارث بن أبي شمر الغساني وهي أول عربية تقرطت . يضرب في الترغيب في الشيء وإيجاب الحرص .

(٣) القلب : السوار . يراد بحالبة الضأن : الأمَة الراعية . يضرب لمن يرى بحالة حسنة وليس لها بأهل .

لو ذاتُ سِوارٍ لَطَمَتْني .

* * *

الحَديدُ

الحديدِ بالحديد يُفْلَح (١) .

لم أَجِدْ لشَفْرَتي مَحَزّاً .

* * *

السَّيْفُ

سبقَ السيفُ العَذَلَ (٢) .

لا يجتمعُ السيفانِ في غِمدٍ واحد .

إني لأَنظرُ إلى السيفِ وإليكَ (٣) .

مَنْ يَشْتري سَيفي وهذا أَثَرُه (٤) ؟ .

محا السيفُ ما قال ابنُ دارةَ أَجْمَعا (٥) .

---

(١) الفلح : الشق . أي يستعان بالأمر الشديد بما يشاكله ويقاربه .

(٢) يضرب في الأمر الذي لا يقدر على رده .

(٣) أي انظر إلى السيف لأضربك به . يضرب للعدو .

(٤) يضرب للرجل تقدم على الأمر وقد اختبره وجربه .

(٥) يضرب للجبان يتوعد ولا يفعل .

مازِ رأسَك والسيفَ (١) .

سَلُّو السيفَ واستَلَلْتُ المَنْتَن . ويقال المنتل (٢) .

لكلِّ صارمٍ نَبوةٌ .

لا تأمنِ الأحمقَ وبيدِهِ السيفُ .

ذكَّرْتَني الطَّعْنَ وكُنْتُ ناسياً (٣) .

الأمرُ سُلْكَى وليس بمَخلوجَة (٤) .

يشُجُّ مَرَّةً ويأسُو مَرَّة .

الطَّعْنُ يَظهَرُ (٥) .

لأَطعنَنَّ في حَوْصِهم (٦) .

فلانٌ صُلْبُ القَنَاة .

---

(١) ماز : ترخيم مازن أي يا مازن باعد رأسك عن السيف . يضرب في الأمر بمجانبة الشر .

(٢) المنتن : هو السيف الرديء وقيل الخنجر . يضرب لمن لا خير فيه .

(٣) هو من قول رهم بن حزن الهلالي حين اعترضته تغلب .

(٤) السلكى : الأمر المستقيم . المخلوج : المضطرب .

(٥) أي يعطف ذوي الضغائن والعداوات . يضرب للبخيل الذي يعطي على الخوف .

(٦) الحوص : الخياطة بغير رقعة .

ومثله :

إن الهوان لِلَّئيم مَرْأَمَةٌ (١) .

العَصَا من العُصَيَّة .

قَلَبَ له ظهرَ المِجَنّ (٢) .

* * *

الأمثالُ في الحَرْبِ والقَتْلِ والأسْرِ والجُبْنِ والفَزَعِ ، والشَّجاعةِ والغَزْوِ والصِّياحِ

ما كُفى حَرْبٌ جَانِيها .

الحربُ غَشُومٌ .

« الحَربُ خُدْعَةٌ » (٣) .

إنَّ أخا الهَيْجاءِ مَنْ يَسْعَى مَعَكَ .

* * *

---

(١) مرأمة : أي معطفة . يضرب في الانتفاع باللئيم عند إهانته .

(٢) أي تغير عليه وعاداه .

(٣) من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

القَتْلُ

ليس بعد الإسَارِ إلا القَتْلُ .

لا يحزُنْك دَمٌ هراقهُ أَهْلُه (١)

أَهْلُ القَتيلِ يَلُونَهُ (٢) .

أَبَى قائِلُها إلاّ تِمّاً (٣) .

*　　*　　*

الأمثالُ في الثيابِ واللِّباسِ والخزِّ والأدَمِ والقزِّ والآنِيةِ والدَّلِّ والسِّقاءِ والوِعَاءِ والعِطْرِ

أَذلُّ من النَّعل .

أَرْجَلُ من خُفٍّ (٤) .

أَكذبُ مِنْ صُنُعٍ (٥) .

---

(١) يضرب في الشماتة بالجاني على نفسه .

(٢) لأنهم أشد عناية بأمره من غيرهم . يضرب في قيام أهل الاهتمام بالأمر .

(٣) التم : التمام . والمعنى : مضى على قوله ولم يرجع عنه .

(٤) هو خف البعير . أي أقوى على أرجله .

(٥) لكذبهم في المواعيد .

أَحمقُ من الدابغ على التَّحْلِىء (١) .

أَطيبُ نشراً من الصُّوار (٢) .

أَهونُ من رِبْذَة (٣) .

أَهونُ من ثَمِلَةٍ (٤) .

ومثله :

أَعْرَضت القِرْفةُ (٥) .

ما كانوا عندنا إلا كَكَفَّةِ ثَوْبٍ (٦) .

هو كالساقط بين الفِراشَيْن .

شَمِّرْ واتَّزِرْ ، والبَسْ جلدَ النَّمِر .

كَمَّش ذَلاذِلَهُ (٧) .

---

(١) التحلىء : قشرة اللحم تبقى على الإهاب فلا يناله الدباغ حتى يقشر عنه .

(٢) الصوار : فارة المسك .

(٣) الربذة : كل خرقة للتنظيف .

(٤) الثملة : خرقة تطلى بها الإبل الجربى .

(٥) أي عرضت التهمة بحيث لا يقدر على الإحاطة بها .

(٦) يضرب لمن يؤمر بالجد في الحرب خاصته .

(٧) أي رفع أذياله . يضرب للمستعد .

من يَطُل ذيلُه ينتطق بــه (١) .

هو الشِّعار دون الدِّثار (٢) .

جَليسٌ كَثُرَتْ نفسُ شاغليه .

ليس عليكَ نَسْجُهُ فاسحبْ وجُر (٣) .

خَلْعُ الدِّرع بيد الزَّوج (٤) .

فلان نَسيجُ وَحْدِه .

غَرَّني بُرداك من غدافِلي (٥) .

فلانٌ طاهرُ الثيابِ .

لا مَخْبَأَ لعِطْرٍ بعدَ عَروسٍ .

* * *

الأمثالُ في الرَّحَى والطَّعام والأكلِ والشّرب واللَّبَنِ وسائر المأكولاتِ والمشروباتِ

أقْدَمُ مِن الحِنْطَةِ .

(١) والمراد : من كثر ماله أنفق منه .

(٢) يضرب للمختص ، والمقرب .

(٣) أي أنك لم تتعب فيه فلذلك تفسده .

(٤) قالته رقاش بنت عمرو لزوجها كعب بن مالك وقد سألها نزع درعها . يضرب في وضع الشيء في غير موضعه .

(٥) الغدافل : هي الخلقان من الثياب ، يضرب لمن أضاع شيئاً طمعا في خير منه ثم فاته المطموع فيه فيبقى متحسرا على ما أضاعه .

أَشأَمُ من رَغيفِ الحَوْلاء (١) .

أَدقُّ من الشَّخْب (٢) .

أَلينُ من الزُّبْدَة .

أَمْسخُ من اللحم الحِوار ، وأمالِخ (٣) .

أَحْلَى من النَّشَب (٤) .

أَحْلَى من الشَّهد .

أَحلَى من السَّلوى .

أَحلَى من التَّمْرِ الجَنِيّ .

آنَسُ مِن نَخْلَة .

أَعظمُ بركةً مِن نخلةِ مريمَ .

أَسْمعُ جَعْجَعةً ولا أَرى طِحْناً (٥) .

---

(١) هي امرأة خبازة كانت في بني سعد .

(٢) هو ما يخرج من ضرع الشاة كالشعرة في اللبن إذا بدىء بحلبها .

(٣) أي : لا طعم له .

(٤) النشب : المال .

(٥) الجعجعة : صوت الرحى . والطحن : الدقيق . يضرب للجبان يوعد ولا يوقع ، وللبخيل يعد ولا ينجز .

كُلُّ أداةِ الخُبْزِ عندي غَيْرَهُ (١) .

تَطَعَّمَ تَطْعَمْ (٢) .

اعْلُل تَحْظُبُ (٣) .

تَخَرَّسي يا نفسُ لا مُخَرِّسةَ لك اليومَ (٤) .

رُبَّ أكْلة تمنعُ الأكَلاتِ (٥) .

ليس لِشَبْعَةٍ خيرٌ من صَفْرة تَحْفِزُها (٦) .

الثَّيِّبُ عُجالةُ الرَّاكب (٧) .

يُدْرِكُ الخَضْمَ بالقضْمِ (٨) .

---

(١) يضرب عند إعواز الشيء .

(٢) أي ذق حتى يدعوك طعمه إلى أكله . يضرب في الحث على الدخول في الأمر .

(٣) الحظوب : السمن والإمتلاء .

(٤) الخرسة : طعام النفساء والمثل قالته نفساء لم تجد من يتخذ لها طعاما . يضرب لمن يعتني بأمر نفسه .

(٥) يضرب في التحذير .

(٦) الصفرة : الجوعة .

(٧) قيل : هو تمر بسويق . يضرب في الحث على الرضا فيما سهل مأخذه .

(٨) الخضم : الأكل بالفم كله . القضم : الأكل بأطراف الأسنان .

تَجشّأ لُقمانُ من غير شِبَع (١) .

قد نَهيتُكَ عن شَرْبَةٍ بالوَشَل (٢) .

لا تشربْ مَشْرَبَ صَفْوٍ بكدَرٍ .

إنك ريَّانُ فلا تعجلْ بِشُرْبِكَ .

ليس الرِّيُّ عن التَّشَافِّ (٣) .

أكلَ عليه الدهرُ وشَرب (٤) .

أحلُبُ حَلْباً لَكَ شَطْرُه (٥) .

لا أفعلُ ذلك ما اختلفت الدِّرَّةُ والجِرَّةُ (٦) .

لا يكون أوّلَ مَنِ الْتَبَأَ لَبْأَة (٧) .

---

(١) لقمان : يقال هو لقمان العادي . والمثل يضرب لمن يدعي علما ليست معه آلته .

(٢) الوشل : الماء القليل . يضرب في النهي عن سؤال اللئيم .

(٣) أي أن الري يحدث قبل شرب الشفافة ، يضرب في النهي عن استقصاء الأمر والتمادي فيه .

(٤) يضرب لمن طال عمره . يريدون أكل وشرب دهراً طويلا .

(٥) أي اعمل عملا لك بعض فائدته .

(٦) وذلك أن الدرة تسفل والجرة تعلو ، فهما مختلفان .

(٧) ألبأت الشاة ولدها أي أرضعته اللبأ . يضرب لمن لا يعرض نفسه للهجاء .

إنَّ الرَّثيئةَ مما تَفثأُ الغضبَ (١) .

عَرَفَ النخلُ أهلَه .

كُلُّ خاطِبٍ على لِسانِه تَمْرة .

*　*　*

الأمثالُ في المالِ والغِنَى والفَقْرِ ، والصِّدقِ والكَذِبِ ، والحقِّ والباطلِ ، والحُمقِ والحِيلةِ ، والإطراقِ والشَّرِ والظُّلمِ ، والدعاءِ والاعتذارِ والعلم والرأي

لم يذهبْ مِن مالِكَ ما وَعَظَكَ .

خيرُ مالِك ماانفعَك .

جاءَ فُلانٌ بالطِّمِّ والرِّمِّ(٢) .

في وجهِ المال تعرف إمرتَه(٣) .

---

(١) الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو . الفثء : التسكين . يضرب في الهدية تورث الوفاق وإن قلت .

(٢) الطم : البحر . الرم : ما يحمله الماء .

(٣) إمرة المال : بركته ونماؤه . ووجه المال : أول ما تراه . يضرب في معرفة صلاح الأمر عند إقباله .

خيْرُ مارُدَّ في أَهلٍ ومالٍ(١) .

جاء بالهيْل والهيلُمان(٢) .

لفلان كُحْلٌ .

ومِثْله : ولفلانٍ سَوادٌ(٣) .

حَسْبُك من غَنِيّ شِبَعٌ وَرِيٌّ .

الغَنِيُّ طويلُ الذَّيْلِ مَيَّاسٌ(٤) .

سوءُ حَمْلِ الفاقَةِ يَضَعُ من الشَّرفِ .

المَسْأَلة آخرُ كَسْبِ الرَّجُلِ .

الخلَّةُ تدعو إلى السَّلّة (٥) .

رُبَّ مُكْثِرٍ مُسْتَقِلٌّ لما في يده(٦) .

---

(١) أي جعل الله مارجعت به خير ما رجع به قادم . يضرب في الدعاء للقادم من سفره .

(٢) الهيل : ما يوضع على الطعام لتحسين رائحته وطعمه ، معروف في مصر باسم حبهان . وهو فارسي معرب . المقصود جاء بالشيء الكثير .

(٣) السواد : المال الكثير : أي أن كثرته تمنع حصره وعده ، كما أن السواد يمنع إدراك حقيقة الشيء .

(٤) لا يستطيع صاحب الغنى أن يكتمه .

(٥) أي الفقر يدعو إلى السرقة .

(٦) يضرب للشحيح الشره الذي لا يقنع بما أوتي .

من قَنِعَ قَنِعَ ، ومن قنِع شَبِعَ (١) .

إنّ في المرتعة لكل كريمٍ مَقْنَعةً(٢) .

الصدقُ يُنْبي عنك لا الوعيدُ(٣) .

إذا زَلَّ العالِمُ زلَّ بزلّتِه العالَمُ .

عِلْمَانِ خَيْرٌ مِن عِلْمٍ(٤) .

رأيٌ فاتِرٌ وغَدْرٌ حاضِرٌ .

قد أَحْزِمُ لو أَعْزِمُ .

* * *

الأمثالُ في النوْمِ والفَلَكِ والطِّبِّ والمنيَّةِ والدوَّاهي

آلَفُ من الحُمَّى .

أحرُّ من القرعِ .

أطبُّ من ابن حُذَيم . ويقال جَذَمٌ لَمْ(٥) .

---

(١) قنع : أي استغنى .

(٢) المرتعة : الخصب ، والمقنعة : الغنى .

(٣) ينبي : من أنباه إذ جعله نابيا أي يبعد عنك العدو . والمثل يضرب للجبان يتوعد ثم لا يفعل .

(٤) يضرب في مدح المشاورة والبحث .

(٢) ابن حذيم : رجل من تيم الرباب ، كان أطب العرب .

الحُمَّى أَضرعَتْني لكَ(١) .

غُدَّةٌ كغُدةِ البَعيرِ ، ومَوتٌ في بَيتِ سَلوليّةٍ(٢) .

ماهو إلا شَرَقٌ أو غَرَقٌ(٣) .

أضاف حتى مايشتكي السَّوافَ(٤) .

لايَعْدم مانِعٌ عِلَّة .

كان مثلَ الذُبحَة على النَّحْرِ(٥) .

حال الجَرِيضُ دون القَرِيضِ(٦) .

لو كان دَرْءاً لم تَسِلْ(٧) .

---

(١) يضرب المثل في الذل عند الحاجة .

(٢) وفد عامر بن الطفيل على النبي صلى الله عليه وسلم فاستخف به فدعا عليه فأصابته غدة مرض منها فلجأ إلى بيت امرأة من سلول ، فقال ذلك يضرب في خلتي إساءة تجتمعان على الرجل .

(٣) الشرق : أن يدخل الماء في الحنجرة . الغرق : أن يدخل الماء في مجرى التنفس أيضا فيسده فيموت . يضرب للأمر يتعذر من وجهين .

(٤) السواف : وباء يقع في الإبل .

(٥) الذبحة : داء يصيب الحلق وربما قتل . يضرب لمن يظهر الصداقة ثم يتضح غشه وخداعه .

(٦) حال : منع . الجريض : من الغصة أي يبتلع ريقه على هم وحزن . القريض : الشعر .

(٧) الدرءة : خراج يخرج في الإبط والحلق . يضرب لمن يعظم الأمر الذي يشتكيه ويزيد في وصفه .

آخرُ الدواء الكيُّ .

ياطبيبُ طُبَّ لنفسِك ، وطِبَّ أيضاً .

إنَّ الدواهيَ في الآفاقِ تَهتَرِشُ ، ويقال : تَرتَهِس(١) .

إن الخصاصَ يُرى في جوفِه الرَّقَمُ(٢) .

* * *

الأمثالُ الأفرادُ

ضربَ أخماساً لأسداسٍ(٣) .

ويلٌ للشجيِّ من الخليِّ .

خُذْ ماطَفَّ واستطفَّ(٤) .

مايدري قَبيلاً من دَبيرٍ(٥) .

(١) الهرش : الدق . أي أن الآفات يموج بعضها في بعض ويدق بعضها بعضا كثرة . ويضرب عند اشتداد الزمان واضطراب الفتن .

(٢) الخصاص : الفرجة الصغيرة بين الشيئين . الرقم : الداهية العظيمة . أي أن الشيء الحقير يكون فيه الشيء العظيم .

(٣) الخمس والسدس : من أظمأ الإبل .

(٤) طف : إذا ارتفع وقل .

(٥) الشاة المقابلة : التي شق أذنها إلى قدام ، والمدابرة : التي شق أذنها إلى الخلف .

سَمِنَ فأَرِنَ(١) .

عاد الحَيْسُ يُحاسُ(٢) .

هما صوعان في إناء .

اعْتَبِرِ السَّفَرَ بأوّله .

سَوَّاءٌ لوّاءٌ ، وقال بعضهم : سواهِ لواهِ(٣) .

أُذْكُرْ غائباً يَقْتَرِب .

هذه بتلك فهل جزيتُك .

الحفائظُ تُحلِّلُ الأحقادَ .

مَلَكْتَ فاسجِحْ(٤) .

المقدِرةُ تُذهِبُ الحَفيظةَ .

لولا الوئامُ هَلَكَ اللِّئامُ .

من يَبْغِ في الدِّينِ يَصْلَفُ(٥) .

أنا غَرِيرُك من هذا الأمر .

على الخبيرِ سَقَطْتَ(٦) .

* * *

(١) الأرن : النشاط . يضرب لمن تعدى طوره .

(٢) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فلا يكـــون طعاما فيه قوة ، ثم أطلق على المخلوط ، أي عاد الفاسد يفسد .

(٣) يضرب للمتلون الذي لا يثبت على حال .

(٤) أي قدرت فاعف .

(٥) أي من يطلب الدنيا بالدين قل حظه منها .

(٦) الخبير : العالم . سقطت : عثرت .

الباب الخامس

النّجومُ والأنواءُ(١) ومنازلُ القَمَرِ على مَذْهَبِ العربِ

نذكُرُ أولا في هذا البابِ مَنازلَ القمرِ وماقالتِ العربُ فيها ، وفي نزولِ القمرِ بها أو مصورة عنها ، وطلوعِ كلِّ واحدٍ وسقوطِ رَقيبه منها ، ثم نذكرُ الصورَ والبروجَ ، والصورَ خاصةً ، وعلى موضِعه من بروجِه الذي هو فيه من فَلَكِ البروج عامّة بعونِ اللهِ تعالى.

فأمّا المنازلُ وهي ثمانيةٌ وعشرون نَجما الشَّرَطانُ والبُطينُ والثريا والدبَران والهَقْعَةُ والهَنْعةُ والذِّراعُ

---

(١) معنى النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق ، في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان لها أربعة عشر يوما ومنهم من اعتبر النوء للطلوع والسقوط كأنه من الأضداد ، والمنجمون يجعلون النوء للطالع ، لأن النوء له التأثير والقوة والغارب ساقط لا قوة له ولا تأثير ومنهم من جعل النوء علما للمطر ، ووقتا له .

والنثرةُ والطرفةُ والجبهةُ والزُّبْرةُ والصَّرْفَةُ والعواءُ والسِّماكُ والغفرُ والزبانيان والإكليلُ والقَلْبُ والشَّوْلَةُ والنعائمُ والبلدةُ وسعدُ الذابحِ وسعدُ بُلَعَ وسعدُ السعودِ وسعدُ الأخبيةِ وفرغُ الدلوِ المقدمُ ، وفرغُ الدلوِ المؤخرُ ، وبطنُ الحوتِ .

قالتِ العربُ في أسْجاعها عندَ طلوعِ كلِّ نجمٍ : إذا طلعَ الشَّرَطانُ ألقتِ الإبلُ أوبارَها في الأعطانِ ، ويوشك أنْ يَشْتَدَّ حَرُّ الزمانِ .

ثم البُطين فقالت : إذا طلع البُطين ، طلعتِ الأرضُ بكلِّ زَيْنٍ ، وحَسُنَتْ في كلِّ عَيْنٍ .

ثم الثُّرَيَّا(١) : — وهو النجمُ — إذا طلعَ النَّجْمُ ، فالبردُ في هَدْم ، والعاناتُ في كَدَم ، والفلاحون في ضَجم ، والقَيظِ في حَذْم ، والبردُ في حَطْم ، والعُشْب في صلم .

---

(١) المقصود بالحذم أنه يهيج وينكسر ، وأراد بالعانات : القطيع من حمر الوحش مفردها : عانة . وقيل : الأتان . والصلم : القطع والاستئصال .

ثم الدَّبَران (١) : إذا طلعَ الدَّبَران توقَّدَتِ الحزّانُ ، وأُخْمِدت النيرانُ . وبات الفقير بكل مكان .

ثم الهَقْعَةُ (٢) : إذا طلعتِ الهَقْعَةُ ، انتقلَ الناسُ للقُلعةِ .

ثم الهَنْعة : إذا طلعتِ الهنْعةُ طلبَ الناسُ النُّجْعَةَ ، وأحبوا إلى الوليفِ الرجعةَ .

ثم الذِّراعُ : إذا طلعتْ الذراعُ ، حسرتِ الشمسُ القِناعَ ، وأشعلتْ في الأفق الشعاعَ ، وترقرقَ السرابُ بكل قاعٍ .

النثرة : إذا طلعت النثرةُ ، التُقِطَ البلحُ بكثرة ، وأصابك من القرِّ خُضرةٌ ، ويوشك أن تظهرَ الخضرةُ .

---

(١) الدبران : كوكب وقاد على أثر نجوم تسمى « القلاص » وقيل له دبران لأنه دبر كوكب الثريا . أي جاء خلفها .

والحزان هي الأرضون الصلبة لشدة وقع الشمس عليها ، مفردها : حزيز .

(٢) سميت هقعة تشبيها بدائرة الفرس يقال : لها الهقعة ، وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة .

ثم الطَّرفة(١) : إذا طلعت الطّرفة ، حَسُنَت السعفةُ ، وصار التمرُ تُحفةً .

ثم الجبهة(٢) : إذا طلعت الجبهةُ أرطبتِ النخلةُ ، وحسنَ النخلَ حملُه .

ثم الزُّبرة : وهي الخراتان(٣) ، إذا طَلعَتْ الزُّبرة أرطبت البسرةُ(٤) وإذا طلعت الخراتان طابتْ أمُّ الجرذان ، وتزينت القنوانُ .

ثم الصَّرْفَةُ : إذا طلعت الصَّرفةُ احتال كُلُّ ذي حرفة(٥) ، ورأيتَ الطيرَ حفةً ، وفشَتِ الخفةُ .

---

(١) الطرفة : المقصود به : طرف الأسد ، وهما كوكبان بين يدي الجبهة .

(٢) الجبهة : جبهة الأسد .

(٣) الخراتان : كوكبان نيران على إثر الجبهة منهما قيد سوط ، الواحدة : خراة .

(٤) البسر : أول طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر رطب ثم رطب ثم تمر ، الواحدة بسرة .

(٥) أن برد الشتاء قد أقبل فيضطرب صاحب الحرفة ويحتال للشتاء ، يصلحه فيه .

ثم العوّاءُ : إذا طلع العوّاء لم يبقَ في كرمٍ جناءُ ، واكتنسَ (١) الظباءُ ، وطاب الهواءُ وضُرِب الخِباءُ ، وأمنَ على عودِه الحرباءُ .

ثم السماك : إذا طلعَ السِّماكُ ولَّتِ العكاكُ (٢) فأجل حراكَ . وأصلحْ خباكَ ، وصَوِّبْ فناكَ ، فكأنك بالفَرْقَدِ أتاكَ .

ثم الغَفْرُ : إذا طلع الغَفْرُ ، حَسُن في عين الناظرِ الجمرُ ، وطابَ التمرُ ، وذهبَ البسرُ . وأتى من البردِ السفْرُ (٣) .

ثم الزّبانيان(٤) : إذا طلعت الزبانى فاطلبْ ما يكفيكَ زمانا ، واستعددْ لشتائك ولا تَوانَى .

ثم الإكليلُ (٥) : إذا طلع الإكليلُ ، هاجتْ الفحولُ ووقَى كلُّ خليل ، واستبانَ على أهلِه الكثيرُ والقليلُ .

---

(١) أي تدخل في الكنس من شدة الحر ، وهو موضع في الشجر يكتن فيه ويستتر .

(٢) العكاك : الحر .

(٣) السفر : المسافرون .

(٤) الزبانيان : زبانيا العقرب أي قرناهما وهما مفترقان .

(٥) إكليل العقرب هو رأسها .

ثم القَلْبُ (١) : إذا طلع القلبُ ، جاء الشتاءُ كالكلبِ ، ووقعَ الثلجُ كالتربِ وطلع على النسرِ كالركبِ ، وانحجرَ من البرد الضَّبُّ .

ثم الشَّوْلَةُ (٢) : إذا طلعتِ الشولةُ ، أتاكَ الشتاءُ بصولةٍ ، وخَرَجَ النحلُ ، وللطيرِ عليهن دَولةٌ .

ثم النعائمُ : إذا طلعت النعائم ، التطتِ البهائمُ من الصَّقيعِ الدائمِ ، وخلصَ البردُ إلى كل نائمٍ .

ثم البلدةُ : إذا طلعتِ البلدةُ ، أصاب الناسُ من البردِ شدةٌ ، وفَشَتْ الرعدةُ وأُكِلتْ القشدةُ ، وقيل للبردِ : اهده .

ثم سعدُ الذَّابحِ : إذا طلع سعدُ الذابحِ ، انحجزتِ الضوابحُ ، ولم تهرَّ النوابحُ ، من البردِ البارحِ ، وأوْرَى عُوده كلُّ قادحٍ .

---

(١) القلب : قلب العقرب وهو الكوكب الأحمر وراء الإكليل بين كوكبين ؛ فأول النتاج بالبادية مع طلوع قلب العقرب وهو يطلع في البرد .

(٢) الشولة : كوكبان متقاربان يكادان يتماسان في ذنب العقرب .

ثم سَعْدُ بُلَعَ : إذا طلع سعد بُلَعَ ، شبع العاجزُ الهبعُ ، وطاب الوقعُ ، وهيئت الربعُ (١) ، وكأنك بالبردِ قد انقشعَ .

ثم سَعْدُ السُّعودِ : إذا طلع سعدُ السعودِ ، ذابَ كل مَجْمودٍ ، وخَضِرَ كلُّ عودٍ ، ووقى كل مَصْرودٍ ، وانتشر كلُّ مولودٍ ، وكُرِهَ عند النارِ القُعودُ (٢) .

ثم سعدُ الأخبيةِ : إذا طلع سعد الأخبية طابتِ الأفنيةُ ، وقصرت الأبنيةُ وزُمَّتِ الأسقيةُ ، وانتشرتِ الأخبيةُ (٣) .

ثم فَرْغُ الدَّلْوِ المقدمُ (٤) : إذا طلع الدلوُ ، شبع الضعيفُ الحلوُ ، وهِيبَ الجزوُ ، ومن القَيْظِ بعضُ الشبوِ .

---

(١) والهبع : ما نتج من أول النتاج وهو ضعيف وسمي هبعا لأنه إذا مشى خلف أمه هبع أي استعان بعنقه لضعفه . والربع : ما نتج في أول النتاج .

(٢) ويسمى الفرغ الأول .

(٣) وهو الفرغ الثاني .

(٤) قد يسمى الحوت أيضاً . الرشاء .

ثم فرغُ الـــدلو المؤخرُ : إذا طلـــع الفرغُ ، طلب الكلبُ الوغلَ ، وشبع الفحلُ فلم يرعَ .

ثم الحوت (١): وهو السمكةُ: إذا طلعتِ السمكةُ، وتعلـَّقتْ بالثوب الحسكةُ ، نُصِبت الشبكةُ ، وطاب الزمانُ للنَسكـَةِ (٢) .

وقالوا أيضاً « طلع النجمُ عشاءً ، ابتغَى الراعي كِسَاءً » .

يريدون طلوع الثُّريا بالعشيات وذلك عند اشتدادِ البردِ . « وطلع النجم غُديـَّةً ، ابتغى الراعى شُكـَيـَّةً » (٣) يريدون شَكوة يحمل فيها الماء.

وجعلوا السنَة أربعةَ أجزاء . فجعلوا الزمنَ الأولَ الصفرية . وسموا مَطَرَه الوَسْمِيَّ (٤) وحصتُه من السنة

(١) الحسكة: شوكة صلبة تعرف بشوكة السعدان، أي أن النبت قد اشتد وقوي فعلقت الحسكة بالثوب وغيره .

(٢) والنسكة : المقصود : النساك .

(٣) تصغير شكوة وهي القربة الصغيرة .

(٤) يسمى وسمها لأنه يسم الأرض بالنبات .

واحدٌ وتسعون يوماً ، وجعلوا حصتَه من النجومِ سبعةَ أنجمٍ تسقطُ مع الفجرِ إلى طلوع الشمسِ بين كل نجمين ثلاثةَ عشرَ يوما ، فأولُ الصفريةِ وهو أولُ الوسمي سقوطُ أولِ نجومه ، وهي عرقوةُ الدلوِ السفلى وهو الفرغُ الأسفلُ .

والحوتُ والشرطانِ والبطينُ والثريّا والدّبرانِ والهقعةُ ، وسقوطُ عرقوةِ الدلوِ السُّفلى يكون لِعَشْرٍ يمضينَ من أيلول ، ويستوي الليلُ والنهارُ بعد ذلك بأربعَ عشرَ ليلةً وهو فصلٌ ، وسقوطُ كل نجم أنْ يَنظر إليه الناظرُ مع طلوع الفجرِ إذا قَيَّدَ فرسَه من تحتِ بَطْنِها في الأفقِ مما يلي المغربَ وكلما سقطَ نجمٌ طلعَ نظيرُه من المشرقِ ولا يرين الطالع عند سقوطِ الساقط لأنه قريبٌ من الشمس ، فيفضحه ضوء النهار ، ونوء كل نجم ما بعده إلى سقوط النجم الذي يليه ، فإذا تمَّ سُقوطُها انقطعَ مطرُ الوسميّ . وجعلوا الزمنَ الثاني الشتاءَ وحصته من السنة أحدٌ وتسعون يوما بسقوطِ أولِ نجومه المنعة والذراع والنثرة والطرفة والجبهة والزبرة والصرفة ، فسقوطُ الهنعةِ يكون لعَشْرٍ

ليالٍ تمضي من كانون فعند ذلك تسقطُ الهنعةُ وينتهي طولُ الليل وقِصَرُ النهار بإحدى عشرةَ ، فإذا سقطت الصرفة قالوا : انصرف الشتاءُ ، فعند ذلك ينقطعُ الشتاءُ ، ومنهم من يسمي الشتاءَ ربيعاً . ثم جعلوا الزمنَ الثالثَ الصيفَ وهو زمنُ الرَّبيع وحصَّتُه من السنةِ إحدى وتسعون يوماً وهو في آذارَ قالوا « إذا مضى عَشْرٌ من آذارَ ، بردَ ماءُ الآبارِ ، وتصرم الثمارُ ، وصور النحلُ الآبار ، واشتهى الغلام الإزارَ ، وشُدَّتْ على المطايا الأكوارُ ، واستوى الليلُ والنهار » وحصتُه من النجوم العواءُ والسماكُ والغفرُ والزبانيان والإكليلُ والقلبُ والشولةُ ، فسقوطُ العواءِ في أحدَ عشرَ يوما من آذار ويستوى الليلُ والنهارُ بعد ذلك بإحدى عشرةَ ليلةً فإذا تمَّ سقوطُ هذه انقضى مطرُ الصيفِ وذلك عند طلوعِ الثُّريا .

وجعلوا الزمنَ القيظَ ويُسَمَّى مطرُ الخريفِ وحصتُه من السنين إحدى وتسعون يوماً، بسقوطِ أولِ نجومهِ وذلك لِعَشْرٍ تمضي من حزيرانَ ونجومُه النعائمُ والبلدةُ وسعدُ الذابح وسعدُ بلع وسعدُ السعود وسعدُ الأخبية وعرقوةُ

الدلو العليا وهي الفرغُ المقدمُ فإذا تَمَّ سقوطُها انقطع مطرُ الخريف وزمانُ القيظ وعاد زمانُ الصفرةِ . فتلك أربعةُ أزمنةٍ عددها ثلاثمائةٌ وأربعةٌ وستون يوماً ويزاد فيها يومُ الجبهةِ حتى يتم العددُ بثلاثمائةٍ وخمسةٍ وستين يوما ويصحُّ كلُّ زمنٍ في وقته .

ومن العربِ مَنْ جعلَ السنةَ ستَّةَ أجزاء ، فجعلَ الزمانَ الأولَ الوسميَّ وجعل حصّته من السنة شهرين وحصتُه من النجوم أربعةُ أنجمٍ وثلثي نَجم .

وجعل الزمنَ الثاني الشتاءَ ، وجعل حصتَه من السنة شهرين ومن النجومِ أربعةَ أنجمٍ وثلثي نَجم .

وجعل الزمنَ الثالث الربيعَ ، وجعل حصتَه من السنة شهرين ومن النجوم أربعةَ أنجمٍ وثلثي نجم .

وجعل الزمنَ الرابعَ الصيفَ وحصته من السنة شهرين ومن النجوم أربعةَ أنجمٍ وثلثي نجم .

وجعل الزمنَ الخامسَ الحميمَ وجعل حصته من السنة شهرين ومن النجوم أربعةَ أنجمٍ وثلثي نجم .

وجعل الزمنَ السادسَ الخريفَ وجعل حصته من السنة شهرين ومن النجوم أربعةَ أنجم وثلثي نجمٍ .

ويكرهون أن يكونَ ابتداءُ مطرهم بالشرطين أن يكونَ ذلك العامُ جدباءَ . ويقولون : إنه إذا أصابهم في الشرطين مطيرٌ قالوا : نخافُ أن يكونَ أحداجاً من الأنواء

يسمونها الأنيسين ويقال للواحد الأنيسُ ويقال : هما كوكبان بين يدي شرطين وسقوط الجبهة هو أول الربيع ، وهو انكسارُ البرد ، وظهورُ مظهر الدفء ، وإنهاكُ العشب ، ونتاجُ الإبل ، وتوليدُ الغنَمِ ، وحينئذ ينتجون ويولدون ويحضنون .

وأولُ منازلِ القمرِ : الشَّرطانِ ويقولون هما قرْنا الحملِ ، وهما كوكبان مفترقان عند الأعلى ، الشاميُّ منهما كوكبٌ صغيرٌ ، وتسميان « أيضا النطحُ » وهما عن يمين المدققِ ويدعيان أيضا « الإنسانين » ولسقوطهما بالغداةِ نوءُ ليلة ، ولطلوعهما بالغداه بارحَ ليلةِ واللّهُ أعلمُ . ثم ينزل بالبُطَينِ وهو بَطْنُ الحملِ ،

وهو ثلاثةُ كواكبَ صغارٌ متفرقاتٌ غيرُ نيِّراتٍ وهي عن يمين المنكب ، ولسقوطهما نوء ثلاثة ليالٍ ، ولطلوعهما بارحَ ثلاثِ ليال . ثم ينزلُ بالثُّريا وهي ستّةُ كواكبَ مجتمعات طَمَسَ على حلقه إليةُ الشاةِ ، ونوءُها سبعُ ليال وبارحُها أربعُ ليل . ثم ينزل بالدبران ويسمى « التابعُ والمجْدَحُ » ويسميه بعضُ العرب « الضيِّقَةَ » وهو كوكبٌ أحمرُ نيِّرٌ ، ويُسَمِّي الكواكبَ الصغارَ التي مع القلائص نوءُ ليلة ، وبارحة ليلة وهو أول بوارحِ الصيفِ ويقصُر القمرُ أحيانا فينزلُ بالضيقة وهي بين النجم والدبران كوكبان صغيران متقاربان كالملتصقين وقد قال الشاعر :

بضيقةٍ بين النجمِ والدبرانِ

ثم ينزلُ بالهَقْعَةِ وهي رأسُ الجَوْزاء وتُسَمَّى « تحياه » وهي ثلاثةُ كواكبَ متقاربةٌ ، كما تنكتُ في الأرض بالإبهام والسبّابة الوُسطى مضمومة ، ونوءُها ثلاثُ ليال وبارحُها ليلةٌ . ثم ينزل بالهنعةِ وهي في المجرّةِ وبينهما وبين الذراعِ المقبوضةِ وهما كوكبان مُقترنان ، وعندهما يقطع القمرُ المجرة شاميا ونوءُها ثلاثُ ليال

وبارحها ليلة . ثم ينزل بذراع الأسد المقبوضة ، وهما كوكبان نيِّران بينهما كواكبُ صغارٌ يقال لها « الأظفار » ويبعد أحيانا فينزل بالذراعِ المبسوطةِ وهما أيضا كوكبان أحدهما نَيِّر يقال لها الشعرَى الغُمَيْصاء ، والآخر أصغرُ منه يميل إلى الحُمْرة يقال له « المِرْزَم » وهو مِرْزَم الذراعِ ، ونوءها خمس ليال ؛ وعند ذلك يشتدّ البردُ ، وبارحها ليلة وعند طلوعها تشتد رياح الصيفِ ويكثر الحرورُ والسمومُ ، ثم ينزل بالنثرة وهي فمُ الأسد ومِنخراه وهي لطخةٌ صغيرة بين كوكبين صغيرين وتُدعى أيضا باللّهاة ، ولسقوطها نوء ليلة ولطلوعها بارح ليلة ، وهو أشدّ ما يكون الحرُ . ثم ينزل بالطرفِ وهما كوكبان صغيران مفترقان ، وهما عينا الأسد وقدام الطرف كواكبُ صغارٌ يقال لها : الأشفارُ ونوءه ستّ ليال وفيه تَنِق الضفادعُ ، وتتزاوج الطير وتهبّ الجنائب ولطلوعه بارح ليلة ، ثم ينزل بالجبهة(١) وهي كواكب أربعة ، وهو فيها عوج أحدهما براق وهو اليماني منها ، ونوءها سبعُ ليال وفيه ينكسرُ حَدّ الشتاء ، وتورقُ

---

(١) المقصود هنا جبهة الأسد .

الشجرُ ، ويزقو المكاءُ ، بارحها ليلة وسُهَيلٌ يطلع بالحجازِ مع طلوع الجبهةِ ثم ينزل بالخراتين وهما كوكبان نيران وهما زبرةُ الأسدِ ، ولسقوطهما نوء ثلاثِ ليال ويُرى فيه المطرِ فإن أخلَف فبردٌ شديدٌ ، ولطلوعهما بارح ثلاث ليال ، ويُرَى سهيلٌ بالعراق .

ثم ينزل بالصرفةِ وهي كوكبٌ أزهرُ ، عنده كواكبُ صغارٌ طمس ويُسمَّى قُنْبُ الأسد ، ونوؤها ثلاث ليال ، وعند طلوعها ، برد الليل كله ، ثم ينزل بالعوّاء وهي خمسةُ كواكبَ مُصْطَفَّةٌ كأنها كتابة « ألف » وتُدعى وركا الأسد وبعضهم يقول : كلابٌ تتبع الأسد . ونوؤها ليلةٌ وبارحها ثلاث ليال وربما كان مطر هذا البارح لأنه يوافق نَوْءَ الدلوِ .

ثم ينزلُ السماكَ الأعزلَ وهو كوكبٌ أزهرُ ويقال : أحدُ ساقي الأسد والسماكُ الرامحُ الساق الأخرى ، ويعدل أحيانا فينزل بعَجُزِ الأسد وهي أربعةُ كواكبَ أسفل العواء يمانية وتدعى أيضا : عرشُ السِّماك ، ولسقوط السماك نوءُ ليلة ، ولطلوعه بارحُ ليلة ثم ينزل

بالغفر وهو ثلاثةُ كواكبَ غيرُ زُهْر ، ثم كوكبان مفترقان وهما قَرنا العقرب ويسميهما أهــلُ الشّام يدا العقربِ ، ثم ينزل بالإكليل وهو رأسْ العقرب وهــو ثلاثةُ كواكبَ مصطفة ، ثم ينزل بالشّولةِ وهي ذَنَبْ العقربِ ويسميها أهل الشّامِ الأمرة ، وتقصر أحيانا فينزل بالغفرِ مما بين القلب والشــولةِ . ثم ينزل بالنعائمِ وهي ثمانيةُ كواكبَ زُهرٌ ، منها أربعةٌ واردةٌ في المَجرّةِ ويُسمى « النعام الواردة » وأربعة خارجةٌ منها تُدعى « النعام الصادرةُ » ، ويدعى موضعُ النعائم : « الوصلْ » ثم ينزل بالبلدة وهي رقعةٌ فيما بين النعائم وسعدِ الذابحِ ، موضع قفر ليس فيه كوكبٌ إلا خفي ، ويعادلُ القمرُ أحيانا فينزل بالقلادة ، وهي كواكبُ صغارٌ مستديرة خفيّةٌ فوقَ البلدةِ ، ثم ينزل سعدُ الذابح وهو كوكبان صغيران مقترنان أحدهما مرتفعٌ في الشمال والآخر هابطٌ في الجنوب ، عند الأعلى منهما كوكب صغير يقال هي شاته التي يذبحها ، وبين الكوكبين قدر ذراع في العين وكذلك كل سعدٍ في السعودِ .

ثم ينزل بسعدِ بُلَعَ، وهما كوكبان صغيران مستويان في المجرى .

ثم ينزل بسعدِ السعودِ وهو ثلاثةُ كواكبَ أحدهما أنورُ من الآخرين ويقصرُ القمر أحيانا ، فينزل بسعد بأثره . وهما كوكبان أسفلُ من سعدِ السعود ، ثم ينزل بسعدِ الأخبيةِ وهو أربعةُ كواكبَ ، واحد منها في وسطها ، ثم ينزل بعرقوةِ الدّلو العليا ، وهي كوكبان أزهران مفترقان يقال لهما فرغا الخريف ، ويدعيان ناهِزَيْ الدلو المقادمين ، والناهزُ الذي يحرك الدلو ليمتلىء ، ثم ينزل بعرقوة الدلو السّفْلَى وهي كوكبان أزهران مُفتَرّقان ويقال لهما فرعا الربيع ويدعيان ناهزيْ الدلو المؤخرين ، ولسقوطهما بالغداة نوءُ أربع ليال ، ولطلوعهما بالغداة بارحُ ليلة ، ويقصرُ القمر أحيانا فينزل بالكربِ ، والكربُ الذي في وسط العراقِ ، وربما نزل ببلدة الثعلبِ وهي بين الدلو والسمكة عن يمين المرفق ثم ينزل ببطن السمكة وهو كوكبٌ أزهرُ نَيِّر في وسط منها مما يلي الرأس ، وصورةُ السمكةِ التي في المجرى على حلقة السمكة كواكب تنشرج في فم السمكة فلا تزال تتسعْ كالجبلين

إلى وسطها ، ثم لا تزال تنضم إلى ذنبها ، ويعدلُ القمر أحيانا فينزلُ بالسمكة الصغرى وهي أعلاهما في الشمال على مثلِ صورتها إلا أنها أعرضُ وأقصرُ ، وهي تحتَ نَحْرِ الناقةِ ، ولها نوءُ ليلة عند العربِ ولطلوعها بالغداة بارحُ ليلة .

قد ذكرنا منازلَ القمر وما قيلَ من العرب في الأنواء والبوارحِ والمنازلِ ونذكرُ الآنُ صورَ الكواكبِ على مذهبِ المنجمينَ ، ونسبَ كلِّ كوكبٍ عرفته العربُ إلى موضعه منها بعون اللّه وتوفيقه .

قالوا : إن جميعَ الكواكب المرصودةِ سوى الصغارِ التي لم ترصد ألف واثنان وعشرون كوكبا سوى الصغيرةِ وهي ثلاثةُ كواكبَ تجمعها ثمانٍ وأربعون صورةً ، منها في النصف الشمالي إحدى وعشرون صورة وأسماؤها الدبُّ الأصغرُ ، والدبُّ الأكبرُ ، كوكبةُ التِنِّين ، قيقاوسُ العَوّاءُ الذي يقال له الصيّاحُ ، الإكليلُ الشماليُّ وهو الفكّةُ ، الجاثي على ركبته ، الشلياقُ وهو النّسْرُ الواقعُ ، الطائرُ وهو الدجاجةُ ، ذاتُ الكرسي ، برشاوشُ وهو حاملُ رأسِ الغول ، ممسكُ الأعنّةِ ، الحَوّاءُ

الذي يمسك الحيَّةَ ، حيَّةُ الحوّاءِ ، السَّهْمُ ، العُقابُ وهو النّسْرُ الطائرُ ، الدلفينُ ، قطعةُ الفرسِ الثاني المسلسلةُ ، المثلثُ ، كَوكبةُ الفرسِ الأعظمِ .

وعددُ كواكب هذه الصورة التي من نفس الصورةِ ثلاثُمائةٍ وواحدٌ وعشرون كوكبا . والتي حوالي الصور تسعةٌ وعشرون كوكبا ، ومنها على فَلَكِ البروجِ اثنتا عشرةَ صورةً وهي : الحملُ ، والثورُ والتوأمانِ ، والسَّرَطانُ ، والأسدُ ، والعذراءُ ، والميزانُ ، والعقربُ ، والرامي ، والجديُ ، وساكبُ الماء وهو الدلوُ ، والسمكتان وهما الحوتُ .

وكواكبها من نفس الصورِ مائتان وتسعة وثمانون كوكباً وحوالي الصور سبعةٌ وخمسون كوكبا سوَى الضّفيرةِ ، ومنها في النصفِ الجنوبي خمسَ عشرةَ صورةَ وهي قيطسُ ، والجبارُ وهو الجوزاءُ ، النهرُ ، الأرنبُ ، الكلبُ الأصغرُ ، السفينةُ ، الشجاعُ ، الباطئةُ ، الغرابُ ، قيطورسُ ، الضبعُ ، المجمرةُ ، الأكليل الجنوبيُّ ، الحوتُ الجنوبيُ ، وكواكبها مائتان وسبعة وتسعون كوكبا ، وحوالي الصورِ تسعةَ عشرَ كوكبا .

فأوّلُ الصورِ كوكبةُ الدبِّ الأصغرِ : وكواكبها من نفسِ الصورة سبعةٌ منها ثلاثةٌ على الذنبِ ، وأربعةٌ على مُرَبَّعٍ مُستطيلٍ . والعربُ تسميه بناتُ نعشٍ الصُّغْرَى ، منها أربعة التي على المربع « نعشٌ » والثلاثة التي على الذنبِ « بناتٌ » وتسمى النيرين من الأربعة الفرقدين ، والنير الذي على طرف الذنب الجدي ، وهو الذي يُتَوَخَى به القبلة ، وموضعُ الثلاثة التي على الذنب من قسمة البروج في الجوزاء والأربعة الأخرى في السرَطان .

وكواكبُ الدبّ الأكبرِ سبعٌ وعشرون من الصورة وثمانية حوالي الصورة ، والعربُ تسمي الأربعةَ النيرةَ على مربّع نعشٍ « سرير بناتِ نعشٍ » ، والثلاثة التي على الذنب « بنات نعش الكُبرى » . وبني نعش وآل نعش وتسمى الذي على أصل الذنب الجوزُ ، والتي على وسطه العناقُ والذي على طرفه القايدُ وفوق العناق كوكبٌ صغيرٌ يلاصقُ له يسمى السُّها والستا وهو الذي يمتحنُ به أبصارهم ويسمى الصَّيْدَقَ ونُعَيْشاَ وفي أمثالهم « أريها السها وتريني القمر » (١) . وتسمى الستة التي على

---

(١) والمثل يضرب لمن يغالط فيما لا يخفى .

الأقدام الثلاثة على كل قدم اثنان في قدر واحد ، على ثلاثة من أقدام الدُبّ ، على رِجْله اليمنى ، كوكبان تسمى « قفزاتُ الظِباءِ » ، كل اثنين منها قفزة تشبه أثر ظِلْفَي الظبي ، والفقرة الأولى وهي التي على الرجل اليمنى من الصورة تتبعها الصرفةُ وهو الكوكبُ النَّيرُ الذي على ذنب الأسد . والضفيرةُ وهي الكواكبُ المجتمعة التي فوق الصرفة وهي التي تسميها العربُ « الهليةَ » ، وبين الهلية وبين القفزة الأولى من البعد مثل البعد ما بين كل قفزتين . تقول العربُ : « ضربَ الأسدُ بذنبه الأرضَ فقفزتِ الظباءُ » . وتُسَمَّى أيضاً الثعيلياتُ والقرائنُ . ويسمون الكواكبَ السبعةَ التي على العنق الصورة وصدرها ، وهي كأنها نصفُ دائرة ، تُسمى سريرَ بنات النعشِ ، والحوضُ والكواكبُ التي على الحاجب والعينين والأذن والحطم يُسمى الظِّباءَ ، يقولون : إن الظباءَ لمَّا قفزتْ وَرَدتِ الحوضَ .

وفي الجملة الثانية الخارجة من الصورة كوكبٌ تُسمَّى : كبدَ الأسد وفيها أيضاً كوكبان يسميان مع كواكب خفية كثيرة « أولادَ الظباء » . وأكثرُ كواكبِ هذه

الصورة في السرطان غير الثلاثة التي على الذنب فإن اثنين منهما في الأسد ، والثالث الذي على طرفِ الذَّنَبِ في الأسد .

كوكبةُ التِنّين : وكواكبه أحدٌ وثلاثون كوكبا كلّها حِزاءَ الصورة ، وعلى طرفِ لسانِه كوكبٌ تسميه العربُ : « الراقصَ » وعلى رأسه أربعةٌ تسميه « العوائدَ » وفي وسط العوائد كوكبٌ صغير جداً يسمى « الربعْ » ، وبين العوائد وبين الفرقدين كوكبان نيران يسميان الذئبين والجرين . والعوهقين ، وفي أصل الذنب كوكب يُسمى « الذبح » وقبلهما كوكبان خفيان يسميان أظفار الذئب ، وقد وقعتِ العوائدُ بين الذئبين وبين النّسر الواقعِ فشبّهت العربُ النيرين ، بذئبين ، والراقصُ في العقرب واثنان من العوائد في العقرب ، اثنان في القوس واحد من الأثافي (١) في الحمل واثنان في النور والذنبان والذيخ (٢) في السنبلة والأظفار في الأسد قد طمعا في استلاب الربع (٣) وشبهت

(١) الأثافي : جمع أثفية وهي واحدة حجارة الموقد .
(٢) والذيخ : ذكر الضباع .
(٣) الربع : ولد الناقة .

العوائد ، بأربع أَيْنُقٍ قد عطفنَ على الربعِ ، والنسرَ أيضاً يُحامي عليه ، وعلى وسط الصورة ثلاثة كواكبَ تُسمى الأثافي وهو الملتهبُ .

كوكبةُ قيقاوسَ : وهو الملتهبُ كواكبه أحدَ عشرَ من الصورة واثنان من خارج الصورةِ وعلى جنبه الأيمن كوكبٌ وعلى منكبه الأيسر اختلفت الروايات عن العرب فذكر بعضهم أنها تسميها « كوكَبَيْ الفَرْق » وذكر آخرون أنهما كوكَبَيْ القرن ، وأن هناك رأسَ ثَوْرٍ ، وهذان الكوكبان على قرنيه وليس هناك شيء من ذلك ، وإنما وجدوا الكوكبَ الذي بين هذين الكوكبين . وقد سمته العرب الفرجةَ وموقعه بين الكوكبين كموقع الفرجةِ من أذني الدابّةِ وقرني الثورِ ، فصحفوا الفرقَ وجعلوه قرناً وذلك غلط منهم لأنهم سموها كوكبي الفرق لافتراقهما . والفرجةُ هو كوكبٌ على صدر الصورة ، وعلى مرفقه الأيمن كوكبان وهي على دائرة واسعة من كواكبَ بين كَوْكَبَيْ الفرق وبين الثلاثة التي على طرف الجناح الأيمن من صورة الدجاجة وتسمى هذه الدائرةُ « القدرَ » وبين فخذيه ورجليه كواكب كثيرة تُسمى « الشتاءَ »

وتُسمى « الأغنامَ » أيضاً وهذه الكواكبُ في الثور والحَمَلِ والحوتِ .

كوكبةُ العواءِ : ويُسمى الصيّاح والنقّار وحارس الشمال : كواكبه اثنان وعشرون كوكبا من الصورة ، وواحدٌ خارجَ الصورة ، وهو صورةُ رجلٍ بيده اليُمنى عصاً فيما بين كواكب الفكة وبين بناتِ نعشٍ الكُبرى ، فأما الكوكبُ الواحدُ الخارجُ من الصورة فهو بين فخذيه وتسميه العربُ « السِّماكَ الرامحَ » وإنما سموه رامحاً لأنها شبهت الكوكبين ، أحدهما أعلى فخذ الصورة والآخر على ساقه رمحٌ له ، وشبهت كوكبين متقاربين على منطقة الصورة بعذبةِ الرمحِ من هذا الطرف ، وكوكبين آخرين بعذبة الطرفِ الآخرِ سموا الطرفَ الذي على الفخذ تابعَ الشمالِ ، ورايةَ الشمال ورايةَ الفكةِ ، ويُسمى السماك منفرداً : حارس السماء أيضاً لأنه يُرى أبداً في السماء لا يغيب تحتَ شُعاع الشمسِ ، وكذلك حكم سائر الكواكب التي لها عرضٌ كبير في الشمال . على رأس الصورة ومنكبيه والعصا ، كواكب يسميها العرب «الضِّباعَ» وعلى اليدِ اليسرى وما حولها كواكبُ خَفِيَّةٌ

يسمونها « أولادَ الضِّباعِ » وحولَ السِّماكِ كواكبُ خفيةٌ يسمونها : السلاحَ : وقد يُسمى الذي على الساق اليُسرى مفردا : الرمحَ ، والإثنان اللذان معه السلاحُ وأكثر العرب جعلوا السماكين ساقي الأسد ، وجعلوا الرامحَ على ساقه اليمنى وهذه الكواكب في السنبلة ، والميزان .

كوكبة الإكليل الشمالي : وهي الفكةُ وكواكبها ثمانية على استدارةٍ خلفَ عصا الصياح وتسميها العرب الفكةَ وفي استدارتها « ثلمةٌ » تسميها العامة : قصعةَ المساكين وفيها كوكبٌ نَيِّرٌ تُسمى المنيرَ من الفكة وهي في الميزان والعقرب .

وكوكبةُ الجاثي على ركبتيه : وسمى : الراقصَ أيضا ، وهو صورةُ رَجُلٍ قد مَدَّ يديه ، وكواكبهُ ثمانيةٌ وعشرون سوى كوكبٍ على طرفِ رجله اليمنى ، فإنه مشترك بينه وبين طرف عصا الصياح وعلى يديه كواكبُ تسميها العرب مع كواكبَ أُخَرَ من كوكبة الشلياقِ وهي مصطفة معها النسقِ الشاميّ وعلى رأسه

كوكب تسميه « كلبَ الراعي » وعلى مسافة كوكب تسميه النسقَ مفردا وحوالي النسق كواكبُ تُسمى التماثيل وفي هذه الصورة أيضا كواكبُ من جملة الكواكب التي تُسمى الضباع وهذه الكواكب في القوس ، والميزان .

كوكبةُ الشلياقِ : ويُسمى أيضا اللوزا والصبحَ والمعرفةَ والسلحفاةَ وكواكبه عشرةٌ ، النيرُّ منها هو : النسرُ الواقع ، شبهته العرب بنسرٍ قد ضَمّ جناحية إلى نفسه كأنهما قد وقعا ، والجناحان هما اللذان مع هذا النيرِ على مثلث والعامةُ تسميه : « الأثافي » وقدامَ النيرِ كواكبُ خضبةٌ يسمونها الأظفارَ ويسمون النسرَ الواقع مع قلب العقرب « الهرارين » لأنهما يطلعان معا في كثير من العروض وهي في الجدي .

كوكبةُ الطائر : وهو الدجاجة كواكبه سبعةَ عَشَرَ كوكباً من الصورة ، واثنان من خارج الصورة وأكثر كواكبه في المَجَرَّةِ ، وفي الصورة أربعةُ كواكبَ مصطفةٌ قد قطعت المجرةَ عَرَضاً تسميها العربُ « الفوارسَ » شَبَّهوها بأربعةِ فوارسٍ متساوون ، على ذنبه كوكبٌ

منير تسميه « رِدْفا » كأنه رِدْفٌ للفوارس ، بعضُها في الجدي وأكثرها في الدلو .

كَوكبةُ ذاتُ الكرسي : وهي صورةُ إمرأةٍ قاعدةٍ على كرسيٍ وهي في نفس المجـرة وكواكبها ثلاثةَ عشرَ كوكبا ، والعربُ تسمي النيرة منها « الكفَّ الخضيبَ » وهي كفُّ الثريا اليمنىَ المبسـوطة ، وذلك أنه تمتدُّ من عند الثريا سطرٌ من كواكبَ فيه تقويسٌ فيمر على أكثر كواكب ممسك رأس الغول ، وتتصل بهذه الكواكب النيرةِ ، فَشَبَّهت العربُ السـطرَ بيَدٍ ممدودةٍ للثريا ، وشَبَّهت هذه الكواكبَ النيرةَ بأناملَ مخضوبةٍ وأحدها رسم على الأسْطُرْلاب وتُسمّى : الكف الخضيب ، وتسمى أيضا سنامَ الناقة ، لأن هناك كواكب تُشبه صورةَ ناقة ، ولطخةٌ سحابيةٌ على يدِ مُمسك رأس الغول جعلوها موضعَ السِّمَةِ على فخذ الناقة وهي في الحمل والثور .

كوكبةُ برشاوش : وهو حاملُ رأسِ الغُول ، وهو صورةُ رجل قائم على رجله اليُسْرَى وقد رفعَ رجلَه

اليُمنى ويده اليمنى فوق رأسه ، وبيده اليسرى رأسُ غول ، وكواكبه كلها فيما بين الثريا وبين كوكبة ذاتِ الكرسي ، وهي ستة وعشرون كوكبا من الصورة ، وثلاثةٌ حوالي الصورة . وتمتد من عند اللطخةِ التي على يده اليمنى ، سطرٌ يمر على كواكب كثيرة حتى ينتهي إلى كوكبين على قدمه قريبين من الثريا ، شبهت العرب جميعها مع كوكبة ذات الكرسي التي على ظهر الناقة بيد الثريا ، ممدودة ، فسمت النيِّرة التي على ظهر الناقة الكفَّ واللطخةَ والمعصمَ ، والذي على المرفق الأيمن من حامل رأس الغول مع الذي على منكبه الأيمن الساعد واللذين على الجنب المابضِ ، وآخر على الجنب أيضا إبرة المرفقِ ، وثلاثةٌ أحدهما على القَدَمِ اليمنى واثنان على الجنب العضدِ ، والذي على الساق اليسرى المنكب ، والإثنين المتقارنين اللذين يليان الثريا وهما على القدم اليسرى العاشق ، وهي كلها في الثور .

كوكبةُ ممسك الأعنّة : وهو صورةُ رجل قائم خلفَ ممسك رأس الغول ، بين الثريا وبين كوكبة الدبّ الأكبر ، وكواكبه أربعة عشر كوكبا وعلى رأسه كوكبان تسميها

العرب مع كواكبَ أُخَرَ بقرب منها « الخباء(١) » لأنها على صورة الخباء ، وعلى منكبه الأيسر كوكب نير تسميه العَيُّوقَ ، وعلى مرفقه الأيسر كوكب تسميه « العنز » وعلى المعصم الأيسر كوكبان متقاربان تسميان الجديين وتسمي العيوق لأجل ذلك العناز ويسمونه أيضا : العنز ويُسَمّى رقيب الثريا لأنه يطلع في كثير من المواضع بطلوع الثريا .

ولذلك قال أبو ذؤيب :

فوَرَدْنَ والعَيُّوقُ مقعدُ رابيء الـ
ـضرباءِ فوقَ النَّجْمِ لا يَتَتَلَّعُ

ويسمى أيضا عيوق الثريا وعلى منكبه الأيمن كوكب يسمى مع آخرين على الكعبين توابع العيوق والأعلام .

وذكر بعض من صنف في الأنواء أنّ بين عاتق الثريا وبين العيوق كوكبين تحت المجرة يسميان المرجف والبرجيس ، كواكبه كلها في الجوزاء .

---

(١) الخباء : بيت الأعراب من وبر أو صوف .

كوكبة الحوا والحية : هي صورةُ رجل قائم ، قد قبضَ بيديه جميعا على حية ، وكواكب الحوا أربعةٌ وعشرون من الصورة ، وخمسةٌ خارجة منها ، وكواكبَ الحية ثمانيةَ عشرَ كوكبا ، وعلى منشأ عنق الحية كوكب ، وآخر على صدغها ، يتصلان بالكواكب المصطفة التي على المنكب والعَضُدِ والمِرْفَقِ الأيمنِ من صورة الجاثي ، يعدُّهما العرب من جملة النَسَقِ الشاميّ ، وتُسمي أربعةَ كواكبَ من كواكب الحية ، مع النيرين اللذين على ركبتي الحواء الذي على ساقه اليمنى وهي كلها مُصْطَفَّة على سطر فيه تعويج « النَّسق اليماني » وسمت هذه النسق يمانيا لأنَّ كواكبه تغيب في ناحية الشامِ وشق اليمنِ ، وسمت الأولَ شاميّاً لأن كواكبة تغيب في ناحية الشام ، وتُسمي البقعة التي بين النسقين الروضة ، والكواكب التي في الروضة « الأغنام » والذي على رأسِ الحوا « الراعي » والذي على رأس الجاثي « كلب الراعي » ، كواكبها في العقرب ، والقوس .

كوكبة السهم : هي خمسةُ كواكب بين مِنقار الدجاجةِ وبين النّسر الطائر في نفس المجرَّةِ العظمية ،

وتَصْلُ السهم إلى ناحيـــة المشرق والفوقُ إلى ناحية المغرب ، ولم يذكر عن العرب فيها شيء وهي في الجدي .

وكوكبة العقاب : وهو النَّسْرُ الطائرُ ، وكواكبه تسعةٌ من الصورة وستةٌ خارجة منها ، والعربُ تُسمي الثلاثة المصطفة « النسر الطائر » لأن بإزائه النسر الواقع ، وسُمِّي واقعا لوقوع جناحيه، سمي هذا طائرا لانبساط جناحيه ، وتسمي كوكبين من الخارجة عن الصورة وهما بين الثلاثة التي ذكرها وبين النعام الصادر الظَّليمين الصغيرين وهي في الجدي .

كوكبة الدُّلْفين : وكواكبه على مربع شبيه بالمعين تسميها العرب : « القعودَ » والعامة تسميها : « الصَّليبَ » ، ويُسَمَّى الكوكبُ الذي على ذنب الدلفين عمودَ الصليب وهي في الدلو .

كوكبـــة قطعة الفرس ، وهي أربع كواكب يتبع الدلفين ، اثنان منهما متضايقان بينهما شبر على موضع الفم واثنان على الرأس ، ولم يذكر عن العرب فيها شيء .

والأربعة جميعا موضعها من الفلك وقسمته في الدلو كوكبة الفرس الأعظم ، وكواكبها عشرون كوكبا ،

وهي صورةُ فرس له رأس ويدان وبَدَنٌ إلى آخر الظَّهر، وليس له كَفَلٌ ولا رجلان ، وعلى سُرته كوكبٌ ، وهي أيضا على رأس المرأة المسلسلة مشترك بينهما ، ويرسم على الأسطُرلاب ويُسَمَّى سرَة الفرس ، ورأس المسلسلة ، وعلى متنه أيضا كوكب يُسمى جناحَ الفرس ويرسم أيضا على الأسطرلاب ، وعند منشأ اليد أيضا كوكب يسمى منكب الفرس ، على متنه كوكب نيِّر عند منشأ العُنُقِ يُسمى متنَ الفرس ، والعربُ تسمي هذه الأربعة الدلو . وتسمي الاثنين المتقدمين ، وهما منكب الفرس ومتن الفرس : الفرغ الأول أوالفرغ المقدّم ، ويسميان أيضا العرقوة العليا ، وناهزي الدلو المقدمين ، وتُسمي الاثنين التاليين وهما سُرّةُ وجناح الفرس ، الفرغ الثاني ، والفرغ المؤخر والعرقوة السفلى وناهزي الدلو المؤخرين وفي البدن كوكبان يسميان النعام، ويسميان أيضا الكرب شَبَّهتها بمجتمع العرقوتين في الوسَط ، وعلى رأس الفرس كوكبان أحدهما أنور ، يسميان سعد البهائم وسعد النهى وعلى عنقه كوكبان يسميان سعد الهمام ، وفي الصدر كوكبان متقاربان يسميان : سعد البارع ، وعلى

الركبة اليمنى كوكبان يسميان سعد مطر ، ويُروى عن العرب أن القمرَ ربما قصر فنزل بالكرب ، وتسمي البقعةَ التي بين الفَرْغِ الثاني وبين السمكةِ من السماء : بلدة الثعلبِ .

وتزعمُ أنَّ القمرَ ربما قصر فنزل ببلدة الثعلب ، فأما مواضعها من الفلك فإن المشتركَ الذي هو الرأس في أول الحمل وأما الباقية فإنها كلها في الحوت سوى سعد البهائم فإنه في الدلو .

كوكبةُ المسلسلة : تُسَمَّى المرأةَ التي لم تر بَعْلا ، وتُسمى باليونانية : « أندرومينا » وكواكبها ثلاثةٌ وعشرون كوكبا من الصورة ، سوى النيّر الذي على الرأس فإنه على سرة الفرس ، والعربُ وَجدتْ سطرين من كواكب قد أحاطا بصورة سمكة عظيمة تحت نَحْرِ الناقة ، بعضها من هذه الصورة وبعضها من كوكبة السمكة الشمالية من السمكتين اللتين في القسم الثاني عشرَ من صورة البروج فسمت العربُ هذه السمكة العظيمة : الحوتَ ، وزعمت أن القمر ينزل ببطن الحوت فسمت المنزلَ الأخيرَ من

منازل القمر : بطنَ الحوت والرّشا ، وقد وقع الكوكب النير الذي على جنب المسلسلة على موضع البطن من الحوت ، فقدر قوم من مؤلفي كتب الأنواء أن العربَ سمت هذا الكوكب النير « بطنَ الحوت » ، وأن القمرَ ينزلُ بهذا الكوكبِ والقمرُ لا ينزل بشيء من كواكب الحوت ولا ببطن الحوت وإنما يمر بموازاتها . وأما النير الذي على الرجل اليسرى من المسلسلة فإنهم اختلفوا فيه ، يروي بعضهم عن العربِ أنها سمته عناقَ الأرض وروى آخرون أن العناقَ هو النيّر الذي على رأس الغول وذلك أنهم حكوا أن العناقَ : هو الكوكب الأزهَرُ الذي لا يجاوزه إلا كوكبان صغيران ، كأنه بهما النسر الواقع وليس هناك كوكب بهذه الصفة إلا النير الذي على رأس الغول ، وموضع بطنِ الحوت والعناقِ جميعا من البروج في الحَمَل ، وكذلك جميع الكواكب المسلسلة .

كوكبةُ المثلّث : وكواكبه أربعة كواكب بين كوكبة السمكة وبين النيّر الذي على رأس الغول وهي أيضا بين الشرطين وبين النير الذي على الرجل اليسرى من صورة المرأة ، وهو مثلثٌ فيه طولٌ على رأسه كوكبٌ

نَيِّرٌ من الثلاثة الباقية على القاعدة الأنيسين ودرجاتهما في الطول أكثر من درجات الشَّرطين، ويطلعان مع ذلك قبل الشَّرطين لأن عرضهما في الشمال أكثر من عرض الشَّرطين فقدر أصحابُ كُتُب الأنواء أن القمر ينزل أولا بالأنيسين ثم الشَّرطين ، فحكوا عن العرب أن القمر ربما قصر فنزل بهما ولا يلحق الشرطين وذلك غَلَطٌ ، لأنهما يكونان قُدَّام الشرطين إلى أن يقربا من خطّ وسط السماء ثم يتأخران عن الشرطين رويداً ، حتى إذا صارا إلى المغرب غابا بين الشرطين فيجب أن يقال : إن القمر ربما أسرع فجاوز الشرطين ونزل بالأنيسين وكواكب المثلث كلها في الحمل .

الباب السادس

أَسْجَاعُ الكَهَنَةِ

تحاكَم عبدُ المُطّلِبِ بنُ هِشَامٍ وبنو ثَقيف إلى عُزّى سلمةَ الكاهنِ ، في ماء بالطّائفِ يقال له ذو الهرم فجاء الثقفيون فاحتفروه فخاصَمهم عبدُ المطلب إلى عُزّى وخَبّأوا له رأسَ جَرادةٍ في خُرزةِ مَزادةٍ (١) وجعلوه في قِلادَةِ كَلْبٍ لهم يُقال له (سَوّار) ، فلما وردوا عليه قال : حاجَتُكُم ؟ . فقالوا له : خبأنا لك خَبيئاً فأنبئنا عنه أولاً . فقال : خَبأتُم لي شيئاً طارَ فسطَع ، فتصَوّبَ(٢) فوقعَ ، في الأرض منه بُقَع . قالوا : لادَه ، أي : بَيِّنْهُ . قال هو شيءٌ طارَ ، فاستطارَ ، ذو ذَنَبٍ جَرّار ، وساقٍ كالمِنْشار ، ورأسٍ كالمسمْار فقالوا : لادَهْ ، قال : إنْ لادَهْ فلادَهْ(٣) ، هو

(١) الخرزة : السير يخرز به ، والمزادة الراوية ولا تكون إلا من جلدين تفأم بجلد ثالث بينهما لتتسع .

(٢) تصوب : انحدر .

(٣) أي إن لم يكن هذا الذي أقول لك لا أعرف غيره وقد صارت مثلا .

رأسُ جرادةٍ في خُرَزٍ مَزادة في عُنقِ (سَوّار) ذي القِلادَة . قالوا : صَدَقْت . وانتسبوا له ، وقالوا : أخْبِرنْا فيما اختَصَمْنا إليك ؟ قال : أحلفُ بالضّياء والظُّلمَ ، والبيتِ والحَرَم ، أن الدّفينَ ذا الهَرم ، للقرشي ذي الكَرَم . فغضبَ الثقفيون وقالوا : اقْضِ لأرفَعِنا مكاناً ، وأعظَمِنا جِفَاناً ، وأشدّنا طِعاناً ، فقال عبدُ المطلّب : اقَضِ لصاحبِ الخيراتِ الكُبَر ، ولمن كان سَيّدَ مُضَر ، ولساقي الحَجيج إذا كَثُر . فقال الكاهِنُ : إن مقالي فاسمعوا شهادة : إن بني النّضِر كرامٌ سادةٌ ، من مُضَرَ الحمراءِ ذي القِلادةِ ، أهلُ سَناء ملوكٌ قادةٌ ، زيارةُ البيتِ لهم عِيادةٌ . ثم قال : إنّ ثَقيفاً(١) عبدٌ من قيس فأعتِقَ فولدَ فأبقَ(٢) ، فليس له في النّسب مِن حَقّ .

* * *

دعا أُميّةُ بنُ عبدِ شَمس ، هاشمَ بنَ عبدِ مَناف

(١) ثقيف : حي من قيس ، وقيل هو من هوازن ، وقيل إنهم من بقايا ثمود من العرب القديمة .

(٢) أبق العبد : هرب من سيده .

إلى المُنافَرة ، فقال هاشمٌ : فإني أنافرُه(١) على خمسين ناقة سودِ الحَدَقَ ننحرها بمكةَ ، أو الجلاء عن مكةَ عشر سنين ، فرضيَ أميّةُ ، وجعلا بينهما الخزاعيَّ الكاهنَ ، وخرجا إليه ، ومعهما جماعة من قومهما ، فقالوا : خبأْنا خبيئاً فإنْ أصابَه تحاكَمْنَا إليه ، وإن لم يُصِبْه تحاكمنا إلى غيرِه ، فوجدوا أبا هَمهمة ، وكان معهم أطباقُ جُمجمة ، فأمسكها معه ، ثم أتوا الكاهنَ فأناخوا ببابه وكـان منزلُه بعُسفان(٢) . فقالوا له : إنا قد خبأنا لك خبيئا فأنبئْنا عنه ، فقال : أحلفُ بالضوءِ والظُّلْمةِ ، ومَنْ بتهامةَ من تَهمة ، وما بنَجدٍ من أكَمة ، لقد خَبْأتمْ لي أطباقَ جُمْجُمة(٣) ، مع البَلَنْدَحِ (٤) أبي هَمهمة . قالوا : صَدَقْتَ . أحكُم بين هاشمِ بنِ عبدِ مَناف وبين أميةَ بنِ عبدِ شَمسِ بن

---

(١) المنافرة : المفاخرة .

(٢) عسفان : موضع على بعد مرحلتين من مكة .

(٣) جمجمة : أي قدح من الخشب أو الخشبة التي تكون في رأسها سكة الحرث ومنه سمي دير الجماجم لأنه يعمل فيها الأقداح من خشب .

(٤) البلندح : درجة من درجات السمن عند الرجال فيقال في ترتيب السمن : رجل سمين ، ثم لحيم ثم شحيم ثم بلندح وعكوك .

عبد مَناف ، أيهما أشرفُ بيتاً ونسباً ونَفْسا ؟ . فقال : والقمرِ الباهرِ ، والكوكبِ الزاهرِ ، والغمامِ الماطرِ ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بِعَلَمٍ مُسافر ، من مُنْجِدٍ وغائر(١) ، لقد تَسَبَّقَ هاشمٌ أميةَ إلى المآثِرِ ، أوّلُ منه وآخرُ ، فأخذَ هاشمُ الإبلَ ونَحَرَها وأطعمَها مَنْ حَضر ، وخرجَ أميةُ إلى الشامِ فأقام بها عشرَ سنين ، فيقال إنها أوَّلُ عَداوة بينَ بني هاشمٍ ، وبني أمية .

كانت سُعْدى بنتُ كُرز بنِ ربيعةَ قد تَطَرَّقَتْ(٢) وتَكَهَّنَتْ ، وهي خالةُ عثمانَ بنِ عفّانَ رضي اللّه عنه ، رُوِيَ عن عثمانَ أنه قال : لما زَوَّجَ النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم ابنته رُقَيَّة من عتبة بنِ أبي لهَب ، وكانت ذاتَ جمالٍ رائع ، دخلتْني الحسرةُ ، ألاّ أكونَ سَبَقتُ إليها ، ثم لم ألبثْ أن انصرفتُ إلى منزلي فألقَيْتُ خالتي ، فلما رأتني قالت :

(١) منجد : أي أتى نجدا وهي الأرض المرتفعة ، وغائر أي أتى غورا وهي المنخفضة .

(٢) تطرق إليه : ابتغى إليه طريقاً . الطارقة : الضاربة بالحصى للتكهن .

أَبْشِرْ وحُيِّيتَ ثلاثاً تَتْرَى
ثُمَّ ثلاثاً وثلاثاً أُخْرَى

ثم بأخْرَى كي تَتِمَّ عَشْرا
أتاكَ خَيْرٌ ، ووُقِّيتَ شَرّا

نَكحتَ واللّهِ حَصَاناً زَهْرا
وأنتَ بِكْرٌ ولقيتَ بِكْرا

وافيْتَها بنتَ نفيسٍ قَدْرا
بنتَ نبيٍّ قدْ أشادَ ذِكْرا

قال عثمان : فعجبتُ من قولها : وقلت : ما تقولين ؟ فقالت :

عثمانُ يا ابنَ أختي يا عثمانُ
لكَ الجَمالُ ولكَ البيَانُ

هذا نبيٌّ معه البُرْهانُ
أرْسَله بحقِّهِ الدَّيّانُ

وجاءهُ التّنْزيلُ والفُرقَانُ
فاتّبعْهُ لا تَحْتَالُكَ الأوثانُ

فقلتُ : ياخالةُ ، إنك لتذكرينَ ماقدْ وَقعَ ذكرهُ في بلدتنا فأثْبتيه لي ، فقالت : إنَّ محمدَ بنَ عبدِ الله

رسولٌ من عند الله جاءَ بتنزيلِ الله ، يدعو إلى الله ، مِصْباحُه مصباحٌ ، وقولُه صَلاحٌ ، ودينُه فَلاحٌ ، وأمرُهُ نَجاحٌ ، وقرنُه نَطّاحٌ ، ذَلَّت له البِطاحُ ، ماينفعُ الصِّياحُ ، لو وَقَعَ الذُّباحُ ، وسُلَّتِ الصِّفاحُ ومُدَّتْ الرماحُ . قال : ثم قامتْ فانصرفتْ ووقعَ كلامُها في قَلبي ، وجعلتُ أفكر فيه . وذكر بعد ذلك إسلامه وتزويجَه برقيةَ ، فكان يُقال : أحسنُ زَوْجٍ رقيةُ وعثمانُ . فقيل فيهما : أحسنُ زَوجٍ رآه إنسانٌ ، رقيةُ وزوجُهْ عثمانُ .

ورَوى المدائنيُّ : أنَّ قُريشاً وثَقيفاً اختصموا في أرضٍ ، فجعلتْ ثَقيفُ أمرَها إلى كدامٍ أو كَلدَةَ ، وقام لقريشٍ عبدُ المطلّبِ . فقال الثقفي لعبدِ المطلب : أُنافِرُكَ فأيُّنا نَفَرَ فالمالُ لأصحابه ، وتراضَوا بسَطيحٍ ، فخرجوا وخبؤوا له عينَ جَرادةٍ ، في خَرزةِ مَزادةٍ ، فساروا سَبْعاً ، فلما أَتوه قال : لقد سرتُم سيرا بَلغَ زعزعةً ، ووضعَ حتى تدليتم النقعَ في آخر السبعِ ، قالوا : صَدقْتَ . قال : إن شئتم أخبرتُكم قالوا : قد شئنا . قال : طارَ فسَطَعَ ، فصاح فصَبَحَ ، وامتلأ فنضَحَ ، قالوا : زه ، زه ، زه(١) . فقال الثقفي :

(١) للتعبير عن الإعجاب .

أحكُمْ لأشدِّنا ضِراباً ، وأكثرِنا أَعْتاباً ، وأفضلِنا وطَاباً(١) . فقال عبد المطلب : أحكم لأكرمِنا فِعالاً ، وأكثرِنا ضِيفاناً ، وأعظمِنا جِفاناً ، قال سَطِيح : والسماءِ والأرضِ ، ومابينهما من جَدَدٍ ودَحْضٍ ، لَعَبْدُ المطلّبِ أَوْلى بكلِّ خَفْضٍ ورَفْعٍ ، وضُرٍّ ونَفْعٍ .

وذُكِرَ أن بني كِلاب وبني رَبَاب من بني نَضْر خاصموا عبدَ المطلب في مالٍ قريبٍ من الطائف ، فقال عبدُ المطلب : المالُ مالي ، فسلُوني أعْطِكُم . قالوا : لا . قال : فاختاروا حاكما . قالوا : ربيعةُ بنُ حُذار الأسديّ . فتراضَوْا به ، وعَقَلُوا مائةَ ناقة في الوادي وقالوا : من حُكِم له ، فالإبلُ والمالُ لهَ ، وخرجوا ، وخرجَ مع عبد المطلب حربُ بنُ أميةَ : فلما نزلوا ربيعةَ ، بعثَ إليهم بجزائرَ فنحرَها عبدُ المطلب وأمَرَ فصُنِعَ جَزورا وأطعمَ مَنْ أتاه ، ونَحَرَ الكلابيونَ والنَّضْرِيون ووَشَقُوا(٢) . فقيل لربيعةَ في ذلك فقال : إنَّ عبدَ المطلبِ امرؤٌ من وَلَدِ خزيمةَ فمتى يُمْلِقُ(٣) يصِلْهُ بنو عمِّه . وأرسلَ إليهم أن

(١) الوطاب : جمع وطب وهو التيه والكبر ومعناه أيضا : سقاء اللبن.

(٢) الوشيق والوشيقة : لحم يغلى في ماء ملح ثم يرفع ، وقيل يقدد ويحمل في الأسفار ليكون زادا لهم في أسفارهم .

(٣) الإملاق : الفقر .

اخبَئوا لي خبئًا فقال عبدُ المطلب : خبأتُ كلبًا اسمه سوَّار وفي عُنقه قلادةٌ ، في خرزةٍ مزادةٍ ، وضممتها بعينِ جرادة .

فقال الآخرون : قد رضينا بما خبأتَ . وأرسلوا إلى ربيعةَ ، فقال : خبأتم خبيئا حيًّا . قالوا : زِدْ ، قال : ذو بُرْثُنٍ(١) أغبر ، وبطنٍ أحمر ، وظهرٍ أنمر . قالوا : قربتَ ، قال : سما فسطعَ ، ثم هبطَ فلطعَ ، فتركَ الأرضَ بَلْقَعَ . قالوا قَرُبْتَ ، فطبِّقْ . قال : عينُ جرادةٍ ، في خرزة مزادة ، في عنق سوارذي القِلادة . قالوا : زَهٍ زَهٍ ! أصبْتَ ، فاحكُم لأشدِّنا طِعانا ، وأوسعِنا مكانا . قال عبدُ المطلب : أحكم لأوْلانا بالخيراتِ ، وأبعدنا عن السوءاتِ ، وأكرمنا أمهاتٍ . قال ربيعةُ : والغسقِ والشفقِ ، والخلقِ المتّفق ، مالبني كلابٍ وبني ربابٍ من حقٍ ، فانصرفْ ياعبدَ المطلب على الصوابِ ، ولكَ فصْلُ الخطابِ . فوهبَ عبدُ المطلب المالَ لحرب بن أمية .

* * *

---

(١) البرثن : المخلب .

الباب السابع

أَوابِدُ العَرَبِ(١)

كان الرجلُ منهم إذا بلغتْ إبِلُه مئةً عَمَدَ البعيرَ الذي أمْاتَ(٢) به مائة فأغلقَ ظهرَه لئلا يُرْكَبَ، وليُعْلَمَ أن صاحبه مُمْءٍ، حمى ظهره، وإغْلاقُ ظَهْره: أن تُنزعَ سناسِنُ(٣) فقرتِه، ويُعْقَر سنامُه، والفعل: تَعَنَّى وهو معنى مُعَنَّى. قال الفرزدقُ:

علَوتُكَ بالمُفقِّئِ والمعَنَّى
وبيتِ المُحتبي والخافقاتِ

* * *

التعمِيةُ والتَفْقِئَةُ:

كان الرجل إذا بلغتْ إبلُه ألفاً فقأ عَيْنَ الفَحْلِ، يقول إن ذلك يدفعُ عنها العينَ والغارَةَ وهي التفقئة. قال:

(١) الأوابد بمعنى الشوارد أي الرائحة والذائعة ومثالها وصف امرىء القيس فرسه بقيد الأوابد أيضا: الغرائب.

(٢) أمأت: وفت المائة.

(٣) السناسن: جمع السنسن والسنسنة: وهي حرف فقار الظهر.

وهَبتهـا وأنـتَ ذو امتنـان
تَفْقَـأُ فيهـا أعْيُـنَ البُعَران ِ

فإذا زادت الإبلُ على الألف عَموهُ بالعين ِ الأخرى وهي التَّعْميَةُ قال الشاعرُ ينعَى عليهم ذلك :

فكَـان شـكْرُ القوم ِ عنـد المِنَن ِ
كيَّ الصحيحات ِ وفـقءَ الأعيُن

* * *

عَقْدُ الرَّتَم(١) :

كان الرجلُ إذا أرادَ سَفَراً عمدَ إلى شجرة ٍ ، فعقدَ غُصْناً من أغصانها بآخرَ ، فإن رجعَ ورآه معقوداً زَعم أنَّ امرأتَه لم تَخُنْهُ ، وإن رآه محلولا زَعم أنها قد خانَتْهُ ، قال الشاعرُ :

هل يَنْفَعنكَ اليومَ إنْ هَمَّتْ بهمْ
كَثْرةُ مـا تَوصي وتَعْقَادُ الرَّتَمْ ؟

خانَتْهُ لما رأَتْ شيئاً بمَفْرِقـه
وغَرَّهُ حَلْفُهـا والعَقْدُ للرَّتمْ

(١) الرتم : جمع رتيمة وهي عقد غصن شجرة بآخر .

ذَبْحُ العَتائرِ :

كان الرجلُ منهم يأخذُ الشاةَ وتُسَمَّى العتيرةَ والمعتورةَ فيذبحَها ، ويُصبُّ دمَها على رأس الصَّنم ، وذلك يفعلونَه في رَجَب ، والعترُ قيل هو مثلُ الذَّبْح وقيل هو للصَّنَم الذي يُعْتَرله .

قال الطرِّماح :

« فَخرَّ صريعا مِثْلَ عاترةِ النُّسْكِ »

أراد بالعاترة الشاة المعتورة .

ذَبْحُ الظِّباءِ :

كان الرجلُ ينذرُ أنه إذا بلغتْ إبلهُ أو غَنَمُهُ مَبلغاً ما ذبح عنها كذا ، فإذا بلغتْ ضَنَّ بها ، وعمدَ إلى الظِّباء يصطادُها وفاءً بالنَّذْرِ ويذبحها . قال الشاعر :

عَنَتاً باطِلاً وزُوراً كمــا يُعْـ
ــتَرُ عن حَجْرةِ الرَّبيِضِ الظِّباءُ(١)

* * *

(١) والبيت من معلقة الحارث بن حلزة ؛ .

عنتا : اعتراضا . الحجرة : بفتح الحاء ، الحظيرة تتخذ للغنم .

الربيض : جماعة الغنم ، وكان الرجل العربي ينذر نذرا على شائه إذا =

عَقْد السَّلعَ والعُشَر :

كانوا إذا اسْتَمْطَروا يعمدونَ إلى البَقَر ، ويعقدون في أذنابِها(١) السَّلعَ والعُشَرَ يُضرمون فيها النار ، ويصعدونها في الجبل ، ويزعمونَ أنهم يُمْطَرون في الوقت .

قال أميةُ بنُ أبي الصَّلْتِ :

ويشقُّون باقرَ السهلِ للطَّوْ
دِ مهازيلَ خشيةً أنْ تَبورا(٢)

عاقدينَ نيرانَ في ثكنِ الأذ
نابِ منها لكي تهيجَ البحورا(٣)

بلغت مائة أن يذبح عن كل عشرة منها شاة ، وكانت تلك الذبائح تذبح في رجب ، فاذا دخل رجب ، وبلغت مائة بخل أن يذبح من غنمه ولجأ الى صيد الظباء وذبحها عن غنمه ليوفي بها نذره .

يريد الحارث : أنكم تأخذوننا بذنوب غيرنا كما ذبح أولئك الظباء عن غنمهم ، وقد نهى الإسلام عن ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا فرعة ولا عتيرة .

(١) السلع : نوع من الشجر .

(٢) باقر : جماعة البقر .

(٣) الثكن : جمع ثكنة : وهي الجماعة .

سَلَعٌ مـــا ومِثْلُهُ عُشَرٌ ما
عائِلٌ مـــا وعالتِ البَيْقُــورا(١)

* * *

كَعْبُ الأرْنَب :

كانوا يعلّقونه على أنفسهم ، ويقولون : إنَّ مَنْ فَعلَ هذا لم تُصِبْهُ عَيْنٌ ولاسِحْرٌ ، وذلك أنَّ الجنَّ تهربُ من الأرنبِ ، لأنها ليست من مطايا الجن ، لأنها تَحيضُ . قال الشاعر :

ولايَنْفَعُ التعشيرُ إن حُمَّ وَاقِعٌ
ولا وَدَعٌ يُغْنِي ، ولا كَعْبُ أَرْنَبِ

وقيل لزَيْدِ بنِ كُثْوة : أحقٌّ مايقولون إنَّ مَنْ علّق على نفسه كعبَ الأرنب لم تقْرَبْهُ جنّانُ الحَيِّ وعُمّارُ الدارِ ؟ فقال : إيْ والله ولاشيطانُ الحماطةِ(٢) ، وجانُ العشيرةِ وغولُ القفرِ وكل الحوافي ، إي والله وتُطْفَأ عنه نيرانُ السّعالي(٣) .

* * *

(١) البيقور : البقر ، والعشر : شجر فيه حراق مثل القطن .

(٢) الحماطة : شجر يشبه التين ، وهو أحب شجر إلى الحيات .

(٣) السعالي : ج سعلاة وهي الغول .

دائرةُ المَهقُوع :

وهو الفرسُ الذي به الدائرة التي تُسَمَّى المَقْعَة ، فيزعمون أنه إذا عَرِقَ تحتَ صاحبِهِ اغتلمتْ حليلتُه وطلبتْ الرجال قال :

إذا عَرِق المهقوعُ بالمرْءِ انعَظَتْ
حليلتُهُ وازدادَ حَـــراً عِجانُها(١)

* * *

السّنامُ والكَبِدُ :

زعموا أن الإنسانَ إذا عَشِي(٢) ثم قُلِيَ له سَنامٌ فأكَلَه ، وكُلّما أكل لُقْمَةً مسحَ جَفْنَهُ الأعلى بسَبّابته وقال :

ياسنام :

ياسناما وكَبِدْ * ليذهبَ الهُدَبِدْ(٣)

---

(١) العجان : الفرج .

(٢) عشي : أي أصيب بمرض العشى الليلي ، وهو عدم القدرة على الإبصار ليلا .

(٣) والهدابد ، ضعف العين .

ليس شِفاءُ الهُدَبِدْ إلا * السنامُ والكَبِدْ

عوفَي صاحبُ العَشَى منه . والهُدَابِد : العَشَى .

الطارِفُ والمطروف :

ويزعُمون أن الرجلَ إذا طرفَ عَيْنَ صاحبِه فهاجتْ ، فمسحَ الطارفُ عينَ المطروف سبعَ مراتٍ وقال في كل مرة : بإحدى جاءتْ من المدينةِ ، باثنتين جاءتا من المدينة ، بثلاثٍ جِئْنَ من المدينة إلى سَبْعٍ ، سَكَنَ هَيَجانُها .

* * *

تَعْليقُ السِّن :

زعموا أن الصَّبي إذا خِيفَ عليه نظرةٌ أو خَطْفةٌ ، فعُلّق عليه سِنُّ ثعلب أو سن هِرَّةٍ أو غير ذلك أمِنَ ، فإن الجِّنية إذا أرادتْه لم تقدر عليه ، فإذا قال لها صواحباتُها في ذلك . قالت :

كانتْ عليه نُغرَةْ .

ثعالِبٌ وهِرَرَةْ .

والحَيْضُ حَيْضُ السَّمُرَه(١)

* * *

أعوانُ السَّنة :

يزعم أنه قيل للسنة إنكِ مبعوثةٌ ، فقالت : ابعثوا معي أعواني : الحصبةَ والجدريَ والذئبَ والضَّبُعَ .

* * *

حَبْسُ البلايا :

كانوا إذا ماتَ الميتُ يَشُدُّون ناقتَه إلى قبرهِ ، ويعكسون رأسها إلى ذَنَبِها ، ويغطُّون رأسَها بوَليَّةٍ — وهي البرذعةُ — فإن أفلَتتْ لم تُرَدَّ عن ماء ولا مرعىً ، ويزعمون أنهم إنما يفعلونَ ذلك ليركَبها صاحبُها في المعَاد ليُحْشر عليها كي لا يحتاج أن يمشي . قال علي أبو زُبيْد :

كالبلايَا رُؤسُها في الولايا
مانِحاتِ السَّمومِ حُمرَّ الخدود(٢)

* * *

---

(١) السمرة : نوع من الشجر .

(١) السموم : الريح الحارة .

خُروجُ الهامَةِ :

زعموا أن الإنسانَ إذا قُتِل ولم يُطلَب بثأرِه ، خرَج من رأسهِ طائر يُسَمَّى « الهامة » وصاحَ على قبرهِ : « اسقوني !! اسقوني !! » إلى أنْ يُطلبَ بثأرهِ . قال ذو الإصبع :

يا عمرو إلاَّ تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي
أضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامةُ : اسقوني !

الحُرْقُوص : دُوَيْبَةٌ أكبرُ من البرغوث يزعمون أنَّه يدخلُ أَحْراحَ(1) الأبكارِ فيفتَضُّهن وأنشدوا :

مالقِيَ البيضُ من الحُرْقُوصِ
من ماردٍ لِصٍّ مِن اللُّصوصِ
يدخُل تحت الغَلَقِ المرْصوصِ
بمَهْرٍ لا غالٍ ولا رَخيصٍ(2)

* * *

(1) الأحراح : جمع حرح وهو الفرج .
(2) المراد بلا مهر ، ويسمى الحرقوص : عاشق الأبكار .

خِضَابُ النَّحْرِ :

كانوا إذا أرسلوا الخيلَ على الصَّيدِ ، فسبقَ واحدٌ منها ، خَضَبوا صدرَه بدمِ الصيدِ علامةً له . قال :

كأنَّ دماءَ الهاديات بِنَحْرِه
عُصَارَةُ حِنَّاء بشَيْبٍ مُرَجَّلِ (١)

* * *

نَصْبُ الرايةَ :

كانت العواهِرُ تَنْصِبُ على أبوابِ بيوتِها راياتٍ لتُعْرَفَ بها ، ومن شتائمهم : يا بنَ ذاتِ الراية ! .

* * *

دَمُ الأشْرافِ :

يقولون إنه يَنْفَعَ مَنْ عَضَّهُ الكَلْبُ ، قال :

---

(١) البيت في معلقة امرىء القيس .

والهاديات : المتقدمات . والهوادي من الإبل والخيل ومن كل شيء : أوله . بشيب مرجل : معناه بشيب قد غسل عنه الحناء فرجل .

مِنَ البيضِ الوجوهِ بني نُمَيْر
دِماؤهُم مِنَ الكَلَبِ الشِّفاءُ

* * *

رَمْيُ البَعْرة (١) :

كانت المرأةُ إذا أَحدَّتْ على زوجها سَنَةً ، وكان رأسُ الحولِ رَمتْ ببعرةٍ . ومعناه : أن هذا هَيِّن . ومنه المثل السائر : أهونُ من لقعَة بِبَعْرة(٢) .

* * *

ضمان أبي الجعد :

وهو الذئب قال الراجز :

أَخْشَى أبا الجعد وأم العَمْرو

يعني الذئبَ والضَبعَ ، وضمانُه أن العربَ تقول : إن الضَّبُعَ إذا هَلكت وكانتْ له جراء تَكفَّل الذئبُ بقُوتِها . قال الكميتُ :

---

(١) كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها دخلت خصاً ولبست شر ثيابها ، ولم تمس طيباً حتى تمضي عليها سنة .

(٢) اللقعة : لقع الشيء : رمى به .

كما خامرتْ في حِضْنها أمُّ عامرٍ
لذي الحبلِ حتى عالَ أوسٌ عيالَها

* * *

معالجةُ الضَّبُع :

كان الرجلُ يأتي وجارَها(١) ومعه حَبْلٌ فيُدْخِلُه ويقول : خامِري أُمَّ عامر(٢) أبشرِي بشاءٍ هزْلى ، وجَرادٍ عظالى(٣) .

فتسكُنَ حتى يُقَيِّدَها فإن رأتْ الضوء قبل تقييدها ، وثَبَتْ على الصائد فقتلَتْه .

* * *

رَعْيَةُ الجَأْب(٤) :

وهو الحمارُ الوحشيُّ يقولون : إنه يعلو نَشَزا(٥)

(١) الوجار : الحجر إذا كان على وجه الأرض .
(٣) خامري : اشتري ، أم عامر : أي الضبع .
(٣) الجراد العظال : الذي ركب بعضها بعضا لكثرتها .
(٤) الجأب : الحمار الغليظ مطلقاً أو الوحشي .
(٥) النشز : المرتفع .

من الأرضِ مع أُتُنِهِ ، مال على الشمس حتى تغيبَ ثم شَرَد ، يفعل ذلك خشيةَ القانِص قال :

وَظَلَّتْ صَوَافِنَ خُزْرَ العيونِ
إلى الشمسِ مِنْ رَهْبَةٍ أنْ تَغيبا(١)

* * *

شربُ العَيْر :

يزعمون أن الحمارَ إذا وردَ الماءَ بالأُتُنِ تقدمها ، فخاضَ الماءَ من خوفِ الرُّماةِ ، ثم رشَفَ الماءَ رشْفاً خفيفا ، فإذا أَمِنَ أَعْلَى الجَرْعَ ، فجئنَ إليه إذا سمعْنَ جَرْعَه .

* * *

قطْعُ المَشَافِرِ :

كانوا إذا سلكوا مفازة جَدْباءَ أعطشوا الإبلَ ثم سَقَوْها رِيَّها ، وقطعوا مَشافِرَها طولا فلا يمكنها أن ترعَى ، فيبقَى الماءُ في أجوافِها ، فإذا أعوزَهم الماءُ ،

(١) الخزرة : انقلاب الحدقة نحو اللحاظ ، وهو ضيق العين وصغرها .

شقّوا الكِرْشَ بالسيفِ وشربوا الماء استقاء السيفُ — يعني به — . هذا هو القطع .

*　　*　　*

التَّسْويدُ :

كانوا يجعلونَ الدمَ في المصير ويلقونه على النار ثم يأكلونه .

*　　*　　*

التَّصْفيقُ :

كانوا إذا ضَلَّ منهم الرجلُ في الفلاة ، قلبَ ثيابَه ، وحبسَ ناقتهُ ، وصاحَ في أذنيها كأنه يومىءُ إلى إنسان ، وَصفَّقَ بيديْه قائلا : الوَحَا الوَحَا(١) ، النَّجَا النَّجَا ، هيكل ، السَّاعةَ السَّاعةَ ، إليّ ، إليّ عَجِّلْ ، ثم يُحرِّكُ الناقةَ فتهتدي . قال :

وأذَّنَ بالتَّصفيقِ مَنْ ساء ظَنُّهُ
فلم يَدْرِ من أيِّ اليَدَيْن جوابُها

يعني : يسوءُ ظنُّه بنفسِه إذا ضَلّ .

*　　*　　*

---

(١) الوحا : السرعة .

ضَرْبُ الأصَمّ :

يزعمون أن الأصمَّ يتشدَّدُ في الضربِ لأنه لا يسمع شيئاً فيظن أنه قد قصر . .

* * *

جزّ النواصي (١) :

كانوا إذا أسَروا رجلاً ، ومنُّوا عليه وأطلقوهُ ، جزُّوا ناصيتَه ، ووضعوها في الكِنانَةِ . قال الحطيئة :

قد نَاضلوكَ فسلُّوا من كنانتهِمْ
مَجْداً تَليداً ونَبْلاً غيرَ أنكاس (٢)

وقالوا يعني بالنّبل : الرجال .

وقالت خنْساء :

جَزَزْنا نواصِيَ فُرسانِهم
وكانوا يَظُنُونَ ألاّ تُجزّا

* * *

---

(١) النواصي : جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس إذا طال .

(٢) الكنانة : جعبة من جلد يوضع فيها النبل . الأنكاس جمع النكس وهو السهم ينكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله .

الالتفاتُ :

زعموا أنَّ من خَرجَ في سَفَر فالتفتَ وراءه ، تطَيَّروا له من ذلك سوى العاشقِ ، فإنهم كانوا يتفاءلون إلى ذلك ، ليرجعَ إلى مَنْ خلَّف .

*　　*　　*

البَحيرةُ :

كان أهلُ الوبَر يقطعون لآلهتهم من أموالهم من اللحم ، وأهلُ المدَر يقطعون لها من الحرْثِ ، فكانت الناقةُ إذا أنجبَتْ خمسةَ أبطُنٍ عمدوا إلى الخامسِ — مالم يكنْ ذكرا — فشقُّوا أذنَها وتركوها فتلك البَحيرة ، فربما اجتمع منها هَجْمةٌ(١) من البُحُر(٢) فلا يُجَزُّ لها وَبرٌ ولا يُذكر عليها — إن رُكِبت — اسمُ اللّه — ولا ولا يحمل عليها شيءٌ . وكانتْ ألبانُها للرجالِ دونَ النساءِ .

*　　*　　*

---

(١) الهجمة من الإبل : قريب من المائة .
(٢) البحر : جمع البحيرة .

السَّائِبَةُ :

كان يُسَيِّبُ الرجلُ الشيء من مالهِ ، إمَّا بَهيمةً ، وإمَّا إنساناً فيكونُ حراماً أبداً ، منافعُها للرجالِ دونَ النساء .

* * *

الوَصِيلَةُ :

كانتِ الشَّاةُ إذا وَضعتْ سبعةَ أَبْطُنٍ عَمدوا إلى السابعِ ، فإن كان ذَكرا ذُبِحَ ، وإن كانت أنثى تُركتْ في الشاء ، فإن كان ذكرا وأنثى قيل : وَصَلتْ أخاها فَحرِّما جميعا . فكانتْ منافِعُها ، وابنُ الأنثى منها للرجالِ دونَ النساء .

* * *

الحامي :

كان الفحلُ إذا أدركَ أولادَ أولاده فصار ولدهُ جَدّاً ، قالوا « حَمى ظَهْره ، اتركوه » فلا يُحْمَلُ عليه ، ولا يُركبُ ولا يُمنَعُ من ماء ولا مرعَى ، فإذا ماتتْ هذه التي جعلوها لآلهتِهم ، اشتركَ في أكْلِها الرجالُ والنساء وذلك قول اللّه عزَّ وجلَّ « وقالوا ما في

بطُونِ هذهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لذكورنا ومُحرَّمٌ على أزْواجنا وإن يكُنْ مَيْتَةً فَهُم فيه شُرَكاء(١) » .

وأما أهلُ المَدَرِ والحَرْثِ كانوا إذ حَرَثوا حَرْثا ، وغَرسوا غَرْسا ، خَطّوا في وسَطِه خَطّاً ، فقسموه بين اثنين ، فقالوا : مادون هذا الخط لآلهتِهم ، وما وراءه لله . فإن سقطَ ممَّا جعلوا لآلهتِهم أقرّوه ، وإذا أرسلوا الماء في الذي لآلهتهم فانفتح في الذي سمّوه لله سَدّوه ، وإن انفتح من ذاك في هذا قالوا : اتركوه فإنه فقير إليه . فأنزل الله عز وجل : « وجعلَوا لِله ممّا ذَرَأ مِنَ الحَرْثِ والأنعَامِ نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزَعْمِهِم وهذا لشُرَكائنا ، فما كانَ لشركائِهم فلا يصِلُ إلى الله ، وما كان لله فهو يَصِلُ إلى شُرَكائِهم ، ساءَ ما يَحْكُمون » (٢) .

* * *

الأزْلامُ :

كانوا إذا كانتْ مداراةٌ أو نِكاحٌ أو أمرٌ يريدونه ،

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٣٩ .

(١) سورة الأنعام آية ١٣٦ .

فلا يدرون ما الأمرُ فيه ، ولم يصحَّ لهم ، أخذوا قداحا لهم فيها : « افْعَلْ ، ولا تَفْعل ، ونعمْ ، لا ، خَيْر ، شَرّ ، بطيء ، سَريع » . أما المدارة فإن قداحَها كانتْ بيضا ليس فيها شيءٌ ، كانوا يُجيلونها ، فمَنْ خَرَجَ سَهْمُه فالحقُّ له ، وللحضَرِ والسَّفر سَهمان فيأتونَ السادِنَ من سَدَنَةِ الأوثانِ فيقول السَّادنُ : اللهمَّ أيَّهما كان خيراً فأخرِجْه لفلان : فيرضَى بما خَرَجَ له . وإذا شَكّوا في نَسَب الرجل أجالوا له القِداحَ وفيها : « صَريحٌ ومُلْصَق » (١) فإن خرجَ الصَّريحُ ألْحقَوه بهم ولو كان دَعِيّاً ، وإن خرجَ المُلْصَقُ نَفوه وإن كان صَريحاً . فهذه قِداحُ الاستِقْسام .

* * *

المَيْسِرُ (٢) :

أمّا الميسر فإن القومَ كانوا يجتمعون فيشترون الجزورَ بينهم ، فيفصلونها على عشرةِ أجزاء ثم يؤتَى بالحُرْضَةِ (٣)

(١) الصريح : الأصيل النسب والملصق : الدعي المتهم النسب .

(٢) الميسر : القمار .

(٣) الحرضة : أمين المقامرين .

وهو رَجُل يتألّه عندهم ، لم يأكل لحماً قطُّ بثمن فيؤتى بالقِداحِ وهي أحد عشرِ قِدْحاً ، سبعةٌ منها لها حظٌّ إنْ فازت ، وعلى أهلِها غُرم إن خابتْ بِقَدْرِ ما لها من الحظ عند الفوز ، وأربعةٌ تثقلُ بها القِداح ، لاحظَّ لها إن فازت ، ولا غُرْمَ عليها إن خابتْ ، فأما التي لها الحظُّ :

فأوَّلُها : الفذُّ ، في صدرِه حزٌّ واحدٌ ، فإن خرَجَ أخذ نصيباً ، وإن خابَ غرم صاحبه ثمنَ نصيب . ثم التَّوْءَمُ له نصيبان إنْ فاز ، وعليه ثمن نصيبين إنْ خابَ . ثم الضَّريبُ وله ثلاثة أنْصِباء . ثم الحِلْسُ ولها أربعةٌ . ثم النَّافِسُ وله خمسة . ثم المسبلُ وله ستة . ثم المُعَلَّى وله سبعة .

* * *

نيران العَرَب

نارُ الاستِسْقاء :

منها النارُ التي كانوا يستعملونها في الجاهلية الجَهْلاء ، وهي الجاهلية الأولى فإنهم كانوا إذا تتابعتْ عليهم الأزماتُ ، وركَدَ عليهم البلاءُ واشتدَّ الجَدْبُ ، واحتاجوا إلى الاستمطارِ واجتَمعوا وجَمعوا ما قَدَروا عليه من البَقَر ، ثم عَقَدوا في أذنابِها وبين عراقيبها السَّلعَ والعُشَرَ ثم صعدوا بها في جَبَلٍ وَعْرٍ وأشعلوا فيها النارَ ، وضجُّوا بالدعاء والتضرُّع ، فكانوا يَرَوْن أن ذلك من أسباب السُّقيا .

وأنشد الوَرَلُ الطائيُّ :

لا دَرَّ دَرُّ رجالٍ خابَ سَعْيُهُمُ
يَسْتمطِرونَ لَدى الأزمْاتِ بالعُشَرِ

أجاعِلٌ أنتَ بَيْقُوراً مُسَلَّعَـةً
ذَرِيعةً لكَ بينَ اللهِ والمَطَرِ ؟

ونارٌ أخرى وهي التي تُوقَدُ عند ذلك ، ويدعون اللهَ الحرمانَ والمنعَ من منافعِها ، على الذي ينقضُ العهدَ ويَخيسُ بالعهدِ ، ويقولونَ في الحَلْفِ : الدَّمُ ، والهَدَمُ ، الهدَمُ — يُحرِّكون الدالَ في هذا الموضع — لا تزيدُه الشمسُ إلا شرّاً ، وطولُ الليالي إلا ضرّاً ، ما بلَّ البحرُ صوفَه ، وما أقامت رَضْوَى في مكانها — إن كان جبَلُهم رضوى ، وكل قوم يذكرون المشهورَ من جبالهم — ؛ وربّما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقُهم ، يُهوِّلون على من يخافون الغدْرَ من جهتِه بحقوقِها ومنافعِها ومَرافقِها بالتَّخْويف من حرمانِ مَنْفَعتِها . قال الكُميت :

هُمُ خوَّفوني بالعَمَى هُوَّةَ الرَّدَى
كما شَبَّ نارَ الحالفين المُهَوِّلُ (١)

وقال أوْس بن حجر .

إذا استَقْبَلَتهُ الشمسُ صَدَّ بوجْهِه
كما صَدَّ عن نارِ المُهَوِّلِ حالِفُ

(١) العمى : الجهل . والمهول كمحدث : المحلف وهو سادن النار الذي يطرح الملح فيها .

ولقد تحالفتْ قبائلُ من قبائلِ مُرّةَ بنِ عوْف ، فتحالفوا عند نارٍ دنَوْا منها وعَشَوْا بها وهوَّلُوا بها حتى مَحَشَتْهُمُ النارُ ، فسمُّوا « المحاشَ » (١) وكان سيّدَهم والمطاعَ فيهم أبو ضَمْرةَ بنُ سِنان بنِ أبي حارثةَ ولذلك يقول النابغةُ :

جَمِّعْ مَحاشَكَ يا يزيدُ فإنني
جمّعتُ يَرْبوعا لكُم وتَمِيما

وربما تحالفوا وتعاقدوا على المِلْحِ . والملحُ شيئان : أحدهما الدّقةُ (٢) والآخر اللّبَنُ . وأنشد لأبي الطَّمَحان :

وإنّي لأرجو مِلْحَها في بُطونِكُمْ
وما بسَطَتْ من جِلْدِ أشْعَثَ (٣) أغْبرَا

وذلك أنه جاورَهم فكان يَسْقِيهم اللَّبنَ . فقال : أرجوا أن تُسْرِعوا في رَدّ إبلي على ما شَرِبْتُم من ألبانِها .

(١) محشتهم : أحرقتهم النار حتى يبدو العظم ، والمحاش بكسر الميم : القوم يجتمعون من قبائل مختلفة يحالفون غيرهم عند النار .

(٢) الدقة : الملح المدقوق .

(٣) الصواب : أغبر (بالخفض) . والقصيدة مخفوضة الروي : والملح هنا بمعنى الحرمة والذمام ، والعرب كانت تعظم أمر الملح والنار والرماد .

وقوله « وماَ بسطْت من جِلد أشعثَ أغْبَرا » كأنه يقول : كنتم مهازيلَ ، — والمهزولُ يتقشَّفُ جِلْدُهُ ، وينقبضُ — فسمَّنتَهُم ، فبَسط ذلك من جُلودكم .

* * *

نار الطَّرْدِ :

نارٌ أخرى : وهي التي كانوا ربما أوقدوها خلفَ المسافر ، وخلفَ الزائر ، الذي لا يحبُّون رُجوعَه ، يقولون في الدُّعاء : أبعدَه اللهُ وأسحقَه . وأوقدوا ناراً على إِثْرِه ، وأنشدوا :

وَجمَّةِ أقوامٍ حَمَلْتُ ولم أكُنْ
كَمُوقِدِ نارٍ إِثْرَهُمْ للتَّنَدُّمِ

والجَمَّةُ : هي الجماعةُ يمشون في الدَّم وفي الصُّلح ، يقول : لم تندمْ على ما أعطيتُ من الحمالةِ (١) عند كلام الجماعةِ ، فتوقدْ خلفَهم نارا لئلا يعودوا . ومن ذلك قولُ الشاعر :

صَحَوْتَ وأَوْقَدْتَ للجهلِ ناراً
ورَدَّ عليكَ الصِّبا ما استعارا

يقول : إنِّي أردْتُ ألا يُراجعَكَ الجهلُ فأوْقَدْتُ خلْفَه ناراً .

* * *

(١) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

الباب الثامن

وَصَايا العَرَبِ

أخبرنا الصاحبُ إسماعيلُ بنُ القاسم عن الأبجي عن محمد بنِ الحسن عن أبي نصر ، عن الأصمعي قال : سمعتُ أعرابيا يقول لبنيه وهو يوصيهم :

اتَّقوا الظهيرةَ الغَرَّاءَ ، والفلاةَ الغَبراء ، ورِدُوا الماءَ بالماءِ .

أوصَى الحارثُ بنُ كَعب(١) بنيه فقال : يا بَنيَّ ، قد أتَتْ عليَّ مائةٌ وستون سنة ما صافَحتْ يميني يمينَ غادرٍ ، ولا قنِعتْ نفسي بخُلَّةِ فاجر ، ولا صَبوْتُ بابنةِ عمٍّ ولا كَنَّة(٢) ، ولا بُحتُ لصديق عليَّ بِسرٍّ . ولا طَرَحتْ عندي مُومسةٌ قِناعَها ، ولا بَقي على دين عيسى بن مريم أحدٌ من العرب غيري وغير تميم بنِ

---

(١) الحارث بن كعب بن عمرو بن علة من مذحج من كهلان ، جد جاهلي من نسله بنو الديان رؤساء نجران .

(٢) الكنة : (بفتح الكاف) امرأة الابن أو الأخ .

مُرّة ، وأسد بن خزيمةَ ، فموتوا على شريعتي ، واحفظوا وصيّتي ، إلهكُم فاتقوه ، يكفيكُم المهمَّ المهمَّ من أموركم ، ويصلحْ لكم حالكم ، وإيّاكم والمعصيةَ ، يحل بكم الدّمارُ ويُوحش منكم الديارُ ، وكونوا جميعا ، ولا تفرّقوا ، فتكونوا شيعاً ، بزُّوا قبل أن تُبزّوا(١) ، فموتٌ في عزٍّ ، خيرٌ من حياةٍ في ذلٍّ وعجز ، فكلُّ ما هو كائنٌ كائنٌ ، وكلُّ جمعٍ إلى تباين ، والدهرُ صرْفان : صرْفُ بلاء وصرْفُ رخاء . واليومُ يومان : يوم حبرة ويوم عبرة ، والناسُ رجلان : رجلٌ معك ، ورجل عليك . زوّجوا النساءَ من الأكْفاءِ وإلا فانتظروا بهنَّ القضاء ، وليكنْ طيبهُنَّ الماء ، وإياكم والورْهاء(٢) فإنها أدْوأُ الداء .

يا بني : قد أكلتُ مع أقوام ، وشربْتُ مع أقوام ، فذهبوا وغبَرْتُ وكأني بهم قد لحقْتُ . ثم أنشأ يقول :

أكلْتُ شبابي وأفنيْتُهُ ... وأمضيْتُ بعدَ دهورٍ دهورا

---

(٣) تبزوا : تصلبوا .

(١) الورهاء : الحمقاء .

في أبياتٍ أخر .

قال أبو عمرو بن العلاء(١) : أَنكَحَ ضرارُ بنُ عمرو(٢) الضَّبيّ ابنتَه من مَعْبَدِ بنِ زُرارةَ(٣) ، فلما أخرجَها إليه قال : يا بُنَيةُ أَمْسِكي عليك الفَضْلَيْن : فَضلَ الغُلْمَةِ ، وفَضْلَ الكَلام . ضرار هو الذي رفَعَ عَنْزَتَهُ بعُكاظ وقال : « ألاَ إن شَرَّ حائلٍ أمٌّ ، فتزَوّجوا أمهات » ، وذلك أنه صُرِع بين القَنا ، فأشبلَ(٤) عليه إخوته لأمِّه حتى أنقذوه .

لما حضرتْ قيسَ بنَ عاصمٍ(٥) الوفاةُ ، دعا بنيه فقال : يا بَنِيَّ احفظوا عني ، فلا أحدَ أَنْصحُ لكم منّي .

---

(١) أبو عمرو بن العلا : هو زبان بن عمار التميمي المازني البصري ، من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة .

(٢) ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد الذهلي الضبي .

(٣) معبد بن زرارة بن عدس الدارمي أبو القعقاع فارس جاهلي .

(٤) أشبلوا عليه : حنوا عليه وحموه .

(٥) قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي ، أحد أمراء العرب وعقلائهم ، كان شاعرا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم عام ٩ هجرية فأسلم .

إذا متُّ ، فسوِّدوا كبارَكم ولا تُسوِّدوا صِغارَكم ، فيُسَفِّه الناس كبارَكم وتَهونوا عليهم ، وعليكم باستصلاح المالِ ، فإنه مَنْبَهةٌ للكريمِ ، ويُستَغْنَى به عن اللئيم ، وإيَّاكُم ومسألةَ الناسِ فإنها آخِرُ(١) كَسْبِ المرء .

لما أقام ابنُ قميئةَ(٢) بين العقابين(٣) قال له أبوه : أطِرَّ(٤) رجليك ، وأصِرَّ إصرارَ الفَرسِ ، واذْكُر أحاديثَ غدٍ ، وإياكَ وذكرَ اللّهِ في هذا الموضعِ فإنه من الفَشَلِ .

أوْصَى أبو الأسودِ ابنَه فقال : يا بُنَي ، إذا جلسْتَ في قومٍ فلا تتكلم ، بما هو فوقَك فيمقُتُوك ، ولا بما هو دونَك فيزدَروك ، وإذا وسع اللّهُ عليك فابسُط يدَكَ ، وإذا أمسكَ عليك فأمسِكْ ولا تجاودِ اللّهَ ، فإنَّ اللّهَ أجودُ منكَ .

---

(١) أخر : أدنى وأرذل . والآخر : الأخير .

(٢) هو عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة .

(٣) العقابان : خشبتان يمد الرجل بينهما للجلد .

(٤) أطر : أدل .

قال بعضُهم لبنيه : يا بُنَيَّ لا تعادُوا أحداً ، وإن ظَنَنْتُم أنّه يضُرّكم ، ولا تَزْهَدوا في صداقَة أحدٍ ، وإن ظننتُم أنه لا ينفعُم ، فإنكم لا تدرون متى تخافون عداوةَ العدوِ ، ولا متى ترجون صداقةَ الصديقِ ، ولا يَعْتذرْ إليكم أحدٌ إلا قَبِلتُم عُذْرَه ، وإنْ علِمتُم أنه كاذبٌ ، زُجّوا الامرَ زَجّاً .

وقال سعدُ العشيرةِ (١) لبنيه عند موْته : إيّاكُم وما يَدْعو إلى الاعتذارِ ، وَدُعوا قَذْفَ المُحْصَناتِ ، لتسلمَ لكم الأمّهاتُ ، وإياكم والبَغْيَ، ودَعُوا المِراء والخِصام ، تَهبْكُم العشائرُ، وجودوا بالنّوالِ تَنْمُ لكم الأموالُ . وإياكم ونكاحَ الوَرْهاءِ ، فإنها أدْوأُ الداء ، وأَبعدوا من جارِ السوءِ دارَكم ، ودَعوا الضغائنَ فإنها تدعو إلى التّقاطُعِ .

وقال بعضُهم : سمِعْتُ بدويّاً يقول لابنهِ : يا بُنَي : كُنْ سَبْعاً خالِساً ، أو ذِئْباً خانِساً ، أو كَلْبا حارِسا ، وإيّاكَ وأنْ تكونَ إنساناً ناقصا .

---

(١) سعد العشيرة بن مالك بن أدد من كهلان من القحطانية ، سمي بسعد العشيرة لأنه كان يركب ومعه أبناؤه وأبناء أبنائه وهم نحو مائة رجل .

قال هانىء بن قبيصةُ بنُ مسعودٍ الشيبانيُّ يومَ ذي قار(١) يُحَرِّضُ بني وائلٍ :

الحَذَرُ لا يُنْجِي من القَدَرِ ، والدَّنِيَّةُ أغلظُ من المنيَّة ، واستقبالُ الموتِ خيرٌ من استِدْبارِه، والطَّعْنُ في الثَّغْرِ ، خَيْرٌ وأكرمُ منه في الدُّبرِ ، يا بني : هالِكٌ مَعذورٌ ، خيرٌ من ناجٍ فَرُور ، قاتِلوا ، فما للمنايا من بُدٍّ(٢) .

قال أَكْثَمُ بنُ صيفيّ(٣) : يا بَني تَميمٍ لا يفوتَنَّكُم وَعْظي إنْ فاتكم الدهرُ بنفسي ، إنَّ بين حَيْزُومي(٤) وصَدري لبحراً من الكَلِمِ ، لا أجدُ له مواقعَ غير أسماعِكم ، ولا مَقارَّ إلا قلوبَكم فتلقَّوها بأسماعٍ صاغيةٍ ، وقلوبٍ واعيةٍ ، تحمَدُوا عواقبَها :

---

(١) يوم ذي قار : من أعظم أيام العرب حيث انتصروا فيه على العجم .

(٢) بد : عوض .

(٣) أكثم بن رياح بن الحارث من مخاش بن معاوية التميمي ، حكيم العرب في الجاهلية ، وأحد المعمرين .

(٤) الحيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الحزام .

إن الهوى يَقْظانُ ، والعقلُ راقدٌ ، والشهواتُ مُطْلَقَةٌ ، والحزمُ معقولٌ(١) ، والنفسُ مُهْمَلَةٌ ، والرويّةُ مُقيَّدَةٌ ، ومن يجهل التّواني ، ويترك الرَّويّةَ يُتْلفِ الحزمَ .

ولن يعدمَ المشاوِرُ مُرْشِداً ، والمستبدُ برأيه موقوفٌ على مداحِضِ(٢) الزلل ، ومن سَمع سُمع به ، ومَصارعُ الألبابَ تحتَ ظِلالِ الطَّمَعِ ، ولو اعتُبرتْ مواقعَ المِحَنِ ، ما وُجِدتْ إلا في مَقاتِلِ الكرامِ ، وعلى الاعتبارِ طريقُ الرشادِ ، ومن سلكَ الجَدَدَ أَمِنَ العثار(٣) ، ولن يعدمَ الحسوُد أنْ يُتْعِبَ قَلْبَه ، ويشغلَ فِكره ، ويثيرَ غيظَه ، ولا يجاوزَ ضرَّه نفسَه .

يا بَني تميم : الصَّبرُ على جَرْعِ الحِلْم ، أعذبُ من جَنْي ثمرِ النَّدمِ ، ومن جَعَل عِرْضَه دونَ

---

(١) معقول : مقيد ومحبوس .

(٢) مداحض : جمع مدحضة وهي المزلة .

(٣) والمقصود بالجدد في هذا المثل من سلك طريق الإجماع والجدد : الأرض المستوية .

ماله ، استهدفَ الذمَّ ، وكَلْمُ اللسانِ ، أنكى(١) من كَلْمِ الحُسامِ ، والكلمةُ مزمومة مالم تنجم من الفَمِ ، فإذا نَجَمَتْ فهي سَبعٌ مُحرَّبٌ(٢) ، أو نار تَلَهَّبُ ، ولكلِّ خافيةٍ مُختَفٍ ، ورأيُ الناصحِ اللبيبِ دليلٌ لا يجورُ ، ونفاذُ الرأي في الحرب ، أنفذُ من الطعنِ والضربِ .

وقال رجلٌ من بني هلال لبنيه : يا بَنيَّ اظهروا النُسْكَ فإن الناسَ إن رَأَوْا من أحدكم بُخلا قالوا : مُقْتَصِد لا يحب الإسراف وإن رأَوْا عيّاً قالوا: مُتوقٍ يكره الكلامَ ، وإن يرَوْا جُبنا قالوا : متحرِّجٌ يكره الإقدامَ على الشبهات .

وكانت العربُ إذا أوفدتْ وافداً تقول له : إياك والهيبةَ فإنها خيبةٌ ، وعليك بالفرصة فإنها خلسةٌ ، ولا تبِتْ عند ذَنَبِ الأمر ، وبِتْ عند رأسِه .

أوصت أعرابيةٌ ابنتها عند إهدائها إلى زوجها ، فقالت : اقلعي زُجَّ رُمْحِهِ ، فإن أقرَّ فاقلعِي سِنانَه ،

(١) أنكى نكاية : أي هزم وغلب .
(٢) سبع محرب : أي غضبان .

فإن أقرّ فاكسري العظامَ بسيفه، فإن أقر فاقطعي اللحمَ على تُرسه ، فإن أقرّ فضعي الإكافَ على ظهره ، فإنما هو حمار .

وأوصتْ أخرى ابنتها وقد زوّجتْها فقالت : لو تركتُ الوصيةَ لأحدٍ لحُسْنِ أدبٍ أو لكرم حسبٍ لتركتها لك . ولكنها تذكرةٌ للغافل ، ومعونةٌ للعاقل . يا بُنيَّة : إنك قد خلّفْتِ العُشَّ الذي فيه درَجْتِ ، والموضعَ الذي منه خرجْتِ ، إلى وكْرٍ لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، كوني لزوجك أمةً ، يكنْ لكِ عبدا ، واحفظي عني خصالا عشراً ، تكنْ لك ذُخرا وذِكرا ، أما الأولى والثانية : فحسنُ الصَّحابةِ بالقناعةِ ، وجميلُ المعاشرة بالسمعِ والطاعةِ ، ففي حُسن الصحابة راحة القلب ، وفي جميل المعاشرة رضا الربّ . والثالثة والرابعة : التفقّدُ لموضع عينهِ ، والتعاهدُ لموضعِ أنفه ، فلا تقعُ عينهُ منك على قبيح ، ولا تجد أنفه منك خُبْثَ ريح . واعلمي أن الكُحلَ أحسنُ الحُسْنِ الموجود، وأن الماء أطيبُ الطّيب الموجود . والخامسة والسادسة . فالحفظُ لماله ، والإرعاء

على حشمه وعياله ، واعلمي أن أصلَ الاحتفاظِ بالمال من حُسْن التقدير ، والإرعاءَ على الحشم والعيال من حُسْن التدبير . والسابعة والثامنة : التعاهدُ لوقت طعامه ، والهدوءُ عند منامه ، فحرارةُ الجوع مَلْهبةٌ ، وتنغيصُ النوم مَغْضبةٌ . والتاسع والعاشر : فلا تُفْشين له سراً ولا تَعْصين له أمراً ، فإنك إنْ أفشيْت سرَّه ، لم تأمَني غدرَه وإن عَصيْتِ أمره أوْغَرْتِ صدرَه .

لما حَضرتْ وَكيعاً الوفاةُ (١) ، دعا بنيه فقال : يا بَنِيَّ إنَّ قوماً سيأتونكم قد قَرَّحوا جباههم وعَرَّضوا لحاهم ، يدَّعون أن لهم على أبيكم دَيناً فلا تقضوهم ، فإنَّ أباكم قد حَمل من الذُّنوب ما إنْ غفرها اللهُ ، لم تضُره هذه ، وإلا فهي مع ما تقدم .

جمع زُرارةُ بنُ عُدُس التميمي (٢) بَنيه وهم يَومئذ عشرةٌ : حاجبٌ ولقيطٌ ومعبدٌ ومالكٌ ولبيدٌ

(١) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ، محدث العراق في عصره . توفي سنة ١٩٧هـ .

(٢) زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة ، جد جاهلي من تميم ، كان حكما من قضاة تميم .

وعلقمةُ وخزيمةُ وسعدُ ومناةُ وعمروٌ والمنذرُ فقال :
يا بَنيَّ : إنكم أصبحتم بيتَ تميم ، بل بيتَ مُضَر ،
يا بَني : ما هَجَمْتُ على قوم قط من العرب لا يعرفوني
إلا أجلّوني فإذا عرفوني ازددْتُ عندهم شَرفا ، وفي
أعينُهم عِظَما ، ولا وفَدْتُ إلى ملكٍ عربي قطّ ولا
أعجمي إلا آثرني وشفعني : يا بَني : خذوا من آدابي ،
وقِفوا عند أمْري ، واحفظوا وصيّتي ، وموتوا على
شَريعتي ، وإيّاكم أن تُدخلوا قَبري حَويّة أُسَبُّ بها .
فوالله ما شايعتْني نفسي على إتيان دَنيّة ولا عمل بفاحشة ،
ولا جَمعني وعاهرةً سقفُ بيتٍ قطّ ، ولا حسّنْتُ لنفسي
الغدرَ منذ شدّتْ يداي إزار ي ، ولا فارقني جارٌ لي عن
قِلى ، ولا حمَلْتني نفسي على هوى يعيبني في مُضَر ،
يا بنَي : إن القالةَ إليكم سريعةٌ ، والآذانَ سمعيةٌ ،
فاتّقوا الله في الليل إذا أظْلم ، وفي النهار إذا انْتَشر ،
يَكْفِكُم ما أهَمَّكم ، وإياكُم وشربَ الخمرِ ، فإنها
مَفْسَدةٌ للعقول ، والأجسادِ ، ذَهّابَةٌ بالطارِف
والتلادِ . زَوّجوا النساءَ الأكْفاءَ ، وإلا فانتظروا بهنّ

القضاء ، واذكروا قومكم إذ غابوا عنكم بمثل الذي تحبون أن تُذكَروا به ، يا بَنيَّ : انشروا الخير تُنْشَرُوا ، واستُروا الشرَّ تُستَتَروا ، يا بَنيَّ : قد أدركتُ سفيانَ بنَ مُجاشعٍ شيخاً كبيرا ، فأخبرني أنه قد حانَ خروجُ نبيٍّ من بني مُضر بمكةَ يُدعى أحمد ، يدعو إلى البِرِّ والإحسانِ ، ومحاسن الأخلاق ، فإنْ أدركتموه فاتّبعوه لتزدادوا بذلك شرفا إلى شرفكم ، وعِزّاً إلى عِزّكم ، يا بَنيَّ : وما بقي على دينِ عيسى بنِ مريم غيري وغيرُ أسد بن خزيمة . يا بني : لولا عَجَلة لَقيط (١) إلى الحربِ ، والحربُ لا يصلحها إلا الرجُل المكيثُ (٢) ، لقدَّمته أمامكم ، وهو فارس مُضر الحمراء ، فعليكم بحاجِب ؛ فانه حليمٌ عند الغضب ، جَوادٌ عند المُطّلب ، فرّاجٌ للكُرب ، ذو رأيٍ لا يُنْكَشُ (٣) ، وزَمّاع (٤)

---

(١) لقيط بن عدي اللخمي ، جد سويد بن حيان شهد فتح مصر ، وكان صاحب كمين عمرو بن العاص .

(٢) المكيث : المتأني .

(٣) لا ينكش : لا يستقصي ما فيه .

(٤) الزماع : ذو العزم .

لا يُفْحَشُ . فاسمعوا له وأطيعوا ، جَنَّبَكم ربكُم الرَّدَى .

أوصى الفَرافِصةُ ابنَته نائلةَ حين زَفَّها إلى عثمانَ فقال : يا بُنَيّةُ ، إنك تقدمينَ على نساءِ قُريش ، هُنَّ أقْدَرُ على الطِّيب منك ، فلا تاقبي على خصلتين أقولهما لك : الكحل والماء ، تَطَهَّري حين يكون ريحُ جِلدك كأنه ريحُ شَنٍّ (١) أصابه مَطرٌ .

أَوْصى يزيدُ (٢) بنُ المهلب ابنَه مخلداً حين اسْتَخْلَفَهُ على جُرجانَ فقال : يا بنُيَّ قد استخلَفْتُكَ، فانظر هذا الحي من اليمن ، فكن منهم كما قال الشاعر :

إذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرجالِ لِنَفْعِهم
فَرِشْ واصْطَنِعْ عندَ الذينَ بهم تَرْمِي

وانْظُر هذا الحي من ربيعةَ فانهم شيعَتُكَ وأنصارك ، فاقْضِ حقُوقَهم ، وانظُرْ هذا الحيَّ من تميم ، فامطُر

---

(١) ريح شن : ريح يابسة جافة . شن : يبس .

(٢) تولى يزيد بن المهلب خراسان في خلافة سليمان بن عبد الملك ، وقام بفتح جرجان وطبرستان عام ٩٨هـ .

ولا تَزْهَ لهم ، ولا تُدْنِهم فيطمعوا ، ولا تُقْصِهم فينقطِعوا عناك ، وكُن بين المطيع وبين المُدْبر ، وانظر هذا الحي من قَيسْ ، فانهم أكْفاءُ قَومِك في الجاهلية ، ومنا صِفوهم المنابر في الإسلامِ ، ورضاهم منكم البِشْر .

يا بُنَي : إنّ لأَبيك صنائعَ فلا تُفْسِدْها ، فإنه كَفَى بالمرء من النّقص أن يَهْدم ما بنَى أبوه ، وإيّاك والدّماءَ ، فإنها لابقية بعدها ، وإياك وضربَ الأَبْشارِ (١) فإنه عارٌ باقٍ ، ووِتر مطلوب ، واستَعْمِل على النَجدة والفضلِ دونَ الهوى ، ولا تَعْزِلْ إلا عند العجزِ أو الخيانة ، ولا يمنعْك من اصْطناع الرجلِ أن يكون غيرُك قد سَبَقك إليه ، فإنك تصطنعُ الرجالَ لنفسِك ولتكنْ صنيعتُك عند من يُكافئك عند العشائرِ ، احْمِلِ الناسَ على أحسنِ أدبِك ، يكْفُوك أنفُسَهم ، وإذا كتبْتَ كِتابا فأكْثِرِ النَظرَ فيه ، وليكنْ رسولَك فيما بيني وبينك ، من يَفقَه عَنِّي وعَنك ، فإنَّ كتابَ الرجُلِ مَوْضِعُ عَقْلِه ، ورسولَه مَوْضِعُ سِرِّه ، واستودعك الله فإنه ينبغي للمودِّع أنْ يسكتَ ، وللمشيِّع أن ينصرفَ ، وما خَفَّ من المَنْطِق ، وقَلَّ من الخُطبة أحبُّ إلى أبيك .

* * *

(١) الأبشار : جمع بشر وهو الإنسان يقع على المذكر والمؤنث .

الباب التاسع

في أسامي أفْراسِ العَربِ

نذكر أولاً أسامي أفراس رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ثم نُتبعها بذكر سائرِ الأفراسِ المعروفةِ .

يقال إنّ أوّلَ فرسٍ ملكه عليه السّلامُ فرسٌ ابتاعه بالمدينة من رَجُلٍ من بني فزارةَ بعشرِ أواقٍ ، وكان اسمه عند الأعرابي « الضرسَ » فسماه عليه السلام « السَّكْبَ » . وكان له فرسٌ يُدعى « المرتجزُ » ، وكان له « لزازُ الظَّرِبِ » واللّحيفُ (١) وقيل لحافٌ ، واليعسوبُ.

ورُوي عن ابنِ عبّاس رضي الله عنه أنَّ أولَ من اتّخذَ الخيلَ وركبها إسماعيلُ عليه السلام . وقالوا : كان داودُ يحبُّها حبّاً شديداً وجمع ألفَ فرس ، فلما

(١) سمي اللحيف لطول ذنبه ، وفعيل هنا بمعنى فاعل كأنه يلحف الأرض بذنبه ويغطيها .

ورثها سليمانُ عليه السلام قال : « ماورَّثني داودُ ما لا أحبَّ إليّ من هذه الخيلِ » وضَمَّرها وصَنَعها (١) .

فمن الأفراس القديمةِ :

« زادُ الرَّكْبِ »: قالوا : إنَّ قوماً من الأزْد من أهل عُمان ، قَدِموا على سليمانَ بعد تزوّجه بَلقيسَ ملكة سبأ ، فأعطاهم هذا الفرسَ وانتشرت الخَيْلُ منه في العرب .

الهُجَيْسيّ : كان لبني تَغْلِب ، استطرقُوا(٢) الأزدَ لمّا سمعوا بذكر زادٍ فنتجَ لهم الهُجَيْسيّ .

الديناري : لبني عامر ، استطرقوا من بكر بنِ وائلٍ فنتجوه عن الهجيسي .

أَعْوَج : استطرقوها على سَبَل وكانت أجود ما أُدرك وأمها سوادةُ قَسامة وكان فيَّاضٌ وقَسامةُ لبني جَعدةَ ،

(١) ضمرها : أي علفها حتى تسمن ، ثم ركضها في الميدان حتى تخف وتدق. صنعها : أي أحسن القيام عليها .

(٢) استطرقوا : طلبوا فحلا من خيلهم ليطرق أفراسهم .

ويُزعم أن فياضا من حُوشية ووَبَار (١) . وقال بعضهم : ليس أعوجُ بني هلال من بناتِ زادِ الرّكْبِ ، هو أكرمُ من ذلك ، هو من بناتِ حوشية وبار . وانما أعوجُ الذي كان ابنَ الديناري ، فرسٌ « لبَهْراء(٢) » سمي باسم « أعوج » فأما أعوجُ الأكبرُ فإن أمه سَبَلٌ من حوشية وَبار .

ذُو العُقّالِ : لبني ثعلبةَ بنِ يَرْبوع هو ابنُ أعوجَ بنِ ديناري .

الوَرْدُ : فرسُ حمزَة بن عبدِ المطّلب رضي اللّه عنه من بناتِ ذي العُقّال . ومنه يقول :

لَيْسَ عِنْدي إلا سِلاحٌ و«وَرْدٌ»
قارِحٌ من بناتِ ذي « العُقّالِ »(٣)

الغُرابُ والوجيهُ(٤) ولاحقٌ والمُذْهَبُ وَمَكْتومٌ :

---

(١) وبار : هو ابن أميم بن أود بن سام بن نوح . وأنه لما هلكت وبار ، صارت خيلهم وحشية لا ترام .

(٢) بهراء : قبيلة من اليمن .

(٣) الخيل القارح : الذي يبلغ عمره خمس سنين .

(٤) الوجيه من الخيل : الذي تخرج يداه معا عند النتاج .

هذه جميعا لغنيّ بن أعصُر بن سعد بن قيس ابن عيلان فيها يقول طُفيل الغنويّ :

« بناتُ الغُراب » والوجيه » « ولاحق »
« وأعوجَ » تنمي نِسبةَ المُتنسّبِ

وقال :

دِقاقٌ كأمثالِ السَّراحين ضُمَّرٌ
ذخائرُ ما أبقى «الغرابُ» ومُذْهب(١)

أبوهنّ « مكتومٌ » « وأعوجُ » أنجبا
وِراداً وحُوّاً ليس فيهن مُغْرَبُ(٢)

جَلْوَى : كانت لبني ثعلبةَ بن يربوع ، أمُّ داحسٍ وهو ابنُ ذي العُقّال .

الغَبْراءُ : كانت لقيسِ بن زُهيرٍ(٣) وهي خالةُ داحسٍ وأختُه لأبيه .

---

(١) السراحين : جمع سرحان وهو الذئب .

(٢) الوراد : ذات اللون الأحمر . والحو : ذات اللون الأسود .

(٣) قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، أمير بني عبس وأحد القادة في عرب العراق ، لقب بقيس الرأي لجودة رأيه ودهائه .

الحَنْفَاءُ : أختُ داحسٍ لأبيه من ولدِ ذي العُقال لحذيفةَ بن بدرٍ الفَزاريّ(١) .

قَسَام : لبني جعدةَ بنِ كَعْب ، فيه يقول الجَعْديّ(٢) .

أغَرُّ « قَسَامِيٌّ » كُمَيْتٌ مُحَجَّلٌ
خلا يَدَهُ اليُمْنَى فتَحْجِيله خَسا(٣)

فَيَّاضُ وسَوادةُ أُمُّ سَبَل : لبني جعدةَ . فيها يقول النابغةُ الجَعْدِيّ :

وعَناجيجُ جيادٌ نُجُبٌ
نَجْلُ « فَياضٍ » ومِنْ آلِ سبلْ(٤)

الحمالةُ والقُرَيْط : لبني سليم ، فيها يقول العباسُ ابنِ مِرْدَاس :

---

(١) حذيفة بن بدر : كان في عصر المنذر بن ماء السماء في الجاهلية .

(٢) يريد النابغة الجعدي ، والقسام : معناه الجمال والحسن .

(٣) الخسا : أي الفرد .

(٤) عناجيج : مفردها عنجوج ، وهو النجيب من الإبل ، وقيل هو الطويل العنق من الإبل والخيل .

ابنُ « الحمالةِ » « والقُرَيْطِ » فَقَدْ
أُنْجِبْتَ مِن أم ومِنْ فَحْلِ

اللَّطِيمُ : فرسُ رَبيعةَ بنِ مُكَدَّم(١) .

مَصَادٌ : فرسُ ابنِ غادية الخُزاعيّ ولها يقول :

صَبَرْتُ مَصاداً إزَاءَ اللَّطِيـ
ـمِ حَتّى كأنّهما في قَرَنْ

ويزعمون أن ابنَ غاديةَ هو الذي قتل ربيعةَ بنَ مُكَدَّم « يوم الكديد » وأنه كان حليفا لبني سُلَيْم ، ونَسب الناسُ قَتْلَه إلى نُبَيْشةَ بنِ حبيب السُّلَميّ .

الأجْدَلُ : فرسُ أبي ذَرٍّ الغِفاري .

اليَعْسُوبُ : فرسُ الزُّبَيْرِ بنِ العَوّامِ ، من نتاج بني أَسد من بنات العَسْجَدي . والعسجديُّ من نسلِ الحَرون

ذُو اللِّمةِ : فرسُ عُكاشةَ(٢)بنِ مِحْصَن الأسَديّ.

---

(١) ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان بن كنانة ، أحد فرسان مضر المعدودين في الجاهلية .

واللطيم من الخيل : الذي يأخذ خديه بياض ، أو إذا رجعت غرة الفرس من أحد شقي وجهه إلى أحد الخدين فهو لطيم .

(٢) عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي من بني غنم ، صحابي من أهل المدينة ، شهد المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

ورُوي أنه كان لرسولِ اللّه صلّى اللّه عليه وسلم عندَ عُكاشة .

ثَادِقٌ : لبعض بني أسد . فيه يقول :

وباتَتْ تَلومُ على ثَادِقٍ
لِيُشْرَى فَقَدْ جَدَّ عِصْيانُها

الأَبْجَرُ : لعَنْتَرة وله يقول :

لا تَعْجَلي ، أشْدُدْ حِزامَ « الأبْجرِ »
إنّي إذا الموتُ دَنا لم أضْجَرِ

الأدْهَمُ وابنُ النّعامةِ : أيضا لعنترةَ . وفي الأدهم يقول :

يَدْعُونَ عَنْتَر ، والرماحُ كأنَّها
أشطانُ بئْرٍ في لبَان « الأدْهَمِ »

وفي ابنِ النَّعامةِ :

ويكونُ مَرْكَبُكَ القَلُوصَ ورَجْلَه
« وابنُ النّعامةِ » يَومَ ذلكَ مَرْكَبي

وَجْزةُ : ليزيد به سنان بن أبي حارثة .

مِحاجُ : لمالكِ بن عوفٍ النّصْري وهو الذي كان يُدْعى « الأسَدُ الرَّهيصُ » .

العُبَيدُ : فرسُ العَبَّاسِ بنِ مِرْداس الذي يقول فيه :

أتَجْعَلُ نَهْبِي ونَهْبَ « العُبَيْـ
ـدِ » بين عُيَيْنَةَ والأقرعِ

صَوْبَةُ والصَّمُوتُ : للعَبَّاس مِرْدَاس الذي يقول فيه :

أَعْدَدْتُ «صَوْبَةَ» «والصَّموتَ» ومارِناً
ومُفاضةً للـرَّوْعِ كالسّحْلِ

البَيْضاءُ ، وقِصَافٌ ، وزِرَّةُ ، والمُصَبِّحُ ، وزامِلٌ ، والصَّيُودُ ، وقُرزُلٌ ، والقُوَيْسُ وسُلَّم : كلها لقَيس .

الوَرْدُ : لمالكِ بنِ شُرَحْبيل ومنه يقول الأسعرُ الجُعْفِيُّ .

كُلَّمَا قُلْتُ إنني أَلحقُ « السُّوْ
دَ » تَمَطَّتْ به سَبُوحٌ ذَنُوبُ(١)

ذو الرِّيش : لأبي هند الخولانيّ ، وله يقول :

لَعَمْري لقد أبقتْ «لذي الرِّيش» بالعِدَى
مواسِمَ خزْيٍ ليس تَبْلَى مع الدَّهْرِ

الطَّيَّارُ : لأبي رَيْسانَ الحَوْلانيّ وله يقول .

لقد فُضِّلَ «الطّيّارُ» في الخيل إنَّهُ
يَكُرُّ إذا حامَتْ خَيولٌ ويَحْمِلُ

ذو العُنُقِ : للمقدادِ بنِ الأسودِ الكندي .

الجَناحُ : لمحمدِ بنِ مسلمةَ الأنصاريّ(٢) .

العَوْراءُ : لقيسِ بنِ معاويةَ بنِ الفاتِك . وكان يُعرف بفارس العوراء .

المُعَلَّى : لأسْعَرَ بنِ أبي حُمْرانَ الجُعفيّ وفيه يقول :

---

(١) الذنوب : الطويل الذنب .

(٢) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري ولد سنة ٣٥ قبل الهجرة : صحابي من أهل المدينة .

أُريدُ دمــاءَ بنــي مازنٍ
وراقَ « المُعَلّى » بيــاضُ اللّبَنْ

بَهْرام : للنّعمان العتَكيّ وله يقول :

قد جَعَلْنا « بَهْرامَ » للنّبْل تُرْسا
وأَجَبْـــنا المُضافَ حيــنَ دعانا

صُهْبَى : للنّمِر بنِ تَوْلَب العُكْليّ ولها يقول :

أَيذْهَبُ باطلا عَدَواتُ « صُهْبَى»
وركْضِ الخيــلِ تَخْتَلِجُ اختلاجا؟

أَطْلال : لبكير بن عبد اللّه بن الشداخ الليثي وشهدَ مع سَعد(١) القادسيةَ ويقال : إنه لما قطعوا الجسرَ الذي على نهر القادسية صاح بها وقال : «أطلالُ » فاجتمعتْ ووثبتْ فإذا هي من وراء النهر وهزم اللّه به المشركين يومئذ ، فيقال إن عرضَ ذلك النهرِ يومئذ أربعون ذراعا فقالت الأعاجِمُ : هذا أمرٌ من السماء.

---

(١) هو الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وموقعة القادسية بين المسلمين والفرس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة سعد بن أبي وقاص وتم النصر للمسلمين سنة ١٥هـ .

رَعْشَن : لمُراد وفيه قيل :

وَختيْل قد وزَعْتُ «برعْشَنِيٍّ»

شديدِ الأسْرِ يَستوفي الحِزاما

الصَّغَا : لمجاشع بنِ مسعود السُّلَمِيّ، وكانت من نجل الغَبراء (١) اشتراها عمرُ بنُ الخطابِ بعشرة آلاف درهم ، ثم غزا مجاشعٌ ، فقال عمر : تُحْبَسُ هذه بالمدينة وصاحبها في نَحْرِ العدوّ وهو إليها أحوجُ ؟ فردّها إليه . فانجبتْ عند ولده حتى بعث الحجاجُ بنُ يوسفَ فأخذها بعينها .

القَتَادِيُّ والتِّرْياقُ : للَخزْرَجِ في الإسلام، ولهما يقول إبراهيم بن بشير الأنصاري :

بين «القتاديّ» و«التِّرياق» نِسبتُها

جرداءُ معروقةُ اللَّحيين سُرْحُوبُ

الحَرُونُ : لمسلم بنِ عمرو الباهليّ اشتراه من رجل من بني هِلال من نتاجهم وهو الحرونُ ابنُ الخُزَز ،

---

(١) الغبراء : فرس قيس بن زهير .

وكان مسلم تزايد هو والمُهَلَّبُ بنُ أبي صُفْرَةَ ، على الحرونِ حتى بلغا به ألفَ دينارٍ وكان مسلمٌ أبصرَ الناسِ بفرسٍ ، وصَنْعَةٍ له ، إنما كان يلقب « بالسائس » من بَصَرِه بالخيل فلما بلغ ألف دينار ، وقد كان الفرسُ أصابه مَغْلَةٌ(١) فلصِقَ خاصرتاه، وكان صاحبه يبرأ من حِرانه . فقال المهلب :

فرسٌ حَرونٌ بألفِ دينار ! قيل له : إنه ابن عوج . قال : لو كان أعوجُ نفسُهُ على هذه الحالة ما ساوَى هذا الثمنَ . فاشتراه مُسلم . ثم أمر به فعُطِّشَ عَطشاً شَديداً ، وأمرَ بالماء ، فبُرِّد فشربَ منه حتى امتلأ ، ثم أمر رجلا فَركِبَه ، وركَضَه حتى مَلأهُ رَبْواً ، فرجعَتْ خاصرتاه، وسبقَ الناس دهراً ، لا يتعلَّق به فرسٌ ، ثم افْتَحَلَهُ فلم ينجل إلا سابقا . وليس في الأرض جوادٌ من لدن زمن يزيد بن معاوية يُنْسَب إلا إلى الحرون . نَتَجَ البُطَيْنَ والبطانَ بن البطين — لم يُرَ مثلهما قطُّ — والقَتادي ، وكانت تُرسل الخيلُ فيجيء السابقُ لمسلم ثم

---

(٢) المغلة : أن تأكل الدابة التراب مع البقل فتصاب بوجع في بطنها .

المُصَلّي ، ثم تَوالَى له عشرون فرسا ليس لأحد فيها شيء ، فلما مات مسلم وورد الحجاجُ أخذ البُطَين من قتيبة بن مسلم ، فبعث به إلى عبد الملك فوهبه لابنه الوليد ، فسبق الناسَ ثم استفحله فهو أبو الذائد ، والذّائدُ أبو أشقر مروان .

جَلْوَى : لعبد الرحمن بن مسلم هي بنتُ الحَرون لصُلْبِه ، ومن ولد الحرون .

مُناهِب : لبني يَربوع .

الضَّيْفُ : لبني تَغلب .

حُمَيْل : لبني عجْل .

والبَوّابُ : أخو الذائد بن البُطَيْن .

والصَّاحِب : لغَنِيّ .

والقِدْحُ : لهم ، سبق النّاس بالمدينة في زمان عُمَرَ بنِ عبد العزيز .

وغُطَيْف : لعبد العزيز بن حاتم الباهليّ .

والعُصْفُريّ : لمحمد بن يوسف أخي الحجّاج .

وذو المُوتَة : لبني سَلُول ، اشتراه بشر بن مروان بألف دينار .

وكان باليمامة عند الحكم بن عرعرة فرسٌ يقال له « الحمُوم » من نسل الحرُون فطلبها منه هشامُ بنُ عبد الملك ، فقال الحكمُ : إن لها حقاً وصُحبةً ، وما تطيبُ نفسي عنها ، ولكني أهبُ لأمير المؤمنين ابنا لها ، سبق الناس عاما أوّلَ ، وإنه لرابضٌ . قال : فضحك القوم . فقال : وما يُضحككم ؟ أرسلتُها عاماً أوّلَ بجوٍّ (١) في حلبة ربيعةَ وأنها لعقوقٌ (٢) به ، قد ربض في بطنها ، فسبقتْ ، فبعثَ به إلى هشام ، فسبَق الناسَ وما أثغرَ (٣) وإنما قال وهو رابض . لأن الولد لا يربض في بطن الفرس إلا بعد عشرة أشهر فأراد أنها سبقت وهي مُثقل .

---

(١) جو : المراد هنا اسم اليمامة .

(٢) عقوق به : أي حامل به .

(٣) ما أثغر : أي لم تسقط أسنان صباه ، يريد : صغر سنه .

الكُمَيْتُ ، وريش ، وذُؤاب : لبني المعجب بن سفيان .

ذو الوُشُوم : لعبد الله بن عدّاء البُرْجُمِيّ . ومنه يقول

أعارِضُه في الحزْنِ عَدْواً برأسِه
وفي السهل أعلو : ذا «الوشُوم» فأرْكَبُ

وَحَذْفَةُ : لعلاثةَ الحنظليّ .

ذو الوُقُوف : لرجل من بني نَهْشَل وله يقول الأسودُ بنُ يَعْفُر :

خالِي ابنُ فارِس « ذي الوُقوف » مُطارِّقٌ
وأبي — أبو أسماءَ — عبدُ الأسوَدَ

ذو الخُمار : لمالك بن نويرة ، منه يقول :

جزَاني دَوائي « ذو الخمار » وصَنْعَتِي
على حين لا يَقْوى على الخيل عالِفُ

الشَّقْراء : للرُّقَّاد بنِ المنذر الضَّبِّيّ وفيها يقول :

إذا المهرةُ « الشقراءُ » أُدْرِكَ ظَهْرُها
فَشَبَّ الإلهُ الحرْبَ بين القبـــائل

الورد : لأحمرَ بنِ جنْدل بنِ نهْشَل وله يقول الشاعر :

تجنّبْتَنا « بالوَرْدِ » يومَ رأيتْنا
يمرُّ كمرّ الثعلبِ المُتَمَطِّرِ

نُبَاك : لمخلد بن شمّاخ التغلبيّ وله يقول :

فإنّي لن يفارقني « نُبَاكُ »
يرى التّقريبَ والتّعداء دينا

الشّموس : ليزيدَ بنِ خذّاق ولها يقول :

ألاَ هلْ أتاها أنَّ شكّةَ حازمٍ
عليَّ ، وأنّي قد صنعْتُ « الشّموسا »

* * *

أسامي الأفراس التي ذكرناها ونسبناها إلى أربابها
أفراسُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

السّكْب ، المرتجز ، لزاز ، الظّرب ، واللحيف ، واليعسوب .

الأفراسُ القديمة : زادُ الرَّكْب ، الهُجَيسيّ ، الديناري ، أعوجُ ، سَبَلُ ، فَيّاضُ ، قسامة ، ذو العقال ، جَاوى ، حِمالة .

أفراس مُضَر وربيعة : الوَرْد ، الغُراب ، الوَجيه ، لاَحِق ، المُذْهَب ، مَكْتُوم ، دَاحِس ، الغَبْراء ، الخَنْفاء ، قَسَّام ، فَياض ، سَوادة ، الحِمالة ، القُرَيْط اللَّطِيم ، مَصَاد ، الأَجْدَل ، اليَعْسُوب ، ذو اللِّمة ، ثادِقُ ، العَسْجدِيّ ، لاحِقُ الأَصْغر ، زِرَّة ، حَزْمة ، الحِمالة الصُّغْرَى ، الظَّلِيم ، ظَبْيَة ، مَعْروف ، نَاصِح ، الشوْهَاء ، الخُنْثَى ، النُّباك ، العَرادةَ ، حَلاَّب ، أُثال ، نشيط ، الخذَوْاء ، الشيِّط ، العُباب ، لازِمٌ ، كامِلٌ ، ذاتُ العَجْمِ ، ذو الوُشُومِ ، وَحْفَة ، ذو الوقوف ، مَبْدوعٌ ، الجَوْنُ ، الغرَّاف ، شَوْلةُ ، النَّحَّامُ ، المزنوق ، الخَذْفة ، جروَة ، الأَبْجَرَ ، وجْرة ، مِجاجُ ، العُبَيْد ، صَوْنَةُ ، الصَّموت ، البَيْضاء ، قِصاف ، المُصَبِّح ، زَامِلُ ، الصَّيود ، قُرْزُل ، القُوَيْس ، سُلَّمُ ، خَصافُ ، مَيَّاسُ ،

السَّلِس ، التسيير ، العَرّاج ، نِصَاب ، الصفا ، النَّعامةُ ، صَهْباء ، أَطْلال ، الشّموس ، حباس ، مُنَاهِب ، حُمَيْل ، البوابُ ، الصَّاحِب ، القِيدْحُ ، العُصْفُريّ ، ذو الموتة ، الحموم ، الكُمَيْت ، رس ، ذؤاب ، القَطْرانيّ ، الأعرابي ، الفَيْنان ، المُنْكَدِر ، الحُمَيْرة ، النَّبالك ، العَنْز ، هِراوة الأعزاب ، الوَرْهاء ، السَّمَيْدع ، الوديعة ، الشّقراء .

أفراسُ اليمن : الجَوْن ، اليَحْموم ، العَطَّاف ، الهَطَّال ، العَطَّاس ، العَصَا ، العُصَيَّةُ ، الضُّبَيْبُ ، البُرَيْتُ ، حَوْمَل ، مريط ، نحلة ، شاهر ، مودود ، الضُّبَيْحُ ، كَنْزَةُ ، العَارِم ، العَرجُ ، موكل ، هَوْجل ، القَرَّاع ، الغزالة ، صَعْدة ، الوَرْدُ ، ذو الرِّيش ، الطَّيَّار ، ذو العُنُق . الحشَّاء ، المُعَلَّى ، بَهْرام ، الحُلَيْل ، الصَّريح ، ثادِق ، الغمامة ، مرياد ، رَعْشَن ، القُتارِي ، التّرياق ، صُهْبَى ، الحيل .

ومن الأفراس التي لم تُنْسَب إلى أربابها : الأتان ،

الطَّيَّار ، الزَّبيب ، العريان ، الصُّهَيْبِح ، مَنْدُوب ، اليَحْمُوم ، الظَّليم ، أم غليط ، اليَسار ، الحفّار ، الخطّار ، الصَّموت ، غَزْلاء ، المَيَّاس ، سَبْحة ، الضَّاوي ، الأصفر ، الحوَّاء ، الغُراب ، الوَاقي ، البقيَّة ، الطَّريح .

* * *

الباب العاشر

فيه : أسامي سيوف العرب :

أسيافُ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم : المُخَذَّم، ورَسُوب . وأصابَ من سِلاحِ بني قَيْنُقَاع ثلاثةَ أسيافٍ منها : سَيْفٌ قَلَعِيٌّ (١)، وسيفٌ يُدعى الحنف (٢) ، وسيفٌ يُدعى يَسَاراً

أسيافُ علي بنِ أبي طالب رضي الله عنه : ذو الفَقار(٣) كان للعاص بنِ مُنَبّه السَّهميّ قتله علي رضي الله عنه يومَ بَدْر (٤) وأتى بسيفِه فَنَفَلَه(٥) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إياه ، وفيه قيل :

---

(١) القلعي : منسوب إلى قلعة بفتح القاف واللام موضع بالبادية .

(٢) الحنف والحنيفية : ضرب من السيوف ، منسوبة إلى أحنف بن قيس لأنه أول من عملها ، وأمر باتخاذها .

(٣) المفقر من السيوف : الذي فيه حزوز أو أثر فيه ، وقد شبهوا هذه الحزوز بالفقار .

(٤) بدر : هو بئر قرب المدينة لرجل كان يدعى بدرا ، ويوم بدر في السنة الثانية للهجرة .

(٥) نفله السيف : جعله غنيمة له .

لا سيفَ إلا ذو الفَقار ، ولا فتىً إلا علِيٌّ

ورُوي أنه سمعَ ذلك في الهواءِ يومَ أُحُدٍ (١) ، ورُوِي أن بَلْقيسَ أهْدَتْ إلى سليمانَ بنِ داود عليه السلامُ سبعةَ أسيافٍ . ذو الفَقار ، وذو النُّون ، وضِرْس الحمار ، والكَشُوح ، والصَّمْصَامة (٢) ، وهُذَاما (٣) ، ورَسُوبا (٤) .

فأما ذو الفَقار : فكان لِنُبيْه بنِ الحجَّاج السَّهمي ، وأما الصَّمْصَامة وذو النُّونِ فكانا لعمرو بن معد يكرب ، وأما مُخَذَّم ورَسُوب فكانا للحارثِ بنِ جبلةَ الغساني شهد بها يوم حليمة (٥) مظاهرا بين درعين متقلدا لسيفين فقال علقمةُ بنُ عبدةَ فيه :

---

(١) يوم أحد : نسبة إلى جبل أحد ، فكان في السنة الثالثة للهجرة ، وهزم فيها المسلمون لتركهم أماكنهم ومخالفتهم أمر رسول الله .

(٢) الصمصامة من السيوف : الصارم الذي لا ينثني .

(٣) الهذام : السيف القاطع .

(٤) رسوب : من المجاز لأنه يغيب في الضريبة .

(٥) يوم حليمة بين ملك الشام وملك الحيرة .

مُظَاهِرُ سِرْبالَيْ حَدِيدٍ عليهما
عَقيلا سُيوفٍ مِخْذَمٌ ورَسُوبُ (١)

فقلدهما الحارث صنما كان لطيىء في الجاهلية يقال له « الفَلْسُ » وكان أهلُ الجاهليةِ يقلدون الأصنامَ السيوفَ فبعثَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ، فهدم الفلسَ وأخذ السيفين ، فقدم بهما على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل إن الحارث كان قلدهما مَناة .

وسيفُ حمزةَ بنِ عبد المطلب رضي الله عنه : « اللَّيَّام » وفيه قال يوم أُحُد وقتل عثمانَ ابنَ أبي طلحة ومعه اللّواءُ :

قد ذاقَ عثمانُ يومَ الحدِّ من أُحُدٍ
معَ « اللَّيامِ » فأودَى وهُوَ مَذْمُومُ

سيفُ عبدِ المطلب — الذي ورثه عن أبيه — « العَطْشَانُ » وفيه يقول :

(١) الرسوب : الذي إذا وقع غمض مكانه . والمخذم : القاطع .

مَن خانَهُ سيفُه في يوم ملحمة
فإن « عطشانَ » لم ينكلْ ولم يخنِ (١)

سيفُ عبدِ الرحمن بنِ عتّاب بنِ أُسَيد (٢) .
« وَلْوَل » وفيه يقول :

انا ابنُ عتّابٍ وسيْفيَ « وَلْوَل »
والموتُ دونَ الجَمَلِ المُجَلَّلِ (٣)

سيفُ هُبيرة بن أبي وَهب المخزوميّ: «الهُذلُول»(٤)
وفيه يقول :

وَكَمْ من كَمِيٍّ قد سَلَبْتُ سلاحَه
وغادرَهُ « الهُذلولُ » يَكْبُو مُجدلا

سيفُ الحارث بن هشام (٥) : « الأُخَيرِش »
قال فيه :

---

(١) عبد المطلب هو ابن هاشم بن عبد مناف .

(٢) عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، ولد في آخر حياة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أمه جسويرية بنت أبي جهل .

(٣) الجمل المجلل : الجمل الذي كانت فوقه عائشة (ر) في معركة الجمل.

(٤) الهذلول : السريع الخفيف .

(٣) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي ، ابن عم خالد بن الوليد وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة . شهد بدرا مع المشركين ، وأسلم يوم فتح مكة فحسن إسلامه .

ولا جَبُنَتْ خيْلي بنَحْلٍ ولا وَنَتْ
ولا لُمْتُ يومَ الروعِ وَقْعَ « الأُخَيْرِش »

نحل : موضع بالأردُنّ .

سيف عِكْرِمَةَ بنِ أبي جهل (١) : « النَّزيف » .
قال يوم بدر وقد قتل ابن عفراء :

وقبلهما أرْدَى « النزيفُ » سُمَيْدَعا
له في سناء المجدِ بَيْتٌ مُنَقَّبُ

سيفُ عُمر بنِ محمد بن أبي قيس بن عبدِوُدّ :
« المَالكُ » قال :

إنّ « المَالكَ » لسيفٌ ما ضَرَبْتُ به
يوماً من الدهرِ إلا جَدّ أو كَسَرا

سيفُ ضَرّار بنِ الخَطّاب الفِهْرِي (٢) :
« السَّحاب » قال فيه :

---

(١) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي ، أسلم عام الفتح ، واشترك في قتال الردة .

(٢) ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن سفيان بن محارب القرشي الفهري ، كان فارسا ، شاعرا ، اشترك في أحد والخندق ثم أسلم في الفتح ، واستشهد باليمامة .

فما « السحابُ » غداةَ الجرِّ مِنْ أُحُدٍ

بيناكيلِ الحدِّ إذْ عاينْتُ غسّانا

سيفُ عمرو بنِ العاص « اللُّجُّ » (١) قال في بعض حروب الشّام :

أضربهم « باللّجِ » حتى يجلُوَ الفَجَ لمَنْ مَشَى ودج.

سيفُ عمرَ بنِ سعد بن أبي وقّاص « المُلاء » :

سيفُ خالدِ بنِ يزيدَ بن معاويةَ (٢) : « العَمْرُ » قال :

قطعتُ بها مُسْتَبْطِنا تحتَ ربطتي

وفوقَ قميصِ « العمر » ذا شُطَبٍ عَضْبا

سيوفُ خالدِ بنِ الوليد « المِرْسَب » وفيه يقول :

* ضربْتُ بالمِرسَبِ رأْسَ البِطْرِيقِ * (٣)

---

(١) اللج : السيف تشبيها بلج البحر في هوله .

(٢) خالد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، اشتغل بالطب والكيمياء والفلك وتوفي بدمشق سنة ٩٠هـ .

(٣) البطريق : القائد من قواد الروم .

* علوتُ منـــــه مَجْمعَ الفُروقِ *

« الأوْلَقْ » (١) : وفيه يقول :

أضْرِبُهُمْ بالأوْلقِ * ضَرْبَ غلامٍ مُمْشِقِ *
بِصارِمٍ ذي رَوْنَـــــقِ .

والقُرْطُبَا (٢) :

عَلَوْتُ « بالقُرْطُبا » رأسَ ابنِ ماريَةٍ
عمروٍ ، فأصبحَ وسطَ الحَرْبِ مَثْلولا

« وذو القُرْطِ » : ومنه يقول :

« وبذي القُرْطِ » قد قَتَلْتُ رَجُلا
من كُهولٍ طَماطِمٍ وعـــــــرابِ

سيفُ المختارِ بنِ أبي عبيد الثّقفيّ : « ذو الرّاحةِ »
قال فيه :

رُبَّ كَميٍّ عاشَ دهراً مُصْعَبا * بَنَى عليه المَجْدُ بيتا مُرَتَّبا
علاهُ «ذو الراحةِ» حتى أجْلَبا * تركْتُهُ في دَمِهِ مُخَضَّبا

---

(١) الأولق : الجنون .

(٢) القرطبا : السيف .

سيفُ حكيم بنِ جبلةَ العبديّ (١) : « اليابِسُ »
قال فيه يوم الجمل :

أضْرِبُهُمْ باليابِسِ
ضَرْبَ غُلامٍ عابِسِ

سيفُ الحارثِ بن ظالم (٢) : « ذو الحيّاتِ » .

سَيْفُ أبي دُجانة سِماكِ بنِ حَرب الساعدي : « الحتُّ »

أنا سِماك وقبيلي ساعِدَة
وَسَيْفِيَ « الحتُّ » ودرعي الزائدة

سَيْفُ أبي قتادةَ الأنصاري : « المَجُومُ » (٣) ؛ وقال :

---

(١) حكيم بن جبلة العبدي من بني عبد القيس ، صحابي ولاه عثمان إمرة السند ، ولم يستطع دخولها فعاد إلى البصرة ، اشترك في يوم الجمل .

(٢) الحارث بن ظالم بن غيظ المري أبو ليلى ، أشهر فتاك العرب في الجاهلية .

(٣) أبو قتادة الحارث بن ربعي بن بلذمة بن محناس الأنصاري .

إذا كانَ « المَجْومُ » ضَجيعَ جَنْبي
ورُمْحي والهَراءُ من العَـــوالي

سَيْفُ أُسيدِ بن الحضير الأشهلي (١) : « الأَزْرَقُ »
قال :

أنا أبو يَحيْىَ وسَيفي « الأزرقُ »
كم قَطّ من جَماجِمٍ وأَسْـــوُقِ

سيفُ ثابتِ بن قيس بن شماس (٢) : « المُلَوَّحُ » .
قال :

فمنْ ياكُ لائماً للسيفِ منكم
فما كان « المُلَوَّحُ » بالمَلُومِ

سَيْفُ عامرِ بن يزيدَ بنِ عامر الكنانيّ : « القُراقِرُ » .
لقيه مكرز بن حفص من بني معيص وكان عامرٌ قد قتل

(١) أسيد بن الحضير بن سماك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري ، ويكنى أبا يحيى ، من السابقين للإسلام وأحد النقباء ليلة العقبة .

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأنصاري الخزرجي ، خطيب الأنصار .

أخاه فابتدره بالسيف فأخذه وعلاه به حتى قتله وقال :

وأيقنتُ أنّي إنْ أَجُلْهُ بضربةٍ
متى ماأُصِبْه « بالقُراقِرِ » يَعْطَبِ

سَيْفُ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه : « ذو الوَشَاح » .

* * *

الباب الحادي عشر

نوادرُ الأعرابِ

ولّى يوسفُ بنُ عمرَ(١) أعرابياً عملاً له فأصابَ عليه خيانةً فعزله ، فلما قَدِم عليه قال له : يا عدوَّ اللّهِ أكلْتَ مالَ اللّه ، قال : فمِنْ مالِ مَنْ آكل إذن ؟

كانت في وكيع بن أبي سود(٢) أعرابيّةٌ وهوَجٌ شديدٌ ، فقال يوماً وهو يخطبُ : إنْ اللّه خلق السمواتِ والأرضَ في ستّ سنين ، فقال بعض جلسائه : في ستة أيام . فقال : قلتُ الأولى وإنّي لأستَقِلُّها .

وصَعِدَ المِنْبَرَ فقال : إن ربيعةَ لم تزلْ غضاباً على اللّه منذ بعثَ نبيّهُ في مُضَر ، ألا وإنّ ربيعةَ قومٌ

(١) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم أبو يعقوب الثقفي ، من جبابرة الولاة في العصر الأموي .

(٢) وكيع بن أبي سود التميمي أحد الأبطال ، كان مع قتيبة في فتح بخارى .

كُشُفٌ(١) ، فإذا لقيتموهم فاطعنوا الخَيْلَ في مناخيرِها ، فإن فَرساً لم يُطْعَن في منخره إلا كان أشدَّ على فارسه من عَدُوِّه .

ورُؤي بعضُهم في شهر رمضانَ نهاراً يأكلُ فاكهةً ، فقيل له : ما تصنعُ ؟ قال : سمعتُ اللّهَ يقولُ : « كُلوا من ثَمره إذا أثْمر(٢) » وخفْتُ أن أموتَ من قبل أنْ أفْطِرَ ، فأكونُ عاصياً .

قيل لآخر : ما يمنعُكَ أن تمنعَ جارتَك ، فإنَّه يتحدثُ إليها فتيانٌ ؟ قال : وهي طائعةٌ أو كارهةٌ ؟

قالوا : طائعةٌ . فقال : أما امتنعتْ جارتي مما تكره ؟

قال : لما صَرَّفَتِ اليمَانيةُ من أهل مِزَّةَ (٣) الماءَ عن أهلِ دمشقَ ، ووجّهوه إلى الصَّحارى كتبَ إليهم

---

(١) وكشف (بضم الكاف والشين) : جمع أكشف وهو الذي لا يصدق القتال ، وقيل الأكشف الذي لا ترس معه في الحرب كأنه منكشف غير مستور .

(٢) جزء من الآية ١٤١ من سورة الأنعام .

(٣) المزة (بكسر الميم) كانت قرية بينها وبين دمشق نصف فرسخ ، وهي الآن من أكبر أحياء دمشق الجديدة .

أبو الهَيْذام : يا أهلَ مِزَّة ، ليُمَسِّيَنّي الماءُ أو لتُصبِّحنّكم الخيلُ ؟ قال : فوافاهم الماءُ قبل أن يَعْتِموا فقال أبو الهيذام : « الصدقُ يُنبي عنك لا الوعيدُ » (١) .

وجد أعرابيٌّ مِرآةً وكان قَبيحاً، فنظر فيها ورأى وَجْهَه فاستقْبَحَه ، فرمى بها وقال : لِشَرٍّ ما طرحكِ أهلُكِ .

العتبيُّ : كان مجالساً لرجل من بني الحجاز ، فقال يوماً : نظرتُ في جنسي ، فلم أجدْهُ فأصابتني هُجْنَةٌ إلا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، فقلنا له : هذا أنت الآن صَريحٌ ، وإسماعيلُ هجينٌ فأيكما أشرفُ ؟ قال : فمسح سباله . وقال : أما أنا فلا أقول شيئاً .

وَلِيَ أعرابيٌّ تَبالةَ (٢) فصعد المِنْبَرَ فلا حَمِدَ اللّهَ ولا أثْنَى عليه ، حتى قال : اللهمَّ أصلحْ عبدك ، وخليفَتك أنّى أنتَ ، إن الأميرَ ، أصلحه اللّه ، ولاني

---

(١) مثل يضرب للصدق في الأمور .

(٢) تبالة : بلد مشهور في أرض تهامة في طريق اليمن .

عليكم . وأيْمُ اللّه ما أعرفُ من الحق موضَع سوطي هذا ، وإنّي واللّه لا أوتَى بظالم ولا مظلوم إلا ضَربْتُهُ حتى يموتَ .

شهدَ آخرْ عند بعضِ الوُلاةِ على رجل بالزِّنا فقال له : اشهدْ أنك رأيتَه كالميلِ في المُكْحُلَةِ ، فقال الأعرابيُّ : لو كنتُ جِلْدَةَ استِها ما شهدتُ بها .

قال الأصمعيُّ : عَذَلْتَ أعرابياً في الكَذِب ، فقال : واللّهِ إني لأسمعُه من غيري ، فُيَدارُ بي من شَهْوته .

كان بعضُ الأعْرابِ يأكلُ ومعه بنوه ، فجعلوا يأخذونَ اللَّحْمَ من بين يديه فقال : يا بَنِيِّ إن اللّهَ تعالى يقول (فلا تَقُلْ لهما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُما) (١) ، ولأن تقولوا لي « أفٍّ » ألفَ مَرَّةٍ ، إذْ في كُلِّ مَرَّة سبعون انتهارا ، أهونُ عليّ ممّا تفعلون .

قال بعضهم : سمعتُ أعرابياً يقول في صلاتهِ : اغْفِرْ لي ولمحمد فقط ، واسألُكَ تعجيلَ حِسابي قبلَ أن يهلكَ الخَلْقُ .

---

(١) الإسراء : الآية ٢٣ .

قيل لأعرابيّ : ما طعمُ اللّبنِ ؟ قال : طَعْمُ الخيْرِ .

قال أعرابيّ : خطبَ منا رجلٌ مَغْمُوزٌ لامرأةً مغموزةً فقيل لوليّ المرأةِ : تعمّمَ لكم فزوجتموه ، فقال : إنا تبرقعنا له ، قبل أنْ يتعمّم لنا .

قُدّمَ بعضهم للصلاةَ على امرأةٍ كانت فاسدةً فقال في الدّعاء : اللّهمّ ! إنها كانت تسيءُ خُلُقَها ، وتَعْصَى بَعْلَها ، وتَبْذُل فَرْجَها ، وتُحزِنُ جارَها ، فحاسِبْها حساباً أدق من شَعْرِ استِها .

ولّي أعرابيٌّ البَحْرَيْن فجمعَ اليهودَ فقال لهم : ما تقولون في عيسى ؟ قالوا : قتلناه وصلبْناهُ فقال : لا تخْرُجوا من السّجنِ حتى تؤدّوا ديّتَه .

قيلَ لأعرابيّ : أتعرفُ أبا عمرو ؟ قال : وكيف لا أعرفُه ؟ وهو متربّعٌ في كَبِدي . يعني الجوعَ .

خرج المهديُّ يتصيّد فغَاربهِ فرسُهُ حتى دفعَ إلى خباء أعرابيٍّ فقال : يا أعرابيُّ ، هل مِنْ قِرَى ؟ قال : نعمْ ، وأخْرَجَ له فَضْلَةً من مَلّةٍ (١) فأكلها ، وفَضْلَةً

(١) الملة : يريد الخبز . والملة التراب الحار أو الرماد أو الجمر يخبز عليه .

من لَبنٍ في كَرِش فسقاهُ ، ثم أتاه بنبيذٍ في زُكْرةٍ (١)، فسقاه قَعْباً(٢) ؛ فلما شربَ المهديُّ قال : أتدري مَنْ أنا ؟ قال : لا واللّهِ ، قال : أنا من خَدَمِ الخاصَّة ،قال : باركَ اللّه لكَ في مَوْضِعك ، ثم سقاه آخرَ ، فلما شَرِبهُ قال : يا أعرابيّ أتدري مَنْ أنا ؟ قال : نعم زعمْتَ أنكَ من خَدَمِ الخاصَّةِ ، قال : لا بلْ أنا من قوّاد أميرِ المؤمنين ، فقال : رَحُبَتْ بلادُك ، وطال مَزارُك ، ثم سقاه قدحاً آخرَ ثالثاً ، فلما فرغ منه قال : يا أعرابيّ أتدري من أنا ؟ قال : زَعَمْتَ أخيراً أنك من قُوّاد أمير المؤمنين. قال :لا ولكنّي أميرُ المؤمنين ، فأخذ الأعرابيّ الزُكْرَةَ فأوْكاها(٣) وقال : واللّه لئن شربْتَ الرابعَ لتقولنّ : إنك لرسولُ اللّه ، فضحِك المهديُّ وأحاطت بهم الخيلُ ونزل أبناءُ الملوك والأشرافِ ، فطار قلبُ الأعرابي فقال له : لا بأسَ عليكَ ، وأمرَ له بصِلةٍ فقال: أشهدُ أنك صادقٌ ولو ادّعيْتَ الرابعةَ لخرَجْتَ منها .

---

(١) الزكرة : زق الخمر .
(٢) القعب : القدح الضخم .
(٣) أوكاها : أي ربطها .

قال الأصمعيُّ : أصابتنا السماءُ بالبَدْوِ فنزلنا بعضَ أَخْبِيةَ بني نعيم ، وفيهم عروسٌ فلما حضرتِ الصَّلاةُ قدَّموهُ فصَلَّى بهم ، وكان ذلك سُنَّتَهم أنْ يقدِّموا العروسَ سبعةَ أيام ، فقلْتُ لهم : ما هذه السُّنَّة ؟ قالوا : أو ما سمعْتَ اللّهَ يقول : كاد العروسُ أن يكونَ ملكا (١) .

وأُخِذَ رجلٌ ينكحُ شاةً ، فُرفِعَ إلى الوالي وكان أعرابياً ، فقال الرجلُ : يا قومُ أو ليس اللّه يقول : « أو ما ملكتْ أيْمانكم » . واللّه ما ملَكَتْ يميني غيرَها ، فخلّى عنه وحدَّ الشاةَ وقال : الحدودُ لا تُعَطَّلُ ، فقال: إنها بَهيمةٌ ، فقال : لو وَجَبَ حُكْمٌ على بهيمةٍ وكانتْ أُمي وأُختي لحددتُهما .

قال بعضَهم : وُليتُ مِخلافا من مَخاليفِ(٢) اليمن فأتَيْتُ بشيخٍ كبير فقلتُ : أمسْلمٌ أنتَ ؟ قال : بَلَى ، قلت : أتعرفُ النبيَّ ؟ قال : بلَغني أنه كان رَجُلاً

---

(١) ليس هذا القول من كلام الله تعالى .

(٢) المخلاف : الكورة . وهي كالمحافظة في الاصطلاح المعاصر .

صالحاً ، قلت : فابنُ مَن كان ؟ قال : لا واللّه ما أدري ، إلا أني أظنهُ من رَهْطِ مَعْنِ بنِ زائدةَ .

وقيل لأعرابي : كيفَ أصبحْتَ ؟ قال : بخيرٍ . فقال له آخرُ : كيف أصبحْتَ ؟ قال : كما أخبَرْتُ هذا.

وشَهِدَ أعرابي عند عاملٍ على رجل ، فقال المشهودُ عليه : لا تقبلْ شهادَته فإنّه لا يقرأْ من كتابِ اللّه شيئا . قال : بلى ، قال : فاقرأ ، فقال :

بَنُونا بَنُو أبنائنا وبناتُنا
بنُوهُنَّ أبناءُ الرجالِ الأباعِدِ (١)

فقال القاضي : إنها لَمُحْكَمَةٌ ، قال المشهودُ عليه : تَعلَّمَها واللّه البارِحَة .

دخل أعرابيّ سوقَ النَّخاسين يشتري جاريةً فلما اشتراها وأراد الانصرافَ ، قال النَّخاسُ : فيها ثلاثُ خِصَالٍ ، فإن رضيتَ وإلاَّ فَدَعها ، قال : قُلْ : قال : إنّها ربما غابتْ أياما ثم تعود إذا طُلبتْ ، قال : كأنك

(١) معنى البيت أن أولاد أبنائنا ينسبون إلينا كأولادنا ، وأما أولاد بناتنا فلا ينسبون إلينا بل إلى آبائهم الأجانب .

تعني أنها تأبَقُ(١) قال : نعمْ ، قال : لا عليكَ أنا واللّه أعلم الناسِ بأثر الذَّرِ على الصَّفَا ، فلتأخذْ أيَّ طريقٍ شاءتْ فإنا نَردُّها ، ثم ماذا ؟ قال : إنها ربما نامتْ فقطرتْ منها القَطْرَةُ بعد القَطْرَةِ . قال : كأنك تعني أنها تبولُ بالفراش ؟ قال : نعم ، قال لا عليكَ فإنها لا تتوسَّدُ عندنا إلا الترابَ، فلْتَبل كيفَ شاءتْ ، ثم ماذا ؟ قال : إنها ربما عَبِثَتْ بالشيء تجدُه عندنا ، قال : كأنك تعني أنها تسرقُ ما تجدُ ؟ قال : نعم قال : لا عليكَ فإنها واللّه ما تجدُ ما يقوتُها ، فكيفَ ما تسرقُه ؟ وأخذ بيدها وانطلقَ بها .

قيل لأعرابي : أَيَسُرُّكَ أنّك نَبِيٌّ ؟ قال : لا . قيل : لم ؟ قال : يطولُ سفري ، وأُهْجَرُ دارَ قَوْمِي ، وأُنذرُ بالعذاب عَشيرتي ، قيل له : فيسرُّك أنَّك خَليفةٌ ؟ قال : لا ، قيل : ولم ؟ قال : ينقُص عُمْري ، ويَكْثُر تَعبي ، ولا تُكَبرونِي ، أمشي وحدي ، قيل أيسرك أن تدخلَ الجنةَ وأنتَ باهِلِيٌّ ؟ قال : عَلى أنْ لا يُعْرَف فيها نسَبي .

---

(١) تأبق : أي تهرب ، والإباق : هرب العبد وذهابه من سيده من غير خوف ولا عمل شاق .

سمع أعرابي قوماً يقولون : إذا كان للإنسان على شَحْمَةِ أُذنه شَعرٌ كان دليلا على طولِ عُمْرِهِ ، فضربَ يَدَهُ على شحمةِ أذنه فوجَدَ عليها شَعْراً فقال : أنا باللّه وبِكَ .

قيل لأعرابي ما ترى يصنعُ الخليفةُ في مثل هذا اليومِ الشديدِ البَردِ؟ قال : تجده قد أخذَ لحمَ جَزُورٍ بيده اليمنَى ، وقِدرةَ تمرٍ بيده اليُسْرى ، وبين يديه قَصْعَةُ لَبَنٍ ، وقد استقبلَ الشمسَ بوجهِهِ ، واحْتَبَى (١) بكسائه فَيكْدِمُ هذا مرةً وهذه مرةً وَيَتَحسَّى(٢) من اللبنِ مَرَّةً .

وَقفتْ أعرابيةٌ على قومٍ يصلون جماعةً فلما سَجَدوا صاحتْ وقالت : صَعِقَ الناسُ وربِّ الكَعْبَةِ .

قيل لأعرابيّ : أتعرفُ إبليسَ ؟ قال : أمّا الثناءُ عليه فسيئ ، واللّه أعلمُ بسريرته .

ودخل آخرُ مَسجداً والإمامُ يقرأ : « حُرِّمَتْ عليكم

---

(١) احتبى : اشتمل .

(٢) يتحسى : يشرب على مهل .

المَيْتةُ والدمْ ولحمُ الخنزيرِ(١)» ، فقال الأعرابي: والكامِخُ فلا تَنْسَه ، أصلحكَ اللّهُ .

وسمع آخرُ رجلاً يقرأُ : «وفي السَّماءِ رزْقُكُم وما تُوعدون(٢) » فقال : يا بنَ عَمٍّ ، إنه لبعيدٌ سَحيقٌ .

قال الأصمعي : صلَّى بنا أعرابيٌّ بالبادية فقال الحمدُ للّه ، بفصاحةٍ وبَيانٍ ، ثم قال : تَبُتَ ما يوسف ذَوِي ماء ولا غَلَّة ، فأصبحَ في قعر الرَّكيّة ثاوياً .

ثم رَكَع ، فقلْتُ : يا أعرابي ، ليس هذا مِن القرآن قال : بَلَى واللّهِ ، لقد سمِعْتُ كلاماً هذا معناهُ .

قال: وقرأ آخرْ «والضُّحَى»(٣) بقراءةٍ حَسَنَة حتى بلغَ إلى قوله : « ألم يجدْكَ يتَيما فآوى(٤) » قال :

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .
(٢) سورة الذاريات آية ٢٢ .
(٣) سورة الضحى آية ١ .
(٤) سورة الضحى آية ٦ .

وإنَّ هؤلاءِ العُلُوجَ يقولون : قالَ « ووجدكَ ضالاً فهَدى(١) » لا واللّهِ ما أقولهُا فما أنا ضالٌّ ، اللّهُ أكبرُ .

وقرأ آخرُ : « إذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ والفتحُ » (٢) ثم ثم أُرْتِج عليه ، وجعل يكررُ فلم يذكر الآيةَ فالتفتَ في صلاته وقال لمن وراءه : قد بقيتْ عليّ آية لا أذكرها ، ولكني سآتيكم بآيةٍ خيرٍ مما نسيتُ وهي : « مُحلقين حجاجاً » ، اللّه أكبرُ .

قال : وسمعتُ آخرَ وهو يقولُ : اللّهُمَّ هَبْ لي ما مضَى من سيءِ عملي ، فإن عُدْتُ فلكَ الخيارُ فيما وَهبْتَ لي .

قال بعضُهم : رأيتُ أعرابيا في بعض أيام الصَّيفِ قد جاء إلى نهرٍ ، وجعلَ يغوصُ في الماء ، ثم يخرجُ ثم يغوصُ أيضاً ، ويخرج وكُلّما خرجَ مرةً ، حلَّ عُقْدَةً من عُقَدٍ في خَيْطٍ كان معه ، قلتُ : ما شأنُك ؟ قال : جنَاباتُ الشتاءِ أحْصيهن كما ترَى وأقضيهنَّ في الصيفِ .

---

(١) سورة الضحى آية ٧ .

(٢) سورة النصر آية ١ .

صَلَّى أعرابيّ خلفَ إمامٍ قرأ : « قُلْ أَرَأَيْتمُ إِنْ اهْلَكَنِيَ اللهُ ومَنْ مَعي » (١) ، فقال : أهلكَكَ اللهُ وحدكَ ما تَرِد إلاّ مَنْ معك .

قيل لآخرَ : مالكَ لا تغزو الرومَ ؟ قال : أخشى أن أُقْتلَ ولا يُطالب بثأري .

سقطَ أعرابيّ عن بَعيرهِ فانْكسرَ بعضُ أضلاعِه ، فأتَى الجابرَ يَسْتَوْصفُه فقال : خُذ تَمْرَ شهرين فانزعْ أقماعَه ونواهُ واعجنهُ بسمنٍ ، واضْمِدْه عليه . فقال الأعرابي : تَمَنّ ؟ قال : خِباءٌ خَلَقٌ في أرضٍ قَفْرٍ ، وجلةٌ في أسفلها تمرٌ ، وكلبٌ إذا أمطرت السماءُ يزاحمني في البيت .

قيل لأعرابي : كيفَ أكلُك ؟ قال : كما لا يحبُّ البخيلُ .

---

(١) تمام الآية : « أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم » سورة الملك آية ٢٨ .

سأل رجلٌ من بني تميمٍ عن رجلٍ فقيل له : دعاهُ ربُّه ، فأجابَ ، فقال : ولِمَ أجابَ ؟ لا أجابَ ، أَمَا علم أن الموتَ إحدى المهالك ؟

جاء أعرابي الحضَر وكان يوم جُمعةٍ ، فرأى الناسَ في الجامع ، فقال لبعضهم : ما هذا ؟ وكان المسؤول ما جناً ، قال : هذا يدعو إلى طَعامٍ ، قال : فما يقولُ صاحبُ المِنْبَرِ ؟ قال : يقول ما يرضَى الأعرابُ أن يأكلوا ، حتى يحملوا معهم ، فتخطَّى الأعرابيُ رقابَ الناس، حتى دنا من الإمام فقال : يا هذا إنّما يفعلُ ما تقولُ سُفَهاؤنا .

جاء آخرُ إلى صَيْرَفيٍّ بدرهمٍ ، فقال الصّيرفيُّ : هذا السُتّوق (١) قال : وما السّتّوقُ ؟ قال : داخله نُحاسٌ ، وخارجه فضةٌ ، فكسره ، فلما رأى النحاسَ قال : بأبي أنتَ . أشهدُ أنكَ تعلمُ الغيْبَ .

---

(١) الستوق : الدرهم الزيف لا خير فيه وهو فارسي معرب .

وجاء آخرُ إلى السوقِ بدرهم يشتري به تمراً ، فقيلَ له مثل ذلك ، فقال : أَعْطوني بالفِضَّة تَمراً ، وبالنُّحاس زَيْتاً .

نَزلَ عطَّارٌ يهودي بعضَ أحياءِ العرب وماتَ ، فأتوا شيخاً لهم لم يكنْ يُقْطَعُ في الحيّ أمرٌ دونَه ، فأعلموه خبر اليهوديّ ، فجاء فغَسَّلَه وكَفَّنه ، وتقدَّم وأقامَ الناسَ معه ، وقال : اللّهمَّ إنّ هذا اليهوديَّ جاءَ وله ذِمامٌ ، فأمْهِلْنا نقضي ذِمامَه ، فإذا صار في لَحْدِه فشأنكَ والعِجْلَ .

مَرَّ أعرابي وفي يدِه رغيفٌ ، بغلامٍ معه سيفٌ ؛ فقال له : يا غلامُ ، بِعني هذا السيفَ بهذا الرغيفِ قال : ويلك أمجنونٌ أنتَ ؟ قال الأعرابي : لعنَ الله شرَّهما في البَطْنِ .

قيل لأعرابي : هل تعرفُ من النجومِ شيئاً ؟

قال : ما أعرفُ منها إلا بناتِ نَعْشٍ ، ولو تَفرقْنَ ا عرفتُهنَّ .

عَضَّ ثعلبٌ أعرابياً ، فأتَى راقياً ، فقال له الراقي : ما عضّك ؟ قال : كلب ، واستَحى أنْ يقولَ ثعلبٌ ، فلما ابتدأ يَرْقيه ، قال : اخلط به شيئاً من رُقْيَة الثعلبِ .

سُئل آخرُ عن حالهِ مع عشيقته فقال : ما نلتُ منها مُحرماً ، غير أنني إذا هي بالتْ بُلْتُ حيثُ تبولُ .

قال بعضُهم : صلَّيتُ الغداةَ في مسجدِ باهلة بالبصرةِ ، فقام أعرابي فسألَ ، فأمر له إنسانٌ منهم برغيفيْن فرآهما صَغيريْن رقيقيْن ، فلم يأخذْهُما ، ومضى ، وجاء برغيفٍ كبيرٍ حَسَنٍ فقال لباهلة : استفحلوا هذا الرغيف لخبزِكم فلعلّهُ ينْجِب .

سأل أعرابي عن أصحابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فذكروا له ، حتى انتهوا إلى ذِكر معاوية فقالوا : إنه كان كاتبَه فقال : أفلحَ وربِّ الكعبةِ ، فإن الأمورَ بيدِ الكاتبِ .

سمعَ أعرابيّ قولَه تعالى : « وفي السماءِ رِزْقُكم وماتُوعَدُون »(١) فقال : وأين السُّلَّمُ . ؟ !

---

(١) سورة الذاريات آية ٢٢ — .

امتنع أعرابيٌّ من غَسْل اليدِ بعد الأَكْل ، وقال : فَقْدُ رِيحِهِ كَفَقْدِه .

قيلَ لآخرَ : هل تعرفُ التُّخْمةَ ؟ فقال : ما هو ؟ قال أن يمتلىء الإنسانُ من الطعام حتى يؤذيه ولا يشتهيه ، قال : وهل يكون إلا في الجَنَّة .

قيل لآخر اشْتَدَّ به الوجعُ : أَوَتُبْتَ ؟ فقال : لستُ ممن يُعطي على الضَّيم ، إن عُوفِيتُ تُبْتُ .

طلبوا يوماً هلالَ شهرِ رمضانَ فقال لهم أبو مَهديَّة : كُفُّوا فما طَلَبَ أحدٌ عَيْباً إلا وَجَدَه .

خرجَتْ من واحدٍ منهم رِيحٌ ، وحضرتِ الصلاةُ ، فقام يُصَلي ، فقيلِ له في ذلك فقال : لو أوجَبْتُ على نفسي الوضوءَ بِكلِّ رِيحٍ تخرجُ مِنّي ، لخلتموني ضِفْدَعاً أو حُوتاً .

قال الأصمعي : سمعتُ أبا غرارةَ يقولُ : مَنْ أكل سبعَ مَوْزاتٍ ، وشرب من لبَن الأوارِكِ ، تَجَشَّأَ بَخورَ الكعبة (١) .

---

(١) الأوارك : الإبل التي تأكل الأراك وهو شجر السواك وهو أطيب ما رعته الماشية .

قال هشامُ بنُ عبدِ الملك : مَنْ يَسبُّني ولا يفحشُ ، هذا المُطرفُ له . فقال له أعرابي حَضر : ألْقه يا أحوَلُ . فقال هشامٌ : خُذْه قاتَلك اللهُ .

دخل أعرابي المخرجَ ، فخرجَ منه صوتٌ ، فجَعل فتيان حَضروه يضحكون منه . فقال : يا فتيانُ هل سمِعتُم شيئاً في غير موْضعِه .

وروى أبو هُريرة قال : جاء أعرابي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : إني جائعٌ فأطعمْني ، فقدَّمَ له لُقمةً من سُلْتٍ (١) وقال له : سَمِّ وكُلْ ، يا أعرابي . فأكلَ حتى شبعَ وبقيتْ منها بَقيَّةٌ ، فقال الأعرابي للنبي عليه السلام : إنك لرجلٌ صالحٌ .

قيل لأعرابي : ما اسمُ المرَقِ عندكم ؟ قال : السَّخينُ . قيل : فإذا بردَ ؟ قال : لا ندعه حتى يبرد .

ذكر أعرابيٌّ امرأةً وزوجَها بالحِدَّةِ فقال : هي قَدَّاحةٌ وزَوجُها حَرَّاقٌ .

(١) السلت : ضرب من الشعير ليس له قشر يشبه الحنطة يكون بالغور والحجاز .

قيل لأعرابي : أتعرفونَ التُّخَمَةَ عندكم ؟ قال : نَعم ، هي كثيرةٌ عندنا ، قيل : وما هي ، قال : يصبحُ الإنسانُ وكأنَّ بناتِ البقرِ تلحسُ فؤادَه ، يعني الجوعَ .

قيل لأعرابيّ من بَني تَميم : أيهما أحبُّ إليك أنْ تلقَى اللهَ ظالماً أو مَظلوماً ؟ قال : لا ، بلْ ظالماً واللهِ ، قالوا : سبحانَ الله أتحبّ الظُّلمَ ؟ قال فما عذري إن أتيتُه مظلوماً . يقول : خلَقْتَك مثل البعير الصحيحِ ثم تأتيني تَعْصُر عينَك وتشتكي .

* * *


الباب الثاني عشر

أَمْثَالُ العَامَّة

بَاعَ كَرْمَهُ واشترى مِعْصَرَةً

باعَ الدَّواءَ واشترى رَمْكَةً (١)

مَنْ صَيَّرَ نفسَه نخالة ، أكلتْه الدجاجُ

أَصْبَرُ من خَلَد الحدّاد

أنذلُ من فأْر السجن

من أنفقَ ولم يحْسِب ، خربَ بيتُهُ ولم يعْلَمْ

الرِّيحُ تُصفِّق الأبواب ، والأبوابُ تصفِّق الحيطان ، والبَلِيَّةُ على صاحب الدار .

الحجرُ يُجاز ، والعصفورُ مَجاز .

فلان كالكعبةِ ، يُزارُ ولايَزور .

---

(١) الرمكة : لا قيمة له ، دون الورقة .

السَّاجُور خَيْرٌ من الكَلْبِ (١) .

إذا أراد اللهُ إهلاكَ النَّملة ، أنْبتَ لها جَناحين .

شَرٌّ السَّمكُ الذي يُكدِّرُ الماءَ(٢) .

حَقٌّ مَنْ كَتب بالمِسْك ، أنْ يَخْتِم بالعَنْبر .

أخرجْ الطمع من قلبك قبل أن تحلّ القيد من رِجلك .

مَن غَضِب بلا شيء ، رضي بلا شيء .

كُلُّ شيءٍ وثمنه .

كُلُّ إنسانٍ وهَمّه .

مَنْ ضاق صدْرُه ، اتَّسع لِسانُهُ .

إذا ذكَرْت الكلب ، فأعدّ له العَصا .

من لم يَذُقِ اللَّحْم ، أعجبَتْهُ الرِّئَةُ .

مُدَّ رجليك ، على قَدْرِ الكِساء .

الجالبُ مَرْزوقٌ ، والمُحْتَكرُ ملعونُ .

---

(١) الساجور : القلادة التي توضع في عنق الكلب .

(٢) أي لا تحقر خصما صغيرا .

ليس في الحُبِّ مَشُورةٌ .

ليس في الشهواتِ خُصومةٌ .

هان على النَّظارة ، مايمرُّ على ظَهْرِ المَجْلود .

كُلَّما كَثُر الجرادُ ، طاب لَقْطُه .

مَنْ كان في الخان فغمُّه عليك .

المُسْتَقْرِضُ من كَيْسه يأكلُ

كُل واشْبعْ ثم أذلّ وارْفعْ .

ضيقةٌ عاجِلَةٌ ، خَيْرٌ من رِبْحٍ بَطيء

أخْتِمِ الطّين مادام رطْباً .

رأسُ المالِ أحدُ الرِّبحين .

العبدُ مَنْ لاعبدَ له .

الحُرُّ حُر ، وإن مَسَّهُ الضُّر .

العبدُ عَبْدٌ وإن مَلَكَ الدُّر .

الهوى إلهٌ مَعبود .

استراح مَنْ لاعقل له .

اللّذاتُ بالمؤونات .

كتفٌ بتخْت ، خيْرٌ مِنْ كوم علْم .

للحيطان آذان .

مَنْ لم يتغدَّ بدانقين ، تعشَّ بأربعةِ دوانيق .

خُذِ اللِّصّ قبل أن يأخُذك .

إذا تخاصم اللُّصوصُ ، وجد صاحبُ المتاعِ متاعَه .

أقْبحُ من السِّحر .

أوْحَشُ من الهجْر .

فيهم من كلِّ رقٍّ رُقْعَة .

هُم أبناءُ الدّهاليز .

ماأشبه السفينة بالملاّح .

له في كُلِّ قِدْرٍ مغرفةٌ .

يَضْرطُ من اسْتٍ واسعةٍ .

نزلْت بوادٍ غير ذي زرع .

تنفخُ في حَديد بارِد .

أثقلُ من كراء الدّار .

أكسدُ من القرْو في الصيف .

هو ابنُ زانيةٍ مُريبٌ .

فلانٌ في النفط ، فإن الزيت مُبارك .

باعَهُ الله في الأعْراب .

لا يُقاسُ الملائكةُ بالحدّادين .

هو أوْسَعُ من رحمةِ الله .

به داء الملوك .

يأكلُ أكْل اليتيم في بَيْتِ الوصيّ .

يأكُلُ أكْل الشّص في بَيْتِ اللّص(١) .

رأسُك والحائط .

هو ألزمُ من الدّقيق .

عجوزٌ مُنْتَقِبةٌ .

قُفْلٌ على خربةٍ .

(١) الشص : اللص الذي لا يدع شيئا إلا أتى عليه .

أضيعُ من حُليّ على زنجيّة .

أَضْيَعُ من سراج في شمس .

هو رقيقُ الحافِر .

يدهنُ رأسَه من قارورة فارغة .

يرضى من المعَاصي بالتُّهم .

يظنّ بالناس ، مايظُن بنفسِه .

دعوْتُه دعوة السّنة .

البستانُ كلُّه كرَفْس(١) .

وقع اللِّصُّ على اللصِّ .

نزلتْ سَلْمَى بسَلْمى .

مِن هالك إلى مالك .

إنْ كان لابدّ من قيدٍ ، فليكنْ مَجْلُوّاً .

لايعلمُ مافي الخُفِّ ، إلا اللهُ والإسْكاف .

---

(١) يضرب في التساوي في الشر .

يستلب القطعة من شرق الأسد .

بساطُ النبيذِ يُطوى .

فلانٌ كالضّريع ، لا يُسمن ولا يُغني من جوع .

هو يُطيّن عين الشمس(١) .

تخلصتُ منه بشعرة .

كُلّما طار قصّوا جناحيه(٢) .

أخلَقُ من قِفَا نَبْكِ (٣)

هو سبعٌ في قفص

هو ابنُ عمّ النبي من دُلْدُلِ (٤)

هو قرابته من يَعْفور(٥) .

قد أدّى عنه حقّ الخميس .

---

(١) يضرب لمن يستر الحق الجلي .

(٢) يضرب لمن لم تطل مدة ولايته .

(٣) يريد معلقة امرىء القيس التي مطلعها : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .

(٤) الدلدل : اسم بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت شهباء ، يضرب لمن يدعي الشرف أو يتقرب لذوي الجاه .

(٥) اليعفور ، هو اسم حمار الرسول صلى الله عليه وسلم .

الظَّفَرُ به هَزيمةٌ(١)

فُلان يَفْزعُ من ظِلِّه .

يُلْجِمُ الفأرُ في بيته(٢) .

كلامهُ رِيح في قفص .

مع الحُمَّى دُمَّل .

قوْلهُ وبَوْلهُ سواءٌ .

ومِن الطَّسْتُ إلى الطَّسَّة(٣)

قد تَعَوَّد خُبْزَ السُّفْرة(٤) .

حاضرنا شيئاً والذي كان معنا انفلت .

زلِق الحِمارُ وكان من شهوة المكاري .

فلان يُسرج بالخيل .

إذا استوى فسِكِّين ، وإن اعوجَّ فمِنْجَل .

---

(١) يضرب لمن يستضعف .

(٢) يضرب للبخيل .

(٣) الطسة : الطست .

(٤) والمثل يضرب لمن يوصف بالتجارب .

لا يقوى على الحمار ، فيميل على الإكاف (١) .

يصيد الحية بيدِ غيره .

كانا سَنْداناً فصار مِطْرقة .

حَوْصِلي وطِيري(٢) .

هذا الفَرسُ ، وهذا الميدانُ .

العملُ ، للزرنيخ والاسمُ للنّوْرة .

إذا استطعم السّكرانُ ، فاضْحَكْ في وجههِ .

أفتنُ من الجَوْرب العَفِن .

ألزمُ من الذّنوب .

أطمعُ من قيم الرّباط .

كأنه عامِلُ البّر يتَحَنّن .

مواعيدُ والكَمّون .

---

(١) الأكاف : البرذعة .

(٢) يضرب في الحث على التصرف .

كُودِيّ يَسْخَر مِنْ جُنْدِي(١) .

يَرْكبُ الفيل ، ويقول : لا تُبْصِروني .

هُو دابّة أبي دُلامة(٢)

هُو زنبيلُ الحوائج .

لو كان في البومةِ خيرٌ ، ما تَرَكَها الصيّادُ .

مَنْ زرع في سَبِخةٍ ، حَصد الفَقْر .

عنايةُ القاضي ، خَيْرٌ من شاهِديْ عَدْلٍ .

طريقُ الحافِي على أصحْابِ النّعالِ .

مَنْ كان طَبّاخُه أبو جعرانْ ، ما عسى أن يكون الألوان ؟

هذا هَواك فذُقْ كما عَشِقْت الشبوق .

كُلِ التّمر على أنّهُ رطْباً .

الخصيّ ابنُ مائة سَنة ، واسْته ابن سنتَين .

---

(١) والمثل يضرب إذا تحاذق على من هو أحذق منه .

(٢) يضرب لكثرة العيوب .

إذا بَطِر الحائِكُ ، اشترى بخُبْزِه رُمّانا .

مَنْ استحيى من ابنة عَمّه ، يولَدُ له في الآخرة .

فرّ من المَطَر ، وقعد تحت الميزاب .

الجَملُ بدِرْهم والحَبْلُ بألفِ دينار ولا أبيعهما إلا معا .

كُلّ شيء في القِدرِ يُخرجها المِغْرفة .

ما تركَهُ اللّص ، أخذهُ العرّاف .

ما أشبه التّين بالسرقين .

* * *

الباب الثالث عشر

نوادرُ أصحابِ الشَّرابِ والسُّكارَى

قال بعضُهم : إذا رأيْت الرجل يَشْربُ وحده ، فأعْلَمْ أنه لا يفلحُ أبداً ، وإذا لم يَشْربْ إلا مع الإخوانِ فارْجُ له الإقْلاع .

كان بعضُ أولادِ الملوكِ إذا شرب وسكرِ ، عَرْبد على نُدمائه ، وكان إذا صحا يَنْدمُ ، ويَسْتَدْعِي مَنْ عَرْبد عليه ويعطيه ألف دِرهم وما يُقَارِبُها. فقال له بعضهم يَوْماً : أنا رجُلٌ مضيقٌ ، وأنا مع ذلك ضعيفٌ ولا أحتملُ عربدةً بألف درهم فإن رأيت أنْ تعَرْبِد عَليّ بمائتي درهم . فقلْتُ : فاستَظْرفه وأعْطَاهُ وأحْسَن إليه .

سَقَط سكرانُ في كَنيفٍ(١) قد امتلأ ، فجعل يقول : يا أصحابي ما للقعودِ ها هنا مَعْنًى .

---

(١) الكنيف : المرحاض .

قالوا : للنَّبيذِ حَدَّان ، حَدٌّ لا همَّ فيه ، وحَدٌ لاعقْل فيه ، فعلَيْك بالأوّلِ واتَّقِ الثاني .

كان أبو نُواس يقول : خَمْرُ الدُّنيا ، خَيْرٌ من خَمْرِ الجَنَّةِ وقد وصفها اللّه تعالى بأنها لذةٌ للشّاربين . فقيل : كَيف ؟ قال : لأن هذا نموذجٌ والأ نْموذجُ من كُلِّ شيء أبداً أجْوَدُ .

قال رجلٌ لبعضِ أصحابِ النَّبيذ : وجَّهْتُ إليك رسولاً عشية أمسِ ، فلم يجِدْك . قال : ذاك وقتٌ لا أكاد أجِدُ فيه نَفْسي .

سقى بعضُهم ضيْفاً له نبيذاً رديئا ، وقال له : هذا النبيذُ من عانة (١) . فقال الضَّيفُ : مِنْ أسفلِ العانَةِ بأربعةِ أصابع .

قال بعضهم : ما نُحِبُّ أنْ تُدعَى القَيْنَةُ في الصيفِ نهاراً ، وفي الشتاء ليلاً إلا لنُذْهِب البرد .

قال بعضُهم : ليكنْ النُّقْلُ كافياً ، وإلاّ أبغض بعضُنا بعضا

---

(١) عانة : بلد في العراق تنسب إليها الخمر العانية .

خَرَج بعضُ السُّكارى مـن مَجلسٍ ومَشَى في طريق فسقَط وتَبَوّع (١) وجاءَ كلبٌ يلحس فَمَهُ وشَفَتَيه والسَّكْرانُ يقول: خَدَمَاكَ بَنُوك، وبنو بنيك فلا عَدِمُوك! . ثم رفع الكلبُ رِجلَه وبال على وجهِه فجعل يقولُ: وماءٌ حارٌ يا سيدي! بارك اللّهُ عليك.

خرج سوَّار القاضي (٢) يوماً من دارِه يريدُ المسجد ماشياً، فلقيَهُ سكْرانُ فعرفه. فقال: القاضي — أعزَّه الله — يَمْشي، امرأتهُ طالقٌ إنْ حملتُك إلاّ على عاتقي. فقال: اُدْنُ يا خبيثُ.

سُئل إسحق (٣) عن النُّدماء فقال: واحدٌ: غَمٌ، واثنان: هَمٌ، وثلاثةٌ: قوامٌ، وأربعةٌ: تَمامٌ: وخمسةٌ: مجلسٌ، وستَّةٌ: زحامٌ، وسبعةٌ: جَيْشٌ، وثمانيةٌ: عسكرٌ، وتسعةٌ: اضرب طَبْلَكَ، وعشرةٌ: الْقَ بهم مَنْ شِئت.

---

(١) وتبوع: مد باعه.

(٢) سوار بن عبد الله بن قدامة، من بني العنبر، قاض من أهل البصرة، سكن بغداد وولي بها قضاء الرصافة: وتوفي ببغداد سنة ٢١٥هـ.

(٣) إسحق بن ابراهيم بن ميمون التميمي الموصلي من أشهر ندماء الخلفاء، اشتهر بالغناء كان عالما باللغة والموسيقى، راويا الشعر، حافظا للأخبار، توفي بها عام ٢٣٥هـ.

قال إبراهيمُ المَوْصلي(١) : دخلْتُ يوماً على الفَضْل ابنِ جعفر ، فصادفته وهو يشربُ وعنده كلبٌ ، فقلتُ له : أتُنَادِمُ كَلْباً ؟ قال : نعم ، يمنعني أذاهُ وتكفُّ عني أذى سواه ، يَشْكُرُ قَلِيلي ، ويحفظ مَبِيتي ، ومَقيلي وعَقيلي . وأنشد :

وأشْربُ وحدِي مِنْ كَرَاهيةِ الأذى
مخافــةَ شَرٍ أو سِبابِ لئيـــم

وكان آخرُ يشربُ وحدَه . وكان مُدْمِناً للشُّرْب ، وكان إذا جلس وضع بين يديه صُراحيَّة (٢) الشرابِ ، وصُراحيَّةً فارغة ، ثم يَصُبُّ القدح ويشربُه ، ويقول للصُّراحيةِ الفارغةِ : هذا سُروري بك ، ثم يَصُبُّ القدح ويشربه ، ويقول للصُّراحية : هذا سرورك بي ، ويَصُبُّه فيها ، ويكون هذا دأبه إلى أنْ يَسْكَرَ .

حَضر بعضُ التُّجار مجلس شُرْبٍ فجعل يُسْرِع في النُّقْلِ فقال بعضُ الظّراف : هذا يَشْربُ النُّقْلَ ، ويَتَنَقَّلُ بالنبيذِ .

* * *

(١) إبراهيم بن ماهان الموصلي التميمي بالولاء أبو اسحق، النديم المغني

(٢) الصراحية : آنية للخمر .

الباب الرابع عشر

في الكَذِبِ

قال دغفل (١) : حَمى النُّعمانُ ظَهرَ الكوفةِ ، ومِنْ ثَمَّ قِيل : شقائقُ النُّعمان (٢) ، فخرج يوماً يسير في ذلك الظَّهر ، فاذا هو بشيخ يَخصِفُ النعل . فقال : ما أَوْلجَكَ ها هنا ؟ قال : طرد النعمانُ الرِّعاء ، فأخذوا يميناً وشمالاً ، فانتهيتُ إلى هذه الوهدة في خلاءٍ من الأرض ، فنتجَتْ الإبلُ ، وولدتْ الغنمُ ، وامتلأتْ السَّمن . والنُّعمان مُعتَمٌّ لا يعرفهُ الرَّجلُ . قال : أو ما تخافُ النعمان ؟ قال : وما أخاف منه لربما لستُ بيدي هذه بين عانَة أمه وسُرَّتها ، فأجدهُ كأنه أرنبٌ جاثِمٌ ، فهاج النعمانُ غَضباً وسَفَر عن وجهه ، فإذا خَرزاتُ المُلكْ ، فلمّا رآهُ الشيخُ قال : أبَيت

(١) دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة الذهلي الشيباني ، نسابة العرب .

(٢) نزل النعمان بن المنذر على شقائق رمل قد أنبتت بالشقائق ، وهي نبت له نور أحمر . فاستحسنها وأمر أن تحمى .

اللعن ! ، لا تر أنك ظَفِرْتَ بشيء ، قد علمتْ العربُ أنه ليس بين لابتيها (١) شيخٌ أكذب منّي . فضحك النعمانُ ومضى .

سمعتُ الصاحب (٢) رحمةُ الله عليه ، يحكي عن الوزير أبي محمد المتنبيّ أنّ بعَض الأحداثِ من أهلِ بغداد من أولادِ أرْبابِ النِّعَم فارق أباه مُستَوْحِشاً ، وخرج إلى البصرة ، وكان في الفتى أدبٌ وظَرفٌ وفَضْلٌ ، فدخلها وقد انقَطَع عنه ، وتَحيَّر في أمرْه ، فَسأل عمَّنْ يُستعانُ به مِن أهلِها من الفُضلاء ، فوُصِف له نَديمُ الأمير ، كان بها في ذلك الوقت من المهالبةِ فقصده وعرض عليه نفسَه وعرَّفهُ أمره فقال له : أنت مِنْ أصلحِ الناسِ لمنادمة هذا الأمير ، وهو أحوجُ النّاس إليك إنْ صبرْت منه على خَلّة واحدةٍ فقال : وما هو ؟ قال : هو رجلٌ مَشغُوفٌ بالكذب لا يَصْبر

---

(١) اللابتان : حرتان تكتنفان المدينة ، ثم جرت على ألسنة الناس عن كل بلدة .

(٢) هو اسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني ، وزير غلب عليه الأدب .

عنه ، ولا يفيقُ منه ، ولابدَّ لك من تَصْدِيقه في كل شيءٍ يقوله ، وكلِّ كذبٍ يختلِقُهُ ، لتحظَى بذلك عنده ، وإنْ لم تفعل ذلك لم آمنْهُ عليك . فقال الفتى : أنا أفعل ذلك وأحتَذِي من رسمك فيه ، ولا أتجاوزه .

فوصفَهُ هذا النّديم لصاحبه . فقال : لا يكون بغداديّاً سيء الأدب ، فضمن عنه حُسْن الأدبِ ، وإقامة شروطِ الخِدْمة . فاستحضَرَه وحَضَر ، وأُعجِبَ به ، وخَلَع عليه ، فحُملتْ إليه صِلَة من الثّياب والدَّراهم وغيرها ، ووُضِعَتْ بين يديه وواكلَه وأحضره مجلسَ أُنْسه وهُوَ في أثناء ذلك يأتي بالعظائمَ من الكذب فيصدِّقه إلى أنْ قال مرَّةً — وقد أخذَ الشرابُ من الفتى — : إنّ لي عادةً في كلِّ سنة أنْ أطبَخ قِدراً كبيرةً وقتَ ورود حاج خراسان ، وأدعوهم وأُطعمهم جميعهم من تلك القدرِ الواحدةِ فتحيّرَ الفتى وقال : أي شيء هي هذه القدر بادية العرب ؟ دهناءُ تميم ؟ بحرُ قلْزَم . فغضِبَ الأمير ، وأمر بتمزيق الخلع عليه وطردَه في بعض الليل ، وأقبل على النّديم بعنّفه ويلومه . وعادَ الفتى إلى باب النديم ،

وباتَ عليه إلى أن أصبحَ ، وعادَ الرجُلُ إلى منزله ، فدخلَ إليه واعتذَرَ بالسُّكْر ، وضمن أن لا يعودَ لمثل ذلك ، فعَاد إلى صاحبِه وحَسَّن أمرَه وقال : أنه كان بعيدَ عهدٍ في الشَّراب ، وعَمل النبيذُ فيه عملاً لم يشعُرْ معه بشيءٍ مما جرى . وأنه بَكَّر إلى سَيْرٍ ، فرآه اللصوص عند عوده فعارضوه وأخذوا منه حلة الأمير ومانعهَم فمزَّقوا عليه خِلعهُ . فرسَم بإعادته إلى المجلس ، وأضعف له في اليوم الثاني الجائزةَ والخِلعةَ وجَعلَ الفتَى يتَقرَّبُ بأنواع التقرُّبِ إليه ؛ وإذا كَذب الأميرُ صَدَّقه ، وحَلفَ عليه . إلى أنْ جَرى ذِكْرُ الكلاب الرَّبيبة والصِّغَار فقال الأمير : قد كان عندي منها عدة في غاية الصِّغَر ، حتّى أنّي لآمر بأن تُلْقَى في المِكْحَلةِ ، وكان لي مُضْحِكٌ أعْبثُ به ، فأَمرْتُ أن يكحلَ من تلك المِكحلة إذا قامَ وسَكِر وكان إذا أصْبَح وأفاقَ من سُكْرِهِ يرى تلك الكلابَ وهي تَنْبَحُ في عَيْنيهِ ولا يَقْدِرُ عليها لصِغَرِها

قال : فقامَ الفتى وخلعَ الثيابَ المخلوعةَ عليه ، وترك الجائزة وعادَ عُرْيانا : قال : لا صبرَ لي على كلابٍ

تَنْبح من أجفان العَيْنِ ، اعملْ بي ما شئْتَ ،وفارقَ البصرةَ ، وعادَ إلى بغداد . .

قال المدائني(١) كان عندنا بالمدائن رجلٌ يقال له : دينارُ وَيْه وكان خبيثاً ، قال له والِي المدائن ؛ إن كذبْتَ كذْبَةً لم أعرِفْها فلك عندي زقٌّ شَرابٍ ودراهم وغيرهما . قال له دينارُوَيْه : هرَب لي غلامٌ فغاب عنّي دهراً لا أعرف له خبراً فاشتريت بطيخة فشققْتُها فإذا الغلام فيها يعمل خُفّا وكان إسكافاً ، قال العاملْ : قد سمعْتُ هذا . قال : كان لي بِرْذَوْن يُدْبِرُ ، فُوصِف لي قِشرُ الرُّمان فألقَيْتُها على دِبْرتِهِ ، فخرجَ في ظهره شجرةُ رمّانٍ عظيمةٌ . قال : قد سمْعتُ بهذا أيضاً . قال : كان لغُلامي فروةٌ فَقَمِلَ ، فطرحَها فحملَتها القملُ ميلَيْن . قال : قد سمْعتُ بهذا . فلما رأى أنه يُبطل عليه كلَّ ما جاءَ به قال : إنّي وجدْتْ في كُتُبِ أبي صكّاً ، فيه : أربعةُ آلاف درهم والصكُّ عَلَيك .

---

(١) هو علي بن محمد بن عبد الله أبو الحسن المدائني راوية مؤرخ كثير التصانيف .

فقال : وهذا كَذِبٌ وما سَمِعْتُه قطّ . قال : فهاتِ ما خاطَرتُ(١) عليه ، فأخذَه .

قال الشّعْبيّ(٢) : حضَرتُ مجلسَ زِياد(٣) وحضرَه رجلٌ فقال : أصلحَ اللّهُ الأمير ، إن لي حُرْمةً أذْكُرُها ؟ قال : هاتِها . قال : رأيتُك بالطائف وأنتَ عظيمٌ ذو ذُؤابة ، قد أحاط بك جماعةٌ من الغلمان فأنت تركُضُ هذا مرّة برجْلِك . وتنطحُ هذا مرّةً برأسِك وتَكْدِمُ هذا مرةً بأنيابِك ، فكانوا مرةً يتثاون عليك هذا حالهم ، ومرةً يَنِدّونَ(٤) عليك . وأنت تتبعهم حتّى كاثروك ، واستعدوا عليكَ فجئتُ حتّى أخرجْتُك مِن بينهم وأنتَ سليمٌ وكلُّهم جريحٌ . فقال : صدقْتَ ، أنتَ ذلك الرّجُل ؟ قال : أنا ذاك . قال : حاجتُك ؟ قال : حاجةُ

---

(١) خاطر : راهن .

(٢) الشعبي هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري ، راوية من التابعين .

(٣) زياد بن أبيه ، اختلف في اسم أبيه ، ولد في الطائف ، أسلم في عهد أبي بكر وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة . ألحقه معاوية بنسبه ٤٤هـ وتوفي ٥٣ هـ .

(٤) يندون : أي يجتمعون .

مثلي الغِنَى عن الطّلب . قال : يا غلامُ أعْطِه كلَّ صفراءَ وبيضاءَ عندك ، فنظرَ فإذا قيمة ما يملكه في ذلك اليوم أربعة وخمسون ألف درهم فأخذَها وانصرفَ . فقيلَ له بعدَ ذلك : أأنتَ رأيتَ زياداً وهو غلام في شِدّة الحال . قال : أي واللّه لقد رأيتُه اكتنفَهُ صَبيّان صغيران كأنهما من سِخال(١) المعز ، فلولا أنّي أدركتهُ ، لظننْتُ أنهما يأيتان على نَفَسِهِ .

قال رجلٌ من آل الحارثِ بنِ ظَالم : واللّه لقد غضبَ الحارثْ يوماً فانتفخَ في ثَوْبِه فبدرَ في عُنُقِه أربعةُ أزرارٍ ، ففقأتْ أربعةَ أعينٍ من عيونِ جُلسائِه .

ومما حكاه أبو العنبس عن أبي جعفر الرزّاز ، قال : رأيتُ ببلاد الأغْلَب خَصِيّاً نصفهُ أبيضُ ، ونصفه أسودْ ، شعرُ رأسهِ أشْقَرُ ، وكنتُ في مركب ، وأشْرَفَ علينا طائر مِن طيور البحر في منقارِه فيلٌ ، وعلى عُنُقهِ فيل ، وفي كُلّ مِخْلَبٍ من مخالبِه فيل ، وتحتَ إبْطِه كَرْكَدَنّ ، وهو يطير بها إلى وكرِه ليزُقّ فِراخه .

ورأيتُ بالمراغَةِ (٢) عينَ ماء ورأيتُ شجرةً تحمِلُ

---

(١) السخل : ولد الشاة من المعز وهو ساعة تضعه أمه .

(١) المراغة : من أشهر بلاد أذربيجان ، كانت دواب مروان بن محمد بن الحكم وأصحابه تتمرغ فيها فعرفت بالمراغة .

مشمشاً داخل المشمش تمرة ، ونوى التمرة باقلاء عباسية .

ورأيت بالنعمانية(١) رجلاً تعشى ونام ، وبيده تمرة ، فجره النمل ستة أميال ، ورأيت خمسة من المخنثين تغدوا في قصعة ، وجدفوا بكفاف طبولهم حتى عبروا نهر بلخ . وكان لأبي خف من مري مصاعد .

قال بعضهم : كان لأبي منقاش اشتراه بعشرين ألف درهم . فقيل له : ما كان ذلك المنقاش ؟ كان من جوهر أو مكللا بالجوهر؟! فقال: لا كذبت. قال: كان هذا المنقاش إذا نتفت به شعرة بيضاء، عادت سوداء .

قال المبرد(٢) . تكاذب أعرابيان فقال أحدهما : خرجت مرة على فرس لي ، فإذا أنا بظلمة شديدة فتممتها حتى وصلت إليها ، فإذا قطعة من الليل لم تنتبه ، فما زلت أحمل عليها بفرسي حتى أنبهتها فانجابت . فقال : ألا اقد رميت ظبياً مرة بسهم ، فعدل الظبي يمنة ، فعدل السهم خلفه ، ثم تياسر السهم ، ثم علا الظبي فعلا السهم ثم انحدر فأخذه .

* * *

(١) النعمانية : بليدة بين واسط وبغداد على ضفة دجلة .

(٢) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي إمام العربية ببغدادفي زمنه .

الباب الخامس عشر

نوادر المُجّان

قال بعضُ المَجّان : اليمينُ الكَذِب كالتّرس خلْفَ البابِ .

شرب المغفي دواء فأسرف عليه حتى أنحله وذهب بجسمهِ فأتاه إخوانهُ يعودونه فقال : ما علمتُ أني من جراحتي اليوم .

دنا جماعة منهم إلى فقاعي فشربوا من عنده فقاعاً(١) ثم قالوا : ليس معنا شيء ، فخذُ مِنّا رهناً قال : وما الرّهن ؟ قال : تأخذ من كلّ واحدٍ منا صَفْعةً ، فلما كانَ بعد أيام، جاؤوه وقالوا : خُذْ ثمنَ الفُقّاع وردَّ علينا الرهونَ ، فجعل يأبَى ويمتنع ويقول : لا حاجَة لي في الثمن . قالوا : يا أحمقُ : لك حقك والسلعة لنا رَهْنٌ عندك ، فأخذَ ما أعطَوْهُ شاءَ أم أبَى، وصَفعوا خدَّه بِقَدْرِ ما كان صفعهم كلهم واحداً واحداً.

---

(١) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير سمي به لما يعلوه من الزبد .

تَدَاينَ مِن بقَّال شيئاً بنسيئة ، وحلف له أنه لا يُجامِعُ امرأتَه إلى أن يَقْضِيَ دَيْنَه ، فكان قد راهن أن يدع امرأته عند البقَّال .

شربَ داودُ المُصَابُ مع قوم في شهر رمضانَ ليلاً ، وقالوا له في وجه السحر : قُمْ فانظر هل تسمع أذاناً ؟ فأبطأ عنهم ساعةً ثم رجعَ فقال : اشربوا فإني لم أسمعِ الأذانَ سوى من مكانٍ بعيد .

نظر رجل إلى ابن سَيَّابة(١) يوم جُمعة وقد لَبِس ثيابَه فقال : يا أبا أسحق أظنُّك تريدُ الجامعَ قال : لعنَ اللهُ الظالم والمُريد .

كَتَبَ بعضُهم إلى صديقٍ له : أمَّا بعد ، فقد أظلنَّا هذا العدو (يعني شهرَ رمضان) . فكتب إليه في الجواب (لكن أهون عليك من شوال) .

قيل لبعضهم : مَنْ أبغضُ الناس إليك ؟ قال : مشايخُ الدَّرْبِ .

---

(١) هو إبراهيم ابن سيابة ، من شعراء الدولة العباسية .

قيل لابن مضاء الرازي : قد كبُرْتَ ، فلو تُبْتَ وحَجَجْتَ كان خيراً لك ، قال : ومِنْ أين لي ما أحج به ؟ قيل : بِعْ بيتَك ، قال : فإذا رجعْتُ فأين أنزل؟ وإن أقمت وجاورتُ بمكة أليس الله يقول : يا صَعْفانُ ، بِعْتَ بيتَك وجئْتَ تَنْزِلُ على بيتي ؟

وكان بسجستان ماجِنٌ يعرُف بعَمْرو الخزْرجي ، استقبله يوماً رَجلٌ من أصدقائه وقد شَجُّوه وسالَت الدماءُ على وجهِه ، فقال لعمرو : ليس تعرفني ؟ فقال : ما رأيتك في هذا الزيِّ قطّ فاعذرني ، إني لم أتَثَبَّتْك .

وكان في بعض السنين قَحْطٌ وغلاء ووقع بين امرأته وبين جيرةٍ لها خُصومة ، فضُرِبَتْ وكُسِرتْ ثَنيتّها ، فانصرفتْ إليه باكيةً وقالت : فُعِلَ بي ما هو ذا تراه ، وضُرِبْتُ وكُسِرَتْ لي ثنية فقال : لا تغتمِّي ، مادام الثّغر هذا ، تكفيك ثنية واحدة .

أشْرَفَ قومٌ كانوا في سفينة على الهلاك ، فأخذوا يَدْعون اللهَ بالنجاة ويتضرعون ورجلٌ فيهم ساكتٌ

لا يتكلم فقالوا له : لم لا تدعو أنتَ أيضاً ؟ فقال : هُوَ مِنّي إلى ها هنا وأشار إلى أنفهِ ، وإنْ تكلمتُ ، غرّقتكمْ .

قال بعضهم : غَضَبْ العُشّاقِ مثل مَطر الرّبيع .

قيل لبعضهم : ما بالُ الكَلْب إذا بالَ يرفعُ رجْلَهُ ؟ قيل : يخافُ أن تتلَوثَ دُرّاعَتُهُ . قيل : وللكلب دُرّاعةٌ ؟ قال : هو يَتَوهَّم أنه بدُرّاعَة(١) .

مَرَّ بعضُهم في طريق فَعَيِيَ مِنَ المشي ، فرفع رأسَه إلى السماء فقال : يا رب ، ارزقني دَابةً . فلم يَمْشِ إلا قليلاً حتى لحقه أعرابي راكب رمكة(٢) وخلفه مُهْرٌ لها صغير قد عيي فقال للرجل : احمله ساعة ، فامتنع الرجل فَقَنَّعه بالسّوط حتى حمله ، فلما حمله نظر إلى السماء فقال : يا ربّ ، ليس الذنبُ لك ، إنما الذّنبُ لي حَيْثُ لم أفَسِّرْك ، دابة تركبني أو أركبها .

اشترى بعضُهم جاريةً فقيل له : اشتريتَها لِخِدْمتِك

---

(١) الدراعة : جبة مفتوحة من الأمام تصنع من الصوف .

(٢) الرمكة : الفرس والبرذون تتخذ للنسل .

أو لخدمةِ النِّساء ! فقال : بل لنفسي ، ولو اشتريْتُ للنساءِ لكنتُ اشتري مماوكا فحلاً .

كان أبو زهرة ماجناً كان يُحَمِّقُ ، فصَعِدَ يوماً في درجة طويلة فلما قطَعها ، قال : ما بيننا وبين السماء إلا مرحلة وقد رُمِيَتْ الشياطينُ من دون هذه المسافة .

ودخل يوما من باب صغير وكان طويلا فقال : أدخلتم الجمل في سمِّ الخياط قبل يوم القيامة ؟؟ .

وَرِث بعضُهم مالاً ، فكتَبَ على خاتمه « الوَحَى » (١) فلمَّا أفلسَ كتبَ على خاتَمه « اسْتَرحنا » .

* * *

(١) الوحى : السيد الكبير والنار .

الفهـــــرس

الموضــوع	الصفحة

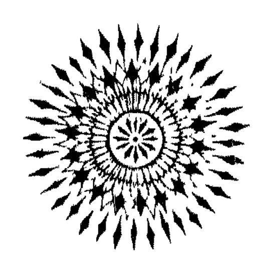
الموضـــوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة
الشجر :	١٣٠
الأمثال في الذهب والفضة والحديد والسيف والرمح وأصناف السلاح :	١٣٢
الجلد :	١٣٣
الحديد : السيف :	١٣٤
الأمثال في الحرب والقتل والأسر والجبن والفزع والشجاعة والغزو والصياح :	١٣٦
القتل :	١٣٧
الأمثال في الثياب واللباس والخز والأدم والقز والآنية والدل والشقاء والوعاء والعطر :	١٣٧
الأمثال في الرحى والطعام والأكل والشرب واللبن وسائر المأكولات والمشروبات :	١٣٩
الأمثال في المال والغنى والفقر والصدق والكذب والحق والباطل والحمق والحيلة والإطراق والشر والظلم والدعاء والاعتذار والعلم والرأي :	١٤٣
الأمثال في النوم والفلك والطب والمنية والدواهي :	١٤٥
الأمثال الأفراد :	١٤٧
الباب الخامس :	١٤٩
النجوم والأنواء ومنازل القمر على مذهب العرب :	١٥١
الباب السادس :	١٨٧
أسجاع الكهنة :	١٨٩
الباب السابع :	١٩٧
أوابد العرب : التعمية والتفقئة :	١٩٩

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

٥,٠٠٠ ط١/٥/١٩٩٧



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

سعر النسخة داخل القطر

٢٠٠ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل

٤٠٠ ل.س